خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس





من ١٣٧٥هـ
الى ١٣٧٦هـ

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

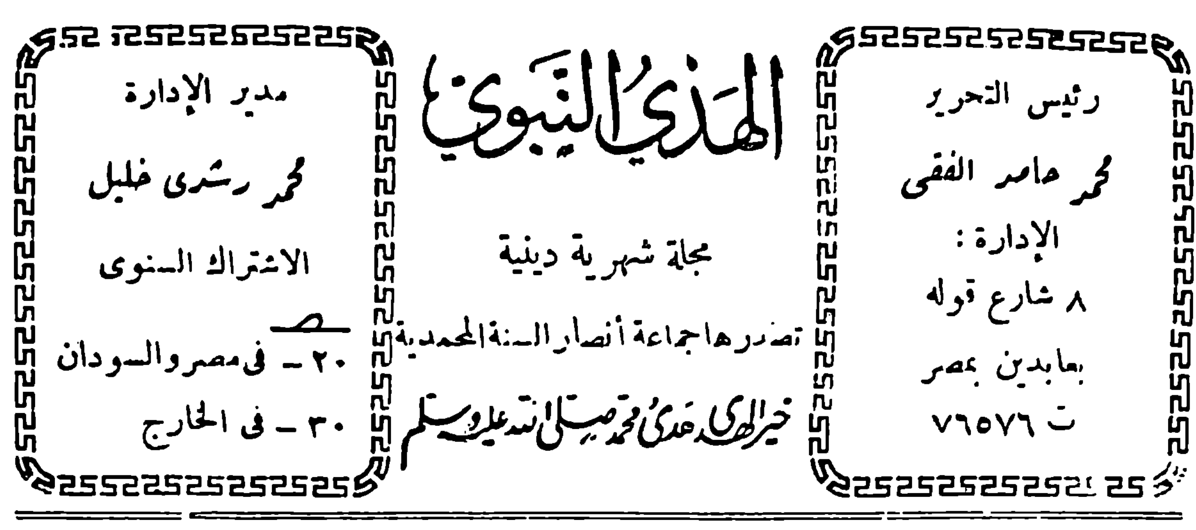
مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت ٠١٢٤٤٦٨٥٣ ٣٥٨٦٤٢٤٠١


الهدى النبوى ﷺ
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الثمن ٢٠ مليما



المجلد ٢٠ — محرم سنة ١٣٧٥ — العدد ١

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة العام العشرين

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، عليه وعلى من نهج نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين (أما بعد)

فإن مجلة « الهدى النبوى » تستقبل بعددها هذا (السنة العشرين) من حياتها الطيبة المباركة إن شاء الله ، وهى تستعين الله وحده ، وتستهديه وتستنصر بحوله وقوته فيما أخذته على عاتقها من نشر السنة وقمع البدعة .

دستورها : قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) .

شعارها : لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

قائدها : كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

رائدها : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى آتاه الله الكتاب والحكمة وعلمه مالم يكن يعلم .

هدفها : جمع المسلمين على الهدى وتوحيد كلمتهم ، ودعوتهم إلى الالتفاف حول راية القرآن ، والاعتزاز بالإسلام والاعتصام بحبل الله جميعاً لا تفرقهم المذاهب والآراء والنزعات .

من هدى الرسول

هلك المتنطعون

عن عمران بن حصين « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه توضأوا من مزادة امرأة مشركة »

رواه البخاري ومسلم

وفي رواية البخاري . قال « كُنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم و إنّا أسْرَيْنا حتى إذا كنا في آخر الليل وَقَعْنا وقعةً ولا وقْعة أحْلَى عِنْدَ المُسافِرِ منها . فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس . وكان أول من استيقظ فلان ـ في رواية مسلم : أبو بكر ـ ثم فلان ثم فلان ، يُسميهم أبو رجاء فَنَسى عَوْف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع ـ وفي رواية مسلم ـ أن عمر استيقظ بعد أبي بكر ـ وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا نام لم نُوقظهُ حتى يكون هو يستيقظ ، لأنّا لا ندرى مايحدثُ له في نومه . فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس ـ وكان رجلا جَلِيداً ـ فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر و يرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ لصوته النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما استيقظ شكوا إليه الذى أصابهم ، قال : لا ضَيْرَ ، أو لا يَضِيرُ ـ ارْتَحِلُوا فارْتَحَلَ ، فسار غير بعيدٍ ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونُودى بالصلاة فصلى بالناس ، فلما انفَتَلَ من صلاته إذا هو برجل مُعْتَزَل لم يُصلِّ مع القوم . قال : مامنعك يافلان أن

غايتها : أن تبصر المسلمين بدينهم الحق وأن تنير أذهانهم وأن تثقفهم الثقافة الدينية الصحيحة وأن تكافح الخرافات والبدع ، وأن تقتلع جذورها من النفوس وأن ينبذ المسلمون تلك النزعات التى أغرت بينهم العداوة والبغضاء وفرقت كلمتهم ، وجعلتهم شيعاً يتهاترون و يتنابذون ، وأن يعملوا على تقوية الأوامر التى بها يعتصمون ، وتوثيق العرى التى بها يستمسكون ، فلا يكون لهم اعتزاز إلا باتباع القرآن ، ولا اعتصام إلا بالرحمن .

هذه هى مجلة « الهدى النبوى » ترسم الهدى النبوى واضحاً وتبين الطريق المحمدى شيقاً . نسأل الله أن يوفقنا و يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل ، وأن يلهمنا الرشد فى كل مانكتب إنه سميع الدعاء .

« الإدارة »

تصلى مع القوم ؟ قال أصابتنى جَنَابَةٌ ولا ماء . قال : عليك بالصعيد فإنه يكفيك . ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً ـ كان يُسَمِّيه أبو رجاء نَسِيَهُ عَوْفٌ ـ ودعا علياً فقال : اذهبا فابْتَغِيَا المـاء ، فانطلقا فَتلقَّيا امرأةً بين مَزَادَتَيْنِ أو سَطِيحَتَيْنِ من ماء على بعيرٍ لهـا ، فقالا لها : أين الماء ؟ قالت : عَهْدِى بالماء أمْسِ هذه الساعة ، ونفرُنا خُلُوفًا » ـ تريد أن رجالها تخلفوا لطلب الماء ـ « قالا لها : انطلقى إذاً ، قالت : إلى أين ؟ قالا : إلى رسول الله ، قالت : الذى يقال له الصَّابِئ ؟ قالا : هو الذى تعنين فانطلقى ، فجاءا بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم وحدثاهُ الحديث ، قال : فاسْتَنزِلوها عن بَعيرها ، ودعا النبى صلى الله عليه وسـلم بإناء فَفَرَّغَ فيه أفْوَاه المزادتين أو السطيحتين ، وأوْكأ أفواهَهُما » أى ربط أفواههما . وأطلق العَزَالِى (جمع عزلاء وهى مصب المـاء من الراوية) ولـكل مزادة عزلاوان من أسفلها « ونُودِىَ فى الناس : اسْقُوا واسْتَقُوا ، فسَقَى من سقى ، واستقى من شـاء . وكان آخر ذلك ، أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناءً من ماء ، قال : اذْهب فأفرغه عليك ، وهى قائمةٌ تنظر إلى مايفعل بمائها . وأيمُ الله لقد أقْلِع عنها و إنه لَيُخَيَّلُ إلينا أنها أشد مِلأَةً منها حين ابتدأ فيها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لها ، فجمعوا لهـا من بين عجوةٍ ودقيق وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً ، فجعلوه فى ثوبٍ وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها . قال لها : تعلمين ما رَزِئْنا من مائكِ شيئاً ، ولـكن الله هو الذى أسقانا . فأتتْ أهْلهـا وقد احتبستْ عنهم ، فقالوا : ماحبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب ، لقينى رجلان فذهبا بى إلى هذا الذى يقال له الصَّابِئ ففعل كذا وكذا ، فوالله إنه لأسْحَرُ النَّاس من بين هذه وهذه ـ وقالت بأصبعيها لواسطى والسبابة ، فرفعتهما إلى السماء ، ـ تعنى السماء والأرض ـ أوْ أنه لرسول الله حقـاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرْمَ الذى هى منه . فقالت يوماً لقومها : ما أُرَى أنَّ هؤلاء القوم يدعونكم عمداً ـ فهل لـكم فى الإسـلام ؟ فأطاعوها فدخلوا فى الإسلام » .

فالنبى صلى الله عليه وسلم استقى وتوضأ هو وأصحابه من مزادتى هـذه المرأة المشركة ،

ولم يسألها هل هما مذكيان أو جلدا ميتة ، ولا سألها عن دباغهما ولا عن الماء وطهارته ، ولا ماخالطه . كل ذلك يدلنا على قاعدة يجب اتباعها والعمل بها ، وهى أن كل شىء فأصله الحل والإباحةوالطهارة حتى يتبين خلاف ذلك ، وأنه لايلزم السؤال والتحرى إذا لم يكن ثم حاجة ظاهرة ملجئة للسؤال والتحرى .

فطهارة الماء والآنية والثياب والأرض ونحو ذلك ، وحل الطعام وما أشبهه . كل هؤلاء إذا قدم شىء منها للوضوء أو الغسل أو الصلاة أو الأكل ، فمن النطاعة . وتشديد اليهود الممقوت المستوجب للهلاك – السؤال عنه – وليس من الورع ولا من الاحتياط فى شىء ، ولا يفعل ذلك إلا جاهل متكلف بجهله فى الدين مايمقته الله و يسخطه . وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يأخذ ماء هـذه المرأة أو ماء غيرها ظلما ، فإنه صلى الله عليه وسلم – فضلا عن أنه لم ينقص ماءها شيئاً ، وأعاد إليها مزادتيها كما هما امتلاء – قد جمع لها من الطعام ما أرضاها وجعلها تعرف له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل، وزاد على ذلك أن المسلمين لم ينسوا لها هذا الفضل ، فكانوا يتجنبون صرمها – أى بيوت حيها – وهى تلاحظ ذلك وتعرفه وتوقن أن ذلك كرم خلق وحسن مكافأة وجميل مجازاة ، وذلك لا يكون على ذلك القليل من الماء ، لا بل على صورة أخذ الماء ، فإنهم لم ينقصوا من مائها شيئاً – لا يكون ذلك إلا من قوم كرام أتم الكرم وأكمله . وأنها لتعلم أنهم عرب – وأنها لترى أخلاق العرب وظلمهم وشراسة طباعهم وشكاسة أخلاقهم . فما الذى جعل هؤلاء بهذه الأخلاق الفاضلة ؟ إنه الدين الذى جاءهم به هذا الرجل ، الذى رأت معجزته بعينها فى زيادة الماء زيادة مدهشة سقت الجيش وملأت قربهم وسقت دوابهم ، وذلك لا يمكن أن يكون سحراً ، لأن الساحر لايهذب أصحابه هذا التهذيب ولا يؤدب جماعته وأتباعه هذا الأدب العالى ، ولا يطبعهم هذا الطابع الكريم من معرفة الفضل لأهله وحسن المكافأة عليه ، ولو لمن يكون على غير دينه ومبدئه .

كل ذلك دعاها وقومها إلى الإسلام ، فأسلموا رضى الله عنهم .

محمد حامد الفقى

لا توقظوا الفتنة النائمة

لواء الإسلام - ٣ -
والتوسل بذوات الأشخاص

لفضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

حديث الضرير

ثم قال الأستاذ الجليل : وأما السنة : فمنها حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه ، « أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادعو الله تعالى أن يعافيني فقال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك : قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا رسول الله : إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذا لتقضى ، اللهم فشفعه فى » .

وأقول : إن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به فى العقائد .

فى سند هذا الحديث أبو جعفر . وقد قال فيه أحمد والنسائى : ليس بالقوى ، وقال ابن المدينى : كان يخلط . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة : يهم كثيراً ، وكيف يحتج فى العقائد بحديث يرويه راوٍ ليس بالقوى ، يخلط ويهم كثيراً . وينفرد بالمناكير عن المشاهير ؟

ولو أننا صرفنا النظر عن السند وما فيه . ونظرنا إلى المتن لوجدنا فيه اضطراباً شديداً وخلطاً غريباً . إذ بينا نرى الحديث ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه يأمر الرجل بأن يناجى ربه ويسأله ويتوجه إليه ، نراه من جهة أخرى ينسب إليه أنه يأمره أن يخاطبه هو ويدعوه هو بقوله : يامحمد ، وقد ذكر علماء هذا الشأن أن من علامات وضع الحديث

أن يكون معارضاً للقرآن الكريم ومناقضاً لنصوصه ، وفى هذا الحديث من المناقضة للقرآن الكريم والمعارضة لنصوصه مايحمل على القطع بوضعه . فإن من القرآن الكريم يدعو إلى إفراد الله تعالى بالدعاء . ويقول (فلا تدعوا مع الله أحداً) ويقول (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك . فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) .

ويقول : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون) .

ويقول (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه)

ثم من هذا الضرير الذى جعله الله مظهراً لهذه الآية الكبرى ؟

رجل يأتى إلى النبى صلى الله عايه وسلم ضريراً قد ذهب بصره ويسأله الدعاء ويأمره النبى أنه يتوضأ ويصلى ركعتين ويدعو الله بدعاء يعلمه إياه فيرتد بصيراً ثم يظل نكرة لا يعرفه أحد ويبقى اسمه مجهولا عند المسلمين كافة وهم لايزالون يتحدثون برد عن قتادة وشفاء عين على ؟ فمالهم لايذكرون هذا الذى أبصر بعد العمى . وعاد إليه بصره بعد أن كاد يتخبط فى الظلمات . لعمر الحق أن هذه الواقعة لو كانت صحيحة مالبث هذا الصحابى الجليل الذى أكرمه الله بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ورد إليه نعمة البصر ـ نكرة ضائعاً فى طى الخفاء ولأصبح من الصحابة المذكورين الذين يجرى اسمهم على كل لسان ، ويهتف به كل فم ، ويتردد على كل شفة .

* * *

وبعد : فلو سلمنا جدلا أن هذا الحديث صحيح سنداً ومتناً ، بعد استبعاد مايناقض القرآن لرأينا أنه بنجوه عن إباحة التوسل بذوات الأشخاص ، فإن الرجل ماجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم إلا ليدعو له وقد خيره الرسول . فأبى إلا الدعاء ـ وقد أمره الرسول أن يدعو الله أن يستجيب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم . فالأمر لم يخرج عن حدود طلب الدعاء من النبى صلى الله عليه وسلم ، وطلب الاستجابة من الله تعالى ، وهذا أمر لا شك فى جوازه ، بل فى طلب المنافسة فيه .

الاحتجاج بالأحلام

ثم قال الأستاذ الجليل : (ومنها ما أخرجه البيهقى و بطريقه أخرجه التقى السبكى فى شفاء السقام وغيره من حديث مالك الدار فى استسقاء بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه فى عهد عمر بالنبى صلى الله عليه وسلم ونص الحديث : « أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله فى المنام ، فقال : ائت عمر فاقرئه السلام ، وأخبره أنهم يسقون »)

وأقول :

أولا ــ إن إدخال هـذا الخبر فى باب السنة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو إقراراً ــ مما يجافى الحق ، ولا يستقيم معه ميزان الأمور ، و إيراده بهذه الطريقة يوهم أنه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى أحد مصادر التشريع ، ويجر المطلعين عليه إلى الخطأ فى الاستدلال إذ يتوهمون أنه من الأدلة الشرعية ذات الاعتبار فى الاستدلال وينخدع به من لا علم له بالسنة حتى يحسب الباطل حقاً ، وليس من شرعة الإنصاف ولا من شيم العلماء المحققين أن يؤيدوا دعواهم بالوهم الباطل والقول الخادع .

ثانياً ــ لم يعلّم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته فيما علمهم فى حياته أن يأتوا قبره بعد التحاقه بالرفيق الأعلى فيطلبوا منه ما كانوا يطلبون فى حياته . فمن أباح لهذا الرجل أن يفعل مافعل ، أو يقول ماقال ؟

ثالثاً ــ و إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر عما فعل الرجل ، ولم يقره ، فكيف يكون سنة ؟ وكيف يكون حجة ؟ وكيف يستدل به على إثبات أمر من الأمور التى تتصل بالعقائد ؟

رابعاً ــ فى أية آية من كتاب الله تعالى . وفى أى حديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدتم الأحلام من الأدلة الشرعية التى تثبت بها الأحكام ، وبخاصة ما يتصل منها بالعقائد ؟

لقد كانت الرؤيا وحياً للنبى صلى الله عليه وسلم مدة ستة أشهر فى بدء رسالته ، وكانت كذلك وحياً لبعض الأنبياء قبله ، ولكنها ليست وحياً لأحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذ هو خاتم النبيين ولا نبى بعده . فكيف يزعم زاعم أو يزعم له غيره أن حلمه مصدر من مصادر التشريع الاسلامى ؟

وأى تشريع ؟ التشريع الذى يتحكم فى عقائد الناس المتصلة بالتوحيد الذى هو صميم الإيمان ؟

خامساً ـ وهل أتى الرجل عمر وأخبره بما كان منه من إتيان قبر النبى صلى الله عليه وسلم وطلبه من النبى أن يستسقى لأمته . وهل أقره عمر على ما كان منه مما لم يأمر به الرسول الأمين ولم يقره .

ولا أدرى كيف يبيح السيد الأستاذ لنفسه أن يصدر الأحكام الشرعية بكل هذا اليسر و بكل هذه السهولة ، و بغير أى تحقيق معتمداً على تحقيق غيره ، فى حين أن أحد المحققين الذين اعتمد على تحقيقهم قد خالفه وحكم بغير ماحكم ؟

* * *

ثم قال السيد الأستاذ : « ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وهو فى البرزخ ودعاؤه لربه ، وعلمه بسؤال من يسأله . ولم ينكر صنيعه هذا أحد من الصحابة ».

وأقول : أما طلب الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وهو فى البرزخ فهو مما لم يرد على جوازه دليل من كتاب الله ، ولا من الصحيح من سنة رسوله ، وعمل الصحابى المخالف للكتاب والسنة ليس حجة فى دين الله . على أن هذا الخبر ليس فيه مايثبت أن الرجل الذى أتى القبر صحابى ؟

ولو كان إتيان القبر والطلب من الرسول بعد التحاقه بالرفيق الأعلى جائزاً لما خفى على عمر عليه الرضوان ، ولما عدل عنه إلى العباس رضى الله عنه يستسقى بدعائه ؟

وأما دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ربه وهو فى البرزخ فليس فى هذا الأثر مايدل على حصوله ، وليس فى نصوص الشرع من الكتاب والسنة ما يدل عليه أو يؤيده ، والدعاء

عبادة . والعبادة إنما تكون فى دار التكليف ، ولا تكليف فى البرزخ ، إذ البرزخ ليس مكان عبادة . وهل علمنا من طريق مقطوع بصحته أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا ربه وهو فى البرزخ ؟ وأين هذا الطريق ؟

وأما علمه صلى الله عليه وسلم بسؤال من يسأله وهو فى البرزخ ، فليس فى الكتاب ولا فى السنة مايثبته ، بل نصوص السنة تدل على نقيضه . ومن ذلك ماورد فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم من عدة طرق وفيه : « فيقال : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً » . وقد رواه البخارى أيضاً من عدة طرق كذلك ، ومنها : « إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك » .

فهذا النص قاطع فى إثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايعلم ما تحدث أمته من بعده . وسؤال السائلين له وهو فى البرزخ مما أحدثت الأمة من بعده فلا علم له به بدليل الحديث الصحيح السابق .

وإن احتج محتج بحديث عرض الأعمال ، فالرد عليه أن حديث عرض الأعمال مرسل ، والمرسل من أنواع الضعيف فلا يصح الاحتجاج به فى العقائد .

أما أن الصحابة لم ينكروا هذا الصنيع ـ لو صح أنه حدث ـ فما أدرانا أن الرجل فعل مافعل ، إذ قال ماقال بمشهد أحد من الصحابة ، وما أدرانا أن أحداً من الصحابة رآه فلم ينكر عليه . كل هذه دعاوى تحتاج إلى بينات تثبتها ، وحجج تؤيدها . ولا حجة هناك ولا برهان .

الأمر ياسيدى الأستاذ جد ؛ فلا يصح الاحتجاج عليه بالهزل .

الأمر حق ؛ فلا تجوز مناهضته بالباطل .

إن فرط حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خليق بأن يحملنا على طاعته ، والوقوف عند أمره ونهيه ، ولا ينبغى أن يحملنا على الغلوّ من أمره بما لايدل عليه دليل ولا تثبته حجة .

وأنَّى لصاحب الفتوح أن يعلم أن الذى رأى المنام هو بلال بن الحارث المزنى . فإن أصل الخبر جاء رجل وليس فيه جاء بلال ، فكيف أثبت أنه بلال ، وما دليله على ذلك ؟

لو أن السيد الأستاذ حقق الأمر بنفسه لاستغنى عن تحقيقات غيره ولوصل إلى الحق من أقرب طريق .

* * *

إلى هنا قد تبين لكل من يحترم نعمة العقل التى أنعم الله بها عليه أن ما أورده السيد الأستاذ من الكتاب والسنة وحاول الاستدلال به على جواز التوسل بذوات المخلوقين لاينهض حجة ولا يقوم دليلا ، وليس فيه مايثبت جواز التوسل بذوات الأشخاص . فلننتقل إلى حجج الأستاذ الأخرى .

قال السيد الأستاذ : « وأما من جهة المعقول ، فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازى ، والعلامة سعد الدين التفتازانى ، والعلامة السيد الشريف الجرجانى وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع إليهم فى حل المشكلات فى أصول الديانة قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا . وأى صفيق يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور والدعوة إلى الشرك بالله » .

وأقول : حين عمد الأستاذ الكبير إلى الاستدلال بالمعقول كنت أتوقع أن يقيم برهاناً عقلياً من منطقه و بحثه وتحقيقه ولكنه لم يفعل من هذا شيئاً .بل عمد إلى ذكر ثلاثة آخرين نقل عنهم أنهم صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً . وهل النقل عن العلماء يعتبر برهاناً عقلياً ؟ أو حجة منطقية تثبت الدعوى ؟

وهؤلاء الثلاثة الآخرون ليسوا أحق بالاتباع من الثلاثة الأولين . وليس فى أقوالهم حجة ولا شبه حجة ، ولا قول لأحد فى العقائد والعبادات إلا لله ولرسوله . وأين الدليل العقلى الذى أقامه السيد الأستاذ ؟ وأين الدليل العقلى الذى أقامه أولئك الثلاثة المختارون ؟

والصفقاء ياسيدى الأستاذ لايرمونهم بعبادة القبور ولا بالدعوة إلى الشرك بالله ؛ لأنهم مثلهم فى الجرأة على الله ، و إباحة مالم يبحه الله ، والقول على الله بغير علم .

أما غير الصفقاء ، فهم الذين يستطيعون أن يقولوا : إن الذين يقفون خاضعين خاشعين أمام القبور يطلبون فى ذلة وضراعة ممن انضمت عليهم جوانحها ـ مما لايقدر عليه إلا الله .

يعبدون القبور بغير شك ، ولا يكابر فى ذلك إلا من سفه نفسه وأنكر عقله ، وهم مشركون ، وهم داعون إلى الشرك إن دعوا غيرهم ، إلى أن يأخذ إخذهم و يسلك سبيلهم .

وهل كان عباد الأوثان يفعلون غير هذا ؟

وصدق الفاروق عليه الرضوان إذ يقول : يوشك أن يهدم الإسلام حجراً حجراً من جهل عادات الجاهلية .

وليس فى الدين مشكلات يُفزَع إلى الناس فى حلها ، لأن الله تعالى يسر القرآن للذكر وجعله آيات بينات وأنزله كتاباً عربياً مبينا ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والحلال بيّن والحرام بيّن ، والمشبهات محاولة بطبعها ، فقد نهينا عنها جملة فلا إشكال ولا إبهام .

المدد

ثم قال السيد الأستاذ : « والمدد كله عند الجميع من مسبب الأسباب جل جلاله » .

وأقول : مادمت ترى أن الجميع يرون المدد من مسبب الأسباب فلماذا نحاول أن ندعو الناس إلى غيره ، و إلى الاستمداد من سواه .

و إذا رأيت سائلا استجدى كريماً فأعطاه ، أفليس أكرم وأجمل أن يعمد طالب الحاجة إلى الغنى الكريم الذى أعطى بدل أن يسأل السائل المستجدى ؟

أليس من الخير أن ندعو إلى إسلام الوجه إلى الله ، والانصراف عما عداه ، لأن بيده سبحانه خزائن السموات والأرض ، ومن وفقه إلى دعائه فقد أعطاه مفاتيح هذه الخزائن .

ومتى أخبرنا الله أنه لايستجيب دعاءنا إلا إذا أتينا بوسيط أو تقدمنا إليه بذات شخص من خلقه ، جعلنا ذاته وسيلة إليه ، أو أقسمنا به عليه . والإسلام قد طوح بالوسطاء وخلص بين العبد وربه . قال تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) ولم يقل إن دعوتمونى فوسطوا بينى و بينكم عبادى المخلوقين ، أو توسلوا إلىّ بذوات الأشخاص الصالحين لكى أستجيب دعاءكم .

ويقول سبحانه : (و إذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

فبين سبحانه أن الرشد واستجابة الدعاء موقوفان على الإيمان بالله تعالى والاستجابة له . فمن استجاب لدعوة الحق وآمن بالله تعالى وعمل الصالحات . فإن الله تعالى يستجيب له — وإنما يتقبل الله من المتقين .

ماذا قال الرازى ؟

ثم قال السيد الأستاذ : (قال الرازى فى تفسيره : إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوى بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس وتظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم . . .)

وأقول للامام الرازى وللسيد الأستاذ الناقل لكلامه : الأرواح من عالم الغيب . والغيب لله وحده . فمن أدرا كما أن الأرواح تذهب إلى عالم الملائكة ؟

فى أية آية من كتاب الله ، وفى أى حديث من سنة رسول الله وجدتما هذا الحكم ؟

ومن أنبأ كما أن لها آثاراً تظهر فى أحوال هذا العالم ؟

أوجدتما ذلك فى كتاب الله أم فى سنة رسول الله ؟

أتعلمتاه من الخلفاء الراشدين المهديين ؟

هل لمستما هذه الآثار بأيديكما ، أم هل وقفتما عليها بأنفسكما ؟

نبئانى بعلم إن كنتما صادقين .

لا ياسادتى ، ليس لهذه الأرواح آثار تظهر فى أحوال هذا العالم ، لأن ابن آدم المكون من الروح والجسد إذا مات وفارقت روحه جسده انقطع عمله بشهادة الرسول الصادق الأمين فلم يبق لجسده ولا لروحه عمل ، و إذاً لم يبق له آثار تظهر فى أحوال هذا العالم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالاتباع من الذين يقولون على الله مالا يعلمون و يجادلون فى الحق بعد ماتبين بغير هدى ولا كتاب منير .

هذه المقالة أشبه شىء بما كان يعتقده المصريون القدامى فى جاهليتهم إذ كانوا يزعمون أن ملوكهم إذا ماتوا صعدت أرواحهم إلى السماء وصارت آلهة أو أنصاف آلهة وتصرفت فى هذا الكون كما تحب وتهوى .

« للبحث بقية »

ثواب القرآن للميت

بقلم الأستاذ الكبير عبد الحليم محمد حموده

سألت الأستاذ ذات مرة :

قلت : مارأيك فى وصول ثواب القرآن للأموات ؟

قال : رأيي ! وهل سمعتنى أقول للناس برأيي ؟ يا بنى إنما هو دين والدين قد أكمله الله ويسره ووضحه فى كتابه وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قلت : إنى أعترف بخطئى ، فما هو حكم الإسلام إذن فى هذه المسألة ؟

قال : إنى أسألك : هل كان رسول الله يحفظ القرآن أكثر مما نحفظ ويعرف حلاله وحرامه وأحكامه ووظيفته فى الأفراد والمجتمع ؟ وهل مات له أبناء وبنات وأصحاب من المؤمنين فى حياته ؟

قلت : نعم كل ذلك واقع من الأمر .

قال: هل قرأت فى الكتاب العزيز قول الله يصف رسوله بأنه «بالمؤمنين رءوف رحيم» ؟

قلت : هذا حق يتلوه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

قال : هل قرأت فى سيرة الرسول الصحيحة أنه قرأ على هؤلاء بعد موتهم سورة أو بعض سورة من القرآن قاصداً أن يصل ثواب ذلك إليهم ؟

قلت : يروون ذلك أحاديث يحكمون عليها هم أنفسهم بالضعف .

قال : يكفيك منها ضعفها . هل وصل إلى علمك ما كان يدعو به الرسول الكريم حين كان يزور القبور ؟ وكثيراً ما كان يزورها ويترحم على أهلها وساكنيها ـ هل وجدت فى هذه الأدعية أثراً للقرآن ؟

قلت : إنك محق . فلم يكن فيها إلا الدعاء لنفسه ولإخوانه ممن لحقوا بالرفيق الأعلى . ولكن ماقولك ـ يا أستاذى ـ فى الحديث الذى يقول : « اقرأوا على موتاكم يس » ؟

قال : (بعد أن اعتدل فى مجلسه) : لست أتكلم عن ضعف هذا الحديث فقد ثبت ضعفه.

ولـكنى أسألك هل يأمر الرسول أمته بالخير ثم لايفعله وقد وعى قول الله تعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الـكتاب أفلا تعقلون) ؟

قلت : ليس هذا معقولا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أول المسلمين وأول العاملين بما يقول و بما ينصح به أمته .

قال : لو كان هذا حديثاً صحيحاً لـكان الرسول أول العاملين به . فلم خالف فعله وفعل أصحابه نص هـذا الحديث ؟ حاشا لله أن يقول رسول الله مالا يفعل ! إن بعض الشراح يقولون بأن المقصود من الأموات فى هذا الحديث ـ لو صح ـ من أشرفوا على الموت . فإن سلم الخصوم بذلك لم يكن هناك نزاع . ثم أخبرنى : هل سمعت حديث الرسول الذى يقول : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ؟ (رواه مسلم) فإذا كان القرآن ينفع الأموات فأين ذكر ذلك فى الحديث ؟ إنهم يقولون إن القرآن يجرى مجرى الدعاء فأى دعاء فى سورة الإخلاص أو آية الـكرسى أو سورة يس ؟ بل أى دعاء للأموات فى فاتحة الـكتاب والدعاء فيها ينصب على الأحياء بطلب الهداية . لقد تخصصت سور من القرآن لنفع الأموات مع بعد الصلة بينها و بينهم . ألم تقرأ قول الله : « لينذر من كان حياً » هذه هى وظيفة القرآن : هداية للأحياء ودعوة إلى الحق . إنك ستجد هـذه الوظيفة واضحة فى كثير من آيات القرآن ومنها مطلع سورة الفرقان حيث يقول الله : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » فهذه النذارة هى علة نزول القرآن . ثم أخبرنى ـ يا بنى ـ ماذا تجد فى هذه الآية مما ينفع الأموات ؟ «و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه . بئس الشراب وساءت مرتفقا» أو فى آيات تتحدث عن تاريخ الأمم السابقة أو فى الرد على المشركين أو فى توريث الحى من الميت و بيان الأنصبة المستحقة . أية علاقة بين هذه الآيات و بين الأموات ، وماذا تجد فيها من دعاء ؟ هذا يابنى عمل رسـول الله . وقوله وقد أدركه صحابته وساروا على سنته فلم يعهد على أحدهم أنه قرأ على ميت آية أو سورة من كتاب الله يريد بها نفعه و يهب ثوابها له . و إنى لتحضرنى قصة جرير بن عبد الله ـ على ماروى البخارى ـ حين مات المغيرة بن شعبة ،

وكان أميراً على الناس ، فقد كان مما قال لهم جرير : « استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو » أى أطلبوا له المغفرة من الله ، ولم يقل لهم : « اقرأوا عليه فاتحة الكتاب أو شيئاً من القرآن » ألا يسعنا ماوسع رسول الله وأصحابه ، أم أن الوحى قد نزل بعد رسول الله على أناس فأباح لهم مالم يبحه رسول الله وصحابته لأنفسهم . أم أن ذكاءهم الخارق كان أعلى من ذكاء محمد رسول الله فى فهم القرآن والاستنباط منه . هل بقى ـ يابنى ـ عند هؤلاء مايعترضون به بعد أن قامت عليهم الحجة ودمغهم البرهان ؟ .

قلت : إنك ياسيدى بذلك شردت عدداً وفيراً من حملة القرآن وحرمتهم من وظائفهم .

قال : الأستاذ (فى حدة بالغة وقد تحول صفاء وجهه إلى غضب مدمر) : وهل القرآن ـ يابنى ـ وظيفة من الوظائف ؟ إن المفروض علىّ كل عضو من أعضاء الأمة أن يتخذ حرفة يكسب منها قوته ثم هو بعد ذلك يحفظ القرآن ـ إن شاء ـ وينفذ أحكامه . أما أن يتخذ بعض الناس القرآن حرفة يتكسبون منها فهذا هو الشر المستطير الذى يدعو إلى أشد العجب ! خذها منى كلمة حق يابنى ! إنها فئة من المرتزقة من حملة القرآن هم الذين فتنوا الأمة بهذا اللون من مساخر العقول والنزول بالقرآن عن جلاله وعظمته ودستوريته العامة الشاملة ـ يناصرهم فى ذلك فئة من المنتسبين إلى العلم لحاجة فى نفوسهم .

قلت : اسمح لى ـ يا أستاذى ـ أن أسألك السؤال الأخير : إذا كان علماء الدين يعلمون ذلك كله فما بالهم يسكتون عن الانكار !

وهز الأستاذ رأسه أسفاً وقال : لقد رأيت أثر هذه الفتاوى فى انحلال الأمة الاسلامية وإعراضها عن كتاب ربها ـ إنها فهمت أن القرآن لم يخرج عن كونه تراتيل للبركة ونفع الأموات ـ أما أنه دستور يشرع للناس مافيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة وينظم حياة الفرد والجماعة فهذا مالم يقم العلماء بتفهيمه للناس ـ أرجو أن تترحم معى على العلماء العاملين من السلف الصالح الذين كانت لهم صولة ودولة حين أعزوا دين الله ولم يأخذوا عليه أجراً ولم يجعلوه مطيتهم إلى الدنيا ! .

وخلاصة رأى الأستاذ :

أن القرآن لايصل ثوابه إلى الأموات لأسباب :

(١) أن الرسول وصحابته لم يفعلوا ذلك مع أمواتهم مع توفر الدواعى لذلك ـ وكان فى هذا الكفاية لولا تنطع الجامدين والمرتزقة .

(٢) أن الرسول حصر ماينفع الميت فى الصدقة والعلم والدعاء ولم يذكر القرآن .

(٣) أن وظيفة القرآن معروفة من نصوصه بأنه ينذر الأحياء ويحضهم على العمل الصالح وهذا هو اللائق بالدستور السماوى الرفيع .

(٤) أن المسألة أصبحت مهزلة فقد كان لهذا العمل الشائن أثره فى انحطاط المسلمين وتواكلهم وإعراضهم عن كتاب ربهم واعتباره قرابين لنفع الأموات ودعاية سيئة للإسلام .

نقلا عن كتاب المحاورات

هيمنة القرآن

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الوكيل

يفصل لنا الإمام الصبار الشكور ابن تيمية هذا المعنى تفصيلاً جليلا شافياً ، إذ يقول فى كتابه جواب أهل الإيمان : فإنه « أى القرآن » قرر مافى الكتب المتقدمة من الخبر عن الله ، وعن اليوم الآخر ، وزاد على ذلك بياناً وتفصيلا ، و بين الأدلة والبراهين على ذلك ، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ، ورسالة المرسلين ، وقرر الشرائع الكلية التى بعثت بها الرسل كلهم ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين ، و بين عقو بات الله لهم ، ونصره المتبعين لها ، و بين ماحرف منها و بدل ، وما فعله أهل الكتاب فى الكتب المتقدمة ، و بين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه ، وكل ماجاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التى نزل بها القرآن ، فصارت له الهيمنة على مابين يديه من الكتب من وجوه متعددة . فهو شاهد بصدقها ، وشاهد بكذب ماحرف منها ، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ، ونسخ مانسخه ، فهو شاهد فى الخبريات ؛ حاكم فى الأمريات » .

ثم يقول رضى الله عنه : « ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون فى أصول الدين والعلوم الإلهية ، وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر مافيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ، وأهل الرأى كالمتفلسفة وغيرهم إلا بعض ماجاء به القرآن ، ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبى آخر وكتاب آخر فضلا عن أن تحتاج إلى شىء لايستقل بنفسه » و إذا كان هذا هو شأن القرآن بالنسبة إلى الكتب السماوية ، فما بالك بالكتب الوضعية التى يبتدعها البشر ليحكم بها المسلمون فى دينهم ودنياهم ؟ مابالك بالكتب التى يزعم أصحابها أنها تفصل أحكام الدين ، وفقه الشريعة الإسلامية ؟ ألا يجب أن يجعل المسلمون كما أمر الله القرآن الهيمنة على كل كتاب يشرع قانونا ، أو يفصل بزعم واضعه أحكاماً فى الدين ؟ بل يجب

عرض كل كتاب قانونى ، أو دينى على حق كتاب الله وهداه فإن كان مافى هذه الـكتب يطابق ماجاء به القرآن ، و يشرف بالانتساب إليه ، والغاية منه الدعوة إلى الله ، فهو حق وخير ، و إلا فهو شر يجب استئصاله ، والتحذير منه ، والمتدينون لايفتنون بكتب القوانين الوضعية ، كما يفتنون بالـكتب الدينية . فالأولى معروف نسبها وغايتها ومصدرها ، أما الثانية فينسبها أصحابها إلى الـكتاب والسنة ، و يزعمون أنها تمثل الناحية الروحية فى الإسلام ، أو تفصل الحقائق العليا فى شريعته الخالدة !! فى حين أنك لو ابتليت مافى تلك الـكتب لوجدتها قناع مجوسية ، ولثام إلحاد ينافق بالرياء ، ولا سيما كتب هذه الإمعات التى فتنتها امرأة ، ومن أجلها فسقت عن أمر الله ، وآمنت معها أن المرأة قوامة على الرجل ، وأن الدين عمل فردى لا شأن له بالجماعة ، ولا ينظم الحكم ، ولا بشئون الحياة . قالوا ذلك من أجلها ، فمهدوا لها بهذا إلى الجريمة المستعلنة التى كانت تخفيها ببقية من خوف ، وشِفٍّ رقيق من الحيـاء . ولـكنها وجدت من يعينها على أن تهتك الستر كله ، وعلى أن تعلن الحرب ـ دنيئة مُلْتَاثة البغى ـ على سنة الله وفطرته التى فطر الناس عليها ، وعلى دينه ترميه بالجمود والعدوان الظالم على حقوق المرأة ، وجدت من يعينها على ذلك . وكانوا ـ و يا أسفاه ـ ممن يفترون أنهم من رجال الدين وعلمائه !!.

وجوب الرقابة على الـكتب الدينية

يجب مراقبة كل كتاب دينى ، وعرضه على الـكتاب والسنة ، والحـكم عليه بعد ذلك حكما عادلا مجرداً من كل هوى وعاطفة ، حكماً لا يرعى غير وجه الله ذى الجلال ، وذلك حتى نحول بين الناس ـ و بخاصة الشباب فى هذا العصر العربيد المجون والإلحاد ـ و بين الزيغ والضلال والفتنة ، وسيتهمنا بعض من يعيشون على افتراء الـكذب ، والدجل باسم الحرية ، أننا بهذا نقيد حرية الفـكر المطلقة المقدسة ونعاديها !! .

ولسنا والله من أعداء الفـكر ولا حريته ، وكيف ونحن دعاة إطلاق الفـكر من إسار التقليد الوثنى لتراث الجاهلية ، وأغلال العبودية لإباحية الغرب و إلحاده حتى يستطيع الفكر

أن ينعم بصراً بالنور الإلهى يهديه إلى الحق ، وحمى الحقيقة ؟! ولـكنا أعداء المجون والإلحاد يسميان حرية فـكرية .

الحرية بين التقييد والإطلاق

ليس فى الوجود ، ولا عند العقل ما يسمى حرية مطلقة . بل كل حرية مقيدة بقيد قد يكون ظلماً أو عدلا ، أما القيود الظالمة فنحن أول الدعاة إلى تحطيمها ، أما العادلة فنحن أول الدعاة إلى بقائها وحراستها حفاظا على الفـكر نفسه ، وعلى الأخلاق ، وعلى الدين . فليست حريتك مطلقة فى جمع المال ، بل هى مقيدة بوجوب اتباع السبل المشروعة لجمعه ، وإلا كان الغصب والنهب والسلب والسرقة ، وليست حريتك مطلقة ، وأنت تسير فى الطريق ، بل هى مقيـدة بوجوب مراعاة آدابه ، وإلا كانت ضعة الأخلاق . ألا ترى الصحف فى كل ساعة تلح على حماة الآداب من الشرطة أن يبالغوا فى مراقبة الشباب الماجن المستهتر من أحلاس العربدة فى الطريق ، وأن يأخـذوهم بالشدة الرادعة حماية للأخلاق وللأعراض ؟! فهل حماية هذين أولى عند حرية الفـكر من حماية الدين القيِّم وعقائد المؤمنين به ، وهو الدين الذى تسمو به الأخلاق ، ويجعل المقاتل دون عرضه من الشهداء ؟! أحماية المرأة السافرة الماجنة السفور من ذئب تتقَتَّل له الشاة ليأكلها أولى من حماية الدين ممن يدسون له السم ، وهم خاشعو النفاق فى المحاريب ؟!

لقد أذنت الحرية المطلقة للمرأة أن تسفر بالفتنة الآثمـة فى الطريق ، وأن تبيح لحمها لشهوة كل ذئب منهوم ، وأذنت الحرية المطلقة لهذه الحيوانات أن تتدين بما شاءت ، وأن تتخلق بما تهوى ، فـكيف تريد الحرية المطلقة من شبابها المائع الماجن أن يكون على جوع الغريزة صبوراً ، ونهمها جلدا ، فلا يأكل من لحم المرأة مايريد ؟! أتؤجج النار ، وتلهب الشعارَ ، ثم تقول : اخمد أيها اللهب ، واعقل أيها الـكلب المسعور ؟! يا للحرية المطلقة تلطخ بدم الجريمة يديها ، ثم تسميه أصباغ وجنات وشفاه !!.

فإذا حاولنا حماية المرأة بما حماها به الدين ، وتـكريمها بمـا كرمها به ، وسما بشأنها ،

وإذا حاولنا دعوة الشباب إلى حمى الدين يحتمى به من فجور الغى ، ويجنى من مجانيه العزة والكرامة والسمو ، إذا حاولنا ذلك قالت الحرية المطلقة : رجعية وجمود فى القرن العشرين !! فلا تطيق الحرية المطلقة وذئابها أن يسمعن كلمة الله ، ولو أن الإسلام دعاها إلى الخير لسمته بغى الشر ، ولو دعاها « مستر فلان » إلى أن تلعق دم الرذيلة لبشرت بدعوته على أنها روح الفضيلة ؟ !

تلك هى الحرية المطلقة ، وهذا هو هدفها ، وتلك وسيلتها فى تحطيم الأخلاق ، وتدمير الفضائل ! وليست حريتك مطلقة فى الملكية ، بل هى مقيدة بوجوب مراعاة مايملك غيرك ، وإلا كان البغى والجور ، بل ليست حريتك مطلقة فى التصرف فيما تملك . بل هى مقيدة بوجوب الإحسان فيه ، وإلا كان السفه والخبال ، وأقيم عليك قيم يتصرف لك فى مالك ، وما تملك ، وليست حريتك مطلقة فى الأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، بل هى مقيدة بوجوب مراعاة ماسماه الله معروفاً ، وما سماه الله منكراً ، هذا قيدها العادل ، أماقيدها الظالم الذى يجب أن يتحطم ، فشهوات الباغين ممن يضارون بالدعوة إلى المعروف ، والنهى عن المنكر ، وهكذا لو فكرت فى كل معانى الحرية لوجدت بجانب كل حرية قيداً عادلا رحيما حكيما يقيد إطلاقها . ويخصص عمومها ، ويحدها بحدود ينبغى أن لا تعتد بها ، وإلا كانت الفوضوية المطلقة ، وإلا كان عالم وخوش انفلتت غرائزها ، وجمحت شهواتها ، فاندفع كل وحش منها ليجعل الآخرين بعض صيده ! ! وهذا فرق مابين الغاب بحيوانه ، والعالم بإنسانه ، فالإنسان له عقل يقيده ، وضمير يحكمه ، ودين يحدد له مايسلكه من سبيل . وكل هذه السلطات المعنوية تحد من حرية صاحبها وتقيدها . أما الحيوان المسعور ، فهو زعيم أولئك الذين ينشدون الحرية الفكرية المطلقة ! .

فإذا كانت الجماعة البشرية قد تواضعت على ذلك ، واستكانت لما قيدها به العقل ، والضمير ، والعرف الخاص ، أو العام من قيود ، فلم نتعالى على الحق الذى يوجب أن تكون الدعوة إلى الله فى حدود ماأمر الله به ، وبينه رسوله ، لا كما يريد الشيوخ وتنمق الشهوات ، وتتشهى امرأة الأساطير ! ! .

فإذا طالبنا بجعل الهيمنة للقرآن على كل كتاب يؤلف فى الدين ، و بوجوب عرض هذه الكتب على هداه ، حتى لا يصل إلى أيدى الشباب مايحيل يقينهم ريبياً ، وما يبتليهم بالشبهات فوق الشبهات ، ومايزلزل فيهم الثقة فى أن هذا الدين هو خير الأديان ، وأسماها هدى وحقاً وحكماً وعدلاً . أقول : إذا طالبنا بذلك فلسنا بدعاً فى هذا الأمر ، ولسنا أعداء حرية الفكر ، إذا ثبت لك مما قدمته أن حرية الإنسانية ، حتى وهى فى ذروة مدنيتها ، وحضارتها العليا رضخت لقيود العقل والعرف راضية ، فكيف تتعالى هذه الحرية اليوم على الحق ، وتأبى إلا أن تقول فى الدين الإسلامى ما تشاء ؟ و إخال لو أن كتاباً ألف بحرية مطلقة فى الناحية الجنسية لتعالت أصوات دعاة الحرية الفكرية تلح فى مصادرته و إحراقه ، والبطش بصاحبه ، والتنكيل به ادعاء الحماية للفضيلة ! ! أما الدين الإسلامى ؟ ! .

ألا إنهم لايدعون فى الحق إلى الحرية الفكرية ، و إنما يهدفون من وراء ذلك إلى الإلحاد والتشكيك فى الإسلام باسم الحرية الفكرية .

(نقلا عن كتاب دعوة الحق)

شيخ الطريق

الإقطاع الروحى !!!

جاءنا من السادة أصحاب التوقيع الكتاب التالى :ـ

السيد الأستاذ محرر المدى النبوى الغراء .

سلام عليكم ، و بعد : فإننا شكرنا للثورة من كل قلوبنا أن أنقذتنا من الإقطاع البدنى ، حيث كان الإقطاعيون يصبون سياطهم على ظهورنا صباً لأقل هفوة ، وأدنى تقصير ، وأحيانا كانوا يسوموننا سوء العذاب بغير ذنب ولا جريرة ، بل لمجرد اللهو والعبث والتسلية ، و إظهار القدرة على العسف ، و إذلال من ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وكانوا يعتبروننا قطعا من الأرض لاتنفصل عنها ، فإذا باعوا الأرض باعونا معها ، و إذا اشتروها اشترونا معها .

كانوا إذا نفقت لهم ماشية مما لايؤكل لحمه ، فرضوا ثمنها علينا فرضاً كأننا نحن الذين سلطوا عليها الموت . و إذا مرض حيوان مما يؤكل لحمه ، ذبحوه ووزعوا علينا لحمه بالثمن الذى يرضى جشعهم .

كانوا يعتصرون دماءنا فى العمل ، ولا يمنحوننا من الأرض إلا مالا يكاد يفى بإمساك الرمق . و إن ضعفت أجسامنا وهزلت من الجوع والحرمان ، ففترنا عن العمل أو قلّ إنتاجنا فالسوط خير منبه يزيل الفتور ، و يحفز على العمل ، و يضاعف الإنتاج .

فإن شكرنا للثورة فضلها علينا ، فإنما نشكر من أجل أبدان صحت بعد سقم ، وذاقت حلاوة الراحة بعد مرارة النصب ، ومن أجل ظهور استراحت من لذع السياط ، و بطون طعمت بعد جوع ، وأيد امتلأت بعد فراغ وحرمان ، وأبناء وجدوا فرصة يتعلمون فيها بعد أمية وجهل .

شكرنا للثورة أن أنقذتنا من الإقطاع البدنى أو المادى ، ولكنّ هناك إقطاعاً روحياً طاغياً مستبداً عسوفا، نريد من الثورة أن تنقذ منه أرواحنا كما أنقذت من الإقطاع المادى أجسامنا .

كان الإقطاعى المادىّ إذا نزل بداره الإقطاعى الروحى الذى يسمى (شيخ الطريق) يفرض علينا أن نطعمه ونطعم كل الكسالى المتسكعين الذين يسيرون فى ركابه أيًّا ما يكن عددهم، ويفرض علينا إتاوات خاصة، من البيض والدجاج، والسمن والجبن والفريك، والحب والأرز وقطع النقد وغير ذلك، يمنح منها الإقطاعى الروحى ماشاء أن يمنحه ويحتفظ بالباقى لنفسه، فكان مثله ومثلنا كما قال المتنبى :

جوعان يأكل من زادى ويمسكنى ... لكى يقال عظيم القدر مقصود

وكان يحشرنا بين يديه حشراً لنستمع إلى الدروس المخدرة التى تلقى علينا فى الإشادة بالقناعة والرضا بما قسم الله، والإيمان بالقدر حلوه ومره، والإذعان لما يجرى به القضاء من الجوع والحرمان والمرض والجهل، واغتصاب الحقوق، والتسليم للمقادير التى جرت بذلك.

والموضوع الذى كان يعالج فى كل درس، ولا يكاد الإقطاعى الروحى يكف عن ترديده والخوض فيه، هو تعليمنا أن التفكير فى تغيير الحال ضرب من الزندقة، وأن محاولة المطالبة بالحقوق المهضومة لون من الإلحاد لأنه سخط على الأقدار، وأن الشكوى من سوء الحال تمرد على مقسم الحظوظ سبحانه تجب منه التوبة والاستغفار.

والإقطاعى الروحى يأخذ علينا العهود والمواثيق أن نكون أطوع له من ظله، وأذل بين يديه من نعله، ويوهمنا أن بيعته بيعة الله، وأن خيانة عهده خيانة لعهد الله، ويحتم علينا إذا جلسنا نذكر الله أن نستحضر صورته (أى صورة الشيخ) فى مخيلتنا، فإن لم نستحضر هذه الصورة كان ذكرنا باطلا مردوداً على الذاكرين لايتقبله الله، ولا يثيب عليه.

وإن شكونا إليه ضعف قوانا المتخيلة، طبع صورته ـ رحمة بنا ـ ووزعها علينا بما يفرض من الثمن.

وللإقطاعى الروحى شريعة خاصة يأخذنا بها ويلزمنا الخضوع لها، وإلا كتب علينا الحرمان. وحقت علينا كلمة الطرد من ديوان المقبولين. وإليكم بعض مواد هذه الشريعة وفرائضها :

١ ـ أن نعتقد اعتقاداً جازماً ، أنه لايصلنا خير ولا نعمة إلا ببركة الشيخ وفضل رضاه ، ولا يمسنا ضر ولا أذى إلا بسبب سخطه وغضبه .

٢ ـ أن يكون المريد بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ، فكما أن الميت لايستطيع أن يبدى اعتراضاً ولا نكيراً على أى تصرف يقع من الغاسل ، كذلك المريد لايبدى اعتراضاً على أى تصرف يحدث من الشيخ ، فإن سلبه حافظة نقوده مثلا لايملك الاعتراض . وإن أخذ ساعته الثمينة لايسأله عما يفعل ، وإن جرده من ثوبه الفاخر ، فليس له أن يمانع ، وإن ابتغى وراء ذلك لم يسعه إلا الرضاء والتسليم .

٣ ـ ليس للمريد أن يسافر أو يتاجر أو يزاول حرفة أو صناعة أو يمارس عملا من الأعمال الخاصة والعامة إلا من بعد أن يأذن الشيخ لمن يشاء ويرضى ، وليس للمريد أن يتزوج أو يطلق أو يصاحب أو يعادى أو يشارك أو يلم بأهله إلا بعد إذن الشيخ ورضاه .

٤ ـ على المريد إذا منح مولوداً أن يعهد بتسميته إلى الشيخ وليس له أن يتولى تسميته فذلك من حق الشيخ وحده .

٥ ـ ليس للمريد أن يجلس فى مجلس شيخ غير شيخه وألا يحضر درساً من دروس العلم لايلقيه الشيخ .

٦ ـ على المريد أن يعتقد أن شيخه جاسوس قلبه ، وأنه يعلم خلجات نفسه ، ويدخل فى قلبه ويعلم ماعنده ثم يخرج من حيث لايدرى .

٧ ـ على المريد أن يقضى إلى الشيخ بكل خواطره من خير وشر ، وبكل دخائل نفسه وخاصة أموره ، ولا يكتمه شيئاً قل أو جل .

٨ ـ على المريد أن يعتقد أن ما يأتيه من ضروب العبادة فى سنة كاملة لايساوى مايعمله الشيخ فى ثانية واحدة . وأن نوم الشيخ أفضل من عبادة المريد ، وأن رياء الشيخ أفضل من إخلاصه .

٩ ـ على المريد أن يسلم للشيخ ظاهراً وباطناً وأن يجلس بين يديه كجلوسه فى الصلاة ، وإن أمره بمجانبة أحد أصدقائه وجب عليه أن يجانبه بغير اعتراض ولا تكبر .

١٠ ـ لايجوز للمريد أن يتزوج امرأة يعلم أن الشيخ يميل إليها ، كما لايحل له أن يتزوج امرأة طلقها الشيخ أو مات عنها .

١١ ـ على المريد ألا يحب أحداً من ولد أو والد أو أخ أو زوج قريب أو حبيب أكثر من حبه للشيخ .

١٢ ـ لايجوز للمريد أن يبيت عند الشيخ فى سفر ولا حضر ، ولا يجوز له أن يطأ سجادته إن دعت الضرورة إلى اقترابه منه ، بل عليه أن يطويها طياً ، أو يمشى على ركبتيه لئلا يطأها .

١٣ ـ لايجوز للمريد أن يذكر الله إلا بما يلقنه الشيخ وإلا عُدَّ فى الهالكين .

١٤ ـ وعلى المريد أن يعلم أن عقوق الشيخ لاتقبل التوبة منه ، ولا يرفع لصاحبه عمل .

١٥ ـ . . . . . وغير ذلك كثير مما يعتبر إصراً على الروح ، وقد وضعت شريعتنا الإصر والأغلال ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يطالب المؤمنين بشىء من هذا .

وهذه الشريعة مطبوعة توزع على المريد بالثمن ، وعلى كل مريد أن يقتنيها طوعاً أو كرها ، وسواء عليه أكان قارئا أم أمياً .

فهل لكم أن تضعوا كتابنا هذا تحت أبصار المسئولين ، بنشره فى مجلتكم الغراء عسى أن ينقذونا من هذا الإقطاع الروحى كما أنقذونا من الإقطاع المادى ؟

ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لفيف من المريدين الثائرين

المحرر ـ نضع هذا الكتاب ـ تحقيقاً لرغبة مرسليه ، تحت أبصار المسئولين . لعلهم يتفضلون فيعملوا على إنقاذ هذه الفئة التى تطلب الحرية الروحية من شر هذا الإقطاع الروحى الذى ضجوا بالشكوى منه ، والتمسوا الخلاص من أغلاله ، والله لايضيع أجر العاملين .

طبق الأصل

أبو الوفاء محمد درويش

اتبـــــاع الجنائز
وعيـادة المريض . . .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع :

أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإجابة الداعى ، ونصر المظلوم ، وابرار القسم ، ورد السلام ، وتشميت العاطس .

ونهانا عن آنية الفضة ، وخاتم الذهب ، والحرير ، والديباج ، والقَسِّى ، والاستبرق » ولم يذكر السابع . متفق عليه . وهذا لفظ البخارى . وفى مسلم « وعن شرب بالفضة » .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنهـا لهم فى الدنيا ولـكم فى الآخرة » متفق عليه .

وعن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يُجَرجِرُ فى بطنه نار جهنم » متفق عليه .

واتباع الجنائز ، أى تشييع الميت المسلم والمشى فى جنازته إلى قبره حتى يدفن ويوارى تحت الثرى . وذلك لـكى يتعظ الحى ويعتبر ويوقن بأنه لابد مدركه هذا الميت ولا حقه ؛ فيبادر بالتوبة والندم على مافات ، ويستعد لما هو آت ؛ ويتعلم العلم النافع ويعمل الصالحات ويتقى الموبقات ، ولـكى ينتفع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والاستغفار . ويدل قوله صلى الله عليه وسلم « اتباع الجنائز » على أن المطلوب المشى لأجل حق الميت وللموعظة ، لا لأجل مجاملة الحى ؛ وأن ذلك لـكل ميت مسلم سواء أعرفته أم لم تعرفه ؛ وسـواء أجاملك هو

وأقار به فى ميتك أم لم يجاملوك . بل الواجب أن نبغض هذه المجاملات ونمقتها لأنها ضيعت حقوق الله وقست بها القلوب فأصبحت لاتعمل إلا للدنيا ، حتى فى تشييع الجنائز ؛ فإنك تسمع المشيعين يتحدثون فى المتاجر والوظائف والعلاوات ، وتراهم يضحكون ويتمايلون ، لأنهم لايشعرون بأنهم يشيعون سابقاً منهم سيلحقونه ؛ وإنما يشعرون ويتطلعون إلى ولىّ الميت ويحرصون على أن يراهم . ويدل على هذا أنهم لايعرفون حق الميت فى الصلاة عليه ؛ بل يتركونه يدخل مع (الحانوتى) إلى المسجد وهم ينتظرونه على الباب ، حتى أهله وأولياؤه . ومرد ذلك طبعاً إلى أن أكثرهم لايعرفون الدين ولا الصلاة ولا غيرها فضلا عن أن يعرفوا صلاة الجنازة .

ومن حق المسلم الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم « عيادة المريض » أى زيارته فى منزله أو فى المستشفى الذى يتمرض فيه ، لمواساته وتسليته ، وادخال السرور على نفسه ، حتى لا يضجر ولا يجزع بالمرض . ولتعرف حاله ولعله أن يكون بحاجة إلى مساعدة مالية ؛ لاحتباسه بالمرض عن عمله الذى يتكسب منه عيشه وعيش أولاده ، ولأن المرض يحتاج من العلاج والدواء مالعله لايجده .

فحق على المسلم أن يعاون أخاه المسلم فى كل ذلك . فإنهم كالجسم إذا اشتكى منه عضو تألمت له بقية الأعضاء بالحمى والسهر . ولكن أين ذلك ، وقد أصبح الناس لا صلة بينهم إلا الظواهر الرسمية ، حتى أن أحدهم ليكتفى بإعطاء بطاقته ، وهو راكب عربته ؛ للبواب أو الخادم . ويعتبر نفسه أنه قام بحق عيادة المريض .

ومن حق المسلم على المسلم الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم « إجابة الداعى » والداعى هو الذى يدعو إلى وليمة العرس ، أو نحوها ، وقد روى البخارى عن نافع أنه قال « كان عبد الله بن عمر يأتى الدعوة فى العرس وغير العرس وهو صائم » قال الحافظ فى الفتح . وأخرج مسلم وأبو داود عن نافع « من دُعى إلى عرس أو نحوه فليجب » وهذا يؤيد مافهمه ابن عمر . وأن الأمر بالاجابة لايختص بطعام العرس . قال الشافعى رحمه الله : اتيان دعوة الوليمة حق . والوليمة التى تعرف : وليمة العرس . وكل دعوة دعا إليها رجل وليمة . فلا أرخص

لأحد فى تركها . ولو تركها لم يتبين أنه عاص فى تركها ، كما يتبين لى فى وليمة العرس . اه

وذلك لما فى إجابة الدعوة إلى الطعام ـ أىّ طعام ـ من التآلف والتحابب والتوادد . وقد جاء فى إطعام الطعام أحاديث عدة ، لهذا المعنى ، ولغيره من ثواب الآخرة .

قال صلى الله عايه وسلم « ونصر المظلوم » أى دفع الظلم عنه ؛ سواء ن فى المال أو فى الجسم أو فى العرض ، أو فى الدين ـ وفيه كذلك من النصوص القرآنية والحديثية مالا يكاد يحصى .

« وابرار القسم » ضبط الحافظ ابن حجر « القسم » فى الفتح فقال . اختلف فى ضبط السين . فالمشهور : أنهـا بالـكسر وضم القاف ، على أنه اسم فاعل . وقيل بفتحهما ، أى الأقسام . والمصدر قد يأتى للمفعول . ومعنى إبرار القسم : أن يفعل ما أراده الحالف ليصير بذلك باراً ، أى ولا يوقعه فى الحنث . وهذا مع ملاحظة أن يكون الحالف ممن يتحفظ فى أيمانه و يقتصد فيها ، فلا يكون مشهوراً بكثرة الحلف فى الأمور التافهة ، أو بقصد المجاملة ، كالـكثير من الناس اليوم ؛ فإنهم يقولون لك : تفضل قهوة ، أو غداء ـ مثلا ـ ثم يكررون و يحلفون . وقد تعارفوا على أن هذه الدعوة إنما يقصد بها المجاملة الظاهرة فقط . فمثل هؤلاء لاعبرة بقولهم ، لأنهم على كل حال آثمون ، لحلفهم مع اعتقادهم أنهم كاذبون مداهنون .

« ورد السلام » أى اجابة المسلّم بخير مما حياك به ، بأن تقول « وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته » وهذا هو المقصود بالسلام ، لا ماتعارف عليه المقلدون للافرنج . من الاشارة باليد . فليست تحية المسلمين .

« وتشميت العاطس » أى الدعاء له بما يسوء عدوه ، وهو « يرحمك الله » فـكأنه دعا له أن لا يكون فى حال من يشمت به عدوه . أو أنه إذا حمد الله فدعوت له بالرحمة فقد دخل على الشيطان مايسوءه ، فشمت هو بالشيطان ، وهذا التشميت إنمـا يكون حقاً لمن عطس وحمد الله . أما إذا لم يحمد الله فلا يكون له حق التشميت . فإن ظن نسيانه فينبه ، ثم يشمت بعد الحمد . وقد جاء فى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال « عطس رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فشمت أحدهما ؛ ولم يشمت الآخر . فقيل له . فقال: هذا حمد الله .

وهذا لم يحمد الله » وقد روى البخارى فى كيفية التشميت عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله . وليقل له أخوه ، أو صاحبه : يرحمك الله . فإذا قال : يرحمك الله . فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » والتشميت واجب على كل من سمع العاطس يحمد الله .

وقول البراء « ونهانا عن آنية الفضة وخاتم الذهب » أى عن اتخاذ الأوانى من الفضة ؛ وحرم استعمالها على الرجال والنساء ، سواء فى ذلك آنية الطعام أو الشراب لأن الفضة أحد النقدين اللذين ماجعلا لهذا ؛ ولأن فى هذا من الترف ما يكرهه الله ويمقت عليه أشد المقت ، كما بين ذلك حديث أم سلمة « الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » والجرجرة : صوت البعير عند الجرع . جعل صوت انحدار الحميم فى جوفه كصوت جرجرة البعير . فهو حرام أشد حرام . وقد ابتلى أكثر مترفى زمننا بهذا . نسأل الله العافية . وزعموا أن الوجاهة والعظمة لاتكون إلا بأن يأكلوا فى صحاف الفضة ويشربوا فى كؤوس الفضة . هداهم الله وتاب عليهم . وكذلك لايصح استعمالها فى الوضوء ولا الغسل . ونهى عن التختم بالذهب . وفيه أحاديث كثيرة . وقد حكى ابن دقيق العيد وغير واحد من الأئمة الاجماع على تحريمه على الرجال ؛ بل قد ذكر ابن حزم أن الصلاة باطلة للابسه . والخاتم : هو الحلقة التى توضع فى الأصبع سواء كان لها فص أو لا . وهذا أيضاً مما تهاون المسلمون فيه ، خصوصاً مقلدة الفرنجة تقليداً أعمى الذين يلبسون خاتم الزواج كأنهم النساء .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال عن لبس الحرير والديباج والقَسِّى والاستبرق ، والحرير معروف مما يتخذ من دود القز . وقد روى البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب وأنس وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » والذهب والفضة ـ يعنى الآنية ـ والحرير والديباج لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » وحديث حذيفة بن اليمان الذى معنا أيضاً . أى لأنهم عجلت لهم طيباتهم فى الدنيا . أما المسلمون فيتمتعون فى الجنة بها . قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً

ولباسهم فيها حرير) وقد قال العلماء : إن معنى « لم يلبسه فى الآخرة » أى لم يدخل الجنة ، لأنه ليس لأهلها لباس غير الحرير . والقسى ـ بكسر السين مشددة ـ نوع من الحرير كان يصنع فى القس قرية من قرى مصر . والديباج : الثياب المتخذة من الابريسم ، فارسى معرب . وكذلك الاستبرق كلها أنواع من الثياب تتخذ من الحرير كانت معروفة فى ذلك الزمن ؛ كما أن فى هذا العصر أنواع من الثياب الحرير كثيرة ولكل منها اسم . ومرجع الجميع إلى تحريم أصلها وهو الحرير الحيوانى . أما ما يتخذ اليوم من الحرير النباتى فليس بمحرم ولا مكروه .

وقوله « ولم يذكر السابع » قد روى البخارى هذا الحديث فى باب آنية الفضة من كتاب الأشربة ؛ وذكر فيه « المياثر » فتكون السابع . وقد قال البخارى فى باب لبس القسى من كتاب اللباس : وقال عاصم عن أبى بردة قال « قلت لعلىّ ما القسية ؟ قال : ثياب أتتنا من الشام أو من مصر مضلعة فيها حرير وفيها أمثال الأترنج . والميثرة : كانت النساء تصنعه لبعولتهن مثل القطائف يصفّونها » .

إلى السادة مشتركى العراق

نرجو من جميع السادة المشتركين بمجلة الهدى النبوى فى العراق أن يبادروا بدفع بدل الاشتراك . أو إرساله بالبريد (إذا كانوا خارج الموصل) أو تسديد بدل الاشتراك السابق إلى السيد محمود حمدى الجراح ، محلة إمام عوف الدين بالموصل العراق .

وبدل الاشتراك ٤٠ فلس .

الإدارة

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير ــ القاهرة
ت ٧٦٠١٧

ذئاب فى مسوح الشيوخ

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش

كان الحاج محمود هريدى ـ أسبغ الله عليه سحائب الرحمة والرضوان ـ رجلاً صالحا يؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها مع الجماعة فى مسجد القرية .

وكان قد استطاع السبيل إلى حج البيت الحرام ، فاغتنم الفرصة السانحة وحجه على الفور بغير تراخ ، وقد عرف بين أهل قريته بالسخاء والجود لأنه كان كثير البر بالفقراء والمساكين الذين لايجدون ماينفقون .

ترامت أنباء سخائه إلى مسامع الشيخ محمد محمد عون ، شيخ إحدى الطرق الصوفية ، فأراد أن يجعله واسطة لعقد مريديه الكثيرين الذين لايفرطون فى جنب إعزازه وتوقيره ، وإكباره وتعزيره .

وكان المرحوم الحاج محمود دمث الطبع ، لين العريكة ، طيب القلب ، رضى النفس ، مطواعاً وديعا . فلم يتردد حين عرض عليه الشيخ أن يمنحه القبضة ، ويسلكه فى سمط المريدين . وبخاصة حين أعلمه أن الشيخ الأكبر الذى ينتمى إلى طريقته ، قد اطلع الغيب ، وكشف له اللوح المحفوظ ، فقرأ فى سطوره أسماء السعداء الذين كتب لهم الفوز بجنات الفردوس ، فاختارهم ليكونوا من أتباع طريقته .

لم يتردد المرحوم الحاج محمود فى أن يتلقى الطريق من لدن الشيخ لكى يكون ممن ضمنت لهم الجنة يتمتعون فيها بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . وأحب الشيخ حباً جماً ملك عليه نفسه وقلبه ، فكان يدعوه من حين إلى حين إلى بيته ليتناول الطعام على مائدته . وكان يقرب إليه أطيب مايستطيع تقريبه من أشهى الألوان وأحبها إلى قلبه ، ويضحى فى سبيل ذلك بالكثير من ماله ، لأن الشيخ لم يكن ينتاب الدار إلا فى صحبته عديد من مريديه .

واتصل الود بين الشيخ ومريده ، وتوثقت أواصر الصداقة وسقطت الكلفة ، وقدم

المريد زوجه إلى الشيخ لتحظى بلثم يده المباركة ، ولتتم بركات الشيخ على كل من انضمت عليهم جنبات البيت .

وزوج الحاج محمود شابة لم تتجاوز العشرين ربيعاً ، قد حباها الجمال الريفيّ أروع مفاتنه ، وخلع عليها الحسن المطبوع أفتن روائعه ، وأمدها الشباب بأجمل مايملك من الغضارة والنضارة .

وجه صَبَاح يجتذب العيون ، ويسترعى الأنظار ، وشعر فاحم أثيث جثل كأنه الليل ، على جبين مشرق ناصع البياض كأنه قطعة من القمر ، وعينان ملؤهما السحر والحور ، فعولان بالألباب ماتفعل الخمر ، وأهداب وطْف كأنها السهام المرسلة إلى حبات القلوب ، وفم دقيق حالم قد تجيد تصويره ريشة الرسام البارع ويستعصى على براعة الكاتب البليغ . وقوام ممشوق كأنما صور محاسنه الشاعر الذى يقول :

تأبى الروادف والثدى لقُمصها مس البطون ، وأن تمس ظهوراً
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة ، وهجن غيوراً

* * *

رآها الشيخ فبهره جمالها البارع ، وسحرته فتنتها الطاغية ، وأخذ يسبح بحمد خالق الجمال وواهب الحسن ، ويهنىء المريد بهذه الحوراء التى هبطت إليه من السماء تاركة جناحيها فى قصور الجنة لتعيش معه على الأرض ، وتملأ بيته أنساً وسعادة ، وقلبه إيماناً وتقوى وعفة .

وأكثر الشيخ من التردد على بيت المريد ، أخذ يقيم فيه حلقات الذكر لتكثر الخيرات وتعم البركات . والمريد مغتبط مسرور ، حامد لفضل الشيخ شكور .

وصار الشيخ يزور البيت فى غيبة المريد فتستقبله زوجه وتغلو فى إكرامه ، وتبالغ فى احترامه ، وهو يغلو فى اطراد محاسنها ويبالغ فى الثناء على جمالها . حتى استطاع أن يملك قلبها ، ويأسر لبها ، ويستثير المكنون من حبها ، ويصرف هواها عن زوجها .

وفى إحدى الزيارات حين غاب الزوج وحضر الشيطان ، أخذ الشيخ يبثها غرامه ، ويشكو إليها هيامه ، ويصف لها تباريح الهوى ، ولواعج الجوى . فباحت له بسرها ،

و بسطت له المطوى من أمرها ، وأخبرته أنه لاتقل عنه صبابة وغراماً ، ولا تنقص عشقاً وهياماً ، وأنها لاتستطيع أن تعيش بدونه ، ولكن كيف الخلاص من الحاج محمود ، وهو العقبة الكئود ؟

عِلْم الشيخ وسره و بركاته كفيلة بحل هذه المشكلة !!

يرى الشيخ أن الغرض من التكاليف الشرعية تصفية النفس والسمو بها نحو الملكوت الأعلى ، حتى تتلقى العلوم اللدنية من الحضرة القدسية ، فإذا وصل الصوفى إلى هذا المقام المنيف ، سقط عنه التكليف ، ألم يقتل الخضر نفساً زكية بغير نفس ، ولما اعترض عليه موسى الذى لم يحط إلا بالعلم الظاهر أقام عليه الحجة بما تلقاه من العلم الباطن . والشيخ ممن لهم فى العلم الباطن قدم راسخة ، و إحاطة واسعة ، وقد رأى فى العلم الباطن أن قتل الحاج محمود مما أراده الله وقضاه ، فإن هما فعلاه ، فإنما ينفذان إرادة الله . ولا حرج عليهما فى ذلك ولا جناح ، وخدعت الزوجة بهذا المنطق ، وارتاحت إلى هذه الفتوى أيما ارتياح . فتنفيذ إرادة الله إن لم يكن واجباً فهو على الأقل مباح .

فليقتل الحاج محمود ، ولتزل من طريق الحبيبين هذه العقبة الكئود !!

وفى القرية فاتك جسور ، وسفاك للدماء مشهور ، يتقدم إلى الشيخ طالباً يد شقيقته ، و يرى الشيخ أن الأقدار تجرى بما يحب ويهوى ، وأنها تدنى إليه كل بعيد ، وتيسر له كل عسير . ويقبل الشيخ مشترطا أن يكون بعض المهر حياة الحاج محمود .

وتنطلق فى إحدى الليالى ثلاث رصاصات تحطم رأس الحاج محمود وتقضى عليه ، و يكاد دمه يذهب هدراً لولا أن الله الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، يقيض مجهولا يقدم بلاغا إلى النيابة يطلعها على الحقيقة ، فتعيد التحقيق وتضيق الخناق على المرأة حتى تعترف بكل شىء !

قبض على الجانى وعلى شريكيه ، وأودعوا قرارة السجن فى انتظار كلمة القضاء !

* * *

هذه هى القصة كما روتها جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١٩٥٥/٦/٢٨ أو كما قالت الأهرام .

والعبرة فيها : أن الناس على الرغم من الجهود المضنية التى يبذلها المصلحون فى إنارة الأذهان ، والتبصير بالحقائق ـ لايزالون يثقون بهذه الشرذمة المتصوفة وأكثرها من الذين فشلوا فى حياتهم العملية ، أو من الذين اقترفوا الجرائم المروعة وقضى عليهم بالأشغال الشاقة أو السجن وقضوا مدة العقوبة أو فروا من تنفيذها ، ثم تنكروا فى زى شيوخ الطرق وأرخوا لحاهم ، ولاثوا على رءوسهم العمائم العجراء مبالغة فى التنكر ، وغلواً فى الاستخفاء . وكل أولئك لايهتدون سبيلاً إلى الكسب الحلال الذى ينال بالسعى والجد والكفاح ، فيلجئون إلى دين الله يتخذونه دريئة يستترون خلفها ، ومهنة يمتهنونها ، ويستدرون أخلافها بغير كد ولا نصب ، ولا عمل ولا تعب ، يستغلون سذاجة السذج ، وبساطة البسطاء وغفلة الغافلين ، وجهل الجاهلين وتعلق الدهماء بالدين ، وبما يتصل بالدين فيوقعونهم فى حبائلهم ، ويفترسون أموالهم وأعراضهم .

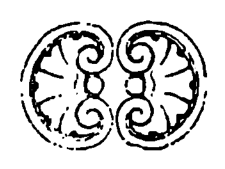
لولا جهل الناس بحقائق دينهم ماوقعت هذه الكارثة . لو علم الحاج محمود أن الله وحده هو الذى يمنح البركات ، وأن الإنسان مهما ترسخ قدمه فى الإيمان والتقوى لا يستطيع أن يمنح البركة التى لايملكها إلا الذى بيده الملك .

ولو علم أن الإسلام لايبيح أن يخلو الرجل بامرأة أجنبية لا ثالث معهما .

ولو علم أن شيوخ الطرق ـ ولو كانوا أولياء ـ ليسوا بمعصومين لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء .

لو علم المسكين كل هذه الحقائق لأخذ حذره ، وما وقعت هذه الكارثة التى أزهقت روحاً ، وهدمت بيتاً ومزقت شمل أسرة كانت آمنة مطمئنة تعيش فى ظل الأمن والسكينة .

وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .



صفحة من الحياة النبوية

و إنها لصفحة بيضاء ، كأنصع ما يكون البياض ، و إنها لنقية كأحسن ما يكون النقاء ، و إنها لمشرقة كأتم ما يكون الإشراق ، و إنها لمطهرة مقدسة كأفضل ما يكون الطهر والقدس ، و إنها كالفهرس من الكتاب بجمع مواده و يستوعب فصوله فى إجمال و إحسان .

تلك هى نبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم خاتم النبيين ، و إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم ، و إنها لأتم النبوات ، وأكمل الرسالات . وما النبوات التى هبطت الأرض من قبلها إلا مقدمات لها ؛ وتمهيد لإشراقها ، و إعداد للبشر لتلقى نورها الوهاج ، وغيثها الثجاج ، كالرذاذ يسبق المطر ، وكالشعاع الضئيل يقدم القمر وكالضوء الشاحب ينبسط فى الأفق ليدل على الفجر ، و يبشر بالشمس . ولو أنها أنزلت إلى الجنس البشرى فى طفولته لزاغت منه الأبصار ، وتحيرت الألباب ؛ وما استطاع لها حملاً ، ولا لأسرارها إدراكا ، كالطفل الرضيع تغذيه باللحم الدسم الذى لا تقوى معدته على هضمه فتقتله . ولكن الله رءوف بالعباد . اقتضت حكمته ورحمته ألا يطالع الناس بهذه النبوة إلا بعد أن يتم نضجهم ، و يقوى إدراكهم ، و يتهيئوا لتلقى هذه الحكمة السامية ، والشريعة الخالدة .

ألم تر إلى ربك كيف جعل الشمس لا تهجم على الناس بغتة بعد ظلام الليل الدامس بل يطالعهم منها شعاع ضئيل ينمو شيئاً فشيئاً ثم يَذُرّ قرنها و يبدو قرصها قليلاً قليلاً حتى تتأهب العيون لاستقبال أشعتها الساطعة ؛ وضيائها الباهر ، ولو طلعت عليهم جملة واحدة لأعشت عيونهم ، وآذتهم أذى بليغاً .

وكل شريعة سبقتها كانت تامة فى نفسها ، مواءمة أتم المواءمة للأمة التى أنزلت إليها ، والعصر الذى جاءت فيه ، متممة لما بين يديها من الشرائع . وحسبك أن المسيح عيسى بن مريم وهو الذى قفى الله به على آثار الأنبياء من قبله ، وهو آخر الرسل الذين سبقوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى الترتيب الزمنى ــ يقول : (ما جئت لأنقض الناموس ، بل لأتمم)

وجاءت الشريعة الإسلامية بكتابها الكريم مصدقا لما بين يديه من الكتاب ؛ ومهيمناً عليه ، لا تحتاج إلى كتاب يتممها من نقص ، أو يبدل بعض أحكامها لإعواز صلاحيته للزمان أو المكان أو الجيل ، بل هى صالحة أعظم الصلاح ، موائمة أتم المواءمة ، لكل زمان ومكان ، وجيل وقبيل لا تنقض أحكامها إلى يوم القيامة ، ولا تنسخ آيتها إلى يوم الدين .

* * *

ولما كانت هذه الشريعة المطهرة أتم الشرائع وأكملها اختار الله لها أتم الأنبياء وأكمل الرسل ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليجعله مشرقا لشمسها ومهبطاً لوحيها ، وينبوعاً لنميرها الفياض ؛ ومبشراً بالسعادة الأبدية ؛ والنعيم الخالد لمن اتبعها ، وأطاع أحكامها ، ومنذراً بالويل والثبور ؛ والعذاب الأليم لمن أعرض عنها ؛ وخالف عن أمرها ؛ فهو أكمل إنسان وجد على الأرض ، منذ دبت الحياة البشرية على المهد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

نعم هو أكمل الناس كافة فى مظاهر وجوده جميعاً . أما من الناحية البشرية أى من ناحية أنه بشر مثلنا فهو أكمل البشر خلقاً وخُلقا وروحا وعقلا ، فهو المثل الأعلى للرجل الكامل : بنية قوية ، وعضل مفتول ، ومزاج معتدل ، ووجه مشرق يفيض صحة وعافية ، ويتهلل بشراً ، ويقطر لطفاً وحنانا . وحواس قوية كأقوى ما تكون الحواس فى بشر ، وهامة ضخمة تكاد تنطق بما أودع فيها من العقل الكبير الذى ليس له مثيل ، وطلعة وسيمة كلها هيبة وجلال ، وقامة تعالت عن القصر المزرى ، وتنزهت عن الطول الشاهق وصفوة القول أنه النموذج الكامل للإنسان الكامل فى خلقه وتكوين بدنه .

وخلق كريم حسبك أن الله خلد الثناء عليه فى كتابه الخالد الكريم فقال تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ،

حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

أرادت السيدة عائشة أم المؤمنين أن تصفه صلى الله عليه وسلم فلم تجد وصفاً أجمل ولا إطراء أبلغ من أن تقول « كان خلقه القرآن » أى أنه عليه الصلاة والسلام تحرى الخلق الكريم الذى دعا الله إليه فى القرآن العظيم فلبسه وارتدى به واتزر ثم تلفع بفضله .

تحرى الصدق منذ جرت على لسانه الألفاظ ، وتمثلت فى نفسه المعانى ، فلم يلوث لسانه بكذب قط حتى فى إبّان الطفولة حين لا يعرف الطفل ما الفضيلة ، ولا يدرى ما الخلق الكريم . ولقد شهد له أعداؤه بهذه الفضيلة السامية . سأل هرقل أبا سفيان قبل أن يطهره الله بالتوحيد : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . قال هرقل : ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . ولقى أحد المشركين أبا جهل فقال له : إنه ليس هنا إلا أنا وأنت فأخبرنى : هل محمد كاذب ؟ قال : لا ، ما كذب محمد قط .

واصطنع الأمانة منذ كان فى المهد صبياً ، حتى لقد كان يأبى أن يلثم الثدى التى كانت من نصيب أخيه من الرضاعة ـ كما تحدث الرضاعة ـ ونما ذلك الخلق فى نفسه وتحراه فى الصبا والمراهقة والشباب والكهولة ، حتى لقد عرف به فى البيئة التى درج فيها ، وغلب عليه اسم « الأمين » وظل أميناً على حقوق الله وحقوق الخلق ، حتى أدى أمانته الكبرى كاملة وبلغ ما أنزل إليه من ربه ، ولحق بالرفيق الأعلى .

لقد كان المثل الأعلى لفضائل الصبر والاحتمال ، والحلم والعفو ، والمروءة والعطف والرحمة وحسن العشرة ، والوفاء والشجاعة ، والنجدة والسخاء ، والعدل والإنصاف والبشاشة والتواضع ، ولين الجانب والعفة ، والقناعة والرضا ، والحزم والعزم ، وضبط النفس وقوة الإرادة ومضاء الهمة . وقصارى القول : أنه ليس ثمة فضيلة من الفضائل التى امتاز بها إنسان فى عصر من العصور أو شعب من الشعوب ، سواء أكان ذلك الإنسان عالماً أم فيلسوفا أم متشرعاً أم سياسياً أم خطيباً أم جندياً أم بطلا أم قائداً أم متبتلاً ، أم ديّاناً أم حاكماً

أم نبياً أم رسولا إلا تجلت فيه عليه الصلاة والسلام فى أتم صورها وأكمل أشكالها وأروع هيئاتها .

لقد كان المثل الأعلى لقوة الروح . كان يشع مهابة وجلالا لقوة روحه الذى يؤثر بالحق ولا يتأثر بالباطل . تفرض طلعته الاحترام والإكبار والإجلال على كل من يراه ولو كان من ألد أعدائه .

تحدث الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام ذات مرة فى ظل شجرة ثم استيقظ فإذا هو بعدوّ قائم فوق رأسه وقد شهر سيفه بيده فقال له : يا محمد ، من ينجيك منى ؟ والنبى عليه الصلاة والسلام إذ ذاك أعزل ليس معه سلاح إلا ذلك الروح القوى الجياش ، فنظر إليه نظرة جمعت معانى الشجاعة والبأس ، والحزم والعزم ، والإيمان بانتصار الحق وهزيمة الباطل ، ثم أجابه بصوت هادىء رزين تتبين فيه قوة الروح ومتانة اليقين قائلا : الله ، فارتعدت فرائص ذلك العدو المفتون وخارت قواه وسقط السيف من يده ، ولولا أنه اعتصم بحلم الرسول وعفوه وصفحه للقى حتفه بسيفه .

يا للروح القوى ، ويا للشخصية التى ليس لها مثيل !

وليس أدلّ على كمال عقله من هذا الكلم الجامع الذى خلفه للناس من بعده هداية لمن استهدى ، وإرشاداً لمن استرشد ، وهو الحكمة التى من يؤتها فقد أوتى خيراً كثيراً .

أتل ما شئت من كلام البلغاء والعلماء والحكماء والفلاسفة ، والزعماء والقادة والمفكرين والمشرعين ، هل تجد فى كلام أحد منهم تلك الروعة التى تجدها فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ هل تجد فى كلامهم ذلك الإيجاز الذى يكاد يبلغ حد الإعجاز ؟ وهبك ظفرت فى غضون كلامهم بعد الأين والكلال بكلمة جامعة أو حكمة نافعة فهل تظنها تثبت للنقد أو تفوت عيوبها طلاب العيوب ؟

إن فى نفوره منذ طفولته من الأوثان لآية بينة على وفور عقله وكمال إدراكه ، وعلى أنه لايباريه فى هذا المجال أحد أياً ما يكن . وقد كانت الأوثان دين قومه لايريدون بها بدلا ، ولا يبغون عنها حولا ، ولكن عقله الكامل كشف له عن حقيقتها ، فما

طاف من حولها ، ولا تمسح بها ، ولا نذر لها ، ولا رجا منها خيراً ، ولا خاف منها شراً ، ولا نظر إليها إلا محتقراً لها ، راثياً لعقول عبـادها ، يعجب أن يسف الإنسان إلى هذا الحد من الإسفاف ؛ فيعبد حجارة لاتسمع ولا تبصر ؛ ولا تغنى عن عبادها شيئاً .

* * *

أما من الناحية النبوية أى من حيث أنه نبى يوحى إليه ، ويتلقى الوحى من السماء ، فقد أدركته العناية الآلهية ، وهو ذرة تنتقل فى أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، فصانته من دنس الجاهلية ، وطهرته من أرجاسها ؛ ووقته سفاحها من لدن آدم إلى أن ولدته أمه ، لم يصبه من دنس الجاهلية شىء . فلما أشرقت شمسه على الوجود تولاه الله بالرعاية والعناية ، ورباه فأحسن تربيته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، ووجده يتيما فآواه ؛ ووجده ضالاً فهداه ، ووجده عائلاً فأغناه .

ميزه من سائر الأنبياء والمرسلين . بأن جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وأن أمة تكون خير الأمم ، لا مرية فى أن رسولها يكون خير الرسل ، وجعل أمته شهداء على الأمم .
قال تعـالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله) وقال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) نادى الله تعالى الأنبياء بأسمائهم : يا آدم ، يانوح ، يا إبراهيم ، وناداه وحده بعنوان النبوة والرسالة : ياأيها النبى ، يا أيها الرسول .

مضت آيات الأنبياء . وذهبت معجزاتهم ، وبقيت معجزته خالدة على وجه الدهر .

سأل الأنبياء من قبله ربهم أن يشرح صدورهم ؛ وييسر لهم أمورهم ، ولـكن الله تعالى شرح صدره من قبل أن يسأله قال تعالى . حكاية عن موسى عليه السلام : (قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وقال تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم : (ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) .

نعم ، رفع الله ذكره ، فقد قرن اسمه باسمه الـكريم فى النطق بالشهادتين ، وإنك

لتسمع اسمه يتلى على المنائر والمنابر . وفى ذلك من رفعة الشأن وعلو القدر مالم يتح لنبى قبله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ولست أريد أن أطيل فى هـذا فإن النبوة من فضل الله يؤتيها من يشاء من عباده ، ولا يستطيع الناس أن ينالوها بكسبهم مهما يجدوا فى العبادة ، ويحرصوا على الطاعة ، بل الله يصطفى من الملائـكة رسلاً ومن الناس يصطنعهم لنفسه ، ويهيئهم لأداء رسالته .

وها أنذا قد جلوت عليك صفحة من هذه الحياة النبوية السامية فعسى أن تجد فى خلال سطورها ما يهيب بك إلى أن تجعل نبيك مثلك الأعلى ، وأسوتك الحسنة فتظفر بالسعادة الأبديه ، وتحظى بالدرجات العلا .

أسعدنا الله بشفاعته يوم الفزع الأكبر ، ووفقنا لاتباع سنته ، لننجو من هول المحشر آمين .

حكم وأمثال

قال بعض الحكماء :

مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة فيقول الناس : ما أملأ كيس هذا الرجل ، ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد أن يشترى شيئاً لايعطى به شىء ، كذلك الذى للرياء والسمعة لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة كما قال الله تعالى (وقدِمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً).

نصيحـــة

قال رجل يعظ ابنه :

يا بنى إن الدنيا بحر عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخرون ، فإن أردت أن تجعل سفينتك : فتقوى الله ، وعدتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح ، فإن نجوت فبرحمة الله . وإن هلكت فبذنوبك .

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبتها

جاءنا من السيد مصطفى عبد الرحمن بشبرا . . الأسئلة الآتية :

(١) هل للجمعة سنة قبلية ؟ كالظهر ، وهل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة كانوا يصلون ركعتين أو أكثر قبلها . وما السنة الثابتة فى ذلك ؟

(٢) هل للمأمومين أن يجهروا بقول (آمين) بعد فراغ الإمام من الفاتحة ؟ وما مقدار هذا الجهر ؟ وهل ما يروى أن « أم ورقة كانت تواظب على الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وسلم فى الصف السابع والخمسين وكانت تسمع جهر النبي صلى الله عليه وسلم بآمين » . صحيح ثابت ؟

الأجـــوبة

(١) الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعه .

روى البخارى عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما » . وهذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته إلى المنبر . فيجلس فيقوم بلال يؤذن . فإذا فرغ بلال من أذانه شرع النبي صلى الله عليه وسلم فى الخطبة . فإذا فرغ منها نزل فصلى الجمعة . فمتى كانت السنة القبلية للجمعة ؟ اللهم إلا إذا قلنا : إن صلاة النفل فى المسجد يوم الجمعة لمن راح إليه مبكراً . كما ورد ذلك فى صحيح البخارى وغيره عن سلمان الفارسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر ، ثم ادهن أو مس من طيب ، ثم راح فلم يفرق بين اثنين ، فصلى ما كتب له ، ثم إذا خرج الإمام أنصت غفر له ما بينه و بين الجمعة الأخرى » .

ولا يجوز القياس فى الصلاة ولا العبادات . على أن المسألة خلافية . قد يجوز أن تقنع الخصم بقولك ، وقد ولا يقتنع . فإن لم يقتنع . فلا داعى للتشبث والمعاندة فى مثل هذه المسائل . فإذا بينت له حجتك فى تركها ، ثم أصر على تقليد من قال بسنتها . فلا يخرج بذلك عن السنة ولا يجوز النظر إليه بعين البغضاء حتى يترتب على ذلك خلاف كبير ونزاع عظيم . فالواجب التراحم والتوادد . ولا يصح أن نقطعه إلا لأمر من أصول الدين كالتوحيد . والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

(٢) أما التأمين . فقد قال البخارى « باب جهر الإمام بالتأمين . وقال عطاء « آمين » دعاء . أمّن ابن الزبير ، ومن وراءه حتى إن للمسجد للجّة . وكان أبو هريرة ينادى الإمام « لا تفتنى بآمين . وقال نافع : كان ابن عمر لايدعه ، ويحضهم ، وسمعت منه فى ذلك خيراً . ثم روى من حديث أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمّن الإمام فأمنوا . قال من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم ذنبه » وقال ابن شهاب « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : آمين » وقد رواه مالك أيضاً فى الموطأ ، وهو أصح الروايتين عنه . والثانية رواية ابن القاسم : أن الإمام لا يؤمن فى الجهرية . وقد أخذ الجمهور بهذا وقالوا : يؤمن الإمام والمأموم جهرا ، خلافاً للكوفيين . وقال البخارى « باب جهر المأموم بالتأمين وروى فيه بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين . فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ورواه مسلم وأبو داود والترمذى . وعنه أحمد والنسائى « فإن الملائكة تقول آمين ، وإن الإمام يقول آمين . فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» وعند أبى داود عن أبى هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : آمين ، حتى يسمع الصف الأول » وعند ابن ماجه عن أبى هريرة «حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد» ورواه الدارقطنى وحسنه ، والحاكم وصححه ، والبيهقى وقال : حسن صحيح . وعند أحمد وأبى داود والترمذى عن وائل ابن حجر قال : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقال : آمين ؛

يمد بها صوته » وأخرجه الدارقطنى وابن حبان ، وزاد أبو داود « ورفع بها صوته » قال الحافظ ابن حجر : وسنده صحيح . وفى كل هذه الأحاديث وغيرها ما يدل دلالة صريحة على أن الإمام يجهر بالتأمين وكذلك المأمومون . غير أن الجهر لا يكون بتشويش يذهب بالخشوع والقنوت فى الصلاة . إنما يقولونه فى ضراعة وخشية . وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن رفع الصوت بالدعاء فوق الحاجه وقال « فإنكم لا تدعون أصم ولا بعيداً » فما يفعله أغلب النـاس من الرفع الزائد فى التأمين خطأ ، وإنما تـكون الضجة فى المسجد كصوت النحل ، كما ورد فى بعض الآثار .

أما حديث أم ورقة ـ واسمها أمامة ـ بنت حمزة بن عبد المطلب ، فلم أجده والظاهر أنه مخالف للواقع . لأن مساحة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن تسع هذا العدد المذكور فيه من الصفوف . والثابت أن النساء كن يصلين فى المسجد وراء صفوف الرجال .

اعلان هام

نرجو من السادة المشتركين أن يبادروا بإرسال قيمة الاشتراك عن السنة الجديدة ١٣٧٥ كما نرجو من السادة المتعهدين أن يسرعوا فى إرسال المتأخر طرفهم من حساب المجلة عن سنة ١٣٧٤ حتى لا نضطر إلى قطعها عنهم آسفين .

وترسل قيمة الاشتراك من شيكات أو حوالات باسم السيد محمد رشدى خليل مدير إدارة مجلة الهدى النبوى ٨ شارع قوله عابدين (بريد السبتية ببولاق) مصر . الإدارة

أخبار الجماعة

سافر فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجماعة ـ مصحوبا برعاية الله ـ إلى الأقطار الحجازية صباح الثلاثاء ٦ ذى الحجة سنة ١٣٧٤ (الموافق ٢٦ يوليه ١٩٥٥) وبهذه المناسبة الكريمة نقدم عظيم أسفنا للسادة قراء « الهدى النبوى » بصدور هذا العدد خاليًا من التفسير .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرده إلينا سالما غانما ، وأن يبارك لنا وللمؤمنين فى حياته ، وأن يطيل حياته بالجهاد والنصر ، إنه سميع مجيب .

امتيازات للعضو المشترك (بالمركز العام)

فى حالة المرض :

(١) يصرف للعضو فى حدود ثلاثة جنيهات شهريًا ولمدة ثلاثة شهور

(٢) يصرف إليه نصف أجر العملية الجراحية فى حدود خمسة جنيهات

(٣) يصرف إليه نصف أجر المستشفى فى حدود ثلاثة جنيهات شهريًا ولمدة ثلاثة شهور

فى حالة وفاة أحد أفراد العائلة :

(١) ثلاثة جنيهات لوفاة الوالد ـ الوالدة ـ الزوجة .

(٢) جنيهان للأولاد من سن ٧ سنوات إلى ١٣

(٣) جنيه للأولاد لأقل من سبع سنوات .

فى حالة وفاة العضو :

(١) يصرف للعائلة فوراً ثلاثة جنيهات للمساعدة فى إجراءات التجهيز والدفن .

(٢) يصرف لورثته إعانة شهرية على حسب أفراد العائلة .

فى حالة تركه العمل :

(١) يصرف للعضو فى حدود ثلاثة جنيهات شهريًا ولمدة ثلاثة شهور

وهذه الامتيازات تمنح للعضو بعد مضى عام كامل على اشتراكه بالجماعة . ماعدا حالة الوفاة فتصرف الإعانات دون نظر لمدة اشتراك العضو .

وقد وافق أعضاء مجلس الإدارة (بالإجماع) على هذه الامتيازات للعضو المشترك بالجلسة المنعقدة يوم الخميس الموافق أول ذو الحجة سنة ١٣٧٤ (٢١/٧/١٩٥٥)

محمد رشدى خليل — سكرتير الجماعة بالنيابة

ملحوظة — يجب على العضو فى حالة المرض أو أى حالة من الحالات الموضحة بعاليه أن يخطر المركز العام فوراً حتى يمكن إجراء اللازم .

فرع بور سعيد

مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٥/١٩٥٦

السيد خليل محمد الدسوقى رئيساً . والسيد كامل حسنى وكيل أول . والسيد مسعد سعد حسن وكيل ثان . والسيد محمد محمد الدسوقى أمين الصندوق . والسيد كامل حجازى مساعد أمين الصندوق . والسيد فاضل عثمان أبو حباجة سكرتيراً . والسيد أحمد محمد السيد مراقبا .

والسادة محمد حفنى ، والسيد السيد أبو سمرة ، ومحمد أبو كليلة ، وإبراهيم باشا ، وحسين غزال ، ومحمد درويش ــ أعضاء

حساب الإيرادات والمصروفات فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٥٥

المصروفات مليم	المصروفات جنيه	البيان	الإيرادات مليم	الإيرادات جنيه	البيان
٥٠٠	٣١	مكافأة واعظى الجماعة	١٠٠	٦٣	اشتراكات
—	٤	« مؤذن مسجد الجماعة	١٥٠	٢٧	تبرعات للجنة البر
٣١٠	٦	« تحصيل الاشتراكات			
٥٠٠	٣	مصروفات بمناسبة صلاة العيدين			
٥٢٥	٢	« « انعقاد الجمعية العمومية			
٥٠٠	١	مساهمة الجماعة فى ثمن حصير للمسجد			
٥٠٠	٢٠	إعانات الأسر الفقيرة			
		مليم جنيه ١٣ر٧٦٥ زيادة إيرادات الجماعة ٦ر٦٠٠ « « لجنة البر			
٣٦٥	٢	زيادة الإيرادات على المصروفات			
٢٥٠	٩٠		٢٥٠	٩٠	

الميزانية العمومية فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٥٥

أصول

البيان	مليم	جنيه	مليم	جنيه
نقدية باقية لصندوق الجماعة	١٠٠	١٥		
« « « لجنة البر	٦٠٠	٦	٧٠٠	٠٢١
رصيد بالبنك			٥٢٠	١٨٥
ميكروفون	مليم	جنيه		
الرصيد فى ١/٦/١٩٥٤	٥٣٠	٥٠		
استهلاك بواقع ١٠ ٪	٠٥٣	٠٥		
دولاب للمكتبة			٤٧٧	٤٥
	مليم	جنيه		
الرصيد في ١/٥/١٩٥٤	٩٦٠	٥		
استهلاك بواقع ٦ ٪	٣٥٨	—	٦٠٧	٠٠٥
كتب	مليم	جنيه		
الرصيد فى ١/٥/١٩٥٤	١٤٠	١٩		
كتب مشتراه في ٥٤/١٩٥٥	٤٠٠	٠٥		
	٥٤٠	٢٤		
استهلاك بواقع ١٠ ٪	٤٥٥	٢	٠٩٠	٠٢٢
			٣٩٤	٢٨٠

خصوم

البيان	مليم	جنيه	مليم	جنيه
رأس المال فى ١/٥/٩٥٤	٨٩٥	٢٦٧		
مليم جنيه				
٥ر٠٥٣ استهلاك الميكروفون				
٠ر٣٥٨ « الدولاب				
٢ر٤٥٥ « الكتب				
	٨٦٦	٧		
			٠٢٩	٢٦٠
زيادة الإيرادات على المصروفات			٣٦٥	٠٢٠

أمين الصندوق
محمد محمد الدسوقى

مراقب الحسابات
إبراهيم السيد أبو كرات

أنصار السنة المحمدية بالسودان

لجنة المركز العام لعام ١٩٥٥/١٩٥٦ بأم درمان

السادة : الشيخ عبد الله حمد رئيساً . والشيخ عبد الحليم العتبانى مستشاراً . والسيد يوسف عمر أغا سكرتيراً عاما . والسيد محمد هاشم الهدية مساعد السكرتير . والسيد محمد الفاضل التقلاوى سكرتير للثقافة . والسيد إبراهيم إدريس سكرتيراً للجان الفرعية والسيد محجوب مختار أميناً للصندوق . والسيد محمد طيب مساعد أمين الصندوق . والسيد خليل صالح داود مدير أعمال . والسيد محمد الأمين الشامى مساعد مدير الأعمال . والسيد

موسى عبد الماجد محصل اشتراكات . والسيد الشيخ يوسف ايوه مدرساً بالمركز العام .
والسادة : حسن مبروك ، ومحمد الحسن ، وعوض عبد الحق ، والحاج دوكه عبد الله ـ (أعضاء) .

حساب الإيرادات والمصروفات للسنة المالية ١٩٥٤/١٩٥٥

إيرادات		مصروفات	
جيه ملم		جيه ملم	
١٠٨ر٠٠٠	اشتراكات	٧٢ر٠٠٠	أجرة الدار
٦١ر٠٠٠	تبرعات	٢٤ر٠٠٠	استهلاك مياه ونور
		١٩ر٨٠٠	إعانات
		٢٠ر٠٠٠	مصروفات للمؤتمر
		١٩ر٢٠٠	« للمحاضرات
		١١ر٥٠٠	العوائد الحكومية
		٢ر٥٠٠	نقدية بالصندوق
١٦٩ر٠٠٠		١٦٩ر٠٠٠	

وهذه بعض قرارات مؤتمر اللجان الفرعية لجماعة أنصار السنة المحمدية المنعقد فى ١٢ شوال سنة ١٣٧٤ هجرية الموافق ٣/٦/١٩٥٥ فى الحفل الافتتاحى للمؤتمر السنوى بدار المركز العام بأم درمان :

١) رسالتنا فى هذه المرحلة إشاعة الوعى الإسلامى الصحيح المركز على قال الله قال رسوله .

٢) وليعلم الإخوان أن طريق المصلحين غير مفروش بالورد والرياحين إنما هو جهاد وجلد وصبر و إخلاص وتحمل الأذى فى سبيل المجموعة ومقابلة السيئة بالحسنة .

٣) ندعو الإخوان لجمع الكلمة والتعاون على البر والتقوى .

٤) ندعو للاقتصاد فى كل شىء . واعملوا لآخرتكم كما تعملون لدنياكم للتحقق لقوله تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين).

٥) اكسبوا الرجال ولا تحقروا رجلا لجهله أو فقره ـ عالجوا الجهل بالتعليم والفقر عارض تكفل الله بإزالته إذا صدقت النية فى الأخذ بالأسباب لأنه تعالى قال « فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) وقال (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

٦) لا خصومة بيننا و بين الناس إنما هى خصومة أوجدها المغرضون لإضعاف كلمة الحق ، فلنبرهن على حسن نياتنا بالتسامح والصفح وتحمل الأذى عملاً بقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) .

٧) نحارب العقائد الفاسدة والنحل التى وفدت على هذا البلد ، ونكشف للناس أمرها حتى يتقوها ، لأن أصحابها بدأوا يجاهرون و يفاخرون بها جهاراً نهاراً على أنها حرية رأى والواقع أنها تحلل من كل قيد .

٨) نحارب الأفلام السينمائية الداعرة الفاجرة ، التى تعلم اللصوصية وفساد الأخلاق ، ونطالب بالرقابة الحكيمة عليها وعلى كل عضو أن يعمل المستطاع فى دائرته .

٩) نصيبنا من السياسة أن ندعو إلى المحافظة على الأمن والنظام ونوصل صوت المظلوم إلى الحاكم ونقف موقف الرقيب والحسيب ولا نطمع فى الحكم مطلقاً فى أى صورة من صوره الراهنة .

١٠) نطلب من ناصر السنة أن يكون عيناً باصرة فاحصة عن النقائص التى لحقت بالأمة السودانية من جراء العادات والتقاليد الوافدة ، و يحاول زحزحت هذه النقائص وتقليم أظفارها حتى لا تعشعش وتفرخ فى هذا البلد البكر ما وجد إلى ذلك سبيلا .

فرع المنصورة ـ مجلس الإدارة عن عام ١٩٥٥

السيد أحمد أحمد بدر رئيساً والسيد محمد أحمد الشامى وكيلا والسيد محمد تميم أبو الذهب أمين الصندوق والسيد عوض عباس على مراقباً للحسابات والسيد محمد عبده الألفى سكرتيراً ومحصل . والسادة محمد عبد الرحمن داود وسعد جعفر وهاشم على النشار وعطا عطا يوسف وأبو المعاطى عثمان على و إبراهيم حامد محمد و يحيى إبراهيم على ومحمد عبد الرحمن زيد (أعضاء)

الرئيس والسيد عبد الفتاح ابراهيم وكيلا والسيد محمد جلال الدين السمرى سكرتيرا والسيد عبد المنعم زيدان مساعد السكرتير والسيد فوزى عبد المجيد الشافعى مراقباً للدار والسيد محمد محمود حامد أمين الصندوق والسيد السيد بركات محصل وأميناً للمكتبة .

والسادة محمود قابيل وعبد المعبود مبارك والسيد فهمى عواد والسيد على أحمد عطيه والسيد محمود صبرى وعبد الفتاح إبراهيم (أعضاء) .

والسيد أحمد مصطفى أيوب مراقب مالى .

* * *

والمركز العام للجماعة ، يدعو بالتوفيق والسداد وحسن البلاء والجهاد لأعضاء أنصار السنة المحمدية فى كل بلد وقطر ، فإن دعوتنا هى دعوة جميع الرسل (أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وهى الدعوة التى تسير على قدم عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وهى خير مايبذل فيها المؤمن نفسه وماله .

وفقنا الله لما فيه رضاه . إنه سميع مجيب .

من هو المفلس ؟

سأل النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً « أندرون من المفلس ؟ »

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ...

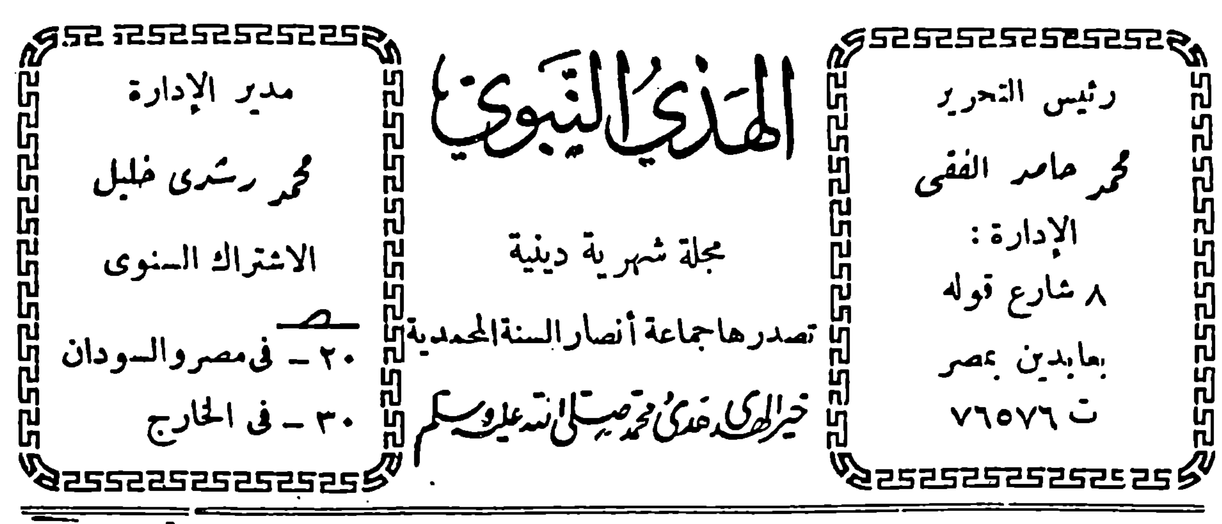
فقال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا .. وقذف هذا .. وأكل مال هذا .. وسفك دم ذاك .. وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » رواه مسلم .


الهدى النبوى
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الفهرس

صفحة

الثمن ٣٠ مليما



الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد حامد الفقى
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
صـ
٢٠ ـ فى مصر والسودان
٣٠ ـ فى الخارج

المجلد ٢٠ — صفر سنة ١٣٧٥ — العدد ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكمة والأسرة

ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً

بقلم فضيلة رئيس التحرير

الحكمة أحق مايعنى به العاقل ليضبط أمره ، ويحكم شأنه ، وتسلم عواقبه ، وهى أشد ما نحتاج إليه اليوم فى شؤوننا . وقد ألمت بنا ملمات وحوادث عمت على الكثير طريق الرشاد ، فأصبح يتخبط فى حياته تخبطا لا يرجى معه السلامة . يجرى فى قوله وعمله وراء هواه وشهوته بدون عقل ولا بصيرة ، فيجنى على نفسه وأمته شراً كثيرا ، لا منجى من عاقبته السوءى إلا أن يتداركنا الله بلطفه فيرزقنا من الحكمة مايجنبنا عاقبة هذه الملمات والحوادث ، ويؤتينا بها من فضله الخير الكثير ، ويقومنا على الجادة التى نصل منها إلى الغاية التى وعدنا إياها من السلامة والعافية .

فالحكمة هى القصد إلى وضع كل قول وكل فعل فى موضعه اللائق به بعد معرفة وجه الصواب فيه ، بمعرفة أسراره وفوائده ونتائجه ، وتقدير ذلك قدره ، وإنزال كل أحد فى منزلته وإعطائه حقه الذى يجب له . فهى مأخوذة من إحكام الشىء أى ضبطه وإتقانه ؛

أو من الحكم ، بمعنى الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل ؛ يقال فلان حكيم أى بيّن الإصابة فى القول والفعل . وضدها : السفه والطيش ، والجهل .

وإنما تكتسب الحكمة بقهر النفس وشهواتها تحت سلطان العقل المثقفَ بالعلم والدين والتجربة ، وزمها بزمام التأنى والتثبت والتبصر ، حتى لاتقول كلمة ؛ ولا تأتى أمراً إلا على بينة من أثر ذلك وعاقبته من الخير والشر والنفع والضر ؛ وترويضها على أن تشعر شعوراً وجدانياً ملازماً بمقدار ماعليها من التبعات والمسئولية أمام الله وأمام الإنسانية الكاملة .

وربما ظن جمهور الناس وعامتهم أن الحكمة بعيدة المنال ، صعبة المرتقى ، فلا يفكرون فى أن يكونوا حكماء ؛ خصوصاً وأن الشائع أنها خاصة بجماعة قليلة قد يظنون أنهم انقرضوا إلا قليلا ، وقد يغتر بعض الخاصة بحفظ بعض الأمثال والحكم ، أو درس بعض النظريات الفلسفية والمسائل العقلية ، أو حفظ القرآن والحديث بدون فهم ولا عمل ، فيخدعون بذلك عن الحكمة .

والحقيقة التى يجب أن يعرفها الجميع أن الله جعل الحكمة حقاً مشاعاً بين بنى آدم ، ولذلك جعلها أصل كل الشرائع المنزلة ، ولب الكتب السماوية ؛ وحض جميع بنى آدم على اكتسابها ، وألزمهم أن يكونوا جميعاً محكمين لكل أمورهم الدينية والدنيوية بهذه الحكمة ، وأنه لاينالهم من رحمة الله وفضله فى الدنيا والآخرة إلا على قدر ماعندهم من الحكمة ؛ وأنه لذلك أعطى الجميع آلاتها وأسبابها : من السمع والبصر والفؤاد ؛ ثم أرسل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتاب والحكمة ، وأمرهم أن يعطوا جميع أفراد الأمم هذه الحكمة ، فمن قبلها هدى ورشد وكان من الشاكرين ، ومن أباها وردها ضل وغوى وكان من الكافرين . قال الله مخاطباً لكل بنى آدم (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) أعمى بصيرته فى الدنيا بالهوى والشهوات ، وانساق بالتقليد الأعمى على غير هدى و بصيرة ، فكان عيشه نكداً وحياته بؤساً وأمره فرطا . وأعماه فى الآخرة عن طريق النجاة من عذابه وشديد عقابه جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد .

ولقد بيّن الله فى كتابه و بين رسوله صلى الله عليه وسلم بهديه وسنته الشرائع والحقوق وما ينبغى أن يقف عنده كل أحد من الحدود ؛ وتمت بذلك على النـاس نعمة الإسلام ، فأصبح الطريق واضح المعالم لايزيغ عنها إلا هالك .

وقد أقام الله الحجة وضرب الأمثال وأبلغ فى الإنذار ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

فوعظنا بأمم كثيرة كانوا أشد قوة وأكثر جمعاً . أنعم عليهم بالسمع والبصر ، وأعطاهم من بسطة العيش ، وأرسل إليهم رسلا ، وأنزل الـكتب ، ودعاهم إلى شكر نعمائه والانتفاع بما وهبهم من فضله ، ليستقيموا على الطريقة المثلى ، فينالوا سعادة الدنيا والأخرى ، فبدلوا نعمة الله كفراً ، وألغوا عقولهم ، وانساقوا وراء أهوائهم وشهواتهم ، وأصموا آذانهم عن استماع داعى الحـكمة ، وأعموا عيونهم عن رؤية عبر الله وآياته ؛ فسفهوا أنفسهم ، ورغبوا عن دين الله القيم واستحبوا العمى على الهدى ، فبغوا وتعدوا الحدود ، وضيعوا الحقوق ، فسوقاً عن أمر الله ، واستكباراً فى الأرض ، لحقت عليهم كلمة ربك وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (فـكأين من قرية أهلـكناها وهى ظالمة فهى خاويه على عروشها و بئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟ أو آذان يسمعون بها ، فإنها لاتعمى الأبصار ولـكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وليس عمى القلوب إلا انطفاء نور الحـكمة وهداية العقل بالإعراض عن الانتفاع بالعلم الذى أنزله الله رحمة وهدى للمحسنين .

و إذ بلغ بى القول فى الحـكمة إلى هذه النقطة ، فإنى أرى حقاً علىّ من النصح لله ولرسوله ولـكتابه ولأمتى أن أقول فى الأسرة ما أعلم ؛ لعل الله أن يجعل فيها نواة للإصلاح المنشود ؛ وعلاج الأسرة ومداواتها ممـا حاق بها من التفكك والفساد الذى أصبحت به تؤدى لمجموع الأمة عكس مايرجى منها من الأعضاء الصالحة ، وأنها أصبحت من أكبر أسباب العلل فى جميع نواحى جسم الأمة مما دعى المفـكرين لتلافى الداء قبل استفحاله .

وأن الحـكمة كل الحـكمة أن نتعرف سر كل مرض ومنشأه ، فإذا عرفناه أخذنا فى

العلاج بالحمية أولا ثم بإعطاء الدواء ثانياً . وبدون هذه الأمور لا ينجع دواء ولا يرجى للمريض شفاء : وذلك أمر بديهى لايحتاج إلى برهان .

ومما لا شك فيه أن الله (الذى أحسن كل شىء خلقه ثم هدى) أشد عناية بالأسرة من كل المصلحين ، وأعلم بعللها وأدوائها من كل المقننين ، وإنه ما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب إلا للاصلاح ، وإن فساد الأسرة يرجع فى الكثير الأغلب إلى علل روحية معنوية ، لا سلطان للقوانين ولا للحكومات عليها مهما حاولت ، وإنما السلطان عليها للدين ومراقبة الله والإيمان به وبكتبه واليوم الآخر ، وأن كتب الله قد جاءت من ذلك بالدواء العاجل والشفاء المحقق الذى يشهد له الواقع المحسوس شهادة لا يمكن المماراة فيها إلا من الجاهلين ؛ وأن أوفاها بذلك : القرآن الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى ، وأن الإسلام هو هذا فقط : لا ما قال فلان . ولا استحسن فلان . هذا الذى ينبغى لكل مصلح أن يجعله أول حجر فى بناء إصلاحه ؛ إذا كان يرجو رحمة الله ويخاف عذابه .

فالأسرة : تبنى من الرجل والمرأة ، ثم مما يمدان به الأمة من الذرية .

فالركن الأول للأسرة : هو الرجل ، وعليه تلقى كل التبعات ، لأنه راع ومسئول عن رعيته . فالذى ينبغى من الحكمة للرجل بصفته الركن الأول للأسرة ـ أن يكون حكيما فى نفسه بالدين والعلم على ماسبق بيانه ، وأن تهديه هذه الحكمة إلى أنه ماخلق ليعيش وحده ، وأن سنة الله فى هذا الوجود قضت بأن يخلق المرأة من نفس الرجل ، وأن تكون حياته منغصة لاتسعد إلابالزوجة ؛ وعيشته نكدة لاتهنأ إلا بالزوجة ، ونفسه حائرةمضطربة لاتهدأ ولا تسكن ولا تجد المودة والرحمة إلا فى نفس الزوجة وقلبها ، وان أقل وأحقرماينظر إليه من الزوجة هو المعنى البهيمى والشهوة الحيوانية ، وأن عليه واجباً أكيداً لأمته أن يكون فى جسمها أسرة تكون نواة صلاح ثم شجرة مباركة لهذه الأمة ، فإذا تمت أخذ يبحث عن هذه الزوجة فيتحرى أشد التحرى وأدقه عن مقدار ماعندها من ثروة الحكمة وجمالها ، وقوة الدين ومتانة الخلق وطهارة النفس وذكاء الروح ، وطيب المنبت وأطوار

النشأة وأثرها ، فيختارها على علم يقيني أنها جزء متمم له وعون لاغنى له عنه ، وأنها إنسان كما أنه إنسان ، ولها قلب وعقل وروح كما له قلب وعقل وروح . وأن لها وظيفة فى الوجود لاتقل شأناً عن وظيفته . وأن لها حقوقاً كما له حقوق . وأن الله يقفها يوم القيامة من خصومته فى حقوقها كما يقف أرفع الرجال مكانة فى الدنيا ومنزلة . وأن الله ماجعلها أنثى تحقيرا لشأنها ولا إهانة لها و إنما سواها كذلك إعزازاً لها و إمداداً وقوة على وظيفتها فى الوجود . ومن ثم سواها بالرجل فى خطاب الدين وعبادة الله فقال (والمؤمنون والمؤمنات) وقال (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ـ أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) ثم يصدقها لا على المساومة والمماكسة بل على النِّحلة والتكرمة . و يسوق إليها كل صداقها معجلا : لا يخطر فى باله ولا يجرى فى نفسه انتظار أى شىء منها إلا نفسها وقلبها اللذان لايقومان بمال . ومن ثم لا يكون تغال فى المهور ولاعقبات فى سبيل الزواج . فإذا كان العقد كان من أحق واجبات هذا انعقد خطبة النكاح : يجب أن تكون موعظة بالغة وتذكيراً للزوجين بحرمة هذا العقد وقوته عند الله . وما عليهما من الحقوق والواجبات ليقيما حدود الله . وما لكل منهما من الأمانة فى النفس والمال قِبل الآخر . و يصور أمام أعينهما محكمة الله الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور وأنها أشد نكالا وخزياً من محاكم الإنسان . ثم يعقد لهما على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم و يشرح لهما معنى ذلك ؛ و يضرب لهما الأمثال من سنة رسول الله مع أزواجه وسنتهن معه .

فإذا انتقلت هذه الزوجة الحكيمة إلى زوجها الحكيم كان أول ما يستفتحان به الحياة السعيدة أن يصليا لله معاً فرضاً أو نفلاً ليجمع الله بين قلبيهما برباط هذه الصلاة الذى لاينفصم . ثم يشرح لها أخلاقه وما يحب وما يكره ، و يرسمان فى هذه الجلسة الأولى نظام حياتهما ، و يتعاهدان أمام الله على الوفاء والإخلاص والصدق والنصيحة .

ثم تكون صحبتهما على أساس الحكمة ، ووزن كل أمر بميزانه ، ووضع كل شىء فى موضعه ، باللين والشدة ، والحزم والموعظة . و يتعهدها دائما بالعلم والأدب والدين و يحرص أشد الحرص على الوفاء بما عاهدها عليه : ففراغ وقته لها وسرور قلبه لها وأنسه وانبساطه لها ،

و بشاشة وجهه لها ، وراحة قلبه ونفسه من عناء العمل وجهد الحياة عندها وفى حنوها وعطفها ومودتها ورحمتها. ومايرزقه الله به من المال بينه و بينها: تأكل ممايأكل وتلبس ممايلبس وتفرح بما يفرح وتحزن مما يحزن . و بالجملة أن يشعر الشعور كله بهذه الشركة و يقوم بما يجب لها من نفسه وقلبه بالإخلاص والمودة والرحمة ، مترسماً فى ذلك خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم مقيما لحدود الله التى حدها فى كتابه الكريم . يقول الله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) و يقول (وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) (فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا . ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً . واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم) وقال (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً) وقال (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) والمعروف الذى يعرفه الله و يعرفه الضمير المؤمن وتعرفه الحكمة . وضده المنكر . لاالذى تعارفه الناس ولذلك لم يقل بالعرف الذى هو ماتعارف عليه الناس ، لأنهم قد يتعارفون على المنكر والظلم . وشتان بين العرف والمعروف . ومن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يكون فى مهنة أهله ومعاونتهن فى عملهن . وكان كثير التبسط معهن : تقول عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم يقبلنى و يخرج إلى الصلاة . وهذه الكلمة عنوان لمقدار تلطف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه والتودد اليهن بكل أنواع التودد والتلطف ، حتى أنهن حين خيرهن قلن جميعاً بدون تردد ولا تفكر نختار الله ورسوله . فقال : شاورن آباءكن ، فقلن : أفيك نشاور يارسول الله ؟ بهذا المعروف يملك الرجل قلب امرأته ونفسها ؛ فلا تفكر فى غيره ولا ترضى عنه بديلا .

الركن الثانى من أركان الأسرة : المرأة وحكمتها التى تملأ حياتها و بيتها سرورا ونعيما هى أن تعرف وظيفتها التى خلقها الله لها ، مؤمنة أرسخ الإيمان بأنها وظيفة جليلة القدر ، عظيمة التبعات ، لاغنى للوجود عنها ، ولا بقاء له ولا سعادة إلا بها ، فكما أن

الليل لايغنى عن النهار ، والشمس لاتغنى عن القمر ، والماءلايغنى عن الطعام ، والهواء لايغنى عن الماء ، والذهب لايغنى من الحديد ، فكذلك الرجل لايغنى عن المرأة ، بل قد جرت سنة الله فى هذا الوجود أن يكون فى بقائه وانتظامه بحاجة إلى كل أولئك ، وليست وظيفة شىء منها بأقل غناء فى بقائه وانتظامه عن وظيفة الآخر ، وأن الله العليم الحكيم أقام بناء الوجود ونظامه على هذه المختلفات ، ولو شاء لجعله أمراً واحداً (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا) (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً) فما قال إن المرأة مسخرة للرجل ولا الغنى مسخر للفقير ؛ ولكن كل منهما مسخر للآخر ، والجميع مسخر لبقاء الوجود إلى أجله : حكمة بالغة ، وكل ميسر لما خُلق له .

فينبغى للمرأة التى تريد الحياة السعيدة أن تقدر وظيفتها قدرها العظيم ، وأن تصرف كل همها وتفكيرها فى أخذ الأسباب التى تعينها على القيام بوظيفتها ، وأن تقف عند الحدود التى حدها الله لهذه الوظيفة ، لا تفكر فى أن تتعداها إلى وظيفة الرجل ، احتقاراً لوظيفتها واستصغاراً لشأنها ، وتبرما بها ، فإنها حينئذ تسقط من عين الرجل ، بل تسقط من عين الله ، وينبذها الوجود ، ويراها متمردة على سنة الله (الذى أحسن كل شىء خلقه ثم هدى) فتعيش مذبذبة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ ويلعنها الله ويمسك عنها رحمته وتوفيقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » .

أيتها المرأة : فكرى بعقلك وحكمتك ، واستذكرى ماضيك وحاضرك ؛ ترى أن من حاولت الخروج على سنة الله والتمرد على حكمته قد نبذها الوجود ومقتها الرجل من عقله وقلبه ، ولم ينظر اليها إلا بعين شهوته وبهيميته ؛ فانخدعت المسكينة لسفهها وجهلها وجرت وراءه يتخذها لعبته إلى حين ثم ينبذها كما نبذها الوجود ، فذهبت تجرى وراءه فى ذلة وصغار ، متبرجة بما تظنه جاذبا له ، لكنه لا يزال يرمقها شذراً بكبريائه وغطرسته البهيمية

ويطؤها بالقدم التى رفعتها حين تجاهلت مكانتها ووظيفتها السامية التى وهبها الله إياها ، وحين رأت نفسها بعين الاحتقار أنها ألهية الرجل ولعبته ؛ فعلى نفسها وعلى الأمة جنت أكبر جناية نالت وتنال جزاءها العادل ما دامت سادرة فى هذا الغرور والسفه ، شاردة عن وظيفتها الحقة فى الحياة ؛ معترضه على الله أحكم الحاكمين وان ربك لبالمرصاد ، ولا يزال داؤها يستشرى فى جسم الأمة ويفتك به مادام الرجل كذلك يعمى عن وظيفته ويساعدها طواعية لأغراضه السيئة ، ويمد لها فى حبل الغواية زاعما أنه ينصفها بزعمه الخاطىء من ظلم الله . أستغفر الله وما ظلمهم الله شيئاً ؛ ولكن أنفسهم يظلمون .

أيتها الداعية إلى مساواة المرأة بالرجل فى وظيفته فى الوجود : اذهبى فامحى هذا الوجود واخلقى خلقا آخر غير خلق الله إن كنت تقدرين ؛ أو فاعقلى وعودى راضية إلى وظيفتك وتفرغى لها وابذلى كل عنايتك فى القيام بحقها ؛ ولا إخالك إلا عائدة عما قريب بعد طول تخبطك وفشل محاولاتك الطائشة . والله الموفق .

لعل شيطان الغرور يزين لك القول اننا جامدون ومتأخرون وظالمون ، وخائفون على مكانتنا . كلا والله يا أختاه ، إننا لك حقاً مخلصون فى حبنا ، وسائرون من أطوار الحياة ؛ ولكننا نحرص على كرامتك ونتشبث بوظيفتك لحاجتنا اليها ، ولذلك ندعوك ونلح فى دعوتك إلى الحق والعدل ؛ ونصبر ونصابر حتى تثوبين إلى رشدك وأنت فاعلة عن قريب إن شاء الله .

إنا موقنون أن الحياة لم تتطور بوظيفة الرجل فحسب بل انها تتطورت بوظيفة المرأة والرجل على السواء . لماذا تحاولين التمرد على قسمة العزيز الحكيم وتنظيمه للكون ؟ أأنتِ أعلم منه أم أعدل أم أرحم ؟ قسم الله قسمة العدل والرحمة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . إن الله كان عليا كبيراً) أتظنين فى هذا تحيفا عليك أو غمطا لحقك ؟ كلا . إنه أشاد بالصالحة القانتة الحافظة لما أمرهما الله أن تحفظه . أما الناشز المتمردة

فإنها جديرة بما يردها إلى الصواب ، أترين أن تأديبك لولدك قسوة عليه وظلم له وتحقير لشأنه ؟ الأمر فى تأديب المتمردة كذلك . وهو العدل الرحمة . وهل إذا أساء بعض الجاهلين من الرجال فهم وظائفهم تسيئين أنت كذلك و يقوم لك عند عقلك وحكمتك هذا عذراً ؟ والله يقول (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

إذا عقلت هذا فكونى حكيمة على مثال الصلاح الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « خير متاع الدنيا المرأة الصالحة التى إذا نظر اليها سرته ، و إذا أمرها أطاعته ، و إذا أقسم عليها أبرّته و إذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

كونى حكيمة ؛ واحرصى على الزوج الثرى بالدين والأخلاق ، و إذا جاء يخطبك فلا تساوميه ولا تماكسيه ، و بادرى إلى زواجه لتحفظى نفسك وأمتك من الفتن . قال صلى الله عليه وسلم « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ثم كونى معه زوجا صالحة كما امرك الله ورسوله : اعطيه كل نفسك وقلبك ، وأعطى بيته كل همك وتفكيرك ، وامنحيه الحنان والعطف والود والرحمة التى هى وظيفتك ، وامسحى بلطفك ماران على قلبه من متاعب الحياة ، وأنسيه عناء الكد الواصب والمشقة المضنية التى هى فى سبيل راحتك واسعادك .

اجعلى من وقتك نصيبا مفروضاً لتلاوة القرآن وتدبره ، والتضلع من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته امهات المؤمنين . اقتدى بالسيدة البرة خديجة رضى الله عنها فقد كانت أعظم عون لزوجها الكريم على تبليغ رسالة ر به ، وتهوين الصعاب عليه ، إنك إن فعلت ذلك كان بيتك جنة وارفة الظلال ، يتخرج منها الركن الثالث للاسرة : ذرية صالحة وأعضاء عاملة ، لهم من ثروة الأخلاق والدين التى اكتسباها منك ومن الزوج أفضل عون على الحياة الطيبة لهم ولأمتهم إن شاء الله .

وان من غير الحق والعدل أن يعتقد أن أمراض المجتمع وانحلال الأسرة ناشئة عن مشكلة تعدد الزواج والطلاق ، فإن مما ذكرنا تتبين العلة و إن الإسلام مابنى الزواج على أساس المتعة والشهوة بل على أساس المودة والرحمة ، وان من يتدبر الآية التى ذكر فيها

تعدد الزوجات لايجدها إلا دواء لمن خاف أن لايقسط فى اليتامى ؛ وأنه وسع عليهم فى غيرهن ، مثال ذلك أن ينهى الطبيب المريض عن طعام خاص لأنه ضار بصحته، ثم يقول له : عندك غيره كثير من الأطعمة ، ليس معناه أنه يأمره أن يتناول جميع هذه الأطعمة . وكذلك ماجعل الطلاق إلا عند تجافى الزوجين ونشوز أحدهما على الآخر ، وأنهما لايستطيعان أن يقيما حدود الله فى الزوجية ، فكان الطلاق فى المرة الأولى والثانية علاجا لهما ؛ فإذا لم ينفع كان لابد من التفرق حتى لا يكون بينهما ذرية تكتسب مابينهما من نفور (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) على ماشرط القرآن والسنة ـ اللذان هما الإسلام كما قلنا ـ فمن تأمل بعقل وحكمة رأى أن الإسلام ما شرع تعدد الزوجات والطلاق إلا علاجا للأسرة المريضة ، ويظلم الإسلام من يفهم أن الله أعطى الرجل هذين السلاحين ليقتل بهما المرأة ، ويهدم أركان الأسرة ، وإنما جاء ذلك من البعد عن الإسلام ومن عدم فهمه على حقيقته .

فعلى الحكومة الساهرة على صلاح الأمة وتهيئة أسباب الرفاهية لها أن تعنى أشد العناية بهذا النوع الذى وصفه الحكيم الخبير من العلاج ، وانها لتبذل فى محاربة الأوباء كل مافى وسعها ، فلتبذل مثل ذلك وأكثر فى محاربة الأمراض الخلقية ، ولتعمل على تموين شباب الأمة بالثروة الخلقية والدينية ، ولتبعث عقولهم من مراقدها بما توقد فى قلوبهم من نور الحكمة القرآنية والنبوية فيقفون عند حدودهم ، والله ولى التوفيق .

سنن الله وآياته العلميــــة
وقدرة الخلاق العليم . . .

قول الله تعالى ذكره

(١٥ : ١٩ ـ ٢١ والأرضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فيها رواسِيَ وَأَنْبَتْنا فيها من كلِّ شيء موزون . وجعلنا لكم فيها مَعايِشَ وَمَنْ لستم له بِرَازِقِينَ . وإنْ مِنْ شَيءٍ إلَّا عندنا خزائنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَعْلُوم) .

لا توقظوا الفتنة النائمة

لواء الإسلام - ٤ -
والتوسل بذوات الأشخاص

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

ثم قال السيد الأستاذ : (وقال الرازى أيضاً فى المطالب العالية فى الفصل الثامن عشر: للكلام مقدمتان :

المقدمة الأولى : أنا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان من بعض الوجوه ، أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه ، وهذه النفوس أقوى من تلك من بعض الوجوه ، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء ، وانكشف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة ، وصارت العلوم التى كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان ، لأن النفوس فى الأبدان كانت فى غشاء وغطاء ، ولما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت ، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال) .

وأقول : إن الرازى وهو من كبار أئمة الدين الذين يفزع إليهم فى حل المشكلات فى أصول الديانة ـ على حد تعبير الأستاذ ـ ما كان له أن يغفل عن أيسر قواعد الإمامة ، ويخيب آمال الذين يفزعون إلى علمه فى حل المشكلات فى أصول الديانة . فإن هذا الحكم العام الذى حكم به على النفوس البشرية المفارقة للأبدان غير صحيح ، إذ لا يمكن أن يكون نفوس المؤمنين كنفوس الكافرين ، وهو لم يخصص فريقاً من النفوس بل حكم على النفوس

جميعاً . والله تعالى يقول : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » ومن أصدق من الله حديثا ؟

يترتب على هذا التعميم الذى يقول به الرازى: أنه لا فرق بين النفوس المؤمنة والنفوس الكافرة فهى كلها فى نظره بعد مفارقة البدن تشرق وتتجلى وتتلألأ و يحصل لها نوع كمال .

وهذا قول لا يقره كتاب ولا سنة ، ولا قول صحابى ، ولا تفكير سليم ولا منطق صحيح . إذ كيف تشرق نفوس الكافرين بعد مفارقة الأبدان وتتجلى و يحصل لها الكمال ؟

و إذاً لقد بطلت مقدمة الرازى هـذه بطلانا تاما ، و بطلت تبعاً لبطلانها جميع النتائج المترتبة عليها . و بالله نتأيد و بكتابه نعتصم .

والحكم على الروح وهى من ضنائن علم الله تعالى ، ومما استأثر بعلمه جل ثناؤه ، لا يقبل إلا إذا كان مدعوما ببرهان مستمد من كتاب الله أو سنة رسوله . وكل حكم على الأمور الغيبية لا يدعمه البرهان من كلام الله وسنة رسوله ، زيف باطل ودعوى كذوب .

* * *

ثم قال الأستاذ فيما ينقل عن الرازى : (وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر فلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة ، والأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علماً جديداً) .

وأقول : إن فى هذا الكلام من الخلف والتناقض ما يجعله لا يساوى قطرات المداد التى كتب بها ، إذ بينما يقرر فى الفقرة السابقة : إن العلوم التى كانت برهانية عند التعلق بالأبدان صارت ضرورية عند مفارقة الأبدان . ومعنى هذا أن النفوس بعد مفارقة الأبدان قد أحاطت بكل علم واختلطت بكل فن حتى لم يصير شىء من الأشياء خافياً عليها - إذا هو يقرر أن النفوس التى لم تزل فى أجسادها أقوى من جهة لإنها تملك آلات الكسب والطلب وتستفيد كل يوم علماً جديداً .

إذ كيف تكون النفوس التى لا تزال تطلب وتستفيد العلوم الجديدة أقوى من النفوس التى كشف عنها الغطاء وأصبحت العلوم كلها ضرورية بالقياس إليها حتى لا تحتاج إلى مزيد

من العلم ، ومهما تستفد النفوس المتعلقة بأبدانها فإنها لن تبلغ من العلم مبلغ التى كشف عنها الغطاء حين فارقت الأبدان وأصبحت العلوم كلها ضرورية عندها .

سبحانك هذا بهتان عظيم ! وهذا تناقض ذميم !

ومهما تكن قوة الأرواح المفارقة لأبدانها فإنها لا تملك التصرف فى هذا العالم ، ولا تملك لنفسها ولا لأحد من الناس نفعاً ولا ضراً .

* * *

ويقول الأستاذ وهو يتابع كلام الرازى : (المقدمة الثانية : إن تعلق النفوس بأبدانها مطلق يشبه العشق الشديد والحب التام . ولهذا السبب كان كل شىء يطلب تحصيله فى الدنيا فإنما يطلبه ليتوصل به إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن . فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن فذلك الميل يبقى ، وذلك العشق لا يزول ، وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن عظيمة الانجذاب) .

وأقول : فى هذا الكلام أباطيل شتى . بل كله أباطيل لا ينهض على صحتها دليل .

ما الدليل على أن الأرواح تتعلق بأبدانها تعلقاً يشبه العشق أو الحب ؟ وما الدليل على أن هذا العشق أو هذا الحب يبقى بعد مفارقة الروح للبدن ولا يزول ؟

وكيف تتعلق الروح بالبدن وقد صار البدن تراباً ورفاتاً ؟ وما لذتها فى هـذا التعلق ؟ وماذا تفيد منه ؟ .

وآفة الرازى التعميم حيث يجب التخصيص ، فإن الزعم بأن كل ما يطلب الإنسان تحصيله فى الدنيا فإنما يطلبه ليوصل به الخير والراحة إلى هذا البدن ـ غير صحيح على إطلاقه . فقد يكون هذا من سمات الكافرين الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور ، أما النفوس المؤمنة التى تقوم الليل فى عبادة وتهجد ، وتصوم النهار تقرباً إلى الله ورغبة فيما عنده ، وتحتمل أعباء السفر فى الحج ، وتتعرض للقتل فى سبيل الله ـ لا تتوصل بذلك إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن ، بل هى على النقيض من ذلك تضحى براحة البدن وخيره فى سبيل راحتها هى ، وخيرها هى ، وسعادتها هى . أما الذين يحرصون على خير الأبدان وراحتها فحسب ، فهم

الـكفار الذين يأكلون كما تأكل الأنعام غافلين عن الروح وخيرها وسعادتها .

وقد تبين لك بطلان مقدمة الرازى الثانية وفسادها ، ولا جرم أن النتيجة التى رتبها عليها أشد منها بطلانا وشرٌ فساداً .

* * *

ثم يقول الرازى فيما يحكى عنه الأستاذ : (إذا عرفت هـذه المقدمات فنقول : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر ، شديد التأثير ، ووقف هناك ساعة ، وتأثرت نفسه بتلك التربة . وقد عرفت أنه لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ـ فحينئذ تحصل لنفس هذا الزائر الحى ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما فى تلك التربة ، وصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل منهما إلى الأخرى ، فـكل ما حصل فى نفس هـذا الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الـكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضاء الله ينعكس منه فوراً إلى روح ذلك الميت وكل ما حصل فى نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الـكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح ذلك الحى) .

وأقول : قد بينا فساد المقدمات التى أراد الرازى أن يبنى عليها هذه النتيجة ، ولا شك فى فساد النتيجة تبعاً لفساد مقدماتها .

وكيف يكون الميت قوى التأثير ، وقد انقطع عمله بشهادة الصـادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى ؟ .

وكيف تتأثر نفس الحى من التربة ، وبماذا تتأثر ؟ .

ومن الذى أخبرنا بهذا التفاعل الذى يتم بين النفسين ؟ .

وليس فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مايشهد بصحة وقوعه .

الحق أن هذا كلام أقرب إلى شعر الشعراء الذين يتبعهم الغـاوون ، لأنهم فى كل واد يهيمون .

وكيف تتعلق النفس بالتربة وقد صارت فى عالم غير هذا العالم ، وانقطعت بينها و بين الدنيا كل العلائق والأسباب ؟ .

نحن على يقين من أن نفس الميت ليست فى القبر حتى تنعكس انفعالاتها على نفس الزائر وحتى تتلاقيا وتجتمعا على تلك التربة و يتبادلا انعكاس الأشعة .

لقد قال ربنا جل شأنه : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) .

فالنفس التى يمسكها الله . لا تتعلق بالتربة ولا تتصل بها ، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها ، ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلى ربه ، ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأبد ، وإن الكافر إذا خرجت روحه يقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ، فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل » .

فهذه الروح التى ينطلق بها ملكان يوكلان بها ينعمانها إن كانت مؤمنة ، ويعذبانها إن كانت كافرة لا يتاح لها أن تخرج من قبضة الملائكة وتأتى إلى القبر ينعكس أشعتها على نفس الزائر .

وكيف ينعكس ما حصل فى نفس الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله ، والرضا بقضائه فوراً إلى روح الميت ؟ وماذا يصنع الميت بهذا الانعكاس ؟ .

وما فائدة المعارف البرهانية والعلوم الكسبية بالقياس إليه وقد صارت المعارف كلها والعلوم كلها ضرورية عنده كما يقول الرازى . فماذا يستفيد من هذه العلوم المتقدمة التى تنعكس على نفسه من الأحياء الزائرين ؟ .

سبحانك ! .

هذا بهتان عظيم ! .

وكيف ينعكس مافى نفس الميت من العلوم المشرقة الكاملة إلى الزائر الحى ؟ .

ولو كان هذا حقاً لصار كل من وقف على قبر نجار ـ نجاراً بفضل ماانعكس عليه من نفس الميت من صناعة النجارة ، ولصار كل من وقف على قبر حداد أو صائغ أو حائك ، أو رسام أو ذى صناعة أيا ماتكن ماهراً فى هذه الصناعة بفضل ماانعكس عليه من نفس الميت من هذه الصناعة ، ولصار من وقف على قبر الكاتب أو الشاعر أو الفيلسوف أو العالم كاتباً أو شاعراً أو فيلسوفاً أو عالماً بفضل ماينعكس على نفسه من نفس الميت من العلوم المشرقة الكاملة .

لو كان هذا حقاً ، ما تعب طلاب العلم فى تحصيله ودراسته وحفظه ، وكان يكفيهم أن يقفوا على قبور العلماء فينعكس مافى أنفسهم من العلم المشرق على أنفس الطلاب فيصدرون عن هذه القبور وهم علماء يشار إليهم بالبنان .

لو كان حقاً لكان يكفى طلاب الفضيلة والخلق الكريم أن يلموا له لمامة قصيرة بقبر فاضل من الفضلاء أو ذى خلق كريم من أولى الأخلاق الكريمة فتنعكس فوراً الفضائل والأخلاق إلى نفوسهم فينقلبوا فضلاء أولى أخلاق كريمة بفضل ما انعكس على نفوسهم من أرواح الموتى الأفاضل .

ما أكثر الذين وقفوا على قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقد ذهبوا إليه يحدوهم الشوق ، ويحفزهم الإيمان ، ولم تنعكس على مرآة نفوسهم أنوار علومه صلى الله عليه وسلم ولا أشعة معارفه ، ولا أضواء أخلاقه ، وقد عادوا كما ذهبوا لم يصيروا علماء ولا حكماء ولا عارفين .

المدهش حقا

والمدهش حقاً : أن أستاذاً جامعياً كبيراً يردد فى ثقة واطمئنان أمثال هذه السخافات ويوردها مورد الحجة والبرهان على أمر من أمور العقائد التى لا تثبت إلا بالنصوص القاطعة من كتاب الله وسنة رسوله .

أوردها سعد وسعد مشتمل　　ماهكذا تورد ياسعد الإبل

* * *

ثم قال الرازى فيما نقل عنه الأستاذ الكبير : (وبهذا الطريق تكون الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور . هذا هو السبب فى شرعية الزيارة) .

وأقول : ما كان لنا أن نتكلم بهذا .

سبحانك ! .

هذا بهتان عظيم ! .

لقد بين الرسول الصادق الأمين ، الذى لا ينطق عن الهوى سبب شرعية الزيارة بقوله الحق « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها فإنها تذكر بالموت » .

إذاً السبب فى أن الله تعالى أباح زيارة القبور أنها تذكر بالموت .

هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرازى يرى أن السبب هو حصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور .

فأى الفريقين أحق بالتصديق ؟ .

نبئونى بعلم إن كنتم صادقين .

ولا أدرى كيف يقر السيد الأستاذ الجليل هذا الباطل ، بل هذا المنكر من القول ويورده مورد الحجة ، ويستدل به على جواز التوسل بذوات الأشخاص ، ويرمى منكريه بالصفاقة بغير حجة ولا برهان .

آيات الله الكونية والعملية

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

(١٥ : ٢٢ ـ ٢٥ وَأَرْسَلنا الرِّياحَ لواقِحَ ، فأنزلنا مِنَ السَّماءِ مَاءً ، فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ، وما أنتم لَهُ بخازنين . وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنميتُ ، ونحن الوارثونَ . ولقد عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ منكم ولقد عَلِمْنَا المستأخِرِين . وإنَّ رَبَّكَ هو يَحْشُرُهُمْ إنه حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

الطهـــــارة والنظافة

بقلم رئيس التحرير

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ، ثم يغتسل فيه » وقال مسلم « ثم يغتسل منه » متفق عليه .

وروى عن محمد بن عجلان . قال : سمعت أبى يحدث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبولن أحدكم فى المـاء الدائم ؛ ولا يغتسل فيه من الجنابة » رواه أبو داود عن مسدد عن القطان عنه . وابن عجلان وأبوه روى لهما مسلم وروى مسلم من حديث بكير بن الأشج : أن أبا السائب مولى هشام بن زهرة حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغتسل أحدكم فى المـاء الدائم وهو جنب . فقال : كيف يفعل يا أبا هريرة ؟ قال : يتناوله تناولا » وأبو السائب لا يعرف اسمه .

أقول : الماء الدائم : هو الساكن الراكد الذى لا يجرى ولا ينتقل من مكانه .

وقد رواه مسلم عن جابر بلفظ « نهى أن يبال فى الماء الدائم » .

وقوله « ثم يغتســل فيه » الرواية بضم اللام مرفوعاً . وليس بمجزوم عطفاً على « يبولن » المجزوم بالنهى .

قال القرطبى : لأنه لو أراد النهى لقال « ثم لا يغتسلن » فحينئذ يتساوى الأمران فى النهى عنهما . لأن المحل الذى تواردا عليه شىء واحد . وهو الماء . قال : فعدوله عن ذلك يدل على أنه لم يرد العطف ، بل نبه على مآل الحال . والمعنى : أنه إذا بال فيه قد يحتاج إليه فيمتنع عليه استعماله . ومثله بقوله صلى الله عليه وسلم « لا يضربن أحدكم امرأته ضرب

الأمة ثم يضاجعها » فإنه لم يروه أحد بالجزم . لأن المراد النهى عن الضرب لأنه يحتاج فى فى مآل حاله إلى مضاجعتها ، فتمتنع منه لإساءته إليهـا . فلا يحصل له مقصوده وتقدير اللفظ . ثم هو يضاجعها . وتقديره فى حديث الباب : ثم هو يغتسل منه اه .

فيكون المعنى المقصود : أنه لا ينبغى للمسلم ولا يليق به أن يبول فى الماء الراكد . ولا أن يغتسل فيه . ونفهم هذا المـاء الراكد ونقدره ونعرف المراد به بمعرفة ما كان عليه الحال فى المدينة . وأنها لم يكن بها برك مستبحرة ولا بحيرات ، وإنما كان ذلك بقايا فى حفر من الأرض تتجمع من الأمطار ، أو من فضـلات سقى زروعهم وبساتينهم من الآبار والعيون . وذلك أمثال مغاطس الحمامات وحياض شرب الحيوانات ، وما يكون فى بعض المساجد من ميضآت . فالبول فيها يقذرها بأنواع من القذر ، ويعرضها لأنواع من الفساد بأسباب الأمراض التى تكون مختلطة بالبول . كذلك الاغتسال يكون منه هذا التقذير بما يتخلف عن أجسام بعض من ينغمس فيها من ذوى الأمراض الجلدية المعدية . ويدل على هذا المعنى الأخير قول أبى هريرة رضى الله عنه « يتناوله تنـاولاً » أى : يغترف منه بحيث لا تسيل الفضـلات إلى الباقى من الماء فتخالطه وتمازجه وإلا يكون كالمنغمس فيه ولا فرق ويقع المقصود بالنهى من التقذير بهذه الفضلات فمجموع روايات الحديث تدل على النهى والتحريم للأمرين مجتمعين ومنفردين . فلا يحل ولا ينبغى لمسـلم أن يبول فى هذا الماء الراكد سواء كان يريد أن يغتسل فيه أولا . وقد رأينا ورأى الناس مغاطس الحمامات والمساجد . وما كانت عليه من اغتسال الناس فيها من قذر شنيع جداً ، ورائحة كريهة ، وما كان ينشأ عن ذلك من أمراض وفسـاد . فمن الخير الكثير جداً للناس : مااتخذ من الحنفيات التى تصب الماء على الأيدى أو من فوق الرءوس (الدش) وكذلك ما كانت عليه ميضآت المساجد وقذرها من كثرة ما كان يصيبها من فضلات الوضوء وغسل الأرجل . وأعتقد أن هذا الحديث يعنى النظافة وتنقية المياه وصونهـا من تلك الأقذار والأمراض أكثر مما يعنى الطهاة والنجاسة ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا بد أن يعنى بالأمرين ، ويهتم لدرء الأذى من الأمراض ، كما يهتم للطهارة والنجاسة . بأبى هو وأمى .

ولئن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاغتسال من هذا الماء الراكد. وحذر منه . فأولى أن يحذر من شربه . فإن الضرر منه أشد وأشد . ومن أراد أن يعرف حكمة ذلك فلينظر لحال الفلاحين وطبقات الفقراء الذين لا يحتاطون لأنفسهم بما أمرهم وأرشدهم الرسول صلى الله عليه وسلم . فإنه يرى من اعتلال صحتهم ، وكثرة مايصيبهم من أمراض فى المعدة والمجارى البولية مايتبين له تمام التبين من شفقة الرسول الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، واتضح له من هذا الحديث مالا يتضح لمن قصره عن المسائل الفقهية فى الطهارة والنجاسة ، وجعله من أبوابها ، ولم يجعله فى أبواب الطب . فلقد كان أجدر به أبواب الطب من أبواب الطهارة والنجاسة والله الموفق .

قال الخطابى فى معالم السنن : وفيه دليل على أن حكم الماء الجارى بخلاف الراكد لأن الشىء إذا ذكر بأخص أوصافه كان حكم ماعداه بخلافه ، والمعنى فيه : أن الماء الجارى إذا خالطه النجس دفعه الجزء الثانى الذى يتلوه فيه ، فيغلبه فيصير فى معنى المستهلك ، ويخلفه الطاهر الذى لم يخالطه النجس . والماء الراكد لايدفع النجس عن نفسه إذا خالطه ، لكن يداخله ويقارُّه . فمهما أراد استعمال شىء منه كان النجس فيه قائماً ، والماء فى حد القلة ، فكان محرما اه .

وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : والتغوط فى الماء كالبول فيه وأقبح ، وكذلك إذا بال فى إناء ثم صبه فى الماء ، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجرى إليه البول ، فكله مذموم قبيح منهى عنه على التفصيل المذكور . ولم يخالف فى هذا أحد من العلماء إلا ماحكى عن داود بن على الظاهرى : أن النهى مختص ببول الإنسان بنفسه ، وأن الغائط ليس كالبول ، وكذا إذا بال فى الماء ثم صبه فى الماء ، أو بال بقرب الماء . وهذا الذى ذهب إليه خلاف إجماع العلماء وهو أقبح مانقل عنه فى الجمود على الظاهر . والله أعلم اه .

هذا ومن عرف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من النظافة التامة فى

ختــان الأناث

للإمام ابن القيم رحمه الله

ختان الأناث ، أو خفضهن على (الأصح) فقد قال الإمام ابن القيم فى كتاب تحفة الودود فى أحكام المولود ـ وناهيك بالإمام ابن القيم علماً وتحقيقاً واتباعاً للسنة :

وقد ذكر حرب فى مسائله عن ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت للخاتنة « إذا خفضت فاسهبى [1] ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه وأحظى لها عند زوجها » وروى

جسمه وثيابه و بيوته ، وكل مايتصل به وأنه كان أشد الناس حرصاً على أن يكون طيباً مطيباً ظاهراً فوق ماطيبه الله معنى و باطناً . وكذلك من عرف سيرة الصحابة وتتبعها تحقيقاً يتضح له أن ماعليه أكثر الناس اليوم فى مياههم و بيوتهم وثيابهم وأجسامهم مناف كل المنافاة لهدى هذا الرسول الطيب المطيب وأولئك الصحابة الأنقياء الأتقياء الأطهار مع ماوقعوا فيه من الوسوسة فى المياه ونحوها ، وشغلتهم المناقشات اللفظية ، والتكلفات الصورية عن حقيقة النظافة الإسلامية والطهارة الإيمانية المحمدية فتراهم يطيلون القول والدرس فى هذه المياه وأحكامها ثم يخرجون منها بما لا يتفق مع حكمة الإسلام التى عناها وقصد إليها فى الطهارة والنظافة ، والبعد عن القذر ، فإن الله طيب لايحب إلا الطيبين بجميع أنواع الطيبات الحسية والمعنوية .

فعليك أيها المسلم بالاقتداء بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى العناية بنظافة ظاهرك ، وطهارة باطنك ، وتطيب قلبك وروحك وجسمك فى كل أحوالك ، لتحشر يوم القيامة إن شاء الله مع أولئك الطيبين المطيبين . حقق الله لى ولك ذلك بمنه وكرمه .

---

(١) من السهب ـ بسكون الهاء ـ مجرد الأخذ ، أو من الاسهاب بمعنى كثرة الأخذ . والنهك : الاستئصال .

أبو داود عن أم عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر خاتنة تختن فقال : إذا ختنت فلا تنهكى ، فإن ذلك أحظى للمرأة عند زوجها وأحب للبعل » .

ومعنى هذا أن الخاتنة إذا استأصلت جلدة الفرج ضعفت شهوة المرأة ، فقلّت حظوتها ، عند زوجها ، كما أنها إذا تركتها كما هى ولم تأخذ منها شيئاً ازدادت غلمتها ، و إذا أخذت منها وأبقت كان فى ذلك تعديلاً للخلقة والشهوة . وهذا مع أنه لا ينكر أن يكون قطع هذه الجلدة علَماً للعبودية ، فإنك تجد قطع طرف الأذن وكى الجبهة ونحو ذلك فى كثير من الرقيق علامة لرقهم وعبوديتهم ، حتى إذا أبق رد إلى مالكه بتلك العلامة ، فما ينكر أن يكون قطع هذا الطرف علامة على عبودية صاحبه لله تعالى حتى يعرف الناس أن من كان كذلك فهو مع عبيد الله الحنفاء ، فيكون الختان علماً لهذه النسبة التى لا أشرف منها ، مع ما فيه من الطهارة والنظافة بالزينة وتعديل الشهوة وقد ذكر فى حكمة خفض النساء : أن سارة لما وهبت هاجر لإبراهيم أصابها فحملت منه ، فغارت سارة ، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء ؛ فخاف إبراهيم أن يجدع أنفها ويقطع أذنيها فأمر بثقب أذنيها وختانها ـ أى أقيم الختان مقام خلع الأنف فصار ذلك سنة فى النساء بعد . ولا ينكر هذا كما كان مبدأ السعى بين الصفا والمروة سعى هاجر بينهما تبتغى لابنها الغوث ، إحياء لسنة خليل الله إبراهيم و إقامة لذكره و إعظاماً لعبوديته .

قال ابن القيم أيضاً : قال صالح بن أحمد : إذا جامع الرجل امرأته ولم ينزل ؟ قال : إذا التقى الختانان وجب الغسل[1] قال أحمد وفى هذا الحديث دليل على أن النساء كن يختتن . وسئل أحمد عن الرجل تدخل عليه مرأته ولم يجدها مختونة أيجب عليها الختان ؟ قال الختان سنة .

---

(١) يشير إلى ماورى أحمد ومسلم عن عائشة « إذا قعد بين شعبها الأربع ، ثم مس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

مطبعة السنة المحمـــدية

١٢ شارع شريف باشا الكبير ـ القاهرة
ت ٧٦٠١٧

الحـــــدث الأكبر

عن عبد الله بن سلمة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من الخلاء ؛ فيقرئنا القرآن ؛ ويأكل معنا اللحم ؛ ولم يكن يحجبه ـ أو قال يحجزه ـ عن القرآن شىء ، ليس الجنابة » رواه أحمد وأبو داود .

« ليس الجنابة » قال الخطابى : معناه غير الجنابة . وحرف « ليس » لها ثلاثة معان . أحدها : أن يكون بمعنى الفعل . وهو يرفع الاسم وينصب الخبر . والثانى : بمعنى « لا » كقولك : رأيت عبد الله ليس زيداً ؛ بنصب زيد كما ينصب بلا . والثالث : بمعنى « غير » كقولك مارأيت أكرم من زيد ليس عمرو . وهو يجر مابعده . اه

وللحديث قصة عند أبى داود : عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة بكسر اللام قال « دخلت على علىّ أنا ورجلان منا ورجل من بنى أسد ـ أحسب ـ فبعثهما على وجهاً ، وقال : إنكما عَلجان فعالجا عن دينكما ، ثم قام فدخل المخرج ، ثم خرج فدعا بماء فأخذ منه حفنة ، فتمسح بها ، ثم جعل يقرأ القرآن . فأنكروا ذلك فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من الخلاء » الحديث .

وقد روى عن مالك أنه كان يمنع من قراءة الجنب ولا يمنع من قراءة الحائض لأن الحائض إن لم تقرأ نسيت القرآن لتطاول أيام الحيض . وروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أنهما كانا لايريان بأساً بقراءة الجنب ، وأكثر العلماء على خلافه ، واستدلوا لقولهم بأحاديث كلها معلولة ، وإن قالوا إنها يشد بعضها بعضاً فتنهض للاستدلال . والذين لايقولون بقولهم يقولون : الأمر فى ذلك على الإباحة الأصلية حتى يقوم الدليل السليم من العلة والوهن على العكس ، ولما يقم ، والحرمة أمر شديد يجب الاحتياط فى إطلاقه . وقد ثبت من حديث عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه » فالذى يظهر لى ـ والله أعلم ـ أنه مكروه ، وأن الأحوط أن يكون طاهراً ، إلا إذا مست حاجة كأمر

بمعروف أو نهى عن منكر أو نصيحة يدعو الوقت إليها ، أو استذكار آية أو موضوع من القرآن فى مكان ووقت لا يتيسر فيه التطهر . وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ، ما كان يترك ذلك . وثبت أيضاً أنه كان ينام فى بعض الليالى جنباً بعد أن يتوضأ و يغسل فرجه .

والانتفاع بتلاوة القرآن وتدبره وتطهير القلب بهدايته خير وأرجح بكثير مما يتشدد فيه أكثر المتفقهين . وقد جر هـذا التشدد كثيراً من الناس إلى فهم أن تعظيم القرآن بتعظيم ورقه وحروفه ؛ فغلوا فى ذلك وشغلوا به عن تعظيم شرائعه وهدايته وحدوده وأحكامه ، فترى أكثرهم لا يبالى بالعمل بالقرآن ولا بعقائده وأخلاقه ، وإنما كان الجهاد من أجلها ، ويتشدد فى مس جلده وورقه ، ويتقعر فى قراءة ألفاظه ، وهذا تضييع للب ومحافظة على القشور ، وليس هذا من هدى الصحابة رضى الله عنهم .

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صراطه المستقيم .

• • •

أحسن ما قرأت

قراءة الفاتحـــــــــة للميت

لفضيلة الأستاذ حسن مأمون
مفتى الديار المصرية

قرأت فى يوميات « الأخبار » يوم الثلاثاء المـاضى أن أحد المواطنين سأل الأستاذ كامل الشناوى عن جواز قراءة فاتحة الـكتاب ، واهداء ثوابها الى زوجته ، التى توفيت فى ميعة الصبا ، وكانت ترغب فى اعتناق الإسلام ، ولـكن اجراءات شهر الإسلام لم تتم قبل وفاتها ، وقد رغب الأستاذ كامل الشناوى أن أجيب هذا المواطن على سؤاله .

وردى على هذا السؤال أن هذه المسألة خلافية . والمتفق عليه أنه لم يرد عن أحد من السلف أنه قرأ القرآن وأهدى ثوابه الى الميت ، وأما المتأخرون فقد اختلفوا ، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه ، فقد جاء فى تنقيح الحامدية لابن عابدين مانصه واختلفوا فى وصول ثواب قراءة القرآن ، اذا قال القارىء اللهم أوصل ثواب ماقرأته الى فلان قال بعضهم لايصل اليه ، لأنه ماهو من سعى الميت ، والانسان ليس له الا ماسعى . وقال بعضهم يصل اليه ، وهو المختار ، ثم نقل عن الاتقان ، للسيوطى الشافعى ، قوله ان الأئمة الثلاثة اجتمعوا على وصول ثواب القراءة للميت ، ومذهبنا خلافه لقوله تعالى : «وأن ليس للانسان إلا ماسعى» ثم نقل الحافظ ابن حجر العسقلانى ، أنه قال إن هذا مخترع من متأخرى القراء ، ولا أعرف لهم سلفا فيه .

وقد بحثت هذه المسألة بحثاً مستفيضاً واطلعت ما استدل به القائلون بوصول ثواب قراءة القرآن للميت ، واختار القول بالمنع ، لأنه لو كان ديناً وشرعاً لنقل عن الرسول وسلفه الصالح ، ولأن نصوص القرآن صريحة فى أن كل نفس لها ما كسبت ، وعليها ماا كتسبت . فلانعدل

عن هذه النصوص الصريحة ، الا اذا كانت هناك أدلة من السنة تصلح مخصصة لعموم الـكتاب ، وعليه تكون قراءة القرآن عبادة ، ثوابها يعود على القارىء .

ويتصل بهذه المسألة الدعاء للميت ، وقد نقل ابن عابدين اجماع العلماء على أن الدعاء لأموات المسلمين ينفعهم لقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) ولقوله عليه الصلاة والسلام : اللهم اغفر لأهل البقيع . وقوله : اللهم اغفر لحينا وميتنا . وقد شرعت الصلاة على الميت ، وهى دعاء له ، كما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه اذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وولد يدعو له ، وعلم ينتفع به . وانما انتفع الميت بذلك لأنه فى الواقع متصل بعمله فى الدنيا ، والولد يعتبر جزءا من الوالد ، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً قوله : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لاينقص من أجورهم شيئاً،ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً . كما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جواز الحج عن الميت ، قياساً على قضاء ماعليه من الديون من الأموال التى تركها .

ويحسن الاقتصار فى المسائل التعبدية على ما ورد فى الـكتاب والسنة ، كما أنه يجب على كل مسلم ألا يتوانى فى العمل الصالح الذى ينفعه فى الآخرة ، وأن يكون قدوة حسنة بقوله وفعله ، ليزيده ذلك ثواباً على عمله ، والا يعتمد على غير ذلك ، لأنه أولا غير مضمون. ولأنه أيضاً لاينفعه نفع عمله . أما زوجة السائل فان كانت قد أسلمت فعلا ، ولم ينقصها الا شهر اسلامها ، فيجوز الدعاء لها . .

إلى السادة مشتركى العراق

نرجو من جميع السادة المشتركين بمجلة الهدى النبوى فى العراق أن يبادروا بدفع بدل الاشتراك . أو إرساله بالبريد (إذا كانوا خارج الموصل) أو تسديد بدل الاشتراك السابق إلى السيد محمود حمدى الجراح ، محلة إمام عوف الدين بالموصل العراق .

وبدل الاشتراك ٤٠ فلس الإدارة

قوم ... غمرتهم سكرة الشهوة فأعمتهم

وقادهم شيطان الفاحشة ...

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

(١٥ : ٦٧ ـ ٧٨ وَجَاءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ، قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ، وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ، قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : هٰؤُلَاءِ بَنَاتِى إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ، لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ، فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ، فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ، إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ، وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ، إِنَّ فى ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) .

و « السكرة » الحالة التى تنشأ عند مايغشى الإنسان من شراب المسكر ، أو من الهم والخوف والفزع ، أو من استيلاء العشق وتمكن سلطان الهوى والغفلة ـ ينشأ عن كل ذلك حالة السكر التى تُسكِّر وتغلق مجرى العقل عن التصرف فى صاحبه ، و بالأخص سكر العشق ـ بحيث يكون سكران العشق والبهائم المتوحشة المفترسة سواء . لا تخطر له العواقب على بال ما دام فى سكرته . فهو يتخبط مسرعا بكل قوته البهيمية فى ظلمات غيه و بغيه ، لايدفعه إلا غليان الشهوة المشتعلة ، ولا يقوده إلا شيطان الفاحشة .

فكم يلقى بنفسه فى متالف ، وكم يجنى عليها من جنايات تقشعر من هولها الأبدان وهو أعمى أصم أبكم ، لا يفيق حتى تقع به الكارثة ، ويحل به و بيل العذاب ولذلك قال ر بنا الحكيم سبحانه « يعمهون » والعمه : أشد من العمى . لأن العمى فى البصر ، والعمه فى البصيرة والقلب . وأعمى البصر يعطيه الله فى بقية حواسه مايخفف عنه مصيبة فقد البصر . ولكن عمى القلب والبصيرة لا يفيد معه بصر العينين ولا بقية الحواس شيئاً ، لأنه ـ والعياذ بالله ـ قتل الإنسانية بجميع مزاياها وخصائصها وعمى عليها كل المسالك . نسأل الله العافية .

وإنك حين تتلو هذه الآيات وأخواتها فى مقابح ومخازى قوم لوط ، وتتأملها حق التأمل لتراها مفسرّة أوضح تفسير ، ومبينة أظهر بيان فى خلفائهم وورثتهم فى هذا الزمان ، وفى كل زمان مضى ويأتى . وإنه وإن لم يحل بهم من عذاب ربك ما حل بسلفهم من قوم لوط ، فأمعن النظر فيهم ، وحقق التأمل ترى لعنات الله تحصبهم ، وتعجل لهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون . فإن لم يرجعوا ـ وقل أن يرجعوا ـ فإن هذا الداء الوبيل ، وذلك الانتكاس القذر يحطم كل عناصر الانسانية ، بل يحطم كل عناصر الحيوانية ـ فلابد أن يصيبهم ما أصاب قوم لوط فى الدنيا والآخرة . ولكن أكثر الناس لايشعرون .

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

— ١ —

الأسئلة

س ١ ـ مامعنى مقام إبراهيم فى قوله تعالى : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) إذ بعض الناس يحتج بهذه الآية ، وبوجود قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور صاحبيه فى مسجده على جواز اتخاذ القبور على المساجد ، وعلى جواز شد الرحال إلى قبور الصالحين ، أفتونا مأجورين .

القاهرة عبد المجيد صالح

س ٢ ـ سمعت بعض المسئولين يقرر فى حديث إذاعى فى تقدمة التلاوة لقصة موسى والخضر من سورة الكهف ـ أن هناك علماً باطناً هو الذى عمل الخضر بمقتضاه الأمور التى تخالف شريعة موسى الظاهرة ، فهل صحيح أن هناك علمين : علماً ظاهراً وعلماً باطناً ـ أفتونا مأجورين .

سوهاج عبد الحليم الشرقاوى

ب — الأجوبة

الإجابة عن السؤال الأول

الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فإن مقام إبراهيم الوارد فى الآية الكريمة . هو المكان الذى كان يقوم فيه من البيت الحرام للصلاة وعبادة الله تعالى ، وليس مسكنه ولا قبره .

وليس فى هذه الآية دليل على جواز اتخاذ المساجد على القبور ، ولا على جواز شد الرحال إليها . إذ ليس فى البيت الحرام قبور كما يتوهم الذين لا يعلمون .

أما قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبور صاحبيه فلم تكن فى مسجده عليه الصلاة والسلام ، و إنما كانت فى حجرة عائشة عليها الرضوان ، وكانت الحجرة مجاورة للمسجد من الجهة الشرقية ولما وسع المسجد فيما بعد ، وأضيفت إليه بقاع من جميع جهاته وقعت هذه الحجرة بين المسجد . والبقعة التى أضيفت إليه من الجهة الشرقية ، ولكنها لا تزال مفصولة عن المسجد ببناء داخلى يحيط بالقبور الثلاثة و بسياج خارجى ، وعلى كل حال فهذا الوضع لم يقره الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أقره خلفاؤه الراشدون .

ولو أن الذين عملوا على توسيع المسجد ضاعفوا الزيادة من الجهة الغربية ، وأبقوا الجهة الشرقية على حالها . وعلى الوضع الذى كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين لكان خيراً . ولعل الحكومة السعودية التى تقوم الآن بإعادة بناء المسجد ترده من جهته الشرقية إلى ما كان عليه فى عصر الخلفاء الراشدين . دفعاً لهذه الشبه التى يثيرها المغرضون .

ومهما يكن من أمر فإن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة محظور شرعاً بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

واتخاذ المساجد على القبور محظور بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

والمسلمون لايشدون الرحال لقبر النبى صلى الله عليه وسلم ولكنهم يشدونها لمسجده الذى أذن فى شد الرحال إليه ـ لزيارته والصلاة فيه ، لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام كما جاء فى بعض طرق الحديث .

و إذا صاروا فى المسجد الشريف كان القبر على كثب منهم لا يحتاجون إلى شد الرحال إليه فيقومون عليه و يسلمون على النبى صلى الله عليه وسلم و يحيونه و يثنون عليه بما هو أهله .

ولا دليل فى هذا على جواز اتخاذ القبور مساجد ، ولا على جواز اتخاذ المساجد على القبور ، ولا على إباحة شد الرحال إليها ، والله أعلم .

الإجابة عن السؤال الثانى

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فليس هناك علم باطن عمل الخضر عليه السلام بمقتضاه ، وإنما عمل الخضر بمقتضى وحى أوحاه الله تعالى إليه - وأمره أن يعمل به ، بدليل قوله عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه فى سورة الكهف : (وما فعلته عن أمرى) أى أنه لم يعقل مافعل من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار ، من تلقاء نفسه ، ولا بشعور باطنى دفعه إلى عمله ، ولكنه فعله بأمر الله الذى أوحاه إليه . وأيقن هو أنه وحى من الله ، وهو الذى أشار إليه الله تعالى بقوله : (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) .

ولذلك يقول الخضر لموسى فيما رواه البخارى من حديث أبى بن كعب : « إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه » .

وهذه العقيدة الفاسدة عقيدة العلم الباطن هى التى طوعت لبعض شيوخ الطرق الصوفية أن يقترفوا الكبائر جهاراً ، وأن يوهموا مريديهم أن التكاليف الشرعية قد سقطت عنهم بمقتضى العلم الباطن كما سقطت عن الخضر فى قصة موسى فى خرق السفينة وقتل الغلام .

والحق أن موسى كان ينظر إلى الأمور بمقتضى ماأوحى الله إليه ، وأن الخضر كان يعمل بمقتضى وحى الله ، وأن الخضر كان نبياً أوحى الله إليه بشرع يعمل به فى خاصة نفسه ، وأن موسى كان نبياً ورسولا أوحى الله إليه بشرع يعمل به ويبلغه ، وأن الخضر لم يكن يعمل بمقتضى علم باطنى ، بل بمقتضى وحى إلهى ، وأن شرائع النبى والرسول قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتحد فى جوهرها وأصولها ولكنها تختلف فى الفروع ، وأن النبى والرسول كانا يجتمعان فى عصر واحد ، وكل منهما يعمل بشريعته الخاصة .

ولكن شريعة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم نسخت الشرائع جميعاً ، ولم يكن معه صلى الله عليه وسلم نبى ، ولن يأتى من بعده نبى لأنه خاتم النبيين ، وقد انقطع نزول الوحى إلى الأبد منذ التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى . فليس لدينا إلا شريعة واحدة هى شريعة الإسلام بعقائدها وعباداتها ومعاملاتها وأخلاقها وآدابها وتكاليفها ، وهى المدونة

جماعة أنصار السنة المحمدية

دعوتهـــــــا

نريد أن يكون الدين حالاً قائمة بالنفس تدفع صاحبها إلى الاستقامة على الطريقة ، وفعل الخير ومجانبة الشر ، لا ألفاظاً يتحرك بها اللسان ، بغير أن يكون لها أثر فى الوجدان .

نريد أن يكون الدين يقيناً فى القلب وطمأنينة فى النفس .

نريد أن تصلح نفوس هذه الفئات التى اتخذت الدين مرتزقا .

نريد أن يكون المسلمون أمة واحدة يقيمون دينهم ولا يتفرقون فيه ، وأن تزول من بينهم هذه النزغات التى جعلتهم يفرقون دينهم فيكونون بتفريق الدين شيعاً يذوق بعضهم بأس بعض .

نريد الرجوع بالمسلمين إلى سابق إيمانهم وسالف سلطانهم ، ولتكون كلمة الله هى العليا بعزة أوليائه ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى بذلة أعدائه .

نريد أن تتحطم هذه الطواغيت والأصنام التى أقيمت باسم الأولياء والصالحين و باسم الكتب والمؤلفين ، التى انبثت فى مشارق الأرض ومغاربها ، فصرفت الناس عن توحيد الله وعبادته إلى عبادتها وطاعتها وعن الضراعة إليه إلى الضراعة إليها ، وعن الاستعانة به إلى الاستعانة بها ، وعن القسم به إلى القسم بها ، وعن النذر له إلى النذر لها ، وعن الطواف ببيته إلى الطواف بأضرحتها ، وعن التحاكم إلى كتابه ورسوله إلى التحاكم إليها .

فى كتاب الله ، والصحيح من سنة رسول الله ، وكل ماعداها باطل ، وكلها شريعة ظاهرة ليس فيها علم باطن ، فإذا تصرف شخص تصرفاً مخالفاً للشريعة الإسلامية بدعوى أنه أوتى علماً باطناً فهو مفتر كذاب . والقول بالعلم الباطن مما يفتح على الناس أبواب الشرور و يطوع للدجالين أن يقترفوا الكبائر ، و يعثوا فى الأرض مفسدين متخذين من العلم الباطن در يئة تقيهم لوم اللائمين ، وتثريب المثربين . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

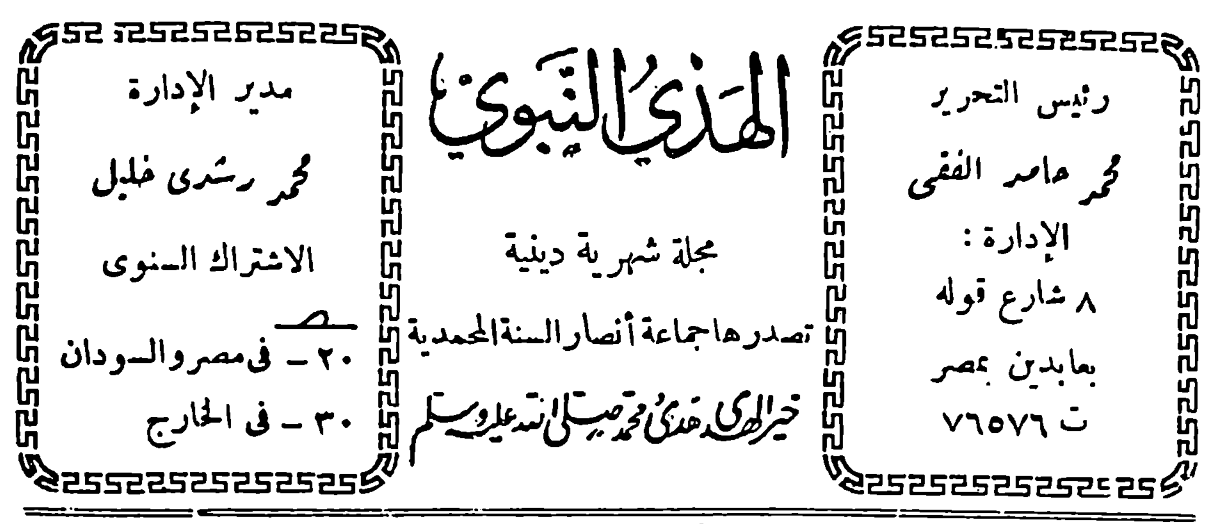
أبو الوفاء محمد درويش



الهدى النبوی
خیر الهدی هدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم

الفهرس

الثمن ٢٠ مليما



الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد حامد الفقى
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٢٠ ـ فى مصر والسودان
٣٠ ـ فى الخارج

المجلد ٢٠ — ربيع الأول سنة ١٣٧٥ — العدد ٣



أساطير صوفيـــة

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

[فصل من كتاب « هذه هى الصوفية » الذى أتم أخونا الأستاذ عبد الرحمن الوكيل تأليفه ، ويقدمه قريباً إن شاء الله إلى المطبعة]

القطب وأعوانه

أسطورة تَنزِعُ إلى تجريد الذات الإلهية من الربوبية والإلهية ، وخلعهما على وَهْم خرافى سمى فى الفلسفة « بالعقل الأول » وفى المسيحية « بالكلمة » وفى الصوفية « بالقطب » وهو عندهم أكمل إنسان متمكن فى مقام الفردية ، أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويُفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه(١) . وللقطب عند الصوفية معنيان . هذا أحدهما . يقول

(١) انظر جامع الأصول للكمشخانلى والتعريفات للجرجانى تحت مادة «قطب»

القاشانى : « وهو إما قطب بالنسبة إلى مافى عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال . أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات فى عالم الغيب والشهادة ، ولا يستخلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة لايسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوى المخاطَب بلولاك لما خلقت الكون »[1] .

فالقطب بالمعنى الأول : حِسِّىٌّ أو حادث ، وبالمعنى الآخر معنوى أو قديم وهو الحقيقة المحمدية .

مرتبة القطب وعلمه : يقول صوفى تيجانى وهو يتحدث عن مراتب الرجال : « الثالثة مرتبة القطب ، وهى فى غيب الغيب مكتومة لاتذكر ، ولا يعرفها إلا صاحبها ، وهو القطب الجامع ، ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلم علم ماقبل وجود الكون وما وراءه ومالا نهاية له ، وأن يُشهده الذات بعين الذات ، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات وهى الأسماء العالية ، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه ، وما احتوى عليه »[2] .

خصوصية القطب : « قطب الأقطاب فى كل وقت منذ جلوسه على كرسى القطبانية ، لاتقع بينه و بين رسول الله حجابية أصلا ، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ، ومن حضرة الشهادة ، إلا وعين قطب الأقطاب ، متمكنة من النظر إليه ، لايحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات »[3] .

حقيقة القطب : « ويشرح لنا كاهن التيجانية الأكبر أبو العباس أحمد حقيقة القطبانية ، فيقول : « إن حقيقة القطبانية هى الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً فى جميع

---

(١) ص ١٠٣ جـ ٢ كشف الوجوه الغر للقاشانى وقد ادعى ابن الفارض أنه قطب الأقطاب في دارت الأفلاك ، فاعجب لقطبها الـ محيط والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

(٢) ص ٧٩ جـ ٢ جواهر المعانى (٣) ص ٦٣ المصدر السابق

الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من له عليه ألوهية لله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق ، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، وتوليه ونيابته عن الحق فى ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها ، ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا ؛ فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها ، و إنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فى أرواحها وأشباحها ، ثم تصرفه فى مراتب الأولياء ، فيذوق مختلفات أذواقهم ، فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف فى جميعها ، والممد لأربابها ، به يُرْحم الوجود و به يفيض الإفادة على جميع الوجود ، و به يبقى الوجود فى حجاب الرحمة واللطف ، و به يبقى الوجود فى بقاء الوجود رحمة لكل العباد ، وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية . وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية ، ذاته مرآة مجردة يشهد كل قاصد فيها مقصده »[1] . وحسبك هذا عن تلك الأسطورة[2] التى ألهتْها الصوفية ، وجعلت منها رباً أكبر يُعْبد ، و يُخْشَى ، و يُرْهَب !!

أعوان القطب : أولا : الإمامان ، وهما بمنزلة الوزيرين له ، أحدهما لعالم الملكوت والآخر لعالم الملك . ثانياً : الأوتاد الأربعة[3] ، وقيل : هم ثلاثة كلمات قطب الوقت ، أقيم مكانه واحد منهم ، ويزعمون لهم أنهم إذا ماتوا فسدت الأرض ، وأنهم يأخذون

(١) ص ٨١ وما بعدها جواهر المعانى .

(٢) كتبنا عنه مقالا ضافياً فى مجلة الهدى النبوى فراجعها . والعجيب أن ابن الحاج ــ وله سابقة فى محاربة البدعة ــ يؤمن بهذه الأسطورة ، ويصفه فى كتابه المدخل : « إن الله تعالى يديره فى الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء » انظر ص ٣٢٨ مشتهى الخارف الجانى لمحمد بن الخضر بن عبد الله الجكنى الشنقيطى . وهكذا تقتل الصوفية بخداعها كل من يظن بها ظناً واحداً من خير .

(٣) الأوتاد الأربعة على أركان البيت فى دين الصوفية ، كل واحد منهم على ركن منه ويكون كل واحد على قلب نبي فالذى على قلب آدم له الركن الشامى وعلى قلب ابراهيم العراقى وعلى قلب عيسى اليمانى ، وعلى قلب محمد صاحب ركن الحجر الأسود !

الفيض من قطب الأقطاب . ثالثاً : الأبدال ، والبدل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذى رحل عنه ذلك الولى ، فإن ظهر شوق شديد من أناس ذلك الموطن لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله ، فكلمتهم ، وكلموها ، وهو غائب عنهم . وعدد الأبدال أربعون ، اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق !! رابعاً : النجباء . وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر !! وهم المشتغلون بحمل أثقال الخلق ، وعددهم سبعون !! خامساً : النقباء ، وعددهم ثلثمائة ، وقيل خمسمائة ، وهم الذين استخرجوا خبايا الأرض[1] .

تلك هى مملكة الأساطير ، ابتدعتها خرافات الصوفية الحمقى ، وخيالاتهم المخبولة ، ليستعبدوا الخلق لما يشتهون ، وليجعلوا منهم أحلاس رهبة منهم ، وخوف مذعور . تلك هى المملكة التى وضعتها الصوفية مقابل ملكوت الله !! وكل صوفى بها يؤمن ويدين . ترى ماذا بقى لله وملائكته ورسله ؟!

خاتم الأولياء

فضلت الصوفية الولاية على النبوة ، وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتما ، والعنكبوت الذى نسج اللعاب الأول من هذه الأسطورة هو الحكيم الترمذى[2] قال السلمى : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية ، وكتاب علل الشريعة ، وقال : إنه يقول : إن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتما وأنه يفضل الولاية على النبوة ، فجاء إلى بلخ ، فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذهب »[3] . ويقول ابن تيمية : « فى كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ماذكره فى ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون فى المتأخرين من درجته عند الله أعظم

(١) انظر ص ٣٢٨ وما بعدها مشتهى الخارف الجانى ، ص ١٠٤ من كشف الوجوه الغر للقاشانى .

(٢) هو محمد بن على بن الحسن بن بشير « أو بشر » الترمذى المعروف بالحكيم ـ وهو غير صاحب السنن عاش إلى حدود العشرين بعد الثلثمائة .

(٣) ص ١٧٠ جـ ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده طبع حيدر أباد بالهند

من درجة أبى بكر وعمر وغيرهما .. ومنها أنه ذكر فى كتابه ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة - ولو أنها التطوعات المشروعة - أفضل فى حق الكامل ذى الأعمال القلبية ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء »[١] . وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة تتم نسج ثوبها المهلهل . قال ابن عربى فى الفصوص - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مِشْكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة - أعنى نبوة التشريع - تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون من فالمرسلون من كونهم أولياء ، لا يرون ماذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فكيف مَنْ دونهم من الأولياء ؟ »[٢] .

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين : لقد زعم ابن عربى فى النص الذى نقلناه آنفا أن الرسل جميعاً لا يستمدون أشرف علومهم - وهو العلم بالله وصفاته وأسمائه - إلا من علم خاتم الأولياء وهاهو يفضله على خاتم النبيين بخاصة ، فيقول : « ولما مثل النبى صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللَّبِن ، وقد كَمُلَ سوى موضع لبنة ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم ، لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء، فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى مامثله به رسول الله ، ويرى فى الحائط موضع لبنتين - واللبن من ذهب وفضة - فلا بد أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط . . كما هو آخذ عن الله فى السر ماهو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ماهو عليه ، فإنه آخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك

(١) ص ٥٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود لشيخ الإسلام ابن تيمية طبع المنار .

(٢) ص ٦٢ ج ١٠ فصوص بتحقيق الدكتور عفيفى

الذى يوحى به إلى الرسول[٢]» يعنى أن خاتم الأولياء يأخذ علمه عن الله مباشرة ، أما الرسل جميعا فيأخذون علمهم عن الله بواسطة الملك . وابن عربى يشير بقوله ذلك إلى الحديث الصحيح الذى مثل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مابعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تَنْقُصُه لَبِنَة ، وأنه هو الذى جاء بتلك اللبنة يعنى أنه هو الذى أتم الله به على المسلمين دينهم . ولـكن ابن عربى يزعم أن الدين كان ناقصا لبنتين ، فأتى محمد بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه و بلبنة أخرى ، فلم يتم دين الله إلا على يد خاتم الأولياء !! أين هذا من قول الله (٥:٣ اليوم أكملت لـكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لـكم الإسلام دينا)

ادعاء كل شيخ هذه المرتبة : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة ، لاحقيقة لها ، وصار يدعيها لنفسه ، أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعها إلا مَنْ فى كلامه من الباطل مالم تقله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ويدعى هؤلاء وأمثالهم من الأمور مالايصلح إلا لله وحده ، كما قد يدعى المدعى منهم لنفسه أو لشيخه ماادعته النصارى فى المسيح[١]» وحق مايقول شيخ الإسلام من أنه ادعتها طوائف كثيرة لشيوخها ، قال ابن عربى فى الفتوحات : « إنه رأى حائطا من ذهب وفضة كمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة فانطبع هو فى موضع اللبنتين : قال : وكنت لاأشك فى أنى أنا الرائى . ولا أنى أنا المنطبع فى موضعها و بى كمل الحائط . ثم عبرت الرؤيا بانختام الولاية بى[٢] » وادعتها التيجانية لشيخها الأكبر أحمـد . قال أحد أتباعه : « الفصل السادس والثلاثون فى ذكر فضل شيخنا ، و بيان أنه خاتم الأولياء ، وسيد العارفين ، و إمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث . . . الخ[٣] » .

لماذا فضل خاتم الأولياء على خاتم النبيين؟ : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «ثم صاحب

---

(١) ص ٦٣ المصدر السابق .

(٢) ص ٦٣ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين (٣) نقلا عن رماح حزب الرحيم ص ١٥ جـ ٢ لعمر بن سعيد (٤) المصدر السابق .

الفصوص وأمثاله بنوا الأمر على أن الولى يأخذ عن الله بلا واسطة والنبى يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة[١] » وتقرير ابن تيمية حق ، فطيفور البسطامى يقول لأهل الشريعة وأتباعها « أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت[٢] » ويقول « خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله »[٣] .

وقال ابن عربى : « علماء الرسوم ـ يعنى أهل الشريعة ـ يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه فى صدرهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم[٤] » .

يعنون أن الشريعة الإسلامية إنما يأخذها أتباعها عن أناس قبلهم ، وهؤلاء عمن قبلهم ، حتى تنتهى السلسلة إلى محمد صلى الله عليه عليه وسلم . وكل أولئك قد ماتوا : أما الصوفية ، فلهم صلات مباشرة مع الله ، يأخذون عنه بلا واسطة ملك أو نبى أو رسول !! وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد ، والإيمان بما يفتريه طواغيتهم !!

« الذكر الصوفى »

فى أعياد الأصنام التى يسمونها موالد ، وفى معابد الأضرحة التى يسمونها مساجد ، وفى بيوت الدراويش ، وقد أتخموا بطون شيوخهم بالسحت ، وقوت الأرامل . فى تلك الحمآت يقيم الصوفية حانات الذكر ، أو الرقص .

يجلس الشيخ بين صفين من دراويش ودرويشات ثم يصفق بيديه إيذانا ببدء الذكر ، ثم يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحدا فى حروفه ، والنطق به ، ومنشد القوم يطربهم بالغزل الداعر فى ليلى أو سعاد ، أو بالدفوف والنايات ، ثم يهب الشيخ واقفاً ، ويهب معه المريدون ، وهناك يميلون يَمْنَةً ويَسْرَةً مُتَأَوِّدَة أعطافهم تَأَوُّدَ الراقصات يردن استلاب

(١) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) ص ٢٤٦ الكواكب الدرية لعبد الرءوف

(٣) النادى ص ٦٣ جـ ٢ جواهر المعانى

(٤) ص ٢٤٦ الكواكب الدرية .

ما فى الجيوب !! وماهى إلا لحظة حتى تُجَنَّ هذه الأجساد ، وتجن مافيها من رغبات مكبوتة ، فتفصح عن نفسها بالتنهيد ، والتأوه والتمايل الخليع ، والأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الشهوة والاستغاثة بزينب ، أو نفيسة ، لايريدون زينب الطاهرة ، ولا نفيسة العابدة ، وإنما يريدون بهما شيئاً آخر ، فكل يُغَنِّى على أنثاه !!

وهكذا يظلون فى اقتراف تلك الخطيئة ساعة ، أو ساعتين ، كلٌّ يريد أن يثبت للعيون الرانية فى لهفة ، والزغاريد المغازلة فى شوق أنه حيوان قوى الجسد !! وبعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلى !! ولكم باعت أم قوت يتيمها ، وزوج ستر امرأته ، فى سبيل « شيشة » الشيخ و « حشيش » الدراويش وهم يرقصون فى حانات الذكر !!

أتراني بالغت ؟ أم أنى قَصَّرْت ؟ إخالك تنزع إلى اتهامى بالتقصير فكل تقع عيناه على مشاهد الصوفية فى حانات ذكرهم ، يعربدون حتى يضج منهم الليل !! تقع عيناه على مشاعل المجوس تتوهج كرغبة الفاجر ، وعلى الدفوف بأيدى فتية أسبلوا شعورهم ، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه ، فراحوا يتكسرون على النغم الشرود ، ويهصرون غصونهم على النظرات الراغبة ، وشيخ الطريقة سعيد ، لأن شباك فتيته توقع فى حبالها الهائمين . هذا يحدث وتراه ونراه . دون أن نسمع النكير عليهم من أحد .

فما هكذا ذكر الرسول ربه ، وهو صلى الله عليه وسلم سيد الذاكرين ، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم . ماذكره باسم المفرد ، ولا ذكروه فى ميل وتَأَوُّد ، ماذكروه بقيادة واحد منهم ، ينطق بالاسم ، وينطقون به وراءه ، ماذكروه ولهم منشد يغازل ليلى وسعاد ، ماذكروه ، وأصواتهم من ضجيجها تقلق الليل ، وتفزع جنباته ، ماذكروه بالنايات والطبول والدفوف . ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله . فلوا الصوفية من أين جئتم بهذا الذكر ؟ جاءوا به من المسيحية ، واليهودية .

الذكر الصوفى بدعة يهودية : فقد جاء فى المزمور التاسع والأربعين بعد المائة « غَنُّوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحة فى جماعة الأتقياء ، ليفرح إسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ، لِيُرَنِّمُوا . . . هللويا . سبحوا الله فى

قدمه . . . سبحوه برباب وعود . سبحوه بدف ورقص . سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف [1] » .

وهكذا يذكر الصوفية ، وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون فيها ، لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفى والبدعة اليهودية .

الشيخ جاسوس القلب : ويوجب الصوفية على الدرويش حال الذكر « أن يستحضر شيخه ، فالطريقة تحتاج للرفيق ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه ، فيقول : مددك يا أستاذى ، وأن يرى أن استمداده منه عين استمداده منه صلى الله عليه وسلم ، فإنه الواسطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ، فيقول : دستور يا أستاذى ، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدَم ، وهم أهل السلسلة . فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقدَم [2] » . وهكذا يجب على المريد قبل أن يذكر ربه ، أن يتلطخ بهذه الوثنية ، وأن يستأذن كل هذه الوسائط الصنمية حتى يمكن أن يتقبل الله ذكره ! ! .

كيفية الذكر : « أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، وأن يبدأ « بلا » يمينا ، ويرجع « بإله » فيتوسط ويختم « إلا الله » يساراً قبلة القلب ، فإن ذكر اسماً مفرداً كالله ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره ، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، وينتزعُ الكلمةَ من سُرَّتِه إلى قلبه [3] » . هذه « البهلوانية » الرعناء ، هى صورة الذكر الصوفى ، ترى هل كان رسول الله يهتز حين يذكر ربه ، يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، أو يضرب بذقنه صدره ؟ .

---

(١) المزامير ، العهد القديم . ص ٦٤١ .

(٢) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى ، ص ٨٦ من رسالة منحة الأصحاب لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبي .

(٣) نفس الصفحات من المصدرين السابقين .

أما رفع الصوت : فالله تعالى يقول : (١٧: ١١٠ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا) .

صيغ الذكر الصوفى : من آداب المريد « أن يذكر مالقنه له أستاذه ، فلا يتجاوزه إلى غيره [1] » لهذا تعددت صيغ الذكر عند الصوفية تبعاً لتعدد طرقهم ، فجماعة تذكر بالاسم المفرد « الله » وجماعة « حى حى » وجماعة « هو هو » وجماعة « أه أه » وكل شيخ يحرم على أتباعه أن يذكروا بما تذكر به الطرق الأخرى ، بل اسمع إلى ابن عطاء الله السكندرى يؤكد أن بعض أسماء الله لاينفع الذكر بها فى بعض الأحوال ، بل ربما يوقع فى الضرر « اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ! ! اسمه تعالى الْعَفُوُّ يليق بأذكار العوام ؛ لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره . اسمه تعالى المولى ، ولا يذكره إلا العباد ؛ لاختصاصهم به ، فإن ذكره مَن فوقهم فهو بمعنى آخر . اسمه تعالى الغافر يُلَقَّنُ لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب .

وأما من يصلح للحضرة ؛ فذكر مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة . اسمه تعالى المتين وهو الصلب وهذا الاسم يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين [2] » .

ويستمر ابن عطاء فى سرد هذا البهتان حتى يستوفى أكثر أسماء الله ، والله تعالى يقول : (١٧ : ١١٠ قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيًّامَّا تدعو ، فله الأسماء الحسنى) ويقول سبحانه (٧ : ١٧٩ ولِلهِ الأسماء الْحُسْنَى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يُلْحِدُونَ فى أسمائه ، سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون) فهل تجد رحماً بين حق القرآن و باطل الصوفية ؟ ! تدبر الآية الأخيرة ، ففيها الرد عليهم ، وفيها نَعْتُهُم الحق ، وفيها الجزاء الذى أُعِدَّ لهم .

ذكر رسول الله : ومن عبير السنة المطهرة يسطع عليك مايشفى روحك ، فقارن بينه و بين ذلك الْيَحْمُوم .

---

(١) ص ٣٠ رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى .

(٢) ص ٢٣ وما بعدها كتاب مفتاح الفلاح لابن عطاء . ط ١٣٣٢ هـ .

قال صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله و بحمده ، مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممـا جاء به إلا أحد قال مثل ماقال ، أو زاد عليه » رواه مسلم .

وقال : « سيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك من شَرِّ ماصنعت أَبُوء لك بنعمتك علَيَّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . . . من قالها حين يمسى ، فمـات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه ، دخل الجنة » . رواه البخارى .

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا قام إلى الصلاة فى جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت قيَّام السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، و بك آمنت ، وعليك توكلت ، و إليك أنبت ، و بك خاصمت ، و إليك حا كمت ، فاغفر لى ماقدمت وما أَخَّرْتُ ، وما أسررت وماأعلنت ، أنت إلٰهى ، لا إلٰه إلا أنت ، ولا حول ولا قوه إلا بك » .

أرأيت إلى هذا الذكر النبوى الجامع ؟ إنها ضراعة العبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء . فما فيه ضرب الذقن بالصدر ! ! مافيه هزة الرأس إلى أخمص القدم ! ! مافيه التَّنَاوُحُ بالرأس يَمْنَةً ويسرة ، مافيه مُنْشِدٌ ولا دُفٌّ ولا شبابة ! ! مافيه دائرة يقف بينها نُصُبٌ ، يميل معه الدراويش حيث يميل ! ! إنما فيه قلب مؤمن ضارع ، يتوجه إلى خالقه الأعظم فى إيمان صادق بر بو بيته وألوهيته ؟

عبد الرحمن الوكيل
(وكيل الجماعة)

مصر الثائرة الحـرة

لقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر للعالم أن مصر المستقلة فى عهد الثورة ، أصبحت حرة مطلقة الحرية تفعل ماتشاء وتعقد من الاتفاقات والصفقات ماتشاء ، وإن مصر الحرة لاتقبل وصاية من أحد ، ولا تسمح لأحد أن يضعها تحت رعايته أو يفرض عليها حمايته . وقدرفضت مصر المعتزة بحريتها واستقلالها وكرامتها جميع المحاولات لمنعها من شراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا كما رفضت جميع المحاولات لاقناعها بالعدول عن هذه الصفقة .

ولقد أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر كلمة قوية صريحة : أن تسليح الجيش يتم الآن بدون قيد أو شرط .

و إننا اليوم بعد أن استطعنا أن نجد السلاح بدون شرط و بدون قيد ، فإننا نستكمل حريتنا الحقيقية و بذلك قضينا على التحكم وقضينا على النفوذ الأجنبي .

إن مصر تمر بنقطة تحول فى تاريخها إنها تستطيع الأن إن تعوض مافاتها وأن تـكون غنية برجالها .. و بسلاحها . اليوم لاضعف ولااستضعاف، بل تصميم وعزم حتى تسلح مصر

إن الأمر يدعو إلى جمع كلمة الأمم الشرقية فى قوة وحزم و إن يكونوا جبهة قوية متحدين لدفع خطر اليهود .

ألا فليستيقظ العرب والمسلمون . وليفتحوا أعينهم جيداً للحبال التى تحاك حول أعناقهم وليعملوا سريعاً على قطعها قبل أن توثق وتشد ، والله يعينهم و يوفقهم .

وفق الله قادة الثورة وأخذ بيدهم وصانهم من كل سوء .

وهذه صورة البرقية التى أرسلت للسيد الرئيس . بتاريخ ٢ / ١٠ / ١٩٥٥

إلى الرئيس جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء بمصر

جماعة أنصار السنة المحمدية ـ المركز العام بالقاهرة ـ تؤيدكم فى موقفكم الوطنى القوى بشأن تسليح الجيش . فسيروا إلى الأمام . إن ينصركم الله فلا غالب لكم . وفقكم الله ونصركم على قوى الظلم والبغى والاستعمار .

محمد رشدى خليل

سكرتير الجماعة بالنيابة

موجات الالحاد

بقلم الدكتور عبد المنعم محمد حسنين
أستاذ بجامعة عين شمس

رددت الصحف فى الأيام الأخيرة كلاماً عن الإلحاد ، ردده بعض الكتاب بين مدافع ومنكر ، ومؤيد ومعارض ، وحاول كل واحد منهم أن يدافع عن وجهة نظره ، ويسوق الأدلة المختلفة على صدق ما يقول به .

والعجيب أن بعض المارقين يتخذ التشدق بالإلحاد وسيلة للدعاية لنفسه من قبيل « خالف تعرف » والأعجب أن كلام الملحدين يفعل فعله فى نفوس الشباب ، فيسارعون إلى التقليد الأعمى ، ويسمون ذلك إيماناً بالوجودية مرة ، وبالحرية الفكرية تارة أخرى ، وقد رددت الصحف والمجلات لهؤلاء أسئلة وجهوها عن بعض أمور الدين ، إن دلت على شىء فإنما تدل على تفاهة عقولهم ، وخلو أفئدتهم ، وفى رأيى أن الإجابة عليها لن تفيدهم شيئاً ، ولن تردهم عن غيهم ، لأنهم فى حاجة إلى فحص أدق ، وعلاج أعمق .

وأنا شخصيا لا أستغرب أن ينتشر الإلحاد بين عدد كبير من طلبة الجامعات وطالباتها ، أو بين غيرهم من التلاميذ والتلميذات ، لأنه من البديهى أن الإناء الخالى يتقبل أى سائل يصب فيه سواء أكان سائلاً نقياً عذباً أم قذراً مراً .

وإن المنطق السليم يقتضى أن ينتج الطيب طيباً ، وأن يخرج الخبيث خبيثاً ، وصدق الله إذ يقول (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) .

فهل عند طلبة الجامعات أو غيرهم من الشباب ثقافة دينية صحيحة تعصمهم من الزلل ، وتبعدهم عن الانزلاق وراء الملحدين وتقليدهم دون وعى أو تفكر ؟ ! . . . ومن أين جاءت هذه الثقافة الدينية الصحيحة إليهم ؟ ! . . هل لقنوها فى أثناء دراستهم أم هل بثها فى نفوسهم وعاظ الدين رغم انتشارهم فى طول البلاد وعرضها ؟ ! . . .

الواقع أن الكثيرين من طلبة الجامعات لايعرفون من أمر دينهم شيئاً ، بل لقد استقر فى نفوسهم أن من يهتم بالأمور الدينية ـ ولو كانت رعاية الفضيلة ـ رجل رجعى ممقوت . . ومثل طلبة الجامعات من هذه الناحية كمثل الإناء الفارغ ـ كما ذكرت ـ يمكنه أن يتقبل كل مايصب فيه . فإذا قيل لهم إن الوجودية خير ، أو إن غيرها أنسب للعصر الذى نعيش فيه ، قبلوا ما يقال لهم دون مناقشة ، وتحمسوا له دون وعى ، خصوصاً إذا كان مايعرض عليهم يرضى غرائزهم ، ويشبع نزواتهم ، وتتمشى مع حيوانيتهم .

لقد ضل شبابنا ، وانساق الكثير منه فى طريق الكفر والإلحاد ، لجهلهم بالدين ، و بعدهم عن التربية الدينية الصحيحة التى تحصنهم وتقيهم المهالك .

ومما يزيدهم ضلالا على ضلال ، وحيرة على حيرة ، مايقوله البعض لهم من أنهم أحرار ، أو ينبغى أن يكونوا أحراراً فى تفكيرهم ، وفى معتقداتهم ، ولم تظلم كلمة فى تفسيرها كما ظلمت كلمة الحرية ، ولم يخطىء الناس فى فهم معنى كلمة كما أخطأوا فى فهم معنى هذه الكلمة ، ولكن هذا هو الحادث فعلا ، فالشاب له مطلق الحرية فى أن يلحد ، وأن يتشدق بالكفر ، و يتخذ هذا دليلا على أنه مثقف ومتحضر ، وليس من الرجعيين ، و يعد مايقول و يفعل دليل الديمقراطية التى تعنى بشخصية الفرد ، وتمنحه الحرية فى القول والعمل .

الواقع إنها لمأساة تمثل فصولها أمام أعيننا كل يوم ، بل كل ساعة ، ومرد ذلك كله إلى الجهل بالدين ، فهو الذى مكن لموجات الإلحاد من أن ترتفع وتطغى ، وهو الذى نشر الخرافات والأباطيل بين من يزعمون أنهم متدينون وأنهم على حق .

ولو تأمل الإنسان أحوال المسلمين لوجدها تدعو إلى الرثاء ، فالعامة كالأنعام بل أضل ، دينهم يقوم على التقليد الأعمى ، فهو مملوء بالبدع والخرافات والأباطيل التى تتنافى مع دين الحق ، فالتوسل بغير الله ، والتمسح بالأضرحة ، ودعاء الموتى إلى غير ذلك ، عقيدة عند هؤلاء ، وهى لاتتنافى فى زعمهم الباطل مع التوحيد ، والإيمان بالله ، ولا تعد شركا فى نظرهم ؛ وهم يرون الدجالين المشعوذين . الذين يتاجرون بالدين ـ لايقيمون الصلاة ولايؤدون فرضا من الفروض الدينية، ومع ذلك يعتقدون أنهم أولياء لله ، وأنهم غير مكلفين

بالصلاة والصوم ونحوهما لأنهم مجاذيب ، ولأن هناك ـ فى زعمهم ـ من يؤدى عنهم الفرائض والعبادات .

والغريب أن الوعاظ والأئمة فى هذا الزمان لايحاربون هذا ولا يجدون فيه خطراً على الدين والمجتمع ، بل إن الكثيرين منهم يعتقدون فى هؤلاء الدجالين نفس عقيدة العامة ، ويرون فيهم نفس رأيهم .

أما المثقفون فهم أجهل بالدين من العامة ، ويزيدهم نفوراً من الدين ما يرونه من أفعال العامة ، وهم لجهلهم يحسبون أن الدين هو ما يفعله هؤلاء ، فيرون فيه نوعا من الطقوس الكهنوتية ، والأعمال البدائية التى تتنافى مع المدنية والحضارة ، وتتسم بالرجعية .

وصاروا ينظرون إلى الوجودية وغيرها على أنها أشياء براقة ، ودين خير مما يفعله العامة . وكانت النتيجة مانرى من شيوع الشرك ، وطغيان موجات الإلحاد ، دون أن يقابل ذلك كله علاج مؤثر ناجع .

وفى رأيى أن أنواع العلاج التى يرسمها الكتاب فى الصحف والمجلات سواء أكان العلاج نفسياً أم اجتماعياً أم تأديباً لن تجدى شيئاً ، ولن تخفف من حدة موجات الإلحاد وطغيانها ، وأن العلاج الوحيد لمثل هذه الحالة أن يتربى النشء تربية دينية صحيحة ، وأن يتثقفون ثقافة دينية كاملة وأن يتفهموا دينهم من كتاب الله الذى (لايأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل حكيم حميد) ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا فعلوا ذلك تحصنت نفوسهم ، وأمنوا الزلل ، ونجوا من الانزلاق ، ولا ضير عليهم أن يقرأوا أى كتاب ، ولا خوف عليهم بعد ذلك من أن يدرسوا الوجودية أو غيرها ، لأننا واثقون أنهم سينفرون منها ، وسينبرون هم أنفسهم لنقدها ، وكشف عوراتها ، والتحذير منها .

أما أن نرى مرضا ، فنكتفى بأن نقول : انظروا هذا المرض ، وانظروا عدد المرضى به ، ونملأ الدنيا ضجيجاً وعجيجاً دون أن نرسم علاجاً ، أو نأخذ فى تجربة العلاج الناجح ، فهذا نوع من السلبية التى لا تفيد شيئاً ، ولا تؤدى إلى شىء .

ونحن ندعو دائماً ملحين إلى النظر إلى مرض من يدعون أنهم مسلمون نظرة جدية ،

و إلى القضاء على مرضهم بتحصينهم ـ بواسطة تعليم الدين ـ من كل مرض يزينه لهم الجهل ، أو يجمله فى أعينهم بريق المدنية الأوروبية الزائف .

وأعتقد أننا لو أخذنا الأمر مأخذ الجد ، ولو سرنا فى سبيل الإصلاح بخطى حثيثة ، فإننا سنصل قريباً ، لأن من طبيعة الزبد أن يذهب جفاء أما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض .

وأنا شخصياً أعرف كثيراً من الجاهلين الذى طالما تشدقوا بأقوال الملحدين ، وقد صاروا الآن مؤمنين إيماناً حقاً كاملاً وأصبحوا دعاة للحق والخير ، وماحوّلهم عن طريقهم المعوج إلى الطريق المستقيم ، إلا دراستهم للدين ، وتثقفهم بالثقافة الدينية التى تنبع من كتاب وسنة رسوله ، وصاروا يعجبون من أنفسهم ، وكيف خدعوا بمقالات الملحدين وانساقوا وراء بهرجهم ، وهم الآن من أقدر الناس على بيان ما فى الوجودية وأشباهها من زيف و باطل .

فلا تعجبوا أيها المصلحون إذا شاهدتم أمواج الإلحاد تعلو ، فقد عرفتم السبب ، و إذا عرف السبب بطل العجب كما يقال . واعجبوا من ضعف وسائل العلاج وحاولوا أن تقووا هذه الوسائل ، وألا تكتفوا بالندب والعويل فلن يجدى البكاء شيئاً ، وانظروا إلى الأمر نظرة جد ، وخذوا فى العلاج ، وتخيروا أنجعه فسترون موجات الإلحاد تنحسر ، وجيوش الباطل تولى الأدبار وتنهزم ، وحينذاك ترتفع كلمة الحق ، ويصبح الدين كله لله ، والله غالب على أمره ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

أى الذنب أعظم ؟

عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال: « قلت : يارسول الله ، أى الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله نداً ، وهو خلقك . قال : قلت : ثم أى ؟ قال : أى تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ، قال : قلت : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك ، قال : وأنزل الله تعالى تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم : (٢٥ : ٦٨ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون) الآية . أخرجه البخارى ومسلم .

لا توقظوا الفتنة النائمة

لواء الإسلام - ٥ -
والتوسل بذوات الأشخاص

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش المحامي
ورئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

خاتمـــة البحث

ثم يقول السيد الأستاذ (فتلك الأحاديث والآثار يظهر أن من ينكر التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين أحياء وأمواتا ليس عنده أدنى حجة ، و إن رمى المسلمين بالإشراك بسبب التوسل ماهو إلا تهور يرجع ضرره إلى الرامى . نسأل الله السلامة) .

وأقول : إن هذه الأحاديث والآثار على الرغم مما فى بعضها من ضعف ، وما فى بعضها من عدم جواز الاحتجاج به - لاتظهر شيئاً مما ادّعاه الأستاذ ، ولا تدحض حجة القائلين بعدم جواز التوسل بذوات الأشخاص . فإن كل مادلت عليه تلك الأحاديث والآثار هو جواز طلب الدعاء من الأحياء وهو أمر سائغ لاينكره أحد مادام من يُطلب منه الدعاء حيًّا يُرزق لم ينقطع عمله ، و يستطيع أن يبتهل إلى الله بالدعاء . وقد بسطنا القول فى هذه الأحاديث وتلك الآثار بسطاً لايرتد عليه ، فليرجع القراء إلى ما كتبنا فيها تفادياً من التكرار .

لقد ذكر لنا القرآن الكريم أدعية الأنبياء والمرسلين وليس فيها أن أحداً منهم توسل بذات نبى أو رسول سبقه ، و إنما هى ابتهال وضراعة إلى الله وحده .

قال تعالى : « ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفيا . قال : رب إنى وهن العظم منى ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا . و إنى خفت الموالى

من ورائى وكانت امرأتى عاقراً، فهب لى من لدنك وليًّا . يرثنى و يرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا » .

فهل فى هذا الدعاء توسل بذات أحد من الأنبياء والمرسلين قبل زكريا عليه السلام ؟

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : (وقال نوح : رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا . رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات) .

فهل فى هذا الدعاء توسل بذات أحد من الأنبياء من قبله ؟

وقال تعالى : حكاية عن أيوب عليه السلام : (وأيوب إذ نادى ر به أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) .

فهل توسل أيوب بذات أحد من الأنبياء والمرسلين ؟

وقال لوط عليه السلام فيما حكى عنه القرآن الكريم : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

وقال نوح عليه السلام : (رب إن قومى كذبون ، فافتح بينى و بينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين) كما حكى عنه القرآن الكريم .

وقال سليمان عليه السلام فيما حكى عنه القرآن الكريم : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) .

فهل توسل أحد من هؤلاء الرسل الكرام بذات أحد من الأنبياء والمرسلين ؟

وأما الموتى فقد انقطعت أعمالهم كما أوضحنا ذلك فيما سبق ، فلا يصح أنه يطلب منهم الدعاء ولا الاستشفاع ؛ إذ ليسوا فى دار التكليف .

وأما كلام الرازى فهو افتراء على الله ، ولا يمكن أن يكون حجة فى دين الله ، إذ الروح من عالم الغيب ، ومن أمر الله الذى استأثر به ، فليس للرازى ولا لأعلم من الرازى أن يتكلم فى شأنها بغير الوارد من النصوص القاطعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة

والسلام ، فلا حجة فى شىء مما أورده السيد الأستاذ من كلام الرازى ، وحجة منكرى التوسل بذوات الأشخاص لاتزال قائمة تدحض كل حجة ، وتبطل كل برهان .

ومنكرو التوسل بذوات الأشخاص يعلمون حق العلم أنه مارمى أحد أحداً بكلمة الكفر إلا باء بها أحدهما فإن كان المرمى بها كافراً باء بها ، و إلا ردت على الرامى . وهم ليسوا بمتهورين حين يرددون ما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فلقد قال عليه الصلاة والسلام : من حلف بغير الله فقد أشرك . وهؤلاء المتوسلون بذوات الأشخاص يحلفون بهم على الله .

وكيف لا يكون مشركا من ينذر لغير الله ، ومن ينحر لغير الله ، ومن يدعو غير الله ، والنذر والنحر والدعاء عبادات فتوجيهها لغير الله شرك ولو كره المتهاونون .

لقد كان العرب أيام البعثة المحمدية يعتقدون أن الخالق الرازق المحيي المميت الذى يملك السمع والأبصار ، ويخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى ويدبر الأمر، هو الله رب العالمين . ولكن الله تعالى ــ مع ذلك ــ اعتبرهم مشركين لأنهم كانوا يدعون غيره و يرون أن الذين يدعونهم شفعاؤهم عند الله يقربونهم إليه زلفى .

أليس واجب المصلح أن يعلن الحجة صريحاً بغير مواربة ولا مداراة ؟ أليس واجب المصلح الدينى بنوع خاص أن يكون جريئاً فى قول الحق و إظهار الحقائق التى انطمس نورها تحت ركام من مخلفات العصور المظلمة ؟ التى ساد فيها الجهل ، وفشت الأباطيل والخرافات ؟

* * *

ثم قال السيد الأستاذ : (ويقول الآلوسى فى تفسيره : أنا لا أرى بأساً فى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبى عند الله تعالى حياً وميتاً . ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة العامة المستدعية عدم رده ، وقبول شفاعته . فيكون معنى قول القائل : إنى أتوسل إليك بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى ـ إلهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى ، ولا فرق بين هذا وقولك : إنى أتوسل برحمتك أن تفعل كذا ، إذ معناه أيضاً إلهى اجعل رحمتك وسيلة فى فعل كذا . بل لا أرى بأساً

أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى والكلام فى الحرمة كالكلام فى الجاه . . .) .

وأقول : بعد ما كتب الآلوسى ما كتب مما أوردته عليك من عدم جواز التوسل بذوات الأشخاص عن اعتقاد و إيمان وصدق يقين خاف ثورة العامة ، فأراد أن يفتل لهم فى الذروة والغارب ، وأن يداريهم ويداورهم ، ويتملق جهلهم ، و يرضى حمقهم فكتب هذه العبارة التى أوردها السيد الأستاذ تقية وخوفا من بطشة العامة وغضبتهم ، فتمحل لهم وحاول أن يفسر الجاه بصفة من صفات الله تعالى وهى المحبة ليكون المتوسل بجاه النبى متوسلا بصفة من صفات الله تعالى والتوسل بأسماء الله تعالى وصفاته جائز بغير خلاف .

بعد أن كتب الآلوسى فى تفسيره ثلاث صفحات أو مائة وأربعة عشر سطراً فى الدفاع عن رأيه القاضى بمنع التوسل بذوات الأشخاص أدركته التقية وأشفق من ثورة العامة وأشباههم ، فكتب هذه العبارة ليتخذها دريئة تدرأ عنه سخط جماهير الجهال والتمحل فيها ظاهر ، والتكلف واضح ، وصرف اللفظ من معناه الذى وضع له لا يخفى على ذى مسكة وكيف يفسر الجاه ، بمحبة الله ؟ وهو تفسير لا يوافق الحقيقة ولا يقره المجاز ، ولا ترضاه الاستعارة ، ولم اللف والدوران والالتواء ، ولم لا يقول للناس فى صراحة و إخلاص : دعوا هذا القول الذى لم يقله أحد من الصحابة ، وقولوا : اللهم إنى أسألك بحبك لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم . . وكيف يجوز الإقسام على الله بالجاه وهو ليس من أسمائه تعالى ولا من صفاته ؟

تراجع الآلوسى

وما رأى الأستاذ الجليل فى أن الآلوسى بعد أن ذكر هذه العبارة التى أوردها عقبها بقوله : « ولا يجرى ذلك فى التوسل والإقسام بالذات البحت » .

أى إن البأس الذى لا يراه فى الإقسام والتوسل بالجاه بمعنى المحبة لا يجرى ولا يجوز فى التوسل والإقسام بالذات البحت أى بذوات المخلوقين وأشخاصهم . وهذا هو الذى نقوله ،

ونادى به . وهو أنه لايجوز التوسل بذوات الأشخاص ، ولا الإقسام على الله تعالى بهم . والله غالب على أمره ، ولـكن أكثر الناس لايعلمون .

استيقظ ضمير الآلوسى وعاد إلى الحق ؛ فقرر أن ذلك لايجرى فى التوسل والإقسام بالذات البحت . ثم قال : نعم ، « لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم » وقد نقل الأستاذ الفاضل عنه هذه العبارة .

وأقول : حسبنا هذا القول ، وليسعنا ما وسع الصحابة عليهم الرضوان . ولنقف حيث وقفوا .

هل نسى الأستاذ الفاضل قول النبى صلى الله عليه وسلم : من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . وقوله صلى الله عليه وسلم : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ؟ .

وليس من شك فى أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه لم يكن على هذا القول . فهو إذًا مردود على قائله . وماذا يبغى القائل من قول هو مردود عليه ، وليس مقبولاً منه ؟ .

و إذا كان القائل يبغى بقوله الوسيلة إلى الله ، والقرب منه فقد رد الله عليه قصده ، ورد عليه عمله ورد عليه قوله ، ولا جرم أنه لا يحظى منه بطائل ، لأنه مردود عليه ، وغير مقبول منه .

وقد قال الإمام مالك عليه الرضوان : إنه لن يأتى آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها ، وما لم يكن يومئذ دينا فلن يكون اليوم دينا .

فإذا كان الصحابة الـكرام عليهم الرضوان لم ينطقوا بهذه العبارة ، ولم يتخذوها ديناً ، فلم تبيح لأنفسنا ما لم يبيحوه لأنفسهم ، ولم نسلك طريقاً غير طريقهم ؟ :

الأوائل لم يأتوا بالتوسل بذوات الأشخاص ، وهذا هو الهدى ، وهو الحق ، وهو الدين ، فإذا جاء الأواخر بغير ذلك ، فهو مردود عليهم . لأنه ليس بحق ولا هدى ولادين . والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الباطل ، وليس بعد الهدى إلا الضلال .

وقد علل الأستاذ إمتناع الصحابة عن التوسل بالجاه مجاراة للآلوسى يتحاشيهم أن يعلق منه فى أذهان الناس إذ ذاك .

وهذا المعنى لم يخطر ببال الصحابة لأن هـذه الـكلمة لم تكن قد استعملت بعد . فلم يكن امتناعهم عنها للمعنى الذى ذكره الآلوسى وجاراه فيه الأستاذ ، وإنما كان امتناعهم لأنها لم تكن قد وضعت ولأنهم لم يكونوا يريدون أن يبتدعوا فى دين الله ماليس منه ، ولا أن يفتحوا على الناس أبواب الشرور .

ثم ألم تكن الأمانة العلمية تقضى بأن ينقل الأستاذ كل كلام الآلوسى حتى لا يسىء إليه وإلى سمعته العلمية والدينية بنقل بعض كلامه دون بعض . إذ فيما أغفل الأستاذ إيراده من كلام الآلوسى مايبرىء ذمته إذ قال بعد العبارة السابقة (ولا يجرى ذلك فى التوسل والإقسام بالذات البحت) أليست هذه العبارة قاطعة فى أن الآلوسى لايجيز التوسل بالذات البحت أى بذوات الأشخاص ، وكل الذين يتوسلون بغير أعمالهم يتوسلون بالذات البحت . وما رأى الأستاذ فى قول بعضهم : يارب بالحفنى وبالسمان ... وبشيخنا وملاذنا البكرى ..

* * *

ثم قال السيد الأستاذ : (ثم التوسل بجاه غير النبى لا بأس به أيضاً إن كان المتوسل بجاهه ممن علم أن له جاهاً عند الله كالمقطوع بصلاحه وولايته . أما من لايقطع فى حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه) .

وأقول : وهذه العبارة أيضاً بالغ فيها الأستاذ الآلوسى وقولنا فيها هو ماقلناه فى سابقتها فلا نعيد القول تفادياً من التكرار والإملال . وقد وضح الحق لطلابه ، ولا أظن أحداً يمارى فى الحق بعد ما تبين إلا أولئك الذين امتلأت نفوسهم برواسب الماضى ولم يستطع العلم الذى تعلموه أن يزيل هذا الركام فبقى جاثماً لايتزحزح ولا يريم .

وبعـد

فماذا على الإنسان إذا توسل إلى الله تعالى بصالح عمله ، واقتصر على ذلك أو توسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما توسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ، لاإله إلا أنت برحمتك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين .

وكما قال سليمان عليه السلام : وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين .

وكما قالت أم المؤمنين عائشة عليها الرضوان : اللهم إنى أسألك بأنك أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تقضى حاجتى .

وقد قال الآلوسى عقب ذكره تحاشى الصحابة عن التوسل بالجاه « ثم اقتدى بهم من خلفهم من الأئمة الطاهرين » .

أى أن الأئمة أيضاً لم يتوسلوا بالجاه والحرمة .

أفلا يسعنا أن نترك ما تركه الصحابة ، وتركه من بعدهم من الأئمة الطاهرين .

تنصل

وقد قال الآلوسى بعد الذى سبق للأستاذ أن نقله عنه مايأتى :

وهذا الذى ذكرته إنما هو لدفع الحرج عن الناس . . . لا للميل إلى أن الدعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التى جاء بها الكتاب ، وصرحت بها ألسنة السنة ، فإنه لايستريب منصف فى أن ماعلمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه ودرج عليه الصحابة الكرام وتلقاه من بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم . فقد قيل ماقيل إن صدقا وإن كذبا .

ثم قال : قد أكثر الناس من دعاء غير الله من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم مثل ياسيدى فلان أغثنى وليس ذلك من التوسل المباح فى شىء . واللائق بحال المؤمن عدم التفوه به ، وألا يحوم حول حماه . وقد عده أناس من العلماء شركا ، وإلا يكنه فهو قريب منه . ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعوّ الحى الغائب أو الميت المغيّب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه ولا فتح فاه . وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم . فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله القوى الغنى الفعال لما يريد . . .

ثم أضاف قائلا : ومن وقف على سر مارواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين . فقال الصديق رضى الله عنه : قوموا بنا نستغيث

برسول الله صلى الله عليه من هذا المنافق، لجاءوا إليه فقال : إنه لايستغاث بى ، إنما يستغاث بالله تعالى ـ لم يشك فى أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان عن الالتفات إلى مافى هذا العالم . و بين شقى ألهاه عذابه وحبسه فى النيران عن إجابة مناديه والإصاخة إلى أهل ناديه ـ أمر يجب اجتنابه ، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه .

هذا ما قرره الآلوسى الذى ظن الأستاذ الجليل أنه يؤيد دعواه ، وبالله نتأيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

من كل ماتقدم يتضح بأجلى بيان ، وأصدق برهان أن التوسل بذوات الأشخاص ينافى شريعة الإسلام وأن القول به طعن فى حكمة الله وعدله .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أبو الوفاء محمد درويش المحامى

الدنيا والآخرة :

روى الترمذى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة . ومن كانت الدنيا أكبر همه ، جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له » .

لتسئلن يومئذ عن النعيم :

من حديث عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وفيماذا عمل فيما علم »

بطولة مجيـــــــــدة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

لم تنس الصليبية الاستعمارية هزيمتها النكراء على يد البطل صلاح الدين ، فراحت تكيد للإسلام وأهله بغية القضاء عليه ، فكان أن حشدت حثالة الصهيونية من التائهين الشاردين فى شعاب الأرض ، حشدتهم فى أرض فلسطين المقدسة ، حشدتهم فى مشرق النبوات ، ومطالع الهدايات ، وقبلة الإسلام الأولى ، وأغدقت الصليبية الغادرة ممثلة فى أمريكا وانجلترا وفرنسا على أحلاسها من الصهيونيين السلاح ، لاحباً فى إسرائيل المزعومة ، ولكن لتجعل منها سُلاً فى رئة الشرق ؛ لتجعل منها عدوا يتربص الشر بالإسلام وأهله ، لتجعل منها وسيلتها إلى القضاء على العروبة ودين الله الحق .

واستطاعت الصهيونية أن تضرب ضربتها الأولى ، وأن تجعل فى كل بيت مأتما ، وفى كل قلبا جرحا داميا ، وفى كل نفس حسرة بالغة . وصحت مصر بثورتها المجيدة على النذير المدوِّى ، وأدرك قادتُها عن وَعْيٍ بالغٍ مايُدَبَّر للإسلام وأهله ، وللعروبة وأمجادها ، فأرسلتها صيحة مدوية توقظ الغارقين فى سبات الغفلة اللاهية ، صاحت بهم أن هَلُمُّوا ، فإنها معركة الحياة ، أو الموت ، فإما الحياة الكريمة العزيزة ، وإما الردىء وعملت جاهدة مستبسلة فى جد وعزم وقوة على أن تُعِدَّ لعدو الإسلام والعروبة ما استطاعت من قوة ، لاتبتغى بها عدوانا على أحد ، وإنما لتحمى بها حمى العرب والمسلمين ، ولكن الصليبية الاستعمارية لم يرضها أن تسلح مصر جيشها ، ففى ذلك قضاء على السراب الذى يغريها بالقضاء على كل أمجاد الشرق العربى والإسلامى ، فَرُوِّعت أمريكا وانجلترا وأذنابهما ، كأنما انقضت عليهما صاعقة ، وراحتا ترسلان الرسل إلى البطل الظافر لعله ينكص على عقبيه ولكنه صمم ، وصمم على أن تحيا مصر كريمة قوية عزيزة .

فهب الشعب على بكرة أبيه يؤيد البطل فى وقفته الخالدة ؛ فانهالت التبرعات إسهاما

من المتبرعين فى شراء الأسلحة ، ووراء كل « قرش » شعور نابض بالقوة والعزة والكرامة والتضحية ، وراء كل « قرش » قلب يود أن يفتدى أمجاد دينه بكل مايملك من مال وولد يود أن يدعوه الداعى إلى الموت فى سبيل الله . إنها ليست معركة مصر ولكنها معركة المسلمين جميعاً فى أقطار الأرض ، فليعمل كل مصرى ، بل ليعمل كل عربى ، بل ليعمل كل مسلم على أن يؤدى واجبه . لكى يؤمن هؤلاء المتربصون بالإسلام أنها يقظة الأبد ، وصحوة الأبد ، وأنها إرادة قهارة غلابة بعون الله ، وأنها قوة لن تهاب ، ولن يرعشها وعيد ، ولن يغرها وعد ، وأنها إيمان قوى بالإسلام وحقه فى أن يكون هو الأعلى ، وقد قامت الجماعة بما يفرض عليها الدين ، فقرر مجلس إدارتها بالإجماع تأييد قائد الثورة فى موقفه الرائع ، وعبرت عن هذا التأييد بمبلغ رمزى هو مائة جنيه مصرى ، وقد توجهت أنا والأخ محمد رشدى خليل سكرتير الجماعة نيابة عن المركز العام وفروعه فى يوم السبت ٢٨ من صفر سنة ١٣٧٥ الموافق ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٥ وقدمت إلى الأستاذ صلاح الشاهد تبرع الجماعة بشيك على مصرف بنك مصر برقم ٣٨٣٤٢ بمبلغ مائة جنيه مصرى ، مرفقاً بخطاب إلى قائد الثورة ونحن نؤمن أنه مبلغ تافه ، ولكنه تعبير عن شعور صادق ، ودعاء كريم أن يجعل الله على أيدى قادة الثورة عودة المسلمين والعرب إلى أمجادهم السالفة .

عبد الرحمن الوكيل
وكيل الجماعة

اللهم اغفر لى . . !

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايقل أحدكم : اللهم اغفرلى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له » رواه البخارى

فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة ، فإنه لايعطى عبده شيئاً عن كراهة ولا عن عظم مسألة . وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع ، وقد يؤخر ماسأله عبده لوقته المقدر ، أو ليعطيه أكثر . فتبارك الله رب العالمين .

ســـــراب

دعاوى الصوفية وأدعيتهم

[فصل من كتاب « هذه هى الصوفية » الذى يقدم إلى الطبع قريباً]

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

غَشَّتْ الصوفية بصائر عشاقها بمـا تسحر به من فنون الخيال الْغَزَلِّى ، والشاعرية الحالمة ، وتأنُّق الفتنة فى الصور البيانية المكحولة الروعة . ذلك ماجعل بعضهم يجادلنـا فى شأن الصوفية ، فيأتينا بأدعية و نجاوى صوفية فيها وَشْىُ السحر الشاعر وفتنته ، ثم يقول : أَوَمَنْ يقولون مثل هذا تفترى عليهم أنهم غير مسلمين ؟ !

لهؤلاء الذين خلبهم عشق الصوفية أقول : مامن كهان نحلة ضالة ، أو أحبار دين زائف إلاَّ وناجوا معبودهم بأروع مما ناجت به الصوفية أربابها ، ودَعَوْهُ بما يخيل إليك من سحره أنه ضراعة نبوة فى فجر الوحى . فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوى ، وهذه الأدعية؟!

سلوهم قبل الفتنة : لمن هذه النجوى ؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء ؟

سلوهم عن صفات من يعبدونه . وعن أسمائه الحسنى ، وعما أمرهم به ، وهناك ـ حين يَصُكُّ سمعكم مايجيبون به ـ تؤمنون أنهم لايناجون الله ، ولا يدعونه ، و إنما يفعلون ذلك لآلهة متباينة وأر باب شتى .

ومما يجادلنا به عشاق الخبل الصوفى قولهم : ألم تر إلى ابن الفارض كيف ناجى ر به :

و إن خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى يوماً حكمت بردَّتى

وعلى مافى هذا البيت من غلو الإسراف فى التجرد[1] ، وحقاره الكذب ، فإن

---

(١) للارادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتى كإرادة الزواج وإرادة كسب العيش ، وإرادة التمتع الروحى بما أبدع الله من جمال رائع فى جنات الأرض ، وما على من يريدها جناح من الله ذى الرحمة الواسعة . ألم يقل عليه الصلاة والسلام « حبب إلى من دنيا كم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وهل هذا الحب إلا إرادة مصممة قاهرة ؟

هؤلاء ينسون أن ابن الفارض لايناجي بهذا البيت رَبَّ محمد ، و إنما يناجي به ر بًا افتراه هو لنفسه ولحزبه . ر بًّا يَتَعَيَّن فى صورة كافر ومؤمن ، وَنَن و إنسان . ينسون ماطفحت به تائيته الـكبرى من زندقة صريحة ، وحسبك منها قوله .

ولولای لم يُوجَدْ وجودٌ ، ولم يكن شهودٌ ، ولم تُعْهَدْ عهودٌ بذمة
فلا حَيَّ إلا من حيـاتى حياته وَطوْع مُرادى كلُّ نفس مريدة
وفِيَّ شهدت الساجدين لمظهرى فحققتُ أنى كنتُ آدمَ سَجْدَتى

بل حسبك قوله : « وطوع مرادى كل نفس مريدة » لتعرف أن ابن الفارض حين يناجي مايسميه ربًّا ، فإنما يناجي ابن الفارض الذى تَجَسَّد فيه ذلك الرب . يناجي ربًّا افتراه هواه ، ووصفه بشهواته !! فهل تُحِسُّ فى شعره نفحة واحدة من روحانية الإسلام ؟!

و يجادلوننا بقولهم : ألم تر إلى رابعة العدوية ، كيف حَلَّق بها الحب الإلهى إلى الذروة العليا ، فجعلها تهتف من وهج الحب وسعيره «ماعبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً فى جنتك و إنما عبدتك لذاتك » تعنى أنها تجردت من كل رغبة ورهبة ، أو طمع وخوف !!

وهؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفى الخلوب ، تستشرف مقام الألوهية ، وتجعل من نفسها ذاتا تسمو فى مقامها عن مقام الرسـل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه رغباً ورهباً ، أو طمعاً وخوفاً .

يقول الله عن عبده زكريا وآله : (٢١ : ٩ فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى ، وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات و يدعوننا رَغَباً وَرَهَباً ، وكانوا لنا خاشعين) وتأمل هذه الآيات التى يهديك الله بها إلى الحق ، وتنجيك من سحر رابعة (٧: ١٥٤ وادعوه خوفا وطمعا . إن رحمة الله قريب من المحسنين) يصف الله من يدعونه خوفا وطمعاً ، بأنهم يسارعون فى الخيرات ، و بأنهم خاشعون ، و بأنهم المحسنون ، والإحسان أسمى مراتب العبادة ، وأكمل مقامات العبودية ، والعبودية غاية الحب ، مع غاية التذلل .

(١٦: ٥١ وقال الله : لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد ، فإياى فارهبون) فى مقام الدعوة إلى التوحيد الخالص يدعونا الله أن نرهبه وحده (٣٢ : ١٦ إنما يؤمن بآياتنا الذين

إذا ذُكِّروا بها خرّوا سُجَّدا ، وهم لايستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) .

دعاء الله خوفا وطمعا جُعِل فى الآية من أصدق الدلائل على الإيمان الحق بل من أخص صفات المؤمنين الذين هم جديرون بحب الله . تدبر وصف الله لهؤلاء القدِّيسين من أوليائه بأنهم الداعون الله خوفا وطمعا ، المتجافية جنوبهم عن المضاجع لدعائه . فما لرابعة ؟!

من أخص خصائص البشرية التى لاتفارقها ، إلا بسكر أو جنون أو موت ـ أنها ترغب وترهب ، حتى بشرية الأنبياء ، وبشرية الرسل، ترغب وترهب وهى فى أسمى مقاماتها ومن أصدق الدلائل على الحب أن ترغب فى رضا[1] المحبوب ، وأن ترهب غضبه ، فإذا لم تكن ثم رغبة فقد سئمته ، وإذا لم تكن ثم رهبة فقد احتقرته ، وإذا تسامى الحب ، قويت الرغبة ، واشتدت الرهبة ، إذا قوى الحب ، وابتليته وجدت الرغبة والرهبة جناحيه اللذين يحلق بهما فإذا حرمت أحدهما ، فأنت فى الحب دَعِيّ .

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية بشرية القديسين ، بشرية النبيين ، بشرية الرسل . فماذا وراء هذا الزعم ؟ وراءه زعم آخر هو أنها أسمى مكانة من أولئك المصطفين الأخيار وأنها ليست بشرا بل إلها ، فالملائكة أنفسهم يرغبون ويرهبون ، بل وراءه اتهامٌ لمن نَزّل هذا الكتاب بأنه أخطأ ـ وتعالى الله عن إفك رابعة ـ حين . أمرنا أن نعبده خوفا وطمعا .

ودعواها أنها تجردت فى حبها عن الرغبة فى الجنة والرهبة من النار تحقير لشأن الجنة ، وتهوين من شأن النار .

دعواها التجرد من الخوف والطمع فى الحب شعور منها ـ وما أخبث هذا الشعور وأكذبه ـ بمساواتها لمن تحبه ، إن لم تكن أسمى منه ! .

---

(١) دليل الرضا فى الآخرة الجنة ودليل غضبه سبحانه فى الآخرة النار ، فإذا لم ترغب فى جنته ، وترهب ناره ، فأنت من أدعياء الحب .

ثم من رابعة هذه ؟ أليست هى التى جَدَّفت على الكعبة بهذا البهتان « هذا الصنم المعبود فى الأرض »[١] ؟ ! .

و ينتفض هؤلاء إعجاباً بمعروف الكرخى[٢] ؟ إذ يروون عنه أنه بال على شاطىء نهر ، وتيمم ؟ ولم يتوضأ على حين كان الماء تحت يده فقيل له : ياأبا محفوظ ! ! الماء منك قريب ، فقال : لعلى لا أبلغه[٣] » .

و يهلل الصوفية و يكبرون لهذا الخبال الصوفى ! ! ألا يذكر هؤلاء أن لله فريضة اسمها الوضوء ، وأخرى اسمها الغسل ، وأن الله لم يبح لمسلم أن ينصرف عنهما إلى التيمم إلا بشروط ليس منها أن يكون الماء قيد أنملة !! قولوا : إذن للمسلمين : اتركوا الوضوء ، واهجروا الغسل ، فهذا معروف الكرخى يتيمم والماء منه تحت يده ! ! قولوا لهم اهجروا شرعة الله ، ولوذوا بهوس الكرخى ! ! والله أبر بعبده ، وأرحم من أن يجزيه بسوء ، لو أنه قبض روحه قبل أن يبلغ الماء ، ليتوضأ .

و يبهتون ابن حنبل أنه سأل بشراً الحافى عن الزكاة ، فقال له بشر « عندنا أم عندكم ؟ » فقال له ابن حنبل « عندنا » فقال بشر « أما عندكم ، فالعشر ، فقال ابن حنبل : وعندكم ؟ قال بشر : العبد وما ملكت يداه لسيده » وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفى ! ! .

هؤلاء ينسون الإثم الكبير ، بل الخطيئة الآثمة فى قول الصوفى الحافى : « عندنا

---

(١) انظر ص ٣٨ وما بعدها من كتاب شهيدة العشق الإلهى للدكتور بدوى ،

(٢) هو معروف بن فيروز أبو محفوظ الكرخى . توفى سنة ٢٠٠ هـ . وكان أستاذه السرى السقطى ، وقد قال له : إذا كانت لك حاجة إلى الله : فأقسم عليه بى » ، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية ! ! . انظر ص ٩ الرسالة للقشيرى مطبعة التقدم .

(٣) ص ٨٣ طبقات الصوفية للسلمى ، وقد نسبه أبو طالب المكى فى القوت إلى الرسول . انظر ص ٢٩ ج ٣ من القوت ط ١٣٥١ هـ ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه جميعاً ثم يغتسل منهن بغسل واحد ، فلماذا كان لايتيمم أو يغتسل عقيب كل واحدة ؟ بل كان ينام أحياناً جنبا أ كان معروف أشد من الرسول خوفاً من الله ؟ .

أم عندكم » فإنه وحى أسطورتهم التى يفترون بها أن الدين شريعة وحقيقة ! ! وأن الأولى دين أهل الظاهر ، وأن الأخرى دين أهل الباطن ! ! .

ويتناسون أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذى قرره « العبد وما ملكت يداه لسيده » هو دين الصوفية ، أو من دين الباطن .

إن هذا الحق الذى خلبت روعته ألبابهم ، ونسبه بشر إلى الصوفية إنما هو قبس واحد من نور القرآن (٩ : ١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) .

هذا هو الحق الإلهى فى جماله وجلاله : فلم تنسبون ضياء الشمس إلى عتمة الليل ؟ تنسبون الحق إلى مؤتفكى الباطل ؟ .

ثم مَنْ سيد بشر ؟[1] لقد عرفتم سيد الصوفية الذى يعبدونه ، فاعرفوا إذن سيد بشر !

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية ، إذ يفترون « كلامنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » وكذلك زعمت كل فرقة نجمت فى الجماعة الإسلامية حتى تجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار ، قالتها من قديم الشيعة التى تؤله أئمتها ، وقالتها المعطلة وقالتها المجسمة ، وتقولها فى الحديث البهائية والقاديانية ، وقد زعم النابلسى ـ وهو صنم صوفى ـ أن وحدة الوجود دليلها الكتاب والسنة . إنك لا تستطيع أن تمنع إنساناً من أن يدعى مايشاء ، ولكن الذى تستطيعه هو أن تبتلى دعواه ، وتزنها بميزان الحق ، وثمت تستطيع أن تحكم عن بينة عليه بالصدق أو بالكذب فيما ادعاه ، وقد ابتليت معتقدات الصوفية وآلهتها ، فهل ترى لها أثارة من نسب إلى الكتاب والسنة ؟ .

ليس المهم أن تقول ، بل الأهم أن تعمل بما تقول . فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة ؟ .

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التى تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة وتنوح فيها دموع

---

(١) بشر بن الحرث أبو نصر الحافى . مات سنة ٢٢٧ هـ .

الحب وتئن جراحه ـ ولكنى أذكرُ هؤلاء بأن البرهمية أو البوذية [١] ناجت ربها بصلوات من الدعاء يغازل الروحَ شعرُها بالروعة الآسرة شفَّافة الترانيم عن نفس دَلَّهَا العشق وقلب تبله الغرام ، وكذلك صنعت الزرادشتية والمانوية [٢] ، وكذلك الفرعونية واليهودية والمسيحية والبهائية والقاديانية [٣] ، وأنت ـ إذ تتلو من أدعية هؤلاء دون أن تعرف نسبتها ـ لن تشك فى أنها ضراعة قديس فى فجر المحراب الطهور فهل تشفع لهم عند الله هذه الأدعية ؟ وهل نعدهم بها دعاة حق وجنود إسلام ؟ .

ماللصوفية من سحر تغوى به النفوس سوى تلك الأخيلة التى تُوَشِّى بها نجاواها التى تعتلج بسعير العشق ، ولكنه عشق مَنْ ؟ إنها لا تعبد الله ، ولا تؤمن بربوبيته ولا بإلٰهيته ولا بصفاته ، ولا بأسمائه ، ولا بوحيه ، فكيف بنا نخدع فنظن أن أدعيتها السحرية تضرع إليه ؟ إن الصوفية بدعائها تناجى رباً افتراه هواها وابتدعت صفاته وأسماءه ،

---

(١) البرهمية نسبة إلى « برهما » الكائن الأوحد ، كما سمى فى « الفيدا » كتاب الهند القديم المقدس ، وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة « براهمان » الرئيس الأعلى ، و « فيشنو » إله الحياة ، والثالث : « سيفا » وهو إله التدمير والخراب ، وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين لأنهم فى نظرهم الذى يملكون الشفاعة لهم عند الآلهة والتأثير عليهم .

أما البوذية : فنسبة إلى « بوذا » متنبىء هندى ، ولد فى القرن السادس قبل ميلاد المسيح وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت فى بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية بأن تحمل عنه عبء خطاياها . (٢) الزرادشتية : نسبة إلى زرادشت ، متنبىء فارسى ، ولد فى القرن السابع قبل المسيح ، وكتاب الزرادشتية المقدس هو « زند أفيستا » وتؤمن بإلهين ، أولهما : إله الخير واسمه « هورمازدا » وثانيهما إله الشر واسمه « أهرما » إلا أن زرادشت يؤمن بتغلب الخيرية على الشرية فى الدنيا ، لهذا كانت ديانته تفاؤلية لا تشاؤمية كما فى ديانة مانى

(٣) القاديانية : نسبة إلى غلام أحمد أو ميرزا على محمد الذى ولد سنة ١٨٢٠ م ، وقد ادعى غلام هذا أوميرزا على أنه المسيح الموعود أو المهدى المنتظر ، وقد انشطر أتباعه شطرين . أحدهما : الأحمدية . والآخر : القاديانية ، والأولى أقل غلواً من الأخرى ، والبهائية : نسبة إلى ميرزا حسين على الملقب بالبهاء ، وخلاصة دينه : أن الله يظهر فى دورات متعاقبة فى صور الرسل وأنه أى البهاء أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهى .

ولكنها تقنعت بالرياء الخاتل فسمته باسم « الله [1] » .

وهاك أنماطاً من الأدعية فاقرأها ، وتدبرها ، وثمت تشعر بقلبك ، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية متبتلة ، أو نبوة تدعوها السماء ، بيد أنك حين تعرف حقيقة من بث دموع الحب فى تلك الأدعية ، وإلى أى دين هو ينتسب . إنك حين تعرف ذلك سيرود بك العجب كل مراد له ، وستأسى على هـذا الحلم الجميل الذى نعم به خيالك لحظة ، بل ستشعر كأنما تهوى من قمة السماء إلى غور جب سحيق عميق . بيد أن هذا سينجيك من السحر الصوفى الذى يفتنك عن الحق بما يوشع لك من أدعية ، فتظن بالصوفية ظن الخير ، وتحسبها مع المسلمين فى محراب ! اسمع هذا الدعاء « اللهم لتكن مشيئتك أن أسير فى طريق شريعتك ، وأن أرتبط ارتباطاً وثيقاً بوصاياك . اللهم احمنى من الذنوب والعصيان وإغراء الشيطان ، ولا تجعلن للشهوات سلطاناً على ولتكن إرادتى خاضعة لك ، أعنى على التمسك بالخير ، واشملنى برعايتك آمين اللهم آمين [2] » أترى فى هذه النجوى أثارة من باطل ؟ أم تجدها صالحة لكى تدعو بها الله ، وأنت حول بيته ؟ وتأمل قوله : اللهم ، اللهم ، وقوله : « لتكن إرادتى خاضعة لك [3] » ولكن أتدرى لمن هذا الدعاء ؟ إنه ليهودى !؟ .

والله تعالى يقول عن اليهود (٩ : ٢٩ وقالت اليهود : عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون) (٣ : ١١٢ ضُرِبت عليهم الذلة أين ماثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ،

---

(١) اسم الرب الصوفى عندهم « العماء ، أو الوجود المطلق » هذا فى حال تجرده أو إطلاقه أما فى تعينه فاسمه « الحقيقة المحمدية » وما له من صفة خاصة به ، ولا اسم واحد يطلق عليه فكل صفة خلقية هى صفته ، وكل اسم يطلق على مسمى فهو اسمه لأنه عين كل مسمى فى الوجود من حيوان وإنسان وجماد ونبات وغير ذاك .

(٢) ص ٢٤٦ كتاب الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز .

(٣) قارن بهذا قول ابن الفارض « وطوع مرادى كل نفس مريدة » لتحكم أى الرجلين أخبث ديناً .

ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون) (٢ : ٦١ وضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فهل شفع ذلك الدعاء وغيره عند الله لليهود ؟ كلا . وإن راحوا يملئون به سمع الوجود ؛ لأنهم لايدعون به الله ، وإنما يدعون به رَبًّا آخر اختلقته أوهامهم المادية الصماء ، فقد رفعوا أيديهم إلى السماء ، وهى ملطخة بدم النبيين . وقلوبهم تستعبدها أرباب مادية !! .

وهاك آخر : « إلهى عليك توكلت ، فلا أخزى إلى الأبد . عرفنى يارب طرقك ، وسبلك ، علمنى أرشدنى إلى حقك ، وعلمنى لأنك أنت هو إلهى ومخلصى ، وإياك رجوت اليوم كله[1] ، إذا تصورت كثرة أفعالى الرَّدِيَّة أنا الشقى ، فإنى أرتعد من يوم الدينونة الرهيب ، لكن إذ أنا واثق بتَحَنُّنِ إشفاقك أهتف إليك مثل داود : ارحمنى ياألله كعظيم رحمتك[2] » .

وتلك النجوى الحنون ، ألا تجدها رَفَّافَةً بروح الحب الآمل فى رحمة المعبود ؟ ألا ترى فيها الهتاف بدعاء « يا ألله » ؟ .

ولكن أتدرى ماهى ؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية . والله تعالى يقول عن هؤلاء ومن دان دينهم : (٥ : ٧٣ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ، لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم) ويقول (٥ : ٧٨ ، ٧٩ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لَبِئْسَ ما كانوا يفعلون) فهل شفع ، أو يشفع هذا الدعاء ومثله لهم ؟ أتراه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون ؟ كلا . وإن تجاوبت بأصدائه جنبات الوجود !! وتأمل الدعاء تجد مفتريه يقول : « يا ألله » فهل يضعه هذا مع المسلمين ؟ كلا ، فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة ، فلم يناجوا بها « الله » حقاً ، وإنما ناجوا رَبًّا تجسد فى ثلاثة مظاهر . وكُفْر الصوفية أشد شناعة فقد آمنت برب هو عين

(١، ٢) ص ٢٦٧ ، ٢٤١ كتاب خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس .

كل شيء ، أو كما يقولون فى تسبيحتهم « المظاهر عين الظاهر » يعنون بالمظاهر أنواع الخلق ، وبالظاهر الله تعالى وتقدس وهاك دعاء آخر : « السلام عليك أيها الإله العظيم ، لقد أتيت إليك ياسيدى فى سلام ، فكن بى عطوفا ، فأنت صاحب العطف ، واستمع لندائى ، ولَبِّ ما أقوله ، فإنى أنا واحد من عابديك[1] » .

أتنكر من هذا الدعاء شركا ، أو تستنكر منه وثنية ؟ . ولكنك إذ تبتلى معتقد صاحبه تفر مذعوراً منه بعاطفتك ، فإنه لوثنية فرعونية عبدت ربها فى صورة عجل أو كوكب . وكذلك الصوفية ، بل إنها مرغت تلك الوثنية الفرعونية فى ردغتها ، ثم خرجت بها زندقة تعبد كل شيء !! .

ثم استمع إلى هذا الدعاء : « ربنا إنا نتوجه إليك ، ونتضرع بين يديك ، ونذكرك بالتهليل والتكبير ، ونثنى عليك بالتسبيح والتقديس ، إلهى وملاذى ، وكَهْفَ صَوْنى وعونى فى شدائدى وبلائى . إنى أبسط إليك أكف الضراعة ، وأمد إليك أيدى الابتهال ، يا ربى المتعالى ، وياذا الجلال والجمال أن تنزل كل بركتك وموهبتك ، وسابغة رحمتك ، وسابقة نعمتك على أحبتك الذين شملتهم لحظات أعين رحمانيتك[2] »

فهذه المُضَمَّخَةُ بالعبير سكران الروح ، غرامى النفح ، أتحس فيها شيئاً يرغب عنه إخلاصُ توحيدك ؟ ولكن أتدرى لمن هى ؟ إنها للزنديق القزم القمىء عبد البهاء[3] يناجى بها ربه . فهل تجعل منه هذه الصلاة مسلماً ناسكا فى الفجر ؟ ! كلا . فإنه لايناجى بها الله ، وإنما يناجى بها أباه ميرزا حسين على الذى آمن به زنادقة الشيعة أنه أتم وأكمل وأسمى مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية فقد زعم لهم ذلك ، فآمنوا بما زعم ! ! وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة ، فافترت رَبًّا يتجسد بِهُوِيَّتِه وإِنِّيَّتِه وماهيته ، أو بباطنه وظاهره وحقيقته فى كل شيء ! !

« للحديث بقية »

---

(١) ص ٣٤١ مصر تأليف أدولف إرمان وزميله ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر .

(٢) ص ٢٢٠ ، ٢٦٥ مكاتيب عبد البهاء

(٣) اسمه عباس ، فلما أن ادعى أبوه ميرزا حسين على الربوبية ، وأطلق على نفسه لقب « بهاء الله » لقب عباس نفسه بعبد البهاء .

عودة رئيس الجماعة

وصل بسلامة الله ورعايته من الأقطار الحجازية فضيلة الأستاذ الكبير ، الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وقد باشر فضيلته فور وصوله إلقاء محاضراته الدينية بدار الجماعة فى يومى السبت والأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء .

تبرع الجماعة

نشر فى الصحف منسوباً إلى وكيل الجماعة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل فبادر فور صدور الصحف إلى إرسال برقية إلى الأستاذ صلاح الشاهد يرجو فيها تنبيه الصحف إلى تصحيح مانشر ، وقد نشر التصحيح فى الجمهورية بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٥ .

هذه هي الصوفية

تأليف

عبد الرحمن الوكيل

أصدق وأدق ما كتب عن الصوفية وخفاياها وأسرارها وطقوسها اقرأ فيه عن وحدة الوجود ووحدة الأديان عند زعماء الصوفية ابن عربى ، ابن الفارض ، الجيلى ، الغزالى ، صدرالدين القونوى ، النابلسى. اقرأ فيه كل شىء عن الصوفية مستنداً إلى أوثق المصادر ، وأصدق المراجع ، يصدر فى ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير ، الاشتراك فيه قبل الطبع ١٥ قرشاً خلاف ٥ قروش أجرة البريد لمن فى غير مصر ، بادر بالاشتراك فيه لتضمن الحصول على نسخة منه ، ترسل الاشتراكات باسم المؤلف بعنوان الجماعة .

الغســــــــل

بقلم رئيس التحرير

عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل من الجنابة : يبدأ فيغسل يديه ، ثم يفرغ بيمينه على شماله ، فيغسل فرجه ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض على سائر جسده ، ثم غسل رجليه » متفق عليه . وهذا لفظ .

وفى لفظ « أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل من الجنابة فبدأ فغسل

وفى لفظ لهما « ثم يخلل بيديه شعره » وفى لفظ للبخارى « حتى إذا

بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات » .

وعن ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت

وسلم غسله من م أدخل يده فى الإناء ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ثلاثاً . ثم ضرب ... بكها دلكا شديداً ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملء كفيه ، ثم غسل سائر جسده ، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ، ثم أتيته بالمنديل فرده » وفى رواية « وجعل يقول بالماء هكذا ـ ينفضه» متفق عليه . وهذا لفظ مسلم . وفى رواية للبخارى « وجعل ينفض الماء بيده» وفى رواية للبخارى أيضاً « ثم غسل فرجه ، ثم مال بيده على الأرض فمسحها بالتراب ثم غسلها ، ثم تمضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ويديه وأفاض على رأسه . ثم تنحى فغسل قدميه » وفى رواية له « ثم أفاض الماء على جسده ، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه » .

وعن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت « يارسول الله إنى امرأة أشد ضفر

رأسى أفأنقضه لغسل الجنابة ؟ فقال : لا ، إنمـا يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضى عليك الماء فتطهرين » وفى رواية «أفأنقضه للحيضة والجنابة ؟ فقال لا » رواه مسلم

وعن عائشة « إن أسماء بنت شكل سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسل الحيض . فقال : تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء ؛ ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها ، فقالت اسماء : وكيف تطهر بها ؟ فقال : سبحان الله ! تطهرين بها فقالت عائشة ـ كأنها تخفى ذلك ـ تتبعين أثر الدم » وسألته عن غسل الجنابة فقال « تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور ـ أو تبلغ الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها المـاء . فقالت عائشة . نعم نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين »

[illegible] . وذكر البخارى منه ذكر الفرصة والتطهر بها .

[illegible] بنت الحارث . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فراغه من [illegible] الهجرة . وكان ابن أختها عبد الله بن عباس يبيت كثيراً عندها .

[illegible] فتح الشين المعجمة والكاف . وقد قيل : إنها اسماء بنت [illegible] شكل » لقب لا اسم فتكون هى بنت يزيد ابن السكن التى يقال لهـا خطيبة [illegible] عن عائشة « أن امرأة من الأنصار سألت النبى [illegible] وسلم » فتجعل القصة واحدة . و «الفرصة» بكسر الفاء وسكون الراء ثم صاد مهملة : هى قطعة من صوف أو قطن . و « ممسكة » أى مغموسه فى المسك ، ويكون ذلك لتطهير فرجها وتطييبه من أثر دم الحيض وقذره . ويقال إن المسك مفيد لتنشيط الرحم وإعداده للحمل ، فإن لم تجد مسكا فيستحب غيره من الطيب المتيسر .

والأحاديث تبين كيفية الغسل من الجنابة والحيض . وأن الجنب لايلزمها نقض شعرها بخلاف الحائض ، فإن طول مدة الحيض مع كثرة عرق الحائض يستدعى المبالغة فى الغسل كما يقتضى المبالغة فى تنظيف الفرج وتطهيره من أثر الحيض لأنه كما قال الله (اذى) وتدل

الأحاديث على أن حقيقة الغسل هو تعميم جميع الجسم بالمـاء ، وليس التدليك شرطاً ولا واجباً . و إن الجنب إذا وقف تحت حنفية الماء « الدش » وتمضمض واستنشق ثم أفاض المـاء على سائر جسده فقد تطهر من الجنابة وتوضأ ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يبدأ بالاستنجاء وتطهير فرجه ، ثم ينظف يده من أثر ذلك بالتراب ، والصابون وغيره من المنظفات يقوم مقامه . وأنه إذا كان فى موضع غير نظيف ينتقل منه ليغسل رجليه أما إذا كان فى مثل حمام مبلط يسيل الماء إلى البالوعة فلا داعى لهذا الانتقال . وأنه ما كان يفعل ذلك من أجل ماء الغسل و يدل عليه أنه ضرب بيده فى التراب ودلكها ، فكان الداعى للانتقال هو الطين لا المـاء . ولم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه تلك الشروط التى ملئت بها كتب الفقه وعسرت مايسره الله .

وفى السنة أنه صلى الله عليه وسلم كان يغترف من الإناء بيده ، وأن عائشة كذلك كانت تغترف معه ، وأنهما كانا يغتسلان معاً . وأنهما كانا يمزحان فيقول لها « دعى لى » وتقول « دع لى » فكل ذلك يدل على أن ما زعمه الناس من نية الاغتراف واستعمال الماء بوضع اليد فيه خطأ لا أصل له فى الدين وتضييق لما وسع الله . ويدل على أن المرأة تغتسل وزوجها . وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن معروفاً طبعاً الائتزار بيشكير وفوطه ، بدليل قوله . ميمونة « أتيته بالمنديل فرده » والمنديل هو البشكير ونحوه ، و يدل على أن تنشيف المـاء ليس مكروها إنما رده لأن الجو كان حاراً أو نحو ذلك و يدل حديث أسماء على أن واجب المرأة أن تسأل عن دينها ، و إن كان فى الأمور التى يستحيى منها فتستعين بزوجة المسئول أو نحو ذلك .

إلى السادة مشتركى العراق

نرجو من جميع السادة المشتركين بمجلة الهدى النبوى فى العراق أن يبادروا بدفع بدل الاشتراك . أو إرساله بالبريد إذا كانوا خارج الموصل أو تسديد بدل الاشتراك السـابق إلى السيد محمود حمدى الجراح ، محلة إمام عوف الدين بالموصل العراق .

و بدل الاشتراك ٤٠ فلس — الإدارة

الجهر بالصلاة على النبى بعد الأذان

بقلم الأستاذ عبد الحليم محمد حموده

كنت أسير ذات يوم مع الأستاذ ، فمررنا على مسجد وإذا بالمؤذن بعد أن أتم أذانه يرفع عقيرته بالصلاة والسلام على رسول الله ، ونظر إلى الأستاذ نظرة ذات معنى ثم هز رأسه معلناً أسفه وتحسره فسألته :

قلت : هل تنكر ـ ياسيدى ـ هذه الصلاة على رسول الله ؟

قال : إن الذى يتكلم فى هذه المسألة يرميه الجهال بعدم محبة رسول الله ، فهل تريد أن أتعرض لذلك ؟

قلت : ياسيدى إننا نريد أن نصل إلى الحق ـ وقد عودتنا أنت ذلك ـ وما عهدتك تقيم لأحكام الجهلاء وزناً أو تتهيب أن تقول الحق ولو لقيت فى سبيله نصبا .

(وعلت ابتسامة مشرقة ثغر الأستاذ فاستنار لها وجهه ثم . . .)

قال : صدقت ـ يابنى ـ فإن الحق يستحق أن يبذل فى سبيله كل مرتخص وغال . إن لذة الوصول إلى الحق لاتعدلها لذة مهما كان الطريق الموصل إليه محفوفا بالمكاره .

قلت : إنك ـ ياسيدى ـ تقوى من عزائمنا ، وتجعل منا أناساً يكرمون أنفسهم ويعرفون حقها عليهم ويرتفعون بأقدارهم ، ويتذوقون طعم العزة التى تليق بالمؤمنين أصحاب المبادىء الرفيعة والعقائد النقية .

قال : ماعهدتك تغالى إلى هذا الحد ! إن الأمر ليس بيدى . ولكنها شريعة الله النيرة ترتفع بالمتمسكين بها إلى أوج العز ومنازل الكرامة . إن صولة الحق من سلطان الله ، فانظر أين أنت من الحق يكن قربك أو بعدك من حماية الله وسلطانه .

قلت : أرجو أن تفصل القول فى مسألة الصلاة على الرسول عقب الأذان فإننى فى حيرة من الأمر .

قال : إنى أسائلك : هذا الأذان الذى شرعه الله أيكون من تكاليف الدنيا أم من تكاليف الدين ؟

قلت : من تكاليف الدين .

قال : أتعرف أن الدين قد أكمله الله فى أيام رسول الله بقوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » (المائدة : ٣) أم أنه الآن يحتاج إلى تكميل ؟

قلت : بل إن الله قد أعلن كماله فى عهد رسول الله .

قال : هل تجد فيما نقل إلينا نقل تواتر أن أحداً من المسلمين من صحابة رسول الله زاد على الأذان الذى آخره « لا إله إلا الله » شيئاً .

قلت : ليس عندى من العلم ما أجيب به على سؤالك .

قال : الأذان شرعه الله بألفاظ معدودات حافظ الناس عليها طيلة حياة الرسول ومدة ولاية كل من الخلفاء الراشدين الذين أمرنا بالحرص على سنتهم : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . وتلقى الخلف هذا الأذان بكلماته المحفوظة عن السلف لايزيدون فيه ولا ينقصون منه قروناً عدة ، لا يفكر أحد من الناس ولا يجرؤ أن يلحق ألفاظا بهذا الأذان . لأنهم فهموا وأيقنوا أنه دين . والدين كامل لايزيد فيه أحد ولا ينقص منه . ولأنهم أدركوا أنه دعوة للصلاة فحسب وفى ألفاظه الكفاية لتحقيق هـذه الدعوة ـ مر على المسلمين عصور قوة وضعف ، مد وجزر ، وموقفهم من الأذان لم يتغير . طويت بذلك عهود الخلفاء الراشدين وعهود أئمة الدين ومضت سبعمائة وثمانون سنة على وفاة رسول الله . وأقبلت سنة ٧٩١ هـ فإذا برجل محتسب هو (صلاح الدين البرلسى) تتمخض عقليته الفاسدة عن اختراع جديد وحدث عجيب فى الدين . إنه لا يعجبه ولا يسره أن يكون إعلام الناس بالصلاة بألفاظ ارتضاها محمد رسول الله واحترم شرعيتها صحابته ومن تبعهم بإحسان إلى عصر هذا المحتسب ، فيلحق بالأذان ماليس منه . ويخضع المسلمون بكثرتهم الجاهلة لهذا الاختراع فى الشريعة إن طوعا وإن كرهاً وإن غفلوا عن حقيقة يدركها العقلاء . إنه لا صلة بين الأذان الذى هو دعوة الناس للصلاة وبين ما ألحق به من كلام هو دخيل على قانون السماء . واستمر الحال إلى

عصرنا هذا لايفكر أحد فى تخليص الدعوة من شوائبها إلا ماعرف عن قلة من الناس رماهم العامة بالكفر والضلال .

هذه هى قصة الأذان وموقف السلف والخلف والعلماء والجهلاء منه . فماذا ترى فى حق أهدر و بدعة انتشرت ، وشريعة تحكمت فيها الأهواء . وقانون سماوى تدخل فى شأنه الجهلاء ؟

قلت : إنهم يبررون ذلك بأنه حب لرسول الله ومبالغة فى إعلام الناس بالصلاة وخير يجعل البدعة فيه مستحسنة .

قال : وماذا تقول عن أبى بكر وصحبه . هل كان حبهم لرسول الله أقل من حب هؤلاء حين تأدبوا بأدبه والتزموا شريعته ونزلوا عند قول الله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى » (آل عمران : ٣١) وهذه المبالغة فى الأعلام مافائدتها . . وقد تم الأعلام بأعلى صوت وفى أقصر زمن ؟ وهذه البدعة المستحسنة ـ فى عرفهم ـ من أين أتوا بحكمها وقد أعلن رسول الله أن كل بدعة ضلالة ؟ وألفاظ الصلاة على رسول الله التى يتقربون بها إلى الله بصوت جهير ، أليست حرباً على الإسلام وخروجاً على شرائعه ؟ إنهم يصفون رسول الله بأنه أول خلق الله ، وفى هذا كذب على الواقع فما كان رسول الله بهذه الصفة و إن الحديث الذى يسوقونه بأن أول ما خلق الله كان نور النبى ، حديث ساقط مكذوب لا أصل له فى موازين الحق . وهم يصفون رسول الله بأنه نور عرش الله و إنى أبرأ إلى الله من جهل هؤلاء الجهلاء فما كان الرسول نور عرش الله ولكن هذه الصفة لا تليق إلا بالله وحده . وهم يسيئون الأدب مع الرسول فيصفونه بملاحة الوجه و بياضه ولو وصفوه بأخلاقه الكريمة وشجاعته ومروءته ولين عريكته وحسن عشرته وعدالة أحكامه لكان ذلك خيراً لهم وأكرم .

قلت : ـ ياسيدى ـ أليس قد ورد حديث عن الرسول فى استحبابه الصلاة عليه بعد الأذان ؟ .

قال : نعم ـ يابنى ـ حديث لا ننكره بل نتمسك به أعظم التمسك ، إن النبى يأمرمن يسمع الأذان بأن يجيب المؤذن فى دعوته وألفاظه ثم يصلى عليه ويسأل الله لرسول الله الوسيلة والفضيلة . إنه أمر للسامع أن يجيب فى سره و يصلى على النبى فى سره وليس أمراً للمؤذن أن يرفع عقيرته و يلحق بالأذان ـ الذى هو شعيرة دينية ـ ماليس منه .

قلت : وما هو الضرر الذى يعود على الدين من زيادة الصلاة والتسليم على الأذان إذا نقينا هذه الصلاة من الألفاظ التى لا تقرها الشريعة و يأباها الذوق ؟ .

قال : وما هو الضرر الذى يعود على الإسلام من أن تصلى الصبح ثلاث ركعات بدلاً من ركعتين ؟ أليست الركعات الثلاث أفضل وأغزر ثواباً من الركعتين ؟ .

قلت : لا . . إن الصبح فريضة دينية .

قال : والأذان أيضاً فريضة دينية . والدين قد كمل كما قلت لك .

قلت : إن الناس يرمونك إذن بالتشديد فى الدين .

قال : عجباً لهؤلاء الناس ! ومن يكون أولى بأن يرمى بالتشديد فى الدين : ذلك الذى يزيد فيه ماليس منه . ويحمل الناس على هذه الزيادة مع تضييعها لوقتهم ومخالفتها للذوق السليم أو ذلك الذى يقف بالدين عند حدوده البسيطة وشرائعه الميسرة ؟ أنهم أولى منا بهذا الوصف . أرأيت كيف تقلب الحقائق ؟ ولكن لا تعجب فالعملة الرديئة ـ كما يقول علماء الاقتصاد ـ تطرد العملة الجيدة . وهكذا تجد البدع المنكرة والضلالة العمياء تطغى على الخير والحق حتى يتحقق قول الرسول الكريم « إن الله ليبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » . (كتب السنن) .

خلاصة رأى الأستاذ

الجهر بالصلاة على النبى من المؤذن بعد الأذان غير جائز لأسباب :

(١) الأذان إعلام للناس بألفاظه الواردة .

(٢) الزيادة على الأذان لم تحدث إلا بعد وفاة الرسول بسبعمائة وثمانين سنة .

(٣) الألفاظ الملحقة بالأذان فيها وصف الرسول بصفات الألوهية وفيها تحقير لكرامته .

(٤) الأجيال الخيرة التى جاءت بعد الرسول كانت أشد حباً له ومع ذلك فلم تلحق بالأذان ماليس منه .

(٥) الأذان من الدين والدين أكمله الله فى عهد الرسول وكل زيادة فيه زيادة فى الدين .

(٦) الناس يدعون اتباع الخلفاء الراشدين ويدعون اتباع أئمة المذاهب ومع ذلك فقد خالفوهم وأصروا على الزيادة فى الأذان التى لم يقولوا بها .

(٧) البدع الزائدة على الدين كلها ضلالة فليس منها حسن وسيء .

(٨) الذين أمرهم الرسول بالصلاة عليه من يسمعون المؤذن وليس المؤذن . فعكس الناس الآية وأصبح المؤذن هو الذى يصلى على الرسول والناس ساكتون .

يوم القيامة ...

فى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال يجاء بالعبد يوم القيامة كأنه بذخ[1] فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ، فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أوفر ما كان فارجعنى آتيك به ، فإذا عبيد لم يقدم خيراً فيمضى به إلى النار » .

وفيه من حديث أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولدا وسخرت لك الانعام والحرث وتركت ترأس وترتع أفكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى » .

(١) البذخ : ولد الضأن

أحسن ما قرأت

هل قرأت هـذه المعلومات !!.

تذكرة إلى طنطا . . . ثالث عواصم القطر

بقلم الأستاذ سرى الدين

نشرت بمجـلة روز اليوسف الغراء
بتاريخ ١٩٥٥/٩/٢٦ بالعدد ١٤٢٤

• أخرجت كثيراً من الوزراء .. وأنجبت سعد زغلول .. ومن ضباط الثورة البكباشى حسين الشافعى ..

• تكسب طنطا من المولد الأحمدى ـ أى مولد السيد أحمد البدوى كل عام مالايقل عن ثلاثة ملايين من الجنيهات .. ومن أجل خاطر هذه الملايين الثلاثة تسكت الدولة عن كل ما يدور فى المولد المذكور وما يشاع فيه من خرافات ... و يبيع تجـار طنطا أيام المولد الواحد بما لا يقل عن مليون جنيه ونصف حمص وحلاوة سمسية وحمصية !!..

• تحصل وزارة الأوقاف ١٢٥ ألف جنيه كل عام من صندوق السيد أحمد البدوى .. تعطى منها ٣٥ ألفاً لسعاة المسجد وفراشيه وشيوخه .. و يعقد أصحاب الطرق الصوفية الأحمدية مؤتمراً فى طنطا أيام المولد يتبارون خلاله فى نشر البدع الدينية الخرافية ..

و يبلغ رواد المولد كل عام نصف مليون تمتلىء بهم مدينة طنطا حتى تـكاد تختنق .. وليس بالمدينة رغم هذا مطعم واحد تستطيع أن تطمئن فيه إلى تناول غذائك !..

• فى طنطا أكذوبة كبرى تغمض وزارة الأوقاف عنها عينيها لأجل خاطر خزينتها هى أكذوبة قدم النبى .. فنى الجامع الأحمدى صخرة سوداء عليهـا آثار أقدام .. يدعى

خدم المسجد أن النبي عند ما كان يسير على الصخر كانت قدمه تترك أثراً .. وعند ما كان يسير على الرمال لم يكن يترك أى أثر .. و بدلا من أن تقتلع وزارة الأوقاف هذه الأكذوبة تضع صندوقاً للنذور بالقرب منها تكسب منه كل عام ١٢٥ ألف جنيه !!..

ماذا يراد بنـــــــا ؟؟

قرأت أمس ما كتبه زميلى الأستاذ أحمد قاسم جودة فى خواطره السريعة عن التحقيق الذى أجرته مجلة اسمها « الحياة الجامعية » وعنوانه « بين المؤمنين والملاحدين والوجوديين ». وقد أوردت المجلة فى تحقيقها أقوالا منسوبة لبعض الطلبة ، أقل ما يقال عنها أنها صادرة عن عقول «مخبولة» اندفعت فى تيار المجون وتريد أن تبشر بعقائد جديدة ..: اسمع لهذا الشاب الفاجر يقول «.. سأعلم ابنى كيف يصبح بلطجياً ، وابنتى كيف تصبح فاجرة.. إن شاءت ! واسمع لآخر يقول « الأديان فلسفات أدت دورها فى مرحلة معينة ، وانتهى دورها ، ليحل محلها العلم ..» ومن قبل هذا نشرت بعض المجلات المتداولة فى المنازل والمدارس وكل مكان مقالات لبعض الدعاة إلى إطلاق حرية التقبيل فى الشوارع والطرقات والحدائق العامة ... وقال الداعون : سواء رضينا أم لم نرض فإن هذا لا بد وأن يحدث قريباً !!

أريد أن أسأل كيف سمح بنشر هذا الكلام « الوقح » ..

وأريد أن أسأل أيضاً ماذا يراد بنا ؟

أيراد منا أن ننزل إلى هذا الحضيض ليقال عنا أننا أحرار ، وأننا شعب متمدن ؟ .

ألا بئست الحرية ، و بئست المدنية ، إذا كان يراد من بناتنـا أن ينزلن إلى هذا المستوى الحقير ؟ إن الحرية التى تسمح بهذا الفســاد ، هى حرية خطرة ، لا يجوز أن تقف على قدميها أو أن تمضى بفسادها فى المنازل والمدارس وكل مكان !!

هذه حرية لا نريدها ، لأن الحرية التى تهدم الأخلاق ، وتمهد لفساد العائلات ، هى الحرية التى تتساوى مع السوس الذى ينخر فى أساس المجتمع ؟ انقذوا المجتمع من دعاة الشر فإن دعوتهم خبيثة ، وسمومها قاتلة !.

جلال الدين الحمامصى

نقلاً عن الجمهورية فى ١٩٥٥/٩/١٧

٤٩

الحث على الانفاق وكراهة الاحصاء

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنفقى أو انْضِحى أو أنفِحِى ، ولا تُحْصِي فيُحْصِىَ اللهُ عليك ، ولا تُوعِىَ فيُوعِىَ الله عليك » .

« رواه مسلم »

ومعنى أنفحى وأنضحى : أعطى ، والنفح والنضح : العطاء . والحديث الشريف يحث على النفقة فى الطاعة والنهى عن الإمساك والبخل وعن ادخار المال فى الوعاء .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تحصى فيحصى الله عليك ، ويوعى عليك » ومعناه : الله يمنعك كما منعت ويقتر عليك كما قترت ، ويمسك فضله عليك كما أمسكته .

وقيل : معنى لا تحصى أى لا تعديه فتستكثريه فيكون سبباً لانقطاع انفاقك .

* * *

وعن عدى بن حاتم ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشقٍّ تمرةٍ فليفعل » « رواه مسلم » .

وعن عدى بن حاتم ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النار فأعرض وأشاح ، ثم قال : « اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح ، حتى ظننّا أنه كأنما ينظرُ إليها ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

« رواه مسلم »

والحديث فيه الحث على الصدقة وأنه لايمتنع فيها لقلتها وأن قليلها سبب للنجاة من النار ولو بكلمة طيبة ــ أى الكلمة التى فيها تطييب قلب الانسان .

اخبار الجماعة

تأييد وتهنئة للرئيس

تلقى السيد الرئيس جمال عبد الناصر برقية من جدة من فضيلة الرئيس الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر هذا نصها :

« السلام عليكم ورحمة الله ، تحت ظلال الكعبة المشرفة نرفع الأكف ضارعين إلى الله أن يمدكم بالمعونة فى إعداد القوة لإرهاب العدو ، ونسأله أن يمن علينا أن نكون مجاهدين تحت لوائكم لتطهير فلسطين ، أدام الله تأييدكم ونصركم » .

ورد السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية :

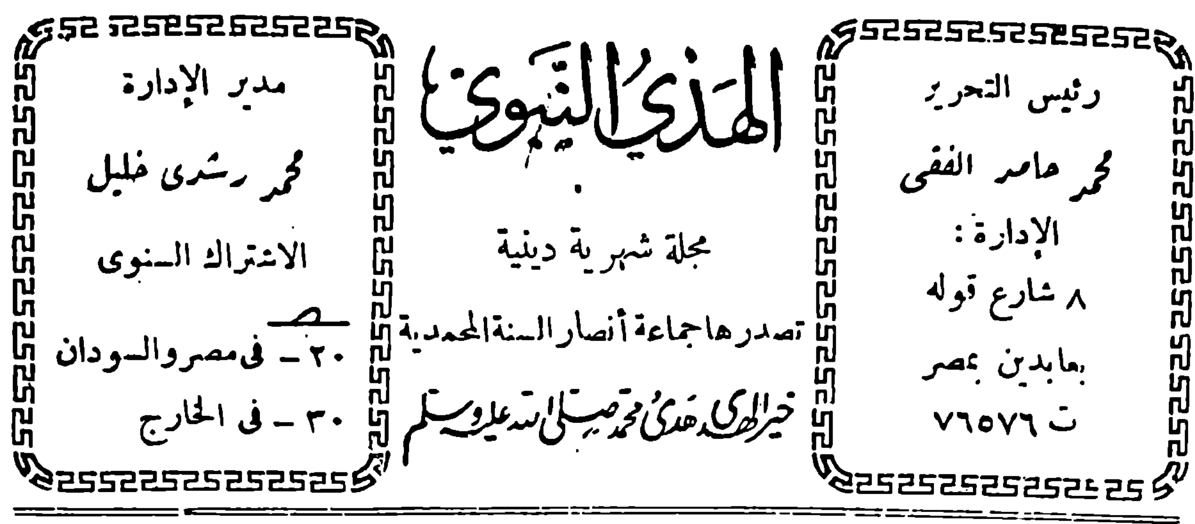
« أعربتم فى برقيتكم عن كامل تأييدكم لسياستنا لتسليح الجيش ورفض أى تدخل من المستعمرين فلكم شكرى وتقديرى » .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير — القاهرة

ت ٧٩٠١٧


الهدى النبوی
خیر الهدی هدی محمد صلی الله علیه وسلم



المجلد ٢٠ — ربيع الثانى — رجب سنة ١٣٧٥ — الأعداد ٤ — ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره وجل ثناؤه .

(١٦ : ١٠٦ — ١٠٩ من كفر بالله من بعد إيمانه — إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان — ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة . وأن الله لا يهدى القوم الكافرين . أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم . وأولئك هم الغافلون . لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) .

قال أبو حيان : الظاهر أن « من » شرطية فى موضع رفع على الابتداء . وهو استئناف إخبار لاتعلق له بما قبله من جهة الإعراب .

ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين : من كفر باللفظ ، وقلبه مطمئن بالإيمان . ورخص له فى النطق بكلمة الكفر . إذا كان قلبه مؤمنا . وذلك مع الإكراه . والمعنى : إلا من أكره على الكفر : يتلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان . وجواب الشرط محذوف ، لدلالة مابعده عليه . تقريره : الكافرون بعد الإيمان — غير المكرهين — فعليهم غضب . ويصح أن يكون الاستثناء مما تضمنه جواب الشرط المحذوف ، أى فعليهم غضب ، إلا من أكره فلا غضب عليه ولا عذاب . ولكن من شرح بالكفر صدرا . وكذا قدره الزمخشرى — أعنى الجواب قبل الاستثناء — فى قول من جعل « من »

شرطا . وقال ابن عطية : قالت فرقة « من » فى قوله « من كفر » ابتداء . وقوله « من شرح » تخصيص منه ودخل الاستثناء لإخراج عمار بن ياسر رضى الله عنه وشبهة . ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بكل . وقوله « فعليهم » خبر عن « من » الأولى والثانية . إذ هو واحد بالمعنى . لأن الإخبار فى قوله « من كفر » إنما قصد به الصنف الشارح بالكفر صدرا . انتهى .

وهذا ــ وإن كان كما ذكر ــ فهتان جملتان شرطيتان . وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراد لايشتركان فيه . فتقدير الحذف أحرى على صناعة الإعراب . وقد ضعفوا مذهب أبى الحسن فى ادعائه : أن قوله « فسلام لك من أصحاب اليمين » وقوله « فروح وريحان » جواب لـ «أما » ولأن « هذا » و « مما » أداتا شرط . إحداهما تلى الأخرى . وعلى كون « من » فى موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية ، كما ذكرنا . ويجوز ان تكون موصولة ، ومابعدها صلتها . والخبر محذوف ، لدلالة مابعده عليه ، كما ذكرنا فى حذف جواب الشرط ، إلا أن « من » الثانية لايجوز أن تكون شرطاً ، حتى يقدر قبلها مبتدأ . لأن « من » وليت « لكن » فيتعين إذ ذاك أن تكون « من » موصولة . فإن قدر مبتدأ بعد «لكن» جاز أن تكون شرطية فى موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر . كقوله * ولكن متى يسترفد القوم أرفد * أى : ولكن أنا متى يسترفد النوم أرفد . وكذلك نقدر هنا : ولكن هم من شرح بالكفر صدراً ، أى منهم . وأجاز الحوفى ، والزمخشرى : أن تكون بدلا من «الذين لايؤمنون» ومن « الكاذبون » ولم يجزالرجاج إلا أن تكون بدلا من « الكاذبون » لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام ، فعلقه بما قبله . وأجاز الزمخشرى : أن تكون بدلا من أولئك . فإذا كان بدلا من « الذين لا يؤمنون » فيكون قوله « وأولئك هم الكاذبون » جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه . والمعنى : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه . واستثنى منهم المكره . فلم يدخل تحت حكم الافتراء . وإذا كان بدلا « الكاذبون » فالتقدير : وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، وإذا كان بدلا من « أولئك » فالتقدير : ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون .

وهذه الأوجه الثلاثة عندى ضعيفة . لأن الأول يقتضى : أنه لا يفترى الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه . والوجود يقتضى أن من يفترى الكذب : هو الذى لا يؤمن . سواء كان ممن كفر بعد الإيمان ، أو كان ممن لم يؤمن قط . بل من لم يؤمن قط : هم الأكثرون افتراء للكذب .

وأما الثانى : فيؤول المعنى فيه إلى ذلك . إذ التقدير : وأولئك . أى الذين لا يؤمنون ، هم من كفر بالله من بعد إيمانه . والذين لا يؤمنون هم المفترون .

وأما الثالث : فكذلك . إذ التقدير : أن المشار إليهم . هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبر عنهم بأنهم الكاذبون .

وقال الزمخشرى : ويجوز أن ينتصب على الذم . انتهى . وهذا أيضاً بعيدٌ .

والذى تقتضيه فصاحة الكلام : جعل الجمل كلها مستقلة . لا ترتبط بما قبلها من الإعراب، بل من حيث المعنى والمناسبة . اه .

أقول : ومن الله أستمد الهدى والمعونة والتوفيق .

« الكفر» فى لغة العرب ـ التى نزل بها القرآن ـ هو الستر والتغطية والتعمية . ويسمون الليل كافراً . لأنه يستر بظلمته وسكونه ما كان ظاهراً منتشراً بالنهار . فالكفر بالله : هو محاولة إبطال آثار أسماء الله وصفاته وتعميتها ، ومحاولة إخفائها بالعمل بنقيضها .

وقوله « من كفر » يدل على أنه ممكن أن يحصل ويقع من كل إنسان ما دامت الأسباب ـ من الغفلة وظلمات الجاهلية وتقاليدها ـ موجودة . وإن كانت الآيات قد نزلت فى أشخاص بأعيانهم . وتدل أيضاً على أن الكفر يتجدد ، ويزيد وينقص ، كما أن الإيمان يتجدد ، ويزيد وينقص . وإنما خدع الناس أنفسهم قديماً وحديثاً بجهلهم بهذه الحقائق الواقعية ، وبما زعموه لأنفسهم من الأوهام التقليدية التى زين لهم الشيطان سوءها . وأنهم بعيدون عن الكفر والشرك وآثارها بعد السماء عن الأرض .

و « الإيمان » الإذعان والتسليم عن علم ومعرفة صادقين ، يذوق القلب من حلاوة ثمارهما مايعيش به ناعم البال ، آمنا من مخاوف الشكوك وقلقه ، مطمئناً ساكنا إلى رضوان الله الذى عرفه ـ بالتفكر فى خلق السموات والأرض ـ معرفة متجددة بتجدد آثار أسمائه وصفاته فى نفسه وفى الآفاق .

ويخدع نفسه ، ويخونها أسوأ خيانة : الإمَّعَة المقلد ، الذى يعيش بدين ورأى تقليدى عن آبائه وشيوخه ، بغير فهم ولا تقدير للعواقب . وأما العاقل الرشيد : فهو الذى ينصح نفسه يوم يعرف أن قلبه بأشد الحاجة إلى الغذاء المتجدد من الهدى الفطرى ، والعلم الربانى ، يعصر زيته من التفكر فى سنن الله الكونية ، وتدبر آياته القرآنية ، ويمد به نور فطرته . فيكون نوراً على نور . ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور .

و « القلب » لب الإنسان . وهو حقيقته الإنسانية الكريمة ، وهى الشخصية الثانية المعنوية ، التى نفخها الله فيه من روحه . والشخصية الظاهرة : هى جسده وقشره المكون من أعضائه البهيمية الظاهرة والباطنة ، المشار إليها بقوله « فإذا سويته » وسنة الله ربنا فى ذلك واضحة كل الوضوح ، لكنها خفيت على الغافلين الذين ألقوا بأنفسهم تحت أكوام التقاليد الجاهلية . فكل شىء يتناوله الإنسان لطعامه مكون من لب وقشر . وأهم شىء فيه لبه وقلبه . وقشره إنما هو لحفظ القلب واللب . فالإنسان يعنى أولا باللب والقلب . وما يعنى بالقشر إلا لحفظ اللب سليما . فكذلك قلب الإنسان : هو لبه ومعناه ، وحقيقته الإنسانية الكريمة التى ميزه بها . ونفخها الله فيه من روحه لتعقل عنه ، وتفقه مايريد ويحب لها ربها ، وأعطاها فى الأولى والأخرى وتقدر نعمه عليها وفضله وإحسانه وتشكره ، فتحسن الانتفاع به . لتقوم بالخلافة فى الأرض على الوجه الذى يؤتيها به ربها سعادة الأولى والأخرى .

وهذا القلب واللب والحقيقة والمعنى : هو ميزة الإنسان ، وما به أكرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

وهو الذى له و به أسجد الله له ملائكته وجعلهم له خاضعين منقادين فى تدبير أمره بما يوحى إليهم ويأمرهم ربه وربهم .

ولقد أعطى ربنا كل شىء خلقه ثم هداه إلى حاجته التى بها يعيش ، وإلى سبيله الذى يؤدى به إلى حسن القيام بعمله فى الحياة . فللجسم الذى هو القشر حاجته التى بها يعيش ، من الأرض التى خلق جميع البشر وصوروا من ترابها . وللقلب الذى هو اللب والحقيقة كذلك غذاؤه من المعانى التى يجنيها من التفكر والتأمل فى نفسه وفى الآفاق ، ومن المعانى التى يجنيها من ثمار القرآن المنزل من السماء ، ومن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وكل من الجسم

والقلب يهضم ـ بحركة الحياة الإرادية والاضطراب فيها ـ غذاءه . فيحتاج إلى غذاء جديد . هيأ الله سبحانه له كل أسباب الجِدَّةِ ـ فى نفس الغذاء ومادته ، وفى نفس الإنسان وأعضائه ، وحقيقته ومعناه ـ وللقشر الذى هو الجسم عقل معيشى يشاركه الحيوان فيه الإنسان كما يشاركه فى كل خصائص جسمه وغذائه . وللقلب ـ الذى هو اللب والحقيقة ـ : عقل هو ميزة الإنسان ، والذى به فضل الإنسان وميزه . وكان به موضع الكرامة . وإن كان أكثر الناس قد غفل عنه وقتله بانشغاله بالجسم والقشر وعقله الحيوانى المعاشى . وقد احتفظ بهذا العقل ، وحرص على غذائه وجلائه وتصفيته : عباد الرحمن المتقون ، الذاكرون ، الصابرون الشاكرون ذوو الألباب السليمة (٣ : ١٩١ الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) وهم الذين استنارت بصائرهم بالعلم بما أنزل الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

و « الكفر » ـ الذى يتولد عن الغفلة التقليدية ، والانسلاخ من آيات الله والعمى عن فهم وفقه وتدبر الآيات القرآنية ـ يعيش وينمو ويتوالد ويتكاثر فى ظلمات التقاليد الجاهلية ، ويتغذى بالأهواء والشهوات والشبهات والظنون ، والأمانى والغرور .

و « الإيمان » ـ الذى تثمره المعرفة اليقظة المتجددة بالله والمعانى القيمة التى تجنى وتعصر من آثار أسماء الله وصفاته ، وسننه وآياته وكتابه ـ يعيش وينمو ، ويتوالد ويتجدد ، ويتكاثر فى جنة العلم والمعرفة والفقه فيما أوحى الله من الهدى ، ويتغذى باليقظة والحرص على دوام التفكر فى سنن الله وتلاوة القرآن حق تلاوته وأن يكون سيره وتنقله فى منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » مع التحرى الشديد لتحقيق « اهدنا الصراط المستقيم » والوقوف مع « رب زدنى علما » ومع « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » و « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

فالكفر يطرأ ، ويتجدد ، ويزيد وينقص . والإيمان كذلك يطرأ ، ويتجدد ، ويزيد وينقص . لأن أسباب كل واحد منهما قائمة تدعو إلى ذلك ، بما قضت به حكمة الله ورحمته من الامتحان والبلاء فى هذه الدار (٢١ : ٣٥ ونبلوكم بالشر والخير فتنة . وإلينا ترجعون) .

فالمؤمن ـ بالله وأسمائه وصفاته وآثارها . ومن أوضح آثارها : نفسه وما لله فيها وعليها من آيات وفضل و إحسان ـ هذا المؤمن الصادق الإيمان ، اليقظ الحريص على نجاة نفسه ، وتزكيتها وتطهيرها ، وإنمائها والسمو بها ـ فى جهاد ونضال دائم مستمر ، بكل يقظة ، فى كل مايأخذ ويدع . لأنه على يقين من أن كل مابه وله : فإن من السهل أن يكون سبب إيمان ونجاة وفلاح . إذا شكر المنعم به . فأحسن تناوله والانتفاع به على الوجه الذى جعله الله به نافعاً . كما أن من السهل كذلك أن يكون سبب كفر وخسران وهلاك ، إذا غمط الحق وعمى عن الفضل . ولم يشكر . فأساء تناوله وأخذه على الوجه والصفة والوقت الذى جعله الله له . فكان سوءاً مستمراً متجدداً عليه (١٠ : ٢٧ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) (٣٠ : ١٠ ثم كان عاقبة الذين أساءوا : السوأى ، أن كذبوا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون) .

لذلك ينبغى أن نأخذ من قول الله « من كفر بالله من بعد إيمانه » أنها ـ و إن كانت قد جاءت فى شأن عمار بن ياسر وأبيه وأمه رضى الله عنهم وأرضاهم ، وإخوانهم من المؤمنين الذين كان أبو جهل و إخوانه من طواغيت قريش ومستكبريها يفتنونهم عن دينهم الحق ، و يحاولون ردهم عنه إلى وثنيتهم الأولى ـ فإنها متوجهة إلينا وإلى كل مسلم ، اليوم و بعد اليوم وجاهليتهم وفى كل زمان . كشأن كل آيات القرآن ، الذى أنزله الله العليم الحكيم ، وحفظه للناس كافة إلى قيام الساعة .

فإن ألفاظها « من » الدال على العموم ، و « كفر » كذلك . والأجواء والفتن والدوافع التى كانت تحاول شياطين الإنس والجن فتنة بها عمار وياسر وسمية و إخوانهم ـ رضى الله عنهم ـ عن دينهم . وإرجاعهم إلى العمى بعد الهدى ، وإلى الظلمات بعد النور . لاتزال قائمة اليوم . ولعلها اليوم أشد وأقوى دفعاً منها فى الأيام الخالية .

ومن أشد الغرور وسوء الجاهلية : أن تظن أن هذه الآيات وأخواتها فيمن سبق من الفاتنين والمفتونين فحسب . فتزعم لك نفسك الغافلة المغرورة : أنك بمفازة من الكفر ومنجاة من الجاهلية ، فضلا عن أن تشرح بذلك صدراً وتكون داعياً إليه بالقلم واللسان ، جرياً وراء أعدائك من اليهود والنصارى والمشركين ، وأنت تدرى أو لا تدرى ، كشأن كثير اليوم . والله المستعان . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأفهم من قوله تعالى « من كفر بالله من بعد إيمانه » أن الإيمان الصحيح قد : يضعف أمام هجمات العدو من شياطين الإنس والجن فى جو الغفلة والنسيان لآيات الله فى الإنسان ، وفضله عليه فى إنسانيته الكريمة العاقلة . فإن من لازم الإنسان النسيان والذكر ، والغفلة واليقظة . وقد يستهين الإنسان بثغر من ثغور قلبه ، و يغفل عنه و ينساه باهتمامه بما يعتقده أهم منه ، وأخطر شأناً ، فيتسلل العدو الخناس من ذلك الثغر ، و يدخل إلى حصن القلب ، و يحاول أن ينفث فيه سمومه . ولكن ما أسرع مايحس القلب القوى الحياة ـ بما يغذى من العلوم الصحيحة النافعة من سنن الله وآياته ورسالاته ، المنشرح بالإيمان ـ وحشة وألماً من العدو وخبثه وقذره . وما أسرع ما يكشف نور الإيمان الصادق عن موضع العدو ومقدار قوته ، وما أسرع ما تتحرك جيوش النفس اللوامة اليقظة ، و يستجيب لها مدد من الملائكة أوليائه . و يعين الله الجميع على إجلاء العدو وطرده ، فتأخذ النفس بعد ذلك فى تطهير القلب من آثاره ، ومما ترك من ران ودنس ، ثم تدور حول حصنها لتعرف الثغر الذى تسرب العدو منه . فتقوى حراسه . وتمد المرابطين عليه بقوى جديدة وسلاح جديد يقيهم شر الغفلة ، و يجعلهم أيقاظا (٧ : ٢٠٢ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فإنهم استفادوا من هذا المس قوة نور فى بصيرتهم ، وقوة يقظة فى نفوسهم ، وشدة حذر من عدوهم . فتعود نفوسهم أقوى حياة ، وأسرع إلى الله حركة ، وأنور بصيرة ، وأشد ثقة بالله ، واطمئناناً وركونا إليه ، واعتماداً عليه وتفويضاً إليه ، و إسلاماً له ، وحرصاً على أن تكون معه من الصابرين الشاكرين المحسنين المتقين .

والثغرة التى قد يتسلل منها العدو الوسواس الخناس : قد تكون من المال ، أو الزوج أوالولد ، أو الصديق ، أو الجار ، أو الرئيس ، ومن أشباه ذلك من مواقع الحصون الخارجة المحيطة . فإن كل ماحول الإنسان حصون أقامها الله له يتقى بها مايخاف ويحذر ، و يستفيد منها تحصنا وقوة ودفعاً . ولعل العدو يصور ويدبر ـ بمكره السىء من ـ إحدى هذه الثغرات حالة ضغط و إكراه ـ من الولد ، أو الزوج ، أو الصديق ، أو الرئيس . أو نحوهم ـ فيحس المؤمن نفسه واقعة تحت هذا الضغط . وصدق الله إذ يقول (٦٤ : ١٤ ـ ١٦ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم . و إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم .

إنما أموالكم وأولادكم فتنة . والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

فيذهب يحاول التخلص من هذا الضغط ، فيفلح تارة ، و يفشل تارة . و إنما يفلح فى التخلص : إذا كان صادق العزم ، نقى القلب ، صادق الإنابة إلى الله ر به ، مخلص التفويض والتسليم له ولكتابه ولهدى رسوله ، حاضراً ـ فى يقظة تامة ـ مع كل ذلك بكل حواسه ومشاعره ، لامتهاون ولا متساهل ولا مستصغر زلة أو خطيئة فى جانب الله . فمع هذا يفلح بمعونة الله وتوفيقه . و إنما يفشل إذا داخله شيء من حظ نفس ، أو من هوى ، أو محاولة إرضاء عادة أو تقاليد ، أو مداهنة مجتمع . أو استهانة واستصغار للزلة والخطيئة ، أو ركون إلى الأمانى والغرور فإنه عندئذ يحس نفسه مقهورة مغلوبة ، لا قدرة لها على رد الولد أو الزوج أو الصديق . وقد تميل نفسه إلى الإذعان والتسليم لله ولكتابه ولرسوله . ولكنه يلتمس لها المعاذير ، و يعاونه الشيطان بما يزيده غفلة ونسياناً لما جعل الله له من سلاح ، فيستجيب إلى ماطلب منه مكرهاً مغلوبا ـ وهو كاره ماقت ـ معتذراً بأنه تحيط به ظروف تقهره ، وتغلبه على أمره . فما يكاد يعطى من نفسه أو ماله ماطلب منه ، تحت هذا الضغط والقهر ، حتى يتنفس الصعداء ، و يحس نفسه قد خرجت من تحت كابوس هذا الضغط العنيف . وأنه قد بقى له منها وفيها قوة يقدر بها أن يتلافى ما فرط منه . و يستطيع أن يرضى قلبه الذى تأذى بما أعطى تحت هذا الضغط . فيجتهد أن يريحه و يطمئنه من قلقه بالخطيئة ، وأن ينفض عنه غبار هذا الضاغط الذى كاد ينقض ظهره ، وأن يعود إلى الله ر به بقامته مستوية يقومها بما عنده من أسباب ومواد الاستقامة التى غفل عنها ، وهى عنده من عطاء ر به . وهو فى كل ذلك يفزع إلى الله ر به فى ضراعة وشديد فقر ومسكنة : أن يعيد إلى صدره الانشراح والبسط والرضى بالله وعن الله ، و إسلام الوجه والقلب والعمل له ، مخلصاً نفسه من براثن عدوه ، و يعيد إلى قلبه الاطمئنان إلى الله بذكره ، خوفا ورجاء ، ورغبة ورهبة . ورضى به ر باً وبدينه ديناً ، و بنبيه ومصطفاه رسولا و إماماً . فعندئذ يجد لذة وسعادة عظيمة فى فراره وأو بته إلى ربه ، وفكاكه من أسر عدوه ، فيفرح بذلك شديد الفرح ؛ و يفرح الله به ، و يعود له برضاه ومغفرته . و يعطيه من العلم والهدى والرشد مابه ينير بصيرته ، و يقوى عزيمته .

ويرجع إليه كرامته ، ويأخذ به علواً وسمواً فى ثبات و يقين على طريق السداد والرشاد ، معتصما بحبل الله المتين ، سامياً به على درجات الفلاح والسعادة ، شديد اليقظة والحذر فى كل خطوة أن يزله عدوه أو يزيغه و « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » فينغص عليه حلاوة إيمانه بالله ر به . و ينكد عيشه الطيب مع الله ر به فيبقى أشد حرصاً أن يعيش فى سلم وسلامة قلب ، و إسلام وجه وعمل لله رب العالمين .

هذا الذى شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ر به . وهو الذى اتقى وآمن وعمل الصالحات . وهو التواب المنيب المتطهر ، الذى يجتنب كبائر الإثم والفواحش . لأن العدو إنما يلمّ به إلماماً ، و إذا ألمّ لا يلبث أن يطرده عنه طرداً عنيفاً ، لأنه به خبير ، وله ماقت ، ومنه حذر ، فى يقظة ونور من ر به وهداه . فيبقى طول حياته غازياً مجاهداً ، آخذاً سلاحه متحفزاً ، حتى يلقى ر به وهو عنه راض مرضى ، لا خوف عليه ولا يحزن . جعلنا الله منهم .

أما الذى عمى مما أنزل الله على رسوله ، وحرم نفسه وروحه من غذاء القرآن وتدبره : فقد غمط نعم الله فيه وعليه ، ودسس نفسه فى مزابل البهيمية ، وطمر هدى الفطرة فى كسف ظلمات الجاهلية ، فهو إمَّعة ، لا يحاول أن يرى ولا يسمع ، ولا يحس ولا يفقه ، إلا ما يريده له ومنه شياطين الإنس والجن ، وما يدفع إليه الهوى والشهوات فى ظلمات الغفلة ، والعمى عن آثار أسماء الله فيه وفيما حوله . فذلك الذى مات قلبه الإنسانى ومعناه الكريم فصورته صورة إنسان . وحقيقته كما قال ووصف العلم الخبير (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) وكما قال (٢٥ : ٤٤ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) قد فسد لُبُّه ، وتعفن وانتشر عفنه ، فآذى ما حوله ومن حوله . فتحطمت أسوار حصنه ، ومات الحراس . وأصبح صدره مقبرة تنطوى على جيف من كانوا له من الله ر به حراساً ، وقد قتلهم بغفلته . وأماتهم بسموم جهالته وجاهليته . فهجمت عليه الوحوش والذئاب تعيش وتعيث فى هذه المقبرة و بما فيها من الجيف . وكلما حاول ناصح أن يوقظ بدعوته أولئك الحراس ، ليدفعوا تلك الوحوش : زمجرت الوحوش

وعوت الذئاب ، وكشرت له عن أنيابها تحاول افتراسه . وتدبر قول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (٢٧ : ٨٠ ، ٨١ إنك لاتسمع الموتى . ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا . فهم مسلمون)

هؤلاء هم القاسية قلوبهم من ذكر الله . لا يذكرونه إلا بما يكرهونه لأنفسهم من الصفات والأعمال . فإنهم لا يذكرونه إلا بالتنقيص والعيب . فهو سبحانه – فى قلوبهم وأعمالهم وعلى ألسنتهم – : الذى ظلمهم فى أصل الخلقة . فخلقهم بشراً من طين . وخلق سادتهم من نوره فهم جزء منه . وخلقهم غير قابلين للفهم والفقه فى دينه ورسالات رسله . وخص بذلك الفهم والفقه قلة من الخلق . هم لا بد أقرباؤه ، أو على الأقل حاباهم لما يرجو منهم – سبحانه – وهو لذلك لايستجيب لمن دعاه إلا بواسطتهم وشفاعتهم . وهو لذلك قد أعطى الحق لأولئك السادة أن يشرعوا للعامة بلا إذنه ما يشاءون من الخرافات والسخافات ، أو على الأصح : هم الذين أعطوا أولئك السادة هذا الحق فى هذا التشريع الذى لم ينزل الله به سلطانا . وأن يستدركوا على شرائع الله ورسله بما شاءوا فى كل وقت ، وأنهم أعلم بمصالح العباد من الله العليم الحكيم . لذلك كان كلامهم أيسر فهماً ، وأسهل معنى وأقرب منالا ومأخذاً . وسبحان الرحمن الحليم . وهكذا لايذكرون الله فى أى حال ، وأى شأن إلا بصفات النقص والعيب . فأثمر هذا الذكر السىء لهم وفيهم من خبيث الثمرات ما أمات قلوبهم ، وأفسد لبهم . ثم طال عليهم الأمد فقست وتحجرت ، واتسعت صدورهم وانشرحت لذلك الذكر بالنقص ونسبة ما لا يليق ولا ينبغى لله ، مما يكرهونه لأنفسهم . وأخذ شياطين الإنس والجن يولدون فى نفوسهم ألواناً من الطواغيت فى مراح تلك الصدور وهى تتسع لها ، لأنها فرحة بها ، موافقة لأهوائها وشهواتها . مناسبة لظلمات جاهليتها وانتكاسها

أولئك هم الذين يتنزل دائما عليهم غضب الله وسخطه تنزلا متجدداً بتجدد ما يكسبون من أسبابه من تدسية أنفسهم فى مزابل البهيمية المنسلخة من آيات الله . وما يحرصون عليه من التمسك الشديد بخيوط أوهى من بيت العنكبوت ، التى خدعهم بها شياطين الإنس والجن عن حبل الله المتين وعروته الوثقى . وهم بكل ذلك أشد ثقة بما فى أيديهم ، وأرغب فى البقاء فى ضلالهم وجاهليتهم ، والإعراض عن الله وكتابه ورسوله ، والاستهانة بشرائعه

البقية على صفحة ٨٧

يريد الله ليطهركم . . .

لشيخ الاسلام ابن تيمية

تعويضاً للسادة القراء والمشتركين عن تأخير صدور المجلة هذه المدة . رأينا إهدائهم هذه الرسالة فى الطهارة لشيخ الإسلام ابن تيمية .

قوله عز وجل (٥ : ٦ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق . وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين . وإن كنتم جنباً فاطَّهَّرُوا . وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريد الله ليجعل عليكم من حرج. ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

فهذا الخطاب يقتضى : أن كل قائم إلى الصلاة فإنه مأمور بما ذكر ، من الغسل والمسح وهو الوضوء . وذهبت طائفة : إلى أن هذا عام مخصوص . وذهبت طائفة : إلى أنه يوجب الوضوء على كل من كان متوضئا . وكلا القولين ضعيف .

فأما الأولون : فإن منهم من قال : المراد بهذا : القائم من النوم . وهذا معروف عن زيد بن أسلم ومن وافقه من أهل المدينة من أصحاب مالك وغيرهم . قالوا : الآية أوجبت الوضوء على النائم بهذا ، وعلى المتغوط بقوله « أو جاء أحد منكم من الغائط » وعلى لامس النساء بقوله « أو لامستم النساء » وهذا هو الحدث المعتاد . وهو الموجب للوضوء عندهم .

ومن هؤلاء من قال : فيها تقديم وتأخير . تقديره : إذا قمتم إلى الصلاة من النوم ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء .

فيقال : أما تناولها للقائم من النوم المعتاد : فظاهر لفظها يتناوله . وأما كونها مختصة به ، بحيث لا تتناول من كان مستيقظا وقام إلى الصلاة : فهذا ضعيف . بل هى متناولة لهذا لفظا ومعنى .

وغالب الصلوات يقوم الناس إليها من يقظة . لا من نوم . كالعصر والمغرب والعشاء

وكذلك الظهر فى الشتاء . لكن الفجر يقومون إليها من نوم . وكذلك الظهر فى القائلة . والآية تعم هذا كله .

لكن قد يقال : إذا أمرت القائم من النوم لأجل الريح التى خرجت بغير اختياره ، فأمرها للقائم الذى خرج منه الريح فى اليقظة أولى وأحرى . فيكون على هذا دلالة الآية على اليقظان بطريق تنبيه الخطاب وفحواه .

فإن قيل : إن اللفظ عام تناول هذا بطريق العموم اللفظى . فهذان قولان متوجهان والآية على القولين عامة . وتعم أيضاً القيام إلى النافلة بالليل والنهار ، والقيام إلى صلاة الجنازة كما سنبينه إن شاء الله . فمتى كانت عامة لهذا كله : فلا وجه لتخصيصها .

وقالت طائفة : تقدير الكلام : إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون ، أو قد أحدثتم . فإن المتوضىء ليس عليه وضوء . وكل هذا عن الشافعى . ويوجب الشافعى فى التيمم فإن ظاهر القرآن يقتضى وجوب الوضوء والتيمم على كل قائم يخالف هذا .

فإن كان قد قال هذا : كان له قولان .

ومن المفسرين من يجعل هذا قول عامة الفقهاء من السلف والخلف . لاتفاقهم على الحكم . فيجعل اتفاقهم على هذا الحكم اتفاق الاضمار ، كما ذكر أبو الفرج ابن الجوزى . قال : وللعلماء فى المراد بالآية قولان .

أحدهما : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين فاغسلوا . فصار الحدث مضمراً فى وجوب الوضوء . وهذا قول سعد بن أبى وقاص ، وأبى موسى ، وابن عباس والفقهاء .

قال : والثانى ، إن الكلام على إطلاقه من غير إضمار ، فيجب الوضوء على كل من يريد للصلاة ، محدثاً كان أو غير محدث . وهذا مروى عن عكرمة وابن سيرين . ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ . ونقل عن جماعة من العلماء : أن ذلك كان واجباً بالسنة وهو ما روى بريدة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد . وقال : عمداً فعلته يا عمر » .

قلت : أما الحكم ـ وهو من توضأ لصلاة صلى بذلك الوضوء صلاة أخرى ـ فهذا

قول عامة السلف والخلف . والخلاف فى ذلك شاذ ، وقد علم بالنقل المتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه لم يكن يوجب الوضوء على من صلى ثم قام إلى صلاة أخرى . فإنه قد ثبت بالتواتر «أنه صلى بالمسلمين يوم عرفة الظهر والعصر جميعاً ، جمع بهم بين الصلاتين» وصلى خلفه ألوف مؤلفة لايحصيهم إلا الله . ولما سلم من الظهر ، صلى بهم العصر . ولم يحدث وضوءاً ، لا هو . ولا أمر الناس بإحداث وضوء . ولا نقل ذلك أحد . وهذا يدل على أن التجديد لا يستحب مطلقا .

وهل يستحب التجديد لكل صلاة من الخمس ؟ فيه نزاع . وفيه عن أحمد روايتان .

وكذلك أيضاً لما قدم مزدلفة صلى بهم المغرب والعشاء من غير تجديد وضوء للعشاء . وهو فى الموضعين قد قام هو وهم إلى صلاة بعد صلاة . وأقام لكل صلاة إقامة . وكذلك سائر أحاديث الجمع الثابتة فى الصحيحين من حديث ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس . كلها تقتضى : أنه هو والمسلمون خلفه صلوا الثانية من المجموعتين بطهارة الأولى ، لم يحدثوا لها وضوءاً . وكذلك هو صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه فى الصحيحين من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهم : أنه كان يتوضأ لصلاة الليل فيصلى به الفجر . مع أنه كان ينام حتى يغط . ويقول « تنام عيناى ولا ينام قلبى » فهذا أمر أصح ما يكون أنه كان ينام ثم يصلى بذلك الوضوء الذى توضأه للنافلة يصلى به الفريضة . فكيف يقال إنه كان يتوضأ لكل صلاة ؟

وقد ثبت عنه فى الصحيح « أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر . ثم قدم عليه وفد عبد القيس . فاشتغل بهم عن الركعتين بعد الظهر حتى صلى العصر ، ولم يحدث وضوءاً » وكان يصلى تارة الفريضة ثم النافلة . وتارة النافلة ثم الفريضة . وتارة فريضة ثم فريضة . كل ذلك بوضوء واحد . وكذلك المسلمون صلوا خلفه فى رمضان بوضوء واحد مرات متعددة وكان المسلمون على عهده يتوضأون ثم يصلون ما لم يحدثوا ، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، ولم ينقل عنه لا بإسناد صحيح ولا ضعيف : أنه أمرهم بالوضوء لكل صلاة .

فالقول باستحباب هذا يحتاج إلى دليل .

وأما القول بوجوبه : فمخالف للسنة المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وللإجماع

الصحابة . والنقل عن علي بخلاف ذلك لايثبت . بل الثابت عنه خلافه . وعليٌّ أجلُّ من أن يخفى عليه مثل هذا . والكذب عن على كثير مشهور . أكثر منه على غيره .

وأحمد بن حنبل ـ مع سعة علمه بآثار الصحابة والتابعين ـ أنكر أن يكون فى هذا نزاع . وقال أحمد بن القاسم : سألت أحمد عمن صلى أكثر من خمس صلوات بوضوء واحد ؟ فقال : لا بأس بذلك إذا لم ينتقض وضوءه . ما ظننت أن أحداً أنكر هذا . وقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة . قلت : وكيف كنتم تصنعون ؟ قال : يجزىء أحدنا الوضوء ما لم يحدث » . وهذا هو فى الصلوات الخمس المفرقة . ولهذا استحب أحمد ذلك فى أحد القولين ، مع أنه كان أحياناً يصلى صلوات بوضوء واحد . كما فى صحيح مسلم عن بريدة . قال « صلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد ، ومسح على خفيه . فقال له عمر : إنى رأيتك صنعت شيئاً لم تكن صنعته ؟ قال : عمداً صنعته يا عمر » .

والقرآن أيضاً يدل على أنه لايجب على المتوضىء أن يتوضأ مرة ثانية من وجوه .

أحدها : أنه سبحانه قال (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فقد أمر من جاء من الغائط ولم يجد الماء أن يتيمم الصعيد الطيب . فدل على أن المجىء من الغائط يوجب التيمم . فلو كان الوضوء واجباً على من جاء من الغائط ومن لم يجىء ، فإن التيمم أولى بالوجوب . فإن كثيراً من الفقهاء يوجبون التيمم لكل صلاة . وعلى هذا فلا تأثير المجىء من الغائط . فإنه إذا قام إلى الصلاة وجب الوضوء أو التيمم ، وإن لم يجىء من الغائط . ولو جاء من الغائط ولم يقم إلى الصلاة : لايجب عليه وضوء ولا تيمم ، فيكون ذكر المجىء من الغائط عبثاً على قول هؤلاء .

الوجه الثانى : أنه سبحانه خاطب المؤمنين . لأن الناس كلهم يكونوا محدثين . فإن البول والغائط أمر معتاد لهم ، وكل بنى آدم مُحدِث . والأصل فيهم الحدث الأصغر . فإن أحدهم من حين كان طفلاً قد اعتاد ذلك ، فلا يزال مُحدِثاً بخلاف الجنابة . فإنها إنما تعرض لهم عند البلوغ . والأصل فيهم عدم الجنابة . كما أن الأصل فيهم عدم الطهارة الصغرى . فلهذا

قال « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » ثم قال « وإن كنتم جنباً فاطّهروا » فأمرهم بالطهارة الصغرى مطلقاً . لأن الأصل : أنهم كلهم محدثون قبل أن يتوضئوا . ثم قال « وإن كنتم جنباً فاطهروا » وليس منهم جُنبٌ إلا من أجنب . فلهذا فرق سبحانه بين هذا وهذا .

الثالث : أن يقال : الآية اقتضت وجوب الوضوء إذا قام المؤمن إلى الصلاة . فدل على أن القيام هو السبب الموجب للوضوء . وأنه إذا قام إلى الصلاة صار واجباً حينئذ وجوباً مضيقاً . فإذا كان العبد قد توضأ قبل ذلك : فقد أدى هذا الواجب قبل مضيقه . كما قال (٦٢:٩ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) فدل على أن النداء يوجب السعى إلى الجمعة . وحينئذ يتضيق وقته فلا يجوز أن يشتغل عنه ببيع ولا غيره . فإذا سعى إليها قبل النداء : فقد سابق إلى الخيرات . وسعى قبل تضييق الوقت . فهل يقول عاقل : إن عليه أن يرجع إلى بيته ليسعى ؟ .

وكذلك الوضوء : إذا كان المسلم قد توضأ للظهر قبل الزوال . أو للمغرب قبل غروب الشمس . أو للفجر قبل طلوعه ، وهو إنما يقوم إلى الصلاة بعد الوقت . فمن قال : إن عليه أن يعيد الوضوء فهو بمنزلة من يقول : إن عليه أن يعيد السعى إذا أتى قبل النداء .

والمسلمون على عهد نبيهم كانوا يتوضأون للفجر وغيرها قبل الوقت . وكذلك المغرب . فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعجلها ، ويصليها إذا توارت الشمس بالحجاب . وكثير من أصحابه كانت بيوتهم بعيدة من المسجد ، فهؤلاء لو لم يتوضئوا قبل المغرب : لما أدركوا معه أول الصلاة . بل قد تفوتهم جميعاً لبعد المواضع . وهو نفسه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتوضأ بعد الغروب ، ولا من حضر عنده فى المسجد ، ولا كان يأمر أحداً بتجديد الوضوء بعد المغرب . وهذا كله معلوم مقطوع به . وما أعرف فى هذا خلافا ثابتاً عن الصحابة : أن من توضأ قبل الوقت عليه أن يعيد الوضوء . ولا يستحب أيضاً لمثل هذا تجديد وضوء . وإنما تكلم الفقهاء فيمن صلى بالوضوء الأول : هل يستحب له التجديد ؟ وأما من لم يصل به : فلا يستحب له إعادة الوضوء . بل تجديد الوضوء فى مثل هذا بدعة مخالفة لسنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكما عليه المسلمون فى حياته وبعده إلى هذا الوقت .

فقد تبين أن هذا قبل القيام قد أدى هذا الواجب قبل تضييعه . كالساعى إلى الجمعة قبل النداء . وكمن قضى الدين قبل حلوله . ولهذا قال الشافعى وغيره : إن الصبى إذا صلى ثم بلغ لم يعد الصلاة . لأنها تلك الصلاة بعينها ، سابق إليها قبل وقتها . وهو قول فى مذهب أحمد . وهذا القول أقوى من إيجاب الإعادة . ومن أوجبها قاسه على الحج ، وبينهما فرق . كما هو مبسوط فى غير هذا الموضع .

وهذا الذى ذكرناه فى الوضوء : هو بعينه فى التيمم . ولهذا كان قول العلماء : إن التيمم كالوضوء . فهو طهور المسلم ما لم يجد الماء . وإن تيمم قبل الوقت وتيمم للنافلة ، فيصلى به الفريضة وغيرها . كما هو ابن عباس . وهو مذهب كثير من العلماء ، أبى حنيفة وغيره . وهو أحد القولين عن أحمد .

والقول الآخر : وهو التيمم لكل الصلاة ، هو المشهور من مذهب مالك والشافعى وأحمد . وهو قول لم يثبت عن غيره من الصحابة ، كما قد بسط فى موضعه .

فالآية محكمة ولله الحمد . وهى على مادلت عليه ، من أن كل قائم إلى الصلاة فهو مأمور بالوضوء . فإن كان قد توضأ قبل ذلك فقد أحسن . وفعل الواجب قبل تضييعه ، وسارع إلى الخيرات ، كمن سعى إلى الجمعة قبل النداء .

فقد تبين أن الآية ليس فيها إضمار ولا تخصيص ، ولاتدل على وجوب الوضوء مرتين . بل دلت على الحكم الثابت بالسنن المتواترة ، وهو الذ عليه جماعة المسلمين . وهو وجوب الوضوء على المصلى . كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ . فقال رجل من حضرموت : ما الحدث يا أبا هريرة قال : فساء أو ضراط » وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يقبل الله صلاة بغير وضوء ، ولا صدقة من غلول » .

وهذا يوافق الآية الكريمة . فإنه يدل على أنه لا بد من الطهور . ومن كان على طهر

فهو على طهور . و إنما يحتاج إلى الوضوء من كان محدثاً . كما قال « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وهو إذا توضأ ثم أحدث . فقد دلت الآية على أمره بالوضوء إذا قام إلى الصلاة ، و إذا كان قد توضأ فقد فعل ماأمر به . كقوله : لاتصلى إلا بوضوء . أو لاتصلى حتى تتوضأ ونحو ذلك . مما بين أنه مأمور بالوضوء لجنس الصلاة ، الشامل لأنواعها وأعيانها ، ليس مأموراً بكل نوع أو عين بوضوء غير وضوء الآخر ، ولا سيما وفى اللفظ ما يدل على ذلك . لكن هذا الوجه لا يدل على قِدَم الوضوء على الجنس . كمن أسلم فتوضأ قبل الزوال أو الغروب ، أو كمن أحدث فتوضأ قبل دخول الوقت بخلاف الوجه الذى قبله . فإنه يتناول هذا كله .

فصل

وقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) يقتضى وجوب الوضوء على كل مصلٍّ مرة بعد مرة . فهو يقتضى التكرار . وهذا متفق عليه بين المسلمين فى الطهارة . وقد دلت عليه السنة المتواترة ، بل هو معلوم بالاضطرار من دين المسلمين عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يأمر بالوضوء لصلاة واحدة . بل أمره أن يتوضأ كلما صلى ، ولو صلى صلاة بوضوء وأراد أن يصلى سائر الصلوات بغير وضوء لاستتيب . فإن تاب و إلا قتل .

لكن المقصود هنا دلالة الآية عليه ، وذلك من لفظ «الصلاة» فإن «الصلاة» هنا اسم جنس . ليس المراد صلاة واحدة . فقد أمر إذا قام إلى جنس الصلاة أن يتوضأ . والجنس يتناول جميع ما يصليه من الصلوات فى جميع عمره .

فإن قيل : هذا يقتضى عموم الجنس لمن أمن التكرار . فإذا قام إلى أى صلاة توضأ ، لكن من أين أنه إذا قام إليها يوماً آخر يتوضأ ؟ .

قيل : لأنه فى هذا اليوم الثانى قائم إلى الصلاة . فهو مأمور بالوضوء إذا قام إلى مسمى الصلاة . فحيث وجد مقام إلى مسمى الصلاة ، فهو مأمور بالوضوء متى وجد ذلك . فعليه الوضوء . وهو كقوله تعالى (١٧:٧٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس) فالمراد جنس الدلوك ، فهو مأمور بإقامة الصلاة له ، وكذلك قوله (٥٠:٣٩ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل

الغروب) وهو متناول لكل طلوع وغروب . ليس المراد طلوعاً واحداً . فإنه قال قبل كل طلوع لها وقبل كل غروب . وأقم الصلاة عند كل دلوك . وكل صلاة يقوم إليها متوضئاً لها .

وقد تنازع الناس فى الأمر المطلق : هل يقتضي التكرار ؟ على ثلاثة أقوال فى مذهب أحمد وغيره .

قيل : يقتضيه ، كقول طائفة ، منهم القاضى أبو يعلى وابن عقيل .

وقيل : لا يقتضيه كقول كثير ، منهم أبو الخطاب .

وقيل : إن كان معلقاً بسبب اقتضى التكرار ، وهذا هو المنصوص عن أحمد فى الطهارة والصلاة .

فإن قيل : فهذا لا يتكرر فى الطلاق والعتق المعلق .

قيل : لأن عتق الشخص الواحد لا يتكرر . وكذلك الطلاق المعلق نفسه لا يتكرر ، بل الطلقة الثانية حكمها غير حكم الأولى ، وهو محدود بثلاث . ولكن إذا قال الناذر : لله علىَّ إن رزقنى الله ولداً أن أعتق عنه . و إذا أعطانى مالاً أن أزكيه أو أتصدق بعشره ، تكرر . و بسط هذا فى موضع آخر .

فصل

قوله تعالى (و إن كنتم مرضى أو على سفر ، أوجاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء ــ الآية) هذا مما أشكل على بعض الناس .

فقال طائفة من الناس « أو » بمعنى الواو ، وجعلوا التقدير : وجاء أحد منكم من الغائط ولامستم النساء ، قالوا : لأن من مقتضى « أو » أن يكون كل من المرض والسفر موجباً للتيمم ، كالغائط والملامسة . وهذا معنى الآية ، فإن « أو » ضد الواو ، والواو للجمع والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه .

وأما معنى « أو » فلا يوجب الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، بل يقتضى إثبات أحدهما . لكن قد يكون ذلك مع إباحة الآخر . كقوله جالس الحسن أو ابن سيرين ،

وتعلم الفقه أو النحو ، ومن خصال الكفارة يخير بينها ، ولو فعل الجميع جاز . وقد يكون مع الحصر . يقال للمريض : كل هذا ، أو هذا . وكذلك فى الخبر . هى لإثبات أحدهما ، إما مع عدم علم المخاطبة وهو الشك ، أو مع علمه وهو الإيهام ، كقوله تعالى (٣٧:١٤٧ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) لكن المعنى الذى أراده هو الأصح ، وهو أن خطابه بالتيمم للمريض والمسافر وإن كان قد جاء من الغائط ، أو جامع .

ولا ينبغى على قولهم أن يكون المراد : أن لا يباح التيمم إلا مع هذين . بل التقدير بالاحتلام أو حدث بلا غائط ، فالتيمم هنا أولى . وهو سبحانه لما أمر كل قائم إلى الصلاة بالوضوء ، وأمرهم إذا كانوا جنباً أن يطهروا أو فيهم الحدث بغير الغائط ، كالقائم من النوم والذى خرجت منه الريح . ومنهم الجنب بغير جماع ، بل باحتلام ، فالآية عمت كل حدث وكل جنب . فقال تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر فتيمموا) فأباح التيمم للمحدث والجنب إذا كان مريضاً أو على سفر ، ولم يجد ماء . والتيمم رخصة .

فقد يظن الظان أنها لا تباح إلا مع خفيف الحدث والجنابة كالريح والاحتلام ، بخلاف الغائط والجماع . فإن التيمم مع ذلك والصلاة معه مما تستعظمه النفوس وتهابه . فقد أنكر بعض كبار الصحابة تيمم الجنب مطلقاً . وكثير من الناس يهاب الصلاة مع الحدث بالتيمم ، إذ كان جعلُ التراب طهوراً . فالماء مما فضل الله به محمداً وأمته ومن لم يستحكم إيمانه لا يستجز ذلك .

فبين سبحانه : أن التيمم مأمور به مع تغليظ الحدث بالغائط ، وتغليظ الجنابة بالجماع . والتقدير : وإن كنتم مرضى أو مسافرين ، أو كان ـ مع ذلك جاء ـ أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء . ليس المقصود أن يجعل الغائط والجماع فيما ليس معه مرض أو سفر . فإنه إذا جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامس النساء ، وليسوا مرضى ولا مسافرين : فقد بين ذلك بقوله (إذا قمتم الصلاة فاغسلوا وجوهكم) وبقوله (إن كنتم جنباً فاطهروا) فدلت الآية على وجوب الوضوء والغسل على الصحيح والمقيم .

وأيضاً فتخصيصه المجيء من الغائط والجماع ، يجوز أن لا يكون لا بتيمم فى هذه الحالة

دون ما هو أخف من ذلك ، من خروج الريح ومن الاحتلام . فإن الريح كالنوم ، والاحتلام يكون فى المنام . فهناك يحصل الحدث والجنابة والإنسان قائم. فإذا كان فى تلك الحال يؤمر بالوضوء والغسل ، فإذا حصل ذلك وهو يقظان فهو أولى بالوجوب . لأن النائم رفع عنه القلم ، بخلاف اليقظان .

ولكن دلت الآية على أن الطهارة تجب ، و إن حصل الحدث والجنابة بغير اختياره ، كحدث النائم واحتلامه . و إذا دلت على وجوب طهارة الماء فى الحال ، فوجوبها مع الحدث الذى حصل باختياره أو يقظته أولى . وهذا بخلاف التيمم . فإنه لا يلزم إذا أباح التيمم للمعذور الذى أحدث فى النوم باحتلام أو ريح : أن يتجه لمن أحدث باختياره . فقال تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) ليبين جواز التيمم لهذين . و إن حصل حدثهما فى اليقظة ، و بفعلهما و إن كان غليظا .

ولو كانت « أو » بمعنى الواو : كان تقدير الكلام : أن التيمم لا يباح إلا بوجود الشرطين ـ المرض والسفر ـ مع المجىء من الغائط والاحتلام . فيلزم من هذا أن لا يباح مع الإحتلام ولا مع الحدث بلا غائط ، كحدث النائم ، ومن خرجت منه الريح . فإن الحكم إذا علق بالشرطين لم يثبت مع أحدهما فقط . وهذا ليس مراداً قطعاً ، بل هو ضد الحق . لأنه إذا أبيح مع الغائط الذى يحصل بالاختيار فمع الخفيف وعدم الاختيار أولى .

فتبين أن معنى الآية و إن كنتم مرضى أو على سفر فتيمموا . و إن كان مع ذلك قد جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء . كما يقال : و إن كنت مريضاً أو مسافراً . والتقدير : و إن كنتم أيها القائمون إلى الصلاة ـ وأنتم مرضى أو مسافرين ـ قد جئتم من الغائط أو لامستم النساء . ولهذا قال من قال : إنها خطاب للقائمين من النوم : إن التقدير إذا قمتم إلى الصلاة ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء . فإنه سبحانه ذكر أولاً فعلهم بقوله « إذا قمتم » « أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء » الثلاثة أفعال . وقوله « و إن كنتم مرضى أو على سفر » حال لهم . أى كنتم على هذه الحال . كقوله : و إن كنتم على حال العجز عن استعمال الماء ـ إما لعدمه ، أو لخوف الضرر

باستعماله ـ فتيمموا إذا قمتم إلى الصلاة من النوم . أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء .

ولـكن الذى رجحناه : أن قوله « إذا قمتم » عام : إما لفظا ومعنى ، و إما معنى .

وعلى هذا فالمعنى : إذا قمتم إلى الصلاة فتوضئوا أو اغتسلوا إن كنتم جنبا . و إن كنتم مرضى أو مسافرين ، أو فعلتم ماهو أبلغ فى الحدث ، جئتم من الغائط أو لامستم النساء . إن التقدير : و إن كنتم مرضى أو مسافرين ، وقد قمتم إلى الصلاة أو فعلتم ـ مع القيام إلى الصلاة . والمرض أو السفر : هذين الأمرين : المجىء من الغائط ، والجماع . فيكون قد اجتمع قيامكم إلى الصلاة والمرض والسفر وأحد هذين . فالقيام موجب للطهارة والعذر مبيح ، وهذا القيام . فإذا قمتم وجب التيمم إن كان قياماً مجرداً . أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء .

ولـكن من الناس من يعطف قوله « أو جاء » « أو لامستم » على قوله « إذا قمتم » والتقدير : و إذا قمتم أو جاء أو لامستم . وهذا مخالف لنظم الآية . فإن نظمها يقتضى أن هذا داخل فى جزاء الشرط . وقوله (و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فتيمموا) فإن الذى قاله قريب من جهة المعنى . ولـكن التقدير : و إن كنتم إذا قمتم إلى الصلاة مرضى أو على سفر ، أو كان مع ذلك : جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء . فهو تقسيم من مفرد ومركب .

يقول : إن كنتم مرضى أو على سفر قائمين إلى الصلاة فقط بالقيام من النوم أو القعود المعتاد . أو كنتم ـ مع هذا ـ : قد جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء .

فقوله تعالى (و إن كنتم مرضى أو على سفر) خطاب لمن قيل لهم « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا » و « إن كنتم جنباً فاطهروا » فالمعنى : يا أيها القائم إلى الصلاة توضأ . و إن كنت جنباً فاغتسل . و إن كنت مريضاً أو مسافراً تيمم . أو كنت مع هذا وهذا ، مع قيامك إلى الصلاة ، وأنت محدث ، أو جنب . ومع مرضك وسفرك قد جئت من الغائط ، أو لامست النساء ، فتيمم . و إن كنت معذوراً .

وإيضاح هذا : أنه من باب عطف الخاص على العام الذى يخص بالذكر لامتيازه وتخصصه يقضى ذلك . ومثل هذا يقال : إنه داخل فى العام ، ثم ذكر مخصوصه . ويقال : بل ذكره خاصاً يمنع دخوله فى العام . وهذا يجىء فى العطف بأو . وأما بالواو : فمثل قوله تعالى (٢:٩٨ وملائكته وجبريل وميكال) (٣٣ : ٧ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ـ الآية) ومن هذا قوله (٢٩:٤٥ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ونحو ذلك .

وأما فى « أو » ففى مثل قوله تعالى (٣:١٣٥ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقوله (٤ : ١١٠ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقوله (٤:١١٢ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثما مبيناً) . وقوله (٢ : ١٨٢ ومن خاف من موصٍ جَنَفًا أو إثما) فإن الجنف هو الميل عن الحق ، وإن كان عامداً .

قال عامة المفسرين «الجنف» الخطأ والإثم العمد . قال أبو سليمان الدمشقى : الجنف ، الخروج عن الحق . وقد يسمى « المخطىء والعامد » إلا أن المفسرين علقوا « الجنف » على المخطىء ، و «الإثم» على العامد . ومثله قوله (٧٦: ٢٤ ولا تطع منهم آثماً أو كفورا) فإن « الكفور » هو الآثم أيضاً . لكن عطف خاص على عام . وقد قيل: هما صنفان لموصوف واحد ، وهو أبلغ فإن عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد ، كقوله (٨٧ : ٢ ، ٣ الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) وقوله (٥٧ : ٣ هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وقوله (٢٣:١ـ٤ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون) ونظائر هذا كثيرة .

قال ابن زيد : الآثم ، المذنب الظالم والكفور . هذا كله واحد . قال ابن عطية : هو مخير فى أنه يعرف الذى لاينبغى أن يضيعه بأى وصف كان من هذين . لأن كل واحد منهم فهو آثم وهو كفور ، ولم تكن الأمة من الكثرة بحيث يغلب الإثم على المعاصى . قال : واللفظ إنما يقتضى نهى الإمام عن طاعة آثم من العصاة أو كفور من المسئولين .

وقال أبو عبيدة وغيره : ليس فيها غير « أو » بمعنى الواو . وكذلك قال طائفة : منهم البغوى وابن الجوزى .

وقال المهدى : أى لاتطع من أثم أو كفر . ودخول « أو » يوجب أن لا تطيع كل واحد منهما على انفراده . ولو قال : ولا تطع منهما آثما أو كفورا . لم يلزم النهى إلا فى حال اجتماع الوصفين .

وقد يقال : إن « الكفور » هو الجاحد للحق ، وإن كان مجتهداً مخطئاً . فيكون هذا أعم من وجه ، وهذا أعم من وجه التمسك[1] .

وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) من هذ الباب . فإنه خطاب المؤمنين . فقال (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) وهذا يتناول المحدثين كما تقدم . ثم قال (وإن كنتم جنبا فاطّهروا) ثم قال « وإن كنتم ــ مع الحدث والجنابة ــ مرضى أو على سفر ، ولم تجدوا ماء فتيمموا » وهذا يتناول كل محدث سواء كان قد جاء من الغائط أو لم يجىء ، كالمستيقظ من نومه ، والمستيقظ إذا خرجت منه الريح . ويتناول كل جنب ، سواء كانت جنابته باحتلام أو جماع . فقال . وإن كنتم محدثون جنب ــ مرضى أو على سفر ــ أو جاء أحد منكم من الغائط » وهذا نوع خاص فى الحدث « أو لامستم النساء » وهذا نوع خاص من الجنابة .

ثم قد يقال : لفظ « الجنب » يتناول النوعين ، وخص المجامع بالذكر ، وكذلك « القائم إلى الصلاة » يتناول من جاء من الغائط ومن أحدث بدون ذلك ، لكن خص الجانى بالذكر كما فى قوله (٢ : ١٨٢ فمن خاف من موص جنفا أو إثما) فالآثم هو المتعمد ، وتخصيصه بالذكر ــ وإن كان دخل ــ ليبين حكمه بخصوصه ، ولئلا يظن خروجه عن اللفظ العام . وإن كان لم يدخل فهو نوع آخر . والتقدير : إن كنتم مرضى أو على سفر فتيمموا . وهذا معنى الآية .

---

(١) كذا فى الأصل

فصل

وقوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) ذكر الحدث الأصغر . فالمجيء من الغائط هو مجيء من الموضع الذي تقضى فيه الحاجة . وكانوا ينتابون الأماكن المنخفضة ، وهى الغائط . وهو كقولك : جاء من المرحاض . وجاء من الكنيف ونحو ذلك . هذا كله عبارة عمن جاء وقد قضى حاجته بالبول أو الغائط . والريح يخرج معهما . وقد تنازع الفقهاء : هل نقض الريح لكونها تستصحب جزءاً من الغائط ، فلا يكون على هذا نوعا آخر ؟ أو هى لا تستصحب جزءا من الغائط . بل هى نفسها تنقض . ونقضها متفق عليه بين المسلمين . وقد دل عليه القرآن فى قوله « إذا قمتم » سواء كان أريد القيام من النوم أو مطلقا . فإن القيام من النوم : مراد على كل تقدير . وهو إنما نقض بخروج الريح . هذا مذهب الأئمة الأربعة ، وجمهور السلف والخلف : أن النوم نفسه ليس بناقض ، ولكنه مظنة خروج الريح .

وقد ذهبت طائفة إلى أن النوم نفسه ينقض ، ونقض الوضوء بقليله وكثيره . وهو قول ضعيف . وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان ينام حتى يغط . ثم يقوم يصلى ولا يتوضأ ، ويقول : تنام عيناى ولا ينام قلبى » .

فدل على أن قلبه الذى لم ينم كان يعرف به أنه لم يحدث ، ولو كان النوم نفسه ـ كالبول والغائط والريح ـ لنقض كسائر النواقض .

وأيضا قد ثبت فى الصحيحين « أن الصحابة كانوا ينتظرون الصلاة حتى تخفق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون . وهم فى المسجد ينتظرون العشاء خلف النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عن العشاء ليلة ، فأخرها حتى رقدنا فى المسجد ، ثم استيقظنا . ثم رقدنا . ثم استيقظنا . ثم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ليس أحد من أهل الأرض الليلة ينتظر الصلاة غيركم » .

ولمسلم عنه قال « مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء

الآخرة . فخرج علينا حين ذهب ثلث الليل ، أو بعضه ـ ولا ندرى أى شىء شغله ، من أهله أو غير ذلك ـ فقال حين خرج : إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم . ولولا أن يثقل على أمتى لصليت بهم هذه الساعة . ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى » .

ولمسلم أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت « أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، حتى ذهب عامة الليل ، وحتى نام أهل المسجد . ثم خرج فصلى . فقال ، إنه لوقتها . لولا أن أشق على أمتى » .

ففى هذه الأحاديث الصحيحة : أنهم ناموا ، وقال « إنهم رقدوا ثم استيقظوا . ثم رقدوا ثم استيقظوا » وكان الذين يصلون خلفه جماعة كثيرة ، وقد طال انتظارهم وناموا . ولم يستفصل أحد ولا سئل . ولا سأل الناس : هل رأيتم رؤيا ، أو هل مكن أحدكم مقعدته ، أو هل كان أحدكم مستنداً ، وهل سقط شىء من أعضائه على الأرض ؟ فلو كان الحكم يختلف لسألهم . وقد علم أنه فى مثل هذا الانتظار بالليل ـ مع كثرة الجمع ـ يقع هذا كله . وقد كان يصلى خلفه النساء والصبيان .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت « أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى بصلاة العشاء . فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال عمر بن الخطاب : نام النساء والصبيان . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأهل المسجد ، حين خرج عليهم : ماينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم ، وذلك قبل أن يفشو الإسلام فى الناس » .

وقد خرج البخارى هذا الحديث فى باب خروج النساء إلى المسجد بالليل والغلس وفى باب النوم قبل العشاء لمن غلب عليه النوم . وخرجه فى باب وضوء الصبيان وحضورهم الجماعة وقال فيه « إنه ليس أحد من أهل الأرض يصلى هذه الصلاة غيركم » .

وهذا يبين قول عمر « نام النساء والصبيان » يعنى والناس فى المسجد ينتظرون الصلاة .

وهذا يبين أن المنتظرين للصلاة ، كالذين ينتظرون الجمعة إذا نام أى نوم كان لم ينقض وضوءه . فإن النوم ليس بناقض . وإنما الناقض : الحدث . فإذا نام النوم المعتاد الذى

يختاره الناس فى العادة ـ كنوم الليل والقائلة ـ فهذا يخرج منه الريح فى العادة ، وهو لا يدرى إذا خرجت ، فلما كانت الحكمة خفية لا نعلم بها ؛ قام دليلها مقامها . وهذا هو النوم الذى يحصل هذا فيه فى العادة . وأما النوم الذى يشك فيه : هل حصل معه ريح أم لا ؟ فلا ينقض الوضوء . لأن الطهارة ثابتة بيقين ، فلا تزول بالشك .

وللناس فى هذه المسألة أقوال متعددة ، ليس هذا موضع تفصيلها . لكن هذا هو الذى يقوم عليه الدليل .

وليس فى الكتاب والسنة نص يوجب النقض بكل نوم .

فإن قوله « العَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ ، فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » قد روى فى السنن من حديث على بن أبى طالب ومعاوية رضى الله عنهما ، وقد ضعفه غير واحد . و بتقدير صحته ، فإنما فيه « فاذا نامت العينان استطلق الوكاء » وهذا يفهم منه : أن النوم المعتاد : هو الذى يستطلق منه الوكاء ، ثم نفس الاستطلاق لا ينقض . و إنما ينقض ما يخرج مع الاستطلاق . وقد يسترخى الإنسان حتى ينطلق الوكاء ولا ينتقض وضوءه .

و إنما قوله فى حديث صفوان بن عسال « أمرنا أن لا ننزع خفافنا ، إذا كنا سَفْراً ـ أو مسافرين ـ ثلاثة أيام ولياليهن ، إلا من جنابة ، لكن من غائط أو بول أو نوم » فهذا ليس فيه ذكر نقض النوم . ولكن فيه : أن لابس الخفين لا ينزعهما ثلاثة أيام إلا من جنابة . ولا ينزعهما من الغائط والبول والنوم . فهو نهى عن نزعهما لهذه الأمور . وهو يتناول النوم الذى ينقض . ليس فيه أن كل نوم ينقض الوضوء .

هذا إذا كان لفظ « النوم » فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم . فكيف إذا كان من كلام الراوى . وصاحب الشريعة قد يعلم أن الناس إذا كانوا قعوداً أو قياماً فى الصلاة أو غيرها ، فينعس أحدهم وينام ، ولم يأمر أحداً بالوضوء فى مثل هذا .

أما الوضوء من النوم ، المعروف عند الناس ، الذى يترجح معه فى العادة خروج الريح وأما ما كان قد يخرج معه الريح ، وقد لا يخرج : فلا ينقض على أصل الجمهور ، الذين يقولون : إذا شَكَّ هل ينقض أو لا ينقض ؟

أنه لا ينقض . بناء على يقين الطهارة .

فصل

وهو سبحانه أمرنا بالطهارتين الصغرى والكبرى وبالتيمم على كل منهما ، فقال (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) فأمر بالوضوء . ثم قال (وإن كنتم جنباً فاطهروا) فأمر بالتطهر من الجنابة ، كما قال فى المحيض (٢ : ٢٢٢ فلا تقربوهن حتى يطهرن . فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) وقال فى سورة النساء (٤ : ٤٣ ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا) وهذا يبين أن التطهر هو الاغتسال .

والقرآن يدل على أنه لا يجب على الجنب إلا الاغتسال ، وأنه إذا اغتسل جاز له أن يقرب الصلاة . والاغتسال من الجنابة فليس عليه نية رفع الحدث الأصغر ، كما قال جمهور العلماء . والمشهور فى مذهب أحمد : أن عليه نية رفع الحدث الأصغر . وكذلك ليس عليه فعل الوضوء ، ولا ترتيب ولا موالاة عند الجمهور . وهو ظاهر مذهب أحمد .

وقيل : لا يرتفع الحدث الأصغر إلا بهما .

وقيل : لا يرتفع حتى يتوضأ . روى ذلك عن أحمد .

والقرآن يقتضى أن الاغتسال كافٍ . وأنه ليس عليه بعد الغسل من الجنابة حدث آخر بل صار الأصغر جزءاً من الأكبر . كما أن الواجب فى الأصغر جزء من الواجب فى الأكبر فإن الأكبر يتضمن غسل الأعضاء الأربعة .

ويدل على ذلك : قول النبى صلى الله عليه وسلم للواتى غسلن ابنته «اغسلنها ثلاثاً ، أو خمساً ، أو أكثر من ذلك ، إن رأيتن ذلك . وابدأن بميامنها ومواضع السجود منها » .

فجعل غسل مواضع الوضوء جزءاً من الغسل . لكنه يقدم كما تقدم الميامن .

وكذلك الذين نقلوا صفة غسله كعائشة رضى الله عنها « ذكرت أنه كان يتوضأ ، ثم يفيض الماء على شعره ، ثم على سائر بدنه » ولا يقصد غسل مواضع الوضوء مرتين ، وكان لايتوضأ بعد الغسل فقد دل الكتاب والسنة على أن الجنب والحائض لايغسلان على أعضاء الوضوء ، ولا ينويان وضوءاً ، بل يتطهران يغتسلان كما أمر الله تعالى .

وقوله (فاطهروا) أراد به الاغتسال . فدل على قوله من الحائض حتى يطهرن « فإذا

تطهرن » أراد به الاغتسال ، كما قاله الجمهور : مالك والشافعى وأحمد . وأن من قال : هو غسل الفرج . كما قاله داود ، فهو ضعيف .

فصــل

قال الله عز وجل (و إن كنتم مرضى أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء. فلم تجدوا ماء فتيمموا . صعيداً طيبا) .

فقوله « فلم تجدوا ماء » يتعلق بقوله « على سفر » لا بالمرض . والمريض يتيمم و إن وجد الماء . والمسافر إنما يتيمم إذا لم يجد الماء . ذكر سبحانه وتعالى النوعين الغالبين : الذى يتضرر باستعمال الماء ، والذى لايجده .

وقوله « على سفر » يعم السفر الطويل والقصر ، كما قاله الجمهور .

وقوله « و إن كنتم مرضى » كقوله فى آية الخوف (٤ : ١٠٢ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) وقوله فى الإحرام (٢: ١٩٦ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) وفى الصيام (٢ : ١٨٥ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) ولم يوقت الله تعالى وقتاً فى المرض .

والذى عليه الجمهور : أنه لايشترط فيه خوف الهلاك . بل من كان الوضوء يزيد مرضه أو يؤخر برؤه ، يتيمم . وكذلك فى الصيام والإحرام . ومن يتضرر بالماء لبرد ، فهو كالمريض عند الجمهور . لـكن الله ذكر الضرر العام ، وهو المرض . بخلاف البرد فإنه إنما يكون فى بعض البلاد لبعض الناس الذين لايقدرون على الماء الحار .

وكذلك ذكر المسافر الذى لايجد الماء ولم يذكر الحاضر . فإن عدمه فى الحضر نادر . لـكن قد يحبس الرجل وليس عنده إلا ما يكفيه لشربه . كما أن المسافر قد لا يكون معه إلا ما يكفيه لشربه وشرب دوابه . فهذا عند الجمهور عادم الماء فيتيمم .

فصــل

وقوله (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء)

ذكر أعظم ما يوجب الوضوء . وهو قضـاء الحاجة . وأغلظ ما يوجب الغسل : وهو

ملامسة النساء . وأمر كلا منهما إذا كان مريضاً أو مسافراً لا يجد الماء : أن يتيمم . وهذا هو مذهب جمهور الخلف والسلف .

وقد ثبت تيمم الجنب فى أحاديث صحاح وحسان ، كحديث عمار بن ياسر رضى الله عنهما . وهو فى الصحيحين . وحديث عمران بن حصين ، وهو فى البخارى . وحديث أبى ذر ، وعمرو بن العاص ، وصاحب الشَّجَّة رضى الله عنهم . وهو فى السنن .

فهاتان آيتان من كتاب الله ، وخمسة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد عرفت مناظرة ابن مسعود فى ذلك لأبى موسى . ولهذا نظائر ليس من الصحابة يعرف دلالة الكتاب والسنة عن الرجل العظيم القدر تحقيقاً لقوله (٤: فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول) ولا يرد هذا النزاع إلا إلى الله والرسول المعصوم المبلغ عن الله ، الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . الذى هو الواسطة بين الله و بين عباده .

فصل

وذكر هذا على قوله (أو لامستم النساء) .

المراد : الجماع . كما قاله ابن عباس وغيره من العرب . وهو يروى عن على وغيره . وهو الصحيح فى معنى الآية . وليس فى نقض الوضوء من النساء ، لا كتاب ولا سنة . كان المسلمون دائما يمسون نساءهم . وما نقل مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه أمر أحداً بالوضوء من النساء .

وقول من قال : إنه أراد ما دون الجماع ، و إنه ينقض الوضوء . فقد روى عن ابن عمر والحسن « باليد» وهو قول جماعة من السلف فى المس بشهوة ، والوضوء منه حسن مستحب لإطفاء الشهوة ، كما يستحب الوضوء من الغضب لإطفائه . وأما وجوبه فلا .

وأما المس المجرد عن الشهوة : فما أعلم له أصلا من السلف .

وقوله (أو لامستم النساء) لم يذكر فى القرآن الوضوء منه ، بل إنما ذكر التيمم بعد أن أمر المحدث القائم بالوضوء . وأمر الجنب بالاغتسال . فذكر الطهارة بالصعيد ، ولا بد أن يبين النوعين .

قوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) بيان ليتيمم هذا .

وقوله (أو لامستم النساء) لم يذكر واحد منهما لبيان طهارة الماء .

إذا كان قد عرف أصل هذا . فقوله « إذا قمتم فاغسلوا » « و إن كنتم جنباً فاطهروا » فالآية ليس فيها إلا أن اللامس إذا لم يجد الماء يتيمم . فكيف يكون هذا من الحدث الأصغر ؟ يأمر من مس المرأة أن يتيمم ، وهو لم يؤمر أن يتوضأ . فكيف يأمر بالتيمم من لم يأمره بالوضوء ؟ وهو إنما أمر بالتيمم من أمره بالوضوء والاغتسال . ونظير هذا يطول . ومن تدبر الآية قطع بأن هذا هو المراد .

فصــل

ودلت الآية على أن المسافر : يجامع أهله ، و إن لم يجد الماء ، ولا يكره له ذلك كما قاله . وكما دلت عليه الأحاديث . حديث أبى ذر وغيره .

فصـل

وقوله (وتيمموا صعيداً طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريد الله ليجعل عليكم من حرج . ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) دليل على على أن التيمم مطهر كالماء . وكذلك ثبت فى صحيح السنة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الصعيد الطيب طَهور المسلم ، و إن لم يجد الماء عشر سنين . فإذا وجدت الماء فأمِسّه بشرتك فإن ذلك خير » رواه الترمذى وصححه .

وفى الصحيح عنه قال « جُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

وهو صلى الله عليه وسلم جعل التراب طهوراً فى طهارة الحدث وطهارة الجنب . كما قال « إذا أتى أحدكم المسجد فلينظر نعليه ، فإن كان بهما أذى فليدلكهما بالتراب . فإن التراب لهما طهور » وقال فى حديث « ذيل المرأة يطهره ما بعده » .

فدل على أن التيمم مطهر ، يجعل صاحبه طاهراً ، كما يجعل المـاء مستعمله فى الطهارة طاهراً . لم يكن جنباً ولا محدثاً . فمن قال : إن المتيمم جنب أو محدث ، فقد خالف الكتاب والسنة . فهو طهور .

وقوله فى حديث عمرو « أصليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » استفهام . أى هل فعلت ذلك ؟ فأخبره عمرو رضى الله عنه : أنه لم يفعله بل تيمم . فسكت صلى الله عليه وسلم عنه ، وضحك ولم يقل شيئاً .

وإن قيل : إن هذا إنكار عليه أنه صلى مع الجنابة . فإنه يدل على أن الصلاة مع الجنابة فلا تجوز . فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر ما هو منكر ، فلما أخبره أنه صلى بالتيمم . دل على أنه لم يصل وهو جنب .

فالحديث حجة على من احتج به ، وجعل المتيمم جنباً ومحدثاً . والله يقول (وإن كنتم جنباً فاطهروا) فلم يجز له الصلاة حتى يتطهر . والمتيمم قد تطهر بنص الكتاب والسنة . فكيف يكون جنباً غير متطهر ؟ لكنها طهارة بدل . فإذا قدر على الماء بطلت هذه الطهارة وتطهر بالماء حينئذ . لأن البول المتقدم جعله حدثاً . والصعيد جعله مطهراً ، إلى أن يجد الماء . فإن وجد الماء فهو محدث بالسبب المتقدم . لا أن الحدث كان مستمراً .

ثم من قال : التيمم مبيح ، لا رافع ، نزاعه لفظى . فإنه إن قال : إنه يبيح الصلاة مع الجنابة والحدث ، وإنه ليس بطهور ، فهو بخلاف النصوص . والجنابة محرمة للصلاة . فيمتنع أن يجتمع المبيح والمحرم على سبيل التمام ، فان ذلك يقتضى اجتماع الضدين . والمتيمم غير ممنوع من الصلاة . فالمنع ارتفع بالاتفاق ، وحكم الجنابة المنع . فإذا قيل بوجوده ، بدون مقتضاها ـ وهو المنع ـ فهذا نزاع لفظى .

فصل

وفى الآية دلالة على أن المتخلى لا يجب عليه غسل فرجه بالماء ، إنما يجب الماء فى طهارة الحدث بسبيله . على أن إزالة الجنب لا تتعين لها الماء ، فإنه على ذلك تدل النصوص . إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم أمر فيها تارة بالماء وتارة بغير الماء ، كما قد بُسط فى مواضع . إذ المقصود هنا التنبيه على ما دلت عليه الآية . فإن قوله (أو جاء أحد منكم من الغائط ، فلم تجدوا ماء فتيمموا) نصٌّ فى أنه عند عدم الماء يصلى . وإن تغوط بلا غسل .

وقد ثبت فى السنة « أنه يكفيه ثلاثة أحجار » وأما مع العذر ، فإنه قال (إذا قمتم إلى

الصلاة فاغسلوا) وهذا يتناول كل قائم ، وهو يتناول من جاء من الغائط ، كما يتناول من خرجت منه الريح . فلو كان غسل الفرجين بالماء واجباً على القائم إلى الصلاة . لكان واجباً كوجوب غسل الأعضاء الأربعة .

والقرآن يدل على أنه لا يجب عليه إلا ما ذكره من الغسل والمسح . وهو يدل على أن المتوضىء والمتيمم متطهر . والفرجان جاءت السنة بالاكتفاء فيهما بالاستجمار . وقوله (٩ : ١٠٨ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المتطهرين) يدل على أن الاستنجاء مستحب ، يحبه الله ، لا أنه واجب . بل لما كان غير هؤلاء من المسلمين لا يستنجون بالماء ، ولم يذم ذلك بل أقرهم . ولكن خص هؤلاء بالمدح ـ دل على جواز ما فعله غير هؤلاء . وأن فعل هؤلاء أفضل ، مما فضل الله به الناس بعضهم على بعض .

فصل

الترتيب فى الوضوء وغيره من العبادات والعقود .

والنزاع فيه مشهور . فمذهب الشافعى وأحمد : يجب . ومذهب مالك وأبى حنيفة : لا يجب . وأحمد قد نص على وجوبه نصوصاً متعددة ـ ولم يذكر المتقدمون ـ كالقاضى ، ومن قبله ـ عنه نزاعاً .

قال أبو محمد : لم أر عنه فيه خلافا .

قال : وحكى أبو الخطاب : رواية عن أحمد : أنه غير واجب .

قلت : هذه أخذت من نصه فى القبضة للاستنشاق . فلو أخر غسلها إلى ما بعد غسل الرجلين : ففيه عن أحمد روايتان منصوصتان . فإنه قال فى إحدى الروايتين : إنه لو نسيهما حتى صلى : تمضمض واستنشق ، وأعاد الصلاة ، ولم يعد الوضوء . لما فى السنن عن المقدام بن معديكرب « أنه أتى بوضوء . فغسل كفيه ثلاثاً ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق » .

فغير أبى الخطاب فرق بينهما و بين غيرهما بأن الترتيب إنما يجب فيما ذكر فى القرآن وهما ليسا فى القرآن .

وأبو الخطاب ومن اتبعه رأوا هذا فرقاً ضعيفاً . فإن الأنف والفم لو لم يكونا من الوجه لما وجب غسلهما . ولهذا خَرَّج الأصحاب أنهما من الوجه . كما قال الخرقي وغيره « والفم والأنف من الوجه » ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بهما على الوجه يبدأ بغسل ما بطن منه . وقدم المضمضة ، لأن الفم أقرب إلى الظاهر من الأنف . ولهذا كان الأمر به أوكد . وجاءت الأحاديث الصحيحة بالأمر به . ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل سائر الوجه . فإذا قيل بوجوبهما مع النزاع ، فهما كسائر ما نوزع فيه . مثل البياض الذى بين العذار والأذن ، فمالك وغيره يقول : ليس من الوجه . وفى النوعين والتحذيف ثلاثة أوجه . قيل : هما من الرأس . وقيل : من الوجه ، والصحيح : أن النزعتين من الرأس ، والتحذيف من الوجه(١) . فلو نسى ذلك فهو كما لو نسى المضمضة والاستنشاق .

فتسوية أبى الخطاب أقوى .

وعلى هذا : فأحمد إنما نص على من ترك ذلك ناسياً . ولهذا قيل له : تنسى المضمضة وحدها ؟ فقال : الاستنشاق عندى أوكد . يعنى إذا نسى ذلك وصلى . قال : يغسلهما ، ويعيد الصلاة ، والإعادة إذا ترك الاستنشاق عنده أوكد ،للأمر به فى الأحاديث الصحيحة ، وكذلك الحديث المرفوع ، فان جميع من نقل وضوء النبى صلى الله عليه وسلم أخبروا : أنه بدأ بهما .

وهذا حكى فعلا واحداً . فلا يمكن الجزم بأنه كان متعمداً .

وحينئذ فليس فى تأخيرهما عمداً سنة ، بل السنة فى النسيان . فان النسيان متيقن . فان الظاهر : أنه كان ناسياً إذا قدر الشك . فاذا جاز مع التعمد ، فمع النسيان أولى . فالناسى معذور بكل حال ، بخلاف المتعمد ، وهو القول الثالث . وهو الفرق بين المتعمد لتنكيس الوضوء ، و بين المعذور بنسيان أو جهل ، وهو أرجح الأقوال . وعليه يدل كلام الصحابة ، وجمهور العلماء . وهو الموافق لأصول المذهب فى غير هذا الموضع . وهو المنصوص عن أحمد فى الصورة التى خرج منها أبو الخطاب .

---

(١) هو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف خيط على رأس الأذن . والطرف الثانى على زاوية الجبين .

فمن ذلك : إذا أخل بالترتيب من الذبح والحلق . فإن الجاهل يعذر ، بلا خلاف فى المذهب . وأما العالم المتعمد فعنه روايتان ، والسنة إنما جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يسأل عن ذلك ؟ و يقول : افعل ولا حرج » لأنهم قدموا وأخروا بلا علم لم يتعمدوا المخالفة للسنة . و إلا فالقرآن قد جاء بالترتيب لقوله (٢:١٩٦ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنى قلدت هديى ، ولَبَّدت رأسى ، فلا أحِلّ وأحلق حتى أنحر » .

وقوله (٢٢:٢٩ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ولْيَطَّوفوا بالبيت العتيق) دل على الترتيب من قوله (٢:١٥٨ إن الصفا والمروة من شعائر الله) .

لكن يقال : قد فرقوا بأن هذه عبادة واحدة مرتبط بعضها ببعض . وتلك عبادات ، كالحج والعمرة ، والصلاة ، والزكاة .

وهكذا فرق أبى بكر عبد العزيز بين الوضوء وغيره . فقال ذاك كله من الحج والدماء والذبح والحلق والطواف . والحج عبادة واحدة . ولهذا متى وطىء قبل التحلل الأول فسد الحج عند الجمهور . وهل يحصل كالدم وحده أو كالدم والحلق ؟ على روايتين .

ومنها إذا نسى بعض آيات السورة فى قيام رمضان . فإنه لايعيدها . ولايعيد ما بعدها ، مع أنه لو تعمد تنكيس آيات السورة وقراءة المؤخر قبل المقدم : لم يجز بالاتفاق . و إنما النزاع فى ترتيب السور . نص على ذلك أحمد . وحكاه عن أهل مكة : سُئل عن الإمام فى شهر رمضان يدع الآيات من السورة ، ترى لمن خلفه أن يقرأها ؟ قال : نعم . يىبغى له أن يفعل قد كانوا بمكة يوكلون رجلا يكتب ما ترك الإمام من الحروف وغيرها . فإذا كان ليلة الختمة أعاده .

قال الأصحاب ـ كأبى محمد ـ و إنما استحب ذلك لتتم الختمة . و يكمل الثواب .

فقد جعل أهل مكة وأحمد وأصحابه إعادة المنسى وحده يكمل الختمة والثواب ، و إن كان قد أخل بالترتيب هنا فإنه لم يقرأ تمام السورة . وهذا مأثور عن على رضى الله عنه « أنه نسى آية من سورة . ثم فى أثناء القراءة : قرأها ، وعاد إلى موضعه » ولم يشعر أحد أنه نسى إلا من كان حافظا .

فهكذا من ترك غسل عضو أو بعضه نسياناً يغسله وحده ، ولا يعيد غسل ما بعده . فيكون قد غسله مرتين . فإن هذا لا حاجة إليه .

وهذا التفصيل يوافق ما نقل عن الصحابة والأكثرين . فإن الأصحاب وغيرهم فعلوا كما نقله ابن المنذر عن على ومكحول والنخعى والزهرى والأوزاعى ، فيمن نسى مسح رأسه ، فرأى فى لحيته بللا فمسح به رأسه ، ولم يأمروه بإعادة غسل رجليه . واختاره ابن المنذر .

وقد نقل عن على ، وابن مسعود « ما أبالى بأى أعضائى بدأت » قال أحمد : إنما عنى به اليسرى على اليمنى . لأن مخرجهما من الكتاب واحد .

ثم قال أحمد : حدثنى جرير عن قابوس عن أبيه « أن علياً سئل . فقيل له : أحدنا يستعجل ، فيغسل شيئاً قبل شىء ؟ فقال : لا . حتى يكون كما أمره الله تعالى » فهذا الذى ذكره أحمد عن على يدل على وجوب الترتيب .

وما نقله ابن المنذر فى صورة النسيان : يدل على أن الترتيب يسقط مع النسيان ، ويعيد المنسى فقط .

فدل على أن التفصيل قول على .

وقد ذكر من أسقطه مطلقاً : ماروى عن ابن مسعود أنه قال « لا بأس أن تبدأ برجليك قبل يديك .

لكن قال أحمد وغيره : لا نعرف لهذا أصلا . ونقلوا فى الوجوب عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن . وهؤلاء أئمة التابعين .

وصورة النسيان مرادة قطعاً . فتبين أنها قول جمهور السلف ، أو جميعهم .

والأمر المنكر : أن تتعمد تنكيس الوضوء . فلا ريب أن هذا مخالف لظاهر الكتاب مخالف للسنة المتواترة . فإن هذا لو كان جائزاً لكان قد وقع أحياناً ، أو تبين جوازه كما فى ترتيب التسبيح لما قال النبى صلى الله عليه وسلم « أفضل الكلام ــ بعد القرآن ــ أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر . لا يضرك بأيتهن بدأت » .

ومما يدل على ذلك شرعاً ومذهباً : أن من نسى صلاة صلاها إذا ذكرها بالنص .

وقد سقط الترتيب هنا فى مذهب أحمد بلا خلاف . ومذهب أبى حنيفة وغيره .

ولـكن حكى عن مالك : أنه لا يسقط . وقاسوا ذلك على ترتيب الطهارة .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» نص فى أنه يصليها فى أى وقت ذكر . وليس عايه غير ذلك .

وقد سلم الأصحاب أن ترتيب الجمع لا يسقط كالنسيان .

وعموم الحديث يدل على سقوطه . فلو كانت المنسية هى الأولى من صلاتى الجمع : أعادها وحدها بموجب النص ، ومن أوجب إعادة الثانية فقد خالف .

وكذلك يقال فى سائر أهل الأعذار ، كالمسبوق إذا أدركهم فى الثانية صلاها معهم . ثم صلى الأولى كما لو أدرك بعض الصلاة . وليس ترتيب صلاته على أول صلاة بأعظم من ترتيب آخر الصلاة على أولها .

وإذا كان هكذا سقط ما أدرك ويقضى ماسقط . فهذا فى الصلاتين أولى . لاسيا وهو إذا لم يدرك من المغرب تشهد ثلاث شهدات ، كما فى حديث ابن مسعود المشهور فى قصة مسروق وحديثه .

وهذا أصل ثابت كالنص والإجماع يعتبر به نظائره . وهو سقوط الترتيب عن المسبوق .

وكانوا فى أول الإسلام لا يرتبون . فيصلون ما فاتهم ، ثم يصلون مع الإمام . لـكن نسخ ذلك . وقد روى أن أول من فعله معاذ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد سن لـكم معاذ فاتبعوه » .

والأئمة الأربعة : على أنه يقرأ فى ركعتى القضاء بالحمد وسورة . وكذلك لو أدرك الإمام ساجداً سجد معه بالنص واتفاق الأئمة . فقد سجد قبل القيام لمتابعة الإمام وإن لم يعتد به . لـكنه لو فعل هذا عمداً لم يجز . فلو كبر وسجد ثم قام لم تصح صلاته .

لـكن هذا يستدل به على أن الركعة الواحدة يجب فيها الترتيب فإن هذا السجود ولو ضم إليه بعد السلام ركوعاً مجرداً لم يصر ذلك ركعة . بل عليه أن يأتى بركعة بعدها سجدتان لأنه أخل بالترتيب والموالاة .

فكذلك إذا نسى الركوع حتى تشهد وسلم . ففيه قولان فى المذهب : هل تبطل صلاته ؟ والمنصوص إن لم يطل الفصل بنى على ما مضى ، وهو قول الشافعى وغيره .

وذهب طائفة من العلماء إلى سقوط الموالاة والترتيب فى الصلاة مع النسيان . فقال مكحول ، ومحمد بن أسلم ـ فى المصلى : ينسى سجدة أو ركعة يصليها ـ متى ما ذكرها . ويسجد للسهو . وقال الأوزاعى : لرجل نسى سجدة من صلاة الظهر ، فذكرها فى صلاة العصر ـ يمضى فى صلاته . فإذا فرغ سجد .

ويدل على هذا القول أحاديث سجود السهو . فإنها تدل على أنه يتم الصلاة ، ويسجد للسهو مع طول الفصل .

وأما المسبوق : فالسجود الذى فعله مع الإمام كان لمتابعة الإمام . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « ولا تعد » وهو متمكن من أن يأتى بالركعة بعد السلام بعد عدوله حتى [(١)]

وإذا نسى ركناً من الأولى حتى شرع فى الثانية . ففيها قولان .

مالك وأحمد لايقولان بالتلفيق . بل تلغو المنسي ركنها . وتقوم هذه مقامها . ولكن هل يكون ذلك بالقراءة أو بالركوع ؟ فيه نزاع .

والشافعى يقول : ما فعله بعد الركوع المنسى فهو لغو لأن فعله فى غير محله إلى أن يفعل نظيره فى الثانية . فيكون هو تمام الأول . كما لو سلم من الصلاة ، ثم ذكر . فإن السلام يقع لغواً .

فأحمد ومالك يقولان : هو إنما يقصد بما فعله أن يكون من الركعة الثانية . لم يقصد أن يكون من الأولى ، وهو إذا قرأ أو ركع فى الركعة الثانية : أمكن أن تجعل هى الأولى . فإن الترتيب بين الركعات يسقط بالعذر . فلا وجه لإبطال هذه . ولا يكون فاعلا له فى غير محله إلا إذا جعلت هذه ثانية . فإذا جعلت الأولى : كان قد فعله فى محله .

وإذا قيل : هو قصد الثانية ؟ قيل : وقصد بالسجود فيها السجود فى الثانية لرعاية ترتيبه فى أبعاض الركعة بأن لا يجعل بعضها فى ركعة غيرها أولى من رعايتها فى الركعتين . فإن

(١) بياض بالأصل

جعل الأولى ثانية يجوز للعذر كما فى المسبوق . وأما جعل سجود الثانية تماماً للأولى : فلا نظير له فى الشرع . و بسط هذا له مكان آخر .

والمقصود هنا : سقوط الترتيب فى الوضوء بالنسيان . وكذلك سقوط الموالاة ، كما هو قول مالك . وكذلك بغيره من الأعذار ، مثل بُعد الماء . كما نقل عن ابن عمر . فإن الصلاة نفسها إذا جاز فيها عدم الموالاة للعذر ، فالوضوء أولى . بدليل صلاة الخوف فى حديث ابن عمر وأحاديث سجود السهو .

وأما حديث صاحب اللُّمعة ، كانت فى ظهر قدمه . ومثل هـذا لا ينسى . فدل أنه تركها تفريطا .

والموالاة فى غسل الجنابة : لا تجب ، للحديث « الذى فيه أنه رأى فى بدنه موضعاً لم يُصِبْه الماء ، فعصر عليه شعره » والأصحاب فرقوا بينه و بين الوضوء فإنه لايجب ترتيبه ، فكذلك الموالاة . ومالك يوجب الموالاة ، و إن لم يوجب الترتيب فى الوضوء .

وأما فى الغسل : فالبدن كعضو واحد . والعضو الواحد لا ترتيب فيه بالاتفاق . وأما إذا تفريق الغسل : فهو كتعمد تفريق غسل العضو الواحد . لكن فرق بينهما . فإن غسل الجنابة كإزالة النجاسة ، لايتعدى حكم الماء محله . بخلاف الوضوء . فإن حكمه طهارة جميع البدن ، والمغسول أربعة أعضاء . وهـذا محل نظر . والجنب إذا وجد بعض ما يكفيه استعمله . وأما المتوضىء : ففيه قولان للأصحاب . ومن جوز ذلك جعل الوضوء يتفرق للعذر ، وجعل ما غسل يحصل به بعض الطهارة . وكذلك الماسح على الخفين إذا خلعهما . هل يقتصر على مسح الرجلين أو يعيد الوضـوء ؟ فيه قولان ، هما روايتان . وقد قيل : إن المأخذ هو الموالاة . وقيل : إن المأخذ أن الوضوء لاينتقض . فإذا عاد الحدث إلى الرجل عاد إلى جميع الأعضاء هذا عند العذر . فيه نزاع كما تقدم .

وقد يكون الترتيب شرطا لايسقط بجهل ولا نسيان . كما فى الحديث الصحيح « من ذبح قبل الصلاة فإنما هو شاة لحم » فالذبح مشروط بالصلاة قبله . وأبو بردة بن نيار رضى الله عنه كان جاهلا . فلم يعذره بالجهل . بل أمره بإعادة الذبح . بخلاف الذين قدموا الذبح على

الرمى ، أو الحلق على ماقبله . فإنه قال « افعل ولا حرج » فهاتان سنتان : سنة فى الأضحية إذا ذبحت قبل الصلاة أنها لا تجزىء . وسنة فى الهدى إذا ذبح قبل الرمى جهلا أجزأ .

والفرق بينهما ـ والله أعلم ـ أن الهدى صار نسكا بسوقه إلى الحرم وتقليده و إشعاره فقد بلغ محله فى المكان والزمان . فإذا قدم جهلا : لم يخرج عن كونه هدياً . وأما الأضحية : فإنها قبل الصلاة لاتتميز عن شاة اللحم . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « من ذبح قبل الصلاة فإنما هى شاة لحم قدمها لأهله » و إنما هو نسكا بعد الصلاة . كما قال تعالى (فصل لربك وانحر) وقال (٦ : ١٦٢ إن صلاتى ونسكى) فصار فعله قبل هذا الوقت كالصلاة قبل وقتها .

فهذا وقت الأضحية . وقته بعد فعل الصلاة ، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فى الأحاديث الصحيحة . وهو قول الجمهور من العلماء : مالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل . وغيرهم . و إنما قدر وقتها بمقدار الصلاة : الشافعى ومن وافقه من أصحاب أحمد ، كالخرقى .

وفى الأضحية يشترط فى أحد القولين : أن يذبح بعد الإمام . وهو قول مالك ، وأحد القولين فى مذهب أحمد . ذكره أبو بكر ، والحجة فيه : حديث جابر فى الصحيح .

وقد قيل : إن قوله (٤٩ : ١ لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) نزلت فى ذلك .

وكذلك فى الإفاضة من عرفة قبل الإمام قولان . فى مذهب أحمد : يجب فيه دم . فهذا عند من يوجبه بمنزلة اتباع المأموم الإمام فى الصلاة .

فصل

وما ذكره من نصه على قراءة مانسى . يدل على أن الترتيب يسقط بالنسيان فى القراءة وقد ذكر أحمد وأصحابه : أن موالاة الفاتحة واجبة . و إذا تركها لعذر نسيان ، قالوا ـ واللفظ لأبى محمد ـ و إن كثر ذلك ـ أى الفصل ـ استأنف قراءتها . إلا أن يكون المسكوت مأموراً به ، كالمأموم يشرع فى قراءة الفاتحة ثم يسمع قراءة الإمام فينصت له . ثم إذا سكت الإمام أتم قراءتها وأجزأته . أومأ إليه أحمد . وكذلك إن كان السكوت نسياناً أو نوما ، أو لانتقاله إلى غيرها غلطا : لم تبطل . فإذا ذكر : أتى بما بقى منها . فإن تمادى فيما هو فيه ـ بعد ذكرها ـ أبطلها ولزمه استئنافها . قال : و إن قدم آية منها فى غير موضعها : أبطلها . و إن

كان غلطا : رجع إلى موضع الغلط فأتمها ، فلم يسقطوا الترتيب بالعذر ، كما أسقطوا الموالاة . فإن الموالاة أخف . فإنه لو قرأ بعض سورة اليوم و بعضها غداً : جاز . ولو نكسها : لم يجز

و يفرق فى الترتيب بين الكلام المستقل الذى إذا أتى به وحده : كان مما يسوغ تلاوته و بين ماهو مرتبط بغيره . فلو قال « صراط الذين أنعمت عليهم » لم يكن هذا مفيداً حتى يقول « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم » ولو قال « إياك نعبد و إياك نستعين » ثم قال « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم » كان مفيداً . لكن مثل هذا لا يقع فيه أحد ، ولا ينبذ أحد الفاتحة بمثل ذلك ، لا عمداً ولا غلطا . و إنما يقع الغلط فيما يحتاج فيه إلى الترتيب . فهذا فرق بين ماذكروه فيما ينسى من الفاتحة وماينسى من الختمة .

فصل

ومما يبين أن الترتيب يسقط إذا احتاج إلى التكرار بلا تفريط من الإنسان ، أن التيمم يجزى بضربة واحدة ، كما دل عليه الحديث الصحيح . حديث عمار . وهو مذهب أحمد بلا خلاف . وهو فى الصحيحين من حديث أبى موسى . ومن حديث ابن أبزى .

ففى حديث ابن أبزى « إنما كان يكفيك هذا ـ فضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه » وكذلك لمسلم فى حديث أبى موسى « إنما كان يكفيك أن تقول هكذا . وضرب بيديه إلى الأرض . فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه » وللبخارى : « ومسح وجهه وكفيه واحدة » .

وقد اختلف الأصحاب فى هذه الصفة .

فقيل : ترتب . فيمسح وجهه ببطون أصابعه وظاهر يديه براحته .

وقيل : لا يجب ذلك . بل يمسح بهما وجهه وظاهر كفيه وعلى الوجهين لم يؤخر مسح الراحتين إلى ما بعد الراحة . بل يمسحهما : إما قبل الوجه ، وإما مع الوجه وظهور الكفين . ولهذا قال ابن عقيل : رأيت التيمم بضربة واحدة قد أسقط ترتيباً مستحقاً فى الوضوء ، وهو أنه بعد مسح باطن يديه مسح وجهه .

وفى الصحيحين من حديث عمار بن ياسر من طريق أبى موسى رضى الله عنهم ، قال

« إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ، ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه » لفظ البخارى « وضرب بكفيه ضربة على الأرض. ثم نفضهما . ثم مسح بهما ظهر كفه بشماله - أو ظهر شماله بكفه - ثم مسح بهما وجهه » وهذا صريح فى أنه لم يمسح الراحتين بعد الوجه . ولايختلف مذهب أحمد أن ذلك لايجب .

وأما طهور الكفين : فرواية البخارى صريحة فى أنه مر على ظهر الكف قبل الوجه . وقوله : أو إنما هو وقوله فى الرواية الأخرى « وظاهر كفيه » يدل على أنه مسح ظاهر كل منهما براحة اليد الأخرى . وقال فيها «ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر وجهه» قبل الوجه

وقال أبو محمد : فرض الراحتين سقط بإمرار كل واحدة على ظهر الكف . وهذا إنما يوجب سقوط فرض باطن الراحة . وأما باطن الأصابع فعلى ما ذكره سقط مع الوجه .

وعلى كل حال فباطن اليدين يصيبهما التراب حين يضرب بهما الأرض وحين يمسح بهما الوجه وظهر الكفين . وإن مسح إحداهما بالأخرى فهو ثلاث مرات . ولو كان الترتيب واجباً لوجب أن يمسح باطنهما بعد الوجه . وهذا لا يمكن مع القول بضربة واحدة . ولو فعل ذلك للزم تكرار مسحهما مرة بعد مرة . فسقط كذلك . فإن التيمم لايشرع فيه التكرار ، بخلاف الوضوء . فإنه وإن غسل يديه ابتدأ وأخذ بهما الماء لوجهه ، فهو بعد الوجه يغسلهما إلى المرفقين ، وهو يأخذ بهما . فيتكرر غسلهما . لأن الوضوء يستحب فيه التكرار فى الجملة . لأنه طهارة بالماء ، ولكن لولم يغسل كفيه بعد غسل الوجه فهو محل نظر : فإنه يعرف بهما ، وقد قالوا : إذا نوى الاغتراف لم يصِرْ الماء مستعملا . وإن نوى غسلهما فيه صار مستعملا . وإن لم ينو شيئاً ففيه وجهان .

والصحيح : أنه لايصير مستعملا ، وإن نوى غسلهما فيه . لمجيء السنة بذلك ، وهذا يقتضى أن غسلهما بنية الاغتراف لاتحصل به طهارتهما . بل لابد من غسل آخر .

والأقوى : أن هذا لايجب ، بل غسلهما بنية الاغتراف يجزىء عن تكرار غسلهما ، كما فى التيمم . وأيضاً فإنه يغسل ذراعيه بيديه . فيكون هذا غسلا لباطن اليد .

ولو قيل : بل بقى غسلهما ابتداء ومع الوجه يسقط فرضهما ، كما قيل مثل ذلك فى

التيمم : لكان متوجهاً . فإنه قال فى الوضوء (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) كما قال فى التيمم (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) ففى الوضوء أخر ذكر اليد .

لكن الرواية التى انفرد بها البخارى تبين أنه مسح ظهر الكفين قبل الوجه . وسائر الروايات مجملة . تقتضى أنه لما مسح لم يمسح الراحتين بعد الوجه ، فكذلك ظهر الكفين . بل مسح ظهرهما مع بطنهما . لأن مسحهما جملة أقرب إلى الترتيب . فإن مسح العضو الواحد بعضه مع بعض أولى من تفريق ذلك .

وأيضاً : فتكون الراحتان ممسوحتين مع ظهر الكف . والاعتداد بذلك أولى من الاعتداد بمسحهما مع الوجه .

وما ذكره بعض الأصحاب ـ من أنه يجعل الأصابع للوجه ، و بطون الراحتين لظهور الكفين ـ خلاف ماجاءت به الأحاديث . وليس فى كلام أحمد ما يدل عليه وهو يتعسر ، أو يتعذر . وهو بدعة لا أصل لها فى الشرع . و بطون الأصابع لا تكاد تستوعب الوجه .

و إنما احتاجوا إلى هذا ليجعلوا بعض التراب لظاهر الكفين بعد الوجه .

فيقال لهم : كما أن الراحتين لا يمسحان بعد الوجه بلا نزاع ، فكذلك ظهر الكفين فإنهم ـ و إن مسحوا ظهر الكفين بالراحتين ببطون الأصابع مسحوا مع الوجه ، مسح باليدين قبل الوجه ، كما قال ابن عقيل . ولهذا اختار المجد : أنه لا يجب الترتيب فيه ، بل يجوز مسح ظهر الكفين قبل الوجه . كما دل عليه الحديث الصحيح . والحديث الصحيح يدل على أنه يمسح الوجه وظاهر الكفين بذلك التراب . وأن يمسح ظهر الكفين بما بقى فى اليدين من التراب يكفى لظهر الكفين . فإن ألفاظ الحديث كلها تتعلق بأنه يمسح وجهه بيديه . ومسح اليدين إحداهما بالأخرى : لم يجعل بعض باطن اليد للوجه و بعضه للكفين . بل بباطن اليدين مسح وجهه ومسح كفيه ، ومسح إحداهما بالأخرى .

وأجاب القاضى ومن وافقه ـ متابعة لأصحاب الشافعى ـ أنه إذا تيمم لجرح فى عضو : يكون التيمم فيه عند وجوب غسله ، فيفصل بالتيمم بين أبعاض الوضوء . وهذا فعل مبتدع . وفيه ضرر عظيم ، ومشقة لا تأتى بها الشريعة . وهذا ونحوه إسراف فى وجوب الترتيب حيث لم يوجبه الله ورسوله . والنفاة يجوزون التنكيس لغير عذر . وخيار الأمور أوساطها . ودين الله بين الغالى والجافى . والله أعلم .

حب الله للتـــــائب

للإمام ابن القيم

ثبت فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للهُ أفْرَحُ بتوبةِ عبده ـ حين يتوب إليه ـ من أحدكم ، كان على راحلة بأرض فلاة . فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه . فأيس منها . فأتى شجرةً فاضطجع فى ظلها . قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده . فأخذ بخطامها . ثم قال ـ من شدة الفرح ـ اللهم أنت عبدى وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » هذا لفظ مسلم .

وفى الحديث من قواعد العلم : أن اللفظ الذى يجرى على لسان العبد خطأ من فرح شديد ، أو غيظ شديد ، ونحوه . لا يؤاخذ به . ولهذا لم يكن هذا كافراً بقوله « أنت عبدى وأنا ربك » .

ومعلوم أن تأثير الغضب فى عدم القصد يصل إلى هذه الحال ، أو أعظم منها . فلا ينبغى مؤاخذة الغضبان بما صدر منه فى حال شدة غضبه من نحو هذا الكلام . ولا يقع طلاقه بذلك . ولا ردته . وقد نص الإمام أحمد على تفسير الإغلاق فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا طلاق فى إغلاق » بأنه الغضب . وفسره به غير واحد من الأئمة . وفسروه بالإكراه والجنون .

قال شيخنا : وهو يعم هذا كله . وهو من الغَلْق . لانغلاق قصد المتكلم عليه . فكأنه لم ينفتح قلبه لمعنى ما قاله .

والقصد : أن هذا الفرح له شأن لا ينبغى للعبد إهماله والإعراض عنه . ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته ، وما يليق بعز جلاله .

وقد كان الأولى بنا طَيُّ الكلام فيه إلى ماهو اللائق بأفهام بنى الزمان وعلومهم . ونهاية أقدامهم من المعرفة . وضعف عقولهم عن احتماله .

غير أنا نعلم أن الله عز وجل سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها . ومن هو عارف بقدرها . وإن وقعت فى الطريق بيد من ليس عارفاً بها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه . ورب حامل فقه إلى منْ هو أفقه منه .

فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله . وشرفه . وخلقه لنفسه ، وخلق كل شىء له . وخصه من معرفته ومحبته وقُربه وإكرامه بما لم يعطه غيره . وسَخَّر له ما فى سماواته وأرضه وما بينهما ، حتى ملائكته ـ الذين هم أهل قربه ـ استخدمهم له . وجعلهم حفظة له فى منامه ويقظته ، وظعنه وإقامته . وأنزل إليه وعليه كتبه . وأرسله وأرسل إليه . وخاطبه وكلمه منه إليه ، واتخذ منهم الخليل والكليم ، والأولياء والخواص والأحبار . وجعلهم معدن أسراره . ومحل حكمته . وموضع حبه . وخلق لهم الجنة والنار . فالخلق والأمر ، والثواب والعقاب ، مداره على النوع الإنسانى . فإنه خلاصة الخلق . وهو المقصود بالأمر والنهى . وعليه الثواب والعقاب .

فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات . وقد خلق أباه بيده ، ونفخ فيه من روحه . وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شىء . وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات . وطرد إبليس عن قربه . وأبعده عن بابه ، إذ لم يسجد له مع الساجدين . واتخذه عدواً له .

فالمؤمن من نوع الإنسان : خير البرية على الإطلاق . وخيرة الله من العالمين فإنه خلقه ليتم نعمته عليه . وليتواتر إحسانه إليه . وليخصه من كرامته وفضله بمالم تنله أمنيته . ولم يخطر على باله ولم يشعر به . ليسأله من المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة ، التى لاتنال إلا بمحبته . ولاتنال محبته إلا بطاعته ، وإيثاره على ماسواه . فاتخذه محبوباً له . وأعدّ له أفضل مايعده محب غنى قادر جواد لمحبوبه إذا قدم عليه . وعهد إليه عهداً تقدم إليه فيه

بأوامره ونواهيه . وأعلمه فى عهده ما يقرب به إليه ، ويزيده محبة له وكرامة عليه ، وما يبعده منه ويسخطه عليه ، ويسقطه من عينه .

والمحبوب عدو ، هو أبغض خلقه إليه . قد جاهره بالعداوة . وأمر عبـاده أن يكون دينهم وطاعتهم وعبادتهم له ، دون وليهم ومعبودهم الحق . واستقطع عباده ، واتخذ منهم حزباً ظاهروه ووالوه على ربهم . وكانوا أعداء له مع هذا العـدو . يدعون إلى سخطه . ويطعنون فى ربوبيته وإلهيته ووحدانيته ، ويسبونه ويكذبونه . ويفتنون أولياءه ، ويؤذونهم بأنواع الأذى . ويجهدون على إعدامهم من الوجود وإقامة الدولة لهم . ومحو كل ما يحبه الله ويرضاه ، وتبديله بكل مايسخطه ويكرهه . فعرَّفه بهذا العدو وطرائقهم وأعمالهم ومالهم . وحذره موالاتهم والدخول فى زمرتهم والسكون معهم .

وأخبره فى عهده : أنه أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين . وأنه سبقت رحمته غضبه ، وحلمه عقوبته ، وعفوه مؤاخذته . وأنه قد أفاض على خلقه النعمة . وكتب على نفسه الرحمة . وأنه يحب الإحسان والجود والعطاء والبر . وأن الفضل كله بيده ، والخير كله منه ، والجود كله له . وأحبُّ ما إليه : أن يجود على عباده ويُوسِعهم فضـلا . ويغمرهم إحساناً وجوداً . ويتم عليهم نعمته . ويضاعف لديهم منته . ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه . ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه .

فهو الجواد لذاته . وجود كل جواد خلقه الله ، ويخلقه أبداً : أقل من ذرة بالقيـاس إلى جوده . فليس الجواد على الإطلاق إلا هو . وجود كل جواد فمن جوده . ومحبته للجود والإعطاء والإحسان ، والبر والإنعام والإفضال : فوق ما يخطر ببـال الخلق ، أو يدور فى أوهامهم . وفرحه بعطائه وجوده وإفضاله أشد من فرح الآخذ بمـا يعطاه ويأخذه ، أحوج ماهو إليه أعظم ما كان قدراً . فإذا اجتمع شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها ، فما الظن بفرح المعطى ؟ ففرح المعطى سبحانه بعطائه أشد وأعظم من فرح هذا بمـا يأخذه . ولله المثل الأعلى . إذ هذا شأن الجواد من الخلق . فإنه يحصل له من الفرح والسرور ، والابتهاج واللذة بعطائه وجوده ، فوق ما يحصل لمن يعطيه . ولـكن الآخذ غائب بلذة أخذه ، عن

لذة المعطى ، وابتهاجه وسروره . هذا مع كمال حاجته إلى مايعطيه وفقره إليه ، وعدم وثوقه باستخلاف مثله ، وخوف الحاجة إليه عند ذهابه ، والتعرض لذل الاستعانة بنظيره ومن هو دونه . ونفسه قد طبعت على الحرص والشح .

فما الظن بمن تقدس وتنزه عن ذلك كله ؟ ولو أن أهل سماواته وأرضه ، وأول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، ورطبهم ويابسهم ، قاموا فى صعيد واحد فسألوه ، فأعطى كل واحد ما سأله : مانقص ذلك مما عنده مثقال ذرة .

وهو الجواد لذاته ، كما أنه الحى لذاته ، العليم لذاته ، السميع البصير لذاته . فجوده العالى من لوازم ذاته . والعفو أحب إليه من الانتقام . والرحمة أحب إليه من العقوبة . والفضل أحب إليه من العدل ، والعطاء أحب إليه من المنع .

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذى خلقه لنفسه ، وأعد له أنواع كرامته ، وفضله على غيره ، وجعله محل معرفته ، وأنزل إليه كتابه . وأرسل إليه رسوله ، واعتنى بأمره ولم يهمله . ولم يتركه سدى . فتعرض لغضبه ، وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبَق منه . ووالى عدوه وظاهَره عليه ، وتحيز إليه . وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التى هى أحب شىء إليه . وفتح طريق العقوبة والغضب والانتقام : فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والاحسان والبر وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه . وأن يصير غضبه وسخطه فى موضع رضاه . وانتقامه وعقوبته فى موضع كرمه وبره وعطائه . فاستدعى بمعصيته من أفعاله ماسواه أحب إليه منه ، وخلاف ماهو من لوازم ذاته من الجود والإحسان

فبينما هو حبيبه المقرَّب المخصوص بالكرامة ، إذ انقلب آبقاً شارداً ، راداً لكرامته ، مائلا عنه إلى عدوه ، مع شدة حاجته إليه ، وعدم استغنائه عنه طرفة عين .

فبينما ذلك الحبيب مع العدو فى طاعته وخدمته ، ناسياً لسيده ، منهمكا فى موافقة عدوه قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله : إذ عرضت له فكرة فتذكر برَّ سيده وعطفه وجوده وكرمه . وعلم أنه لابد له منه ، وأن مصيرهُ إليه ، وعرضه عليه ، وأنه إن لم يقدم عليه بنفسه قُدم به عليه على أسوأ الأحوال . ففر إلى سيده من بلد عدوه . وجَدَّ فى الهرب إليه

حتى وصل إلى بابه . فوضع خده على عتبة بابه . وتوسد ثرى أعتابه . متذللا متضرعاً ، خاشعاً باكياً آسفاً . يتملق سيده ويسترحمه . ويستعطفه ويعتذر إليه . قد ألقى بيده إليه . واستسلم له وأعطاه قياده . وألقى إليه زمامه . فعلم سيده ما فى قلبه . فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه . ومكان الشدة عليه رحمة به . وأبدله بالعقوبة عفواً ، وبالمنع عطاء ، وبالمؤاخذة حلماً . فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ماهو أهله ، وما هو موجب أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا . فكيف يكون فرح سيده به ؟ وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعاً واختياراً . وراجع مايحبه سيده منه برضاه . وفتح طريق البر والإحسان والجود ، التى هى أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة ؟ .

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين : أنه حصل له شرود وإباق من سيده فرأى فى بعض السكك باباً قد فتح . وخرج منه صبى يستغيث ويبكى . وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج . فأغلقت الباب فى وجهه ودخلت . فذهب الصبى غير بعيد ، ثم وقف مفكراً . فلم يجد له مأوى غير البيت الذى أخرج منه ، ولا من يؤويه غير والدته . فرجع مكسور القلب حزيناً . فوجد الباب مُرْتجاً ، فتوسَّده ووضع خده على عتبة الباب ونام ، فخرجت أمه . فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه ، والتزمته تقبله وتبكى . وتقول: يا ولدى ، أين تذهب عنى ؟ ومن يؤويك سواى ؟ ألم أقل لك : لا تخالفنى . ولا تحملنى بمعصيتك لى على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك ، والشفقة عليك ، وإرادتى الخير لك ؟ ثم أخذته ودخلت .

فتأمل قول الأم « لاتحملنى بمعصيتك لى على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقه»

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « للهُ أرحم بعباده من الوالدة بولدها » وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التى وسعت كل شىء ؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه . فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به .

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هـذا الواجد لراحلته فى الأرض المهلـكة ، بعد اليأس منها .

ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة ، وتدق عن إدراكه الأذهان .

وإياك وطريقة التعطيل والتمثيل . فإن كلاًّ منهما منزل ذميم ، ومرتع على عِلاَّته وَخيم ولا يحل لأحدهما أن يجد روائح هـذا الأمر وَنَفَسه . لأن زكام التعطيل والتمثيل مفسـد لحاسة الشم ، كما هو مفسد لحاسة الذوق . فلا يذوق طعم الإيمان ، ولا يجد ريحه . والمحروم كل المحروم من عرض عليه الغنى والخير فلم يقبله . فلا مانع لما أعطى الله . ولامعطى لما منع . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

فصل

هذا إذا نظرت إلى تعلق الفرح الإلٰهى بالإحسان والجود والبر .

وأما إن لاحظت تعلقه بإلٰهيته وكونه معبوداً : فذاك مشهدٌ أجل من هذا وأعظم منه . وإنما يشهده خواص المحبين .

فإن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ، الجامعة لمحبته والخضوع له وطاعته . وهذا هو الحق الذى خُلقت به السموات والأرض . وهوغاية الخلق والأمر . ونفيه ــ كما يقول أعداؤه ــ هو الباطلُ ، والعبث الذى نزه الله نفسه عنه ، وهو السُّدَى الذى نَزَّه نفسه عنه : أن يترك الإنسان عليه . وهو سبحانه يحب أن يُعْبَد ويطاع ، ولا يعبأ بخلقه شيئاً لولا محبتهم له ، وطاعتهم له ، ودعاؤهم له .

وقد أنـكر على من زعم أنه خلقهم لغير ذلك ، وأنهم لو خلقوا لغير عبادته وتوحيده وطاعته لـكان خلقهم عبثاً وباطلا وسُدًى . وذلك مما يتعالى عنه أحكم الحاكمين . والإلٰه الحق . فإذا خرج العبد عما خُلق له من الطاعة والعبودية . فقد خرج عن أحب الأشياء إليه وعن الغاية التى لأجلها خلقت الخليقة . وصار كأنه خُلق عبثاً لغير شىء ، إذ لم تُخرج أرضه البذر الذى وضع فيهـا . بل قلبته شوكا وَدَغَلا . فإذا راجع ما خلق له وأُوجد لأجله : فقد

رجع إلى الغاية التى هى أحب الأشيـاء إلى خالقه وفاطره . ورجع إلى مقتضى الحـكمة التى خلق لأجلها . وخرج عن معنى العبث والسدَى والباطل . فاشتدت محبة الرب له . فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . فأوجبت هذه المحبـة فرحاً كأعظم ما يُقَدَّر من الفرح . ولو كان فى الفرح المشهود فى هذا العالم نوع أعظم من هذا الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم لذكره ، ولـكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمـادة حياته و بلاغِه فى سفره ، بعد إياسه من أسبـاب الحيـاة بفقده . وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشىء وغاب عنه . ثم وجده وصار طوع يده . فلافرحة أعظم من فرحته به .

فما الظن بمحبوب لك تحبه حبـاً شديداً ، أسَره عدوك ، وحال بينك و بينه . وأنت تعلم أن العدو سيسومه سـوء العذاب ، وَيُعَرِّضه لأنواع الهلاك . وأنت أولى به منه . وهو غَرْسُك وتربيتك . ثم إنه انفلت من عدوه ، ووافاك على غير ميعاد . فلم يفجأك إلا وهو على بابك ، يتملقك ويترضاك و يستعينك ، و يُمرغ خَدّيه على تراب أعتابك . فـكيف يكون فرحك به ، وقد اختصصته لنفسك ، ورضيته لقُربك ، وآثرته على سواه ؟

هذا . ولستَ الذى أوجدته وخلقته . وأسبغت عليه نعمك ، والله عز وجل هو الذى أوجد عبده . وخلقه وكوّنه ، وأسبغ عليه نعمه . وهو يحب أن يتمها عليه ، فيصير مظهراً لنعمه ، قابلا لها ، شاكراً لها ، محباً لِوَلِيِّها ، مطيعاً له عابداً له ، معادياً لعدوه ، مبغضاً له عاصياً له . والله تعـالى يحب من عبده معاداة عدوه ، ومعصيته ومخالفته ، كما يحب أن يوالىَ اللهَ مولاه سبحانه ويطيعه و يعبده . فتنضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه ، إلى محبته لعداوة عدوه . ومعصيته ومخالفته . فتشتد المحبة منه سبحانه ، مع حصول محبوبه . وهذا هو حقيقة الفرح

وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الـكتب المتقدمة « عبدى الذى سُرَّت به نفسى » وهذا لكمال محبته له . جعله مما تسر نفسه به سبحانه .

ومن هذا « ضحكه » سبحانه من عبده ، حين يأتى من عبوديته بأعظم مايحبه .

فيضحك سبحانه فرحاً ورضا . كما يضحك من عبده إذا ثار عن وِطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته ، يتلو آياته و يتملقه .

و يضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو . فأقبل إليهم . و باع نفسه لله ولَقَّاهم نَحْره ، حتى قُتل فى محبته ورضاه .

و يضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه ، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سراً ، حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه . فهذا الضحك منه حباً له ، وفرحاً به . وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة . فيضحك إليه فرحاً به و بقدومه عليه .

ولبس فى إثبات هذه الصفات محذور ألبتة . فإنه «فرح» ليس كمثله شىء ، و«ضحك» ليس كمثله شىء . وحكمه حكم رضاه ومحبته ، و إرادته وسائر صفاته . فالباب باب واحد . لا تمثيل ولا تعطيل .

وليس ما يُلزم به المعطلُ المثبتَ إلا ظلم محض ، وتناقض وتلاعب . فإن هذا لو كان لازماً للزم رحمته و إرادته ومشيئته وسمعه و بصره ، وعلمه وسائر صفاته . فكيف جاء هذا اللزوم لهذه الصفة دون الأخرى ؟ وهل يجد ذو عقل إلى الفرق سبيلا ؟ فما ثَمَّ إلا التعطيل المحض المطلق ، أو الإثبات المطلق لكل ما ورد به النص ، والتناقض لا يرضاه المحصّلون .

كلمة الله هى العليا :

عن أبى موسى ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمِيَّةً ويقاتل رياء ، أىُّ ذلك فى سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمةُ الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

(رواه مسلم)

هذا مايراد بكم أيها المسلمون فاحذروا ... !!

شرعة اليهود فى الحرب

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

أحفاد الأبطال المغاوير ، الذين باعوا لله نفوسهم ، فأورثهم الدنيا ، يعلون فيها كلمته ، ويقيمون عدله ، ويغرسون فى أوديتها ربيع الخير والمحبة ، ويركزون على قممها ألوية الكرامة والعزة .

أحفاد الصناديد الأفذاذ ، الذين ساروا فى الحياة نوراً وسلاما وهدى ورحمة .

أحفاد جند الله ، الذين أورثهم كتابه الحق ، يأخذون الناس بشرعته ، ويقيمون فى نفوسهم أمره وحُكْمَه وحِكْمَتَه .

أحفاد الكماة ذوى البأس يحكمه الخلق النبيل ، والإرادة ، يوجهها العقل الرشيد ، والعزم توجهه إلى أهدافه قوة الإيمان الحق ، والحياة تسلم أمرها إلى الله وحده ، وتبتغى رضاه وحده .

أحفاد المسلمين الراشدين ، دان لهم – بنصر الله – الغرب والشرق . هؤلاء الأحفاد ساهون عن دينهم ، نائمون عن أمجادهم ، أرِقَّاء الهوى ، عبيد الشهوات ، يستحبون العمى على الهدى ، والدنيا على الآخرة ، والذل على العز ، والضعف على القوة ، والخمول الأسوان على العمل الدائب فى سبيل تحقيق أسمى القيم وأرفع المثل . يستحبون إلحاد الغرب وطغيانه وفجوره ، على الإيمان بما هدى الله إليه وبه .

سلوهم ، من أورثكم الوهن والعبودية ؟! .

سلوهم من ضرب وحدتكم ، فحالت أشتاتاً واهنة ؟! .

سلوهم من أعطاكم الكفر بدلا من الإيمان ، والذلة بدلا من العزة ؟! .

سلوهم من حَطَّم أمجادكم ، ومن دَكَّ صروحكم ، ومن راح يكيد لكم كلما انتويتم قياماً أو نهضة من موتكم ؟! .

إنه هذا الغرب الذى فتنكم عن إيمانكم وكتابكم وربكم ، فجعلكم تدينون بشرعة الغرب ، وتعبدون طواغيته ، وتمجدون أصنامه ، وترون فيما يرميكم به من بدع سنن الحياة التى تستهدف غايات الخلود .

سلوا أهلى بالعراق ، وسلوا أبناء الخئولة والعمومة فى باكستان ، سلوا أولئك وهؤلاء ، ماغرَّكم بالغرب ، فتبيمون له أبناءكم وإخوانكم من العرب المسلمين ؟ وغيرهم ؟ .

اذكر يا ابن عمى فى كل مكان ، واذكر يا ابن الخال فى منتأى بعيد ، اذكر دائماً هذا الغرب ، وكيده لك ، وعمله دائماً على محو دينك من الوجود ، اذكر قول الشاعر حين سقط بيت المقدس فى يد الصليبيين[1] .

أَحَلَّ الكفرُ بالإسلام ضيما يطول عليه للدين النَّحيبُ
فَحَقٌّ ضائع ، وحِمًى مُبَاحٌ وسيف قاطعٌ ودم صبيب
وكم من مَسْجِدٍ ، جعلوه ديراً على محرابه نُصِبت الصليب
دم الخنزير فيهم لهم خلوق وتحريق المصاحف فيه طيب

اذكروا أيها المسلمون ثاراتكم ، حتى لاتركنوا لحظة إليه !! .

اذكروا تاريخكم جيداً ، بل ذاكروه فى كل حين ، حتى لايفتنكم عدوكم اليوم ،

---

(١) سقط فى سنة ٤٩٢ هـ الموافقة سنة ١٠٩٨ م ويقول ابن كثير فى البداية والنهاية: « أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله، وكانوا فى نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا فى وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ما علوا تتبيرا . وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلا من فضة ، زنه كل واحد منها ٣٦٠٠ درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلا بالشامى ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب الناس على وجوههم ، هاربين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة » ج ١٢ ص ٦ مطبعة السعادة . وأشد مايعجب له المرء أن يسكت الغزالى إمام الصوفية الأكبر ـ أو حجة الإسلام كما يزعمون ـ يسكت عن هذا الحادث الجلل ، فلا يذكره فى كتاب من كتبه ، ولا يشارك فى قتال ، ولا يدعو غيره إلى قتال . فقارن بينه ، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية فى معاركه مع التتار والنصيرية ، ووقوفه موقف الموت فى كل معركة خاضها ضد الأعداء !!

وهو يتراءى فى زيف الصداقة الخفية بالمودة والوفاء . ثم اعتبروا بمن يقتل أباً أو أخاً لواحد منكم ؟ فهل تطيب لـكم الحياة إلا بعد أن تقتصوا منه ؟ .

ثم تعالوا إلى تاريخـكم الحديث أيها المسلمون ، واذكروا جيداً ماصنع بكم هذا الغرب . ألم يأتـكم بأوشاب الصهيونية ، الحثالة المحتقرة ، المضغة المنتنة التى مضغها الخبث والرجس ، ثم تفل بها فى وجوهكم !! .

إن الصليبية الغربية مازالت تعمل عملها فى الماضى ، ولـكن بوجه جديد ، وجه خدع بعض أبناء عمومتى فى العراق وغيرها ، فظنوه وجه الحب والخير والسلام .

إن الصليبية الغربية مازالت تأتمر بكم أيها المسلمون ، بل بكم أنتم أيضاً أيها المسيحيون فى الشرق ، لالشىء إلا لأنـكم عرب !! .

لقد كفت يدها هى ، ثم جاءت لـكم بيد نجسة باغية ، تعاف الطهر ، وتتعشق الرجس والدنس والرذيلة ، جاءت لـكم بالصهيونية الغادرة ، وهى من ورائها عون وإمداد ، وتأييد لها فى كل ماتفعل بكم !! .

ترى من فتح لها باب الهجرة إلى أولى القبلتين ؟ .

ترى من أمدها بالسلاح والعتاد ، حتى صارت شوكا تحت جنوبكم ، وشجى فى حلوقكم ، وسُلًّا فى رئاتكم ؟ .

أليست هى الصليبية الغربية ، يا أبناء العم ؟ ! .

ألا تذكرون مافعلت بكم هذه الصهيونية ، منذ بدأ تاريخهم الأعظم ؟ ثم ألاتذكرون ماجنت عليكم به أمس ؟ ! .

واهاً لك ياابن العم حين تُقَبِّلُ يَدَ قَاتِلِكَ ، وحين تلثم الخنجر الذى سفك به دم ابنك أو أمك؟ ! .

واهاً لك ياابن العم ، تسمع دعاء الوحدة معى ، فتأبى إلا أن تسير فى ركاب من لوث شرفك ، وسخر من تاريخك ، ويعمل دائباً لهدم دينك ! ! .

أين حمية الإسلام فيك ؟ ! بل . أين حتى نخوة العروبة منك ؟ ! . أهكذا تجردت حتى

من عصبيتك العربية التى حمتك أحياناً من الغزاة والطغاة ؟ ! .

أتعرف ياابن العم المسلم ، ويا ابن الخال العربى ، ماذا يراد بك ؟ ! .

اسمع إلى نبأ اليهود وشرعتهم فى الحرب ، لتعرف جيداً واجبك ، بل لتعرف من الآن مصيرك ، إن بقيت بالضيم رَضِيًا ، وبالصليبية الغربية حَفِيًا ، إن بقيت على عداوتك لى وأنا أخوك ، إن بقيت على بغضك لى ، وأنا أعتز بحبك ، إن بقيت على حب الغرب وصليبيته وصهيونيته ومقت الله وشريعته !!.

استمع إلى ماجاء فى سفر التثنية من كتاب الصهيونية والصليبية المقدس « حين تقرب من مدينة ، لكى تحاربها ، استدعها إلى الصلح ، فإن إجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها ، يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك ، بل عملت معك حرباً ، فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء ، والأطفال ، والبهائم وكل مافى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل كل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرَّبُّ إلهُكَ . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليستَ من مدن هؤلاء الأمم هنا » .

هذا مايزعم اليهود أن الله سبحانه شرعه لهم فى الحرب ! ! مع من ؟ مع المدن البعيدة منهم جداً ؟ حتى لو أنهم ــ أى أعداء اليهود ــ أجابوهم إلى الصلح ، فإنهم يعيشون عبيداً مسخرين لليهود ونزواتهم الفاجرة ! ! .

فهل يفهم أولئك الذين نكثوا عن دينهم ، عن عروبتهم ، ورضوا أن يكون عبيد أحلاف الغرب ، وأحلاسه ، وأن يصدقوه فيما يزعم وهو أن الخير فى أن نعيش فى سلام مع اليهود ؟ ! أرأيتم إلى شرعتهم ! ! إنهم يرون من صالحوهم وسالموهم عبيداً مسخرين لهم ! ! ويزعمون أن هذا هو ماقاله لهم الرب ! ! . وما قاله الرب ، فلابد من تنفيذه ! ! أما المدن القريبة من اليهود ، أو الشعوب التى تتاخم أراضيها أرض اليهود . فاسمعوا موقف اليهود منها « وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبك ، فلاتستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً . الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين ،

واليبوسيين ، كما أمرك الرب إلهك ، لكى يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عملوا لآلهتهم ، فتخطئوا إلى الرب إلهكم [١] » هذا هو هدف اليهود أيها المسلمون .

وقد آمنت الصليبية الغربية أن الصهيونية تعمل جادة لتحقيق هذا الهدف فأعانتها لكى تبيدكم أيها المسلمون ! ! .

فضلا عن أن الصليبية الاستعمارية تزعم أن نبوءة الكتاب المقدس تؤكد أن ملك سليمان سيعود إلى اليهود مرة أخرى ، فهى تعمل إذن ، لتحقق نبوءة هذا الكتاب . لكى يصبح الشرق كله ـ ومنه العراق الذى يأبى بعض زعمائه إلا أن يكونوا مطية للصليبية الغربية والصهيونية الفاجرة ـ لكى يصبح الشرق كله ساحة لليهود ، ولا يستبقون فيه نسمة واحدة ! ! .

فماذا أيها المسلمون ؟ ! .

لقد قرأتم مايدَبَّرُ لكم ، قرأتم مصيرَكم ، إن بقيتم هكذا شيعاً متنابذة ، وأشتاتاً واهنة ، ، وتفرقاً ذليلا ، وسَيْرًا وراء ركب الاستعمار ، تلهب ظهوركم سياطُه ؟! .

فماذا أيها المسلمون ؟ ! .

إنه النذير المدَوِّى ، وإنها الصيحة الراجفة ، فهل تستيقظون من سباتكم ؟ ! إنها الحياة الكريمة ، أو الموت الكريم . فصمموا على أن تنالوا إحدى الحسنيين ؟ .

عبد الرحمن الوكيل
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

---

(١) هذا النص والذى قبله من الإصحاح العشرين من سفر التثنية من كتاب العهد القديم . أو « التوراة » كما يزعمون ص ٢١٥ من طبعة جمعية التوراة الأمريكانية ، وجمعية التوراة البريطانية ، والأجنبية سنة ١٩٤٥ م

الحرمان من الميراث

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

هذا حديث ألقيته فى الاذاعة المصرية على أثر خطابات كثيرة من بنين و بنات يشكون فيها مر الشكوى من تصرف والدهم فى أملاكه وحرمانهم منها بطريق البيع الصورى لزوجته الجديدة وأولادها . وعلى أثر ما قرأته كثيراً فى الصحف من الجرائم التى ترتكب بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة بعضهم مع بعض نتيجة لهذا التصرف .

بينت فى الحديث حكم الله فى ذلك وقصة من أراد أن يخصص بعض أولاده بالعطية على عهد الرسول وموقف الرسول منه . وناشدت فيه الحكومة الساهرة على مصلحة المجتمع أن تضع حدا لمثل هذه التصرفات . وها هو ذا الحديث .

* * *

الميراث حق قرره الله فى كتابه وجعله فريضة محكمة لايلحقها تغيير ولا تبديل ، قرره فى كتابه ، واستثار فى المحافظة عليه عاطفة المؤمنين ، فبدأ آياته بقوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم) وجاء فى الزام الناس به والاشارة إلى جهة الخير فيه ، وابتنائه على علم الله وحكمته قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ، فريضة من الله . إن الله كان عليما حكيما) وجاء فى التحذير من مضارة الورثة بوصية أو دين قوله تعالى (غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم) وختمت آياته بأن أحكامه التى بينت فيها ، هى حدود الله التى حدها لعباده ولن يرضى بغيرها بديلاً . ثم رتبت على اطاعة الله فيها ، المثوبة الخالدة والفوز العظيم وعلى مخالفتها ، وعصيانه فيها ، العقوبة الخالدة ، والعذاب المهين . (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) .

وجاء فى آية الميراث الثالثة التى ختمت بها سورة النساء الاشارة إلى الحكمة فى أن الله سبحانه هو الذى تولى بنفسه توزيع التركات ، وعين أنصبة المستحقين فيها (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم) وأمام هذا التشريع البين الواضح ، وهذه التحذيرات المشدده نرى كثيراً من المسلمين ، وممن يزعمون لأنفسهم الإيمان بالله و بحكمة تشريعه نراهم يهملون أحكام الله فى الميراث و يتعجلون توزيع أموالهم قبل موتهم بالاهواء والشهوات ، فيحرمون المستحق و يمنحون غير المستحق ، و يتخذون فى ذلك ستاراً يستترون خلفه ، من وصية جائرة ، أو إقرار كاذب بدين ، أو تبادل ببيع صورى و بهذا الستار المكذوب يحرمون من أرادوا حرمانه . و يبدلون حكم الله ، و يذهبون بحكمته البالغة . و بذلك يفسدون أسرهم ، ويخربون بيوتهم ، تلبية لشهوة باطلة أو هوى فاسد . نعم أجاز الله الوصية ليتدارك بها الإنسان تقصيره فى عمل الخير فأباح له أن يخرج جزءا من ماله تقربا إلى الله بسد عوز . أو دفع حاجة . وفى ذلك يقول عليه السلام « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم » والوصية لا تقع عند الله موقع القبول الا إذا جاءت على هذا الأساس « سد عوز المعوزين ، و إعانة الفقراء العاجزين ولم يترتب عليها حرمان مستحق هو فى الحاجة إليها أشد » وعليه فالوصية أو ما فى معناها من البيع الصورى الاحتيالى ، أو الهبة الاحتيالية لأجنبى غير محتاج ، أو أجنبية لمجرد علاقة شخصية ، وكثيراً ما تكون غير شرعية ولا بريئة ، تصرف شىء محظور ، والوصية أو ما فى معناها لأحدى الزوجتين ، أو لها ولأولادها حرماناً للزوجة الأخرى ، أو لها ولأولادها ، تصرف شىء محظور ، والوصية وما فى معناها للذكور خاصة حرماناً للبنات . تصرف شىء محظور ، والوصية ، وما فى معناها لزوج عقيم حرماناً للعصبة وسائر الأقارب . تصرف شىء محظور . يتجاوز فيه المؤمن حدود الله و يعرض به نفسه لغضب الله ، كما يعرض أسرته للانحلال . وأبناءه وأقاربه لتبادل العداوة والبغضاء . تصرف شىء محظور يقطع به المسلم ما أمر الله به أن يوصل . يوغر صدر الأخ على أخيه وصدر الأخت على أخيها ، وصدريهما معا على أبيهما . وتنشق عصا الرحم وتشتعل بين أبناء الرجل الواحد ، وفى البيت الواحد ،

نار العداوة والبغضاء . وقد رأينا وقرأنا أن قتل بهذا التصرف الأخ أخاه ، والولد أباه ، وخرجت البنت على أبيها ، واحتربت مع أخيها ، وأنكر أخوها نسبتها إلى أبيها ، وهكذا فعل الآباء بالأبناء وفعل رؤساء الأسر بالأسر وهكذا أيقظ المسلمون شرعة الجاهلية الظالمة . فهلا يدرك الآباء هذه الآثار السيئة التى ينزلها سوء تصرفهم بأسرهم وأبنائهم . وهلا يسمعون أو يرون ما نزل بأسر غيرهم فيكفوا عن متابعة المفسدين فى الأهواء الفاسدة والشهوات الضارة المخربة .

وهذا هو بشير والد النعمان يمنحه بعض ماله ، ويذهب إلى الرسول ويخبره بعطيته لولده النعمان ، ويلتمس منه أن يشهد عليها ، فيسأله الرسول : أله أخوه . فيقول بشير : نعم فيقول الرسول ـ أكلهم أعطيت مثل ما أعطيته . فقول : لا فينكر عليه الرسول تخصيص النعمان بالعطية ، ويأمره بردها ، والرجوع فيها . ويمتنع عن الشهادة عليها . لا تشهدنى على جور ويزيده نصحاً : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . ويهز عاطفته نحو الحق والعدل . إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يعدلوا لك فى البر . وهكذا وقف النبى من بشير عند حدود ما أمر الله ، تحقيقاً للعدل بين الأبناء . ومحافظة على مارسم الله فى كتابه . وحسبنا أيها السادة فى إنكار هذا التصرف ما نراه من الحوادث والجنايات المترتبة عليه تقرأها بين حين وآخر فى الصحف اليومية ، ونلمسها ونراها فى القرى والمدن . إنها ناحية فى مجتمعنا يجب أن تكون فى مقدمة مايتنبه له المشرعون ، فقد ارتفعت بها الشكوى ، وتزلزلت بها البيوت ، وانفصمت بها العرى ، ولا حياة لأمة تنحل عرى أسرها ، وتلتهم العداوة قلوب أبنائها .

وإذا كان من حكم الشرع والقانون الحجر على سفيه ، يبدد بعض ماله ، أو يضع منه شيئاً فى غير موضعه ، أو الحجر على مدين ، محافظة على حق الدائن ، فإن الحجر على مثل هؤلاء الآباء الذين يفتنون أبناءهم ويزعزعون أسرهم ، ويهددون كيانها ، لأوجب عند الله وألزم فى نظر القانون والعدل فهل لمشرعى الأمة الذين يعملون على خيرها أن يتجهوا إلى هذا الخطر الداهم ، ويمنعوا بالتشريع الحكيم هذه التصرفات تحمل روحها وآثارها

عناصر الشر والفساد ، وتدفع إلى الجرائم وسفك الدماء . نبئونى بعلم : إلى من تلتجىء البنت ، هضيمة الجناح ، وقد حرمها أبوها من الميراث وطلقها زوجها أو مات عنها ، وهى فقيرة لا تجد قوت يومها ؟ .

إلى من يلتجىء الابن ، ولما ينهض على أعباء الحياة ، أو لما يتمم دراسته . وقد حرمه أبوه وكتب كل تركته لأخيه الذى يلتقى معه فى صلب رجل واحد . أم كيف تهدأ ثائرة قريب ، وقد رأى الأجنبى أو الأجنبية يتمتعان بمال قريبه لا لشىء سوى الشهوة العمياء والهوى الفاسد .

أما بعد ـ فيا أيها المسلمون . اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم . إن لبنيكم عليكم من الحق أن تعدلوا بينهم . كما لكم عليهم من الحق أن يعدلوا فى البر بينكم . ويا أيها المشرعون . حافظوا على أمتكم واضربوا بالتشريعات الحكيمة العادلة على أيدى المفسدين المخربين . ونسأل الله التوفيق لما فيه حياة الأمة . وحفظ كيانها وسلامة عزتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أحسن ما قرأت

معارف إسلامية ، بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبى الوفاء محمد درويش « نقلا عن كتاب الإسلام والإيمان والاحسان » .

الإيمـــــان واليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر من أوثق أركان الإيمان . وجميع الأديان السماوية تشترك فى الدعوة إلى الإيمان به . لأن الذى لا يؤمن بالبعث لا يتحرج عن مأثم ، ولا يتنهى عن منكر . ولا يرقب فى مؤمن إلاً ولا ذمة . ولا يرجو لله وقاراً ؛ لأنه لا يرجو ثواباً ، ولا يخشى عقاباً . وأكثر ما يحفز الناس إلى فعل الخير : رجاء الثواب . وأكثر مايزعهم عن اقتراف الشرخوف العقاب . فإذا لم يرجوا ثواباً ، ولم يخشوا عقاباً لم يفعلوا خيراً ، ولم ينتهوا عن شر.

وإذا كنا نرى كثيراً ممن يدعون الإيمان بالبعث والجزاء . يقترفون شر المنكرات بغير خجل ولا استحياء . فكيف بمن لا يؤمن ببعث ولا جزاء ؟ .

الإيمان بعدل الله يقتضينا الإيمان بالبعث والجزاء ، لأننا نرى فى الدنيا أشخاصاً طيبين مستقيمين صالحين ولكن حظوظهم فى الدنيا منقوصة يقاسون أحياناً شظف العيش ، وذل الحاجة . وأحياناً يقاسون ألم المرض والحرمان من العافية . وطوراً يضطهدهم الأشرار ، أو تعتريهم النكبات . وتحل بهم الكوارث . ونرى أشراراً مستمتعين بالصحة والعافية والثراء الواسع والجاه العريض . ويأبى عدل الله إلا أن يسوى بين عباده . فمن فاته حظه فى الدنيا فلا بد أن يناله فى الآخرة . ولا بد أن يجزى الناس بأعمالهم . إن خيراً فخير . وإن شراً فشر . فإذا انقضى الأجل الذى كتبه الله لهذه الحياة نفخ فى الصور . و « النفخ فى الصور » حدث من أحداث القيامة لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، يترتب عليه تغير كلى فى هذا العالم ، واضطراب فى نظامه ، فتكور الشمس ، وتنكدر النجوم ، وتنشق السماء ،

وتدكدك الأرض ، وتسير الجبال ، وتسجر البحار ، ويصعق من فى السموات والأرض ، ثم ينفخ فيه مرة أخرى ، فإذاهم قيام ينظرون ، فيحاسبهم الله ويزن أعمالهم بالقسط . قال تعالى فى سورة الأعراف (والوزن يومئذ الحق . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) .

ولقد وصف الله تعالى ذلك اليوم وما فيه من جسام الأحداث أصدق وصف ، وصوره أروع تصوير . فقال تعالى فى سورة الزمر : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً . حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها . وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى . ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ٧١ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها . فبئس مثوى المتكبرين ٧٢ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً . حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم . طبتم فادخلوها خالدين ٧٣) .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة فى وصف شقاء أهل الجحيم . ونعيم أهل الجنة . لا أطيل القول بإيرادها .

* * *

لم يطالبنا رب العزة جل ثناؤه ، بالإيمان بالبعث بغير أن يقيم لنا الأدلة الساطعة ، والبراهين الناصعة على قدرته تعالى عليه ، وعلى أن العقول السليمة تقره ولا تؤمن بسواه ، وعلى أنه من مقتضيات العدل ، وأن العدل لايتم بدونه ، ولولم يفصل لنا هذه الأدلة لم يكن إيماننا إيماناً ، بل خضوعاً و إذعاناً ، ولكنه سبحانه أراد أن يكون إيماننا بالبعث والنشور عن اقتناع ويقين ، وطمأنينة قلب ، ومتانة عقد ؛ فذكر فى كتابه العزيز ـ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ الأدلة القاطعة التى لو تأملها المتأمل ، وتدبرها المتدبر ، لم تدع عنده مساغاً لشك ، ولا مجادلا لريبة ، ولملأت عقله يقيناً ، وقلبه طمأنينة ، ونفسه سكينة وصدره ثَلْجاً .

قص الله تعالى ما كان من أمر ذلك الذى مر على قرية هامدة ليس فيها إلا العظام

النخرة ، والرفات السحيق ، فتعاظمه الأمر ، وسأل نفسه سؤال من ملك عليه العجب أقطاره : كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها ؟ . فأقنعه الله تعالى بالدليل العملى أن إعادتها إلى الحياة لا يعجز رب العزة القادر على كل شىء . فاستمع إلى الآية الكريمة فى روعة بلاغتها ، وجمال قصصها ، و بالغ إقناعها ، وناصع سلوكها ، يقول تعالى (٢ : ٢٥٩ أوكالذى مر على قرية ، وهى خاوية على عروشها . قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه . قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام . فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً . فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير) .

وذكر لنا ما كان من إبراهيم حين طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، حتى يرى ذلك عين اليقين ، وكيف ملأ الله قلبه طمأنينة حين أراه بطريقة عملية كيف تستجيب الأرواح لأمره إذا دعاها ، لتعود إلى أجسادها . قال تعالى (١٢ : ٢٦٠ و إذ قال إبراهيم : رب أرنى كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير فصُرهن إليك . ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعياً . واعلم أن الله عزيز حكيم) .

وتدبر الحجة الدامغة فى قوله تعالى (٣٦ : ٧٨ ـ ٨٢ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيي العظام وهى رميم ؟ . قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى . وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) .

وتدبر البرهان المبين فى قوله تعالى (٤٦ : ٣٣ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادرٍ على أن يخلق مثلهم ؟ بلى إنه على كل شىء قدير) .

وما أبلغ الحجة التى تجتلى نورها فى قوله تعالى (٣٠ : ٤٨ ـ ٥٠ الله الذى يرسل الرياح

فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً . فترى الودق[1] يخرج من خلاله . فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين[2] فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ؟ إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) .

وإن العجب لميلاً عليك نفسك حين تتدبر هذه الآيات ، سيسفر لك نورها . فترى كيف يأخذ بعضها برقاب بعض ، وكيف يقاس فيها الغائب على الشاهد ، وكيف يستدل فيها بما تراه العين على مايدركه العقل ، ولن يسعك إلا أن تهتف من أعماق صدرك : آمنت بالبعث والنشور ؟ فاستمع لما يقول الله جل ثناؤه (٥٠ : ٦ - ١١ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) .

ويستدل سبحانه على عدله المطلق ، وعلى أنه لا يسوى بين المؤمن والكافر . ولايترك الإنسان هملا . وعلى أنه لابد من البعث لتجزى كل نفس بما تسعى ، بقوله تعالى (٦٨ : ٣٥ ، ٣٦ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ مالكم كيف تحكمون ؟) .

وقوله تبارك اسمه (٧٥ : ٣٦-٤٠ أيحسب الإنسان أن يترك سدًى ؟ ألم يك نطفة من مَنى يُمْنَى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) .

القضاء والقدر

إن عقيدة القضاء والقدر لا لبس فيها ولا غموض ، ولا إبهام ولا عسر . فدع ماسمعت فيها وما قرأت وخذها عنى سهلة ميسرة ، تنساب إلى عقلك انسياب الماء إلى منحدره ،

---

(١) المطر . (٢) يائسين

سأترك هذه المصطلحات العلمية التى وقفت دهراً طويلاً حائلاً دون فهم الناس لهذه العقيدة السهلة سهولة الملة الإسلامية ، السمحة سماحة الإسلام ، اليسيرة كل اليسر .

لا مرية فى أن هذا العالم لم يخلق عبثاً ، ولا هو يسير فوضى بل هو خاضع لقوانين حكيمة ، ونواميس دقيقة ، لا يخرج عن سلطانها قيد شعرة .

هذه القوانين الأزلية الأبدية الخالدة الحكيمة التى وضعها رب العزة جل ثناؤه ، ليسير عليها هذا الكون بسمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ونجومه وأفلاكه ، وجباله و بحاره ، وحيوانه ونباته ، وعامره وغامره ـ هى القدر .

أما القضاء : فهو تنفيذ أحكام هذه القوانين و إبراز نتائجها فى الخارج على مقتضى علمه تعالى وحكمته .

واسمح لى أن أضرب لك مثلا يوضح لك ما قدمته و يفصله :

وضع رب العزة قانوناً يقضى بأن يكون مجموع زوايا المثلث الثلاث مساوياً لزاويتين قائمتين أى ١٨٠° درجة . فهذا القانون : قدر .

فإذا أنت رسمت مثلثاً أياً ماتكن أضلاعه وزواياه : كان مجموع زواياه ١٨٠° حتما . ومهما تحاول ، ومهما تبذل من الجهد لكى تغير هذه الحقيقة ، فلست بمستطيع إلى ذلك سبيلا .

تنفيذ هذا القانون و بروز حكمه فى الخارج ، وجريانه على المثلث الذى رسمته : هو القضاء .

وقس على ذلك سائر القوانين الهندسية والرياضية والفلكية والطبيعية والكيماوية ، وقوانين الوراثة والغريزة ، وما يجرى فى عالم النبات والحيوان والجماد وما إلى ذلك .

وذلك ما عبر عنه القرآن الكريم بسنة الله التى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا .

فالأسباب تفضى إلى مسبباتها حتما ، والمقدمات تسلم إلى نتائجها لا محالة . فمن أتى الأسباب استهدف لمسبباتها ، ومن اتخذ المقدمات أفضت به إلى النتائج . ولا يظلم ربك أحداً .

وكل ما يصدر عن الإنسان فهو عمله الذى يستهدف لنتائجه ، ويتحمل تبعاته ، ويلقى جزاءه ، والناس مجزيون بأعمالهم : إن خيراً فخير و إن شراً فشر .

ولا يسوغ لامرىء أن يقترف سيئة ثم يحمل القضاء والقدر تبعة ما اقترف ، بل عليه

أن يرجع باللائمة على نفسه ، ويتوب من ذنبه ليحظى بمغفرة ربه ، فقد قال تعالى (٤ : ١١٠ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) .

والكلمة التي تجرى على ألسنة العامة وأشباههم وهى قولهم : إلهى ماعصيتك باختيارى إلا بجهلى وقضائك ـ من الكذب الوقح ، والمغالطات الجريئة ، إذ كل عاص يشعر بأنه يقترف المعصية بكامل اختياره ، وإن المرء حين يقترف الخطيئة أول مرة يحس صراعاً قوياً فى نفسه بين داعى الواجب والحق والفضيلة ، وداعى الهوى والباطل والرذيلة ولكنه يؤثر اللذة والعاجلة ، والشهوة العابرة على النعيم المقيم ، فينساق مع الهوى والفتون ، ويخفت صوت الضمير الذى يدعوه إلى الفضيلة . فكيف يزعم بعد هذا أنه لم يعص الله باختياره ؟ وكيف يحمل قضاء الله جريرة معصيته ؟ أيحسب أن هذا الكذب يبرر خطيئته ، ويبرئه من إثم ما اقترفت يداه ؟ .

وإذا شعر أن القضاء يجرفه نحو الهاوية فلم يستخذى له ؟ ولم لايقاومه بكل مامنحه الله من قوة ؟ وقد علمنا الله تعالى أن ندافع الأقدار بالأقدار فندفع قدر الجوع بقدر الطعام ، وندفع قدر الظمأ بقدر الشراب ، وندفع قدر المرض بقدر الدواء ، وقدر هجوم العدو بقدر الدفاع وإعداد مايلزم من القوة ، وقدر الذنب بقدر التوبة النصوح . وهكذا .

ولله در أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه إذ يلقى كلمة الفصل فى مشكلة القضاء والقدر حين سئل : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر ؟ فقال للسائل :

« ويحك ! لعلك ظننت قضاء لازماً ، وقدراً حاتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد . إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً . ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً . ولم يُعْصَ مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتاب للناس عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا . فويل للذين كفروا من النار » .

الإحسان

«الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

هذا هو القول الفصل الذى يطمئن به القلب ، وتسكن إليه النفس و يثلج به الصدر .

هذا مثل رائع من جوامع الكلم التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لفظ قليل ومعنى كثير ، كلمات معدودة . ومعان لكثرتها غير محدودة .

يصور عليه الصلاة والسلام الإحسان فى أجمل مظاهره ، وأروع صوره ، وأجمع حدوده ، و يسوق معناه إلى الأذهان سوقاً رفيقاً ، حتى ينساب فيها بغير عسر ، كما ينساب الماء إلى منحدره .

هذا هو الإحسان الذى أعوز الصوفية لفظُه ومعناه ، فوضعوا له اسماً لم يعرفه الإسلام ، ولم ينطق به النبى العربى ولاصحابته الأخيار ، ولاخلفاؤه الراشدون ، وهو لفظ « التصوف » الذى مانطق به مسلم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وجعلوا من تمام معناه : اعتناق عقيدة « وحدة الوجود » التى ضل بها كثير ممن قال بقولهم ، ونسج على منوالهم .

الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ! .

هكذا يصوره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقربه فى أوجز لفظ ، وأعذبه إلى قلوب المؤمنين .

أن تعبد الله كأنك تراه ! .

كأنك تراه فى جلاله وعظمته وعلمه وحكمته ، وقوته وقدرته وفضله ورحمته ، وقد بهرك جماله ، وغمرتك أنواره .

كأنك تراه ، وقد خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ماشاء ركبك .

كأنك تراه يتولاك بالرعاية ، و يتعاهدك بالعناية ، و يوالى عليك الألطاف .

كأنك تراه يدبر أمورك وأمور الخلق قاطبة ، و يسخر لك رزقك وأرزاق الأحياء طرًا .

كأنك تراه يدبر أمر نفسك ، ودقات قلبك ، وهضم معدتك وأمعائك وحس أعصابك ، وشعور حواسك ، و إدراك عقلك ، وحركات ذهنك وومضات فهمك .

كأنك تراه ، وهو يخرج لك من أديم الأرض طعامك ، و ينزل لك من السماء

شرابك ، ويحيل غذاءك دماً ، ودمك قوة فى بدنك ، ونوراً فى بصرك ، وسمعاً فى أذنك ، وشماً فى أنفك ، ولمساً فى يدك ، وذوقاً فى لسانك .

كأنك تراه وهو قائم على كل نفس بما كسبت وبيده نواصى عباده من تواضع منهم رفعه ، ومن استكبر خفضه .

كأنك تراه ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه . وقد عنت له الوجوه وخشعت الأبصار .

كأنك تراه ، وقد اتصف بكل كمال يجول فى ذهنك ، أو يهجس فى خاطرك ، أو تحدث به نفسك ، أو يعزب إدراكه عن علمك ، وقد تنزه عن كل نقص ، أو شائبة نقص ، أو شبهة نقص ، وتعالى عن كل عيب ، أو شائبة عيب . أو شبهة عيب .

كأنك تراه وقد تفرد بالعزة والكبرياء ، وتوحد فى الأرض والسماء وتنزه عن الشريك والنظير ، وتعالى عن الشبيه والمثيل ، واستأثر بالملك والسلطان ، والتصرف فى جميع الأكوان .

كأنك تراه ، وقد استوى على عرشه يدبر الأمر ، والأرض جميعاً قبضته ، والسموات مطويات بيمينه .

ولكن حذار أن تفكر فى ذاته فتهلك ، فإنك لن تقدره قدره ، وليس كمثله شىء . فإذا مثلت لنفسك كل هذه المعانى ، وتصورت مجالى العظمة ، ومظاهر الجلال ، فانظر كيف تعبد ربك .

لاجرم أنك بعد هذا إن شهدت أن لا إله إلا الله شهدت بعلم وعقيدة ، ويقين وإيمان وإن شهدت أن محمداً عبده ورسوله ، شهدت بتصديق وإخلاص وإذعان . وإن صليت أقمت الصلاة وأديتها تامة المعانى والأركان فى خشوع وخضوع وتقوى وإحسان . وإن آتيت الزكاة آتيتها طيبة بها نفسك ، مطمئناً بها قلبك ، محتسباً ثوابها عند من لايضيع أجر المحسنين . راجياً جزاءها عند خير الرازقين . وإن صمت أو قمت فعلت ذلك إيماناً واحتساباً فلم تفسق ولم ترفث ولم تصخب ولم تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء . واثقاً بالأمر الكبير عند من أحصى كل شىء كتاباً . وإن استطعت الحج إلى بيته الحرام ، بادرت

وسابقت ، وشمرت وسارعت لترى هذه المشاهد التى تصبو نفوس المؤمنين إلى رؤيتها ، وتتوق قلوب الصالحين إلى مشاهدتها ، ولتبايع ربك فى بيته الكريم ، وتذكره فى الأيام المعدودات ، والبقاع الطاهرات ، ولتدعوه فى خشوع المتبتلين ، وتقوى المخبتين ، وإيمان الصادقين ، وضراعة القانتين ، ولتحظى بإقباله عليك ، وتظفر برضاه عنك .

وإن عاملت الناس عاملتهم بأمانة وإخلاص وصدق ووفاء ، فإن حدثتهم لم تكذبهم وإن وعدتهم لم تخلفهم ، وإن ائتمنوك لم تخنهم . وكنت معهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وجعلت نصب عينيك توصيل الخير إليهم ، ومن أكبر همك دفع الأذى عنهم ، وكنت ابناً للكبير ، وأباً للصغير ، وأخاً للنظير .

وراقبت ربك فى عبادتك كلها ، فى وضوئك وطهارتك ، وذكرك وتسبيحك ، وفى أعمالك كلها ، وفى معاملاتك جميعاً ، وذكرته قائماً ، وقاعداً وعلى جنبك .

فإن ملكت عليك هذه العقيدة نفسك وقلبك ، واختلطت بلحمك ودمك ، استطعت أن تعبد ربك كأنك تراه . فإن عبدت ربك كأنك تراه ، لأنك على يقين من أنه يراك ، فقد بلغت مقام الإحسان . وطوبى لك ، ولك البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، فإن الإحسان درجة فوق درجة الإسلام ، ومنزلة فوق منزلة الإيمان ، لأن الإنسان لايبلغ مرتبة الإحسان إلا إذا استكمل الإسلام والإيمان ، وقد بشر الله المحسنين بحبه فقال : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

والمؤمنون جميعاً يوقنون بأن الله يراهم ، ولكنهم لايسمون جميعاً إلى المستوى الذى يعبدون فيه ربهم كأنهم يرونه . فإذا رقى المؤمن فى هذه الدرجة وقام هذا المقام تربى فى نفسه خلق الحياء من الله تعالى ، ومن تربى فيهم هذا الخلق الكريم ، فإنه يحرسهم من كل زلة ، ويحفظهم من كل سيئة ، ولا جرم أنهم يعيشون طيبين ، وتتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام عليكم طبتم فادخلوا دار الكرامة خالدين .

جعلنى الله وإياك من المحسنين ، الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ورزقنا قوة اليقين بأنه يرانا ، حتى نعبده عبادة المحسنين .

أبو الوفاء محمد درويش

خطبة منـــــــــبرية

كثيراً ما يطالبنا إخواننا أنصار السنة المحمدية وغيرهم أن ننشر على صفحات الهدى النبوى خطباً منبرية ، ونزولا على رغبتهم سنبدأ بعونه تعالى على نشر خطبة فى هذا العدد وكل عدد من الأعداد القادمة إن شاء الله .

الخطبـــة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، هو الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، هو الله لا إله هو الخالق البارىء المصور ، لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، وهو الولى الحميد ، نحمده تعالى ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يهد الله فلا مضل له ، ومَن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه ومصطفاه من عباده ، أعرفَهم بالله ، وأتقاهم لله ، وأحبَّهم إليه ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعد ـ فإن الله سبحانه وتعالى يقول ، وهو أصدق القائلين ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قل الحمد لله وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى آللهُ خير أمَّا يشركون . أمَّنْ خلق السمواتِ والأرضَ وأنزلَ لكم من السماء ماء فأنبَتْنا به حدائقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ، ما كان لكم أن تُنْبِتوا شجرها ، أإله مع اللهِ ، بل هم قومٌ يَعْدِلون أمَّنْ جعلَ الأرضَ قراراً وجعلَ خِلالها أنهاراً ، وجعل لها رَوَاسِيَ ، وجعلَ بَيْنَ البَحْرَيْن حَاجِزاً ، أإلهٌ مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمَّنْ يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاه ، ويكشفُ السُّوءَ ، ويجعلُكم خُلَفاءَ الأرض ، أإله مع الله ، قليلا ما تَذَكَّرون . أمَّنْ يهديكم فى ظُلُماتِ البرِّ والبحرِ ، ومَن يُرْسِلُ الرياح

بُشْرا بين يَدَىْ رَحمتِهِ ، أإله مع الله تعالى اللهُ عما يشركون . أَمَّنْ يَبْدَأُ الخلقَ ثم يُعيدُهُ ، ومَن يَرْزُقُكم من السماء والأرضِ . أإله مع الله ، قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلمُ مَن فى السمواتِ والأرضِ الغَيْبَ إلا اللهَ ، وما يشعرون أَيَّانَ يُبْعَثون) .

أيها المسلمون تلك آيات الله نتلوها عليكم بالحق فاجعلوا من قلوبكم لها وعاء لعل الله أن ينفعنا بها ، اللهم اجعل القرآن العظيم ، ربيع قلوبنا ، وشفاء صدورنا ، وجلاء نفوسنا ، وذهاب همنا وغمنا إنه سميع مجيب قريب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد عبد الله ورسوله وآله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله النبي الكريم الرؤوف الرحيم بالمؤمنين عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم .

أما بعد ـ أيها المسلمون ، لقد سمعتم ما تلوته عليكم من آى الذكر الحكيم من سورة النمل ولقد بَيَّن فيها سبحانه وتعالى لنا من آثار قدرته وقوته ، وفضله وكرمه ، وجوده وإحسانه ، ما تخشع لها القلوب ، وتخضع لها النفوس ، حتى تؤمن بأنه لا خالق ولا رازق وما مدبر ولا منعم إلا هو وحده سبحانه ، فتسرع مهطعة إلى صفوف عباده الذين اصطفى لتنال السلام والأمن فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وتفر مسرعة من الذين جعلوا لله أنداداً ، واتخذوا فى دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

أيها المسلمون : هذه آيات الله ناطقةٌ بأفصح لسان أنه وحده الجدير بالعبادة والدعاء ، وأنه وحده المستحق للرجاء والخوف ، وأنه لا يليق بعبد عاقل أن يوجه شيئاً من ذلك لأحدٍ غيره ، سواء كان ذلك الغير حَيًّا أو ميتاً ، فلا معين سواه ، ولا نافع ولا رازق غيره ، فمن أبطل الباطل ، وأسفه السفه ، أن تتخذ من دونه ولياً أو شفيعاً (أأتَّخِذُ من دونه آلهةً إنْ يُرِدْنى الرحمن بضُرّ لا تُغْنِ عنى شفَاعَتهم شيئاً ولا يُنقذون . إنى إذَنْ لَفى ضلالٍ مُبين)

ها أنتم قد سمعتم قول الله (لا يعلم مَن فى السمواتِ والأرض الغيب إلا الله) فما بال أقوام يكذبون قول الله ليصدقوا الدجالين والمشعوذين الذين يدعون أنهم وأولياءهم يعلمون

الغيب . أيان تسحرون أيها الناس هل بعد قول الله قول ؟ فما لكم لا ترجون لله وقاراً .
هدانى الله وإياكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر ووفقنا إلى العلم النافع والعمل الصالح وهدانا إلى صراطه المستقيم .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا أنك رؤوف رحيم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

بيعة النساء

قالت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُمتحن بقول الله عز وجل (ياايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) ، إلى آخر الآية .
قالت عائشة : فمن أقرَّ بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحْنةَ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أقررن بذلك من قولهن ، قال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنطلقن فقد بايعتُكُنَّ ـ ولا والله ماmسَّتْ يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط ، غير أنه يبايعهن بالكلام .
قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمرهُ الله تعالى ، وما مست كفُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفَّ امرأة قط . وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : قط بايعتكن كلاما .
المحنة : معناه قد بايع البيعة الشرعية . « رواه مسلم »

المبايعة على الإسلام والجهاد

عن أبى عثمان ، قال : أخبرنى مُجاشع بن مسعود السلمى ، قال : جئت بأخى أبى معبد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ، فقلت يارسول الله بايعه على الهجرة ، قال : قد مضت الهجرة بأهلها ، قلت : فبأى شىء تبايعه ، قال : على الإسلام والجهاد والخير » .
رواه مسلم

تعليقات على الصحف والإذاعة :

« دين الدولة هو الإسلام »

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

أصدر أبطال الثورة الدستور ، وقد نُصَّ فيه على أن دين الدولة هو الإسلام . وبهذا قضت الثورة على أراجيف الاستعمار وأذنابه ، ممن راحوا يزعمون أن الثورة فى جانب ، والإسلام فى جانب آخر ، ولقد كان أذناب المستعمرين يبثون هذه الأراجيف بين الشعوب الإسلامية كلها ، ويؤكدون لهم أن الثورة لن تنص مطلقاً فى دستورها على أن دين الجمهورية المصرية هو الإسلام ، يريدون بهذا القضاء على مابين مصر وبين الشعوب الإسلامية من أرحام المودة والقربى والأخوة ، وإظهار أبطال الثورة فى مظهر المتنكرين لدين الحق ، القاضين على مبادئه ، العاملين على هدمه . فجاء الدستور ضربة قاضية لأولئك، ونوراً يبدد ضلال هذه الأراجيف ، ويثبت أن أبطال الثورة يؤمنون بأن مصر ليست لفرعون ، وإنما هى لمحمد عليه الصلاة والسلام،ليست للوثنية التى تؤله الإنسان ، أو الحجر ، وإنما هى للتوحيد الحق الذين يدين بربوبية وإلهية خالق البشر . ليست لشريعة الغرب ، وإنما هى لشريعة الله سبحانه ، ولقد كان بعض الذين خدعتهم هذه الدعاوى من الشعوب الشرقية ، يعيروننا بما مشى به الاستعمار من أراجيف ، فكنا نؤكد لهم أن هؤلاء القادة الذين يحرصون على أن يقفوا بين يدى الله خاشعين ، لايمكن أبداً ، أن يتنكروا لهذا الدين الذى يقفون بين يدى الله على نوره وهداه .

ولقد كان المستعمر يعمل بوجهين مختلفين ، وإن كانا عند البصر البصير ذَوَىْ صورة واحدة !! كان يدعو هنا فى مصر إلى أن تترك الثورة النص على هذا ، ويوحون إلى بعض الأقلام بهذا ، زعماً منهم أن النص على أن دين الدولة هو الإسلام رجعية تعود بنا القهقرى ، وتعوق سيرنا قدما فى سبيل الحضارة ، وإغضاب لطائفة من المصريين ! ! وقد

صدّق بعضُ الـكتاب هذا الزعم ، فراحوا ـ جهلا أو بسوء نية ـ يثيرون الحرب خفية ، أو مستعلنة ضد النص على أن دين الدولة هو الإسلام ! ! ويذهب المستعمر ـ وهو الذى أوحى بهذا إلى كتابه ـ يذهب إلى الشعوب الإسلامية ، ويريهم ما كتب أولئك ، ويؤكد لهم أنهم ما كتبوا إلا بوحى من رجال الثورة !! هكذا كان يفعل الاستعمار ، فجاءت الثورة ، ونصت على الحق الذى تؤمن به ، وهى أن الإسلام هو دين الدولة !! حتى أنها حذفت كلمة « الرسمى » تطهيراً للنص مما يشوبه ، وتجلية له فى سمو غاياته وأهدافه . فقضت بهذا على آمال أولئك الذين كانوا يودون أن تكون مصر مباءة للصليبية الغربية ، وأن ينقطع مابين شعب مصر ، وإخوانه من الشعوب الإسلامية ، وأكدت لـكل من يطوى قلبه على دَخَلٍ ضد الإسلام ، أن الثورة للدين تحمى حماه ، وتذود عن عرينه ، وتعلى كلمته.

الجهاد فى سبيل الله تعالى

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَضَمَّنَ اللهُ لمن خرج فى سبيله لايخرجه إلا جهاداً فى سبيلى وإيماناً بى وتصديقاً برسلى ، فهو على ضامنٌ أنْ أُدخلهُ الجنَّة أو أَرْجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من أجْرٍ أو غنيمة . والذى نفس محمد بيده ما منْ كَلْمٍ يُـكْلَمُ فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِمَ لونهُ لوْنُ دَمٍ وريحهُ مسك . والذى نفس محمد بيده ، لولا أنْ يَشُقَّ على المسلمين ماقعدتُ خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولـكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشُقُّ عليهم أن يتخلفوا عنى . والذى نفس محمد بيده لوددْتُ أنى أغزو فى سبيل الله فأُقْتَلُ ، ثم أغزو فأُقْتَلُ ، ثم أغزو فأُقْتَلُ » . « رواه مسلم »

والمعنى أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ، ينال خيراً بكل حال . فإما أن يستشهد فيدخل الجنة ، وإما أن يرجع بأجر أو غنيمة .

والـكَلْم : أى الجرح ـ ويُـكْلم : أى يجرح .

الذوق النظـــامي

للأديب سعد صادق محمد

النظام شعار عظيم ورمز جميل . كلمته حبيبة عند النفوس التى تهواه وتعشقه وطيبة عند القلوب التى تحبه وترغبه . ومعناه حلو عذب يملأ رغبة من يتطلع إلى عيشة رضية هانئة . وجليل لمن يريد أن ينعم بحياة هادئة مطمئنة منظمة . وكما أن النظام دعامة متينة من الدعائم التى تقوم عليها حياة الفرد الصالح النافع فهو كذلك دعامة من دعائم الأمم المتحضرة الناهضة القوية والله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون على نظام بديع جميل لايُضَارَعْ وكما خلق الكون على هذا النظام أراد كذلك أن تقوم حياة البشر على النظام حتى تستقيم أمورهم ويصلح حالهم ويكون هو من أسباب خيرهم وسعادتهم .

والنظام شرط ضرورى من شروط الصلاة كى تكون تامة كما يريدها الله ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « سَوُّا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة » ويقول صلى الله عليه وسلم « سَوُّا صفوفكم فى الصلاة فإن الله لاينظر إلى الصف الأعوج »

والاعوجاج نوع من الفوضى التى تأتى من عدم مراعاة النظام ، فمتى وقف الإنسان فى صلاته معوجاً ولم يرع النظام فقد معية الله وحرم نظرته ومادام قد فقد المعية والنظرة فَقَدْ فَقَدَ الرحمة والأجر والرجاء .

ومن أجل ذلك كان النظام ، أول مايشغل ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم ويعنى به قبل الوقوف فى الصلاة فيأمر المصلين بالوقوف فى استقامة ونظام . بل لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين باتباع النظام والحرص عليه فى كل شأن من الشئون الحيوية ولقد كان من نتيجة عدم اتباع النظام وإطاعة الأوامر - التى هى جزء من النظام - تلك الهزيمة التى لحقت بالمسلمين وأصابتهم فى غزوة « أحد » عندما انطلق المسلمون فى ساحة القتال جرياً وراء الغنيمة وشغلهم هذا العرض الزائل عن مضأة الله بعد أن نظم

صفوفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلهم يقفون فى الأمكنة التى صفهم فيها حتى يواجهون العدو فى نظام وقوة .

وكان من نتيجة تلك الهزيمة أيضا أن شجت وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وكُلِمَتْ شفتيه وأصيب فى رباعيته بل وكان أن صاح من صاح بساحة القتال منادياً فى الناس بأن محمداً قد قتل وترتب على ذلك من زيادة الفوضى وتفاقم الخطر والبليّة واختلاف المسلمين حتى وأنهم صاروا يضربون بعضهم بعضاً وهم لايشعرون لماهم فيه من الدهشة والفوضى . كل ذلك من تركهم للنظام وما استتبع ذلك من الفوضى والهرج فلو أن المسلمين وقفوا فى تلك الغزوة على مانظمهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاعوا أوامره ، وحافظوا على كيانهم وحاربوا بنظام لما تفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة وذهب فى سبيل ذلك صفوة من المسلمين وحدث غير ذلك ماحدث .

ولكل شأن من شئون الحياة شروط تضمنها « النظام » فمثلا إذا ذهبت إلى مكان ما لتقضى حاجة لك ووجدت هناك جمعا من الناس جاءوا لنفس الغرض ووجدتهم يتسابقون بالسواعد ويتزاحمون بالمناكب وقد ركب كل منهم على الآخر محاولا قضاء حاجته قبل غيره فتحاول أنت كذلك أن تفعل (مقلداً) مثلهم اعتقاداً منك أن غير هذا الحال لن ينجز عملك وهكذا كل من يأتى بعدك قلدك وساعد على إنتشار الفوضى وعمل على زيادة الاضطراب والاختلال . فيكثر الهرج ويضيع الوقت سدى وربما تتعارك مع غيرك ويحدث مالا يحمد عقباه وقد تنصرف دون أن تقضى حاجتك أو تنجز أمرك . شأن هذا شأن كل أمر إذا فقد عنصر النظام ودب فيه الفوضى عند أدائه فيصبح من المتعذر حصول الفائدة منه إلا إذا كان به النظام يربطه ويسوده وينجزه .

والنظام يربط الإنسان بخالق هذا الكون ويجعله صادق العقيدة . واضح الإيمان . مشرق الوجه . وثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى . أنه يحفظ الصحة ويقلل المجهود ويقرب البعيد ويذلل الصعاب وينهض بالصناعة ويرقى بالتجارة والعمارة . ومتى استقر النظام وتوطدت أركانه وثبتت قواعده وسرت أوضاعه بين الأفراد ومختلف الهيئات والبيئات سمت

حياة الناس وارتفع شأنهم وارتقت درجاتهم وعاشوا أعزة فى بلادهم ، سعداء فى أوطانهم .
ولقد رأينا الفرد الذى لاتسود حياته النظام يعيش دائما فى فوضى واضطراب ومتى فقد الفرد النظام فى أى شأن من شئونه سرت عدوى الفوضى فى جميع أعماله وشئونه . ونجد أن هذا الفرد تستريح نفسه دائماً لهذه الفوضى حتى يصبح طبعاً فيه وعادة وحالة لايرضى بغيرها بديلاً مهما حاولت بشتى الطرق ومختلف الوسائل أن تنظم أموره وأن تصلح شئونه .

وكما هو الحال فى حياة الفرد كذلك الحال فى حياة الجماعة والأمة كلها إذا فقدت عنصر النظام وأبت أن تعرف الطريق إليه . إنه لواجب على كل فرد منا أن يحرص على النظام وأن يربى نفسه عليه حتى يصبح النظام «ملكة» تتجلى آثارها فى نفسه فتصدر عنها جميع أعماله وأقواله معتدلة مستقيمة بعيدة عن الاضطراب والاختلال والفوضى وبذلك يصير النظام عادة فيه وحلية له يطبقه فى كل مايأتى ويدع من شئون الحياة صغيرة كانت أو كبيرة : وإن الأمم الراقيه السعيدة ليسود « النظام » وجودها الفردى كما يسو وجودها الاجتماعى .

أشيعوا « الذوق النظامى » فى حياتنا وانشروه فى مجتمعاتنا وطبقوه فى كل شأن من شئوننا تهيئوا للبلاد عوامل الإصلاح والتقدم وتحققوا لها العزة والرخاء . وتصعدوا بها إلى أوج العلا .

الجنة . . . والجهاد

عن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياأبا سعيد ، من رضى بالله ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة ، فعجب لها أبوسعيد ، فقال : أعدها عليَّ يارسول الله ، ففعل ثم قال : وأُخرَى يُرْفَعُ بها العبد مائة درجة فى الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، قال : وما هى يارسول الله ، قال : الجهاد فى سبيل الله . الجهاد فى سبيل الله » .   « رواه مسلم »

اقرأ معى ..

فضائل الصحـــــــــابة

عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلس على المنبر ، فقال : عبد خَيَّرهُ الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا و بين ماعنده ، فاختار ماعنده ، فبكى أبو بكر ، و بكى فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الْمُخَيَّرُ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ أمنَّ الناس على فى ماله وصُحبته أبو بكر ولو كنتُ متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوةُ الإسلام لاتُبْقِينَّ فى المسجد خَوخَةٌ إلا خوخة أبى بكر » رواه مسلم .

كان أبو بكر رضى الله عنه ، علم أن النبى صلى الله عليه وسلم هو العبد المخير فبكى حزناً على فراقه وانقطاع الوحى .

والخوخة : الباب الصغير بين البيتين أو الدارين .

وفى رواية أخرى : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنه لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا » .

* * *

وعن أبى عثمان ، أخبرنى عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السَّلاَسِلِ فأتيته فقلت أى الناس أحبُّ إليك ، قال عائشة : قلت من الرجال ، قال أبوها ، قلت ثم من قال عمر . فَعَدَّ رجالا » .

ذات السلاسل : هو ماء لبنى جذام بناحية الشام ــ وكانت هذه الغزوة فى جمادى الأخرى سنة ثمان من الهجرة .

وعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم أُريتُ أنى أنزِعُ على حوضى أسقى الناس فجاءنى أبو بكر ، فأخذ الدلو من يدى ليروِّحنى فنزع دلوين وفى

نزعه ضعف والله يغفر له فجاء ابن الخطاب فأخذ منه فلم أر نزع رجل قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر » رواه مسلم .

وهذه الرؤية مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما .

* * *

وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصراً ، فقلت لمن هذا ، فقالوا لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخل ، فذكرت غيرتك ، فبكى عمر وقال أى رسول الله أو عليك يغار » رواه مسلم .

وفى رواية أخرى قال النبى صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم إذا رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر ، فقلت لمن هذا ، فقالوا لعمر ابن الخطاب فذكرت غيرة عمر ، فوليت مدبراً . قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً فى ذلك المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم قال عمر بأبى أنت يارسول الله أعليك أغار » .

* * *

وفى رواية : أن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن . فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ، ثم قال عمر ، أى غدوات أنفسهن ، أو تَهَبْنَنِي ولاتهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجًّا إلا سلك غير فجّك » .رواه مسلم .

* * *

معنى يستكثرنه ، أى يطلبن كثيراً من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن .
والفج : الطريق الواسع .

رجل تستحيي منه الملائكة

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة : قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً فى بيتى كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك ، فتحدث ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه ، فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر ، فلم تهتش ولم تباله . ثم دخل عثمان . فجلست وسويت ثيابك فقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » رواه مسلم .

الهشاشة والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه وحسن اللقاء . ومعنى لم تباله : أى لم تكترث وتحتفل لدخوله .

* * *

عن أبى موسى الأشعرى ، قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من حائط المدينة وهو متكىء يركز بعود معه بين الماء الطين إذا استفتح رجل فقال افتح و بشره بالجنة ، قال فإذا أبو بكر ففتحت له و بشرته بالجنة ، قال ثم استفتح رجل آخر . فقال افتح و بشره بالجنة ، قال فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له و بشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر ، قال فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فقال افتح و بشره بالجنة على بلوى تكوى ، قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ، قال ففتحت و بشرته بالجنة ، قال وقلت الذى قال ، فقال اللهم صبراً أو الله المستعان » رواه مسلم .

يركز بعود : أى يضرب بأسفله ليثبته فى الأرض .

جمعها

محمد رشدى خليل

باب الفتاوى

حكم الشريعة الإسلامية

فى إبرام الصلح مع إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ـ فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية فى إبرام الصلح مع إسرائيل التى أغتصبت فلسطين من أهلها وأخرجتهم من ديارهم وشردتهم نساء وأطفالا وشيباً وشباناً فى آفاق الأرض واستلبت أموالهم واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة . وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها فى هذا العدوان الأثيم وامدتها بالعون السياسى والمادى لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامى بين دول الإسلام . وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار والتى من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها وحيال المشروعات التى تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها وفى ذلك تركز لكيانها وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ويزيد فى تهديدها لهم ويهيىء للقضاء عليهم .

* * *

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل ـ كما يريده الداعون إليه ـ لايجوز شرعاً ، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه . والاعتراف بحقية يده على مااغتصبه ، وتمكين

المعتدى من البقاء على عدوانه. وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه. فى الحديث الشريف « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » وفى حديث آخر « على اليد ماأخذت حتى ترد ». فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدى هؤلاء الغاصبين وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين. قال تعالى (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ومن قصر فى ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار الصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربى الإسلامى فهو - فى حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين. ومقترف أعظم الآثام. كيف ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى. وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات، وإذا كان المسلمون جميعاً - فى الوضع الإسلامى - وحدة لاتتجزأ بالنسبة إلى الدفاع بيضة الإسلام فإن الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا) وقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية وتمدها بالمال والعتاد وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار فهو غير جائز شرعاً . لما فيه من الإعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره قال تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله هم المفلحون) .

وقد جمع الله سبحانه ـ فى آية واحدة جميع ماتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم فقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين) .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها امدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوه ـ سرا وعلانية ـ مباشرة وغير مباشرة . وكل ذلك معا يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التى تدعو إليها الدول الاستعمارية وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة والتمكين لها فى البلاد الإسلامية والمضى فى تنفيد سياستها حيال شعوبها لايجوز لأى دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية . وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية فى الإسلام وأهله وسعيا لايجاد دولة لهاوسط البلاد الإسلامية لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعاً والتى قال الله تعالى فيها (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض فى

القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين) .

وكذلك يحرم شرعاً على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التى لايراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الأرض . حتى تعيش كدولة تناوىء العرب والإسلام فى أعز دياره . وتفسد فى البلاد أشد الفساد . وتكيد للمسلمين فى أقطارهم . ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ويقفوا صفا واحداً فى الدفاع عن حرية الإسلام . وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفاً سلبياً منها فقد ارتكب إثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان ، والأصنام فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لانقاذ حرمه من أيدى المعتدين وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون ، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يده مكة ، وقد كانت معقل المشركين فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؛ وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لابد من رعايته وهو أن مكة كان بلداً مشتركا بين المؤمنين والمشركين ، ووطناً لهم أجمعين ، بخلاف أرض فلسطين فإنها ملك للمسلمين وليس لليهود فيها حكم ولا دولة . ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين . فأمر سبحانه وتعالى نبيه

صلى الله عليه وسلم ـ بقتال المعتدين . فقال تعالى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ومن مبادىء الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، و إذا كانت إزالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب وألزم . فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم ، وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها ، وهى احترام المساجد وأماكن العبادة . وقد جاء فى ذلك قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها . أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) .

أما بعد ـ فهذا هو حكم الإسلام فى قضية فلسطين ، وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها . وفى واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة ، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام أعتداء الباغين ، وتدبير الكائدين : وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة فى ذلك ، إعزازاً لدينهم القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به ، وعلى نصرة دينه ، وعلى العمل بما يرضيه . والله أعلم .

* * *

« الهدى النبوى » تشكر لأصحاب الفضيلة . وتسأل لهم السداد والرشد . وتلاحظ : أن من أكبر الخطأ الذى يدل على أن المسلمين فى غفلة شديدة : أنهم قد أعطوا المفسدين فى الأرض إسما فرحوا به أشد الفرح . وصارلهم به مكانة أعطتهم مايوهم أنهم أصبحوا شيئا يقام له وزن ، ويعمل له حساب حتى أصبح الكثير يقول ويقرر : إننا إنما نحافظ بأسلحتنا على حدودنا . لانريد عدوانا على أحد . بعد أن يتحدثوا عن المفسدين فى الأرض ويسموهم حكومة «إسرائيل» ويتحدثوا عن شئونها وأحوالها . فمتى يفيق المسلمون والعرب ويسموا الصهيونيين بما سماهم الله فى كتابه « المغضوب عليهم »و«المفسدين فى الأرض» اللهم ارزقنا اليقظة والسداد فى القول والعمل

تفسير القرآن الكريم

(بقية المنشور على صفحة ١٢)

ورسالاته (فعليهم غضب من الله) جزاء وفاقا على ما صنعوا فى أنفسهم التى وضعوها مختارين فى ركام الجاهلية التقليدية ، وتحت دركات الشهوات البهيمية . وأثار ذلك الغضب أنهم لايزدادون كل يوم ، و بكل عمل إلا خساراً ، وأن كل شأنهم فرط ، وأعمالهم حابطة ضائعة لا تأخذ بهم ولا تؤدى إلى ما يريدون ويحبون ، ويتمنون لأنفسهم من الحياة الآمنة ، والرخاء ورفاهية العيش ورغده ، بل (لهم عذاب عظيم) فى كل مايرجون به الراحة والهناء . تظهر به آثار هذا الغضب الذى استجلبوه واستحقوه بكفرهم بنعم الله ربهم وآياته فى أنفسهم وفى الأفاق ، و بالنور الذى أتاهم فى الفطرة ، والنور الذى أنزله مع عبده الكريم ورسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم (وما ظلمهم الله شيئاً ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

ثم ذكر ربنا الحكيم الخبير سبحانه ما يدل دلالة واضحة قاطعة : على أن هذه العاقبة الغضبية ، والنتيجة الحتمية فى العذاب العظيم - كماً ، وكيفاً ، ووقتاً - ليست خاصة بقوم دون قوم ، ولا بوقت دون وقت - لأن الإنسان كله بشر من خلق الله . وكلهم عبيده . وكلهم ابتلاهم بالسمع والبصر والفؤاد . و بكل ما آتاهم على سواء - و إنما هى عواقب ونتائج لأعمال وأحوال وصفات ، من عملها واتصف بها . وكان على حالها : فإنه لا بد أن يبلغ إلى هذه العاقبة الغضبية ، وما يتبعها من العذاب العظيم ، مهما كان اسمه ونسبه وزمانه ومكانه ، ولن ينجيه منها دعواه وكاذب أمانيه . و إنما ينجيه منها أن يبدل حاله الغافلة الجاهلية ، وأعماله الآلية التقليدية ، وأحواله وصفاته الشهوانية البهيمية ، ليكون إنساناً كريماً خليقاً بأن يحظى برضوان الله الذى أعطاه الكرامة فى أصل الخلقة .

فاقرأ قوله سبحانه فى بيان تلك الأسباب (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين . أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم . وأولئك هم الغافلون . لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) .

« استحبوا » أى استجلبوا واستدعوا أسباب محبة الحياة الدنيا الدنية الحقيرة السافلة ، والحرص عليها ، والرضى بها . ومايكون ذلك الاستجلاب واستدعاء أسباب تلك المحبة للحياة

الدنيا : إلا نتيجة الاستصغار والتحقير لشأن الحياة الأخرى . فإنما تستعظم شيئاً فى نفسك ، وتعطيه كبير الاهتمام ، وشديد العناية . حتى يحل من نفسك محل التمكن والحرص عليه ، واستدعاء أسباب حبه واستبقائه فى مكانه ، إذا أنت كرهت ضده ، أو احتقرته ، واستصغرت شأنه . فرأيته غير جدير بالتوجه إليه ، والاهتمام بأن يكون لك به صلة ، أوله بك تعلق قد يصرفك عما عظمته فى نفسك واهتممت له وبه .

وهم ــ كما وصفهم الله ــ قد (طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) بالتقليد الأعمى للآباء والشيوخ ، قد انسلخوا من آيات ربهم ، فأخلدوا إلى أرض البهيمية وجاهليتها ، وظلماتها وكدوراتها : فاستحبوا « الحياة الدنيا » السافلة الحقيرة المهينة المناسبة للإخلاد إلى البهيمية وطينتها . لأنهم ــ بما انسلخوا من آيات ربهم فى السمع والبصر والفؤاد والحواس ــ فقدوا الشعور الإنسانى الكريم وحرموا أنفسهم من التميز ، والفقه الذى به يعرفون ما يضرهم فيتقونه ، وما ينفعهم فيسعون إليه . فهم صم بكم عمى لا يعقلون . فلا ينظرون فى العواقب ولا يرونها . ولا يقدرون النتائج ولا يفهمونها . ولا تخطر لهم الآخرة التى يسعون ــرغم أنفهمــ إليها على بال . لأنهم إنما يتمتعون بالحياة الدنيا الدنيَّة . ويأكلون كما تأكل الأنعام ، لا كما يعيش الإنسان المفكر المميز الفاهم المقدر لكل خطوة وما وراءها من مسئوليات وعواقب خطيرة . فتعساً لهم وأضل الله الحكيم أعمالهم . فى كل خطوة يعثرون فيخرون لوجوههم عمياً وبكماً وصماً . لا يحاولون استقالة من عثرة ، ولا قياماً من زلة . فلهم التعاسة الدائمة فى كل خطوة . حتى إذا وصلوا إلى غاية وأمل كانوا يرجونه وجدوه على ضد ما كانوا يؤملون . فألقوا تبعة فشلهم على الأقدار ، وحملوا أوزارهم على تقسيم الله الحظوظ . واتهموه بذلك تهماً جديدة : أنه ظالم قاس . وأنه منعهم ما يستحقون . وسبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

فيزداد غضبه عليهم ، ويزدادون به تعساً وضلالا . لا يفكرون أنه العليم الحكيم ، وأنه القاهر فوق عباده الخبير البصير ، وأن له ــ سبحانه ــ سنناً لا تتبدل ولا تتحول ، رأوها ويرونها فيمن خلا قبلهم من الأمم الذين يسكنون مساكنهم ويرثون أرضهم وديارهم وأموالهم . ويرونها كذلك فى شئونهم أنفسهم فى الجوع والظمأ ، والمرض وشهوات

بطونهم وفروجهم ، وغير ذلك من الشئون التى ربط الله نتائجها بمقدمات ، ومسبباتها بأسبابها لاتتحول على مدى الليل والنهار .

لكنهم ظنوا بجاهليتهم العمياء : أن الله يُخدع بالأسماء والصور والدعاوى والأمانى الكاذبة . فزعموا أنهم ـ وإن فشلوا فى هذه الحياة ، وكان عيشهم فيها نكداً دائما ، وشقاء ملازما ، وذلا تحت نير الأعداء ، واستعمارهم الغادر الخاسر ـ فستكون لهم نعم عقبى الدار يوم القيامة ، فيتعوضون فى جناتها بالنعيم والرضوان ما ينسيهم غضب الله عليهم وعظيم عذابه فى الحياة الأولى . وخاب ظنهم وضل سعيهم . (٣٨ : ٢٧ ، ٢٨ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا . فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟) .

فإن سبيلهم فى هذه الجاهلية وتقاليدها ، وإخلادهم إلى أرض الأهواء الساقطة ، والشهوات السافلة : هو الذى أوقع كل كافر فى كفره ، وكل ضال فى ضلاله . وكل ظالم فى ظلمه . وهو الذى استوجب غضب الله ، وعذابه العظيم : للفرد والأسرة والمجتمع . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى . وأضل سبيلا . ولقد أكد الله ذلك هنا تأكيداً واضحاً بقوله « لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون » لابد ولا محالة ، مهما حاولوا وزعموا .

أسأل الله العافية لى ولكم من هذه الجاهلية التقليدية . وأن يجعلنا وإياكم والمسلمين ممن يتحرى السبيل السوى الراشد، على علم و بصيرة من هدى القرآن وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين . وجعلنا الله من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين فى الدنيا والآخرة .

هذا . وأرجو من إخوانى قراء مجلة « الهدى النبوى » أن يغفروا لى تأخيرى صدور المجلة هذه المدة الطويلة . فإنى أنا الذى أتحمل وحدى مسئولية هذا التأخير . ولقد كان إخوانى من أعضاء مجلس الإدارة ومن قراء المجلة ـ هنا وهناك ـ يلحون فى دفعى إلحاحا عنيفا جداً . ولكن الله ، الذى بيده القلوب والعقول والألسنة والأقلام : لم يفتح لى باب الكتابة فى التفسير . ولم ييسر لى أسبابه إلا الآن . وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه من أسباب قد تكون هى التى أوقفتنى من ربى هذا الموقف ، وحبست عنى توفيقه وتيسير أسباب الفتح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وأعوذ بالله من شر نفسى وسيئات عملى . وأستمده الهدى والسداد والمعونة والتوفيق . فالقوة لله جميعا . هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

وكتبه أسير ذنوبه وأخطائه ، الفقير إلى عفو الله ربه ورحمته

محمد حامد الفقى

ليلة النصف من شهر شعبان

بقلم فضيلة الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

هل من السنة أن يجتمع المسلمون فى المساجد بعد صلاة المغرب فى ليلة النصف من شهر شعبان ليقرءوا دعاء خاصاً يلقيه عليهم الأئمة . وهل هـذا الدعاء الخاص وارد فى السنة ؟

إن هـذا الاجتماع لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على عهد خلفائه الراشدين ولا على عهد السلف الصالح . و إنما هو من البدع ومحدثات الأمور التى حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها .

فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ؛ و إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

وقد جاء فى صحيح البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ولا شك أن أمر رسول الله وصحابته وخلفائه لم يكن على هـذا ولم يكونوا يجتمعون فى هذا الوقت من هذه الليلة لقراءة هـذا الدعاء ولا غيره ، ولم يأت بذلك حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف . ولا رواه أحد من رواة الحديث . ولا جاء فى كتاب من كتب السنة .

فما حرص المسلمين على عمل مردود عليهم لا يقبله الله ولا يثيب فاعليه ؟ وما ثمرة عبادة يعلم صاحبها أنها لا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تنال حظاً من القبول ؛ لأنها ليست مما كان عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وكل مالم يكن عليه أمره من العبادات فهو مردود لا يظفر بشرف القبول .

هذا الاجتماع وما فيه بدعة ابتدعها المسرفون وأذاعوها ، وطوّع الجهل للناس قبولها ، ففشت فيهم كما يفشو الوباء . وحتى صاروا يعتقدون أن هـذا الدعاء يطيل العمر ، ويوسع الرزق ؛ ويكشف البلاء . وحتى صار من لم يتمكن من قراءته متشائماً يتوقع حلول الأرزاء والنـكبات فى كل حين ، وقد بلغ من حرص الناس عليه أن تاركى الصلاة الذين لم تخط أقدامهم أعتاب المساجد يؤمونها فى هذه الليلة لا للصلاة ولـكن للدعاء .

وما هذه الليلة إلا كسائر ليالى العام لا تمتاز منها بشىء ، والأحاديث الواردة فى شأنها ليس فيها شىء يرتقى إلى درجة الحسن فضلا عن الصحيح ، بل كلها إما ضعيف واهٍ ، وإما موضوع كما قرره أئمة هذا الشأن .

قال الحافظ أبو بكر بن العربى « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه »

وأما الدعاء الذين يدعون به فلم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صاحب ولا أحد من أهل العلم يعرف ، وفيه أكاذيب تحمل المؤمن على أن يربأ بنفسه عن أن يدعو به ؛ وإليك البيان :

من عبارات هـذا الدعاء قولهم : (فى ليلة النصف من شهر شعبان المـكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم) وهذا معنى باطل ، لأنهم يقصدون (ينقض فيها كل أمر حكيم ويبرم) والأمر الحـكيم لا ينقض .

ولا شك أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر ، لا ليلة النصف من شعبان . والمعنى : يفرق بينه وبين الأمر الباطل بالعلم والقرآن الذى هو الفرقان . فمن أسند هذا الفضل إلى هذه الليلة فقد افترى على الله الـكذب ، وكفى به إثماً مبيناً .

وليلة القدر فى رمضان يقيناً وليست فى شعبان .

برهان ذلك قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

وقوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم)

وقوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ؛ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر)

فإذا ألفت بين هذه النصوص علمت علم اليقين أن القرآن أنزل فى ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم .

وأنه أنزل فى ليلة القدر .

وأنه أنزل فى شهر رمضان .

وإذاً تكون الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر .

وإذاً تكون هذه الليلة فى شهر رمضان وإحدى لياليه .

وإذاً يبطل الدعاء بأن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شهر شعبان .

وإذاً يثبت كذب من يدعى ذلك .

ولا ينبغى لعبد مؤمن أن يوجه إلى الله دعاء مكذوباً فإنه إثم ، والله لا يقبل الدعاء بإثم ولا عدوان .

هذا وللدعاء آداب تنبغى مراعاتها :

منها : أن يكون بذلة وضراعة وانكسار ، ومنها : أن يكون خُفية بين العبد وربه ، قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفيه إنه لا يحب المعتدين) وقد فسر العدوان برفع الصوت بالدعاء ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم أينما كنتم » .

فأين مراعاة هذه الآداب فى هذا الدعاء ؟

وقد بيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحوالا وأوقاتا يكون فيها الدعاء أقرب إلى الإجابة فلنتحرّها ، ولنكثر من الدعاء فيها فذلك قَمَن أن يحقق لنا الإجابة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم

وروى الترمذى من حديث أبى أمامه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات » .

والله تعالى يستجيب كل دعوة من العبد المسلم متى كانت خالصة بريئة من الإثم

والكذب . فقد روى الترمذى من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

وخير الأدعية ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مورد لك ذرواً منها لعلك تدعو به حين تصفو نفسك وتسمو روحك .

عن أنس قال « كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » متفق عليه .

وعن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم .

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه أن يدعو بهذا الدعاء « اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى » وهذا دعاء جامع يجمع الدنيا والآخرة .

ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام : « اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى من كل خير ، واجعل الموت أماناً لى من كل شر » .

هذا وفى ذلك الدعاء مآخذ أخرى لا أرى ما يدعو إلى الإفاضة فيها ، فحسبى ماقدمت والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

أخبار الجماعة

اللجنة العليا للجماعة

في جلسة يوم ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٤ قرر مجلس إدارة المركز العام بالقاهرة تكوين لجنة عليا من المركز العام وجميع فروع القطر المصرى فتبودلت الرسائل ونالت الفكرة ترحيباً من جميع الفروع وفى مساء يوم الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ وفد المندوبون وتم اجتماع اللجنة .

فألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام للجماعة كلمة الافتتاح بسط فيها المراحل التى مرت بها الجماعة من يوم أن أنشأها فضيلته ونفر قليل من السابقين الأولين فى الدعوة منذ أكثر من ثلاثين عاماً . وكيف كانوا قلة قليلة ينالهم الأذى فى سبيل دعوة التوحيد وكيف كان هؤلاء القلة فئة نشيطة تعمل على نشر دعوة التوحيد بكل ما أوتيت من قوة وثبات فى وسط بحر خضم من البدع والخرافات . وفى مجتمع استولت عليه جاهلية شر من الجاهلية الأولى فى عبادة الموتى والأحجار والأوثان من ناحية ، أو ساده الإلحاد والاستخفاف بالإسلام وأحكامه وآدابه من الناحية الأخرى . فأبلى هؤلاء النفر القليل بلاء حسنا وجاهدوا جهاداً كبيراً حتى أثمرت الدعوة هذه الثمرة الطيبة فكان لها هذه الدار الفخمة لمركزها العام وهذه الفروع الكثيرة المنبثة فى أكثر بلاد القطر بل وكثير من البلاد العربية والإسلامية الأخرى .

وكان من نتيجة انتشار الدعوة وفهم كثير من الناس لها وقبولها واعتناقها أن صار لزاماً أن يجتمع مندوبون من الفروع بإخوانهم فى المركز العام فى فترات منتظمة حتى يضعوا لأنفسهم خطة العمل متعاونين متفاهمين متعارفين توحيداً للهدف والفهم لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعملوا يداً واحدة فى تعليم الناس الدين الحق الذى ارتضاه لنا ربنا ديناً ونفى ماعلق به من البدع والخرافات والضلالات .

ثم عرض الأستاذ سليمان رشاد محمد سكرتير عام الجماعة البرنامج المطلوب مناقشته نقطة نقطة فأخذ المندوبون فى مناقشتها واتخاذ قرارات فيها . وكان أكثر الأعضاء إدلاء بالرأى السادة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وكيل أول الجماعة والأستاذ عبد الحليم حمودة مراقب الاسكندرية والأستاذ رشاد الشافعى بالمركز العام والأستاذ محمد زكى بالمحلة الكبرى وغيرهم من مندوبى بور سعيد وطنطا وشربين ودمنهور والجيزة والزقازيق ودمياط ومرس الليان وبشتامى وكفر الدوار ونكلا وجميع فروع القاهرة وغيرهم وغيرهم ممن غص بهم قاعة الاجتماع وقد قرر المجتمعون ما يأتى :

أولاً : العمل على توثيق الروابط بين المركز العام والفروع بالوسائل الآتية :

ا ـ يرسل كل فرع خمسة فى المائة من إيراداتها إلى المركز العام .

ب ـ طبع نماذج إخصائية لجميع نواحى النشاط العملى والاجتماعى والمالى .

حـ ـ طبع دليل سنوى عن المركز العام والفروع ومجالس إداراتها ومساجدها ومقرها فى كل بلد .

ء ـ اجتماع اللجنة العليا كل أربعة أشهر .

ثانياً ـ تقسيم الجمهورية المصرية إلى مناطق يكون لكل منطقة مركز رئيسى يشرف على الفروع الواقعة فى دائرته .

ثالثاً ـ تكوين لجنة للأشراف على مجلة الهدى النبوى لتدعيمها فنياً وثقافياً ومالياً وإخراجها فى ثوب يليق بمركز الدعوة وبانتشارها فى جميع البلاد الإسلامية .

رابعاً : إنشاء صندوق تأمين إسلامى . وقد أحيل هذا الاقتراح إلى لجنة لبحثها شرعياً وفنياً على أن يعرض فى الاجتماع القادم للجنة العليا .

وقد انتهى الاجتماع فى الساعة الحادية عشر والنصف مساء حيث انصرف المندوبون حيث نزلوا بإحدى فنادق القاهرة بدعوة من المركز العام وكلهم ألسنة تسأل الله العلى القدير أن يهيىء لهذه الدعوة الكريمة دعوة رسل الله الأزدهار والنمو والنجاح .

* * *

كتاب كريم

ساهم المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية فى أسبوع التسليح بمبلغ مائة جنيه اشتراكا منها فى موكب النصر الذى يصنعه أبطال العهد الحاضر لرفع رأس الأمة عالياً بتقوية جيشها عنوان كرامتها وعزتها وحامى أرضها والذائد عن حوضها والذى تأمل الأمة العربيـة كلها فيه أعذب الأمانى وأكبر الآمال لطرد الصهيونية من قبلة الإسـلام الأولى وتطهير أرض فلسطين قلب العروبة من رجسهم .

هذا الجيش العظيم الذى زوده القادة الأبرار بأحدث الأسلحة ورفعوا معنوياته إلى أسمى الدرجات وذللوا فى سبيل ذلك أضخم العقبات . إن هذا الجيش هو المرجو لاستعادة كرامة الأمم العربية واسترداد أرض الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى الذى باركـ الله حوله وجعله ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال .

إن دماء شهدائنا فى الخليل ودير البلح ودير سنيد والفالوجا تنادينا بأخذ الثأر من أولئك الأوغاد شذاذ الآفاق الذى جمعهم الاستعمار شوكة فى قلب العروبة والإسلام .

إن حال أولئك الإخوة فى الإسـلام والعروبة من اللاجئين الذين طردتهم عصابات قطاع الطرق من ديارهم بغير ذنب ليحلوا محلهم فيها ثم ينالون من الاستعمار التأييد والرضى لأنهم جميعاً على قلب رجل واحد فى الـكفر والـكفر ملة واحدة . إن حال هؤلاء المشردين تدعونا لنغيثهم ونعيدهم إلى أرضهم وديارهم وأملهم وأملنا معهم فى جيشنا الباسل أمده الله بالقوة المعنوية والمادية وربط على قلوبهم بالشجاعة والتضحية . وأيد قادتنا بروح من عنده حتى يعيدوا للعروبة عزها ومجدها أنه سميع قدير مجيب .

* * *

وقد تفضل السيد الرئيس جمال عبد الناصر فأرسل للجماعة مشكوراً الخطاب التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس أنصار السنة المحمدية :

	مليم	جنيه	
تفضلتم فقدمتم مبلغ		١٠٠	مساهمة منكم فى تسليح الجيش

لاستكمال وسائل الدفاع عن الوطن المفدى .

فتقبلوا خالص شكرى على نبيل مشاعركم وصادق وطنيتكم .

جمال عبد الناصر

تحريراً فى ٩/٢/١٩٥٦

رئيس مجلس الوزراء

اعتذار

إلى السادة مشتركى مجلة الهدى النبوى وقرائها الكرام الذين غمرونا برسائلهم التى تفيض تلهفاً وشوقا إلى الهدى النبوى . إلى المحبين الموحدين الذين أمطرونا بخطاباتهم التى حزت فى نفوسنا ووخزت فى قلوبنا لأننا حرمناهم من غذاء أرواحهم ورِىّ نفوسهم من العلم الذى كانت تحمله إليهم مجلة الهدى النبوى أربعة أشهر كاملة . إلى هؤلاء جميعاً تقدم إدارة الهدى النبوى أسفها واعتذارها عن تأخير المجلة هذه المدة الطويلة . والإدارة إذ تعتذر ترجو أن تحيط سيادتهم جميعاً أن هذا التأخير كان لأسباب خارجة عن إرادتها وأنها اضطرت إلى ذلك اضطراراً ، وأنها لحريصة أشد الحرص أن توصل المجلة إلى أيدى قرائها فى الوقت المحدد لها . والله نسأل أن يوفقنا إلى ذلك و ييسر لنا الوسائل و يجنبنا العوائق إنه سميع مجيب

الادارة

مطبعة السنة المحمدية

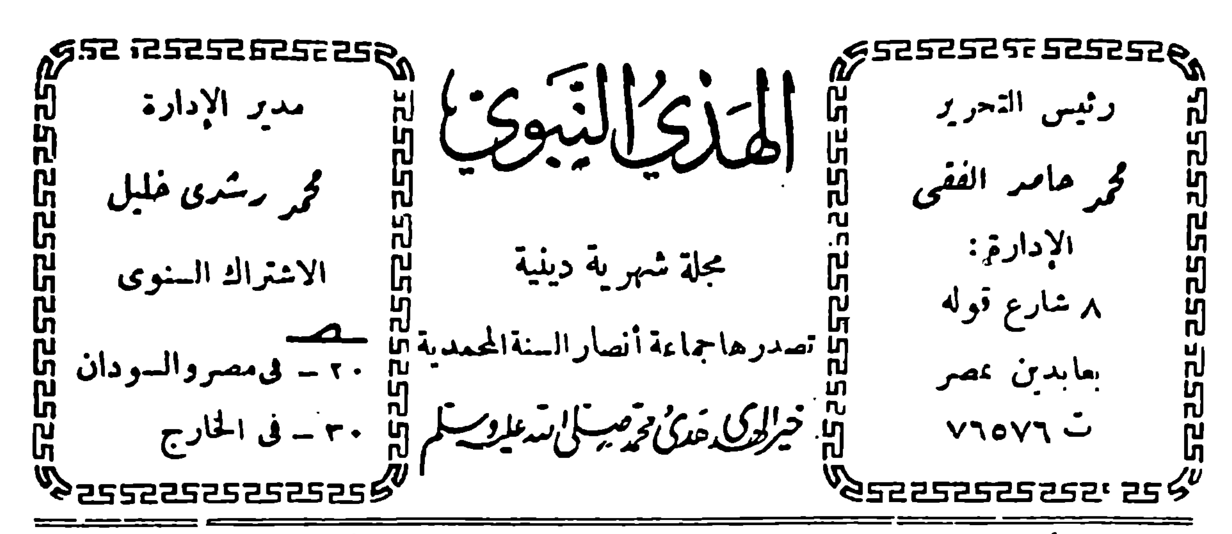
١٧ شارع دريف باشا الكبير ـ القاهرة

ت ٧٩٠١٧


الهادی النبوی
خیر الھدی ھدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم

الفهرس

الثمن ٤٠ مليما



المجلد ٢٠ شعبان ـ رمضان ـ شوال سنة ١٣٧٥ الأعداد ٨ ـ ٩ ـ ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ، وجل ثناؤه .

(١٦ : ١١٠ ، ١١١ ثم إن ربك للذين هاجروا ، من بعد ما فُتِنوا ، ثم جاهدوا وصبروا . إن ربك من بعدها لغفور رحيم . يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتُوَفَّى كل نفس ما عملت . وهم لا يظلمون) .

« الهجرة » الأصل فيها : مصارمة الغير ، ومتاركته ومقاطعته . لأنه يأتى من المكروه ، بما يحمل على قطيعته والتباعد عنه ، خشية أن يصاب المهاجر الفار منه بسوء وأذى .

قال الأزهرى : وأصل « المهاجرة » عند العرب : خروج البدوى من باديته إلى المدن . يقال : هاجر الرجل ، إذا فعل ذلك . وكذلك كل منتقل من مسكنه ومساكنيه إلى قوم آخرين بسكناه ، فقد هاجر قومه .

وقال ابن الأثير فى النهاية « الهجرة » فى الأصل : الاسم من الهَجْر ، ضد الوصل . وقد هجره هَجْراً وهِجْراناً . ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض ، وترك الأولى للثانية . والهجرة هجرتان . الأولى : التى وعد الله عليها الجنة فى قوله (٩ : ١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فكان الرجل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدع أهله وماله . لا يرجع إلى شىء منه . وينقطع بنفسه إلى مهاجَره ـ إلى أن قال ـ والهجرة الثانية : هجرة من هاجر من الأعراب ، وغزا مع المسلمين . ولم يفعل كما فعل

أصحاب الهجرة الأولى . فهو مهاجر ، لـكنه ليس بداخل فى فضل من هاجر الهجرة الأولى وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسـلم « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » وفى الحديث « لا هجرة بعد ثلاث » يريد الهَجْر ضد الوصل . يعنى فيما يكون بين المسلمين من عَتْب ومَوْجِدة ، أو تقصير يقع فى حقوق العشرة والصحبة : دون ما يكون من ذلك فى جانب الدين . فإن هجرة أهل الأهواء والبـدع : دائمة على مر الأوقات ، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق . فإنه صلى الله عليه وسلم لما خاف على كعب بن مالك وصاحبيه النفاق ـ حين تخلفوا عن غزوة تبوك غزوة العسرة ـ أمر الصحـابة بهجرانهم خمسين يوماً . وقد هجر صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً . وهجرت عائشة عبد الله بن الزبير مدة . وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم . وماتوا وهم لهم مهاجرين . ومنه الحديث « من الناس من لايذكر الله إلا مهاجراً » يريد : هجران القلب ، وترك الإخـلاص . ومنه : حديث أبى الدرداء « ولا يسمعون القرآن إلا هَجْراً » يريد : الترك له والإعراض عنه . يقال : هجرت الشىء هجراً : إذا تركته وأغفلته اهـ .

و « الهُجْر من القول » ما ينبغى أن يترك ويعرض الرجل الـكريم عنه ويجتنبه ، وينبغى أن يعرض عن صاحبه ويجتنبه .

و « الهاجرة ، والهجير » الساعة التى يشتد فيها حر الشمس . فيمتنع الناس من السير فيها . كأنها هجرت الناس ، وهجرها الناس . وتركوا السير فيها لذلك . و « الهِجار » حبل يشد به الفحل . فيصير سبباً لهجرانه الإبل . و « أهجر المريض » إذا هذَى بكلام غير مفهوم أو غير لائق .

فمن هذا نفهم : أن « الهجرة » بجميع معانيها ووجوهها واجبة على المؤمن فى كل وقت . وأنه ينبغى أن يكون دائماً مهاجراً من حال إلى حال خير منها وأفضل فى دينه ودنياه ، ومن صحبة من يكون شرا عليه فى دينه ودنياه إلى صحبة من يكون خيراً له وأعون له على الاستقامة والصلاح فى دينه ودنياه ومن القول الخبيث إلى القول الطيب .

و « الفتنة » الاختبار والامتحان . أصلها مأخوذ من الفَتْنِ . وهو إذابة الذهب ونحوه

من المعادن بالنار، ليتميز الردىء منه من الجيد . واستعمل فى إدخال الإنسان النار وتعذيبه بقصد تحويله من هدى إلى ضلال، ومن توحيد إلى شرك ونحو ذلك . وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب « فتنة » فيستعمل فيه . نحو قوله تعالى (٩ : ٤٩ ألا فى الفتنة سقطوا) وجعلت الفتنة كالبلاء، فى أنهما يستعملان فيما يُدْفَع إليه الإنسان من شدة ورخاء . وهما فى الشدة أظهر معنى، وأكثر استعمالا . قال الله تعالى (٢١ : ٣٥ ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال فى الشدة (٢ : ١٠٢ إنما نحن فتنة) وقال (٢ : ١٩١ والفتنة أشد من القتل) وقال (٢ : ١٩٢ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وقوله (٥٧ : ١٤ فتنتم أنفسكم) بمعنى أوقعتموها فى بلية وعذاب . وقوله (٦٤ : ١٤، ١٥ إنما أموالكم وأولادكم فتنة) اعتباراً بما ينالهم من الاختبار بهم من البلاء والشدائد . وقوله (٢٩ : ١ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا : آمنا، وهم لا يفتنون) أى لا يختبرون بالشدائد والمحن ـ من عدوهم ومن أموالهم وأزواجهم وأولادهم وأصدقائهم ورؤسائهم ـ ليتميز المؤمن الصادق الفقيه فى دينه، الصابر الشاكر، من الجاهل الكاذب الهلوع الجزوع، الذى لا يقدر لله فضله، ولا يؤمن بسننه وآياته ووعده ووعيده.

و « الجهاد » والمجاهدة : استفراغ الوسع . و بذل الجهد والطاقة ـ بكل الأسباب والوسائل ـ فى دفع المكروه والعدو، من الشيطان أو النفس الأمارة، أو الإنسان الكافر المفسد فى الأرض، الذى يحارب الله وسننه وشرائعه وكتبه ورسله .

و « الصبر » الإمساك فى ضيق وشدة . يقال : صبرت الدابة، أى حبستها بلا علف ولا ماء . وصبرت فلانا حلفته حَلْقَة لا سبيل له إلى الخروج منها . وسميت اليمين «مصبورة» وقتل فلان صبرا : إذا أمسك وحبس حتى قتل .

فحقيقة الصبر : إمساك النفس بشدة و يقظة و بصيرة، لتكون ثابتة متثبتة فى كل حركة وشأن، مع الله فى تدبيره لها، وتصريفه لكل شئونها بما قضى وقدر، و بما شرع وأمر . فلا تخطو خطوة، ولا تتحرك حركة، ولا تقف ولا تسير، ولا تقدم ولا تحجم، ولا تفرح ولا تحزن، ولا ترضى ولا تغضب : إلا مع سنن الله الحكيمة، ونعمه الكريمة، وشريعته المبصرة الهادية . ولا يكون ذلك على وجهه الذى به تسعد وتفوز وتفلح : إلا إذا عرفت الله

بأسمائه وصفاته معرفة تمتزج بكل ذرة من لحمك ودمك . وعرفت رسوله صلى الله عليه وسلم وشريعته ، وهداه وآدابه وجميع شأنه ، معرفة تكون بها مخالطاً له صلى الله عليه وسلم ، ومصاحباً إياه فى كل شأن من شئونك فى سرور وفرح وقرة عين ، وانشراح صدر ، فيجعل الله لك من تينك المعرفتين نوراً يكشف لك عن موضع كل نعمة ، وكل تدبير من ربك العليم الحكيم . وأنه الخير التام لك ، والأمن والسعادة ، فتحسن وضع كل نعمة وتدبير فى موضعه فى تأن وتثبت ، مجانباً الرعونة والطيش والسفه . فينشأ لك حال المرابطة الدائمة اليقظة على ثغور ربك التى أقامها على قلبك ونفسك وجوارحك ، وعلى صراطه المستقيم . فتكون من الذين آمنوا ، وصبروا ، وصابروا ، ورابطوا وتكون من المفلحين فى كل ما يمتحنك به ربك ، ويبتليك من السراء والضراء ، والأخذ والعطاء ، والخير والشر ، والغنى والفقر ، والحياة والموت ، والمرض والعافية ، وكل تدبير وتصريف . فتكون راضياً عن ربك مربياً لك ، ومدبراً لجميع شأنك . وتحرص أشد الحرص على تحرى الاستقامة — مع تربيته — على صراطه المستقيم فيما قدر وفيما شرع ، مرتبطاً قلبك ونفسك — بصدق تام فى الحب والإجلال ، والإكبار له ولسننه وشرائعه — ملقيا السمع تنتظر ما يأمرك به ، وما يوجهه إليك ، مما فيه رشدك وخيرك وفلاحك . فتبادر بالسمع والطاعة — بلا أدنى تردد ولا توقف — لربك الرحمن الرحيم ، الغفور الودود الشكور ، الذى بيده الخير كله . وهو على كل شىء قدير .

هذا هو الصبر الذى جعله الرسول صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان . وذكره الله فى كتابه فوق المائة مرة . والذى جعله مع الصلاة عونا على النجاح والفلاح فى كل شأن ، ويتحقق لك بذلك : النصف الآخر للإيمان ، وهو الشكر . فتكون صباراً شكوراً .

أما ما تسمع من الذين لم يذوقوا حلاوة الصبر ، إذ يقولون « الصبر حبس النفس على ماتكره . وكظم الجزع عند المصيبة ، وحبس اللسان عن الشكوى » ونحو ذلك من القول : فهو الذى يولد عند المقلدين لهم : الغيظ والحقد فى الصدر ، ويضيقه بنعم الله وتدبيره وأوامره وشرائعه . فيتظاهر أحدهم بالصبر على قضائه وقدره ، ومع أمره وشرعه . وهم فى الواقع

حنقون مغيظون بكل تدبيرة حسودون ناقمون على رزقه وتصريفه ، حرجة صدورهم بشرعه وأمره ، ضيقة كأنما تصعد فى السماء .

و إنما جر على الناس هذا : أنهم يدينون دين الوراثة والتقليد الأعمى على غير هدى ، ولا بصيرة . قد أعرضوا عن كتاب الله وهجرته قلوبهم . فلم يتدبروه . ففتكت أمراض الجاهلية ـ بأهوائها وشهواتها ـ بقلوبهم ، وعُمِّيت عليهم سبل الرشد فتنكبوها ، واتخذوا سبيل الغى لهم سبيلا . ثم خادعوا أنفسهم بأنهم صابرون شاكرون . وهيهات ثم هيهات : أن يكون صبر صحيح إلا ثمرة إيمان صادق ، وأن يكون إيمان صادق إلا ثمرة علم نافع ومعرفة صحيحة بالله وأسمائه وصفاته ، وسننه وشرائعه وآياته ، و برسوله ورسالته ، علما واتباعا . وأين من كل هذا المقلدون الذين هم فى ضلال الآباء والشيوخ وجاهلية تقاليدهم يعمهون ؟ ! .

و « الغفور » العظيم المغفرة . وهو الذى يملك جميع أسباب الستر والغَفْر ، و يقدر عليها وحده وهو الذى يتفضل بها على من يشاء بواسع رحمته ، وعظيم بره و إحسانه .

وأصل « الغفر » ستر النقص والعيب الذى يكون و يحصل عنه ما ينافى الأدب والحياء مع الله الكبير المتعال ، المحسن الكريم ، القوى العزيز . و إنما ينشأ ذلك من غفلة الإنسان عما آتاه ربه ـ فضلا منه وكرما ـ من الكرامة التى فضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا ، وهى معناه ولبه و إنسانيته الكريمة ، التى نفخها فيه من روحه ، ليسمو بها و يعلو مع الأبرار من الملائكة ، والذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . فإذا ماقدَّر العبد الناصح لنفسه تلك الإنسانية المعنوية الكريمة أعطاها حقها من الغذاء النافع الحافظ عليها حياتها وقوتها ، من التأمل فى سنن الله وآياته الكونية ، والتدبر ، والفقه لآياته العلمية التى اصطفى لها خير عباده ، وصفوته من خلقه . فأنزلها على قلبه الكريم بلسان عربى مبين ، موعظة وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين المتدبرين المتفقهين .

و إذا ما غفل عن هذه الميزة الكريمة ، وعنى بنفسه البهيمية : فقد أخلد إلى أرضها وطينها وظلماتها ، فتضعف لذلك إنسانيته العاقلة المميزة ، ولا تقوى على التحكم فى بهيمته ، فتذهب البهيمة ـ فى ظلمات جاهليتها وسفهها ، ورعوناتها وشهواتها ـ تغلبها وتقهرها ، وتفسد فى مدينة

قلبه وروحه ، بوحى وتوجيه من العدو الأكبر إبليس وحزبه . فكانت كل خطوة يخطوها فى الحياة خطيئة ، يكشف بها عن سوأته وعواره ونقائصه . فإذا اقتنص الفرصة ـ وكم لله عليه من فضل فى إتاحة الفرص له ، فى يقظات يبعثها فى نفسه فى فترات مختلفة ـ عاد مرتعدة فرائصه ، هلعاً فزعاً ـ أشد الهلع والفزع ـ مما ألقى بنفسه إليه من هاوية التهلكة ، فعاد يتشبث بحبل النجاة ، فيجد ـ من ظلمه لنفسه الإنسانية ، ومن ظلمات جاهلية وسفه البهيمية ـ ما يبعده عن حبل النجاة ، ويعمى عليه عروته الوثقى . فيفزع إلى الله ربه : أن يتداركه برحمته ، وعظيم فضله ، وأن يتوب عليه ، ويعود إليه برضاه وكرمه ، ويمده بعلم جديد ، وهدى جديد يغذى به نفسه الإنسانية ، ويمدها وينعشها ، لتستيقظ وتحيا وتقوى ، فتحس وتسمع وتبصر ، وتعقل وتفقه ، وتقدر على الأخذ بحبل النجاة ، والثبات على الرشد ، والصبر مع ربها ، والشكر لآلائه ونعمائه . والرضى به ربا ومدبراً ، وبدينه ديناً قيماً وصراطاً مستقيما ، وبرسوله إماماً وهاديا ومرشداً كريماً . هذه هى المغفرة ، التى يحبها لك ربك الغفور الرحيم ، وقد أعد أسبابها لك . فاحرص عليها ، وألح على ربك فى طلبها ، والمعونة على الأخذ فى أسبابها ، ليوفقك لنيلها ، والحصول عليها : مغفرة صادقة فى كل عمل وشأن وبكل حال . لتكون من المنيبين المتقين فى كل شأن وحال . واحذر من يفتنك عنها بغير ذلك . والله يتولى هداى وهداك .

* * *

أخرج ابن سعد عن عمر بن الحكم قال : كان عمار بن ياسر يُعذَّب ، حتى لايدرى مايقول ، وبلال ، وعامر بن فهيرة ، وقوم من المسلمين . وفيهم نزلت هذه الآية « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ـ الآية » .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصرى قالا ـ فى سورة النحل ـ « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عظيم » ثم نسخ ، واستثنى من ذلك . فقال « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا . ثم جاهدوا وصبروا . إن ربك من بعدها لغفور رحيم » وهو عبدالله بن أبى سَرْح ، الذى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فأزله الشيطان .

فلحق بالـكفار . فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة . فاستجار له أبو بكر وعمر وعثمان . فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله تعـالى « ثم إن ربك للذين هاجروا ــ الآية » قال : ذكر لنا : أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا ، كتب بهـا أهل المدينة إلى إخوانهم من أهل مكة . فخرجوا . فأدركهم المشركون ، فردوهم . فأنزل الله « آلم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا : آمنا وهم لا يفتنون ؟ » فـكتب بهذا أهل المدينة إلى أهل مكة . فلما جاءهم ذلك تبايعوا على أن يخرجوا . فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا ، أو يلحقوا بربهم . فخرجوا . فأدركهم المشركون فقاتلوهم . فمنهم من قتل . ومنهم من نجا . فأنزل الله « ثم إن ربك للذين هاجروا ــ الآية » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال : نزلت فى عياش بن أبى ربيعة ــ أحد بنى مخزوم . وكان أخا أبى جهل لأمه . وكان يضرب به سوطاً وراحلته سوطاً ــ وفى عمار بن ياسر ، والوليد بن أبى ربيعة ، والوليد بن الوليد رضى الله عنهم اهـ من الدر المنثور .

* * *

وأقول:هذه الآيات ــ وإن كانت قد نزلت فى أولئك الذين فتنوا من المؤمنين السابقين رضى الله عنهم ــ لـكنها لا تزال ، شأنها كشأن كل آى الذكر الحـكيم ، خطاباً لـكل مؤمن فى كل عصر ومكان . فإن الأسباب التى أوقعت أولئك المؤمنين السابقين رضى الله عنهم فى الفتنة ، وحاول بها أعداء الله وأعداء رسوله ، وأعداء الحق ، والهدى والرشد : أن يفتنوهم عن دينهم ، ويردوهم إلى شركهم وضلالهم، وغيهم وعمى تقاليدهم ، وكفرهم وفسوقهم وعصيانهم ــ لاتزال قائمة فى كل زمان ومكان ، وسنن الله لاتتبدل ولا تتحول (٢ : ٢٥١ ولولا دفع الله الناس بعضهم لفسدت الأرض . ولـكن الله ذو فضل على العالمين) .

ولا يزال الله سبحانه وتعالى يبتلى عبـاده ، ويمتحنهم بأموالهم وأولادهم ، وبكل طبائعهم وجبلاتهم ، وليلهم ونهارهم ، وبكل ما يحيط بهم ، من الإنسان وغيره ، وكل ما يضطربون فيه من شئون الحياة (٢٩ : ١ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمناً . وهم

لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمن الله الذين صدقوا . وليعلمن الكاذبين) (٢ : ٢١٤ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خَلَوا من قبلكم ؟ مَسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول ، والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب) (٣ : ١٤٢ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ؟ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (٩ : ١٧ أم حسبتم أن تتركوا ؟ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ، ولا المؤمنين وَليجة . والله خبير بما تعملون) (٦ : ١٦٥ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ، ليبلوكم فيما آتاكم . إن ربك لسريع العقاب . وإنه لغفور رحيم) (٧٦ : ٢ ، ٣ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ، نبتليه . فجعلناه سميعاً بصيراً) .

فني هذه الآيات ـ وفي غيرها من آى الذكر الحكيم ، وفي الكثير الطيب من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الناصح الأمين ، ومواعظه ووصاياه ـ ما يبين البيان الواضح : أن كل إنسان فهو مبتلى ، ومفتون بكل ما آتاه الله ربه برحمته وحكمته ، وأنه ممتحن بسمعه وبصره ، وماله وولده وزوجه ، وإخوانه وأصدقائه ، وعلمه وعمله ، وخيره وشره : ليشكر أم يكفر . وأن أهم أسباب النجاح في هذا الابتلاء والامتحان : هى صادق العلم واليقين بأنك مبتلى وممتحن بكل شيء آتاك ربك ، في كل حركة وطرفة عين . فتكون على تمام الحذر واليقظة في كل ما تتناول ، وفي كل ما تتصرف فيه . متقياً به وفيه : أن تضل الأخذ والتصرف على الوجه الذى يحبه لك ربك ، فتسعد به وفيه ولا تشقى . لأن كل ذلك قد آتاك ربك العليم الحكيم ثم يأخذه منك ، ويسجله عليك بما صبغته ولونته بتصرفك : الشاكر الصابر ـ في تقوى ، وعلى بصيرة ويقظة ، وصدق لجأ إلى الله وضراعة ـ فيجعلك به من الصابرين الشاكرين ، مع الأبرار في عليين ، في الأولى والأخرى ، أو تصرفك ـ الجاهلى السفيه الأعمى الكافر ـ فيكون على ضد ذلك ، سفهاً وغياً ، وفسوقا وعصيانا ، وشقاء في الأولى والأخرى . وما ربك بظلام للعبيد . وفي الحديث القدسي : يقول الله تعالى «ياعبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وفى قوله سبحانه « ثم إن ربك للذين هاجروا الخ » مايدل على أن مغفرة الله ورحمته قريبة من العبد مهما تباعد عنها . لأن « ثم » إنما يقصد منها ذلك ، يعنى أن الظالم لنفسه ، مهما تطاولت به الغفلة ، ومهما أغرق فى التعرض لأسباب الفتنة ، ومهما طال وتباعد به شوطه واستسلامه لعدوه ، واستخذاؤه لسلطان الهوى وشياطين الإنس والجن : فإنه الله ربه منه قريب ، وأن حبله ممدود إليه ، وهو لايزال يتودد إليه بكل مايمن عليه به من النعم ويدعوه فى كل لحظة إلى الرجوع ، والتوبة والإنابة إليه . يقول الله (٤ : ١١٠ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه . ثم يستغفر الله . يجد الله غفوراً رحيما) فربنا سبحانه يدعو الفارين منه — إلى هواهم وشياطينهم ، وإلى شقائهم — يدعوهم إلى الإنابة إليه ، وسرعة المثوبة إلى رحمته ومغفرته . كما قال (٣٩ : ٥٣—٦١ ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً . إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له — الآيات)

يقول ربنا تبارك اسمه : إنه مهما طالت بالعبد أيام الغفلة والسفه والسقوط فى الفتنة : ثم يتحرك من غفلته ، ويقوم من نومته . ويذكر ما لله عليه من النعم ، وما هو فيه من الآيات والسنن ، ويثوب إلى رشده ، ويفيء إلى هدى ربه . فيستيقظ ويوقظ إنسانيته العاقلة الرشيدة ، ويبذل جهده ، وكل مافى وسعه وطاقته — جاهداً مجاهداً بما آتاه ربه فى نفسه ، وفيما حوله من أسباب الظفر والنصر والفوز والفلاح — فقام مستوياً ، وأخذ سلاحه الذى وجده — بعد أن كان عنه — غافلا واستعمله فى كفاحه ضد عدوه — من نفسه الأمارة السفيهة الجاهلة وضد عدوه الخارج عنهما ، فهاجر وانتقل — بنفسه وأخلاقه وأعماله وأحواله — من حاله الأولى التى كان بها مستضعفاً مقهوراً لسلطان عدوه الوهمى الضعيف — وقد كان يظنه قوياً حين كان غافلاً عما أمده الله به من سلاح قوى فى سمعه وبصره وعقله ، وهدى الفطرة ، وهدى القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وحزبه وانتقل هاجراً ومهاجراً من مكان إلى مكان ، ومن صحبة الأشرار وقرناء السوء إلى صحبة الأخيار ، وملازمة البصراء الفقهاء فى دينهم ، المتقين الحرصاء على مرضاة ربهم ، الآخذين بكل قوة وحرص ما أكرمهم به ربهم من القدوة الكريمة الحسنة بالإمام الأعظم ، عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فانتصروا على أنفسهم البهيمية الأمارة بالسوء ، وقهروها بسلطان إيمان نفوسهم الطيبة الأمارة

بالمعروف الناهية عن الفحشاء والمنكر ، فذهبوا يبيعون أنفسهم لله ربهم - بيعة الرضوان - فيجاهدون فى صبر - وقوة إيمان وشكر - الطغاة المستكبرين ، المتبوعين المقلّدين ، الذين كانوا فى حالهم الأولى سبب فتنتهم واستضعافهم - من أهل وولد وصديق وجار ورؤساء وشيوخ - محاولين بجهادهم : أن ينقذوهم مما هم فيه من الكفر والفسوق والعصيان ، والجاهلية العمياء التى أركستهم فيما أركستهم فيه من الشر والفساد ، وجرتهم إلى أنكد حياة بمعاداة ومحاربة من جاء يدعوهم إلى الهدى والرشاد . وجاهدين بما يبذلون - مغتبطين - من تضحية بالأنفس والأموال : أن يخرجوهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن السفه والغى إلى الحكمة والرشد ، ومن الشرك والوثنية السافلة القذرة إلى التوحيد المبارك الطيب ، الذى يحفظ الله به للإنسانية عزتها وكرامتها ، ويرفعها دائماً على معارج السمو والعلو ، ويعرج بها على درجات النور والبصيرة والعقيدة الصحيحة ، والعمل الصالح ، والخلق الكريم إلى منازل الأبرار المقربين إلى رضوان الله ، وإلى الفوز والفلاح فى الأولى والأخرى .

فكلما جاهدوا هذا الجهاد ، وصبروا هذا الصبر ، واستعملوا أوقاتهم وكل ما فى وسعهم وطاقتهم لهداية الضال ، وإيقاظ الغافل ، وتعليم الجاهل ، ورد السفيه إلى الرشد ، والمشرك التائه فى عمايات الوثنية الضالة إلى ربه ومولاه وناصره الغنى الحميد - أسبغ الله عليهم من سوابغ مغفرته ورحمته ، وأمدهم بإمداداته . وزادهم نوراً وهدى ، وتقوى وإيماناً ، وعلماً وعملاً صالحا ، وتوفيقاً وتثبيتاً ، ينقلهم بكل ذلك من ضعفهم واستضعافهم الأول إلى قوة ، ومن استذلالهم واستخذائهم إلى كرامة وعزة ، ومن خوفهم وجبنهم إلى شجاعة وسرور وفرح أكيد بالتضحية بأنفسهم وأموالهم .

ثم يرد الله - مولاهم وناصرهم - عليهم أنفسهم وأموالهم أوفر ما كانت ، وأثمر وأبرك وأكرم ، وأصلح وأنفع ، فيجعلهم فى الخير قادة ، وللناس أئمة هداة مهتدين ، ويستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . ويمكّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً . ومن أصدق من الله قيلا ؟ ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعهم الذى بايعوا به وصدق الله وعده . ونصر عبده . وأعز جنده . وذلك هو الفوز العظيم .

وكذلك كان شأن المؤمنين الأولين ، الذين كانوا قد فتنوا ثم جاهدوا وصبروا .

وكذلك يكون شأن المؤمنين الصادقين ، الصابرين الشاكرين ، المهاجرين من كل فتنة بصدق جهاد من أنفسهم - بما آتاهم ربهم ، وبصدق لجأ وضراعة وركون إلى الله ربهم - يؤتيهم الله أجورهم على إيمانهم وجهادهم وشكرهم ، وصبرهم على الهجرة - فى هذه الحياة الأولى ، « ويوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها . وتوفى كل نفس ما عملت . وهم لايظلمون » تقوم محاولة الدفاع عن نفسها ، حين لم تجد من يدافع عنها ، وحين لم تجد من دون الله ولياً ولا نصيرا ، وحين تعطى كتابها فتقرأه ، وتجد فيه كل ماعملت ، وما قالت ، وما أتت . لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (١٨ : ٤٧ - ٤٩ وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم ، فلم نغادر منهم أحداً . وعرضوا على ربك صفًّا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) فرادى ليس معكم شفعاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم سيشفعون لكم ، ويجيرونكم من العقاب والعذاب (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب . فترى المجرمين مشفقين مما فيه . ويقولون : ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟ ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولايظلم ربك أحداً) ، (٣ : ٣٠ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً . وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيد . ويحذركم الله نفسه . والله رءوف بالعباد) يوم (٢ : ٤٨ لا تجزى نفس عن نفس شيئاً . ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (٣٦ : ٨٨ ، ٨٩ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) (٨٠ : ٣٤ - ٣٧ يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) (٤٥ : ٢٨ - ٣٥ يوم ترى كل أمة جاثية . كل أمة تدعى إلى كتابها . اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات : فيدخلهم ربهم فى رحمته . ذلك هو الفوز المبين . وأما الذين كفروا : أفلم تكن آياتى تتلى عليهم ، فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين ؟ وإذا قيل : إن وعد الله حق ، والساعة لا ريب فيها . قلتم : ماندرى ما الساعة ؟ إن نظن إلا ظنا . وما نحن بمستيقنين . وبدا لهم سيئات ماعملوا وحاق بهم

ما كانوا يستهزئون . وقيل : اليوم ننساكم ، كما نسيتم لقاء يومكم هذا . ومأواكم النار . وما لكم من ناصرين . ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً) غناء وموسيقى للطرب . وحجباً وتمائم ، ومأكلا على القبور وللموتى (وغرتكم الحياة الدنيا . فاليوم لايخرجون منها ، ولا هم يستعتبون) (١٠ : ٢٨ - ٣٠ ويوم نحشرهم جميعاً . ثم نقول للذين أشركوا : مكانكم أنتم وشركاؤكم . فزيّلنا بينهم . وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون) وإنما كنتم تعبدون الشياطين الذين أمروكم باتخاذ قبورنا معابد ومعتكفا (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم . إن كنا عن عبادتكم لغافلين . هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت . وردوا إلى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٢ : ١٦٦ ، ١٦٧ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ، رأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبَعوا : لو أن لنا كرَّة ، فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار)

وكم قد أكد الله ربنا سبحانه البيان فى كتابه المبين عن الآخرة ، وحسابها الحق ، وجزائها العادل ، حتى لا يكون للناس عذر . ولكن ما أشد ظلم الإنسان لنفسه ، إذ أعرض عن آيات ربه . فأحاطت به ظلمات جاهليته . فأوقعه عدوه - من شياطين الإنس والجن - فى التكذيب بما وصف الله وأخبر عن الآخرة وحسابها وجزائها الأوفى ، الذى هو من العدل والحكمة والرحمة بحيث لا يترك مثقال ذرة من خير ولاشر إلا أحصاها وأعطى الجزاء عليها . وبحيث إنه لايأخذ أحداً بجريرة أحد (٢١ : ٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها . وكفى بنا حاسبين) مع كل هذا ، وبعد كل هذا يجهل الإنسان ، وتغره الأمانى الكاذبة . ويغره بالله الغرور من شياطين الإنس والجن . فيزينون له أن يصر على جاهليته ، ويحرص على تقليده الأعمى ، ويأخذ طريقه فى ظلمات هذه الجاهلية والتقاليد الصوفية . فيضل السبيل السوى ، ويتنكب الصراط المستقيم . حتى يتخذ من دون الله الأولياء يعبدهم بجميع أنواع العبادات . ويقدم لهم من نفسه وماله ، ما الله به أحق وأولى . لأنه هو الذى رزقه إياه . وأنعم عليه به متفضلاً ومحسنا . وما أوقعه فى ذلك الضلال البعيد والكفر الشنيع ، والوثنية القذرة : إلا زعمه أن هؤلاء الأولياء يملكون له من أمر الدنيا والآخرة ما يطلب ويرجو . فاتخذهم شركاء لربه

فى قلبه وعقيدته وعمله . بل فى كل شأن من شئونه من المال والولد . فما جنى من ذلك ولا يجنى إلا الخيبة والخسران فكم رجع من جولاته وطوافه بأوليائه وقبورهم صفر اليدين ، كما مثل الله له وحذره ، لو عقل (١٣ : ١٤ كمثل باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه . وما هو ببالغه . وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) وفى قوله (٢٩ : ٤١ - ٤٣ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ، مايدعون من دونه من شيء . وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس . وما يعقلها إلا العالمون) .

وهكذا يكون فى الآخرة شأن الذين لايؤمنون باليوم الآخر على ماوصف الله وأخبر الخبر الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل كما يقول لهم الخادعون المغررون من شياطين الإنس والجن : إن فلاناً الولى سيحمى يوم القيامة محاسيبه الذين يسكنون بجوار قبره وفى رحابه ، والذين يواظبون على حضور عيده و إقامة مناسكه ، ويدخلهم الجنة ، والشيخ الفلانى سيجلس مع الله على العرش ، ويدعو أتباعه وأبناءه ، ومحبيه ومحبى أولاده ، فيدخلهم الجنة . ويدافع عنهم . وهكذا دان الناس بآخرة كل جزائها بالوسائط والشفاعات والمحسوبية ، والقرابة والجيرة التى لايرضونها لأنفسهم ولا لقضاتهم وحكامهم . وألغوا كل أخبار الله وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم . والله تعالى يقول (٤ : ١٢٣ ، ١٢٤ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يُجزَ به . ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن . فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ويقول تعالى (٢٥ : ٢٧ - ٣٠ ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر ، بعد إذ جاءنى وكان الشيطان) من شياطين الإنس والجن (للانسان خذولا . وقال الرسول : يارب ، إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى وغيره « يافاطمة بنت محمد ، اعملى . فإن أغنى عنك من الله شيئا . ياعباس عم محمد ، اعمل . فإن أغنى عنك من الله شيئا . يافلان ، يافلان ، اعملوا . فلن أغنى عنكم من الله شيئاً » ويقول أمثال ذلك كثيراً طيبا من النصح الصادق للمسلمين . ولكن أين من يقرأ

ويعقل ويفهم، وينصح لنفسه بنصيحة الرسـول الناصح الأمين، صلى الله عليه وسلم؟! أسأل الله أن يجعلنا منهم.

وإنه ما وقع الناس فى الضلال والشرك، والفسوق والعصيان إلا بسبب هذه الجاهلية والأمانى الكاذبة وتكذيبهم بالآخرة التى وصفها الله، وحذر من دقة حسابها، وعادل جزائها. يقول فى شأن الكفار وأنه ماحملهم على كفرهم بالله فاتخذوا الموتى أنداداً، وبالرسول، فزعموا أن القرآن أساطير الأولين اكتتبها (٢٥ : ١١ بل كذبوا بالساعة) ويقول (٨٢ : ٩ - ١٥ كلا، بل تكذبون بالدين - إلى قوله - وما أدراك ما يوم الدين؟ ثم ما أدراك مايوم الدين؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا. والأمر يومئذ لله). فضل سعيهم فى الأولى والأخرى، وكانوا الأخسرين أعمالا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. كما أسأل الله لى ولإخوانى المؤمنين الهدى والإيمان الصادق بما أخبر الله ورسوله.

كما أسأله سبحانه أن يمن علينا وعلى إخواننا المؤمنين أن ينقذنا من الفتنة وأن يرزقنا البصيرة النيرة بالعلم الذى أنزله على رسوله هدى ونوراً، ورحمة، وشفاء لما فى الصدور. من الجهل والهوى والغرور. وأن يجعل لنا من هذا العلم إيماناً صادقا بالله ورسوله، وبما أخبر الله ورسوله، وبما وعد الله ورسوله، وأن يؤتينا الصبر الجميل، فى الهجرة وكل أعمالنا وأحوالنا ومجتمعنا هجرة دائمة متجددة إلى ما يحب الله رسوله. وأن يتفضل فيحسن علينا بتلك المغفرة والرحمة، وأن يرزقنا الجهاد بأموالنا وأنفسنا فى سبيله، ولإعلاء كلمته، ولتطهير الأرض من جرائم فساد الأخسرين أعمالا وأحوالا، الذين لعنهم الله وغضب عليهم. وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل - كما رزق المؤمنين الأولين، وأن يعطينا فى هذا الشهر المبارك من الفتح والنصر على أولئك اليهود ما أعطى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم. إنه سميع قريب مجيب الدعاء. وهو نعم المولى ونعم النصير. وحسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت. وهو رب العرش العظيم.

وكتبه فقير عفو الله ومغفرته ورحمته

محمد حامد الفقى

الحسنة والسيئة

وموقف العبد عندهما

(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ. وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ. وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً. وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا).

من درر

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله وغفر لنا وله وللمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله

قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، شيخ الإسلام ، تقى الدين ، أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ابن تيمية الحرانى . تغمده الله تعالى برحمته : ـ

الحمد لله . نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فصـل

فى قوله تعالى (٤ : ٧٩ ماأصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك) و بعض ماتضمنته من الحكم العظيمة .

هذه الآية : ذكرها الله فى سياق الأمر بالجهاد ، وذم الناكثين عنه . قال تعالى (٤ : ٧١ ـ ١٢٥ يا أيها الذين آمنوا خُذُوا حِذْرَكم . فانفِروا ثُباتٍ ، أو انفروا جميعاً ـ الآيات) إلى أن ذكر صلاة الخوف . وقد ذكر قبلها طاعة الله وطاعة الرسول ، والتحاكم إلى الله و إلى الرسول . ورد ماتنازع فيه الناس إلى الله و إلى الرسول . وذم الذين يتحاكمون و يردون ماتنازعوا فيه إلى غير الله والرسول .

فكانت تلك الآيات : تبييناً للايمان بالله و بالرسول . ولهذا قال فيها (٤ : ٦٥ فلا وربك لايؤمنون ، حتى يُحكِّموك فيما شَجَر بينهم . ثم لايجدوا فى أنفسهم حَرَجاً مما قضيت . و يسلموا تسليما) .

وهذا جهاد عما جاء به الرسول . وقد قال تعالى (٤٩ : ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا . وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) وقال تعالى (٩ : ٢٤ قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم و إخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة

تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها : أحبَّ إليكم من الله ورسوله ، وجهاد سبيله . فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . والله لايهدى القوم الفاسقين) وقال (٩ : ١٩ – ٢١ أجعلتم سِقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام : كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد فى سبيل الله ؟ لايستوون عند الله . والله لايهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم : أعظم درجة عند الله . وأولئك هم الفائزون . يُبَشِّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم – الآية) .

وقال تعالى (٦١ : ١٠ – ١٤ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفرلكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبةً فى جنات عدن . ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها : نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين . ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله . فآمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة . فأيَّدنا الذين آمنوا على عدوهم . فأصبحوا ظاهرين) .

وذكر بعد آيات الجهاد (٤ : ١٠٥ – ١٢٥) إنزال الكتاب على رسول الله ليحكم بين الناس بما أراه ، ونهاه عن ضد ذلك . وذكَّره فضل الله عليه ورحمته فى حفظه ، وعصمته من إضلال الناس له ، وتعليمه ما لم يكن يعلم . وذم من شاقّ الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين . ثم عظم أمر الشرك ، وشديد خطره ، وأن الله لايغفره . ولكن يغفر مادونه لمن يشاء – إلى أن بيَّن أن أحسن الأديان : دين من يعبد الله وحده ، لايشرك به شيئاً . بشرط أن تكون عبادته بفعل الحسنات التى شرعها ، لابالبدع والأهواء . وهم أهل ملة إبراهيم ، الذين اتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً (٤ : ١٢٥ واتخذ الله إبراهيم خليلا)

فكان فى الأمر بطاعة الرسول ، والجهاد عليها : اتباع التوحيد ، وملة إبراهيم . وهو إخلاص الدين لله ، وأن يعبد الله بما أمر به على ألسن رسله من الحسنات .

وقد ذكر تعالى فى ضمن آيات الجهاد : ذم من يخاف العدو ، ويطلب الحياة . وبين أن

ترك الجهاد : لا يدفع عنهم الموت . بل أينما كانوا أدركهم الموت ، ولو كانوا فى بروج مشيدة فلا ينالون بترك الجهاد منفعة . بل لا ينالون إلا خسارة الدنيا والآخرة . فقال تعالى (٤ : ٧٧ ألم تر إلى الذين قيل لهم : كُفُّوا أيديكم ، وأقيموا الصلاة ، وآتو الزكاة . فلما كُتب عليهم القتالُ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ، أو أشد خشية . وقالوا : ربنا ، لِمَ كتبتْ علينا القتال ؟ لولا أخرتنا إلى أجل قريب ؟ قل : متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى . ولا تظلمون فتيلا) .

وهذا الفريق قد قيل : إنهم منافقون . وقيل : نافقوا لما كُتب عليهم القتال . وقيل : بل حصل منهم جُبْن وفَشَل . فكان فى قلوبهم مرض . كما قال تعالى (٤٧ : ٢٠ ، ٢١ فإذا أُنزلت سورة محكمة ، وذُكر فيها القتال : رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المَغْشِيِّ عليه من الموت . فأولى لهم . طاعةٌ وقول معروف ـ الآية) وقال تعالى (٣٣ : ١٢ إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسولُه إلا غرورا) .

والمعنى متناول لهؤلاء ولهؤلاء . ولكل من كان بهذه الحال .

ثم قال (٤ : ٧٨ أينما تكونوا يُدْرِككُم الموت ولو كنتم فى بروج مُشَيَّدة . وإن تصبهم حسنة ، يقولوا : هذه من عند الله . وإن تصبهم سيئة ، يقولوا : هذه من عندك . قل : كُلٌّ من عند الله . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟) .

فالضمير فى قوله « وإن تصبهم » يعود إلى من ذكر . وهم « الذين يخشون الناس » أو يعود إلى معهود معلوم ، وإن لم يذكر . كما فى مواضع كثيرة .

وقد قيل : إن هؤلاء كانوا كفاراً من اليهود وقيل : كانوا منافقين . وقيل : بل كانوا من هؤلاء وهؤلاء . والمعنى يعمُّ كل من كان كذلك . ولكن تناولُه لمن أظهر الإسلام وأُمِر بالجهاد أولى .

ثم إذا تناول الذم هؤلاء ، فهو للكفار الذين لا يظهرون الإسلام أولى وأحرى .

والذى عليه عامة المفسرين : أن « الحسنة » و « السيئة » يراد بهما النعم والمصائب . ليس المراد : مجرد ما يفعله الإنسان باختياره ، باعتباره من الحسنات أو من السيئات .

فصل

ولفظ «الحسنات» و «السيئات» فى كتاب الله : يتناول هذا وهذا . قال الله تعالى عن المنافقين (٣ : ١٢٠ إن تمسسكم حسنة تَسُؤْهم . و إن تصبكم سيئة يفرحوا بها . و إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) وقال تعالى (٩ : ٥٠ إن تصبك حسنة تسؤهم . و إن تصبك مصيبة : يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل . ويَتَوَلَّوْا وهم فرحون) وقال تعالى (٧ : ١٦٧ و بلوناهم بالحسنات والسيئات . لعلهم يرجعون) وقال تعالى (٤٢ : ٤٨ و إنّا إذا أذقنا الإنسان منا رحمةً فرح بها . و إن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم ، فإن الإنسان كفور) وقال تعالى فى حق الكفار المتطيرين بموسى ومن معه (٧ : ١٣٠ فإذا جاءتهم الحسنة ، قالوا : لنا هذه . و إن تصبهم سيئة يطَّيَّروا بموسى ومن معه) ذكر هذا بعد قوله (٧ : ١٢٩ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون)

وأما الأعمال المأمور بها ، والمنهى عنها : ففى مثل قوله تعالى (٢٨ : ٨٤ من جاء بالحسنة فله خير منها . ومن بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) وقوله تعالى (١١ : ١١٥ إن الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين) وقوله تعالى (٢٥ : ٧٠ فأولئك يُبدِّل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيما) .

وهنا قال (ماأصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولم يقل: وما فعلت ، وما كسبت . كما قال (٤٢ : ٣٠ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال تعالى (٥ : ٥٢ فاعلم أنما يريد الله : أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) وقال تعالى (٩ : ٥٣ قل : هل تربصون بنا إلا إحدى الْحُسْنَيَيْن ؟ ونحن نتربص بكم : أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) وقال تعالى (١٣ : ٣٣ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ أو تحُلّ قريباً من دارهم) وقال تعالى (٥ : ١٠٩ فأصابتكم مصيبة الموت) وقال تعالى (٢ : ١٥٦ و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا : إنا لله و إنا إليه راجعون) . فلهذا كان قوله « ماأصابك من حسنة » و « من سيئة » متناول لما يصيب الإنسان ، ويأتيه من النعم التى تسره ، ومن المصائب التى تسوءه .

فالآية متناولة لهذا قطعاً . وكذلك قال عامة المفسرين .

قال أبو العالية « إن تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله » قال : هذه فى السراء « وإن تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك » قال : وهذه فى الضراء .

وقال السدى « إن تصبهم حسنة » والحسنة الخِصْب ، ينتج خيولهم وأنعامهم ومواشيهم ، ويحسن حالهم ، وتلد نساؤهم الغلمان « قالوا : هذه من عند الله . وإن تصبهم سيئة » والسيئة : الضرر فى أموالهم ، تشاءما بمحمد « قالوا هذه من عندك » يقولون : بتركنا ديننا ، واتباعنا محمداً أصابنا هذا البلاء . فأنزل الله « قل كل من عند الله » الحسنة والسيئة « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ » قال : القرآن .

وقال الوالبى عن ابن عباس « ما أصابك من حسنة فمن الله » قال : مافتح الله عليك يوم بدر . وكذلك قال الضحاك .

وقال الوالبى أيضاً عن عباس « من حسنة » قال : ماأصاب من الغنيمة والفتح « فمن الله » قال « والسيئة » ماأصابه يوم أُحد . إذ شُجَّ فى وجهه ، وكُسِرَت رَباعيته .

وقال : أما « الحسنة » فأنعم الله بها عليك . وأما « السيئة » فابتلاك الله بها .

وروى أيضاً عن حجاج عن عطية عن ابن عباس « ماأصابك من حسنة فمن الله » قال : هذا يوم بدر « وماأصابك من سيئة فمن نفسك » قال : هذا يوم أُحد . يقول : ماكان من نكبة : فمن ذنبك ، وأنا قدرت ذلك عليك .

وكذلك روى ابن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح « فمن نفسك » قال : فبذنبك ، وأنا قدرتها عليك . روى هذه الآثار ابن أبى حاتم وغيره .

وروى أيضاً عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير . قال : ماتريدون من القدر ؟ أماتكفيكم هذه الآية التى فى سورة النساء (وإن تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك) ؟ أى من نفسك . والله ماوُكلوا إلى القدر . وقد أُمرُوا به . وإليه يصيرون .

وكذلك فى تفسير أبى صالح عن ابن عباس « إن تصبهم حسنة » الخصب والمطر « وإن تصبهم سيئة » الجدب والبلاء .

وقال ابن قتيبة « ماأصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » قال : الحسنة النعمة ، والسيئة البلية .

وقد ذكر أبو الفرج فى قوله « ماأصابك من حسنة ـ ومن سيئة » ثلاثة أقوال .

أحدها : أن « الحسنة » مافتح الله عليهم يوم بدر . و « السيئة » ماأصابهم يوم أحد . وقال : رواه ابن أبى طلحة ـ وهو الوالبى ـ عن ابن عباس .

والثانى « الحسنة » الطاعة . و« السيئة » المعصية . قاله أبو العالية .

والثالث « الحسنة » النعمة . و« السيئة » البلية . قاله ابن منبه . قال : وعن أبى العالية نحوه . وهو أصلح .

قلت : هذا القول المعروف بالإسناد عن أبى العالية ، كما تقدم من تفسيره ، المعروف الذى يروى عنه هو وغيره ، من طريق أبى جعفر الدارى عن الربيع بن أنس عنه وأمثاله .

وأما الثانى : فهو لم يذكر إسناده ، ولكن ينقل من كتب المفسرين الذين يذكرون أقوال السلف بلا إسناد . وكثير منها ضعيف . بل كذب . لا يثبت عمن نقل عنه . وعامة المفسرين المتأخرين أيضاً يفسرونه على مثل أقوال السلف . وطائفة منهم تحملها على الطاعة والمعصية .

فأما المعنى الأول : فهى تتناوله قطعاً . كما يدل عليه لفظها وسياقها ومعناها وأقوال السلف .

وأما المعنى الثانى : فليس مراداً دون الأول قطعاً . ولكن قد يقال : إنه مراد مع الأول ، باعتبار أن مايهديه الله إليه من الطاعة : هو نعمة فى حقه من الله أصابته . وما يقع منه من المعصية : هو سيئة أصابته . ونفسه التى عملت السيئة . وإذا كان الجزاء من نفسه ، فالعمل الذى أوجب الجزاء : أولى أن يكون من نفسه .

فلا منافاة أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه . مع أن الجميع مقدر كما تقدم .

وقد روى عن مجاهد عن ابن عباس : أنه كان يقرأ « فمن نفسك ، وأنا قدرتها عليك » .

والمعصية الثانية : قد تكون عقوبة على الأولى ، فتكون من سيئات الجزاء ، مع أنها من سيئات العمل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم - فى الحديث المتفق على صحته - عن ابن مسعود رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر . والبر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق ، حتى يُكْتَبَ عند الله صدوقاً . و إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا » .

وقد ذكر الله فى غير موضع من القرآن مايبين : أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى ، وكذلك السيئة الثانية : قد تكون من عقوبة الأولى . قال تعالى (٤ : ٦٦ - ٦٨ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً . وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما . ولهديناهم صراطاً مستقيما) وقال تعالى (٢٩ : ٦٩ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (٤٧ : ٤ - ٦ والذين قاتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عَرَّفَهَا لهم) وقال تعالى (٣٠ : ١٠ ثم كان عاقبةَ الذين أساءوا السُّوأى) وقال تعالى (٥ : ١٦ كتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال تعالى (٥٧ : ٢٨ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته . ويجعل لكم نوراً تمشون به ، ويغفر لكم) وقال تعالى (٧ : ١٥٤ وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يَرْهَبون) وقال تعالى (٣ : ١٣٨ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال تعالى (٤١ : ٤٤ قل هوللذين آمنوا هدى وشفاء . والذين لايؤمنون فى آذانهم وَقْر . وهو عليهم عمى) وقال تعالى (٧ : ٢٠١ إن الذين اتقوا إذا مَسَّهُمْ طائف من الشيطان تذكروا . فإذاهم مبصرون . وإخوانهم يَمُدُّونهم فى الْغَىِّ ثم لاَ يُقصِرُون) وقال تعالى (١٢ : ٢٤ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين) وقال تعالى (١٢ : ٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزى

المحسنين) وقال تعالى (٢٨ : ١٤ ولما بلغ أشده واستوى ، آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزى المحسنين) وقال تعالى (٤٧ : ١ ـ ٣ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله : أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّلَ على محمد ـ وهو الحق من ربهم ـ كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) وقال تعالى (٣٣ : ٧٠ ، ٧١ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (٢٤ : ٥٤ قل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . فإن تولوا . فإنما عليه ماحُمِّل وعليكم ماحملتم . وإن تطيعوه تهتدوا . وما على الرسول إلا البلاغ المبين) .

قال أبو عثمان النيسابورى : من أَمَّرَ السنة على نفسه ـ قولا وفعلا ـ نطق بالحكمة . ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه ـ قولا وفعلا ـ نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول « وإن تطيعوه تهتدوا » .

قلت : وقد قال فى آخر السورة (٢٤ : ٦٣ فليحذر الذين يخالفون عن أمره : أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم) .

وقال تعالى (٦ : ١٠٩ ، ١١٠ وما يُشْعِرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ؟ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال تعالى (٣ : ١٥٥ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان : إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا . ولقد عفا الله عنهم) وقال تعالى (٦١ : ٥ ـ ٧ وإذ قال موسى لقومه : ياقوم لم تؤذوننى ؟ وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم . فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدى القوم الفاسقين ـ إلى قوله ـ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين) وقال تعالى (٢ : ٨٨ وقالوا : قلوبنا غلف . بل لعنهم الله بكفرهم . فقليلا مايؤمنون) وقال تعالى أيضاً (٤ : ١٥٥ وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم . فلا يؤمنون إلا قليلا) وقال تعالى (٢ : ٢٥٨ فَبُهِتَ الذى كفر . والله لا يهدى القوم الظالمين) وقال تعالى (٩ : ٢٥ ، ٢٦ ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم . فلم تُغْنِ عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ، ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله

وعلى المؤمنين . وأنزل جنوداً لم تروها . وعذب الذين كفروا) وقال تعالى فى النوعين
(٨ : ١٢ ، ١٣ إذ يوحى ربك إلى الملائكة : أنى معكم . فثبتوا الذين آمنوا . سألقى فى
قلوب الذين كفروا الرعب . فاضربوا فوق الأعناق . واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم
شاقوا الله ورسوله) وقال تعالى (٣ : ١٥١ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا
بالله مالم ينزل به سلطاناً . ومأواهم النار . وبئس مثوى الظالمين) وقال تعالى (٥٩ : ٣ـ ٤
هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر . ماظننتم أن يخرجوا
وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا . وقذف فى قلوبهم
الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . فاعتبروا ياأولى الأبصار . ولولا أن كتب الله
عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله .
ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) وقال تعالى (٣ : ١١١ ، ١١٢ لن يضروكم إلا أذى .
وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثُقِفُوا ، إلا بحبل
من الله وحبل من الناس . وباءوا بغضب من الله . وَضُرِبت عليهم المسكنة . ذلك بأنهم
كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)
وقال تعالى (٥ : ٨٠ ، ٨١ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئسما قدمت لهم أنفسهم :
أن سَخِط الله عليهم . وفى العذاب، هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه
ما اتخذوهم أولياء . ولكن كثيراً منهم فاسقون) وقال تعالى (٥ : ٨٢ ولتجدن أقربهم
مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا : إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وأنهم
لا يستكبرون) وقال تعالى (٤٧ : ٢٢ ـ ٢٦ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض
وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون
القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى :
الشيطانُ سَوَّلَ لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله : سنطيعكم فى بعض
الأمر . والله يعلم إسرارهم) وقال تعالى (٩ : ٧٥ ـ ٧٧ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله ، لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا وهم

معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ماوعدوه ، و بما كانوا يكذبون) وقال تعالى (٩ : ٨٣ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج ، فقل: لن تخرجوا معى أبداً . ولن تقاتلوا معى عدوا . إنكم رضيتم بالقعود أول مرة . فاقعدوا مع الخالفين) وقال تعالى فى ضد هذا (٤٨ : ٢٠ ، ٢٣ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه . و كفَّ أيدىَ الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ، و يهديكم صراطاً مستقيما ـ إلى قولة ـ ولوقاتلكم الذين كفروا لَوَلَّوُا الأدبار . ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وتوليتهم الأدبار : ليس مما نهوا عنه . ولكن هو من جزاء أعمالهم . وهذاباب واسع .

فصل

و إذا كانت « السيئات » التى يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت ـ وهى مضرة ـ جاز أن يقال : هى مما أصابه من السيئات . وهى بذنوب تقدمت .

وعلى كل تقدير : فالذنوب التى يعملها : هى من نفسه . و إن كانت مقدرة عليه . فإنه إذا كان الجزاء ـ الذى هو مُسبب عنها من نفسه ـ فعمله الذى هو ذلك الجزاء : من نفسه بطريق الأولى . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته « نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا » .

وقال له أبو بكر رضى الله عنه « علمنى دعاء » فقال « قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رَبَّ كل شىء ومليكه . أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسى ، وشر الشيطان وشرَكه ، وأن أقترف على نفسى سُوءا ، أو أجُرَّه إلى مسلم . قُلْهُ : إذا أصبحت ، و إذا أمسيت ، و إذا أخذت مضجعك » .

فقد بين أن قوله « فمن نفسك » يتناول العقوبات على الأعمال ، و يتناول الأعمال مع أن الكل بقدر الله .

فصـل

وليس للقدَرِية أن يحتجوا بالآية لوجوه :

منها : أنهم يقولون : فعل العبد ـ حسنةً كان ، أو سيئة ـ هو منه ، لا من الله . بل قد أعطى الله كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات ، والسيئات . لـكن هذا عندهم : أحدثَ إرادةً فعل بها الحسنات . وهذا أحدث إرادةً فعل بها السيئات . وليس واحد منهما من إحداث الرب عندهم .

والقرآن قد فرق بين الحسنات والسيئات . وهم لا يفرقون فى الأعمال بين الحسنات والسيئات ، إلا من جهة الأمر . لا من جهة كون الله خلق فيه الحسنات دون السيئات . بل هو عندهم لم يخلق لا هذا ولا هذا .

لـكن منهم من يقول : بأنه يُحْدِث من الأعمال الحسنة والسيئة : ما يكون جزاءا . كما يقوله أهل السنة .

لـكن على هذا : فليست عندهم كل الحسنات من الله . ولا كل السيئات . بل بعض هذا ، و بعض هذا .

الثانى : أنه قال « كل من عند الله » فجعل « الحسنات » من عند الله ، كما جعـل « السيئات » من عند الله . وهم لا يقولون بذلك فى الأعمال . بل فى الجزاء .

وقوله سبحانه ـ بعد هذا ـ « ما أصابك من حسنة ـ ومن سيئة » مثل قوله « و إن تصبهم حسنة » وقوله « و إن تصبهم سيئة » .

الثالث : أن الآية أريد بها : النعم ، والمصائب . كما تقدم . وليس للقدرية الجبرة أن تحتج بهذه الآية على نفي أعمالهم التى استحقوا بها العقاب . فإن قوله « كل من عند الله » هو النعم والمصائب . ولأن قوله « ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » حجة عليهم . و بيان أن الإنسان هو فاعل السيئات . وأنه يستحق عليها العقاب والله ينعم عليه بالحسنات ـ عملها وجزائها ـ فإنه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله : فالنعم من الله . سـواء كانت ابتداء ، أو كانت جزاء . و إذا كانت جزاء ـ وهى من الله ـ

فالعمل الصالح ، الذى كان سببها : هو أيضاً من الله . أنعم بهما الله على العبد . و إلا فلو كان هو من نفسه ـ كما كانت السيئات من نفسه ـ لـكان كل ذلك من نفسه . والله تعالى قد فرق بين النوعين فى الـكتاب والسنة . كما فى الحديث الصحيح الإلٰهى : عن الله « ياعبادى إنما هى أعمالـكم أحصيها لـكم ، ثم أُوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله . وَمَنْ وجد غير ذلك ، فلا يلومنَّ إلا نفسه » وقال تعالى (٣ : ١٦٥ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، قلتم : أنَّى هذا ؟ قل : هو من عند أنفسكم) وقال تعالى (٣٠ : ٣٦ و إن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) وقال تعالى (٣٠ : ٤١ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس . ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) وقال تعالى (١١:١٠١ وما ظلمناهم ولـكن ظلموا أنفسهم) وقال تعالى (٤٣ : ٧٦ وما ظلمناهم ولـكن كانوا هم الظالمين) وقال تعالى (٣٨ : ٨٥ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وقال تعالى للمؤمنين (٤٩ : ٧ ولـكن اللهَ حَبَّبَ إليكم الإيمانَ وَزَيَّنَهُ فى قلوبكم . وكَرَّهَ إليـكم الـكُفْرَ والفسوقَ والعصيانَ . أُولئك هُمُ الراشدون) وقد أمروا أن يقولوا فى الصلاة (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

فصل

وقد ظن طائفة : أن فى الآية إشكالا ، أوتناقضاً فى الظاهر ، حيث قال « كل من عند الله » ثم فرق بين « الحسنات » و « السيئات » فقال « ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

وهـذا من قلة فهمهم ، وعدم تدبرهم الآية . وليس فى الآية تناقض : لافى ظاهرها ، ولا فى باطنها . لافى لفظها ولافى معناها . فإنه ذكر عن المنافقين ، والذين فى قلوبهم مرض ، النا كصين عن الجهاد : ما ذكره بقوله (٤ : ٧٨ أينما تكونوا يدركـكم الموتُ ، ولو كنتم فى بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله . و إن تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك) هذا يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى بسبب ما أمرتنا به من من دينك ، والرجوع عما كنا عليه : أصابتنا هـذه السيئات . لأنك أمرتنا بما أوجبها . فالسيئات : هى المصائب . والأعمال التى ظنوا أنها سبب المصائب : هو أمرَهم بها .

وقولهم « من عندك » تتناول مصائب الجهاد ، التى توجب الهزيمة . لأنه أمرهم بالجهاد . وتتناول أيضاً مصائب الرزق على جهة التشاؤم ، والتطير . أى هذا عقوبة لنا بسبب دينك كما كان قوم فرعون يتطيرون بموسى و بمن معه . وكما قال أهل القرية للمرسلين (٣٦ :١٧ إنا تطيرنا بكم) وكما قال الكفار من ثمود لصالح ، ولقومه (٢٧ : ٤٨ اطَّيَّرنا بك و بمن معك) فكانوا يقولون عما يصيبهم ـ من الحرب ، والزلزال والجراح والقتل ، وغير ذلك مما يحصل من العدو ـ: هو منك: لأنك أمرتنا بالأعمال الموجبة لذلك . و يقولون عن هذا ، وعن المصائب السمائية : إنها منك . أى بسبب طاعتنا لك ، واتباعنا لدينك : أصابتنا هذه المصائب ، كما قال تعالى (٢٢ : ١١ ومن الناس من يعبد الله على حرف . فإن أصابه خير اطمأن به . و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة) .

فهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول ، وفعل ما بُعث به : مسبباً لشرٍّ أصابه ، إما من السماء . و إما من آدمى . هؤلاء كثيرون .

لم يقولوا « هذه من عندك » بمعنى : أنك أنت الذى أحدثتها . فإنهم يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدث شيئاً من ذلك . ولم يكن قولهم « من عندك » خطاباً من بعضهم لبعض . بل هو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن فهم هذا تبين له : أن قوله « ماأصابك من حسنة فمن الله . وماأصابك من سيئة فمن نفسك » لا يناقض قوله « كل من عند الله » بل هو محقق له . لأنهم ـ هم ومن أشبههم إلى يوم القيامة ـ يجعلون ماجاء به الرسول ، والعملَ به : سبباً لما قد يصيبهم من مصائب . وكذلك من أطاعه إلى يوم القيامة .

وكانوا تارة يقدحون فيما جاء به ، و يقولون : ليس هذا مما أمر الله به . ولو كان مما أمر الله به : لما جرى على أهله هذا البلاء .

وتارة لا يقدحون فى الأصل . لكن يقدحون فى القضية المعينة . فيقولون : هذا بسوء تدبير الرسول . كما قال عبد الله بن أُبيّ ابنُ سلول يوم أُحد ـ إذ كان رأيه مع رأى النبى صلى الله عليه وسلم : أن لا يخرجوا من المدينة ـ فسأله صلى الله عليه وسلم ناسٌ ممن كان لها رغبة فى الجهاد : أن يخرج . فوافقهم ، ودخل بيته ولبس لَأْمَتَه . فلما لبس لأمته ندموا .

وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم « أنت أعلم . فإن شئت أن لا نخرج ، فلا نخرج . فقال : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن ينزعها ، حتى يحكم الله بينه و بين عدوه » يعنى : أن الجهاد يلزم بالشروع فيه ، كما يلزم الحج . لايجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار فى الحج .

فصل

والمفسرون ذكروا فى قوله « و إن تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك » هذا وهذا .

فعن ابن عباس ، والسدى ، وغيرهما : أنهم يقولون هذا تشاؤماً بدينه .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . قال : بسوء تدبيرك ـ يعنى كما قاله عبد الله بن أبىّ وغيره يوم أُحد ـ وهم كـ « الذين قالوا لإخوانهم ـ وقعدوا ـ لو أطاعونا ما قتلوا » .

فبكل حال : قولهم « من عندك » هو طعن فيما أمر الله به ورسوله ، من الإيمان والجهاد . وجعل ذلك : هو الموجب للمصائب التى تصيب المؤمنين المطيعين ، كما أصابتهم يوم أُحد . وتارة تصيب عدوهم . فيقول الكافرون : هذا بشؤم هؤلاء ، كما قال أصحاب القرية للمرسلين « إنا تطيرنا بكم » وكما قال تعالى عن آل فرعون « فإذا جاءتهم الحسنة . قالوا : لنا هذه . و إن تصبهم سيئة يَطَّيروا بموسى ومن معه . ألا إنما طائرهم عند الله . ولكن أكثرهم لا يعلمون » وقال تعالى عن قوم صالح « قالوا : اطَّيرنا بك و بمن معك . قال : طائركم عند الله . بل أنتم قوم تفتنون » .

ولما قال أهل القرية « إنا تطيرنا بكم . لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ، وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا : طائركم معكم . أئِنْ ذُكِّرتم ؟ بل أنتم قوم مسرفون » .

قال الضحاك : فى قوله « ألا إنما طائرهم عند الله » يقول : الأمر من قِبل الله . ما أصابكم من أمر فمن الله ، بما كسبت أيديكم . وقال ابن أبى طلحة : عن ابن عباس « معايبكم » وقال قتادة « عملكم عند الله » . وفى رواية غير على : عملكم عند الله « ولكنكم قوم تفتنون » أى تبتلون بطاعة الله ومعصيته . رواهما ابن أبى حاتم وغيره .

وعن ابن إسحاق قال : قالت الرسل « طائركم معكم » أى أعمالكم .

فقد فسروا « الطائر » بالأعمال وجزائها . لأنهم كانوا يقولون : إنما أصابنا ما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل وأتباعهم .

فبين الله سبحانه : أن طائرهم ـ وهو الأعمال وجزاؤها ـ هو عند الله . وهو معهم . فهو معهم لأن أعمالهم وما قُدِّر من جزائها معهم . كما قال تعالى (١٧ : ١٣ وكلَّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) وهو من الله . لأن الله تعالى قَدَّر تلك المصائب بأعمالهم . فمن عنده تتنزل عليهم المصائب ، جزاء على أعمالهم ، لا بسبب الرسل وأتباعهم .

وفى هذا يقال : إنهم إنما يجزون بأعمالهم ، لا بأعمال غيرهم . ولذلك قال فى هذه الآية ـ لما كان المنافقون والكفار ومَنْ فى قلبه مرض يقول : هذا الذى أصابنا هو بسبب ما جاء به محمد ، عقوبة دينية وصلت إلينا ـ بين سبحانه : أن ما أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم

ففي هذا رد على من أعرض عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا تصيبه تلك المصائب . وعلى من انتسب إلى الإيمان بالرسول ، ونسبها إلى فعل ماجاء به الرسول ، وعلى من أصابته مع كفره بالرسول ، ونسبها إلى ماجاء به الرسول .

فصل

والمقصود : أن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس سبباً لشىء من المصائب . ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة ، بل طاعة الله والرسول لا تقتضى إلا جزاء أصحابها بخيرى الدنيا والآخرة . ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم . لا بما أطاعوا فيه الله والرسول ، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم . لا بسبب طاعتهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما ابتلوا به فى السراء والضراء والزلازل : هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم ، لكن امتحنوا به ، لتيخلصوا مما فيهم من الشر ، وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار ، ليتميز طيبه من خبيثه . والنفوس فيها شر . والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر الذى فى نفسه . قال تعالى (٣ : ١٤٠ وتلك الأيام ندولها بين الناس . وليعلم الله الذين آمنوا ،

ويتخذ منكم شهداء . والله لايحب الظالمين . وليمحص الله آمنوا ، ويمحق الكافرين)
وقال تعالى (٣ : ١٥٤ وليبتلى الله مافى صدوركم . وليمحص مافى قلوبكم) ولهذا قال صالح
عليه السلام لقومه « طائركم عند الله . بل أنتم قوم تفتنون » .

ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين ، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم . وماأصابهم
فى الجهاد من مصائب بأيدى العدو ، فإنه يعظم أجرهم بالصبر عليها .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن غازية يغزون فى سبيل الله ،
فيسلمون ويغنمون ، إلا تعجلوا ثلثى أجرهم . وإن أصيبوا وأخفقوا : تم لهم أجرهم » .

وأما مايلحقهم من الجوع والعطش والتعب : فذاك يكتب لهم به عمل صالح . كما قال
تعالى (٩ : ١٢٠ ذلك بأنه لايصيبهم ظمأ ، ولا نَصَب ، ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولايطؤون
مَوْطِئاً يغيظ الكفار ، ولاينالون من عدو نَيْلاً ، إلا كتب لهم به عمل صالح . إن الله لايضيع
أجر المحسنين) وشواهد هذا كثيرة .

فصل

والمقصود : أن قوله « إن تُصِبْهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله . وإن تصبهم سيئة
يقولوا : هذه من عندك . قل : كل من عند الله » فإنهم جعلوا مايصيبهم من المصائب
بسبب ماجاءهم به الرسول . وكانوا يقولون : النعمة التى تصيبنا هى من عند الله ، والمصيبة من
عند محمد . أى بسبب دينه وما أمر به . فقال تعالى : بل هذا وهذا من عند الله . لا من
عند محمد . ومحمد لا يأتى لا بنعمة ولا بمصيبة . ولهذا قال ـ بعد هذا ـ « فما لهؤلاء القوم
لايكادون يفقهون حديثاً ؟ » قال السدى وغيره : هو القرآن . فإن القرآن إذا هم فقهوا
مافيه : تبين لهم أنه إنما أمرهم بالخير ، والعدل ، والصدق ، والتوحيد . لم يأمرهم بما يكون
سبباً للمصائب . فإنهم إذا فهموا مافى القرآن علموا : أنه لا يكون سبباً للشر مطلقاً .

وهذا مما يبين أن ما أمر الله به : يعلم بالأمر به حُسْنُه ونفعه ، وأنه مصلحة للعباد .
وليس كما يقول من يقول : قد يأمر الله العباد بما لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه . بل بما قد
يكون فيه مضرة لهم .

فإنه لو كان كذلك لـكان قد يصدقه المتطيرون بالرسل وأتباعهم .

شهادة الله للرسول

ومما يوضح ذلك : أنه لما قال « ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » قال بعدها « وأرسلناك للناس رسولا . وكفى بالله شهيداً » فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات . وإذا شهد الله له كفى به شهيداً . ولم يضره جَحد هؤلاء لرسالته ، بما ذكروه من الشبه التى هى عليهم لا لهم ، بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته . والله تعالى قد شهد له : أنه أرسله للناس رسولا . فـكان ختم الـكلام بهذا إبطالا لقولهم : إن المصائب من عند الرسول . ولهذا قال ، بعد هذا « من يطع الرسول فقد أطاع الله . ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » .

فصل

وكان فيما ذكره إبطال لقول الجهمية المجبرة ونحوهم ، ممن يقول : إن الله قد يعذب العباد بلا ذنب . وأنه قد يأمر العباد بما لا ينفعهم ، بل بما يضرهم . فإن فعلوا ما أمرهم به حصل لهم الضرر ، وإن لم يفعلوه عاقبهم . يقولون هـذا ومثله ، ويزعمون أن هذا لأنه يفعل مايشاء .

والقرآن يرد على هؤلاء من وجوه كثيره ، كما يرد على المـكذبين بالقدر .

فالآية ترد على هؤلاء وهؤلاء ، كما تقدم ، مع احتجاج الفريقين بها . وهى حجة على الفريقين .

* * *

فإن قال نفاة القدر : إنما قال فى الحسنة « هى من الله » وفى السيئة « هى من نفسك » لأنه يأمر بهذا ، وينهى عن هذا ، باتفاق المسلمين .

قالوا : ونحن نقول : المشيئة ملازمة للأمر . فما أمر به فقد شاءه . وما لم يأمر به لم يشأه . فـكانت مشيئته وأمره حاضّة على الطاعة دون المعصية . فلهذا كانت هذه منه دون هذه .

قيل : أما الآية : فقد تبين أن الذين قالوا « الحسنة من عند الله ، والسيئة من عندك »

أرادوا : من عندك يا محمد ، أى بسبب دينك . فجعلوا رسالة الرسول هى سبب المصائب . وهذا غير مسألة القدر .

وإذا كان قد أريد : إن الطاعة والمعصية ـ مما قد قيل ـ كان قوله « كل من عند الله » حجة عليكم كما تقدم .

وقوله ـ بعد هذا ـ « ما أصابك من حسنة فمن الله . وماأصابك من سيئة فمن نفسك » لا ينافى ذلك . بل « الحسنة » أنعم الله بها وبثوابها . و « السيئة » هى من نفس الإنسان ناشئة ، وإن كانت بقضاء الله وقدره ، كما قال تعالى « من شر ماخلق » فمن المخلوقات ماله شر ، وإن كان بقضائه وقدره .

وانتم تقولون : الطاعة والمعصية هما من إحداث الإنسان ، بدون أن يجعل الله هذا فاعلاً ، وهذا فاعلاً ، وبدون أن يخص الله المؤمن بنعمة ورحمة أطاعه بها . وهذا مخالف للقرآن

فصل

فإن قيل : إذا كانت الطاعات والمعاصى مقدرة ، والنعم والمصائب مقدرة . فما الفرق بين الحسنات ، التى هى النعم ، والسيئات ، التى هى المصائب ؟ فتجعل هذه من الله ، وهذه من نفس الإنسان ؟ .

قيل : لفروق بينهما : ـ

الفرق الأول : أن نعم الله وإحسانه إلى عباده يقع ابتداء ، بلا سبب منهم أصلاً . فهو ينعم بالعافية والرزق والنصر ، وغير ذلك على من لم يعمل خيراً قط . وينشىء للجنة خلقاً يسكنهم فضول الجنة . وقد خلقهم فى الآخرة ، لم يعملوا خيراً . ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل . وأما العقاب : فلا يعاقب أحداً إلا بعمله .

الفرق الثانى : أن الذى يعمل الحسنات . إذا عملها ، فنفس عمله الحسنات : هو من إحسان الله ، وفضله عليه بالهداية والإيمان ، كما قال أهل الجنة (٧ : ٤٣ الحمد لله الذى هدانا لهذا . وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

وفى الحديث الصحيح « يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها .

وجد خيراً فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

فنفس خلق الله لهم السمع والأبصار والأفئدة : هو من نعمته ، ونفس إرسال الرسول إليهم ، وتبليغه البلاغ المبين الذى اهتدوا به : هو من نعمته . وإلهامهم الإيمان ، وهدايتهم إليه ، وتخصيصهم بمزيد نعمة ، حصل لهم بها الإيمان دون الكافرين : هو من نعمته . كما قال تعالى (٤٩ : ١٧ ولكن الله حبب إليكم الإيمان ، وزينه فى قلوبكم . وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك هم الراشدون . فضلاً من الله ونعمة) .

فجميع مايتقلب فيه العالم من خيرى الدنيا والآخرة : هو نعمة محضة منه ، بلا سبب سابق يوجب لهم عليه حقاً . ولاحول ولاقوة لهم من أنفسهم إلا به . وهو خالق نفوسهم ، وخالق أعمالها الصالحة ، وخالق الجزاء عليها .

فقوله « ما أصابك من حسنة فمن الله » حق من كل وجه ، ظاهراً وباطناً على مذهب أهل السنة .

وأما « السيئة » فلا تكون إلا بذنب العبد ، وذنبه من نفسه . وهو لم يقل : إنى لم أقدر ذلك ولم أخلقه . بل ذكر للناس ماينفعهم .

فصل

فإذا تدبر العبد حاله وسنن الله علم : أن ماهو فيه من الحسنات من الله . فشكر الله . فزاده الله من فضله عملاً صالحاً ، ونعماً يفيضها عليه . وعلم أن الشر لايحصل له إلا من نفسه بذنوبه : فاستغفر وتاب . فزال عنه سبب الشر . فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً . فلا يزال الخير يتضاعف له ، والشر يندفع عنه . كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته « الحمد لله » فيشكر الله . ثم يقول « نستعينه ونستغفره » نستعينه على الطاعة . ونستغفره من المعصية . ثم يقول « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا » فيستعيذ به من الشر الذى فى النفس ، ومن عقوبة عمله . فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه . فيستعيذ بالله من شر النفس : أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا . ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله ،

ومن عقوبات عمله . فاستعانه على الطاعة وأسبابها . واستعاذه به من المعصية وعقابها .

فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه : يوجب له هذا وهذا . فهو سبحانه فرق بينهما هنا ، بعد أن جمع بينهما فى قوله «قل كل من عند الله»

فبين أن الحسنات والسيئات : هى النعم والمصائب ، والطاعات والمعاصى ، على قول من من أدخلها فى « من عند الله » .

ثم بين الفرق الذى ينتفعون به . وهو أن هذا الخير من نعمة الله ، فاشكروه يزدكم منه . وهذا الشر : من ذنوبكم . فاستغفروه ، يدفعه عنكم .

قال الله تعالى (٨ : ٣٣ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال تعالى (١١ : ١ ـ ٣ الر . كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير : أن لا تعبدوا إلا الله . إننى لكم منه نذير وبشير ، وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى . ويؤت كل ذى فضل فضله) .

والمذنب ـ إذا استغفر ربه من ذنبه ـ فقد تأسَّى بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين ، كآدم وغيره . وإذا أصر ، واحتج بالقدر : فقد تأسَّى بالأشقياء ، كإبليس ومن اتبعه من الغاوين .

فكان من ذكره : أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه ، بعد أن ذكر : أن الجميع من عند الله ، تنبيهاً للعبد على الاستغفار والتوبة ، والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله . والدعاء بذلك فى الصباح والمساء ، وعند المنام . كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق ، أفضل الأمة ، حيث علمه أن يقول « اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءاً أو أجره إلى مسلم » .

فيستغفر مما مضى . ويستعيذ مما يستقبل . فيكون من حزب السعداء .

وإذا علم أن الحسنة من الله ـ الجزاء والعمل ـ سأله أن يعينه على فعل الحسنات . بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وبقوله (اهدنا الصراط المستقيم) وبقوله (٣ : ٨ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) ونحو ذلك .

وأما إذا أخبر : أن الجميع من عند الله فقط ، ولم يذكر الفرق : فإنه يحصل من هذا التسوية . فأعرض العاصى والمذنب عن ذم نفسه ، وعن التوبة من ذنوبها ، وعن الاستعاذة من شرها . بل وقام فى نفسه : أن يحتج على الله بالقدر . وتلك حجة داحضة لاتنفعه ، بل تزيده عذاباً وشقاء ، كما زادت إبليس ، لما قال (٧ : ١٦ فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) وقال (١٥:٣٩ رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين) .

وكالذين يقولون يوم القيامة (٥٧:٣٩ لو أن الله هدانى لكنت من المتقين) وكالذين قالوا (٦ : ١٤٨ لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء)

فمن احتج بالقدر على مافعله من ذنوبه ، وأعرض عما أمره الله به ، من التوبة والاستغفار والاستعانة بالله ، والاستعاذة به ، واستهدائه : كان من أخسر الناس أعمالا فى الدنيا والآخرة . فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجمع .

فصل

الفرق الثالث

أن الحسنة يضاعفها الله وينميها ، ويثيب على الهمّ بها . والسيئة لايضاعفها ، ولايؤاخذ على الهمّ بها . فيعطى صاحب الحسنة : من الحسنات فوق ماعمل . وصاحبُ السيئة : لايجزيه إلا بقدر عمله . قال تعالى (٦ : ١٦٠ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها . وهم لايظلمون)

الفرق الرابع : أن الحسنة مضافة إليه تعالى ، لأنه أحسن بها من كل وجه ، كما تقدم . فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضى إضافتها إليه .

وأما السيئة : فهو إنما يخلقها بحكمته . وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه . فإن الرب لايفعل سيئة قط . بل فعله كله حسن وحسنات . وفعله كله خير . ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعاء الاستفتاح « والخير بيديك . والشر ليس إليك » فإنه لايخلق شراً محضاً . بل كل مايخلقه : ففيه حكمة ، وهو باعتبارها خير . ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس . وهو شر جزئى إضافى . فأما شر كلى ، أو شر مطلق : فالرب منزه عنه . وهذا هو الشر الذى ليس إليه .

وأما الشر الجزئى الإضافى : فهو خير باعتبار حكمته ، ولهذا لايضاف الشر إليه مفرداً قط . بل إما أن يدخل فى عموم المخلوقات ، كقوله (٢٥:٢ وخالق كل شىء) .

و إما أن يضاف إلى السبب كقوله (١١٣ : ٢ من شر ماخلق) .

و إما أن يحذف فاعله ، كقول الجن (٧٢ : ١٠ وأنا لا ندرى : أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ؟) .

الضالون بالخوض فى القدر

وهذا الموضع ضل فيه فريقان من الناس الخائضين فى القدر بالباطل .

فرقة كذبت بهذا ، وقالت : إنه لايخلق أفعال العباد ، ولا يشاء كل ما يكون . لأن الذنوب قبيحة ، وهو لايفعل القبيح . و إرادتها قبيحة . وهو لايريد القبيح .

وفرقة : لما رأت أنه خالق هذا كله ، ولم تؤمن أنه خلق هذا لحكمة . بل قالت : إذا كان يخلق هذا : فيجوز أن يخلق كل شر . ولا يخلق شيئاً لحكمة ، وما ثَمَّ فعل تنزه عنه . بل كل ما كان ممكناً جاز أن يفعله .

وجوّزوا : أن يأمر بكل كفر ومعصية . وينهى عن كل إيمان وطاعة ، وصدق وعدل . وأن يعذب الأنبياء ، وينعم الفراعنة والمشركين ، وغير ذلك . ولم يفرقوا بين مفعول ومفعول .

وهذا منكر من القول وزور ، كالأول . قال تعالى (٤٥ : ٢١ أم حسب الذين اجترحوا السيئات . أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء مايحكمون) وقال تعالى (٦٨ : ٣٥ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى (٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ؟) ونحو ذلك مما يوجب أنه سبحانه يفرق بين الحسنات والسيئات ، و بين المحسن والمسىء ، وأن من جوّز عليه التسوية بينهما : فقد أتى بقول منكر . وزور ينكر عليه .

وليس إذا خلق الله مايتأذى به بعض الحيوان : لا يكون فيه حكمة . بل فيه من الحكمة والرحمة مايخفى على بعض الناس مما مالا يقدر قدره إلا الله .

وليس إذا وقع فى المخلوقات ماهو شر جزئى بالإضافة : يكون شراً كلياً عاما . بل الأمور العامة الكلية : لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد ، كالمطر العام ، وكإرسال رسول عام .

وهذا مما يقتضى : أنه لايجوز أن يؤيد الله كذاباً عليه بالمعجزات التى أيد بها أنبياءه الصادقين . فإن هذا شر عام للناس ، يضلهم و يفسد عليهم دينهم ودنياهم وآخرتهم .

وليس هذا كالملك الظالم ، والعدو . فإن الملك الظالم لابد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه . وقد قيل : ستون سنة بإمام ظالم : خير من ليلة واحدة بلا إمام و إذا قدر كثرة ظلمه : فذاك ضرر فى الدين ، كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم و يثابون عليها ، و يرجعون فيها إلى الله ، و يستغفرونه و يتوبون إليه . وكذلك مايسلط عليهم من العدو .

وأما من يكذب على الله ، و يدعى أنه نبى : فلو أيَّده الله تأييد الصادق : للزم أن يسوى بينه و بين الصادق . فيستوى الهدى والضلال والخير والشر ، طريق الجنة وطريق النار . ويرتفع التمييز بين هذا وهذا . وهذا مايوجب الفساد العام للناس فى دينهم ودنياهم وآخرتهم (١) .

ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم : بقتال من يقاتل على الدين الفاسد من أهل البدع ، كالخوارج . وأمر بالصبر على جور الأئمة . ونهى عن قتالهم والخروج عليهم . ولهذا قد يمكِّن الله كثيراً من الملوك الظالمين مدة . وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم . بل لابد أن يهلكهم . لأن فسادهم عام فى الدين والدنيا والآخرة . قال تعالى (٦٩ : ٤٤ ــ ٤٦ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه بالوتين) وقال تعالى (٤٢ : ٢٤ أم يقولون افترى على الله كذباً . فإن يشأ الله يختم على قلبك) فأخبر : أنه ــ بتقدير الافتراء ــ لابد أن يعاقب من افترى عليه .

---

(١) من هذ يعلم فساد دعوى من يقول : إن معجزة الأنبياء تكون كرامة للأولياء ، يعنى أن كرامة الولى من جنس معجزة النبى : والفرق بينهما هو تحدى النبى وعدم تحدى الولى وهذا من وحى شياطين الجن الإنس زخرف القول غرورا .

فصل

وهذا الموضع مما اضطرب فيه الناس . فاستدلت القدرية النفاة والمجبرة على أنه إذا جاز أن يضل شخصاً : جاز أن يضل كل الناس . و إذا جاز أن يعذب حيواناً بلاذنب ولا عوض : جاز أن يعذب كل حيّ بلا ذنب ولا عوض . و إذا جاز عليه أن لايعين واحداً ممن أمره على طاعة أمره : جاز أن لايعين كل الخلق .

فلم يفرق الطائفتان بين الشر الخاص والعام . و بين الشر الإضافى ، والشر المطلق . ولم يجعلوا فى الشر الإضافى حكمة يصير بها من قسم الخير .

ثم قال النفاة : وقد علم أنه منزه عن تلك الأفعال . فإنا لو جوّزنا عليه هذا لجوّزنا عليه تأييد الكذاب بالمعجزات ، وتعذيب الأنبياء ، و إكرام الكفار ، وغير ذلك مما يستعظم العقلاء إضافته إلى الله تعالى .

فقالت المثبتة من الجهمية المجبرة : بل كل الأفعال جائزة عليه ، كما جاز ذلك الخاص . و إنما يعلم أنه لايفعل ما لايفعل . أو يفعل مايفعل : بالخبر ، خبر الأنبياء عنه . و إلا فهما قدّر: جاز أن يفعله ، وجاز أن لايفعله . ليس فى نفس الأمر سبب ولا حكمة ، ولا صفة تقتضى التخصيص ببعض الأفعال دون بعض . بل ليس إلا مشيئة نسبتها إلى جميع الحوادث سواء . ترجّح أحد المتماثلين بلا مرجّح .

فقيل لهم : فيجوز تأييد الكذاب بالمعجز . فلا يبقى المعجز دليلا على صدق الأنبياء . فلا يبقى خبر نبي يعلم به الفرق . فيلزم – مع الكفر بالأنبياء – أن لايعلم الفرق ، لابسمع ولا بعقل .

فاحتالوا للفرق بين المعجزات وغيرها ، بأن تجويز إتيان الكذاب بالمعجزات يستلزم تعجيز البارى تعالى عما به يفرق بين الصادق والكاذب . أو لأن دلالتها على الصدق معلوم بالاضطرار . كما قد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع . و بين خطأ الطائفتين . وأن هؤلاء ، الذين اتبعو جهماً فى الخبر – ونفوا حكمة الله ورحمته ، والأسباب التى بها يفعل ، وما خلقه من القوى وغيرها – هم مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة و إجماع السلف ، مع

مخالفتهم لصريح المعقول . كما أن القدرية النفاة : مخالفون للكتاب والسنة و إجماع السلف ، مع مخالفتهم لصريح المعقول .

فصــل

والمقصود هنا : الكلام على قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأن هذه الآية تقتضى : أن العبد لايزال شاكراً مستغفراً .

وقد ذكر : أن الشر لايضاف إلى الله ، إلا على أحد الوجوه الثلاثة . وقد تضمنت الفاتحة الأقسام الثلاثة . هو سبحانه : الرحمن الذى وسعت رحمته كل شىء . وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها » وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه ، وهو الغفور الودود ، الحليم الرحيم .

فإرادته : أصل كل خير ونعمة ، وكل خير ونعمة فمنه (١٦ : ٥٣ وما بكم من نعمة فمن الله) وقد قال سبحانه (١٥ : ٤٩ ، ٥٠ نبىء عبادى : أنى أنا الغفور الرحيم) ثم قال (وأن عذابى هو العذاب الأليم) وقال تعالى (٥ : ٩٨ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه . فهى من موجب نفسه المقدسة ، ومقتضاها ولوازمها . وأما العذاب : فمن مخلوقاته ، الذى خلقه بحكمة ، هو باعتبارها حكمه ورحمة . فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه و إحسانه وجوده . ولا يأتيه الشر إلا من نفسه . فما أصابه من حسنة فمن الله . وماأصابه من سيئة فمن نفسه .

* * *

وقوله « وما أصابك » إما أن تكون كاف الخطاب له صلى الله عليه وسلم ـ كما قال ابن عباس وغيره ـ وهو الأظهر . لقوله بعد ذلك (وأرسلناك للناس رسولا) .

و إما أن تكون لكل واحد واحد من الآدميين ، كقوله (٨٢ : ٦ ياأيها الإنسان ، ماغرّك بربك الكريم ؟) لكن هذا ضعيف . فإنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولا مكانه و إنما تقدم ذكر طائفة قالوا ماقالوه . فلو أريد ذكرهم : لقيل « ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة » .

لـكن خوطب الرسول بهذا ، لأنه سيد ولد آدم . و إذا كان هذا حكمه كان هذا حكم غيره بطريق الأولى والأحرى . كما فى مثل قوله (٣٣ : ١ اتق الله ولا تطع الـكافرين والمنافقين) وقوله تعالى (٣٩ : ٦٥ لئن أشركت ليحبطن عملك) وقوله (١٠ : ٩٤ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك . فاسأل الذين يقرأون الـكتاب من قبلك) .

ثم هذا الخطاب نوعان : نوع يختص لفظه به . لـكن يتناول غيره بطريق الأولى ، كقوله (٦٦ : ١ ياأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك ، تبتغى مرضاة أزواجك ؟) ثم قال (قد فرض الله لـكم تَحِلَّةَ أيمانكم) .

ونوع : قد يكون خطابه خطابا لجميع الناس ، كما يقول كثير من المفسرين : الخطاب له والمراد غيره .

وليس المعنى : أنه لم يخاطب بذلك . بل هو المقدم فالخطاب له خطاب لجميع الجنس البشرى . و إن كان هو لايقع منه مانهى عنه . ولايترك ماأمر به بل هذا يقع من غيره . كما يقول ولى الأمر للأمير : سافر غداً إلى المـكان الفلانى . أى أنت ومن معك من العسكر وكما ينهى أعَزَّ من عنده عن شىء . فيـكون نهياً لمن دونه . وهذا معروف من الخطاب .

فقوله « ماأصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » الخطاب له صلى الله عليه وسـلم . وجميع الخلق داخلون فى هذا الخطاب بالعموم ، و بطريق الأولى . بخلاف قوله « وأرسلناك للناس رسولا » فإن هذا له خاصة . ولـكن من يبلغ عنـه يدخل فى معنى الخطاب ، كما قال صلى الله عليه وسـلم « بلغوا عنى ولو آية » وقال « نَضَّرَ الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه » وقال « ليبلغ الشاهد الغـائب » وقال « إن العلماء ورثة الأنبياء » وقد قال تعالى فى القرآن (٦ : ١٩ وأُوحِى إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بَلَغ)

* * *

والمقصود هنا : أن « الحسنة » مضافة إليه سبحانه من كل وجه . و « السيئة » مضافة

إليه من جهة أنه خلقها . كما خلق « الحسنة » فلهذا قال « كل من عند الله » ثم إنه إنما خلق السيئة لحكمة ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة ، بل تضاف إلى النفس التى تفعل الشر بها لا لحكمة . فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها . فإنها لاتقصد بما تفعله من الذنوب خيراً ، وما يكون فعله لأجله أرجح ، بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات . ولهذا كان فعل الله كله حسنا . لايفعل قبيحاً ولا سيئاً قط .

وقد دخل فى هذا سيئات الجزاء والعمل . لأن المراد بقوله « ما أصابك من حسنة ـ ومن سيئة » النعم والمصائب ، كما تقدم . لكن إذا كانت المصيبة من نفسه ـ لأنه أذنب ـ فالذنب من نفسه بطريق الأولى . فالسيئات من نفسه بلا ريب . و إنما جعلها الله منه مع الحسنة بقوله « كل من عند الله » كما تقدم . لأنها لاتضاف إلى الله مفردة . بل إما فى العموم ، كقوله « كل من عند الله » وكذلك الأسماء التى فيها ذكر الشر ، لاتذكر إلا مقرونة بغيرها ، كقولنا « الضار النافع المعطى المانع ، المعز المذل » أو مقيدة ، كقوله (٣٢ : ٢٢ إنا من المجرمين منتقمون)

وكل ما خلقه الله ـ مما فيه شر جزئى إضافى ـ ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك . مثل إرسال موسى إلى فرعون . فإنه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه . وذلك شر بالإضافة إليهم . لكن حصل به ـ من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة ، والاعتبار بقصة فرعون ـ ماهو خير عام . فانتفع بذلك أضعام أضعاف من استضرّ به . كما قال تعالى (٤٣ : ٥٥ ، ٥٦ فلما آسفونا انتقمنا منهم .فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) وقال تعالى بعد ذكر قصته (٧٩ : ٢٦ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى) .

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم شَقِىَ برسالته طائفة من مشركى العرب وكفار أهل الكتاب . وهم الذين كذبوه ، وأهلكهم الله تعالى بسببه . ولكن سعد بها أضعاف أضعاف هؤلاء .

ولذلك فإن من شقى به من أهل الكتاب : كانوا مبدلين محرفين قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم . فأهلك الله بالجهاد طائفة منهم . واهتدى به من أهل الكتاب أضعاف أضعاف أولئك .

والذين أذلهم الله من أهل الكتاب بالقهر والصغار ، أو من المشركين الذين أحدث فيهم الصغار ، فهؤلاء كان قهرهم رحمة لهم . لئلا يعظم كفرهم ، و يكثر شرهم .

ثم من بعدهم حصل من الهدى والرحمة لغيرهم مالا يحصيهم إلا الله . وهم دائما يهتدى منهم ناس من بعد ناس ببركة ظهور دينه بالحجة واليد .

فالمصلحة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم و إعزازه ، و إظهار دينه ، فيها من الرحمة التى حصلت بذلك مالا نسبة لها إلى ماحصل بذلك لبعض الناس من شر جزئى إضافى ، لما فى ذلك من الخير والحكمة أيضاً . إذ ليس فيما خلقه الله سبحانه شر محض أصلا ، بل هو شر بالإضافة .

(يتبع)

تعجيل الفطر

عن مالك بن عامر قال « دخلت على عائشة رضى الله عنها أنا ومَسْروق ، فقلنا : يا أم المؤمنين ، رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أحدهما : يُعَجِّل الإفطار و يعجل الصلاة . والآخرُ : يؤخِّرُ الإفطار و يؤخر الصلاة ؟ .

قالت : أيهما يُعَجِّل الإفطار و يعجل الصلاة ؟ قلنا : عبد الله . قالت : كذلك كان كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم » . أخرجه مسلم والترمذى والنسائى

الرجلان : هما عبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعرى .

مايقال عند الإفطار

عن مَرْوان ــ يعنى ابن سالم المقفَّع ــ قل « رأيت ابن عمر يَقْبِضُ عَلَى لحيته ، فيقطع مازادت على الكَفِّ ، وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : ذَهَبَ الظَّمأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إن شَاءَ اللهُ » . أخرجه النسائى وأبى داود

عن معاذ بن زُهرة : أنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان إذا أفطر قال « اللهم لك صُمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفطَرْتُ » . رواه أبو داود

باب الفتاوى

الطـــلاق الثلاث

ومايترتب عليه

من درر فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه وأرضاه :

هل يحل لمن طلق امرأته ثلاثاً أن يراجعها بدون نكاح ثان ؟ وما هو هذا النكاح ؟ وهل نكاح المحلل يعتبر فى الشرع نكاحاً . تحل به لزوجها ؟ .

أجاب رضى الله عنه :

الحمد لله رب العالمين .

إذا وقع بالمرأة الطلاق الثلاث : فإنها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره ، بالكتاب والسنة ، و إجماع الأمة . ولم يقل أحد من علماء المسلمين : إنها تباح بعد وقوع الطلاق الثلاث بدون زوج ثان . ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد كذب .

ومن قال ذلك ، واستحل وطئها ، بعد وقوع الطلاق الثلاث بدون نكاح ، وزوج ثان : فإن كان جاهلا يعذر بجهله ، مثل أن يكون قد نشأ فى ناس ومكان لايعرفون فيه شرائع الإسلام ، أو يكون حديث عهد بالإسلام ، ونحو ذلك . فإنه يُعَرَّف دين الإسلام . فإن أصرّ على القول بأنها تباح ، بعد وقوع الثلاث ، بدون نكاح ثان ، أو على استحلال هذا الفعل : فإنه يستتاب . فإن تاب ، و إلا قتل ، كأمثاله من المرتدين الذين يجحدون وجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، وحل المباحات ، التى علم ضرورة : أنها من دين الإسلام . وثبت ذلك بنقل الأمة المتواتر عن نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام . وظهر ذلك بين الخاص والعام . كمن يجحد وجوب مبانى الإسلام : من الشهادتين ، والصلوات الخمس . وصيام شهر رمضان

وحج البيت الحرام . أو يجحد تحريم الظلم وأنواعه : كالربا ، والميسر . أو تحريم الفواحش ، ماظهر منها ومابطن . ومايدخل فى ذلك : من تحريم نكاح الأقارب ، سوى بنات العمومة والخؤولة . وتحريم المحرمات بالمصاهرة . وهن أمهات النساء و بناتهن ، وحلائل الآباء والأبناء ، ونحو ذلك من المحرمات . أو حل الخبز واللحم ، والنكاح واللباس ، وغير ذلك مما علمت إباحته بالاضطرار من دين الإسلام. فهذه المسائل لم يتنازع فيها المسلمون : لا سُنِّيُّهم ، ولا بِدعيُّهم .

ولكن تنازعوا فى مسائل كثيرة من مسائل الطلاق والنكاح . وغير ذلك من الأحكام ، كتنازع الصحابة ـ والفقهاء بعدهم ـ فى لفظة «الحرام» هل هى طلاق ، أو يمين ، أو غير ذلك ؟ .

وكتنازعهم فى الكنايات الظاهرة : كالخَلِيَّة ، والبَرِيَّة ، والْبَتَّة : هل يقع بها واحدة رجعية ، أو بائن ، أو ثلاث ، أو يفرق بين حال وحال ؟

وكتنازعهم فى المُولِي : هل يقع بإيلائه الطلاق عند انقضاء المدة ، إذا لم يَفِيء فيها ، أم يوقف إلى ما بعد انقضائها ، حتى يفيء أو يطلق ؟

وكتنازع العلماء فى طلاق السكران والمكره . وفى الطلاق بالخط . وطلاق الصبى المميز . وطلاق الأب على ابنه . وطلاق الحَكَم الذى هو من أهل الزوج بدون توكيله . كما تنازعوا فى بذل أجر العوض فى الخلع بدون توكيلها . وغير ذلك من المسائل التى يعرفها العلماء

وتنازعوا أيضاً فى مسائل تعليق الطلاق بالشرط . ومسائل الحلف بالطلاق والعتاق ، والظهار ، والحرام ، والنذر . كقوله : إن فعلت كذا فعلىّ الحج ، أو صوم شهر ، أو الصدقة بألفٍ .

وتنازعوا أيضاً فى كثير من مسائل الأيمان مطلقاً فى موجب اليمين .

وهذا كتنازعهم فى تعليق الطلاق بالنكاح . هل يقع أو لايقع ؟ أو يفرق بين العموم والخصوص ؟ أو بين ما يكون فيه مقصود شرعى ، أو ليس فيه ؟ و بين أن يقع فى نوع مِلكٍ ، أو فى غير مِلكٍ ؟

وتنازعوا فى الطلاق المعلق بالشرط بعد النكاح : على ثلاثة أقوال .

فقيل : يقع مطلقا . وقيل: لايقع . وقيل : يفرق بين الشرط الذى يقصد وقوع الطلاق عند وجوده . و بين الشرط الذى يقصد عدمه وعدم الطلاق عنده .

فالأول ، كقوله : إن أعطيتينى ألفاً فأنت طالق . والثانى كقوله : إن فعلت كذا فعبيدى أحرار ، ونسائي طوالق ، وعليّ الحج .

وأما النذر المعلق بالشرط : فاتفقوا على أنه : إذا كان مقصوده وجود الشرط ، كقوله : إن شفى الله مريضى ، أو سَلَّمَ مالى الغائب ، فعليّ صوم شهر ، أو الصدقة بمائة : أنه يلزمه .

وتنازعوا فيما إذا لم يكن مقصوده وجود الشرط ، بل مقصوده عدم الشرط ، وهو حالف بالنذر . كما إذا قال : لا أسافر ، و إن سافرت فعليّ الصوم ، أو الحج ، أو الصدقة ، أو عليّ عتق رقبة ، ونحو ذلك : على ثلاثه أقوال .

فالصحابة وجمهور السلف : على أنه يجزئه كفارة يمين . وهو مذهب الشافعى وأحمد . وهو آخر الروايتين عن أبى حنيفة . وقول طائفة من المالكية ، كابن وهب ، وابن أبى الغمر وغيرهما .

وهل يتعين ذلك ، أم يجزئه الوفاء ؟ على قولين فى مذهب الشافعى وأحمد .

وقيل : عليه الوفاء . كقول مالك ، و إحدى الروايتين عن أبى حنيفة . وحكاه بعض المتأخرين : قولا للشافعى . ولا أصل له فى كلامه .

وقيل : لا شىء عليه بحال . كقول طائفة من التابعين . وهو قول داود وابن حزم .

وهكذا تنازعوا ــ على هذه الأقوال الثلاثة ــ فيمن حلف بالعتاق، أو الطلاق : أن لا يفعل شيئاً . كقوله : إن فعلت كذا فعبدى حر ، أو امرأتى طالق . هل يقع ذلك إذا حنث ، أو تجزئه كفارة يمين ، أو لاشىء عليه ؟ على ثلاثة أقوال . ومنهم من فرّق بين الطلاق والعتاق

واتفقوا على أنه إذا قال : إن فعلت كذا فعليّ أن أطلِّقَ امرأتى : لايقع به الطلاق . بل ولا يجب عليه أن يفعله ، إذا لم يكن قربة . ولكن هل عليه كفارة يمين ؟ على قولين .

أحدهما : يجب عليه كفارة يمين . وهو مذهب أحمد فى المشهور عنه . ومذهب أبى حنيفة فيما حكاه ابن المنذر ، والخطابى ، وابن عبد البر ، وغيرهم . وهو الذى وصل إلينا فى كتب أصحابه .

وحكى القاضى أبو يعلي وغيره عنه : أنه لا كفارة فيه .

والثانى : لا شيء عليه . وهو مذهب الشافعى .

فصــل

وأما إذا قال : إن فعلته فعليّ إذاً عتق عبدى . فاتفقوا على أنه لايقع العتق لمجرد الفعل . لـكن يجب عليه العتق . وهو مذهب مالك ، و إحدى الروايتين عن أبى حنيفة .

وقيل : لايجب عليه شيء . وهو قول طائفة من التابعين . وقول داود ، وابن حزم .

وقيل : عليه كفارة يمين . وهو قول الصحابة وجمهـور التابعين . ومذهب الشافعى وأحمد . وهو مخير بين التكفير والإعتاق ، على المشهور عنهما .

وقيل : يجب التكفير عيناً . ولم ينقل عن الصحابة شيء فى الحلف بالطلاق ـ فيما بلغنا ، بعد كثرة البحث ، وتتبع كتب المتقدمين والمتأخرين ـ بل المنقول عنهم : إما ضعيف ـ بل كذب من جهة النقل ـ و إما أن لا يكون فيه دليل على الحلف بالطلاق . فإن الناس لم يكونوا يحلفون بالطلاق فى عهدهم . ولـكن نقل عن طائفة منهم فى الحلف بالعتق : أنه تجزئه كفارة يمين . كما إذا قال : إن فعلت كذا فعبدى حر .

وقد نقل عن بعض هؤلاء نقيض هذا القول ، وأنه يعتق .

وقد تكلمنا على أسانيد ذلك فى غير هذا الموضع .

ومن قال من الصحابة والتابعين : إنه لايقع العتق . فإنه لايوقع الطلاق بطريق الأولى . كما صرّح بذلك من صرّح به من التابعين .

و بعض العلماء : ظن أن الطلاق لا نزاع فيه . فاضطره ذلك إلى أن عَـكَس موجب الدليل . فقال : يقع الطلاق ، دون العتاق .

وقد بُسط الـكلام على هذه المسائل ـ وُبيِّن مافيها من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان . والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين وحجة كل قول ـ فى غير هذا الموضع .

وتنازع العلماء : فيما إذا حلف بالله ، أو بالطلاق ، أو بالظهار ، أو الحرام ، أو النذر :

أنه لايفعل شيئاً ، ففعله ناسياً ليمينه ، أو جاهلا بأنه المحلوف عليه : فهل يحنث ؟ كقول أبي حنيفة ومالك ، وأحد القولين للشافعي ، و إحدى الروايات عن أحمد . أو لايحنث بحال ؟ كقول المكيين ، والقول الآخر للشافعي ، والرواية الثانية عن أحمد . أو يفرق بين اليمين بالطلاق والعتاق وغيرهما ؟ كالرواية الثالثة عن أحمد . وهو اختيار القاضي والخرقي وغيرهما من أصحاب أحمد . والقفال من أصحاب الشافعي .

وكذلك لو اعتقد : أن امرأته بانت بفعل المحلوف عليه . ثم تبين له أنها لم تبن . ففيه قولان .

وكذلك إذا حلف بالطلاق، أو غيره ، على شيء يعتقده كما حلف عليه ، فتبين بخلافه . ففيه ثلاثة أقوال كما ذكر .

ولو حلف على شيء يشك فيه ، ثم تبين صدقه . ففيه قولان : عند مالك يقع . وعند الأكثرين لايقع . وهو المشهور من مذهب أحمد . والمنصوص عنه في رواية حرب : التوقف في هذه المسألة . فيخرج على وجهين . كما إذا حلف ليفعلن اليوم كذا . ومضى اليوم ، وشك في فعله . هل يحنث ؟ على وجهين .

* * *

واتفقوا على أنه يرجع في اليمين إلى نية الحالف . إذا احتملها لفظه ، ولم يخالف الظاهر ، أو خالفه وكان مظلوما .

وتنازعوا : هل يرجع إلى سبب اليمين و بساطها وما يصحبها ؟ على قولين . فمذهب المدنيين ـ كمالك وأحمد وغيره ـ أنه يرجع إلى ذلك . والمعروف في مذهب أبي حنيفة والشافعي : أنه لايرجع . لكن في مسائلهما ما يقتضي خلاف ذلك . و إن كان السبب أعم من اليمين : عمل به عند من يرى السبب . وإن كان خاصاً : فهل يقصر اليمين عليه ؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره .

و إن حلف على معين يعتقده على صفة ، فتبين خلافها : ففيه أيضاً قولان .

وكذلك لو طلق امرأته لصفة . ثم تبين بخلافها . مثل أن يقول : أنت طالق أن دخلت الدار ـ بالفتح ـ أى لأجل دخولك الدار ، ولم تكن دخلت : فهل يقع به الطلاق ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره . وكذلك إذا قال : أنت طالق لأنك فعلت كذا ، ونحو ذلك . ولم تكن فعلته .

ولو قيل له : امرأتك فَعلتْ كذا . فقال : هى طالق . ثم تبين أنهم كذبوا عليها . ففيه قولان .

الطلاق بلفظ « الثلاث » ولفظ « الحرام »

وتنازع الناس فى الطلاق المحرم ، كالطلاق فى الحيض . وكجمع الثلاث عند الجمهور الذين يقولون : إنها حرام . ولكن الأربعة وجمهور العلماء يقولون : كونه حراماً لايمنع وقوعه . كما أن الظهار محرم ، وإذا ظاهر : ثبت عليه حكم الظهار . وكذلك النذر : قد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عنه . ومع هذا يجب عليه الوفاء به بالنص والإجماع .

والذين قالوا : لايقع ، اعتقدوا أن كل مانهى الله تعالى عنه فإنه يقع فاسداً . لا يترتب عليه حكمه .

والجمهور : فرقوا بين أن يكون الحكم نعمة لاتناسب فعل المحرم ، كحل الأموال ، والأبضاع ، وإجزاء العبادات . وبين أن يكون عقوبة تناسب فعل المحرم ، كالأيمان والتحريم . فإن المنهى عن شىء ، إذا فعله : قد يلزمه بفعله كفارة أو حدّ ، أو غير ذلك من العقوبات . فكذلك قد ينهى عن فعل شىء . فإذا فعله: لزمه به واجبات ومحرمات . ولكن لا ينهى عن شىء إذا فعله : أحلت له ـ بسبب فعله المحرم ـ الطيبات ، فبرئت ذمته من الواجبات . فإن هذا من باب الإكرام والإحسان . والمحرمات لاتكون سبباً محضاً للاكرام والإحسان . بل هى سبب للعقوبات ، إذا لم يعف الله تبارك وتعالى . كما قال تعالى (٤ : ١٦٠ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وقال تعالى (٦ : ١٤٦

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظُفُر ـ إلى قوله تبارك وتعالى ـ ذلك جزيناهم ببغيهم) .

وكذلك ماذكره ربنا سبحانه وتعالى فى قصة البقرة ، من كثرة لجاجتهم وتنطعهم فى سؤالهم ، وتوقفهم عن امتثال أمره : فقد كان سبباً لزيادة التشديد عليهم فيما أوجب . ومنه قوله تعالى (٥ : ١٠١ لاتسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤكم) .

وحديث النبى صلى الله عليه وسلم « إن أعظم المسلمين فى المسلمين جُرْماً : من سأل عن شىء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته » .

ولما سألوه عن الحج « أفى كل عام ؟ قال : لا . ولو قلت : نعم لوجب . ولو وجب لم تطيقوه . ذرونى ، ماتركتكم . فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه . وإذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم » .

ومن هنا قال طائفة من العلماء : إن الطلاق الثلاث حرمت به المرأة ، عقوبة للرجل حتى لا يطلق . فإن الله يبغض الطلاق . وإنما تأمر به الشياطين والسحرة ، كما قال تعالى فى السحر (٢ : ١٠٢ فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الشيطان ينصب عرشه على البحر . ويبعث جنوده ، فأقربهم إليه منزلة : أعظمهم فتنة . فيأتى أحدُهم ، فيقول : مازلتُ به حتى شرب الخمر . فيقول : الساعةَ يتوب . ويأتى الآخر ، فيقول : مازلت به حتى فعل كذا وكذا . فيقول : الساعة يتوب . ويأتى الآخر ، فيقول : مازلت به حتى فرقت بينه وبين امرأته . فيقبله بين عينيه ، ويقول : أنتَ ، أنتَ » .

وقد روى أهل التفسير والحديث والفقه : أنهم كانوا فى أول الإسلام يطلقون بغير عدد . يطلق الرجل المرأة . ثم يدعها ، حتى إذا شارفت انقضاء العدة راجعها . ثم يطلقها ضِراراً . فقصَرهم الله على الطلقات الثلاث . فإن الثلاث أول حدّ الكثرة ، وآخر حدّ القلة .

ولولا أن الحاجة داعية إلى الطلاق : لكان الدليل يقتضى تحريمه ، كما دلت عليه الآثار والأصول . ولكن الله تعالى أباحه رحمة منه بعباده ، لحاجتهم إليه أحيانا . وحرمه فى مواضع باتفاق العلماء . كما إذا طلقها فى الحيض ، ولم تكن سألته الطلاق . فإن هذا الطلاق حرام

باتفاق العلماء . والله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بأفضل الشرائع ، وهى الحنيفية السمحة . كما قال صلى الله عليه وسلم « أحب الدين إلى الله : الحنيفية السمحة » فأباح لعباده المؤمنين الوطء بالنكاح ، والوطء بملك اليمين .

واليهود والنصارى : لايطأون إلا بالنكاح . لايطأون بملك اليمين .

وأصل ابتداء الرق : إنما يقع من السبى والغنائم . والغنائم لم تحل إلا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . كما ثبت فى الحديث الصحيح : أنه قال « فُضِّلنا على الأنبياء بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة . وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا . وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحدٍ كان قبلنا . وكان النبى يبعث إلى قومه خاصةً ، و بعثتُ إلى الناس عامة . وأُعطيت الشفاعة » .

فأباح الله سبحانه للمؤمنين أن ينكحوا ، وأن يطلقوا ، وأن يتزوجوا المرأة المطلقة ، بعد أن تتزوج بغير زوجها .

والنصارى يحرمون النكاح على بعضهم . ومن أباحوا له النكاح : لم يبيحوا له الطلاق .

واليهود يبيحون الطلاق . لكن إذا تزوجت المطلقة بغير زوجها : حرمت عليه عندهم والنصارى لا طلاق عندهم . واليهود لا مُراجَعة عندهم ، بعد أن تتزوج غيره . والله تعالى أباح للمؤمن هذا وهذا .

ولو أبيح الطلاق بغير عدد ـ كما كان فى أول الأمر ـ كان الناس يطلقون دائما ، إذا لم يكن أمر يزجرهم عن الطلاق . وفى ذلك من الضرر والفساد ما أوجب تحريم ذلك .

ولم يكن فساد الطلاق لمجرد حق المرأة فقط ، كالطلاق فى الحيض ، حتى يباح دائما بسؤالها . بل نفس الطلاق ، إذا لم تدع إليه الحاجة : منهى عنه باتفاق العلماء ، إما نهى تحريم ، وإما نهى تنزيه .

وما كان مباحاً للحاجة : يقدر بقدر الحاجة . والثلاث : هى مقدار ما أبيح للحاجة . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . يلتقيان ، فيُعرض هذا و يُعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »

وكما قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر : أن تُحِدّ على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج . فإنها تُحِدّ عليه أربعة أشهر وعشرا » .

وكما رخص للمهاجر : أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا .

وهذه الأحاديث فى الصحيح . وهذا مما احتج به من لا يرى وقوع الطلاق إلا مع القصد . ولا يرى وقوع طلاق المكره . كما لا يكفر من تكلم بكلمة من الكفر مكرهاً ، بالنص والإجماع . ولو تكلم بالكفر مستهزئاً بآيات الله . وبالله ورسوله : كفر . كذلك من تكلم بالطلاق هازلاً : وقع به [1] .

ولو حلف بالكفر ، فقال : إن فعل كذا فهو برىء من الله ورسوله . أو فهو يهودى أو نصرانى : لم يكفر بفعل المحلوف عليه ، وإن كان هذا حكماً معلقاً بشرط فى اللفظ . لأن مقصوده الحلف به ، بغضاً له ونفوراً عنه . لا إرادةً له . بخلاف من قال : إن أعطيتمونى ألفاً كفرت . فإن هذا يكفر .

وهكذا يقول من يفرق بين الحلف بالطلاق وتعليقه بشرط لا يقصد وجوده . وبين الطلاق المقصود عند وقوع الشرط .

ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف إلى أن الخلع فسخ للنكاح . وليس هو من الطلقات الثلاث . كقول ابن عباس . والشافعى وأحمد ، فى أحد قوليهما . لأن المرأة افتدت نفسها من الزوج ، كافتداء الأسير . ليس هو من الطلاق المكروه فى الأصل . ولهذا يباح فى الحيض ، بخلاف الطلاق .

وأما إذا عدل هو عن الخلع ، وطلقها إحدى الثلاث بعوض : فالتفريط منه .

وذهب طائفة من السلف ـ كعثمان بن عفان وغيره ـ إلى أنه لا يجب فى الخلع عدة إلا استبراؤها . وهو مذهب إسحاق وغيره . ورووا فى ذلك حديثاً مرفوعاً . وبعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد : جعلوه مع الأجنبى فسخاً كالإقالة .

---

(١) لاسواء . فإنما كفر لاتخاذه آيات الله هزؤا . وإذا هزل أو سخر بقول لايقصده ولا يخطر له معناه على بال . فما بال الزوجة والأولاد والزوجية التى لا غبار عليها تفصم عراها ؟ وهل مايروى فى هذا من القوة والثبوت بحيث يقوى على فصمها ؟ !

والصواب : أنه مع الأجنبى كما هو مع المرأة . فإنه إذا كان افتداء للمرأة ، كما يفتدى الأسير ، فقد يفتدى الأسير بمال منه و بمال من غيره . وكذلك العبد يعتق بمال يبذله هو ، و بمال يبذله الأجنبى . وكذلك الصلح يصح مع المدعى عليه ، ومع أجنبى . فإن هذا جميعه من باب الإسقاط والإزالة .

و إذا كان الخلع رفعاً للنكاح ، وليس هو من الطلاق الثلاث : فلا فرق بين أن يكون المال المبذول من المرأة ، أو من أجنبى .

وتشبيه فسخ النكاح بفسخ البيع : فيه نظر . فإن البيع لايزول إلا برضى المتبايعين . لايستقل أحدهما بإزالته ، بخلاف النكاح . فإن المرأة ليس لها إزالته . بل الزوج يستقل بذلك . لكن افتداؤها نفسها منه كافتداء الأجنبى لها .

* * *

ومسائل الطلاق ، وما فيها من الإجماع والنزاع : مبسوطة فى غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : أنه إذا وقع به الثلاث : حرمت عليه المرأة بإجماع المسلمين . كما دل عليه الكتاب والسنة . ولا تباح له إلا بنكاح ثانٍ مقصود به قصد النكاح الأول ، و بوطئه لها ، عند عامة السلف والخلف . فإن النكاح المأمور به : يؤمر فيه بالعقد و بالوطء ، بخلاف المنهى عنه . فإنه نهى فيه عن كُلٍّ من العقد والوطء . ولهذا كان النكاح الواجب والمستحب : يؤمر فيه بالوطء مع العقد . والنكاح المحرم : يحرم فيه مجرد العقد .

وقد ثبت فى الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لامرأة رفاعة القُرَظى لما أرادت أن ترجع إلى رفاعة بدون الوطء ـ لا ، حتى تذوقى عُسيلته ، و يذوق عسيلتك » .

وليس فى هذا خلاف إلا عن سعيد بن المسيب ، فإنه ـ مع أنه أعلم التابعين ـ لم تبلغه السُنة فى هذه المسألة .

والنكاح المبيح : هو النكاح المعروف عند المسلمين . وهو النكاح الذى جعل الله فيه بين الزوجين سكونا ومودة ورحمة . ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه « حتى تذوقى عسيلته ، و يذوق عسيلتك » .

فأما نكاح المحلِّل : فإنه لايحلها للأول عند جماهير السلف .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله المحلِّلَ والمحلَّل له » وقال عمر ابن الخطاب « لا أوتَى بمحَلِّلٍ ولا محلَّل له إلا رجمتهما » .

وكذلك قال عثمان ، وعلي ، وابن عباس ، وابن عمر رضى الله عنهم وغيرهم « إنه لايبيحها إلا نكاح رغبة ، لا نكاح تحليل » ولم يُعرف عن أحد من الصحابة : أنه رخص فى نكاح التحليل .

ولكن تنازعوا فى نكاح « المتعة » فإن نكاح المتعة خير من نكاح التحليل من ثلاثة أوجه .

أحدها : أنه كان مباحاً فى أول الإسلام ، بخلاف التحليل .

الثانى : أنه رخص فيه ابن عباس ، وطائفة من السلف ، بخلاف التحليل . فإنه لم يرخص فيه أحد من الصحابة .

الثالث : أن المتمتع له رغبة فى المرأة ، وللمرأة رغبة فيه إلى أجل . بخلاف المحلل . فإن المرأة ليس لها رغبة فيه بحال . وهو ليس له رغبة فيها كذلك . بل رغبته فى أخذ مايُعطاه . وإن كان له رغبة : فهى من رغبته فى الوطء ، وقضاء الشهوة فقط ، لا فى اتخاذها زوجةً . فهى رغبة من جنس رغبة الزانى . ولهذا قال ابن عمر « لايزالان زانيين ، وإن مكثا عشرين سنة . إذا اللهُ علم من قلبه : أنه يريد أن يحلها له » ولهذا انعدمت فيه خصائص النكاح . فإن النكاح المعروف : كما قال الله تعالى (٣٠ : ٢١ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها . وجعل بينكم مودةً ورحمة) والتحليل فيه : البغضة والنفرة ولهذا لايظهره أصحابه . بل يكتمونه ما استطاعوا كما يُكتم السِّفاح .

ومن شعائر النكاح : إعلانه . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « أعلنوا النكاح ، واضربوا عليه بالدُّف » ولهذا يكفى فى إعلانه : الشهادة عليه . عند طائفة من العلماء . وطائفة أخرى : توجب الإشهاد والإعلان . فإذا تواصَوا بكتمانه : بطل .

ومن ذلك : الوليمة عليه ، والنثار ، والطيب ، والشراب . ونحو ذلك مما جرت به عادة الناس فى النكاح .

وأما التحليل : فإنه لا يفعل فيه شىء من هذا . لأن أهله لم يريدوا أن يكون المحلل زوج المرأة . ولا أن تكون المرأة زوجه . وإنما المقصود عندهم : استعارته لينزو عليها . كما جاء فى الحديث المرفوع : تسميته « بالتيس المستعار » ولهذا شبّه بحمار العشريين ، الذى يكترى للتقفيز على الإناث . ولهذا لا تبقى المرأة مع زوجها إذا عادت إليه بعد التحليل كما كانت قبله . بل لا بد أن يحصل بينهما نوع من النفرة . ولهذا لم يكن فى التحليل مقصود صحيح يأمر به الشارع . وصار الشيطان يشبه فيه بأشياء مخالفة للاجماع ، بل للفطرة .

فصار طائفة من عامة الناس : يظنون أن ولادتها لذكر يحلها ، أو أن وطئها بالرِّجْل على قدمها ، أو رأسها ، أو فوق سقفٍ ، أو سُلم هى تحته : يحلها .

ومنهم : من يظن أنهما إذا التقيا بعرفات ، كما التقى آدم وامرأته : أحلها ذلك .

ومنهن : من إذا تزوجت بالمحلل : لم تمكنه من نفسها . بل تمكنه من أمَةٍ لها .

ومنهن : من تعطيه شيئاً ، وتوصيه بأن يقرّ بوطئها .

ومنهم : من يحلل الأم و بنتها . إلى أمور أُخر ، قد بسطت فى غير هذا الموضع . بيناها فى كتاب « بيان الدليل على بطلان التحليل » .

ولا ريب : أن المنسوخ من الشريعة ، وما تنازع فيه السلف : خير من مثل هذا . فإنه لو قدر أن الشريعة تأتى بأن الطلاق لاعدد له : لكان هذا ممكناً . و إن كان هذا منسوخا .

وأما إن يقال : إن من طلق امرأته : فإنها لاتحل له حتى يستكرى أو تستكترى هى من يطؤها ، فهذا لاتأتى به شريعة .

وكثير من أهل التحليل يفعلون أشياء محرمة باتفاق المسلمين . فإن المرأة المعتدة : لايحل لغير زوجها أن يصرّح بخطبتها . سواء كانت معتدة من عدة طلاق ، أو عدة وفاة . قال تعالى (٢ : ٢٣٥ ولا جناح عليكم فيما عَرّضتم به من خِطْبَة النساء أو أكْنَنْتُمْ فى أنفسكم .

علم الله أنكم ستذكرونهن . ولكن لا تواعدوهن سراً ، إلا أن تقولوا قولا معروفا . ولا تعزموا عُقْدَة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) .

فنهى الله سبحانه وتعالى عن المواعدة سراً ، وعن عزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله . وإذا كان هذا فى عدة الموت : فهو فى عدة الطلاق أشد باتفاق المسلمين . فإن المطلقة قد ترجع إلى زوجها بخلاف من مات عنها .

وأما التعريض : فإنه يجوز فى عدة المتوفى عنهـا ، ولا يجوز فى عدة المطلقة الرجعية . وفيما سواهما نزاع .

فهذه المطلقة ثلاثاً : لا تحل لأحد أن يواعدها سراً ، ولا يعزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله باتفاق المسلمين .

وإذا تزوجت بزوج ثان ، وطلقها ثلاثاً : لم يحل للأول أن يواعدها سراً . ولا يعزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، باتفاق المسلمين . وذلك أشد وأشد .

وإذا كانت مع زوجها : لم يحل لأحد أن يخطبها ، لا تصريحاً ولا تعريضاً باتفاق المسلمين . فإذا كانت لم تتزوج بعدُ : لم يحل للمطلق ثلاثاً أن يخطبها ، لا تصريحاً ولا تعريضاً باتفاق المسلمين .

وخِطْبتها فى هذه الحال : أعظم من خطبتها بعد أن تتزوج بالثانى . وهو أن أهل التحليل : قد يواعد أحدهم المطلقة ثلاثاً ويعزمان ـ قبل أن تنقضى عدتها . وقبل نكاح الثانى ـ على عقدة النكاح ، بعد النكاح الثانى ـ نكاح المحلل ـ ويعطيها ما تنفقه على شهود عقد التحليل والمحلل . وما تنفقه على نفسها عليها فى عدة التحليل . والزوج المحلل لا يعطيها مهراً ولا نفقة عدة ولا متعة طلاق .

فإن كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز فى عدة نكاحها بالثانى : أن يخطبها الأول ، لا تصريحاً ولا تعريضا . فكيف إذا خطبها قبل أن تتزوج بالثانى ؟ .

وإذا كان بعد أن يطلقها الثانى : لا يحل للأول أن يواعدها سراً ، ولا أن يعزم عقدة

النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله . فكيف إذا فعل ذلك من قبل أن تطلق ؟ بل قبل أن تتزوج ؟ بل قبل أن تنقضى عدتها منه ؟

فهذا كله : يحرم باتفاق المسلمين . وكثير من أهل التحليل يفعله .

وليس فى التحليل صورة اتفق المسلمون على حلها . ولا صورة أباحها النص .

بل من صور التحليل : ما أجمع المسلمون على تحريمه .

ومنها ما تنازع فيه العلماء .

وأما الصحابة : فلم يثبت عن أحد منهم : أنه أباح شيئاً من صور التحليل .

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه « لعن المحلل والمحلل له » .

وهذا ــ وغيره ــ يبين : أن من التحليل ماهو شر من نكاح المتعة وغيره من الأنكحة التى تنازع فيها السلف .

وعلى كل حال : فالصحابة أفضل هذه الأمة ، و بعدهم التابعون ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « خير القرون : القرن الذى بعثت فيهم . ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

فنكاح : تنازع السلف فى جوازه : أقرب من نكاح أجمع السلف على تحريمه . وإن تنازع فيه الخلف . فإن أولئك أعظم علماً وديناً .

وما اشتبه على بعضهم تحريمه : كان أمره أحق مما اتفقوا على تحريمه . وإن اشتبه تحريمه على من بعدهم . والله تعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على محمد وآله أجمعين .

خطبة منـــــــــــــبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبــــة الأولى

الحمد لله الذى أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، بل جعله مستقيما عادلا قيماً ، لينذر بأساً شديداً لمن جحده وأعرض عنه ، وطلب الهدى فى غيره ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ما كثين فيه أبداً ـ على هداه وأمره ـ أجراً حسنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة مؤمن يرجو بها رضاه ، ويسأله وحده ولا يسأل سواه ، ولا اتخذ من دونه ولياً ولا شفيعاً ولا إلهاً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك . فجزاه الله عنا خير الجزاء ، وصلى الله وسلم و بارك عليه . وجعلنا الله من آله واتباع سنته وهديه فى الدنيا ، وحشرنا تحت لوائه يوم القيامة .

أيها المسلمون ، لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى . فبعث فينا أكرم رسله ، وأنزل علينا أجمع وأهدى كتبه : القرآن هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور ، من الجهل والشكوك والشبهات . فاستمسك به من كان قبلنا ، وعضوا عليه بالنواجذ . فتخلقوا بخلقه ، وتأدبوا بآدابه . وحكَّموه فى أنفسهم وأموالهم . فكانوا ـ رضى الله عنهم ـ خير أمة أخرجت للناس . يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . ويؤمنون بالله . يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه . ويتحرون تنفيذ عقائده وشرائعه وتطبيقها عملياً . على أنفسهم . وعلى مجتمعهم . فسادوا وانتصروا . وكانت لهم الغلبة والعزة والنصر على غيرهم . ثم جعلنا خلائف من بعدهم فاتخذنا هذا القرآن وراءنا ظهرياً . فضعفنا وتفككت قوانا وأغرى بيننا العداوة والبغضاء وألبسنا لباس الجوع والخوف ، فهُنَّا على أنفسنا ، وهُنَّا على الناس ، وأصبحنا غثاءً كغثاء

السيل ، وتحيط بنا وتغمرنا لجج من الفتن . ولا نجاة من ذلك كله ولا فلاح ، إلا إذا عدنا إلى القرآن نتلوه حق تلاوته ، ونتدبره ونفهم مقـاصده ، وشرائعه وعقائده ، مؤمنين به هادياً للتى هى أقوم فى كل شأن من شئون الدنيا والدين .

قال علي رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول « إنها ستكون فتن . قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله تعالى ، فيه نبأ ماقبلـكم ، وخبر مابعدكم ، وحُكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبـار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحـكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشـد فآمنا به) من قال به صَدَق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل . ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم » .

هـذا هو القرآن الذى وصفه عات من عتاة المشركين ، وهو الوليد بن المغيرة بقوله : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، و إن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، و إنه يعلو ولا يعلى عليه ، و إنه ليحطم ما تحته ، وما يقول هذا بشر .

هذا هو القرآن الذى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن والفاجر معه ، فيما يُرْوى فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن : مَثَل الأُتْرُجَّة ، ريحها طيب وطعمها طيب . ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن : مثل التمرة ، طعمها طيب ولاريح لها . ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن : كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر . ومثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن : كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها » .

فمن العجب العاجب ،والمؤلم المؤسف ، أيها المسلمون : أن يَدّعى أولئك الذين يتغنون بالقرآن و يستهزئون به ، و يتأكلون بتلاوته . من المؤسف المحزن حقاً : أنهم يدعون الإيمان

بالقرآن ، وهم يستحلون محارمه ، ويخالفون عن أمره ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » .

فاتقوا الله أيها الناس فى أنفسكم فانصحوا لها بتحرى الرشاد والهدى . واحفظوا تراث نبيكم ، واجعلوا القرآن دستوراً لكم فى حياتكم ، واستهدوا بنوره فى ظلمات طريقكم يصلح الله من شأنكم ، ويهديكم إلى التى هى أقوم فى شئون حياتكم ، ويخرجكم من ظلمات المتاعب والمصاعب التى تحيط بكم ، ويخرج الأضغان من قلوبكم . ويجعلكم به إخواناً متعاونين . ويجعله الله لكم أنيساً فى قبوركم وقائداً لكم إلى دار الكرامة ، فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، بفضله ومَنّه وكرمه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدوعلى آله أجمعين ، وجعلنا الله وإياكم من آله وحزبه المفلحين .

الخطبـــــــة الثانية

الحمد لله ، حمداً يليق بجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، وسابغ نعمه وآلائه ، لانحصى ثناء على ربنا ، هو كما أثنى على نفسه . وأشهد أن لاإله إلا الله ، المتصف بجميع صفات الكمال والجلال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً . فعليه من الله أفضل الصلاة ، وأزكى التسليمات ، وجزاه الله عنا خير ماجزى به نبياً ناصحاً أميناً عن أمته .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول ، وهو أصدق قائل (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً)

فمن أحب لنفسه الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، وسلامة القلب ، ونقاء الروح ، وزكاء النفس ، والفلاح فيما يأتى وما يدع ، من أمور دنياه : فعليه بالقرآن . يتلوه ويتدبره حق تلاوته وتدبره ، ويأخذ من نوره قبساً لروحه وقلبه . فيجد سبيل الحياة أمامه نيرة واضحة وتمتلىء جوانحه إيماناً وصدقا وحباً للخير ، ويجد عيشه سعادة وهناء وسروراً . راضياً عن الله وحكمه وقدَره وما قسَم له ، مرضياً عليه ، موفقاً فى بيته وأهله وولده وعمله ، مادام يستضىء بنور القرآن الذى جعله الله هادياً لأقوم سبيل ، وخير طريق ، وأسعد حياة .

روى مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الصفا . فقال « أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان ـ أو قال : العقيق ـ فيأتى بناقتين كوماوين ـ أى عظيمتين ـ فى غير إثم ولاقطيعة رحم ؟ قلنا : كلنا يارسول الله يحب ذلك . قال . أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى ؟ فهو خير من ناقتين . وثلاث خير له من ثلاث . وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل » .

فتعاهدوا القرآن بالقراءة والتدبر والفهم ثم العمل به ، وعلموه لأهلكم وإخوانكم ، فإن ذلك من خير ماتقدمونه لأنفسكم . ولقد روى البخارى عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

أيها المسلمون ، لقد غشنا دعاة السوء وأضلونا عن سواء السبيل ، إذ يخيفوننا من تلاوة القرآن ، ويحذروننا من فهمه وتدبره ، ويحرمون علينا مسه . والرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم يحبب إلينا قراءته وتدبره . فقد روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه ـ وهو عليه شاق ـ له أجران » .

فاتبعوا أيها المسلمون نصيحة نبينا الناصح لنا ، الرءوف الرحيم بنا لعلكم ترحمون .

والقرآن يهدى الله به ـ فوق أنه كتاب إلى أسعد حياة وأقوم سبيل ـ فإنه يعطى الله من يتلوه طالباً فيه العلم والهداية ، ثواباً لايعلم قدره إلا هو سبحانه . فلقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى ، فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها . لاأقول «ألم» حرفا ، ولكن أقول : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

جعلنى الله وإياكم من المهتدين بهدى القرآن ، المستمسكين بعروته الوثقى ، العاملين بما أمر به ، المنتهين عما نهى عنه ، الداعين إليه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

(طه ـ يس)

هل هما من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ؟

بقلم الأستاذ محمد صالح سعدانه

من الشائع عند عامة المسلمين من عصور متطاولة : أن « طه ، و يس » المفتتح بهما سورتين من سور القرآن الكريم ، اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم .

وليس هذا بصحيح أصلا ، حيث إن هذه الحروف أسماء للسور التى بدئت بها وحروف من حروف الهجاء ، أنزلها الله تعالى هكذا ، ولتكون حجة على العرب الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين بلغت بهم الفصاحة والبلاغة جداً جعلهم يعلقون على أستار الكعبة المشرفة ماتجود به قرائح بلغائهم من أشعار مكتوبة بماء الذهب . كان هذا شأنهم وشأن إعجابهم ببلاغتهم .

فالرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث بهذا القرآن الكريم ـ الذى هو من جنس كلامهم . فإن حروفه وكلماته مثل كلماته ليكون معجزاً لهم . ولهذا طالب القرآن الكريم العرب البلغاء بقوله تعالى (فائتوا بسورة من مثله) كما فى سورة البقرة . و بقوله تعالى (فائتوا بعشر سور مثله مفتريات) كما فى سورة هود عليه السلام ، تعجيزاً لهم وتبكيتاً .

وأما قول القائلين بأن قوله تعالى (طه) و (يس) من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب بعدهما موجه إليه بقوله تعالى (ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) فى السورة الأولى و بقوله تعالى (إنك لمن المرسلين) كما فى السورة الثانية : فمردود عليهم ، وليس الأمر كما هو موجه فيهما فيما زعموا ، إذ هناك كثير من السور مبدوءة بمثل هذه الحروف والخطاب بعدها موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما هو موجه فيهما .

ثم إن هذه الحروف التى فى أوائل سور القرآن لاتقرأ إلا مقطعة ساكنة غير معربة ،

هكذا : طاء هاء . وكذلك « يس » مثل قراءة قوله تعالى « ص » صاد وقوله تعالى « ن » نون و « ألم ، وألمر ، وكهيعص ، وحمعسق » ولا فرق .

وهـذه هى القراءة المشهورة التى توارد نقلها إلينا ولا يقرأ المسلمون إلا بها . فجميع الحروف المقطعة المبدوءة بها سور القرآن تقرأ على هذا النسق دون استثناء .

و إذا جعلنا توجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعد هذه الحروف المبدوءة بها تلك السور سبباً للتسمية ـ مع أنه لايجوز تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ـ أقول : إذا جعلنا توجيه الخطاب سبباً للتسمية ، جاز لنا أن نسمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل أسماء الحروف التى فى أول سورة الأعراف فإنه سبحانه وتعالى يقول (المص) لأن الخطاب بعد هذه الحروف موجه إليه بقوله تعالى (كتاب أنزل إليك) فاسم النبي صلى الله عليه وسلم على هذا (المص) .

وجاز لنا أيضاً أن نسميه بمثل أسماء الحروف الموجودة فى أول سورة مريم عليها السلام حيث يقول الله تعالى (كهيعص) لأن الخطاب بعدها إلى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) فيكون (كهيعص) اسماً له صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين الحروف فى هاتين السورتين و بين الحروف فى سورتى (طه ، ويس) ولأن الخطاب فى السور الأربع جميعاً موجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا الذى يزعمه القائلون بذلك : هو مما لم يقل به أحد من سلف الأمة الصالحين ، ولا جاء به خبر صادق عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه أسماء من أسمائه ، إذ لو كان الأمر كما زعموا لـكان متواتراً .

وإذا أردنا أن نستقصى السور التى ورد فيها الخطاب موجهاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد هذه الحروف فى أوائل السور ، وجدناها كثيرة . مثال ذلك : سورة البقرة (الم ذلك الـكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وسورة إبراهيم عليه السلام فإنها مبدوءة بقوله تعـالى (الر . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وكذلك سورة الشعراء مبدوءة هكذا (طسم . تلك آيات الـكتاب المبين . لعلك باخع نفسك

ألا يكونوا مؤمنين) وأيضاً فإن سورة القصص مثلها هكذا (طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق) .

فأنت ترى ـ أيها القارىء الكريم ـ أن هذه السور : البقرة ، و إبراهيم ، والشعراء ، والقصص ، هى كما فى سور : طه ، و يس ، والأعراف ، ومريم ، كلها فيها الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وعلى زعم المتخذين طه و يس اسمين له صلى الله عليه وسلم : فلا مناص من تسميته صلى الله عليه وسلم بأسماء هذه الحروف كلها المبدوءة بها تلك السور على أنها أسماء له . وهكذا نجد سور : الشورى ، والزخرف ، ون .

و إذا رجعنا إلى التفاسير التى بين أيدينا ، فإنا نجد أن معظم المفسرين الذين يعول على تفسيرهم ـ أمثال الأئمة : ابن كثير ، وابن جرير الطبرى ، والبغوى وغيرهم : لم نجد أحداً منهم يقول : إنهما اسمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يقيم على ذلك دليلا يعتمد عليه المؤمنون الذين يدينون بقول الله لهم (فإن تنازعتم فى شىء فردوه الله إلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) .

و بعد : فيتبين مما سبق أن (طه) و (يس) ليسا من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء ، ولا حجة للقائلين بذلك . ولا يصح تسميته بها ، كما لا يصح لأحد أن يسمى الرسول صلى الله عليه وسلم بأسماء لم تكن معهودة فى خير القرون ، ولم يسمه الله تعالى بها ، ولا أثر تسميته بها عن أحد من صحابته الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين .

و يكفى تسميته صلى الله عليه وسلم بما ورد فى السنة من أسمائه ، مثل : محمد ، ومحمود ، وأحمد ، والحاشر ، والعاقب ، وغيرها كما ورد فى البخارى ومسلم وغيرهما ، من كتب السنة . ورحم الله القائل : اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة .

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) .

التواشيح الدينية

للأديب عبد السلام رزق الطويل

> « من الناس من يلبس عليهم الشيطان دينهم ، ويكسو لهم الباطل بثياب الحق ، فيختلط عليهم الأمر ويباعد بينهم وبين الهدى والدين ، حتى يخلدوا إلى الأرض ، ويتبعوا هواهم ، أولئك هم الغافلون » .

منذ أسابيع قليلة كانت صحيفة « الجمهورية » الغراء ميداناً لمعركة حول بدعة من البدع وجدت لها بين المتمسلمين أنصاراً ، وبين حزب الشيطان أعواناً . أصفهم بذلك ، ولا أدرى أكانوا يصدرون فيما يصدرون عنه عن جاهلية بحسن نية ، أم عن عناد وسوء نية ؟ فالله وحده هو العليم بخفايا القلوب ، وسواء هنا حسن النية وسوءها ، إذ لو أحسنوا النية لاستقاموا على طريق العلم الصادق من كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأحسنوا الفهم والتدبر للدين ، وخلعوا عن أنفسهم ثياب الهوى . تلك هى بدعة التواشيح ! !

ورأيت صوت حق ينبعث من مواطن مسلم فى دمياط ، أحاط به شرذمة من هؤلاء المروجين لسلع البدع والأضاليل فى سوق الباطل السوداء ، يريدون أن يخفت ذلك الصوت ، وأن يخبو ذلك النور ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

فرأيت لزاماً علىّ إحقاقاً للحق ، ومظاهرة لأهله : أن أكتب فى هذا الموضوع ، حتى ينضم برهان إلى برهان . فلعل أن يرتفع صوت الحق بذينك البرهانين . وننشر ما كتبته جريدة « الجمهورية » فى عددها الصادر فى يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ الموافق ١١ يناير سنة ١٩٥٦ م ونصه :

كتب القارىء عبد السلام رزق الطويل الطالب بكلية اللغة العربيـة يرد على من يطالبون بإذاعة التواشيح فيقول : تساءلتم عن التواشيح الدينية . هل هى خرافات ؟ والواقع

أنها كذلك ، فماذا فيها ؟ فيها أوصاف كلها مغالاة وشطط للرسول عليه الصلاة والسلام وأهل بيته ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم . إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا : عبد الله ورسوله » ثم بماذا يصفون الرسول ؟ تلك كبرى المخازى . إنهم يصفونه كما يصف عاشق تيمه الحب ، وأضناه الغرام محبوبته ، من بياض الوجه و إشراقه ، وجمال القوام واعتداله ، و يظنون بذلك أنهم أحبوا الرسول ! وكذبوا ، إذ حبه فى طاعته وانتهاج طريقه . هلا وصفوه بما وصفه الله به حيث يقول (و إنك لعلى خلق عظيم) ويقول و (بالمؤمنين رءوف رحيم) و يقول (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فذلك خير وأهدى وأقوم قيلا .

لهذا فإنى أقول إن هذه التواشيح غريبة على الإسلام ، دخيلة عليه . أدخلتها دولة العبيديين التى كان لها سلطان فى مصر حقبة من الدهر ــ فيما أدخلت على الإسلام من بدع وخرافات ، لكى يستقر ملكهم ، ويدوم سلطانهم ، ونحمد للأذاعة امتناعها عن إذاعتها فتلك رغبة المسلمين الذين يغيرون على الأسلام الصحيح . وذلك جهد مشكور لتطهير الدين كما طهرت الحياة السياسية من المفسدين .

وعندما كنت أتصفح الجمهورية يوم السبت التالى إذا بى أجد من هؤلاء الذين يلذ لهم الدفاع عن الباطل ــ من يرد على بخطاب طويل أنزه صفحات المجلة عن أن تشغل بمثله ، ويتهمنى فيه بأنى أقول : إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس جميلا ، ولاأدرى كيف استنتج ما استنتج من الكلام الذى سردته ، ثم يدعم حجته بحلم طويل ، يدعى فيه أنه كأنه عرج به إلى السماء حيث رأى الرسول وجلس معه ، ووجده جميلا لدرجة لا تتصورها العقول ، وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم جميلا . فيجب أن نقول التواشيح الغزلية : إشادة بجماله .

فانظر إلى هذه البراهين الخيالية التى نسجها لهم ذكاء الشيطان .

ثم يختم حجته بأنى من الوهابيين المأجورين . وما كان لى أن أرد على هذا الحلم اللذيذ ، وذلك العبث واللغو ، ولكنى خشيت إن لم أفعل أن يظن ــ ولا سيما من ينتشون لهذه الأحلام الشيطانية ــ أن الحق قد قصرت حجته ، وأعوزه الدليل على أحقيته ، فكتبت

مدعماً البرهان ببرهان ، والحجة بالحجة ، وتجنبت ماستطعت لغو القول ، والجدال الشخصى ، والتنابذ الكلامى الذى لا يثمر ثمرة ، ولا يوصل إلى نتيجة ، ونشر ما كتبت بالجمهورية ـ فى باب من القراء و إليهم ـ العدد الصادر يوم الثلاثاء ١٩٥٦/١/١٧ ونصه :

« من حقى أن أرد . ومن حقى أن أدافع عن رأيى ، وليس لى رد على الكلمات التى تمسنى إلا قوله تعالى (قالوا : سلاما) و إنى لا أجد فى نفسى حاجة للرد على السيد الموظف بخصوص التواشيح . إذ يكفى ما حكاه من قصة المعراج الخيالية التى زعم أنها حدثت له كما حدث لمحمد بن عبد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام الذى يقول « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » كنت أنتظر أن يرد بالحجة ، تقهر الحجة و بالبرهان يدفع البرهان ، ولكنه اكتفى من الرد بالسباب .

من ذا الذى ينكر جمال الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وأنه كان ربعة فى الرجال مكتمل الخَلْق ، ولكن مابهذا يمدح العظيم ، ومابهذا توصف الرسل . و إن من الأساءة أن نصف مصلح البشرية ، ومنقذ الإنسانية ، وهادى الخلق أجمعين ، بهذه الصفات الخَلْقية التى لا تميز الإنسان عن الإنسان ثم نضرب صفحاً عن الصفات الخُلُقية والآثار الكريمة .

والله فى القرآن الكريم لم يجعل مقياس الكرامة بالجمال والحسن ، بل بالإيمان والتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وما انهارت شخصية المسلمين إلا منذ أن نبذوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم : وأخذوا يبحثون عن جمال خَلْقه تاركين جمال رسالته وشريعته . ولا زلت أقول : إنها بدعة عبيدية ، وأن الأذاعة أحسنت صنعاً بإلغائها ، وليفند هذه الحجج أساتذتنا العلماء ، وليست المسألة مسألة عاطفة . إنما المسألة مسألة دين وهدى ورسالة . مهما قال عنى حضرة الفاضل : إنى وهابى . وقديماً وجهت نفس هذه الكلمة إلى الشيخ محمد عبده ، وهو يفوقنى قدراً وعلماً كما وجهت لغيره من كبار المصلحين . والحق أحق أن يتبع ، وهو واضح لا يختلف فيه اثنان ، اللهم إلا المعاندون .

تلك هى معركة التواشيح إحدى البدع الفاطمية التى لا زالت جذورها ممتدة بين العادات والتقاليد السائدة فى مصر ، ونسبوها إلى الدين ، والدين منها براء بل هو منها براء. ونرجو أن ، تصغى الإذاعة والناس لصوت الحق ، وتلبى نداءه وتجيب كلمته ، و إنا لمنتظرون

أخبار الجماعة

يوم عظيم في بور سعيد

ألقى أحد كبار رجال التعليم فى بور سعيد محاضرة عنوانها : « التصوف المفترى عليه » بنادى رمسيس . وهو من النوادى العظيمة ذات الأثر القيم الفعال فى الناحيتين : الثقافية ، والاجتماعية . وثمت رغب إخواننا البررة ـ من أنصار السنة ـ إلى السادة القائمين على أمر النادى ، رغبوا إليهم فى أن يُؤْذَنَ لى فى إلقاء محاضرة رداً على محاضرة الأستاذ الكبير ، وأرسل إلى الإخوانُ : أن النادى قد أذن لى فى ذلك . فتوجهت يوم الخميس ١٥/٣/١٩٥٦ إلى بور سعيدَ ، فسعدنا بلقاء إخواننا أيما سعادة ، ورأيت على وجوههم فرحة البشر ، ونور النصر ، وحماسة الإيمان ، وثورة التعصب المؤمن للحق تشتعل فى نفوسهم .

و بعد صلاة العشاء توجهنا إلى النادى ، فرحب بنا السادة أعضاؤه أجمل ترحيب ، ترحيبا فيه أصالة النبل ، وأريحية السماحة . وعلى رأسهم الأستاذ الكبيرعلى الألفى . وآخرون لاتحضرنى أسماؤهم ، وإن كانت عواطفهم الكريمة لا تزال تتجاوب لها مشاعرى بالشكر وعرفان الجميل .

وغص النادى على سعته بفئات عديدة من رجال الدين والتعليم فى المدينه العظيمة ، وكان من نعم الله أن التقيت بصاحبى الفضيلة الأستاذين الكريمين الأستاذ الشيخ معوض عوض والأستاذ الشيخ على عمارة واعظى المدينة ، لجدد لقاؤهما الكريم ذكريات سعيدة طيبة أيام الزمالة فى الدراسة . جدد لى ذكريات الخلق المتين ، والأدب الوافر ، والحرص البالغ على الدرس من الأخوين الكريمين .

و بدأت فى إلقاء المحاضرة وعنوانها « الأسلام والتصوف » وكان منهجنا فى المحاضرة عرض أصول الصوفية تاركا للجمهور الكريم الفاضل المقارنة فى عدل و إنصاف بين ماسمعوا عن الإسلام ، و بين ماسمعوا عن التصوف .

وكنا ونحن نعرض أساطير الصوفية حول وحدة الوجود ، ووحدة الأديان نتـلو على السامعين النصوص من كتب الصوفية ، وكنت قد حملتها معى ، حتى لا أدع لمنـكرى الحق من عشاق الصوفية فرصة يَهْتَبِلُونها ، فيعلنون أمام الناس أننا نفترى على الصوفية مالم يقولوه .

وكان لقراءة النصوص من كتب الصوفية الأثر البالغ فى نفوس الناس ، وكان ماتلوته جديداً كل الجدة على سمع كثيرين إذ كانوا يظنون أن الصوفية شىء له مكانته على كل حال !! فإذا بهم يرون الصوفية هى الشىء كله فى كل كفر ما !!

وظللنا نتلو حتى الساعة التاسعة مساء ! !

ثم قام أحد رجال التعليم من الصوفية يعلق على محاضرتنا ، فلم يقل شيئاً سوى ما يقوله الذى ينأدَّ تحت صدمة الحق ، وإن كان قد تفضل علينا مشكوراً بأننا ندس السُّمَّ فى الدسم ولا أدرى ماالسم الذى يعنيه أو السم الذى يقصده ، ولو أنصف لقال أننا نميز الخبيث من الطيب ، والباطل من الحق !!

لهذا قام مشكوراً يترك المكان لأستاذه الـكبير الذى كان قد ألقى المحاضرة من قبلى بأسبوع دفاعا عن الصوفية . وقام الأستاذ الـكبير يدفع عن دين الصوفية سهام الحق النافذة فراح يعرض الإسلام على أنه هو التصوف زاعما أن الصوفيـة بدأت منذ تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء وماقبلها « ما كنت تدرى ما الـكتاب ، ولا الإيمان »

ثم راح يؤكد أنه لا يستطيع الرد على ما ذكرناه من نصـوص لأنه غير مستعد . وحدثت مقاطعة ، فانتهزها الأستاذ الـكبير فرصة وغادر المـكان غاضبا ، فلم يتبعه إلا عدد قليل مِمَّن له عليهم سلطان المنصب .

وقد علق الأستاذان الجليلان الواعظان فضيلة الشيخ معوض ، وفضيلة الشيخ على تعليقا أرضى الحق كل الرضى فى أسلوب رصين قوى مهذب نبيل .

وكان مما قالاه : كان ينبغى على الأستاذ الـكبير وهو يدافع عن الصوفية أن يرد رداً شافياً على هذه النصوص القاطعة ، دون أن يعتذر بأنه غير مستعد ، لأن المؤمن بشىء يجب

أن يكون على عدة دائماً للدفاع عما يؤمن به ، يجب أن يكون خبيراً بدقائقه وتفاصيله عليما بكل مايوجه إليه من مطاعن ، خبيراً بالرد عليها و بدفعها . ثم قالا : إننا نريد إسلاما صحيحاً لاشيئاً اسمه التصوف . وإن قالوا إن التصوف هو الإسلام ، قلنا : ماأحوجنا الآن إلى تثبيت الاسم والمسمى فى قلوب الناس . بل يجب أن نحتفظ لهذا الإسم بقدسيته ، ولا نبغى به بديلا ، فإنه وحده العَلَمُ على الحقيقة . وقالا حقا عظيما غير ماذكرت .

أما الأستاذ العصفورى فنى لباقة وكياسة و بيان جميل ، فقد أنحى باللائمة على من قاطعوا الأستاذ لأن الحقيقة ضاعت بهذه المقاطعة ، إذ فهم الناس من أسبوع أن الصوفية هى الإسلام ، أما اليوم ، فمن هذه النصوص التى سمعناها نحكم بأن الصوفية كفر !! فَمَعَ مَنْ الحق ياترى ؟ !!

وانفض النادى . وفى ظهيرة الجمعة ألقيت خطبة الجمعة بالمسجد العباسى الكبير وتجاوب الناس مع الحق ، وجاشت نفوسهم بالضراعة وفاضت عيونهم بالدموع ، مما يشهد لأهل بور سعيد بالفطرة النقية الصافية التى يقودها الحق المبين وكان من المؤسف أن أحد كبار الصوفية غادر المسجد مسرعا حين علم أننا سنخطب الجمعة . وغادرت بورسعيد بعد ذلك . وفى نفسى شكر وحمد لله العلى الذى ينصر أولياءه ، ثم لإخواننا الذين غمرونا بكل عطف ورعاية ومحبة ، وللسادة أعضاء نادى رمسيس ، وللأخوين الكريمين صاحبى الفضيلة واعظى المدينة الجليلين .

عبد الرحمن الوكيل

سهرة فى مولد السيدة

النـــذور

تحصل وزارة الأوقاف على ٣٠ ألف جنيه من النـذور كل عام .

وتبلغ حصيلة صندوق نذور السيدة زينب سنوياً حوالى ١٢ ألف جنيه تقريباً . . . تأخذ الوزارة نصفها . . . وبجوار هذه النذور .. توجد النذور العينية . . كالشمع ، والأقمشة ، وتستولى عليها كلها وزارة الأوقاف حيث تبيعها فى مناقصة عامة ! ! .

الموالد . .

يقام فى مصر كل عام ١٩ مولداً . . والمولد يكون كبيراً ، أو صغيراً . حسب من يقام له . .

فمولد السيد البدوى يستمر ثلاثة أسابيع . . ويحج إليه كثيرون من أنحاء القطر كله . .

ومولد السيدة زينب : يستمر أسبوعين . وهو من الموالد الكبيرة أيضاً . .

كذلك مولد الحسين . . والدسوقى ، والبيومى . . تعد من الموالد الكبيرة . التى تهتم بها كثير من الطوائف والهيئات .

وبجوار هذه الموالد الكبيرة . توجد الموالد الصغيرة ، التى لا تستمر أكثر من أسبوع . . . ولا يشترك فيها غير أهل المنطقة ودراويشها . . كمولد العفيفى ، والكردى ، والدسطوطى . . والبهى بطنطا . .. والانبابى بالجيزة . . وسيدى ملوخية ببنى سويف . .

وأكبر منطقة للأولياء : هى القاهرة . حيث يقام بها وحدها ٣٧ مولداً . . كل عام ! !

ويرجع تاريخ الموالد ، إلى أيام الفاطميين . حيث كان الشعب على خلاف دائم معهم

فابتدعوا كثيراً من الأعياد والموالد ، ليلهونه عن الحكم . . وكان أن ابتدعوا ٣٧ موسماً يحتفل بها المسلمون كل عام . .

وكان بعض هذه المواسم عجيباً للغاية . ففى أول الشتاء يقيمون عيداً يسمى « كسوة الشتاء » وفى أول الصيف يقيمون « كسوة الصيف » وفى الربيع النيروز . .

أما الموالد : فقد أحيوها وجعلوها أعياداً . تشترك فيها كل طبقات الشعب . وتقام الأسمطة . . أى موائد الطعام ، فى قصر الخليفة ، حيث يتصدر المائدة ، وتأكل الفطائر والحلوى . . .

نظرة . . ياسيدة . مدد ياست . . مدد يام هاشم .

* * *

تسمع هذه الابتهالات . . بين ضجيج عريض . . يملأ ميدان السيدة . . والشوارع المتفرعة منه . . بين أصوات نداءات الباعة ، وآهات الغناء . . ورنين صاجات الرقص ، وجرس افتتاح حفلة السيرك ، وصوت أجش، مخنوق ، يصيح مدد يا . . ست . .

فالقاهرة الآن . . تعيش فى واد . . وحى السيدة زينب يعيش فى واد آخر . . هو مولد السيدة ـ أم هاشم ـ حيث تختلط اختصاصات خمس وزارات فى قهوة المجذيب . . وحلقة الصعايدة . ودراويش الست . . عند مايبدأ المولد فى ٦ رجب من كل عام . ويفتتحه وزير الأوقاف ، بحفلة شاى تقام فى المسجد . . ثم يبتدىء ليالى المولد . . فى المسجد . . وفى الميدان ، وفى الأزقة ، والحوارى ، وفى قسم السيدة أيضاً .

تعالوا نتفرج على المولد . . تعالوا ندخل شارع السد .

الفتـــــــاة النرية

شارع السد . . مدينة ملاهى كاملة . .

عالم يموج بالألعاب البهلوانية ، والباعة ، والدراويش ، وزوار الست ، والنشالين ، والقادمين مثلى يتفرجون . .

البروفسير حسين مرزوق ، مع الفتاة الكهربائية . .

الفتاة الذرية . . مع الخواجا سيكو . .

فتاة النار ، التى تشعل السيجارة من فخذها .

هنا . . هنا الألعاب السحرية . .

وتدفع خمسة مليمات . رسم الدخول ، لكل لعبة . ثم تدخل فترى فتاة عارية تماماً . . إلا من مايوه صغير ، وسوتيان أصفر . . يتصل بكلتا يديها تيار كهربائى يمر فى جسدها . . ثم تضاء ثلاث لمبات نيون بمجرد لمسها فتراها وهى فى الماء . . تأخذ بيدها شريطاً معدنياً تقر به من جسدها فيشتعل . . ويشعل منه أحد الواقفين سيجارة . . ويصيح الواقفون متزاحمين حول بعضهم كالسردين . مدد . . مدد ياست ، ياصاحبة الكرامات . . مدد . .

والفتاة الذرية . .

فتاة الأطباق الطائرة . .

الفتاة التى تطير فى الهواء . .

وتقدم مثلى لتر هذه الفتاة ، وهى تنام على دكة خشبية أمام المتفرجين ، وقد وقف أمامها الدكتور المنوم المغناطيسى . . يحملق فى وجهها ويعبس ، ويرفع جاجبا ، ويخفض آخر . . ويتمتم بكلمات غير مسموعة . . فتنام الفتاة . نزولا على رغبة الجماهير .

والأراجوز الفنى . . عبده الهندى . . المطربة نجاة المنصورية . . . تغنى .

نزولا على رغبة الجماهير . . . الفلاحين ، والعيال ، وأولاد ، وبنات البلد . . . تغنى المطربة نجاة ـ أغنية ياعلى .

ويبدأ العرض الثانى . . الساحر العجيب . عبده الهندى . .

أمام (الأراجوز الفنى) انتشرت موائد الألعاب . ألعاب جرب حظك . . بقرش صاغ تكسب (منبه) وبتعريفة تكسب (علبة سجاير) .

ومررت على نيشان الخيل ـ البندقية ـ ولعبة الأطواق ، ولعبة الأرقام ـ لعبة الفتوات .

ووسط هذه الألعاب . . توجد المراجيح ، ولعبة الموت . . بيللو ، والموتوسيكل

العجيب . . . . بيللو . . . اللاعب الجرىء . . الذى رفضت جميع شركات التأمين أن تؤمن على حياته .

و يستمر هذا المنادى يصيح من السادسة صباحا حتى السادسة من صباح اليوم التالى . طوال أيام المولد .

ـ يا الله .. آخر حفلة . . الحفلة دى وخلاص . : الحق احجز مكان . .

ان رسم الدخول قرشان للرجل . أما إذا كان الداخل سيدة . . فإن رسم الدخول قرشان . . و « قرصة » . :

رنجو سودانى

مدد . . مدد ياأم هاشم .

غرفة الإعدام . . فاطمة الحبشية تتقطع جثتها أربع قطع ، وأبوها يبتلع السيف . . بعد ذبحها .. مدد ياسيدة زينب .

رونجو . . رونجو سودانى .

والرونجو السودانى . . طبلة معدنية . حولها جماعة كلهم من السود . . يغنون . . و يرقصون . . رونجو . . رنجو سودانى . . ومدد .

مدد ياست .

مدد يا أم كل الموجودين فى هذا المولد الكبير . حيث ينتشر المتشردون والمفسدون بكل أنواعهم هنا .

المجاذيب ، والشحاتين ، والدروايش ، والمنشدين الذين يتزعمون حلقات الذكر . ومشايخ الطرق الصوفية الذين يجمعون النذور .. والقهوجية المتجولين ، وست دكك . وطبل بلدى ، وراقصة تهتز وسطها أمام خيمة وحولها جدعان يصفقون لها على واحدة ونص . وسلام ياجدع . . سلام للست ، وكمان سلام ، وموال أحمر . يزعق به الريس أبو سماعين . . يترنم به مع هزات وسط الراقصة

واشهر أغانى المولد . . هى . . « ياعلى » . وخلال تاوهات الراقصة وهى تنثنى تنزل فتاة تجمع النقطة من الجمهور . . وهو يصيح آه ياعلى .. ياعلى . .

ومعظم رواد هذه الحلقات صعايدة . .

والراقصة تعلم أنهم ان يدفعوا شيئاً أول الأمر ، ولكنها ترقص أمامهم . وتمايل عليهم . ثم تربت على أكتافهم . وتلمس وجوههم . . ثم تغمز بعينيها وتبتسم ابتسامة لها معنى فيهرش الصعيدى قفاه ، و يخرج القرش .

وتنتشر هذه الحلقات أكثر من حلقات الرقص الرجالى ، أو المختلط ، التى تقيمها جماعة الطرق الصوفية . و يتخذها أولاد البلد موسماً لهم . لسهرات الإنسجام . وشرب الجوزة المدندشة ، ولهذا فكثيراً ما يهجم البوليس عليها . و يعكنن المزاج .

يا ناعس الأجفان . .

مدد . .

مدد يافاطمة يابنت الرسول . .

مدد . .

ثم أجد فى قهوة المجاذيب . .

السيد قائد المجاذيب . . قائدهم العام . .

يجلس فى صدر المقهى على دكة خشبية . فوق فروة خروف . . يلبس حلة صفراء . . عليها عدة أوسمة ونياشين من النحاس ، و يمسك بيده سيفاً خشبياً كبيراً وعصا ، وعلى رأسه طرطور أحمر . . تبرز منه بضع ريشات . .

وقريباً منه تجلس الست . .

والست امرأة بدينة . . وتملأ ركن المقهى . فى فستانها الشيت الأسود ، وطرحتها الحريرية السمراء . . تدخن سيجارة ، وهى سارحة فى ملكوت الله . . مبتسمة بوجهها الأبيض السمين . . وعيونها التى يملأها الكحل ، والزبائن والمريدين . . يدخلون بين لحظة وأخرى . . يسلمون على القائد العام . . وعليها . و يطلبون لأنفسهم ولها أيضاً . . حلبة . . أو قرفة . . أو ينسون .

وأوركسترا القهوة . . هى الفرقة النيطانية الحسينية ، وهى من فرق الموالد ، والأفراح البلدية ، والزار أيضاً . .

و يبدأ منشد الفرقة فى أول الليل . .

و يستمر الغناء . .

والست تمنح نظراتها هنا وهنـاك . . حتى يمضى من الليل جزء كبير قبل أن يقول المنشد أغانى جديدة .

ياناعس الأجفان . . . .

يافاتن الغزلان . . . .

يامسعد الأحباب . . . .

ودقات الدفوف تأتى من بعيد . .

ومقدمة الموكب تبدو أمامى ، والرجال يتطوحون . . متمايلين لليمين ولليسار . . والدفوف تدق . . تـكاد تملأ أذنى ، وتتسرب إلى أعماق ، والرءوس تميل . . وأنا أوشك أن أتدروش معها أنا الآخر .

بينما يصيح من بين الشاطحين والناطحين من يصرخ فى انفعال يقول : مدد .. ياست

« نقلاً عن مجلة صباح الخير فى ٨ مارس سنة ١٩٥٦ »

وقد ناشدت (مجلة المصور) المسئولين فى عددها الصادر بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٥٦ ـ باسم الدين والقانون ـ القضاء على هذا اللون القاتم ، من البدع المفسدة ، والمساخر التى رسخت فى عقول الدهماء ، والبسطاء لطول السكوت عليها ـ على أنها من الدين ـ ولـكنها ليست من الدين فى شىء وأهابت بهم أن يجتثوا هذا الفساد من جذوره .

و(الهدى النبوى) تهدى هذه « السهرة » للمسئولين لعلهم يمحون هذا الفساد .

والحمد لله الذى عافانا ، وهدانا إلى صراطه المستقيم ، ونجانا من ظلمات وفساد ووثنية هذه الموالد . ونسألك اللهم أن تفتح بصائر الأمة الإسلامية ، وأن تـكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ، وتمحو عنها ظلمات الجهالة .

سراب صوفى نعرفه

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

الصوفية : غير الإسلام . كما أن الظلام والباطل والكفر ، غير النور والحق والإيمان . . هذه حقيقة نؤمن بها . لأنها حَقٌّ يُلْهِمُه الدين ، ويقرره العقل ، وتوحى به الفطرة الخالصة من شوائب التقليد الأصم الأبكم ، ومنذ نشأت الصوفية وهى فى حرب ماكرة مع الإسلام ، إذا فترت حرارة فى القلوب وسلك المسلمون سبيل الهوى ، استعلنت الصوفية بحربها ، فقضت على الرمق الشاحب من صفاء العقيدة فى كثير من القلوب ، وراحت تنشر كتبها تحت سمع و بصر كثير من الحكام الذين كانت قلوبهم وسيوفهم وأموالهم مع المجوسية ، وسرابُ نفاقهم مع اسم الإسلام . بيد أن الله سبحانه سخر لهذه الأمة فريقا من المؤمنين ، وعلى رأسهم زعيمهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، يبصرها من كيد الصوفية . وثمت راحت الصوفية تلوذ بِشِفٍّ من النفاق لا يخفى ما وراءه إلا على عُمْيِ البصيرة ، فتارةً تبرأ مما تقول إذا شامت الطعنة النجلاء من الحق تكاد تمس منها الشغافَ ، وتارةً تحاول تأويل ما تقول تأويلا يُدْنيه من لمحات الحق إذا شامت بعض العقول التى يستعبدها سحر القول ، وتسحرها خديعةُ السراب ، ويقودها نفاقُه الكلم المعسول ، وأحيانا تزعم أنه قد دُسِّى عليها غير ماتدين به ، إذا شامت بَعْضَ مَنْ ليسوا على بصيرة بمعتقد الصوفية . وأحياناً تزعم أن لما تقول معانى لايفقهها إلا ذوو البصيرة التى تصلها الأشعة الربانية بأسباب السماء ، وذلك إذا شامت بعض من يؤمنون بأن الجهل خير من المعرفة .

هذا شأن الصوفية قديماً ، وشأنها حديثاً مع الناس جميعاً . نعم هو شأنها فى الحديث منذ قامت دعوة الحق يبشر بها أنصار السنة . مستمدة عونها من الله وحده ، وحجتها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد حاولت الصوفية هذه المحاولة المتهافتة معنا فيما ترد به أحيانا علينا ، أو فيما تجادلنا به فى المجالس[1] فعلها أحدهم فيما رَدَّ به على مانشره لنا

(١) ضمنى وشيخ التيجانية مجلس فى منزل رجل كبير كريم ، فكان أن أقسم الرجل ـ حين =

الأستاذ التابعى فى جريده الأخبار . وفعلها أخيراً أستاذ كبير على حظ كبير من الثقافة الأدبيةوذلك فى محاضرة ألقيناها بنادى رمسيس ببور سعيد . وخلاصة ماقاله الأستاذ الكبير دفاعا عن الصوفية حين تلونا على المستمعين من كتب الصوفية نفسها نصوصا تدمغها بالزندقة الملحدة !! خلاصة دفاعه قوله :,

أن للصوفية أحوالا من السكر بالجمال الإلهى ، فيهتفون فيها أحيانا بأقوال قالوها فى حال من السكر .

ويقول الحق ردا على هذا الزعم : أيجوز فى شرعة العقل ـ فضلا عن الدين ـ أن نأخذ ديننا عن السكارى ؟! .

أيجوز أن نجعل قدوتنا فى الدنيا قوماً يسكرون ، فيكفرون ؟ .

وأى عقل هذا الذى يجعل الصحو اليقظان حِلْسًا مستعبداً لِلْهَوَسِ السكران ؟ ثم هل من يجلس ، ويأتى بالمحبرة . ويمسك بالقلم ويقضى فى تسجيل هذه الأساطير ساعات وساعات ثم يمضى لينشرها بين الناس فى كتاب ينسخه هذا وذاك . هل من يعمل ذلك يعتبر سكرانا أو مجذوبا كما يحاول الأستاذ الكبير، ليدفع عن قلب الصوفية الطعنة القاتلة ؟! هذا بعض مايقوله الحق ردا على محاولة الدفاع عن الصوفية تلك التى تزعم أنهم سكارى !!

والمحاولة الثانية التى مَهّد لها الأستاذُ الكبيرُ بأشتاتٍ من القول . تزعم أن الصوفية قد دُسَّ عليها الكثيرُ كما دُسَّ على النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا زعمٌ تلوذ به الصوفية حين تُرْهِبُها من الحق صولتُه ، وحين ترى عوارها ، وقد انهتك للناس ، فبدت فى صورة أمها الأصلية المجوسية .

وإلا فليقل لنا دعاة هذا الزعم : ماالمدسوس ؟ وأين هو ؟ وهل فَصَل أحدهم بين الزائف والأصيل من الصوفية أو المدسوس من غير المدسوس ؟!

= فجأته أمام دراويشه بنصوص ابن عربى ـ أنه لم يقرأ كتاب الفصوص وسألناه رأيه فى هذه النصوص ، فحكم بكفر قائلها فطالبته بأن يسجل لى بخطه هذا الحكم بعد أن أكتب له هذه النصوص فيمهرها بإمضائه وحكمه ولكنه كعادة الصوفية لاذ بالفرار .

لقد وفق الله سبحانه ـ رجال هذه الأمة من الأبرار ، ففصلوا لنا بين الخبيث والطيب . فيما نسب إلى رسول الله ، بينوا الكاذب من الصادق لأنهم مؤمنون . فأين مافعله السادة الأخيار الصوفية ؟!! وليعذرونا إذا وصفناهم بصفات المؤمنين .

وأقول لهم مرة أخرى : هل الفتوحات المكية ، ونصوص الحكم . وعنقاء مغرب وذخائر الأغلاق . وكلها لابن عربى . هل هذه الكتب مدسوسة ؟ هل فيها شيء مدسوس ماأظن أنهم فى هذه الجرأة . وإلا جردوا ابن عربى من تاجه الصوفى . فهو ماسمى عند الصوفية بالشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر إلا لأنه مؤتفك هذه الكتب التى جعل فيها الزندقة الصماء دينا للصوفية وهل الإنسان الكامل للجيلى ، والديوان لابن الفارض ، وهيا كل النور وفلسفة الإشراق للسهروردى . هل هذه الكتب مدسوسة ؟

قولوا لنا أيها السادة : أين هو المدسوس ؟ وما هو ؟ لنزداد فى نقدكم إنصافا ولنعلن على الملأ فى غير مخادعة أننا كنا مخطئين !!

قولوها بصدق غير متجانف لإثم ، قولوها بألسنتكم وأقلامكم لنسجلها لكم شجاعة ومغفرة .

ومما قاله الأستاذ الكبير ـ دفاعاً عن الصوفية ـ أن لكلامهم معانى بعيدة الغور لايفقهها غير السادة من الصوفية ممن تصلهم بالله نوافح الإلهام !!

ياسبحان الله !! أيصبح إذن فهم أعمق أسرار الدين ، وتكاليفه وقفا على فئة صغيرة ، وتبقى الأمة بدينها على جهالة ؟ ! أليس هذا معناه أن تصبح الفئة الكثيرة على عبودية خانعة لهؤلاء الذين يفقهون تلك المعانى لعلهم يوما يفقهون عنهم مايعبدون به الله ، أو مايصفون به الله ؟ أيرضى مسلم لنفسه أن يظل رَهْنَ هذا الإسار الظلوم ، وأن يظل معطل العقل والفكر بل أن يظل بهيمة عجماء يقودها سيدها الظلوم إلى الهلكة ؟! ترى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفقه هذه المعانى أم لا يفقهها ؟ إن كانت الأولى ، فكان الواجب عليه تبيانها ، وإلا خالف عن أمر ربِّه وهُوَ لَمْ يُبَيِّنها فعلا بزعمكم . فمعنى هذا اتهامكم له صلى الله عليه وسلم بخيانة رسالة ربه !! وإن كانت الأخرى ، فمعنى هذا أنكم تتهمون بالعى والقصور

عن إدراك معنى ما أنزل الله عليه من ربه إذا كذبنا أنفسنا وصدقناكم فيما تزعمون من أن لأقوال شيوخكم معانى لايفقهها سواهم أما إذا صدقنا الحق وكذبنا كذب الصوفية فإنا نقول : إن الصوفية فى قولها ودينها وكتبها بينة جلية ، حتى تستطيع الحكم على دينها بأنه مخالف كل المخالفة للاسلام بمجرد تصوره دون حاجة إلى برهان عقلى ، أو دليل منطقى مطلقاً !! واقرأوا معى أيها السادة هذه النصوص الصوفية[1] و بينوا لنا معناها إن كنتم حقا صادقين فى قولكم أن لهامعانى علية يفهمها الصوفية وحدهم . وما أظن أن الأستاذ الكبير يرضى لنفسه أن نفهم فيه أنه لايفهم كالسادة الكبار من الصوفية ، و إلا جعله ذلك مظنة أنه يعبد الله بشىء يجهل معناه !!

يقول عبد الكريم الجيلى متحدثا عن الذات الإلهية ـ وهو من أكبر زعماء الصوفية ـ :

ذات لها فى نفسها وجهان ... للسفل وجه ، والعلا الثانى
ولكل وجهٍ فى العبارة والأدا ... ذات وأوصاف ، وفعلٌ بيان
إن قلت: واحدة. صدقت،و إن تقل ... إثنان . حقا . إنه إثنان
أو قلت : لا . بل إنه لَمُثَلَّثٌ ... فصدقْتَ . ذاك حقيقة الإنسان
انظر إلى أحدية هى ذاته ... قل : واحد . أحد فريد الشان
ولئن تُرى الذاتان ، قلت: لكونه ... عبداً وربًّا . إنه إثنان
وإذا تصفحت الحقيقة واللتى ... جَمَعَتْه مِمَّا حُكْمُه ضِدَّان
تحتار فيه ، فلا تقول لسفله ... عال ، ولا لعلوِّه دانى
بل سَمِّ ذلك : ثالثاً ، لحقيقة ... لحقت حقائق ذاتها وَصْفَانِ
فهى المسمِّى أحمد من كون ذا ... ومحمد لحقيقة الأكوان[2]
وهو المعرَّف بالعزيز وبالهدى ... من كونه رَبًّا فِدَاه جَناني

يقول : الذات الإلهية ثلاثة أقانيم : إله واحد . الاول : الذات . الثانى : الربوبية ،

(١) لم ترد هذه النصوص فى كتابى « هذه هى الصوفية »

(٢) ص ١ ج ١ الإنسان الكامل ط ١٢٩٣ هـ .

الثالث : العبودية . فالذات الإلهية : كانت أولا فى مرتبة الأحدية ، أى الوجود المطلق ثم تعينت فى ذاته ، فكانت رَبًّا ، ثم تكثرت الذات فى مظاهر عديدة ، فسميت باعتبار تكثراتها ، أو مظاهرها : عبداً .

فالذات الإلهية تسمى رَبًّا ، باعتبار باطنها ، وعبداً باعتبار ظاهرها ؟ فما ذلك الظاهر ؟ إنه مظاهر الوجود السفلية ، والعلوية ! ! فليس هنالك خالق ، ولا مخلوق ، وإنما هنالك ذات واحدة ، هى الخالق ، وهى الخلق ، فى آن واحد ! ! وقد ظهرت هذه الذات بربوبيتها وعبوديتها فى أتم مظهر لها ، وهو محمد ! ! وفى ذلك يقول ابن عربى :

الرب حق ، والعبد حَقٌّ ياليت شِعْرِى : مَنْ الْمُكَلَّف ؟ !
إن قلت : عبدٌ ، فذاك نَفْيٌ أو قلت : رَبٌّ أَنَّى يُكَلَّفُ ؟ !

فليفسر لنا الصوفية هذا الشعر الوثنى ، ليبينوا لنا تأويله وتفسيره ، لعلنا نعود على أنفسنا باللائمة ! ! ثم يفسر الجيلى لنا صفات الذات الإلهية ، أو جوهره المفرد وكونها تجمع بين النقيضين المتقابلين تقابلا حقيقياً فى صفاتها وأسمائها . ولهذا الجوهر غرضان .

الأول : الأزل . الثانى : الأبَد . وله وصفان :

الوصف الأول : الحق ، والوصف الثانى : الخلق . وله نعتان : النعت الأول : القِدَم والنعت الثانى : الحدوث . وله إسمان : الاسم الأول : الرب . . والإسم الثانى : العبد . وله وجهان الوجه الأول : الظاهر . وهو الدنيا . والوجه الثانى : الباطن ، وهو الأخرى . وله حكمان : الحكم الأول : الوجوب . والثانى : الإمكان [1] » .

الله : هو كل شىء . الله : هو هذه الأشياء ، فهو واجب ممكن ، قديم حادث ، حَقٌّ ، خَلْقٌ ، رَبٌّ ، عبد ، هو الدنيا ، وهو الآخرة .

تعالى الله . وإنما هو الوهم الصوفى ، الذى عبدوه .

فانظروا إلى إلٰه الصوفية ، هذا المسكين التعس ، المنكود . يَعْبُدُ ، وَيُعْبَد ، يحيا ويموت ، يوجد ويُعْدَم ! ! ! .

وسننتظر بإذن الله ، تفسير هذا القول من الصوفية حتى العدد القادم .

---

(١) ص ١٧ المصدر السابق .

شم النسيم

وهل للمسلم أن يحتفل به ؟

بقلم الأستاذ محمد صالح سعدان

يأتى على الناس (شم النسيم) هذا العام فى شهر رمضان المعظم . ومن المعتاد عند عامة المصريين لهذا العصر : أنهم يحتفلون به على أنه عيد قومى ، مثل الأعياد الوطنية وما شابهها ، إذ يخرجون فيه إلى الحدائق والمتنزهات حاملين معهم مأكولاتهم ومشروباتهم المحرمة وغير المحرمة فى غير ما تأثم ولا تحرج .

ولا ندرى ماذا يكون من شأن المنتسبين إلى الإسلام ـ ولا أقول المسلمين ـ هذا العام ؟ وقد جاءهم شم النسيم فى شهر رمضان المعظم ، الذى يؤدى فيه المسلمون فريضة الصوم ، وقد اعتادوا فى هذا اليوم : التحلل والتهتك والخلاعة والمجون والخروج حتى على الآداب العامة ، فضلا عن الدين وأوامره ونواهيه .

ويقيننا : أن عامة الناس سوف لايتركون ما اعتادوا أن يكونوا فيه حتى ولو كان اليوم يوماً من شهر رمضان المعظم .

فمن المشاهد المعروف ـ فى مثل هذا اليوم من كل عام ـ: أن الكبار والصغار والرجال والنساء والشبان والشابات يخرجون ـ وقد خلعوا رداء الحياء والأدب ـ وقد استقل الفقراء منهم العربات (الكارو) ومتوسطو الحال منهم السيارات العامة وأغنياؤهم السيارات الخاصة ، إلى حيث يأخذون ـ بزعمهم ـ حريتهم ويطلقون لأنفسهم وشهواتهم العنان دون ضابط ولا رقيب .

وكثير من عامة المنتسبين إلى الإسلام : يجارون أهل هذا العيد من المسيحيين فى العادات والتقاليد التى يتخذونها ، وهى فى الحقيقة من طقوسهم الدينية فى هذا اليوم . كأن يضع أحدهم حزمة من البصل الأخضر تحت وسادته مساء الأحد السابق ليوم شم النسيم إلى

صباح اليوم التالى ، ليناله خير العيد وبركته فيما يعتقدون ، إلى غير ذلك من العادات والتقاليد المتبعة عندهم .

وأما أنواع المأكولات التى اعتاد الناس تناولها فى هذا اليوم ، مثل أنواع البيض الملون والبصل الأخضر (والفسيخ) والسردين : فهى مما يؤثر أن يؤكل فى هذا العيد عندهم ، مثلهم فى هذا مثل المسيحيين الغربيين فى الاكثار من البيض الملون والسردين فى عيد الفصح عندهم .

ثم إن مجىء (شم النسيم) هذا كل عام فى موعد لا يختلف فى عدد الأيام بينه وبين عيد الفصح عند المسيحيين الغربيين ، ولا يتعداه ولو فى بعض الأعوام ، لما يؤكد أنه عيد للمسيحيين .

ويؤيد هذا : أن الأيام السابقة لهذا اليوم من كل عام أيام صيام عند المسيحيين الشرقيين ، ثم يأتى شم النسيم عقب هذا الصوم عيداً لهم : وختاماً لصومهم . كما هو الحال فى رمضان وعيد الفطر عندنا نحن المسلمين .

وعلى هذا ، فإن مايدعيه البعض من أن (شم النسيم) عيد قومى ليس بصحيح ، ولا يصح للمسلمين أن يشاركوا أهل هذا العيد عيدهم حتى ولو جاء فى غير شهر رمضان المكرم ، إذ المسلمون منهيون عن مشاركة غيرهم فى أعيادهم عامة وفى الدينية منها بوجه أخص . وفى الحديث الصحيح : أن الأنصار قالوا « يارسول الله ، قد كان لنا يومان نلعب فيهما؟ فقال : قد أبدلكم الله خيراً منهما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى » وقال صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » .

ولنا بعد ذلك أن نورد مارواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت « دخل على أبو بكر ـ تعنى أباها ـ وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك يوم عيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » وكان ذلك فى أيام منى من أيام العيد الكبير .

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن لكل قوم عيداً » يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « وهذا عيدنا » يفيد و يشعر أن ليس لنا عيد غير هذا الذى جاء به الإسلام . ولهذا السبب رخص صلى الله عليه وسلم للجوارى باللعب والغناء والضرب بالدف . لأنه عيد المسلمين ، وأنه ليس للمسلمين من أعياد غير ماجاء به الإسلام .

والمعنى المقصود من هذا : أنه لا يصح للمسلمين أن يتعدى احتفالهم بعيدهم إلى أعياد غيرهم .

والعجب ـ بعد هذا ـ أن يدعى بعض المنتسبين إلى العلم : أن هذا اليوم عيد قومى ، وأنه لا حرج فيه على المسلمين الاشتراك فى الاحتفال به . وهذا من الخطأ البين لما قدمنا من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تشبه بقوم فهو منهم » وقال « إن هذا عيدنا » أى إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا أهل الإسلام .

و بعد : فهذا مانراه دين المسلمين فى مثل هذه الأعياد . ورجاؤنا من إخواننا المسلمين جميعاً أن يتجنبوا مشاركتهم فيها وفى الاحتفال بها ، وأن يمنعوا نساءهم وأطفالهم من مجاراتهم فيها .

هذا ، ولا يتوهمن متوهم : أننا إنما أردنا مقاطعة المسيحيين ومخالفتهم فى كل شىء ، بل الذى قصدنا إليه : هو تجنبهم فى أعيادهم الدينية . وقد تبين مما سبق أن هذا اليوم (شم النسيم) عيد دينى للمسيحيين الشرقيين .

فالمسلمون مطالبون بمخالفتهم فيه وفيما شابهه من أعياد وفق ما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا ، فلا حرج على المسلمين أن يتعاملوا مع المسيحيين فى شؤونهم الدنيوية و يتبادلوا معهم المنافع والمصالح فى غير ما إثم ولا حرج ، ماداموا فى أمن وسلام وفى وطن واحد . (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين) .

جنبنا الله و إخواننا الزلل . وهدانا و إياهم إلى صراطه المستقيم .

ألم يأن لنا التخلص من المضللين؟

الأستاذ سليمان رشاد محمد

ظهر فى الأيام الأخيرة جماعة من الشبان يدعون إلى حزب نشأ بالقدس يسمونه (حزب التحرير) ويوزعون كتيباً عنوانه (نظام الإسلام)، وجل هؤلاء الشبان فلسطينيون، ويحاولون بكل الوسائل: أن يندسوا فى الجماعات، ويتصلوا بمن يتوسمون الإستجابة لدعوتهم ويرغبون بشتى الوسائل للاجتماع بهم لشرح مايتضمن الكتيب من أغراض (الحزب) كما يزعمون. ويروجون لدعوتهم بكلام يضعونه فى إطار براق من الدين، حتى يروج عند المستمسكين بدينهم، ويوهمونهم بأن لحزبهم من الذيوع والانتشار فى جميع الأقطار العربية والإسلامية مالا يدانيه فيه حزب. ولكن سرعان ماتكشف أمرهم، وظهرت روائح دعوتهم التى تزكم الأنوف وتلفت الأنظار، وتدعو إلى الريبة فى أغراض ذلك (الحزب) إن كان هنالك حزب فى الحقيقة.

إن دعوة هؤلاء الشبان تذكرنا (بإخوان الحرية) و (جيش الخلاص) وغير ذلك من الجمعيات والكتاب، الذين كانوا ـ ولا زالوا ـ يدعون إلى التحرر والانطلاق من قيود الديانات وهدايات الرسالات، وكلنا يذكر أن القائمين على تلك الدعوات كانوا من خلصاء قادة المستعمرين أو من عبيد الاستعمار وأذنابهم.

وكيف يستقيم لك الأمر ويوافقك المنطق إذا زعمت أنك تدعو إلى الإسلام، وتدعو إلى دولة الإسلام، بعبارات طنانة رنانة، وأسلوب فخم ضخم، وكلمات تلتهب من حرارة الإيمان، ثم لاتلبث أن تدعو إلى التحلل من شرائع الإسلام، وإلى هدم جميع تراث المسلمين، وإهدار كرامة حملته والقائمين عليه والحافظين له، من سبق منهم ومن لحق، ثم لاتكتفى بذلك حتى تسرع، فتدعو إلى نبذ الإخلاق باعتبارها عنصراً من عناصر قيام المجتمع الصالح فى الإسلام، بل تزعم أن فى الدعوة إلى الأخلاق قلباً للمفاهيم الإسلامية، وأى (مفاهيم) تلك التى جاء حزب التحليل يدعو إليها؟

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى أول ماعنى، واهتم أشد اهتمام بدعوة الناس إلى

التوحيد و إخلاص العبادة لله وحدة ، لتحرير الإنسان من عبوديته لإنسان مثله ، وللاحتفاظ بكرامة الإنسان : أن لا يخاف ولا يخشى ، ولا يرجو ، ولا يرغب إلا إلى ربه . ثم ثنى صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى تهذيب النفوس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ، التى تشمر – مع العقيدة الصادقة – أطيب الأخلاق وأزكاها . ومن ثم كان المجتمع الذى وصفه الله : بأنه خير أمة أخرجت للناس .

فهو صلى الله عليه وسلم القائل « أقربكم منى مجالس يوم القيامة : أحاسنكم : أخلاقاً » وهو القائل « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » و « إنما » عند الذين يعرفون العربية « للحصر » وقد كان صلى الله عليه وسلم بنفسه – حتى من قبل الرسالة – أهدى وأصدق داع إلى أحسن الأخلاق بقوله وعمله وسلوكه ، حتى مدحه الله تعالى فى القرآن بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فى صلاته فيقول « اللهم اُهدنى لأحسن الأخلاق . لايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيىء الأخلاق . لا يصرف عنى سيؤها إلا أنت » .

فأية دعوى هذه التى نجمت نجوم قرن الشيطان ، تحاول أن تهدم من الإسلام مابقى لأهله من روحه وخلقه ، وما فيهم من أدب وفضل ، يتمثل فى حب حملته وحفظته ؟ .

إن الرجل الحصيف الذى يزن الأمور ، ويستجلى النتائج من المقدمات : ليجد فى ذلك الكتيب « نظام الإسلام » مقدمة لخطوات أخرى ، لن يطول بنا الوقت – إذا لم يتداركنا الله برحمته ، فنقضى على هذه الفتنة فى مهدها – أن تجد الدعوة سافرة إلى نبذ القرآن نفسه بأحكامه وشرائعه ، والتخلق بأخلاق الماديين اللادينيين .

وأنا والله معذور أن أفهم هذا ، وأتنبأ به ، وأستخلصه من عبارة وردت فى كتاب « نظام الإسلام » الشارح لدعوة الحزب المزعوم فإنه يقول « الدعوة إلى الإخلاق تؤدى إلى الغفلة عن الوسائل الحقيقية لرقى الحياة » .

رحماك اللهم من تلك الحياة التى يدعون إليها ، إنها حياة الأنعام ، بل هى أضل سبيلاً . إذ كيف يتصور أن تكون حياة طيبة راقية بدون أخلاق ؟ دعك من أنها تكون حياة إسلامية ، أو حياة مجتمع إسلامى يدعو أول مايدعو إلى الإخلاق الفاضلة : من العدل

والإحسان و بر الوالدين وصلة الأرحام ، و الرأفة والرحمة والمودة والحياء والعفة والصدق والوفاء والمروءة والكرم ، و إغاثة الملهوف ، ومساعدة المنكوب ، والتعاون على البر والتقوى وغيرها مما لا يجهله مسلم ؟ ! .

أتظن ـ بعد كل هذا ـ أن دعوة هؤلاء الشبان الغامضين تقف عند ذلك الحد ؟ .
كلا . إنهم يدعون إلى اختلاط الجنسين ، و إلى اشتراك النساء فى حز بهم على قدم المساواة مع الرجل . مرحى مرحى (بحزب التحرير الإسلامى) هل تدعون إلى التحرر ، أم إلى التحلل ؟ وتحرر من ماذا ؟ من الاستعمار ؟ لا والله . بل إنكم تدعون إلى التحلل من كل المقومات الإسلامية والشخصية العربية ، حتى يكون العرب والمسلمون لقمة سائغة لذئاب المستعمرين ، بل و إلى أسوأ من هذا ، إنكم تمهدون للصهيونية . سواء بعلم أو بجهل ، سواء بحسن نية أو بسوء نية .

إن مَن يحاول تحطيم جميع مقومات الإسلام من الأخلاق وقيمه ، والعلم وحملته ، والدين وحفظته ، لا يمكن أن يكون داعياً لعزة المسلمين ، ولا لنشر الإسلام وهدايته . فدلونا إذن إلام تدعون ؟ .

من أى جحور خرج هؤلاء ؟ كيف جهلوا أنه لم يعد فى بلدنا لمثل تلك الدعوات إلا الصفعات بالنعال لا بالأيدى ؟ كيف غفلوا أننا فى عهد تفتيح البصائر ، و إنارة الطريق ، وتبصير الناس سواء السبيل ، ووضع أقوى المعاول والمطارق فى الأيدى لتقوى على تحطيم الاستعمار ؟ كيف لم يعرفوا إشعاعات نور الاستقلال للأمة العربية والشرق كله ، تخرج من هنا من مصر ، من المصابيح القوية الوهاجة التى يضعها قادة الثورة الأبرار على الطريق ؟ هل أنتم عمى يا أغرار ؟ . إنكم خفافيش تظنون ـ بعماكم ـ أن الأمة المصرية والعرب عمى . ألا ، فاحذروا وفروا بأنفسكم إلى سادتكم من ذئاب الاستعمار سراعاً لتنجو بجلودكم إن كان لكم رغبة فى النجاة .

أما إخوانى أنصار السنة المحمدية ـ وأنا شديد اليقين بيقظتهم ـ فإنى أحذرهم من هذه الخنافس . وأنا على أتم اليقين من نفذ بصيرتهم ومتانة خلقهم ، وغزير علمهم ، وثابت إيمانهم ، وشديد تمسكهم بسنة نبيهم ، ولكن على سبل النصيحة والذكرى (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ثبتنى الله و إياهم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ووقانى الله و إياهم شر الفتن ، ما ظهر منها ومابطن (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وصلى اللهم وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

تعليقات على الصحف

حفيدة جديدة لرسول الله

« قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لسعد بن أبى وقاص - عند ما أمّره على جيش للفتح فى بلاد الفرس - « يا سعد ، لا يغرنك من الله أنك خال رسول الله ، فإنه ليس بين الله و بين أحد نسب إلا طاعته » .

« من بطأبه عمله لم يسرع به نسبه » حديث شريف .

نشرت مجلة روزاليوسف فى عددها رقم ١٤٤٩ الصادر فى يوم ١٩/٣/١٩٥٦ كلمة مؤداها أن السيدة أم كلثوم من نسل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنها كلفت أحد الباحثين فى الأنساب بذلك ، وانتهى البحث إلى أنها تنتمى إلى القطب الكبير الباز الأشهب السيد منصور الزاهد ، المنتهى نسبه إلى الحسن سبط رسول الله . وكان هـذا النبأ مفاجأة مذهلة لكل مسلم تحز فى نفسه تلك الطعنات التى توجه للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم كل يوم . فماذا يراد من وراء هذا ؟ أ كل إنسان يريد من الناس أن يعظموه و يقدسوه ، أو يروجوا تجارته يسارع بانتحال نسب له يصله برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

لقد كان هذا الانتساب لرسول الله مفهوماً من فاروق . لأنه أراد من وراء ذلك أن يفرض سلطاناً روحياً على الشعب مع سلطانه السياسى فأحده الله وأعوانه وألقاه فى اليم . ولكن هذا الانتساب غير مفهوم من المغنية المشهورة المطربة أم كلثوم ! ! فماذا تبغى ؟ هل لمست إعراضاً من الجمهور عن حفلاتها ، فأرادت أن تسبغ على غنائها وأغانيها ثوباً من القدسية والجلال كى يقبل عليها الناس جميعاً بعد فتور ، حتى المؤمنين المخلصين الذين يعرضون عن كل لغو القول وهجره ؟ .

أتريد منهم هم الآخرون أن يقبلوا عليها لأن غنائها تسبيح ، وحفلتها مسجد محرم ، والمستمعون لها عابدون عاكفون . لأنها أصبحت بنت رسول الله ! !

يالمساخر التى تظهر على مسرح الحياة كل يوم ! !

ثم ماهى الوثيقة التى تثبت هذا النسب ؟ أقول أحد علماء الأنساب ؟

وكم قال علماء الأنساب بنسبة أفراد كثيرين إلى رسول الله ـ لحاجة فى أنفسهم يريدون أن يقضوها ـ منهم الباغى والفاجر ، حتى فاروق الطاغية الطريد ، الذى أنفت السيدة المطربة أن تنتسب إلى بيت النبوة وفاروق منتسب إليه كأن بيت النبوة ماهى امتنعت عن ارتياده لأنه يأوى إليه أشخاص لا تريدهم . وكأن فاروق لم يكن فى يوم من الأيام تقدم له الغناء شجياً ، تعدد مآثره ومفاخره فى ليالى العيد وغير ليالى العيد ؟ ! ثم تريد أن تضيف إلى أدلة النسب دليلاً منهاراً آخر . وهو أنها كانت تحس وهى تطرب الجمهور ، تحس فى رحاب لذائذها وبهرج غنائها برعدة تسرى فى أنحاء جسمها حين تردد قول شوقى :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد أن لى انتسابا

وأنها عند مازارت قبر الرسول بكت كثيراً حتى انتزعوها بالقوة وهى تكاد تهلك فى غمار عواطفها .

وأقول : ما كل من يبكى أو يتباكى عند قبر رسول الله أو عند ذكره من ولد رسول الله أو من أهل بيته ، وما ذلك البكاء إلا كبكاء الناعبة تبكى ولا تبكى ، وتدمع العيون ، ولا تدمع عينها ، وتدمى القلوب ولا يدمى قلبها . كما يقول شوقى فى وصف من يدعون إلى البر ولا يبرون :

وما يبكون من ثكل ولكن كما تصف المعددة المصابا

ثم لو ثبت هذا النسب ـ لو فرضنا هذا جدلا ـ ماذا يكون ؟ هل ترجو السيدة أم كلثوم بهذا أن تكون مقدمة ، يتقرب بها الناس إلى الله ، ويتوسلون بها إليه . وعلى هذا تدخل الجنة بغير حساب . لأنها من ذرية البضعة الطاهرة ؟ .

لتعلم ـ إن كانت قد زعمت هذا ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابنته (الحقيقية) فاطمة رضى الله عنها « سلينى من مالى ماشئت واعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً » وقال « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » وقال لأهله وأقاربه « لا يأتينى الناس بالأعمال وتأتونى بالأحساب . والله تعالى يقول (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا

يتساءلون) والذى يريد أن يكون من آل رسول الله فليتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق فى العقيدة والشريعة . فإن الله تعالى يقول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

وإذا كانت السيدة أم كلثوم حريصة على هذا الانتساب لخير الخلق ــ ونسأل الله أن يزيدها حباً للرسول صلى الله عليه وسلم وحرصاً على النسب الصادق اليه ــ فما أحراها أن تسأل نفسها فى خلوة صافية ترجع فيها إلى فطرتها وضميرها : هل غناؤها فى المجامع العامة يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عندها الجواب إذا سألها الله عنه يوم يقوم الأشهاد . ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً ؟ وهو الذى يقول « بينما أنا قائم على الحوض ، والناس يردون ، إذ تذود الملائكة جماعة . فأقول : أمتى . فيقولون : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً سحقاً » .

فهل تستطيع أن تنفذ قول الله تعالى لنساء الرسول عليه الصلاة والسلام (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله) ، وقوله تعالى لرسوله يأمره بأن يرشد أزواجه ونساء المؤمنين إلى الحجاب فيقول (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) والله إنه لأكبر نعمة ، وأجل خدمة للمسلمات : أن تكون السيدة أم كلثوم من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تكون خير قدوة فى هذا الزمن ، الذى غلبت فيه قدوة باريس ولندن وشيكاغوا على الشرقية والعروبة والإسلام . وحينئذ تنقذ السيدة أم كلثوم وفقها الله ماليتنا واقتصادياتنا مما ندفع من ملايين ثمنا للقدوة بباريس ولندن وشيكاغو . وأعتقد أن السيدة أم كلثوم تحب هذا وتسعى إليه . فإن النفس التى تأثرت تأثرها عند ما كانت فى البلاد المقدسة لحرية إن شاء الله أن تكون القدوة الصالحة لنساء مصر والشرق العربى كله .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب م

عبد السلام رزق الطويل
طالب بكلية اللغة العربية

باب الصوم

> الصوم منحة إلهية ، تفضل الله بها على عباده فالصيام فى الحقيقة رحمة وتشريف، لامشقة وتكليف ولذلك جاء فى الحديث القدسى عن الله عز وجل « الصوم لى وأنا أجزى به » .

الصيام التقليدى :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد إمام المهتدين . وعلى آله و بعد ، فإن كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فاحذر التقليد الأعمى فى أى عمل من أعمالك الدينية أو أو الدنيوية . فإن التقليد الأعمى : هو الذى جعل العبادات صوراً آلية ميتة لاتهذب النفوس ولا تزكى القلوب ، ولا تحى ميت الأرواح ، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه .

فكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح لاتمس القلب ولا الأعمال والأخلاق فلم تغسل القلب ولم تزك النفس ولم تأمر بمعروف ولم تنه عن منكر ولم تدع إلى بر ولا إحسان.

وكان الصيام جوعاً وظمأ وتعذيباً للصائم ، وشقاء فى المبدأ والغاية . فلم يتعلم الصائم ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم . مما هو عدة النجاح فى الحياة يتقى بها ويدفع عن نفسه كل ما كره . وهو الذى دعا الله إليه بالصيام فى قوله تعالى (لعلكم تتقون) أى تكسبون بالمران فى الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ماتخافون فى الدنيا والآخرة لكن الصيام التقليدى لا يكسب شيئاً من ذلك فلم ينه عن قول الزور والعمل به ، بل دعا أكثر الصائمين إلى شغل أوقات الصيام باللهو واللعب والخمول والكسل والتعطل والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان .

الشهر :

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لانَكْتُبَ ولا نَحْسِبُ الشهر هكذا ، وهكذا ، وخَنَسَ سليمان ـ يعنى ابن حرب ـ إصبعه فى الثالثة : يعنى تسعاً وعشرين وثلاثين »

قوله « أمية » إنما قيل لمن لايكتب ولا يقرأ أخرجه البخارى ومسلم « أمى » لأنه منسوب إلى أمة العرب ، وكانوا لايكتبون ولا يقرؤون ، ويقال : إنما قيل له أمى ، على معنى أنه باقى على الحال التى ولدته أمه ، لم يتعلم قراءة ولا كتاباً .

وقوله « خنس إصبعه » أى أضجعها ، فأخرها عن مقام أخواتها ويقال للرجل إذا كان مع أصحابه فى مسير أو سفر فتخلف عنهم : قد خنس عن أصحابه .

وقوله « الشهر هكذا » يريد أن الشهر قد يكون هكذا ، أى تسعاً وعشرين ، وليس يريد أن كل شهر تسعة وعشرون ، وإنما احتاج إلى بيان ما كان موهوماً أن يخفى عليهم ، لأن الشهر فى العرف وغالب العادة ثلاثون . فوجب أن يكون البيان . فيه مصروفاً إلى النادر دون المعروف منه ، فلو أن رجلا حلف أو نذر أن يصوم شهرا بعينه فصامه ، تسعاً وعشرين كان بارًّا فى يمينه ونذره ولو حلف ليصومن شهراً لا بعينه ، فعليه إتمام العدة ثلاثين يوماً .

إذا أخطأ القوم الهلال :

عن أبى هريرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيه قال « وفِطْرُكُم يوم تُفطرون وأضحاكم يوم تُضَحُّون ، وكلُّ عرفة مَوْقِفٌ ، وكل مِنًى مَنْحَر ، وكل فِجَاج مَكَّةَ مَنحَر ، وكل جَمْع موقفٌ » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة .

يعنى الحديث : الصوم والفطر مع الجماعة وعظم الناس . وأن الخطأ موضوع عن الناس فيما كان سبيله الاجتهاد . فلو أن قوماً اجتهدوا فلم يروا الهلال إلا بعد الثلاثين ، فلم يفطروا حتى استوفوا العدد ثم ثبت عندهم أن الشهر كان تسعاً وعشرين . فإن صومهم وفطرهم ماضٍ فلا شىء عليهم من وزر أو عنت .

وكذلك فى الحج إذا أخطؤا يوم عرفة فإنه ليس عليهم إعادته ويجزيهم أضحاهم كذلك ، وإنما هذا تخفيف من الله سبحانه ورفق بعباده ، ولو كلفوا إذا أخطؤا العدد ، أن يعيدوا ، لم يأمنوا أن يخطؤا ثانياً وأن لا يسلموا من الخطأ ثالثا ورابعاً ، فإن ما كان سبيله الاجتهاد كان الخطأ غير مأمون فيه .

وقيل : فيه الإشارة إلى أن يوم الشك لا يصام احتياطاً ، إنما يصام يوم يصوم الناس .

إذا رؤى الهلال فى بلد قبل الآخر بليلة .

عن كُريب : أن أمّ الفضل ابنة الحرث بعثته إلى معاوية بالشام ، قال : فقدمتُ الشام ، فقضيت حاجتها ، فاستهلّ رمضان وأنا بالشام ، فرأينا الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمتُ المدينة فى آخر الشهر ، فسألنى ابن عباس ، ثم ذكر الهلال ، فقال : متى رأيتم الهلال ؟ قلت : رأيته ليلة الجمعة ، قال أنت رأيته ؟ قلت : نعم . ورآه الناس ، وصاموا وصام معاوية، قال : لكنّا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصومه حتى نُكمّل الثلاثين ، أو نراه فقلت : أفلا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

واختلف الناس فى الهلال يستهله أهل بلد فى ليلة ، ثم يستهله أهل بلد آخر فى ليلة قبلها أو بعدها ـ وقالوا : لكل قوم رؤيتهم .

وقال أكثر الفقهاء إذا ثبت بخبر الناس أن أهل بلد من البلدان قد رأوه قبلهم ، فعليهم قضاء ما أفطروه .

الغيبة :

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعمل به فليس لله حاجة أن يَدَعَ طعامه وشرابه » أخرجه البخارى .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان أحدكم صائماً فلا يرْفُثُ ولا يجْهَل فإن امرُؤ قاتله أو شاتمه فليقلْ : إنى صائم ، إنى صائم » أخرجه مسلم .

قوله « لا يرفث » يريد لا يفحش ، والرفث : الخنا والفحش .

وقوله « ليقل إنى صائم » أى ليقل ذلك لصاحبه ، قطعاً باللسان يرده بذلك عن نفسه أو يقول ذلك فى نفسه ، ليعلم أنه صائم ، فلا يخوض معه ، ولا يكافئه على شتمه ، لئلا يفسد صومه ، ولا يحبط أجر عمله .

الحرص أشد الحرص على . . .

كف اللسان عن الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والخصومة ، والمراء ، وغض البصر عما حرم الله ، وصون السمع عن الإصغاء إلى بذىء القول ، وقبيح الكلام ، وحفظ كل جارحة عن التلطخ بالآثام ، والاعتدال ، والقصد فى الشراب والطعام .

إن الله تعالى أمرنا بصوم هذا الشهر ، تطهيراً لأرواحنا وقلوبنا ، وأبداننا ، وتزكية لنفوسنا ، وتجديداً لإيماننا .

تارك الصلاة لا يقبل منه صيام

هناك خطأ يذيعه بعض من يجهلون حقيقة الإسلام ، وشرائعه ، ذلك هو قولهم : إن الصوم يصح مع ترك الصلاة ، والله يقول فى كتابه العزيز (أقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وقال رسول الله صلى الله عيه وسلم « من ترك الصلاة فقد كفر » .

فالصلاة أساس كل العبادات ، و بناء على ذلك الأساس .

فلا صيام ، ولا زكاة ، ولا حج ، لمن ضيع الصلاة .

المرأة المتبرجة

المرأة التى تخرج من بيتها حاسرة ، عارية الذراعين ، والساقين ، مصبوغة الوجه والشفتين وتظن نفسها مع هذا التبرج صائمة .

إنها تخدع نفسها بدعوى الصيام ، بل إنها لتخدع نفسها بدعوى الإسلام . فهذه المتبرجة قد خسرت صومها وأغضبت ربها .

القبلة للصائم :

عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ وهو صائم ، وَيُبَاشِرُ وهو صائم ، ولكنه كان أملك لإربه » .

أخرجه البخارى ومسلم

وقال ابن القيم رحمه الله : وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أم سلمة ، وحفصة ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقبل وهو صائم » وفى صحيح مسلم عن عمر ابن أبى سلمة : « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيقبل الصائم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل هذه لأم سلمة ، فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصنع ذلك ، فقال : يارسول الله ، قد غفرالله لك مانقدم من ذنبك وماتأخر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأتقاكم لله ، وأخشاكم له » .

من أصبح جنباً فليتم صومه

عن عائشة ، وأم سلمة ، زَوْجَى النبى صلى الله عليه وسلم ، أنهما قالتا « كان رسول الله يصبح جُنُباً » قال عبد الله الأذرحى فى حديثه فى رمضان : من جماع غير احتلام ، ثم يصوم » . أخرجه البخارى

والمعنى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يصبح جنباً وهو صائم .

من أكل ناسياً

عن أبى هريرة قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله إنى أكلت وشربت ناسياً وأنا صائم ؟ فقال: الله أطعمك وسقك » .

أخرجه البخارى ومسلم

والمعنى : أنه إذا أكل الصائم ناسياً ، أو شرب ناسياً . فإنما هو رزق ساقه الله إليه ، ولا قضاء عليه ولا كفارة .

الصوم فى السفر

عن عائشة : « أن حمزة الأسلمىّ ، سأل النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله إنى رجل أسْرَدُ الصَّوْمَ ، أفأصوم فى السفر ؟ . قال : صُمْ إن شئت . وافطر إن شئت » .

أخرجه البخارى ومسلم

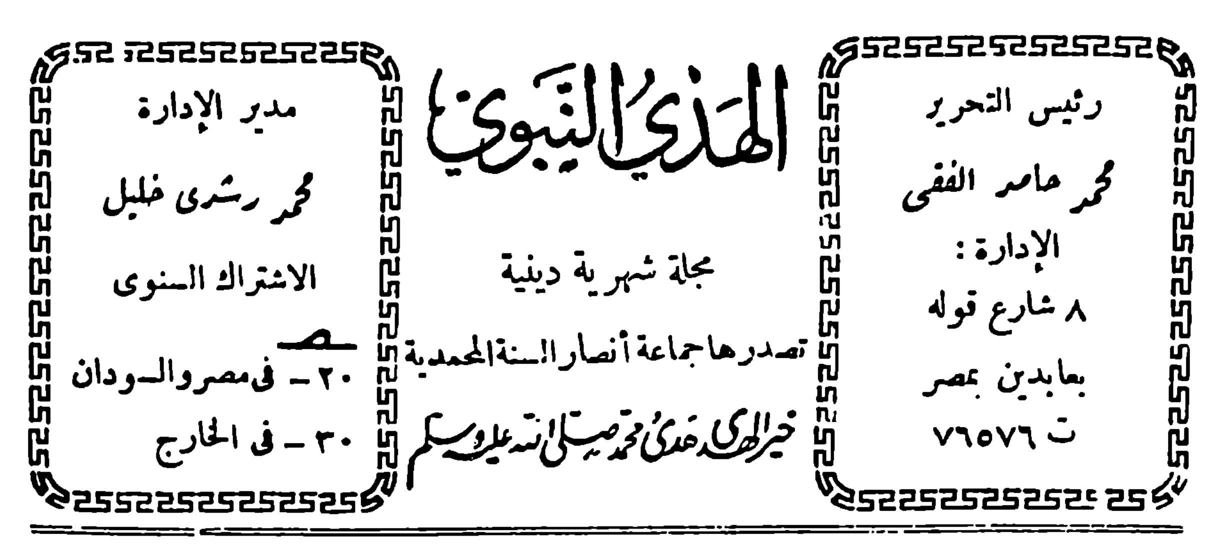
هذا نص فى إثبات الخيار ، للمسافر بين الصوم والإفطار .

مطبعة السنة المحمديه

١٧ شارع شريف باشا الكبير ـ القاهرة

ت ٧٩٠١٧


الھادی النبی
خیر الھدی ھدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم



المجلد ٢٠ ذى القعدة والحجة سنة ١٣٧٥ العددان ١١ و ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله ربنا تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره :

(١٦ : ١١٢ ، ١١٣ وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان . فكفرت بأنعُمِ الله . فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم ، فكذبوه . فأخذهم العذاب وهم ظالمون) .

« ضرب المثل » هو من ضرب الدراهم بالمِطْرَقة ، حتى تنطبع فيها الكتابة المرادة لضارب الدراهم . وذلك لأن المقصود بضرب المثل : ذكر شيء يظهر أثره فى غيره . وتشبيه شيء بشيء فى حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر .

و « المثل » عبارة عن قول فى شيء يشبه قولا فى شيء آخر ، بينهما مشابهة ، ليبين أحدهما الآخر ويصوره .

« والقرية » من « قَرّ » بالمكان إذا ثبت ثبوتا جامدا . وأصله من « القُرّ » وهو البرد . وهو يقتضى السكون . و « الحر » يقتضى الحركة . وهى مأخوذة أيضاً من « القُرء » بمعنى الجمع . لأن « القرء » اسم للوقت الذى يجمع طرفى الطهر والحيض . ومن « القَرْء » بمعنى الجمع . و « القراءة » ضم الحروف والكلمات إلى بعضها فى التلاوة . وسمى « القرآن » بذلك لأنه جامع لخلاصة الشرائع السماوية كلها ، ولكل ما يسعد الإنسانية فى الأولى

والأخرى . و « قَرَيت الماء فى الحوض » جمعته . و «قريت الضيف» جمعت له ما استطعت من الكرامة . و « قَرَيان الماء » مجتمعه .

فالقرية : هى مجتمع الناس الذى يستقرون فيه ، ويثبتون على الإقامة به ، ويتخذونه مُقاما وسكنا . لأنه قد اجتمع لهم فيه ـ من طيب الهواء ، ومناسبة المناخ ، ومن حاجات معيشتهم ـ ما يرغبهم فى الاستقرار فيه .

و «الأمن» أصله من هدوء النفس وسكونها بما تهيأ لها من الأسباب التى تبعد عنها الخوف والرعب والقلق والانزعاج والفزع . فلا تتوقع حدوث مكروه لها فى نفس ولا عرض ولا مال

و « الطمأنينة » السكون التام ، والهدوء الشامل العـام ، الذى تتوفر فى جَوِّه للنفس القوى والنشاط لإصلاح الأعمال ، والانتفاع بنعم الله على الوجه الذى يؤدى شكرها حق شكرها

و « الرزق » ماقسمه الله وقدره مما به تتوفر للانسان أسباب العيش والحياة ، من طعام وشراب ولباس ومسكن ، وعلم ينتفع به ويهتدى فى كل ذلك .

و « الرغد » الطيب الواسع الهنىء .

« فـكفرت » أى عميت بالتقليد والجاهلية عن آثار أسماء الله وصفاته ، وعن سننه وآياته الـكونية فى الأنفس والآفاق ، وعن آياته العلمية المنزلة هدى لهم و بينات من الهدى والفرقان ، الذى يهديها الله به إلى الطريق الأقوم فى حسن الانتفاع بكل نعمه . فلما عميت زاغت وضلت ، فلم تضع النعم موضعها ، ولا على وجهها الذى أحبه الله لها . بل أساءت ـ بجاهليتها وتقليدها الأعمى ـ حتى بدلت النعم كفرا (١٤ :٢٨ ألم تَرَ إلى الذين بَدَّلوا نعمة الله كفرا . وأحَلُّوا قومهم دار البوار ؟) .

و « أنعُم » جمع نعمة ، جمع قلة ، كأشُدّ وشِدَّة . وقال قطرب : جمع نُعْم ، بمعنى النعيم يقال : هذه أيامُ طُعْم ونُعم . فيـكون كبُؤس وأبؤس . وقال الزمخشرى : جمع نعمة . على ترك التاء ، كدرع وأدرع .

وقوله « فأذاقها » نظير قوله سبحانه (٤٤ : ٤٩ ذُقْ إنك أنت العزيز الـكريم) وهو نظير قول الشاعر :

دونك ماجنيته فأحِسَّ وذق

وقد جرت عند العرب « الإذاقة » فى مثل هذا مجرى الحقيقة . لشيوعها فى البلايا والشدائد ومايمس الناس منها . فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر . وأذاقه العذاب . فإن ما يدرك من ألم العذاب والبؤس وضرره كما يدرك من مرارة المطعوم البشع وخباثته

و « لباس الجوع والخوف » قال ابن عطية : لما باشرهم ذلك – يعنى أحاط بهم من جميع جهاتهم – صار كاللباس . وهذا كقول الأعشى :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت . فكانت عليه لباسا

ونحو قوله تعالى (٢ : ١٨٧ هُنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) ومنه قول الشاعر :

وقد لبست – بعد الزبير – مُجاشع ثياب التى حاضت ولم تغسل الدما

يقول : إن العار لما باشرهم واشتمل عليهم من كل ناحية ، ولصق بهم : جعلهم لبسوه

وقال الزمخشرى : أما إيقاع الإذاقة على « لباس الجوع والخوف » فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما و يلابس . فكأنه قيل : فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف . ولهم فى نحو هذا طريقان . أحدهما : أن ينظروا فيه إلى المستعار له ، نظير ما ههنا . ونحوه قول كثير :

غَمْر الرداء ، إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف . لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه . ووصفه بالغمر – الذى هو وصف المعروف والنوال ، لاصفة الرداء – نظراً إلى المستعار له .

والثانى : أن ينظروا فيه إلى المستعار ، كقوله :

ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك ، ياأخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فَاعْتَجِرْ منه بشَطْر

أراد بردائه سيفه . ثم قال : فاعتجر منه بشطر . فنظر إلى المستعار فى لفظ « الاعتجار » ولو نظر إلى المستعار له فيما نحن فيه لقال : فكساهم لباس الجوع والخوف . ولقال كثير : ضافى الرداء اهـ .

ولما قدم ذكر « الأمن ، والاطمئنان » و إتيان رزقها رغدا من كل مكان : قابلها بالجوع الناشىء عن انقطاع الرزق ، و بالخوف المترتب على ذلك . وقدم « الجوع » ليلى

المتأخر . وهو إتيان الرزق . كقوله (٣ : ١٠٦ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . فأما الذين اسودت وجوههم) وأما فى قوله (١١ : ١٠٥ ، ١٠٦ فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا) فقدم ما بدأ به . هما طريقان اهـ . من البحر لأبى حيان .

أقول ـ ومن الله أستمد المعونة والتوفيق ـ تقدم فى هذه السورة أن ضرب الله مثلين للسادة الطغاة المستكبرين الداعين العامة إلى عبادتهم من دون الله ، و إلى اتخاذهم أربابا وطاعتهم فيما شرعوا من البدع والأهواء والتقاليد مالم ينزل الله به من سلطان ، وللمستضعفين من العامة الدهماء ، الذين استجابوا لأولئك الطواغيت وذلوا واستخذوا لهم ، ووضعوا حبال التقليد فى أعناقهم ، كافرين بأنعم الله عليهم فى السمع والبصر والعقل ـ التى آتاها الله رب الجميع ، للجميع على سواء ـ كما بسط للجميع كتاب الوجود فى سننه الكونية ، وكتاب الهدى والفرقان فى آياته البينات للجميع على سواء . ودعاهم جميعاً إلى التأمل والتفكر ، و إلى الفقه والتدبر . فأبى المقلدون إلا أن يلقوا بأنفسهم ـ بتقليدهم الأعمى ـ إلى مهاوى الجاهلية الغافلة ، وما تدفع إليه من الشقاء والهلاك فى الأولى والأخرى .

فإن سادتهم وكبراءهم إنما يدعونهم إلى الخيبة والخسران . وهم كَلٌّ عليهم لا يملكون لأنفسهم ولا لهم شيئاً من الخير ، ولا يقدرون عليه . وأينما توجهوا بهم لا يأتون إلا بالشر .

ومن عظيم كفرهم ، وغليظ فسوقهم ، وشديد انسلاخهم من آيات ربهم : أنهم يصرون على طريق التقليد الضال ، ويزعمون أنه طريق هدى ، لا طريق غيره . وأنهم مهتدون بهدى رسل الله ، وخاب سعيهم . فما هى إلا الأمانى والغرور . لأنهم ـ بالتقليد الأعمى ـ يسيرون على غير هدى ولا بصيرة . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله له (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعنى) فأين ظلمات التقليد من نور هدى والاتباع للرسول على بصيرة . فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يدعوهم إلى صراط الله المستقيم . فإنه فى كل شأنه على صراط مستقيم ، صراط الفطرة ، وصراط هدى العلم الموحى إليه ، والرسالة المنزلة من عند الله ، التى ارتضاها ربنا لعباده صراطا مستقيما . والمقلدون على أعوج طريق ، وأضله وأظلمه ، وأشقه وأخسره . ما بلغوا فيه و به إلا إلى

الوثنية التى انحطوا بها عن الأنعام ، و إلى الفسوق والعصيان الذى نكد عيشهم وجعله ضنكا

وفى هذه الآية ضرب الله المثل للجماعة والأمة القوية ، ذات الغنى واليسار ، التى تعمر المدينة والقرية الكبيرة . وقد أسبغ الله عليها من نعمه وفضله . و بره و إحسانه : حياة آمنة مطمئنة ، يرزقون فيها رزقاً رغداً طيباً واسعاً ، يأتيها من كل مكان ، ومن كل جهة بما فتح الله من أبوابه ، و يسر من أسبابه : من زروع وصناعة وتجارة وغيرها ، مما هيأها الله لها ، بما أسبغ عليها وعلى أهلها من الهيبة لهم ، والطواعية فى نفوس من حولهم ، حتى أمنوا بها من الخوف ، واطمئنوا بها من الانزعاج والقلق . لأنهم ذوو سلطان نافذ ، وذوو قهر لمن حولهم من القرى . فكان من حولهم من سكان القرى الأخرى كانوا يعظمونهم ، و ينقادون لهم ، و يجبون لهم من ثمرات أعمالهم وغلات زراعاتهم ، ومنتجات صناعاتهم . و يجىء من أفرادهم من يقوم بالخدمة والمساعدة لأهل هذه القرية . لأنها عاصمتهم وحاضرتهم . فتتوفر لهم بكل ذلك أسباب الرفاهية والراحة .

كل ذلك قد هيأه الله ووفره لهم من فضله وإنعامه ، يبلوهم به و يمتحنهم ، لعلهم يعرفون له فضله ، و يشكرون له نعمته . ولكنهم ـ بجاهليتهم العمياء ، وتقاليدهم وأهوائهم ـ فسقوا عن أمر ربهم ، وشغلوا بالنعمة عن المنعم ، فأساءوا استعمالها . وفسقوا عن أمر المنعم بها . واتخذوا ما آتاهم الله من أسباب الهدى ـ فى آياته الكونية والعلمية ـ أسباباً للضلال والكفر بأنعم الله .

واتخذوا ما أنزل الله عليهم من الكتاب والعلم سخرية وهزوًا . لأنهم زعموه آلة للحرفة والصناعة واتخذوه أغنية وتميمة . فلم يقرأوا الكتاب متدبرين . ولم يتلوه متفقهين . فلم يعرفوا مافيه من العقائد الصحيحة . والأعمال الصالحة . والأخلاق الكريمة ، التى أنزل الله كتابه وأرسل رسوله من أجل هدايتهم إليها ، وتكريم إنسانيتهم بها ، و إخراجهم بنورها وهداها وحكمتها من ظلامات العقائد الوثنية والأعمال الفاسدة التقليدية ، والأخلاق السفيهة السيئة البهيمية .

وما عرفوا ـ فيما آتاهم الله ربهم العليم الحكيم ـ من الرزق الرغد وأسباب العيش ، وعافية الأجسام : مامن الله فى ذلك من حكمة ولا رحمة ، ولا إحسان ولا نعمة . بل كانوا

جبارين مستكبرين ، أو ضعفاء مستذلين . رؤساؤهم جبارون مستكبرون . وعامتهم أذلة مهينون . فلا الكبير يرحم ، ولا الصغير يوقر . بل الكبير يظلم ، سفيهاً عاتيا . والصغير يذل ، بليداً متغابياً . لا يأمرون بمعروف . لأنهم لا يعرفونه . ولا ينهون عن منكر . لأنهم من كل قلوبهم يحبونه . الحقوق عندهم مضاعة . والشهوات معبودة مطاعة . فالمعبود غير الله ، من الموتى والأعداء من شياطين الإنس والجن . والمطاع الطواغيت والأهواء . مسارعون إلى الشهوات . ناكصون عن فعل الخيرات . إخاؤهم وصداقتهم مداهنة وجبن ونفاق . وتحياتهم سخرية ورياء . يلعن كبيرهم صغيرهم ، وخلفهم سلفهم . ويود صغيرهم ـ لو يسلب ـ أن يسلب كلَّ شيء كبيرهم . ليلهم ساخر . ونهارهم كافر . ودينهم لهو ولعب . صلاتهم عبث وتقاليد وشرائعهم من وحى الشيطان وحزبه . غارقون فى الأمانى الكاذبة . مغرورون بالدعاوى الخادعة .

أوقعهم فى كل ذلك : أنهم عموا وصموا عن آيات الله الكونية فى أنفسهم وفى الآفاق فولَّد فيهم ذلك عمى أشد عن كتب الله المنزلة ، و إعراضاً عن هدى رسله . فهم (٢ : ١٧١ كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) .

ظنوا أن الله ـ الذى أعطى ـ لا يقدر أن يأخذ . وأن الذى أنعم لا يمكن أن يمنع . فعملوا بنعمته فى سخطه وغضبه . واتخذوا بره و إحسانه مطية لشهواتهم البهيمية ، ومركباً لأهوائهم الشيطانية .

كلما ذكَّرهم الله ـ بالحوادث ـ ازدادوا غفلة . وكلما وعظهم ـ بوقائعه فى أشباههم ـ ازدادوا قسوة . وكلما أنذرهم ازدادوا استهتاراً . وكلما دعاهم إلى الاستغفار ازدادوا على الكفر والفسوق إصرارا . كما قال نوح عليه السلام عن سلفهم (٧١ : ٥ـ٢٥ رب ، إنى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى إلا فرارا . و إنى كلما دعوتهم لتغفر لهم . جعلوا أصابعهم فى آذانهم . واستغشوا ثيابهم ، وأصَرُّوا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت : استغفروا ربكم . إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال و بنين ، و يجعل لكم جنات . و يجعل لكم أنهارا . مالكم لا ترجون لله وقارا ؟ وقد خلقكم أطوارا . ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر

فيهن نورا . وجعل الشمس سراجا . والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سُبلا فجاجا . قال نوح : رب إنهم عصونى ، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ، ومكروا مكراً كُبَّارا . وقالوا : لاتَذَرُنَّ آلهتكم . ولا تذرن وَدًّا ولاسُوَاعاً . ولا يَغُوث ويَعُوق ونَسْراً ، وقد أضلوا كثيراً . ولاتزد الظالمين إلا ضلالا . مما خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) .

أية قرية هذه ، التى ضرب الله بها هذا المثل ؟ إذ كفرت بأنعم الله ، فبدلها الله من الأمن خوفا ، ومن الرزق الرغد جوعاً . وأذاقها ألوان هذا العذاب ـ المتمكن الشديد ، التى ذاقته وأحسته فى كل شأن، وفى كل شىء ، وفى كل لحظة ، وفى كل ذرة من أجسامها حتى لابسها ، وصار لها لباساً ـ بظلمها لنفسها ، وبسَىِّء صنيعها وجحدها وكبريائها ، وطغيانها على ربها وكتابه ، وعلى رسولها وهداه وشرائعه . إذ كذبته وهو الصادق ، وصدقت الكاذبين ، واستخونته ، وهو الأمين الرشيد . واستأمنت السفهاء الخائنين . واستغشته ، وهو الناصح الذى لاينطق عن الهوى . واستنصحت الخطائين الغاشين . واستجهلته ، وهو العالم المخلص الذى علمه شديد القوى . واتبعت الجاهلين المتهوكين !!

أية قرية هذه ؟

أهى مكة التى تألبت بطواغيتها على عبد الله ورسوله الأمين . الذى ماترك قبل الرسالة ـ فكيف بعدها ؟ ـ جميلا إلا أسداه إليها . ولا معروفا إلا صنعه لها .. ولا براً إلا قدمه إليها . فكم حمل كَلاًّ ؟ وكم أكسب معدوماً ؟ وكم قَرَى ضيفا ؟ وكم أعان على نوائب الحق ؟ فلما جاءها من عند ربه بما هو أفضل ، وأكرم من كل هذا ، وأجدى عليها ـ فى أولاها وأخراها ـ فلما جاءها بفلاح الدنيا وعزها ، وسعادة الآخرة وفوزها : كفرت به بغياً وحسدا ؟ .

لما جاء يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويخرجهم من ظلمات الجاهلية ، وما كانوا فيه من الضلال المبين ، إلى نور الرشد والعلم والهدى المبين .

لما جاءهم بهذه الرسالة الكريمة . التى سيجعلهم الله بها سادات العالم ، وقادة الناس إلى الهدى والرحمة والرشد والحكمة . تألبوا عليه ، ومكروا به يريدون قتله . وأخرجوه

من مكة - بمكرهم و بغيهم على أنفسهم - بعد أن طاردوه فى كل شعابها . وأقلقوا راحته . وأقضوا مضجعه . وتفننوا فى أذاه ليلا ونهارا .

أهذه القرية هى مكة ؟! ولم لا تكون هى ؟ وقد فعلت مافعلت . وفعل الله بها : أن سلط عليها الجوع . وجعل عليها سنين كسنى يوسف . وسلط عليها من الخوف والفزع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحز به المفلحين -من الأنصار والمهاجرين- ماأقلق راحتهم وغشاهم من الخوف والفزع ما غشاهم . فلم يخرجوا منه ، إلا إلى جهنم لسادتهم وكبرائهم ، أو إلى الأمن الآمن ، والرزق الرغد الهنىء بدخولهم فى الإسلام يوم الفتح الأكبر .

أم هى قرية أخرى ؟ كانت فى القديم الغابر فى بقعة من بقاع الأرض ؟ (٢٢ : ٤٥ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ؟ فهى خاوية على عروشها و بئر معطلة وقصر مشيد؟)

الحق : أن هذه القرية - بما كانت فيه من النعم السابغة ، و بما حاق بها بظلمها و بغيها وكفرها بنعم الله ، و إعراضها عن رسالته ، واستكبارها على شرائعه ، وفسوقها عن أوامره ، واتخاذها دينه وآياته هزواً ولعبا ، وانغماسها فى شهوات الفروج والبطون - يضربها الله تعالى للناس فى كل وقت ومكان . فكم من مدينة عظيمة من مدن أور با وعواصمها الكبرى وغيرها ، كانت آمنة مطمئنة ، بما لأهلها وسكانها من سلطان واسع ، وملك عريض . تجبى إليها - فى ظلال هذا السلطان ، و بأسباب هذا الملك - ثمرات كل شىء من أطراف الأرض ، قريبها و بعيدها ، حتى ليقال : إنه كان يدخل إلى (لندن) فى كل خمس دقائق قطار محملة عر باته بثمرات البلاد المستعمرة ، من زروع وثمار وغيرها - فلما أرسل الله عليهم وابل القنابل فى الحرب الماضية ، أذاقهم بها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فيمن امتحنهم الله وابتلاهم ببلاء احتلال أولئك الأور بيين المفسدين الباغين ، عجل الله تطهير البلاد الإسلامية منهم ومن جرائيمهم الخبيثة المفسدة .

و بعد ، فإن هذه أمثال يضربها الله ، و إنما يعقلها عن الله العالمون بسننه التى لاتتبدل ولا تتحول ، والعالمون بأسمائه وصفاته ، والعارفون برحمته وحكمته ، والمؤمنون المتفقهون فى كتابه وآياته ، مثل قوله سبحانه وتعالى (٦ : ٤٢ - ٤٥ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ؟ ! ولكن

قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء . حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة . فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين) وقوله (٧ : ٩٤ ـ ١٠٢ وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يَضَّرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنةَ ، حتى عفوا . وقالوا : قد مَسَّ آباءنا الضراء والسراء .فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون . ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا : لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا . فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ؟ أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضُحًى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم . فهم لا يسمعون . تلك القرى نقص عليك من أنبائها . ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات . فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل . كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين . وما وجدنا لأكثرهم من عهد . وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)

يا أيها الناس ، اعلموا آكد العلم : أن الله الحكيم لا يأخذ الناس بزمان ولا مكان ، ولا لون ولا نسب ، ولا اسم ولا لقب . وإنما يأخذهم بظلمهم لأنفسهم ، وتكذيبهم بآيات ربهم وجاهليتهم ووثنيتهم وفسوقهم وعصيانهم ، وتهاونهم واستهتارهم بسننه وشرائعه ، وتضييعهم لحقوقه ، وإماتتهم لحدوده ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١١ : ١٠٢ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة . إن أخذه أليم شديد) فاتقوا الله ربكم . واحذروا شديد عقابه ، وخافوا سوط عذابه (٨٩ : ٦ ـ ١٤ ألم تر كيف فعل ربك بعاد : إرَمَ ذات العماد ، التى لم يُخلق مثلها فى البلاد ؟ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ؟ وفرعون ذى الأوتاد ـ يعنى الإهرامات ، التى كانوا بطغيانهم ، وشديد كفرهم وظلمهم للعامة ، إذ يسخرونهم فى بنائها لغير ما حاجة ولا نفع ، إلا أنها قبور للطواغيت . يضاهؤن بها الجبال التى جعلها الله للأرض أوتادا ـ الذين طغوا فى البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب ؟ إن ربك لبالمرصاد) .

سارعوا إلى مغفرة الله ورضوانه ، واعرفوا له فضله . وقدروا له نعمه ـ وأجلُّها : نعمته فى الكتاب الذى يهدى للتى هى أقوم . وفى الرسول الأمين وهداه الأرشد الأحكم ـ

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون . احرصوا على العلم الصحيح فى الكتاب والسنة . واحذروا الجاهلية وسفهها ورعونتها ووثنيتها وظلمها وظلماتها .

عودوا إلى الصراط المستقيم ، الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه بإحسان . فما كانوا يسيرون على غفلة ولا تقاليد . وإنما كانوا حريصين أشد الحرص على تدبر آيات الله الكونية والتفكر فيها ، والتفقه فى آيات الله القرآنية ، والفهم لها بما بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، واليقظة الشديدة فى تحرى العقيدة الصحيحة ، والأدب الكريم والعمل الصالح بكتاب الله وسنة رسوله .

إنكم والله إن عدتم مقتدين بهؤلاء الهداة المهتدين ليحققن الله لكم وعده الذى وعده للمؤمنين ، وليؤتينكم العزة والكرامة التى كانت لسلفكم المؤمنين السابقين(٢٤ : ٥٥ ـ ٥٧ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينه الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون . لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض . ومأواهم النار . ولبئس المصير) .

اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد : أن تعيد للأمة الإسلامية ما كان لسلفها الصالح من إيمان صادق ، وعمل صالح ، وخلق كريم ، وأدب سام ، وكلمة موحدة ، وقلوب على الحق مؤتلفة ، ونفوس بالإيمان الصادق ، والأدب السامى ، والخلق الكريم ، والعمل الصالح ، زكية . وأن تسبغ عليها من لباس التقوى ماتقيها به من شرور أنفسها وسيئات أعمالها . ومن شرور وكيد أعدائها . وأن تعجل الدمار لأعداء المسلمين فى كل بقعة ومكان . وأن تنشر سرادقات الأمن والعافية على البلاد الإسلامية شرقها وغربها ، وأن تجعل رزقهم رغدا ، وعيشهم هنيئا ، وأن تتوجهم تاج العزة والكرامة ، وأن تأخذ بقلوب ونواصى قادتهم ورؤسائهم إلى ماتحب لهم يارب وترضى ، من هذه العزة والكرامة . والفلاح والفوز بسعادة الأولى والأخرى . إنك أنت السميع القريب المجيب . وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك الكريم ورسولك الهادى الأمين محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه أسير خطاياه ، وفقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

أمثال القرآن

للإمام ابن قيم الجوزية

رحمه الله ورضى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خير البرية محمد وآله أجمعين.

قال شيخنا العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

وقع فى القرآن أمثال . و إن أمثال القرآن لايعقلها إلا العالمون . فإنها تشبيه شىء بشىء فى حكمه . وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر . كقوله تعالى فى حق المنافقين (٢ : ١٧ ـ ٢٠ مثلهم كمثل الذين استوقد ناراً . فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لايبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصَيِّب من السماء ، فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت . والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم . كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم . إن الله على كل شىء قدير)

فضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين : مثلا نارياً ومثلا مائياً ، لما فى النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة . فإن النار مادة النور . والماء مادة الحياة . وقد جعل الله سبحانه الوحى الذى أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها . ولهذا سماه « روحاً » و « نوراً » وجعل قابليه أحياء فى النور . ومن لم يرفع به رأسا أمواتا فى الظلمات .

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحى : أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضىء له ، وينتفع بها . وهذا لأنهم دخلوا فى الإسلام فاستضاءوا به ، وانتفعوا به ، وآمنوا

به ، وخالطوا المسلمين . ولكن لما يكن لصحبتهم المسلمين مادة فى قلوبهم من نور الإسلام طفىء عنهم .

و « ذهب الله بنورهم » ولم يقل : بنارهم . فإن النار فيها الإضاءة والإحراق . فذهب الله بما فيها من الإضاءة . وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق . وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . فهذا حال من أبصر ثم عمى . وعرف ثم أنكر . ودخل فى الإسلام ثم فارقه بقلبه . فهو لا يرجع إليه . ولهذا قال « فهم لا يرجعون » .

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائى . فشبههم بأصحاب صَيِّب . وهو المطر الذى يَصوب ، أى ينزل من السماء « فيه ظلمات ورعد و برق» فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت زواجز القرآن ، ووعيده وتهديده ، وأوامره ونواهيه ، وخطابه الذى يشبه الصواعق . فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد و برق . فلضعفه وخوره: جعل إصبعيه فى أذنيه ، وغمض عينيه ، خشية من صاعقة تصيبه .

وقد شاهدنا ـ نحن وغيرنا ـ كثيراً من مخانيث تلاميذ مَنْ دينه الجهمية والمبتدعة ، إذا سمعوا شيئاً من آيات الصفات ، وأحاديث الصفات المنافية لبدعهم ، رأيناهم عنها معرضين . كأنهم حمر مستنفرة فرَّت من قَسْورة . و يقول مخنثهم : سدوا عنا هذا الباب . واقرأوا علينا غيره . وترى قلوبهم مولِّية . وهم مجمجون ، لثقل معرفة الرب سبحانه وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم .

وكذلك المشركون ـ على اختلاف شركهم ـ إذا جردت لهم التوحيد ، وتلوت عليهم نصوصه المبطلة لشركهم : اشمأزت قلوبهم . وثقل عليهم . ولو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا .

وكذلك تجد أعداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين ، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثقل ذلك عليهم جداً . وأنكرته قلوبهم . وهذا كله شَبه ظاهر ، ومَثَل محقق من إخوانهم من المنافقين فى المثل الذى ضر به الله لهم بالماء . فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم .

فصــل

وقد ذكر الله سبحانه المثلين ـ المائى والنارى ـ فى سورة الرعد فى حق المؤمنين . فقال تعالى (١٣ : ١٧ أنزل من السماء ماء . فسالت أودية بقدَرها . فاحتمل السيل زَبَدًا رابيا . ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع : ز بد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فتذهب جُفاء . وأماماينفع الناس فيمكث فى الأرض . كذلك يضرب الله الأمثال)

شبه الوحى الذى أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذى أنزله لحياة الأرض بالنبات . وشبه القلوب بالأودية . فقلبٌ كبير ، يسع علماً عظيما ، كوادٍ كبير يسع ماء كثيراً . وقلب صغير إنما يسع بحسبه ، كالوادي الصغير . فسالت أودية بقدرها ، واحتملت القلوب من الهدى والعلم بقدرها . وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل غثاء وزبدا ، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار مافيها من الشهوات ليقلعها ويذهب بها ، كما يثير الدواء ـ وقت شربه ـ من البدن أخلاطه . فيتكرّب به شاربه . وهى من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذهب بها . فإنه لايجامعها ، ولا يساكنها . وهكذا يضرب الله الحق والباطل .

ثم ضرب المثل النارى ، فقال (١٣ : ١٧ ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع : زبدٌ مثله) وهو الخبث الذى يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد . فتخرجه النار وتميزه . وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به ، فيُرمى ويُطرح ، ويذهب جُفاء . فكذلك الشهوات والشبهات ، يرميها قلب المؤمن ويطرحها ، ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث . ويستقر فى قرار الوادى الماء الصافى الذى يستقى منه الناس ، ويزرعون ، ويسقون أنعامهم . كذلك يستقر فى قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافى ، الذى ينتفع به صاحبه . وينتفع به غيره . ومن لم يفقه هذين المثلين ويتدبرهما ويعرف مايراد منهما فليس من أهلهما . والله الموفق .

فصل

ومنها : قوله تعالى (١٠ : ٢٤ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام . حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها ، وازّينت ،

وظن أهلها أنهم قادرون عليهـا أتاها أمرنا ليلا أونهاراً . فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) .

شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر . فتروقه بزينتها وتعجبه . فيميل إليها ويهواها ، اغتراراً منه بها ، حتى إذا ظن أنه مالك لها ، قادر عليها سُلبها بغتة ، أحوج ما كان إليها . وحيل بينه وبينها .

فشبهها بالأرض التى ينزل الغيث عليها ، فتعشب ويحسن نباتهـا ، ويروق منظرها للناظر ، فيغتر به . ويظن أنه قادر عليها ، مالك لها . فيأتيها أمر الله عند ذاك . فتدرك نباتها الآفة بغتة . فتصبح كأن لم تـكن قبلُ شيئـاً . فيخيب ظنه . وتصبح يداه منها صفراً . فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء . وهذا من أبلغ التشبيه والقياس .

ولـما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات التى ذكرها . وجنة الآخرة سليمة منها . قال تعالى (١٠ : ٢٥ والله يدعو إلى دار السلام) فسماها « دار السلام » لسلامتها من هذه الآفات التى ذكرها فى الدنيا . فعم بالدعوة إليها ، وخص بالهداية من شاء . فذاك عدله وهذا فضله .

فصل

ومنها : قوله تعالى (١١ : ٢٤ مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع . هل يستويان مثلا ؟ أفلا تذكرون ؟) .

فإنه سبحانه ذكر الـكفار ، ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر المؤمنين . فوصفهم بالإيمان والعمل الصالح ، والإخبات إلى ربهم . فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن . وجعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم ، من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق ، أصم عن سماعه . فشبهه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء ، وسمعه أصم عن سماع الأصوات والفريق الآخر : بصير القلب سميعه ، كبصير العين سميع الأذن .

فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين . ثم نفى التسوية بين الفريقين ، بقوله (هل يستويان مثلا ؟) .

فصـــل

ومنهـا قوله تعالى (٢٩ : ٤١ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً . و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

فذكر الله تعالى أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم . فهم فى ضعفهم ، وما قصدوه ـ من اتخاذ الأولياء ـ كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وهى أوهن البيوت وأضعفها .

وتحت هذا المثل : أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً . كما قال تعالى (١٩ : ٨١ ، ٨٢ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً . كلا ، سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقال تعالى (٣٦ : ٧٤ ، ٧٥ واتخذوا من دون الله آلهةً لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم . وهم لهم جند مُحْضَرون) وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين (١١ : ١٠١ وماظلمناهم ، ولكن ظلموا أنفسهم . فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك . وما زادوهم غير تتبيب)

وهذه أربعة مواضع فى القرآن ، تدل على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتعزز به ويتكثر به ، ويستنصر به : لا يحصل له به إلا ضد مقصوده . وفى القرآن أكثر من ذلك .

وهذا من أحسن الأمثال ، وأدلها على بطلان الشرك ، وخسارة صاحبه ، وحصوله على ضد مقصوده .

فإن قيل : فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت . فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله (لو كانوا يعلمون) .

الجواب : أن الله سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيوت العنكبوت ، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم الموتى أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً . فلو علموا ذلك مافعلوه ، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الموتى أولياء من دونه يفيدهم عزاً ، وقوة . فكان الأمر فى الواقع بخلاف ما ظنوه .

فصل

ومنها قوله تعالى (١٤ : ١٨ مثل الذين كفروا بربهم : أعمالُهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف . لايقدرون مما كسبوا على شىء . ذلك هو الضلال البعيد) .

شبه سبحانه أعمال الكفار فى بطلانها ، وعدم الانتفاع بها ، برماد مرت عليه ريح شديدة فى يوم عاصف . فشبه سبحانه أعمالهم ـ فى حبوطها وذهابها باطلا ، كالهباء المنثور ؛ لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان ، وكونها لغير الله عز وجل ، وعلى غير أمره ـ : برماد طيرته الريح العاصف . فلا يقدر صاحبه على شىء منه وقت شدة حاجته إليه . فكذلك قال « لايقدرون مما كسبوا على شىء » أى لايقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شىء ، فلا يرون له أثراً ، من ثواب ولا فائدة نافعة . فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، موافقاً لشرعه .

والأعمال أربعة : فواحد مقبول ، وثلاثة مردودة . فالمقبول : هو الخالص الصواب . والخالص : أن يكون لله لا لغيره . والصواب :أن يكون قد شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والثلاثة المردودة : ماخالف ذلك .

وفى تشبيهها بالرماد شىء بديع . وذلك التشابه الذى بين أعمالهم و بين الرماد فى إحراق النار ، و إذهابها لأصل هذا وهذا .

فكانت الأعمال التى لغير الله عز وجل ، وعلى غير مراده : طعمة للنار ، و بها تُسَعَّر على أصحابها ، وينشىء الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً . كما ينشىء لأهل الأعمال الموافقة لأمره ، التى هى خالصة لوجهه من أعمالهم : نعيما وروحا . فأثرت النار فى أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً . فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار وحَصَب جهنم .

فصل

ومنها قول الله تعالى ذكره :

(٢٤ : ٣٥ الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى

زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دُرِّى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور . يهدى الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الأمثال للناس . والله بكل شىء عليم) .

قال أبى بن كعب : مثل نوره فى قلب المسلم . وهذا هو النور الذى أودعه الله فى قلب عبده من معرفته ومحبته ، والإيمان به وذكره . وهو نوره الذى أنزله إليهم فأحياهم به ، وجعلهم يمشون به بين الناس . وأصله فى قلوبهم ، ثم تقوى مادته فتتزايد حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم ، يبصره من هو من جنسهم ، وإن كان سائر الخلق له منكراً . فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور ، وصار بأيمانهم ويسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر ، حتى يقطعوه . وهم فيه على حسب قوته وضعفه فى قلوبهم فى الدنيا منهم من نوره كالشمس ، وآخر كالقمر ، وآخر كالنجوم ، وآخر كالسراج ، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه ، يضىء مرة ويطفأ أخرى ، إذ كانت هذه حال نوره فى الدنيا ، فأعطى على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره . ظهر له عياناً . ولما لم يكن للمنافق نور ثابت فى الدنيا ، بل كان نوره ظاهراً لا باطناً : أعطى نوراً ظاهر مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة ، وهى الكُوة فى الحائط . فهى مثل الصدر ، وفى تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدرى فى بياضه وصفائه . وهى مَثَل القلب . وشبهت بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هى فى قلب المؤمن ، وهى : الصفاء ، والصلابة . فيرى الحق والهدى بصفائه . وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة : برقته . ويجاهد أعداء الله تعالى ويَغْلُظ عليهم ، ويشتد فى الحق ، ويصلب فيه : بصلابته . ولا تبطل صفة منها صفة أخرى ولا تعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها . قال تعالى (٤٨ : ٢٩ أشداء على الكفار ، رُحَماء بينهم) وقال تعالى (٣ : ١٥٩ فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى (٦٦ : ٩ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) .

وفى أثر « القلوب آنية الله تعالى فى أرضه ، فأحبها إليه : أرقها وأصلبها وأصفاها » .

و بإزاء هذا القلب : قلبان مذمومان على طرفى نقيض .

أحدهما : قلب حجرى قاس ، لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا بر ، ولا صفاء له يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل . لا علم له بالحق ، ولا رحمة فيه للخلق .

و بإزائه قلب ضعيف مائى . لا قوة فيه ولا استمساك . بل يقبل كل صورة . وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير فى غيره . وكل ما خالطه أثَّر فيه من قوى وضعيف ، وطيب وخبيث .

وفى الزجاجة مصباح ، وهو النور الذى فى الفتيلة ، وهى حاملته . ولذلك النور مادة . وهو زيت قد عُصر من زيتونة نبتت فى أعدل الأماكن ، تصيبها الشمس أول النهار وآخره ، فزيتها من أصفى الزيت ، وأبعده من الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار .

فهذه مادة نور المصباح . وكذلك مادة نور المصباح الذى فى قلب المؤمن : هو من شجرة الوحى التى هى أعظم الأشياء بركة ، وأبعدها عن الانحراف ، بل هى أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ، لم تنحرف انحراف النصرانية ، ولا انحراف اليهودية . بل هى وسط بين الطرفين المذمومين فى كل شىء .

فهذه مادة مصباح الإيمان فى قلب المؤمن .

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه ، حتى كاد أن يضىء بنفسه ، ثم خالط النار . فاشتدت بها إضاءته ، وقويت مادة ضوء النارية فيه : كان ذلك نوراً على نور .

وهكذا المؤمن : قلبه مضىء ، يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لا مادة له من نفسه . فجاءت مادة الوحى ، فباشرت قلبه ، وخالطت بشاشته . فازداد نوراً بالوحى على نوره الذى فطره الله تعالى عليه . فاجتمع له نور الوحى إلى نور الفطرة . نور على نور . فيكاد ينطق بالحق ، و إن لم يسمع فيه أثراً ، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته ، فيكون نوراً على نور .

فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا ، ثم يسمع الأثر الذى جاء به مفصلا ، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحى ، وعن شهادة الفطرة .

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ، ومطابقتها لهذه المعانى الشريفة

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى نوره فى السموات والأرض ، ونوره فى قلب عباده المؤمنين : النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالأبصار . الذى استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى . فهما نوران عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر .

وكما أنه إذا فُقِد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمى ولا غيره ، لأن الحيوان إنما يعيش حيث يكون النور ، ومواضع الظلمة التى لايشرق عليها نور لايعيش فيها حيوان ولا يكون ألبتة . فكذلك أمّة فُقد فيها نور الوحى والإيمان ميتة ولا بد ، وقلب فُقد منه هذا النور : ميت ولا بد ، لاحياة له ألبتة ، كما لا حياة للحيوان فى مكان لانور فيه[١] .

فصل

وقد فسر قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) بكونه منور السموات والأرض ، وهادى أهل السموات والأرض ، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض .

وهذا إنما هو فعله . وإلا فالنور ــ الذى هو من أوصافه ــ قائم به . ومنه اشتق له اسم « النور » الذى هو أحد الأسماء الحسنى .

و« النور » يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين : إضافة صفة إلى موصوفها ، وإضافة مفعول إلى فاعله .

فالأول : كقوله عز وجل (٣٩ : ٦٩ وأشرقت الأرض بنور ربها) فهذا : إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى ، إذا جاء لفصل القضاء . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء المشهور « أعوذ بنور وجهك الكريم : أن تُضِلّنى . لا إله إلا أنت » وفى الأثر الآخر « أعوذ بوجهك ــ أو بنور وجهك ــ الذى أشرقت له الظلمات » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم : أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله ، كما أخبر تعالى : أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره .

وفى معجم الطبرانى والسنة له ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى وغيرها : عن ابن مسعود

---

(١) الوابل الصيب ص ٧٣٦ مجموعة الحديث النجدية .

رضى الله تعالى عنه قال « ليس عند ربكم ليل ولا نهار . نور السموات والأرض من نور وجهه » .

وهذا الذى قاله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادى أهل السموات والأرض .

وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض ، فلا تنافى بينه و بين قول ابن مسعود .

والحق : أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها .

وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ، فقال : إن الله لاينام . ولا ينبغى له أن ينام . يخفض القسط و يرفعه . يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور . لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : نور . أنَّى أراه ؟! » .

سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول : معناه : كان ثَمَّ نور ، أو حال دون رؤيته نور ، فأنى أراه ؟ .

قال : ويدل عليه : أن فى بعض الألفاظ الصحيحة « هل رأيت ربك ؟ فقال : رأيت نوراً » .

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس ، حتى صحفه بعضهم . فقال « نور إنى أراه » على أنها ياء النسب . والكلمة كلمة واحدة . وهذا خطأ لفظاً ومعنى . وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ : أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، وكان قوله « أنى أراه » كالإنكار للرؤية ، حاروا فى الحديث . ورده بعضهم باضطراب لفظه . وكل هذا عدول عن موجب الدليل .

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى فى « كتاب الرؤية » له إجماع الصحابة على أنه لم يَرَ ربه ليلة المعراج . و بعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك .

وشيخنا يقول : ليس ذلك بخلاف فى الحقيقة ، فإن ابن عباس لم يقل « رآه بعينى رأسه » وعليه اعتمد أحمد فى إحدى الروايتين ، حيث قال : إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل . ولم يقل بعينى رأسه . ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضى الله عنهما .

ويدل على صحته : ماقال شيخنا فى معنى حديث أبى ذر رضى الله عنه ـ قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر « حجابه النور » فهذا النور هو ـ والله أعلم ـ النور المذكور فى حديث أبى ذر رضى الله عنه « رأيت نوراً » .

فصل

وقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) هذا مثل لنوره فى قلب عبده المؤمن ، كما قال أبى بن كعب وغيره .

وقد اختلف فى مفسّر الضمير فى « نوره » فقيل : هو النبى صلى الله عليه وسلم ، أى مثل محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : مفسره المؤمن ، أى مثل نور المؤمن .

والصحيح : أنه يعود على الله سبحانه وتعالى . والمعنى : مثل نور الله سبحانه وتعالى فى قلب عبده . وأعظم عباده نصيباً من هذا النور : رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا ـ مع ماتضمنه عود الضمير المذكور ، وهو وجه الكلام ـ يتضمن التقادير الثلاثة ، وهو أتم لفظاً ومعنى .

وهذا النور يضاف إلى الله تعالى ، إذ هو معطيه لعبده ، وواهبه إياه . ويضاف إلى العبد ، إذ هو محله وقابله . فيضاف إلى الفاعل ، وإلى القابل . ولهذا النور فاعل ، وقابل ، ومحل وحامل ، ومادة . وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل . فالفاعل : هو الله تعالى مفيض الأنوار ، الهادى لنوره من يشاء . والقابل : هو العبد المؤمن . والمحل : قلبه . والحامل : همته وعزيمته وإرادته . والمادة : قوله وعمله .

وهذا التشبيه العجيب ـ الذى تضمنته الآية ـ فيه من الأسرار والمعانى ، وإظهار تمام نعمته تعالى على عبده المؤمن بما أناله من نوره : ماتقرُّ به عيون أهله ، وتبتهج به قلوبهم .

وفى هذا التشبيه لأهل المعانى طريقتان .

إحداهما : طريقة التشبيه المركب . وهى أقرب مأخذاً ، وأسلم من التكلف . وهى : أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن ، من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ، ومقابلته بجزء من المشبه به . وعلى هذا عامة أمثال القرآن .

فتأمل صفة « المشكاة » وهى كُوَّة تنفذ لتكون أجمع للضوء . قد وضع فيها مصباح ، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرى فى صفائها وحسنها . ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وَقوداً ، من زيت شجرة فى وسط البَراح ، لاشرقية ولا غربية ، بحيث تصيبها الشمس فى أحد طرفى النهار . بل هى فى وسط البَراح ، محمية بأطرافه ، تصيبها الشمس أعدل إصابة . والآفات إلى الأطراف دونها . فمن شدة إضاءة زيتها ، وصفاته وحسنه : يكاد يضىء من غير أن تمسه نار .

فهذا المجموع المركب : هو مثل نور الله تعالى ، الذى وضعه فى قلب عبده المؤمن ، وخصه به .

والطريقة الثانية : طريقة التشبيه المفصل .

فقيل : المشكاة صدر المؤمن . والزجاجة : قلبه . شبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها وكذلك قلب المؤمن . فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة ، فهو يرحم ، ويحسن ويتحنن ، ويشفق على الخلق برقته ، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ماهى عليه . ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء ، وبصلابته يشتد فى أمر الله ويتصلب فى ذات الله تعالى ، ويغلظ على أعداء الله تعالى ، ويقوم بالحق لله تعالى .

وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية ، كما قال بعض السلف « القلوب آنية الله فى أرضه ، فأحبها إلى الله : أرقها وأصلبها وأصفاها » .

و « المصباح » هو نور الإيمان فى قلبه . و « الشجرة المباركة » هى شجرة الوحى ، المتضمنة للهدى ودين الحق . وهى مادة المصباح التى يتَّقدُ منها و « النور » هو نور الفطرة الصحيحة ، والإدراك الصحيح ، ونور الوحى والكتاب ، فينضاف أحد النورين إلى الآخر

فيزداد العبد نوراً على نور . ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر والخبر ، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع فى قلبه ونطق به ، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع ، والفطرة والوحى . فيريه عقله وفطرته وذوقه الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل ، بل يتصادقان و يتوافقان .

فهذا علامة النور على النور . عكس من تلاطمت فى قلبه أمواج الشبه الباطلة ، والخيالات الفاسدة ، من الظنون ، والجاهليات التى يسميها أهلها : القواطع العقليات . فهى فى صدره كما قال الله (٢٤ : ٤٠ أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض . إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

فانظر كيف تضمنت هذه الآيات طرائق انتظمت طوائف بنى آدم أتم انتظام . واشتملت عليها أكمل اشتمال . فإن الناس قسمان : أهل الهدى والبصائر . الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه ، وأن كل ما عارضه : فشبهات ، يشتبه أمرها على من قلّ نصيبه من العقل والسمع . فيظنها شيئاً له حاصل ينتفع به وهى (٢٤ :٣٩، ٤٠ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب ، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) .

وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق ، أصحاب العلم النافع ، والعمل الصالح ، الذين صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أخباره ، ولم يعارضوه بالشبهات . وأطاعوه فى أوامره ، ولم يضيعوها بالشهوات . فلاهم فى علمهم من أهل الخوض الخراصين (٥١ :١١ الذين هم فى غمرة ساهون) ولاهم فى عملهم من المستمتعين بخلاقهم ، الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون .

أضاء لهم نور الوحى المبين ، فرأوا فى نوره أهل الظلمات فى ظلمات آرائهم يعمهون ،

وفى ضلالتهم يتهوكون ، وفى ريبهم يترددون ، مغترين بظاهر السراب ، مُمْحِلين مُجْدبين مما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الحكمة وفصل الخطاب . إن عندهم إلا نحاتة الأفكار ، وز بالة الأذهان التى قد رضوا بها واطمأنوا إليها ، وقدموها على السنة والقرآن (٤٠ : ٥٦ إن فى صدرهم إلا كبر ماهم ببالغيه) أوجبه لهم اتباع الهوى ، ونخوة الشيطان ، وهم لأجله يجادلون فى آيات الله بغير سلطان .

فصل

القسم الثانى : أهل الجهل والظلم ، الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والظلم لأنفسهم باتباع أهوائهم ، الذين قال الله تعالى فيهم (٥٣ : ٢٣ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

وهؤلاء قسمان :

أحدهما : الذين يحسبون أنهم على علم وهدى ، وهم أهل الجهل والضلال . فهؤلاء هم أهل الجهل المركب ، الذين يجهلون الحق و يعادون أهله ، وينصرون الباطل ويوالونه ، ويوالون أهله (٥٨ : ١٨ ويحسبون أنهم على شيء . ألا إنهم هم الكاذبون)

فهم ـ لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه ـ بمنزلة رائى السراب ، الذى يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذى الذى يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ، بل لم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان . كما هو حال من أمَّ السراب فلم يجده ماء ، بل انضاف إلى ذلك : أنه وجد عنده أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين سبحانه وتعالى ، فحسب له ماعنده من العلم والعمل ، فوفاه إياه بمثاقيل الذر وقدم إلى ماعمل من عمل يرجو نفعه ، فجعله هباء منثوراً ، إذ لم يكن خالصاً لوجهه ، ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وصارت تلك الشبهات الباطلة التى كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباء منثوراً ، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه .

و « السراب » مايرى فى الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، يَسْرُب على وجه الأرض ، كأنه ماء يجرى

و « القيعة » والقاع : هو المنبسط من الأرض الذى لاجبل فيه ولا واد .

شبه علوم من لم يأخذ علومه من الوحى وأعماله المبتدعة : بسراب يراه المسافر فى شدة الحر فيؤمه . فيخيب ظنه ، ويجده ناراً تَلَظَّى .

فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس ، واشتد بهم العطش ، بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء ، وإذا أتوه وجدوا الله عنده . فأخذتهم زبانية العذاب ، فتقلوهم إلى نار الجحيم (٤٧ : ١٥ فسُقوا ماء حميماً فقَطَّع أمعاءهم) وذلك الماء الذى سُقوه هو تلك العلوم التى لاتنفع ، والأعمال التى كانت لغير الله تعالى . صَيَّرها الله تعالى حميا ، وسقاهم إياه ، كما أن طعامهم (٨٨ : ٦ ، ٧ من ضَريع . لايسمن ولا يغنى من جوع) وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة ، التى كانت فى الدنيا كذلك لا تسمن ولا تغنى من جوع .

وهؤلاء هم الذين قال الله عنهم (١٨ : ١٠٣ ، ١٠٤ قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟) وهم الذين عنى الله بقوله (٢٥ : ٢٣ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وهم الذين عنى الله تعالى بقوله (٢:١٦٧ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وماهم بخارجين من النار)

القسم الثانى من هذا الصنف : أصحاب الظلمات .

وهم المنغمسون فى الجهل ، بحيث إنهم قد أحاطت بهم جاهليتهم من كل وجه . وهم لذلك بمنزلة الأنعام ، بل هم أضل سبيلا .

فهؤلاء : أعمالهم ـ التى يعملونها ـ على غير بصيرة ، بل بمجرد التقليد ، واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى .

و «ظلمات» جمع ظلمة . وهى ظلمة الجهل ، وظلمة الكفر ، وظلمة ظلم النفس بالتقليد واتباع الهوى ، وظلمة الشك والريب ، وظلمة الإعراض عن الحق الذى بعث الله تعالى به رسله . صلوات الله وسلامه عليهم . والنور الذى أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور .

فالمعرض عما بعث الله به عبده ورسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الهدى ودين

الحق يتقلب فى خمس ظلمات : قوله ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمة ، وقلبه مظلم ، ووجهه مظلم ، وكلامه مظلم ، وحاله مظلم . وإذا قابلت بصيرته الخفاشية مابعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من النور : جَدَّ فى الهرب منه ، وكاد نوره يخطف بصره . فهرب إلى ظلمات الآراء ، التى هى به أنسب . كما قيل :

خفافيش ، أعشاها النهار بضوئه ورافقها قِطَعٌ من الليل مظلم

فإذا جاء إلى زِبالة الأفكار ، ونِحاتة الأذهان : جال وصال ، وأبدى وأعاد ، وقعقع وفرقع . فإذا طلع نور الوحى ، وأشرقت شمس الرسالة : انْجَحَر فى جِحَرة الحشرات .

قوله (فى بحر لجى) « اللجى » العميق ، منسوب إلى لُجة البحر ، وهى معظمه .

وقوله تعالى (يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب) تصوير لحال هذا المعرض عن وحى الله وهداه . فشبه تلاطم أمواج الشبه والباطل فى صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر ، وأنها أمواج بعضها فوق بعض .

والضمير الأول فى قوله « يغشاه » راجع إلى البحر . والضمير الثانى فى قوله « من فوقه » عائد إلى الموج .

ثم إن تلك الأمواج مُغَشَّاة بسحاب .

فههنا ظلمات : ظلمة البحر اللجى ، وظلمة الموج الذى فوقه ، وظلمة السحاب الذى فوق ذلك كله . إذا أخرج مَنْ فى هذا البحرِ يده لم يكد يراها واختلف فى معنى ذلك .

فقال كثير من النحاة : هو نفى لمقاربة رؤيتها . وهو أبلغ من نفى الرؤية ، فإنه قد ينفى وقوع الشىء ولا ينفى مقاربته . فكأنه قال : لم يقارب رؤيتها بوجه .

قال هؤلاء « كاد » من أفعال المقاربة . لها حكم سائر الأفعال فى النفى والإثبات . فإذا قيل « كاد يفعل » فهو إثبات مقاربة الفعل . فإذا قيل « لم يكد يفعل » فهو نفى مقاربة الفعل .

وقالت طائفة أخرى : بل هذا دال على أنه إنما يراها بعد جهد شديد . وفى ذلك إثبات رؤيتها بعد أعظم العسر . لأجل تلك الظلمات .

قالوا : لأن « كاد » لها شأن ليس لغيرها من الأفعال . فإنها إذا أثبتت نفت . و إذا نفت أثبتت . فإذا قلت « ما كدت أصل إليك » فمعناه : وصلت إليك بعد الجهد والشدة . فهذا إثبات للوصول . وإذا قلت « كاد زيد يقوم » فهى نفى لقيامه ، كما قال تعالى (٧٢ : ١٩ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَداً) ومنه قوله تعالى (٦٨ : ٥١ وإن يكاد الذين كفروا لَيُزْلِقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) وأنشد بعضهم فى ذلك لغزاً :

أنحوى هـذا العصر ، ما هى لفظة جرت فى لسانَىْ جُرْهم وثمود
إذا استعملت فى صورة النفى أثبتت فإن أثبتت قامت مقام جحود ؟

وقالت فرقة ثالثة ـ منهم أبو عبد الله بن مالك وغيره ـ : إن استعمالها مثبتة يقتضى نفى خبرها ، كقولك « كاد زيد يقوم » واستعمالها منفية يقتضى نفيه بطريق الأولى . فهى عنده تنفى الخبر ، سواء كانت منفية أو مثبتة . فـ « لم يكد زيد يقوم » أبلغ عنده فى النفى من « لم يقم » واحتج بأنها إذا نفيت ـ وهى من أفعال المقاربة ـ فقد نفت مقاربة الفعل . وهو أبلغ من نفيه ، وإذا استعملت مثبتة فهى تقتضى مقاربة اسمها لخبرها . وهذا يدل على عدم وقوعه . واعتذر عن مثل قوله تعالى (٢ : ٧١ فذبحوها ، وما كادوا يفعلون) وعن مثل قوله « وصلت إليك وما كدت أصل » و « سلمت وما كدت أسلم » بأن هذا وارد على كلامين متباينين . أى فعلت كذا بعد أن لم أكن مقارباً له . فالأول : يقتضى وجود الفعل . والثانى : يقتضى أنه لم يكن مقارباً له ، بل كان آيساً منه . فهما كلامان مقصود بهما أمران متباينان .

وذهبت فرقة رابعة : إلى الفرق بين ماضيها ومستقبلها . فإذا كانت فى الإثبات : فهى لمقاربة الفعل ، سواء كانت بصيغة الماضى أو المستقبل . وإن كانت فى طرف النفى ، فإن كانت بصيغة المستقبل : كانت لنفى الفعل ومقاربته نحو قوله تعالى « لم يكد يراها » وإن كانت بصيغة الماضى : فهى تقتضى الإثبات ، نحو قوله « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

فهذه أربعة طرق للنحاة فى هذه اللفظة .

والصحيح : أنها فعل يقتضى المقاربة . ولها حكم سائر الأفعال ، ونفى الخبر لم يُسْتَفَد من لفظها ووضعها ، فإنها لم توضع لنفيه ، و إنما استفيد من لوازم معناها . فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل : لم يكن واقعاً ، فيكون منفياً باللزوم .

وأما إذا استعملت منفية : فإن كانت فى كلام واحد ، فهى لنفى المقاربة ، كما إذا قلت « لا يكاد البطال يفلح ، ولا يكاد البخيل يسود ، ولا يكاد الجبان يفرح »ونحو ذلك .

و إن كانت فى كلامين : اقتضت وقوع الفعل . بعد أن لم يكن مقارباً . كما قال ابن مالك . فهذا التحقيق فى أمرها .

والمقصود : أن قوله « لم يكد يراها » إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها ، لشدة الظلمة . وهو الأظهر . فإذا كان لا يقارب رؤيتها ، فكيف يراها ؟ قال ذو الرمة :

إذا غَيَّر النأىُ المحبين لم يكد رَسيس الهوى من حب مَيَّة يبرح

أى لم يقارب البراح . وهو الزوال . فكيف يزول ؟

فشبه الله سبحانه أعمالهم ــ أولاً ــ فى فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد . فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمّله ورجاه .

وشبهها ــ ثانياً ــ فى ظلمتها وسوادها ، لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان ، بظلمات متراكمة فى لجج البحر المتلاطم الأمواج ، الذى قد غشيه السحاب من فوقه .

فيالهُ تشبيهاً ما أبدعه ! ما أشد مطابقته لحال أهل البدع والضلال ، وحال من عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وترك به كتابه !

وهذا التشبيه هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح ، ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم . وكل واحد من « السراب » و « الظلمات » مَثَل لمجموع علومهم وأعمالهم . فهى سراب لاحاصل لها ، وظلمات لا نور فيها .

وهذا عكس مَثَل أعمال المؤمن وعلومه التى تلقاها من مشكاة النبوة . فإنها مثل الغيث الذى به حياة البلاد والعباد . ومثل النور الذى به انتفاع أهل الدنيا والآخرة .

ولهذا يذكر الله سبحانه هذين المثلين فى القرآن فى غير موضع لأوليائه وأعدائه [١] .

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٦ — ١٢ .

فصـــــل

ومنها قوله تعالى :

(٢٤ : ٣٩ ، ٤٠ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ ، يحسبه الظمآن ماء . حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ووجد الله عنده . فوفّاه حسابه . والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لُجِّى ، يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض . إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

ذكر سبحانه للكافرين مثلين : مثلاً بالسراب ، ومثلاً بالظلمات المتراكمة . وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان . أحدهما : من يظن أنه على شىء . فيتبين له ـ عند انكشاف الحقائق ـ خلاف ما كان يظنه . وهذه حال أهل الجهل ، وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنفسهم على علم وهدى . فإذا انكشفت لهم الحقائق تبين أنهم لم يكونوا على شىء . وأن عقائدهم وأعمالهم ـ التى ترتبت عليها ـ كانت كسراب يُرى فى عين الناظر ماء . والواقع : أنه لا حقيقة له . وهكذا الأعمال التى لغير الله عز وجل ، والتى على غير أمره : يحسبها الجاهل نافعة له . وليست كذلك . وهذه هى الأعمال التى قال الله فيها (٢٥ : ٢٣ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) .

وتأمل كيف جعل الله السراب بقيعة ، وهى الأرض القفر الخالية من البناء والشجر والنبات ، والأعلام . فمحل السراب : أرض قفر لاشىء فيها . والسراب : لاحقيقة له . وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التى أقفرت من الإيمان والهدى .

وتأمل ماتحت قوله (يحسبه الظمآن ماء) فإن « الظمآن » هو الذى قد اشتد عطشه . فرأى السراب فظنه ماء ، فتبعه فلم يجده شيئاً . بل خانه أحوج ما كان إليه . فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولغير الله : جعلت كالسراب ، فرفعت لهم أظمأ ما كانوا ، وأحوج ما كانوا إليها ، فلم يجدوا شيئاً ووجدوا الله ثمة ، فجازاهم بأعمالهم ، ووفاهم حسابهم .

وفى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث التجلى يوم القيامة « ثم يؤتَى بجهنم . تعرض ، كأنها السراب . فيقال لليهود :

ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً ابن الله . فيقال : كذبتم . ما اتخذ الله صاحبةً ولا ولداً . فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا . فيتساقطون فى جهنم . ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ الله صاحبةً ولا ولداً ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا ، فيقال لهم : اشربوا ، فيتساقطون ــ وذكر الحديث » .

وهذه حال كل صاحب باطل . فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه . فإن الباطل لاحقيقة له . وهو كاسمه باطل لاحقيقة له . فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولاحق ، كان متعلقه باطلاً . وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة ، كالعمل لغير الله ، وعلى غير أمره . بطل العمل ببطلان غايته ، وتعذب عامله ببطلانه ، وبحصول ضد ما كان يأمله . فلم يذهب عليه عمله ، واعتقاده ، لاله ولا عليه ، بل صار معذباً بفوات نفعه ، وبحصول ضد النفع . فلهذا قال الله تعالى (ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب) .

فهذا مثل الضال الذى يحسب نفسه على هدى .

فصل

النوع الثانى : أصحاب مثل الظلمات المتراكمة . وهم الذين عرفوا الحق والهدى ، وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال ، فتراكمت عليهم ظلمة الطبع ، وظلمة النفوس ، وظلمة الجهل . حيث لم يعملوا بعلمهم . فصاروا جاهلين ، وظلمة اتباع الغى والهوى . فحالهم كحال من كان فى بحر لجى لاساحل له . وقد غشيه موج ، ومن فوق ذلك الموج موج ، ومن فوقه سحاب مظلم ، فهو فى ظلمة البحر ، وظلمة الموج ، وظلمة السحاب . وهذا نظير ماهو فيه من الظلمات التى لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان .

وهذان المثلان ــ بالسراب الذى ظنه مادة الحياة . وهو الماء ، والظلمات المضادة للنور ــ نظير المثلين اللذين ضربهما الله للمنافقين والمؤمنين فى سورة البقرة . وهما : المثل المائى ، والمثل النارى . وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والإشراق ، وحظ المنافقين الظلمة المضادة للنور ، والموت المضاد للحياة .

وكذلك الـكفار ـ فى هذين المثلين ـ حظهم من الماء : السراب الذى يغرر بالناظر . فهو لا حقيقة له ، وحظهم الظلمات المترا كمة .

وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الـكفار . وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة ، بإعراضهم عن الوحى . فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد . ويجوز أن يكون المراد به تنويع أحوال الـكفار ، وأن أصحاب المثل الأول : هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة . بل على جهل ، وحسن ظن بالأسلاف . فـكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وأصحاب المثل الثانى : هم الذين استحبوا العمى على الهدى ، وآثروا الباطل على الحق ، وعموا عنه بعد أن بصروه ، وجحدوه بعد أن عرفوه . فهذا حال المغضوب عليهم . والأول : حال الضالين ، وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم ، المذكورين فى قوله تعالى (٢٤ : ٣٥ ـ ٣٨ الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب دُرّى يوقد من شجرة مباركة زيتونة . لاشرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار . نور على نور . يهدى الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الأمثال للناس. والله بكل شىء عليم . فى بيوت أذن الله أن تُرفَع ويذكر فيها اسمه . يُسَبِّحُ له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

فتضمنت الآيات الفرق الثلاثة : المنعم عليهم . وهم أهل النور . والضالين ، وهم : أصحاب السراب ، والمغضوب عليهم ، وهم : أهل الظلمات المترا كمة . والله أعلم .

فالمثل الأول ، من المثلين : لأصحاب العمل الباطل الذى لاينفع . والمثل الثانى : لأصحاب العلوم والنظر والأبحاث التى لاتنفع . فأولئك أصحاب العمل الباطل . وهؤلاء أصحاب العلم الذى لاينفع ، والاعتقادات الباطلة . وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق .

ولهذا مثل حال الفريق الثانى ـ فى تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة فى

قلوبهم - بتلاطم أمواج البحر فيه ، وأنها أمواج متلاطمة بعضها فوق بعض ، من فوقها سحاب مظلم . وهكذا أمواج الشكوك والشبهات فى قلوبهم المظلمة ، التى قد تراكمت عليها سحب الغى والهوى والباطل .

فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين . وليطابق بينها و بين المثلين : يرى قدر عظمة القرآن وجلالته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد .

وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك : أنه لم يجعل لهم نوراً ، بل تركهم فى الظلمة التى خلقوا فيها . فلم يخرجهم من الظلمات إلى النور . وفى المسند من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة . وألقى عليهم من نوره . فمن أصابه من ذلك النور اهتدى . ومن أخطأه ضل » فكذلك أنزل حق العلم على علم الله . والله تعالى خلق الخلق فى ظلمة . فمن أراد هدايته جعل له نوراً وجودياً يحيى به قلبه وروحه ، كما يحيى البدن بالروح التى نفخها فيه .

فهما حياتان . حياة البدن بالروح ، وحياة القلب والروح بالنور . ولهذا سمى الله سبحانه الوحى روحاً . لتوقف الحياة الحقيقية عليه . كما قال تعالى (١٦ : ٢ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (٤٢ : ٥٢ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) فجعل وحيه روحاً ونوراً . فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت . ومن لم يجعل له نوراً فهو فى الظلمات ماله من نور .

فصل

ومنها قوله تعالى (٢٥ : ٤٤ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام . بل هم أضل سبيلا) .

فشبه أكثر الناس بالأنعام . والجامع بين النوعين : التساوى فى عدم قبول الهدى والانقياد له . وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام . لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدى وتتبع الطريق ، فلا تحيد عنها يميناً ولا شمالا . والأكثرون من الناس يدعوهم الرسل و يهدونهم

السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ، ولا يفرقون بين مايضرهم وما ينفعهم . والأنعام تفرق بين مايضرها من النبات والطريق فتجتنبه ، وما ينفعها فتؤثره . والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوباً تعقل بها ، ولا ألسنة تنطق بها . وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما خُوِّل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار . فهم أضل من البهائم .فإن من لايهتدى إلى الرشد و إلى الطريق – مع الدليل إليه – هو أضل وأسوأ حالا ممن لايهتدى حيث لادليل معه .

فصـل

ومنها قوله تعالى (٣٠ : ٢٨ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم . هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ، فأنتم فيه سواء ، تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) .

وهذا دليل قياس . احتج الله سبحانه على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء . فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من أنفسهم ، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم . ومن أبلغ الحجاج : أن يأخذ الإنسان من نفسه على نفسه ، و يحتج عليه بما هو فى نفسه مقرر عنده معلوم له . فقال « هل لكم مما ملكت أيمانكم » من عبيدكم و إمائكم « شركاء » فى المال والأهل . أى هل يشارككم عبيدكم فى أموالكم وأهليكم ، فأنتم وهم فى ذلك سواء ، تخافون أن يقاسموكم أموالكم ، و يشاطروكم إياهم ، و يستأثرون ببعضها عليكم ، كما يخاف الشريك شريكه ؟ وقال ابن عباس : تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا ؟ .

والمعنى : هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه فى ماله وأهله ، حتى يساويه فى التصرف فى ذلك ، فهو يخاف أن ينفرد فى ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار ؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فَلِمَ عدلتم بى من خلقى من هو مملوك لى ؟ فإن كان هذا الحكم باطلا فى فِطَرِكم وعقولكم – مع أنه جائز عليكم ممكن فى حقكم . إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة ، و إنما هم إخوانكم وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم . وأنتم وهم عبيدى – فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم فى حقى ، مع أن من جعلتموهم لى شركاء : هم عبيدى وملكى وخلقى؟ فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولى العقول .

فصـــل

ومنها قوله تعالى (١٦ : ٧٥ ، ٧٦ ضرب الله مثلا : عبداً مملوكا لايقدر على شيء . ومن رزقناه منا رزقا حسنا . فهو ينفق منه سراً وجهراً . هل يستوون ؟ الحمد لله . بل أكثرهم لايعلمون . وضرب الله مثلا ، رجلين : أحدهما أبكم لايقدر على شيء . وهو كَلٌّ على مولاه أينما يُوجهه لا يأتِ بخير . هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟) .

هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس . وهو نفى الحكم لنفى علته وموجبه فإن القياس نوعان : قياس طرد ، يقتضى إثبات الحكم فى الفرع لثبوت علة الأصل فيه . وقياس عكس يقتضى نفى الحكم لنفى علة الحكم فيه .

فالمثل الأول : ماضرب به الله سبحانه لنفسه ، والأوثان . فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ، ينفق كيف يشاء على عبده سراً وجهراً ، وليلا ونهاراً « يمينه مَلْأى ، لايغيضها نفقة سَحَّاء الليلَ والنهار » والأوثان مملوكة عاجزة ، لاتقدر على شيء . فكيف تجعلونها شركاء لى ، وتعبدونها من دونى ، مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين ؟ هذا قول مجاهد وغيره .

وقال ابن عباس : هو مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر . مثل المؤمن فى الخير الذى عنده ثم رزقه الله منه رزقاً حسناً . فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سراً وجهراً . والكافر بمنزلة عبد مملوك لايقدر على شيء . لأنه لاخير عنده . فهل يستوى الرجلان عند أحد من العقلاء ؟ .

والقول الأول : أشبه بالمراد . فإنه أظهر فى بطلان الشرك ، وأوضح عند المخاطب ، وأعظم فى إقامة الحجة ، وأقرب نسباً لقوله تعالى (١٦ : ٧٤ و يعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ، ولا يستطيعون . فلا تضربوا لله الأمثال . إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم قال (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدر على شيء) .

ومن لوازم هذا المثل ، وأحكامه : أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقاً حسناً . والكافر المشرك : كالعبد المملوك . الذى لايقدر على شيء . فهذا مانبه عليه المثل ، وأرشد إليه . فذكره ابن عباس منبهاً على إرادته . لا لأن الآية اختصت به .

فتأمله. فإنك تجده كثيراً فى كلام ابن عباس وغيره من السلف فى فهم القرآن. فيظن الظان أن ذلك هو معنى الآية، وأن لا معنى لها غيره. فيحكيه قولَه.

فصل

وأما المثل الثانى: فهو مثل ضرب به الله تعالى لنفسه، ولما يعبدون من دونه أيضاً. فالصنم الذى يعبدونه من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق. بل هو أبكم القلب واللسان. قد عدم النطق القلبى واللسانى. ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شىء ألبتة. ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضى لك حاجة. والله سبحانه حى قادر متكلم، يأمر بالعدل. وهو على صراط مستقيم. وهذا وصف له بكافة الكمال والحمد.

فإن أمره بالعدل ــ وهو الحق ــ يتضمن أنه سبحانه عالم به، معلم له، راض به، آمر عباده به، محب لأهله لايأمر بسواه، بل هو منزه عن ضده ــ الذى هو الجور والظلم، والسفه، والباطل ــ بل أمره وشرعه عدل كله. وأهل العدل: هم أولياؤه وأحباؤه، وهم المجاورون له يوم القيامة عن يمينه، على منابر من نور.

وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعى الدينى، والأمر القدرى الكونى. وكلاهما عدل لاجور فيه بوجه ما. كما فى الحديث الصحيح «اللهم إنى عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فِىَّ حكمك، عدل فِىَّ قضاؤك» فقضاؤه: هو أمره الكونى. فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون. فلا يأمر الله إلا بحق وعدل، وإن كان فى المقضى المقدر ماهو جور وظلم. فالقضاء غير المقضى، والقدر غير المقدر.

ثم أخبر سبحانه أنه على صراط مستقيم. وهذا نظير قول رسوله هود[1] عليه الصلاة والسلام (١١ : ٥٦ إنى توكلت على الله ربى وربكم. مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها. إن ربى على صراط مستقيم) فقوله «مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها» نظير قوله «ناصيتى بيدك» وقوله (إن ربى على صراط مستقيم) نظير قوله «عدل فى قضاؤك» فالأول: ملكه. والثانى: حمده. وهو سبحانه له الملك وله الحمد، وكونه سبحانه (على صراط مستقيم)

---

(١) كان فى الأصل فى الموضعين. وهو بخط العلامة محمد بن الأمير الصنعانى رحمه الله. «شعيب» وهو غلط واضح. غفر الله لنا ولهم.

يقتضى أنه لا يقول إلا الحق ، ولا يأمر إلا بالعدل ، ولا يفعل إلا ماهو مصلحة ، وحكمة وعدل . فهو على الحق فى أفعاله وأقواله . فلا يقضى على العبد ما يكون ظلماً له ، ولا يأخذه بغير دينه ، ولا ينقصه من حسناته شيئاً ، ولا يحمل عليه من سيئات غيره التى لم يعملها ، ولا ينسب إليه شيئاً ، ولا يؤاخذ أحداً بغير ذنبه . ولا يفعل قط إلا مايحمد عليه ، ويُثْنَى به عليه ، وتكون له فيه العواقب الحميدة ، والغايات المطلوبة . فإن كونه « على صراط مستقيم » يأبى ذلك كله .

قال محمد بن جرير الطبرى : وقوله (إن ربى على صراط مستقيم) يقول : إن ربى على طريق الحق . يجازى المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسىء بإساءته لا يظلم أحداً منهم شيئاً ، ولا يقبل منهم إلا الإيمان به ، والإسلام له .

ثم حكى عن مجاهد ـ من طريق سهل ـ عن ابن أبى نجيح عنه (إن ربى على صراط مستقيم) قال : الحق . وكذلك رواه ابن جريج عنه .

وقالت فرقة : هى مثل (٨٩ : ١٤ إن ربك لبالمرصاد) وهذا اختلاف عبارة . فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

وقالت فرقة : فى الكلام حذف . تقديره : إن ربى يحثكم على صراط مستقيم ، ويحضكم عليه .

وهؤلاء إن أرادوا : أن هذا معنى الآية التى أريد بها ، فليس هو كما زعموا . ولا دليل على هذا المراد . وقد فرق سبحانه بين كونه آمراً بالعدل ، وبين كونه على صراط مستقيم .
وإن أرادوا : أن حثه على الصراط المسقيم من جملة كونه على صراط مستقيم . فقد أصابوا .

وقالت فرقة أخرى : معنى كونه على صراط مستقيم : أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله تعالى ، لا يفوته شىء منها .

وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية ، فليس كذلك . وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ، ومن مقتضاه وموجبه : فهو حق .

وقالت فرقة أخرى : معناه كل شيء تحت قدرته ، وقهره ، وفى ملكه وقبضته . وهذا ـ وإن كان حقاً ـ فهو ليس معنى الآية .

وقد فرق هود[1] عليه الصلاة والسلام ، بين قوله (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) و بين قوله (إن ربى على صراط مستقيم) فهما معنيان مستقلان .

فالقول قول مجاهد . وهو قول أئمة التفسير . ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه .

قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال الله تعالى (٦ : ٣٩ من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) و إذا كان الله تعالى هو الذى جعل رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على الصراط المستقيم فى أقوالهم وأفعالهم : فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم فى قوله وفعله . و إن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره ، فصراطه الذى هو سبحانه عليه : هو ما يقتضيه حمده سبحانه وكماله ومجده ، من قول الحق وفعله . و بالله التوفيق .

فصل

وفى الآية قول ثان ، مثل الآية الأولى سواء : أنه مثل ضر به الله للمؤمن والكافر . وقد تقدم مافى هذا القول . والله الموفق .

فصل

ومنها : قوله تعالى فى تشبيه من أعرض عن كلامه وعن تدبره (٧٤ : ٤٩ ـ ٥١ فما لهم عن التذكرة معرضين ؟ كأنهم حُمُر مستنفرة فرَّت من قَسْوَرَة) .

شبههم ـ فى إعراضهم ونفورهم عن القرآن ـ بحُمُر رأت الأسد والرماة . ففرت منه . وهذا من بديع التمثيل . فإن القوم ـ فى جهلهم بما بعث الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم ـ كالحمر . فهى لا تعقل شيئاً . فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامى نفرت منه أشد النفور . وهذا فى غاية الذم لهؤلاء . فإنهم نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم وحياتهم ، كنفور الحمر عما يهلكها و ينفرها .

(١) كانت فى الأصل « شعيب » .

وتحت « المستنفرة » معنى أبلغ من النافرة . فإنها ــ لشدة نفورها ــ قد استنفر بعضها بعضاً ، وحضّه على النفور . فإن فى الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد . فكأنها تواصت بالنفور ، وتواطأت عليه . ومن قرأها بفتح الفاء ، فالمعنى : أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته .

فصل

ومنها : قوله تعالى (٦٢ : ٥ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ، ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين) .

فقاس من حَمَّله الله سبحانه كتابه ــ ليؤمن به و يتدبره ، و يعمل به ، و يدعو إليه ــ ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب . يقرأه بغير تدبر ولا تفهم ، ولا اتباع له ، ولاتحكيم له ، ولاعمل بموجبه ــ كحمار على ظهره زاملة أسفار . لايدرى مافيها . وحظه منها : مشقة حملها على ظهره ليس إلا . فحظه من كتاب الله تعالى كحظ هذا الحمار من مشقة حمل الكتب التى على ظهره . فهذا المثل ــ و إن كان قد ضرب لليهود ــ فهومتناول ــ من حيث المعنى ــ لمن حُمِّل القرآن ، فترك العمل به . ولم يؤد حقه . ولم يرعه حق رعايته .

فصل

ومنها : قوله تعالى (٧ : ١٧٥ ــ ١٧٨ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آيتنا . فانسلخ منها فأتبعه الشيطان . فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه . فمثله كمثل الكلب . إن تحمل عليه يَلْهَث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا .فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون . من يهدى الله فهو المهتدى . ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) .

فشبه سبحانه من آتاه الله كتابه ، وعلمه العلم الذى منعه غيره . فترك العمل به ، واتبع هواه ، وآثر سخط الله على رضاه ، ودنياه على آخرته ، والمخلوق على الخالق ــ بالكلب الذى هو من أخبث الحيوانات ، وأوضعها قدراً ، وأخبثها نفساً ، وهمته لا تتعدى بطنه . وأشدها شراً وحرصاً . ومن حرصه : أنه لايمشى إلا وخطمه فى الأرض . يتشمم به و يتروح ،

حرصاً وشرهاً ، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه ، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته . وهو من أمهر الحيوانات وأحملها للهوان ، وأرضاها بالدنايا . والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم الطرى . والعذرة أحب إليه من الحلوى . وإذا ظفر بميتة تكفى مائة كلب لم يدع كلباً يتناول معه منها شيئاً إلا هرّ عليه وقهره ، لحرصه وبخله وشرهه . ومن عجيب أمره وحرصه : أنه إذا رأى ذا هيأة رثّه ، وثياب دنية ، وحال مزرية نبحه وحمل عليه ، كأنه يتصور مشاركته له ومنازعته فى قوته . وإذا رأى ذا هيئة حسنة ، وثياب جميلة ، ورياسة : وضع له خطمه بالأرض ، وخضع له . ولم يرفع إليه رأسه .

وفى تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله تعالى والدار الآخرة مع وفور علمه ـ بالكلب فى حال لهثه شىء بديع . وهو أن هذا الذى حاله ماذكره الله تعالى ـ من انسلاخه من آياته واتباعه هواه ـ إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى والدار الآخرة . فهو شديد اللهف عليها . ولهفه نظير لهف الكلب الدائم فى حال انزعاجه وتركه . واللهف واللهث شقيقان وأخوان فى اللفظ والمعنى .

قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد ، لافؤاد له . إن تحمل عليه يلهث . وإن تتركه يلهث . فهو مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له . وإنما فؤاده منقطع .

قلت : مراده بانقطاع فؤاده : أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث . وهكذا الذى انسلخ من آيات الله : لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا ، وترك اللهف عليها . فهذا يتلهف على الدنيا من قلة صبره عليها . وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء . فالكلب من أقل الحيوانات صبراً عن الماء . وإذا عطش أكل الثرى من العطش . وإن كان فيه صبر على الجوع .

وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهثاً ، يلهث قائماً وقاعداً وماشياً وواقفاً . وذلك لشدة حرصه . فحرارة الحرص فى كبده توجب له دوام اللهث . فهكذا مُشَبَّهُه ، شدة حرارة الشهوة فى قلبه : توجب له دوام اللهث . فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث . وإن لم تعظه فهو يلهث .

قال مجاهد : وذلك مثال الذى أوتى الكتاب ولم يعمل به .

وقال ابن عباس : إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن تركته لم يهتد إلى خير . كالكلب إن كان رابضاً لهث . وإن طرد لهث .

وقال الحسن : هو المنافق . لايثبت على الحق ، دُعى أو لم يدع . وعظ أو لم يوعظ كالكلب يلهث طرد أو ترك .

وقال عطاء : ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه .

وقال أبو محمد بن قتيبة : كل شىء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب . فإنه يلهث فى حال الظلال ، وحال الراحة . وحال الصحة ، وحال المرض والعطش . فضرب به الله مثلا لمن كذب بآياته .

قال ابن عطية : إن دعوته فهو ضال . و إن تركته فهو ضال . كالكلب إن طردته لهث و إن تركته على حاله لهث .

ونظيره قوله تعالى (٧:١٩٣ و إن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم . سواء عليكم ، أدعوتموهم أم أنتم صامتون) .

وتأمل مافى هذا المثل من الحِكَم والمعانى . فمنها قوله (« آتيناه آياتنا » فأخبر سبحانه : أنه هو الذى آتاه آياته فإنها نعمه[1] . والله هو الذى أنعم بها عليه . فأضافها إلى نفسه . ثم قال « فانسلخ منها » أى خرج منها ، كما تنسلخ الحية من جلدها . وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم . ولم يقل فسلخناه منها . لأنه هو الذى تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه .

ومنها : قوله سبحانه « فأتبعه الشيطان » أى لحقه وأدركه . كما قال تعالى فى قوم فرعون

---

(١) سياق الآيات صريح فى أن « الآيات » هنا هى السمع والبصر والفؤاد والإنسانية ، وسنن الفطرة ، والسنن الكونيـة فى الانفس والآفاق . فانها آيات على أسماء الله وصفاته . لانها من آثارها . وهى آيات على أنه سبحانه رب العالمين ، الذى يربى الجميع بنعمه وبره وإحسانه ، والذى خلق الإنسان كله فى أحسن تقويم . كما اشار إلى ذلك فى قوله (وإذ أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم) والانسلاخ منها : هو بالتقليد الأعمى ، والإخلاد إلى أرض البهيمية ، التى لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل . كما سيأتى فى قوله سبحانه عن هذا النسلخ وأشباهه « لهم قلوب لايفقهون بها ـ الآية)فتأمل ولاتكن من المقلدين

(٢٦ : ٦٠ فأتبعوهم مشرقين) فكان محفوظاً محروساً بآيات الله ، محمى الجانب بها من الشيطان . لاينال منه شيئا إلا على غِرَّة وخَطْفة . فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته . فكان من الغاوين ، العاملين بخلاف علمهم . الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه ، كعلماء السوء .

ومنها : أنه سبحانه قال « ولو شئنا لرفعناه بها » فأخبر سبحانه : أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم[1] . فإن هذا كان من العلماء . وإنما هي باتباع الحق وإيثاره ، وقصد مرضاة الله تعالى . فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه . ولم يرفعه الله بعلمه . ولم ينفعه به . فنعوذ بالله من علم لاينفع .

وأخبر سبحانه : أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم . وإن لم يرفعه الله فهو موضوع ، لايرفع أحد به رأساً . فإن الخافض الرافع هو الله سبحانه ، خفضه ولم يرفعه .

والمعنى : ولو شئنا فضلناه . وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه إياها . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها .

وقالت طائفة : الضمير في قوله « لرفعناه » عائد على الكفر . والمعنى : لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بما معه من آياتنا . قال مجاهد وعطاء : لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه .

وهذا المعنى حق ، ولكن الأول هو مراد الآية . وهذا من لوازم المراد . وقد تقدم أن السلف كثيراً ماينبهون على لازم معنى الآية . فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها .

وقوله « ولكنه أخلد إلى الأرض » قال سعيد بن جبير : ركن إلى الأرض . وقال مجاهد : سكن . وقال مقاتل : رضي بالدنيا . وقال أبو عبيدة : لزمها وأبطأ . والمخلد من الرجال : هو الذي يبطىء في مشيته . ومن الدواب : الذي تبقى ثناياه إلى أن تخرج رباعيته .

(١) لو كان المراد العلم لذكر الضمير ولم يؤنثه . فقد أعاده على الآيات في الانفس والآفاق التي انسلخ منها المقلد حين عمى عن تلك الآيات في نفسها فسول له شياطين الإنس والجن : أنه لم يخلق ليفهم ما أنزل الله ، ولا ليفقه عن رسول الله . وإنما خلق مجرداً عن السمع والبصر والعقل والفهم في الدين . وإن كان يسمع ويبصر ويفقه في معاشه البهيمي كما تفهم البهائم . فهو أضل منها سبيلا .

وقال الزجاج : خلد وأخلد أصله من الخلود وهو الدوام والبقاء . يقال : أخلد فلان بالمكان إذا قام به . قال مالك به نويرة .

بأبناء حى من قبائل مالك وعمرو بن يربوع أقاموا وأخلدوا

قلت : ومنه قوله تعالى (٥٦ : ١٧ يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى قد خلقوا للبقاء لذلك لايتغيرون ولا يبيدون . وهم على سن واحد أبدا . وقد قيل : هم المقرطون فى آذانهم والمسورون فى أيديهم .

وأصحاب هذا القول فسروا اللفظة ببعض لوازمها . وذلك إشارة إلى التخليد على ذلك السن . فلا تنافى بين القولين .

وقوله « واتبع هواه » قال الكلبى : اتبع سافل الأمور وترك معاليها . وقال أبو روق : اختار الدنيا على الآخرة . وقال عطاء : أراد الدنيا ، وأطاع شيطانه . وقال : إنه كان هواه مع القوم . يعنى : الذين حاربوا موسى عليه السلام وقومه . وقال يمان : اتبع امرأته . لأنها التى حملته على مافعل .

فإن قيل : الاستدراك بلكن يقتضى أن يثبت بعدها نفى ماقبلها ، أو ينفى ما أثبت ، كما تقول : لو شئت لأعطيته . لكنى لم أعطه . ولو شئت لما فعلت كذا . لكنى فعلته . فالاستدراك يقتضى : ولو شئنا لرفعناه بها . ولكنا لم نشأ . فلم نرفع . ولكنه أخلد . فكيف استدرك بقوله « لكنه أخلد إلى الأرض » بعد قوله « ولو شئنا لرفعناه بها » ؟ .

قيل : هذا من الكلي الملحوظ فيه جانب المعنى ، المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعانى . وذلك أن مضمون قوله « ولو شئنا لرفعناه بها » أنه لم يتعاط الأسباب التى تقتضى رفعه بالآيات : من إيثاره الله ومرضاته على هواه . ولكنه آثر الدنيا ، وأخلد إلى الأرض ، واتبع هواه .

وقال الزمخشرى : المعنى ولو لزم آياتنا لرفعناه بها . ولكنه تذكر المشيئة والمراد : ماهى تابعة له ومسببة عنه . فقال : ألا ترى إلى قوله (ولكنه أخلد إلى الأرض) فاستدرك المشيئة بإخلاده الذى هو فعله . فوجب أن يكون « ولو شئنا » فى معنى ماهو فعله . ولو كان الكلام على ظاهره ، لوجب أن يقال : ولو شئنا لرفعناه . ولكنا لم نشأ .

فهذه شنشنة نعرفها من قدرى ناف المشيئة العامة . وأبعد النجعة فى جعل كلام الله معتزليا قدرياً . فإن قوله « ولوشئنا » فى قوله : ولو لزمها . ثم إذا كان الملزوم لها موقوفاً على مشيئة الله ـ وهو الحق ـ لبطل أصله .

وقوله « إن مشيئة الله تابعة للزومه الآيات » من أفسد الكلام وأبطله . بل لزوم آيات الله تابع لمشيئة الله عز وجل . فمشيئة الله سبحانه متبوعة لاتابعة ، وسبب لامسبب ، وموجب مقتض لامقتضًى . فما شاء الله وجب وجوده ومالم يشأ امتنع وجوده .

فصـــل

ومنها قوله تعالى (٤٩ : ١٢ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن . إن بعض الظن إثم . ولا تجسسوا . ولا يغتب بعضكم بعضاً . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ؟ واتقوا الله إن الله تواب رحيم) .

وهذا من أحسن القياس التمثيلى . فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه . ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه فى غيبته ، كان بمنزلة من يقطع لحمه فى حال غيبة روحه عنه بالموت . ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه ـ بكونه غائباً عن ذامّه ومغتابه ـ كان بمنزلة الميت الذى يُقَطَّع لحمه ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه . ولما كان مقتضى الأخوة : التراحم ، والتواصل ، والتناصر . فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها ، من الذم والعيب وآثم الظن : كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه . والأخوة تقتضى حفظه وصيانته ، والذب عنه .

ولما كان المغتاب متكلماً بغيبته وذمه ، متحلياً بذلك : شبه بآكل لحم أخيه ميتاً . ومحبته لذلك : قدر زائد على مجرد أكله ، كما أن أكله : قدر زائد على تمزيقه .

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل ، وحسن موقعه ، ومطابقة المعقول فيه المحسوس .

وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتاً . ووصفهم بذلك فى آخر الآية ، والإنكار عليهم فى أولها : أن يحب أحدهم ذلك . فإذا كان هذا مكروها فى طباعهم . فكيف يحبون ماهو مثله ونظيره ؟ فاحتج بما كرهوه على ماأحبوه . وشبه لهم مايحبونه بما هو أكره شىء إليهم . وهم أشد نفرة عنه . فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة : أن يكونوا أشد شىء نفرة عما هو نظيره ومشبهه . و بالله التوفيق .

(يتبع)

الموالد للموتى

ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء

توجه إلى فضيلته السؤال الآتى :

ما حكم الدين فى إقامة الموالد للمشايخ ، ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم ؟ .

فأجاب . وفقنا الله و إياه لما يحبه و يرضاه . ونفع الناس بقوله الحق :

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه .

الموالد : هى هذه الحفلات الصاخبة ، أو المجتمعات السوقية العامة ، التى ابتدعها المسلمون فى عهودهم المتأخرة باسم تكريم الأولياء و إعلان قدرهم ومكانتهم ، عن طريق تقديم القرابين ، وذبح النذور ، و إقامة حلقات الذكر ، وعن طريق الخطب ، والقصص والمناقب ، والأناشيد . التى تصور حياة الولى ، وتصف تنقله فى معارج الولاية ، ومايتحدث به الناس عنه ، و يضاف إليه من كشف وخوارق وكرامات .

تقام تلك الحفلات لأولياء المدن ، ولكثير من أولياء القرى ، وقد تقام حفلة الميلاد فى السنة الواحدة للولى الواحد مرتين فأكثر . ولهذه الموالد على العموم عشاق يضعونها فى مصاف الشئون الدينية التى يتقربون بها إلى الله عن طريق الولى ، فيحفظون تواريخها ، و يهيئون طول العام لها . حتى إذا ماحل وقتها تراهم يحزمون أمتعتهم و يرتحلون بقضهم وقضيضهم ، برجالهم ونسائهم ، بشيوخهم وشبانهم . و يلقون ـ بأحمالهم كما يقولون ـ على شيال الحمول صاحب المولد ، تاركين بيوتهم ومصالحهم فى قراهم ومزارعهم . مدة تتراوح بين أسبوع وأسبوعين .

والمشايخ الأولياء ، من جهة تعلق الناس بهم ، والعناية بموالدهم . على قيم مختلفة ودرجات متفاوتة . فمنهم من يعظم عند الناس جاهه ، و يمتد فى نظرهم سلطانه . و يتسع

صدره لكل لون من ألوان الحياة ، ولكل رغبة من رغبات الطوائف ، حتى لقد ترى حفلات المقامرين والمقامرات ، بجانب حفلات المدمنين والمدمنات ، وبجانبها حفلات الذاكرين والذاكرات ، والخليعين والخليعات ، والراقصين والراقصات ، ويجوس خلال الجميع المتسولون والمتسولات ، والنشالون والنشالات . وكل ذلك يصنع فى الموالد ، وعليه تقام ، وإليها يهرع الناس باسم الولاية وتكريم المشايخ .

ومهما قال عشاق الموالد ، والمتكسبون بها ومروجوها ـ من أن فيها ذكر الله ، والمواعظ ، وفيها الصدقات ، وإطعام الفقراء ـ فإن بعض ماتراه فيها ويراه كل الناس . من ألوان الفسوق ، وأنواع المخازى ، وصور التهتك ، والإسراف فى المال : مايحتم على رجال الشئون الإجتماعية ، وقادة الإصلاح الخلقى والدينى ، المبادرة بالعمل على إبطالها ومنعها ، ووضع حد لمخازيها ، وتطهير البلاد من وصمتها . ولقد صارت بحق ـ لسكوت العلماء عنها ، ومشاركة رجال الحكم فيها ـ مباءة عامة تنتهك فيها الحرمات ، وتراق فى جوانبها دماء الأعراض ، وتمسخ فيها وجوه العبادة ، وتستباح البدع والمنكرات ، ولا يقف فيها أرباب الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامة . وإنما يبتكرون ويبتدعون ماشاء لهم الهوى من صور الدعارة المقوضة للخلق والفضيلة .

ومن أشد مايؤلم المؤمن : أن نرى كثيراً من تلك المناظر الداعرة تُطوِّق فى المدن معاهد العلم والدين ، ومساجد العبادة والتقوى . على مسمع ومرأى من رجال الحكم ورجال الدين . أرباب الدعوة والإرشاد .

أما وضع الشمع والمناديل على مقامات الأولياء وكسوتها . فينبغى أن يعرف ـ أولا ـ أن الدين الحق لايعرف شيئاً يقال له « مقامات الأولياء » سوى ما يكون المؤمنين المتقين عند ربهم من درجات . وإنما يعرف ـ كما يعرف الناس ـ أن لهم قبوراً ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ، يحرم تشييدها وزخرفتها ، وإقامة المقاصير عليها . وتحرم الصلاة فيها وإليها وعندها ، وبناء المساجد من أجلها ، والطواف بها ومناجاة من فيها ، والتمسح بجدرانها ، وتقبيلها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها . ويحرم إيقاد شموع ،

طـــــــــــوبى للغرباء

الإمام ابن قيم الجوزية
رحمه الله ورضى عنه

قال الله تعالى (١١ : ١١٦ فلولا كان من القرون من قبلكم أُولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ؟ إلا قليلاً ممن أنجينا منهم) .

الغرباء فى العالم : هم أهل هذه الصفة المذكورة فى هذه الآية . وهم الذين أشار إليهم النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « بدأ الإسلام غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ . فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد النـاس » وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن زهير عن عمرو بن أبى عمرو ـ مولى المطلب بن حَنْطَب ـ عن المطلب بن حنطب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء . قالوا : يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يزيدون إذا نقص الناس » .

بقية المنشور على ص ٤٧

أو ثريات حولها . وكل ذلك مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون فى فعله على أنه قربة لله ، أو تكريم للولى ، أو قربة لله وطاعة ، خروج عن حدود الدين ، ورجوع إلى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى وارتكاب لما حرمه الله ورسوله فى العقيدة والعمل ، وإضاعة للأموال فى غير فائدة ، بل فى سبيل الشيطان . وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على سلب الأموال بالباطل .

أما بعد ـ فهذا هو حكم الدين فى الموالد . وهذا هو حكمه فيما يصنع بمقامات الأولياء .

فمتى يتنبه المسلمون ويعودون إلى الهدى الحق ؟ ويتقربون إلى الله بما يرضاه الله مما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتقرب به إليه أولياؤه ، الذين آمنوا وكانوا يتقون . و « خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظاً ـ لم ينقلب على الرواى لفظه وهو « الذين ينقصون إذا زاد الناس » ـ فمعناه : الذين يزيدون خيراً و إيماناً و تُقًى إذا نقص الناس من ذلك . والله أعلم .

وفى حديث الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « إن الإسلام بدأ غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ . فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء ، يارسول الله ؟ قال : النزَّاع من القبائل » وفى حديث عبد الله بن عمرو قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ، ونحن عنده ـ « طوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء ، يارسول الله ؟ قال : ناس صالحون قليل فى ناس كثير . من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » .

وقال أحمد : حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا محمد بن مسلم حدثنا عثمان بن عبد الله عن سليمان بن هرمز عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أحب شىء إلى الله الغرباء . قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الفرارون بدينهم . يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة » .

وفى حديث آخر « بدأ الإسلام غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ . فطوبى للغرباء . قيل : ومن الغرباء ، يارسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتى . و يعلمونها الناس » .

وقال نافع عن مالك « دخل عمر بن الخطاب المسجد . فوجد معاذ بن جبل جالساً إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يبكى . فقال له عمر : مايبكيك ، ياأبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا . ولكن حديثاً حدثنيه حبيبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى هذا المسجد . فقال : ماهو ؟ قال : إن الله يحب الأخفياء الأحفياء الأتقياء الأبرياء . الذين إذا غابوا لم يفتقدوا . وإذا حضروا لم يعرفوا . قلوبهم مصابيح الهدى . يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة » .

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون . ولقلتهم فى الناس جداً : سموا « غرباء » فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات . فأهل الإسلام فى الناس غرباء . والمؤمنون فى

أهل الإسلام غرباء . وأهل العلم فى المؤمنين غرباء [1] . وأهل السنة ـ الذين يميزونها من الأهواء والبدع ـ فهم غرباء . والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين : هم أشد هؤلاء غربة . ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً . فلا غربة عليهم . وإنما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم (٦ : ١١٦ وإن تُطِعْ أكثر من فى الأرض يُضِلوك عن سبيل الله) فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه . وغربتهم هى الغربة الموحشة . وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم . كما قيل :

فليس غريباً من تناءت دياره ولكنَّ من تَنأَيْنَ عنه غريب

ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من قوم فرعون انتهى إلى مدين ، على الحال التى ذكر الله . وهو وحيد غريب خائف جائع . فقال « يارب وحيد مريض غريب . فقيل له : ياموسى ، الوحيد : من ليس له مثلى أنيس . والمريض: من ليس له مثلى طبيب . والغريب : من ليس بينى وبينه معاملة » .

فالغربة ثلاثة أنواع : غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق . وهى الغربة التى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلها . وأخبر عن الدين الذى جاء به : أنه « بدأ غريباً » وأنه « سيعود غريباً كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » .

وهذه الغربة قد تكون فى مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قوم دون قوم . ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقاً . فإنهم لم يأووا إلى غير الله . ولم ينتسبوا إلى غير رسوله صلى الله عليه وسلم . ولم يدعوا إلى غير ما جاء به . وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم . فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا فى مكانهم . فيقال لهم « ألا تنطلقون حيث انطلق الناس ؟ فيقولون : فارقنا الناس ، ونحن أحوج إليهم منا اليوم . وإنما ننتظر ربنا الذى كنا نعبده » .

فهذه « الغربة » لاوحشة على صاحبها . بل هو آنَسُ ما يكون إذا استوحش الناس .

---

(١) وهل يكون إيمان صادق بلا علم ؟ أو يكون إيمان صادق بلا محاربة للبدع والأهواء ؟ ودعوة إلى هدى الله ، وجهاد فى سبيله ، وطاعة رسوله ، وصبر على الأذى فى مرضاته ؟ .

وأشد ماتكون وحشته إذا استأنسوا . فوليه الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه .

وفى حديث القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال – عن الله تعالى – « إن أغبط أوليائى عندى : لمؤمن . خفيف الحاذِّ ، ذو حظ من صلاته . أحسنَ عبادة ربه . وكان رزقه كَفافاً ، وكان مع ذلك غامضاً فى الناس . لايشار إليه بالأصابع . وصبر على ذلك حتى لقى الله . ثم حَلَّت منيته ، وقَلَّ تُراثه ، وقَلَّتْ بَواكيه » .

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم أنس فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم « رُبَّ أشعثَ أغبر . ذى طِمْرَين لا يُؤْبَهُ له . لو أقسم على الله لأبَرَّه » .

وفى حديث أبى إدريس الخولانى عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى ، يارسول الله . قال : كل ضعيف أغْبَرَ ، ذى طمرين لا يؤبه له . لو أقسم على الله لأبره » وقال الحسن : المؤمن فى الدنيا كالغريب . لايجزع من ذلها ، ولاينافس فى عزها ، للناس حال . وله حال . الناس منه فى راحة . وهو من نفسه فى تعب .

ومن صفات هؤلاء الغرباء – الذين غبطهم النبى صلى الله عليه وسلم – : التمسك بالسنة ، إذا رغب عنها الناس . وترك ما أحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم . وتجريد التوحيد . وإن أنكر ذلك أكثر الناس . وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ، لاشيخ ، ولاطريقة ، ولامذهب ، ولاطائفة . بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده . وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً . وأكثر الناس – بل كلهم – لائمٌ لهم . فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهلَ شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الأعظم .

ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « هم النزاع من القبائل » أن الله سبحانه بعث رسوله ، وأهلُ الأرض على أديان مختلفة . فهم بين عُبَّاد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ،

ويهود وصابئة وفلاسفة . وكان الإسلام فى أول ظهوره غريباً . وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله ولرسوله : غريباً فى حيِّه وقبيلته . وأهله وعشيرته .

فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نُزَّاعاً من القبائل . بل آحاداً منهم . تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم . ودخلوا فى الإسلام . فكانوا هم الغرباء حقاً : حتى ظهر الإسلام ، وانتشرت دعوته . ودخل الناس فيه أفواجاً . فزالت تلك الغربة عنهم . ثم أخذ فى الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريباً كما بدأ . بل الإسلام الحق ـ الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ هو اليوم أشد غربة منه فى أول ظهوره . وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة . فالإسلام الحقيقى غريب جداً . وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس

وكيف لا تكون فِرقة واحدة قليلة جدّاً ، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة . ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات . ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ماجاء به الرسول ؟ فإن نفس ماجاء به : يضاد أهواءهم ولذاتهم ، وماهم عليه من الشبهات والبدع التى هى منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التى هى غايات مقاصدهم و إراداتهم ؟

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم ، وأطاعوا شُحَّهم ، وأعجب كل منهم برأيه ؟ كما قال النبى صلى الله عليه وسلم[١] « مروا بالمعروف . وانهوا عن المنكر . حتى إذا رأيتم شُحًّا مطاعاً وهوًى متبعاً ، ودنيا مُؤْثَرة ، و إعجاب كل ذى رأى برأيه . ورأيت أمراً لايدَ لك به ، فعليك بخاصة نفسك . و إياك وعوامَّهم . فإن وراءكم أياماً صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر » ولهذا جعل للمسلم الصادق فى هذا الوقت ـ إذا تمسك بدينه ـ : أجر خمسين من الصحابة . ففى سنن أبى داود والترمذى ـ من حديث أبى ثعلبة الخُشَنى ـ قال « سألت رسول الله صلى الله

(١) لعله حديث معاذ عند ابن مردويه . والظاهر : أن فيه تحريفاً ، وأما حديث أبى ثعلبة الخشنى فعبارة المشكاة فيه « حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه . ورأيت أمراً لا بد لك منه : فعليك نفسك . ودع أمر العوام .. فإن من ورائكم أيام الصبر . فمن صبر قبض على الجمر » الخ

عليه وسلم عن هذه الآية (٥ : ١٠٥ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال : بل ائتمروا بالمعروف . وتناهوا عن المنكر . حتى إذا رأيت شُحًّا مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مُؤثَرة ، و إعجاب كل ذى رأى برأيه . فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوامَّ . فإن من وراءكم أيام الصبر . الصبر فيهن مثل قبضٍ على الجمر . للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله . قلت : يارسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم » وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس ، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمن ـ الذى قد رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقهاً فى سنة رسوله ، وفهما فى كتابه ، وأراه ما الناسُ فيه : من الاهواء والبدع والضلالات ، وتنكبهم عن الصراط المستقيم ، الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، و إزرائهم به . وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه . كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه و إمامه صلى الله عليه وسلم . فأما إن دعاهم إلى ذلك ، وقدح فيما هم عليه : فهنالك تقوم قيامتهم . و يبغون له الغوائل . و ينصبون له الحبائل . و يجلبون عليه بخيل كبيرهم ورَجْله .

فهو غريب فى دينه لفساد أديانهم ، غريب فى تمسكه بالسنة ، لتمسكهم بالبدع . غريب فى اعتقاده ، لفساد عقائدهم . غريب فى صلاته ، لسوء صلاتهم . غريب فى طريقه ، لضلال وفساد طرقهم . غريب فى نسبته ، لمخالفة نِسَبهم . غريب فى معاشرته لهم . لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم .

و بالجملة : فهو غريب فى أمور دنياه وآخرته . لا يجد من العامة مساعداً ولا معيناً . فهو عالم بين جهال . صاحب سنة بين أهل بدع . داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع . آمر بالمعروف ، ناه عن المنكر بين قوم المعروفُ لديهم منكر والمنكر معروف .

النوع الثانى من الغربة

غربة مذمومة . وهى غربة أهل الباطل ، وأهل الفجور بين أهل الحق . فهى غربة

بين حزب الله المفلحين ، وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابهم وأشياعهم . أهل وحشة على كثرة مؤنسهم . يُعرفون فى أهل الأرض . ويخفون على أهل السماء .

النوع الثالث : غربة مشتركة ، لا تحمد ولا تذم

وهى الغربة عن الوطن . فإن الناس كلهم فى هذه الدار غرباء . فإنها ليست لهم بدار مقام . ولاهى الدار التى خلقوا لها . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما « كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » وهكذا هو فى نفس الأمر . لأنه أمر أن يطالع ذلك بقلبه . ويعرفه حق المعرفة . ولى من أبيات فى هذا المعنى :

وحَىَّ على جنات عدن . فإنها منازلك الأولى . وفيها المخيَّم
ولكننا سَبْىُ العدو . فهل ترى نعود إلى أوطاننا ، ونُسَلَّم ؟
وأىُّ اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تَحَكَّم ؟
وقد زعموا : أن الغريب إذا نأى وشَطَّت به أوطانه . ليس يَنْعَم
فمن أجل ذا لاينعم العبد ساعة من العمر ، إلا بعد ما يتألم

وكيف لا يكون العبد فى هذه الدار غريباً ، وهو على جناح سفر . لايحل عن راحلته ولا بين أهل القبور ؟ فهو مسافر فى صورة قاعد . وقد قيل :

وما هذه الأيام إلا مراحل يَحُثُّ بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شىء ـ لو تأملتَ ـ أنها منازل تُطْوَى . والمسافر قاعد

الجـــلاء

أقيمت الزينات ، وعمت الأفراح ، جميع الجمهورية المصرية الفتية ، من أقصاها إلى أقصاها ، من عاصمتها إلى قراها ودساكرها ، بما مَنَّ الله علينا من جلاء العدو المستعمر ، بعد أن جثم على صدر وطننا زهاء ٧٤ سنة ، وكانت ألسنة ملايين المواطنين تهتف لبطل الاستقلال ، ورمز الأمانى ، الرئيس جمال عبدُ الناصر . وكانت قلوب الملايين تتجه إلى الله العلى القدير تسأله أن يحفظه ويرعاه ، ويسدد خطاه ، حتى تتحقق على يديه الأمانى ، ويقود الأمة إلى العزة والمجد والرخاء .

لقد كان يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ يوماً فاصلا فى تاريخ مصر ، تم فيه جلاء الجنود الإنجليزية التى عاثت فى البلاد فساداً ثلاثة أرباع قرن . كانوا يفرضون على البلاد حكاماً من برادعهم وأشياعهم ، ويفرضون على البلاد نظماً فى الحكم والتعليم والحياة ، كلها فساد وانحلال ، وأسباب التفرق ، والضيعة ، والهوان والذل ، حتى يضمنوا أسباب الاستكانة لهم ، والخضوع لاحتلالهم .

كانوا يحمون العرش ، ويحمون الأقليات ، ويميزون الطبقات ، ويحيون النعرات والعصبيات ، ويقربون طبقات الحكام ، وطلاب المنافع ، حتى يكونوا عوناً لهم على تخدير الأمة ، وقتل الشعور فيها بالعزة والكرامة ، والتطلع إلى الحرية ، والاستقلال ، وحقها فى الحياة .

كانوا يشيعون أسباب الفساد والانحلال ، بإخراج المرأة من خدرها ، ودفعها فى طريق السفور ، والإختلاط ، والمطالبة بالمساواة ، والحقوق المزعومة ، وإبطال الشرع فى الطلاق والطاعة ، وتعدد الزوجات ، والميراث وغيرها مما هو معلوم معروف للجميع .

كم مثل المنافقون فى العهود الغابرة ـ وقد كانوا أطوع للمحتل الغاصب من بنانه ، فى إشاعة أسباب الفساد والضعف ، والخذلان والاستكانة ـ كم مثل هؤلاء أدوار الوطنية ، وأدوار البطولة فى كفاح الاستعمار . كم مثلوا أمام الشعب ـ الذى بدأ يستيقظ ـ أدوار

المفاوضات والمحادثات ، ويعلم الله أنهم كانوا يجتمعون معهم على الود والصفاء ، وهم فى كل مرة يوثقون حبال الاحتلال والاستعمار ، ويزيدون قيود التكبيل ، وأسباب التنكيل .

فلما مَنّ الله على مصر بثورتها المباركة ، بقيادة رجال مخلصين من صميم الشعب . أرغم المحتل إرغاماً على الرحيل . فقد رأوا بأعينهم الصدق والإخلاص ، والعزيمة الأكيدة على إخراجهم طوعاً أو كرها . وجدوا أن زمام الأمر فى الأمة أصبح فى يد رجال أقوياء أمناء . لاتلين لهم قناة ، ولا تنفع معهم أساليبهم البالية من المكر والخداع ، لايخدعهم ترغيب ، ولا يخيفهم ترهيب ، وجدوا رجالا باعوا أنفسهم لله ثم للوطن ، فخرجوا مذمومين ملعونين مدحورين .

فحق لمصر أن تفرح ، وحُق لها أن ترفع الرأس عالياً ، وحق لها أن تزهو بمنقذها ومجدد شبابها الرئيس جمال عبد الناصر ، ووجب عليها أن تكون ألسنة تهتف له ، وتدعو الله أن يحفظه ويرعاه ويكلأه بعنايته .

وفى مساء يوم الثلاثاء ١٩ يونيو سنة ١٩٥٦ ، اجتمع مئات الآلاف من شعب مصر فى ميدان الجمهورية ، فى مؤتمر شعبى رائع ، ليسمع من المنقذ العظيم نهاية الاحتلال والاستعمار ، وبداية عهد الحرية والبناء .

وبهذه المناسبة رفعت جماعة أنصار السنة المحمدية ، إلى السيد الرئيس برقيات التهانى والدعوات إلى الله ليحفظه ويرعاه . حتى تتم على يده الأمانى والآمال . إنه سميع قريب .

تجديد الاشتراك

نرجو من السادة المشتركين أن يبادروا بإرسال قيمة الاشتراك عن السنة الجديدة (١٣٧٦) وسوف نضطر إلى قطعها عنهم آسفين إن لم تصلنا قيمة الاشتراك فى بحر ذى الحجة ١٣٧٥ .

وترسل قيمة الاشتراك من شيكات أو حوالات باسم محمد رشدى خليل مدير إدارة مجلة ـ الهدى النبوى (مكتب بريد السبتية بمصر) وترسل الشيكات أو الحوالات على عنوان الجماعة بشارع قوله رقم ٨ عابدين مصر .

الإدارة

المـــــال والبنون

يحلو لبعض الناس أن يثير الجدل حول مسائل تكاد تكون فطرية لايصح أن يختلف فيها ذووا الفطر السليمة ولكن حب الجدال والغلب هو الذى يثيرها .

من تلك المسائل (المال والبنون) . وأيهما أفضل ؟ المال أم البنون ؟؟ وأيهما أقرب إلى النفس وأحب إليها ؟

فإذا قلت : إنهم البنون ، أفلاذ الأكباد . من رزقهم فقد رزق السعادة . ومن حرمهم فقد حرم السعادة ولو كان عنده مال قارون قالوا : بل المال ، حبيب الروح ، وشقيق النفس . من حازه فقد حيزت له السعادة ، يدخل من أى أبوابها شاء . به ينال كل مايتمنى وما يشتهى ، ولو شاء لاشترى به الأبناء .

رويدك ، يامخادعا لنفسه . استحلفك بالله أن تخلو لنفسك وتجيب على هذا السؤال : هل تستطيع أن تبيع ابنك أو بنتك بألف أو عشرة آلاف أو أكثر من الجنيهات ؟ هل تستطيع أن تفعل ذلك ولو كنت لاتملك قوت يومك ؟

الجواب معروف ، لايختلف فيه اثنان ، إلا إذا كان أحدهما ممن فسدت فطرهم فأعماهم حب المال عن سواء السبيل .

إن البقر والحمير والغنم من المال ، فما بالك تتركها بعيدة عنك فى الزرائب ، وتحتضن ولدك ، وتكاد لوتيسر لك أن تجعله بين عينيك . إن الرجل لينفق كل غال ونفيس فى سبيل طعام أولاده وكسوتهم وتعليمهم وعلاجهم : والأولاد قرة العين وسرور النفس وسكن القلب وقد وصانا الله سبحانه أن نسأله أن يهب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة عين نسأله تعالى أن يحقق لنا ذلك . لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وسخر له مافى السموات والأرض ، وفضله وكرمه ، وجعله خليفة فى الأرض . أفمن كان ذلك شأنه يقدر بمال ، أو يوزن بعرض زائل .

ولكن كل ذلك لايقنعه ، بل ينظر إليك نظرة إزدراء واستخفاف فيلقى إليك بالحجة التى يخيل إليه أنها تقهرك وتلجمك ، فيقال : ألم تقرأ أو تسمع قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياه الدنيا) ؟ألم يقدم الله سبحانه المال على البنين ؟

مهلا ياأخى ، لاتحرف الكلم عن مواضعه ، ولا تحاول أن تفرض رأيك على القرآن .
أتدرى سبب نزول تلك الآية ؟ لقد كان الضعفاء الفقراء أول من استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه ، وكان المستكبرون من السادة والأشراف يحتقرونهم ، ويعيرون الرسول بأن أتباعه من الضعفاء المساكين ، وأنهم من العبيد الأذلاء الذين لايملكون مالا ولا ولداً .

وكان أكثرهم افتخاراً بالمال والولد عيينة والأقرع ـ وكانا أكثر القوم مالا وولدا ـ فأراد الله سبحانه وتعالى أن يسفههما وأمثالهما فضرب مثلا بصاحب الجنتين الذى تطاول على الفقير المؤمن واستكبر بما أتاه الله من المال والبنون . ثم ضرب مثل الحياة وأنها كالهشيم ـ أى القش ـ الذى تذروه الرياح .

ثم عقب سبحانه وتعال أن المال والبنون ، الذى يفتخر بها من لايقدر نعمة الله فيهما ، ولا يقوم بواجب الشكر فيهما ، ولا يتخذ منهما مطية يوصلانه إلى رضوان الله . أخبر سبحانه أنهما زينة الحياة الدنيا أى مما يتزين بهما فى الحياة الدنيا . وأن الباقيات الصالحات ، من الإيمان والعمل الصالح ، هو الخير من الله فيرتجى ثوابه ويؤمل فى نفعه يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . سلم من الشرك وعبادة الموتى . ودعاء غير الله ، وسلم من الحقد والضغن والحسد ، وسلم من الغيبة والنميمة ، وسلم من الجشع والطمع وأكل أموال الناس بالباطل .

من ذلك ترى أن الله سبحانه وتعالى ماذكر المال والبنين إلا فى مقام الذم لامقام المدح . والشىء الذى يقدم فى الذم يكون ذمه أكثر ، والذى يقدم فى المدح يقصد مدحه أكثر من غيره . فقدم الله المال على البنين فى مقام الذم لاالمدح كقوله تعالى : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

فمن غير المقبول أن نقول أن الله سبحانه فضل المال على الولد بل نقول أنه سبحانه ذم المال أكثر مما ذم الولد . كل ذلك لمن يتخذون المال والأولاد سبيلا إلى الاستعلاء والغطرسة والكبر والافتخار أما المؤمنون فإنهم يعرفون نعم الله ويقدرونها قدرها ويشكرون الله عليها ويضعون كل نعمة فى موضعها . جعلنا الله وإياكم وإياهم من الذاكرين الشاكرين .

الاستفتاء على رئاسة الجمهورية

فى الرابع عشر من شهر ذى القعدة عام ١٣٧٥ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٦ استفتى الشعب المصرى على رئاسة بطل الاستقلال وقائد الثورة جمال عبدالناصر للجمهورية المصرية فأقبل الشعب منذ الصباح الباكر للإدلاء بأصواتهم ، ووقفوا فى صفوف منتظرين أمام مقار اللجان ، فى صبر ورغبة أكيدة فى إعطاء أصواتهم للرجل الذى لمسوا بأيديهم بأنه يعمل الليل والنهار من أجلهم وأجل مستقبل أبنائهم ، لمسوا بأيديهم كيف أطاح بالفساد والمفسدين من الملك السابق إلى أمراء بيته إلى الإقطاعيين إلى الأحزاب إلى الاستعمار . لمسوا بأيديهم ماصنع من أجل العزة الوطنية بتسليح جيش الشعب تسليحا قويا أفزع الأعداء ، وأثلج صدور الأحياء ، لمسوا بأيديهم ماصنع من أجل رفاهيتهم ورفع مستواهم فى التعليم والمساكن و إعادة تخطيط المدن وتحسين سبل المعيشة وتيسير طرق الحياة .

من أجل ذلك وكثير غيره مما لمسوه ورأوه بأعينهم ، حرصوا على إعطاء أصواتهم لجمال عبد الناصر .

لقد تم الاستفتاء فى جو من الحرية الكاملة من غير ضغط ولا إرهاب ولاحتى مجرد توجيه من أحد . والكل يذكر ما كان يحدث من المهازل فى الانتخابات فى العهود السابقة حتى إن ٨٠ ٪ من الناخبين كانوا يؤثرون السلامة فيمتنعون من الذهاب إلى لجان الانتخابات . أما فى هذا الاستفتاء فلم يتخلف أكثر من اثنين فى المائة وربما كان تخلفهم إما للسفر للأراضى الحجازية لحلول موسم الحج وسفر الأفواج الأولى قبل الاستفتاء وأما لمرض طارىء وأما لغير ذلك من الأعذار الاضطرارية ولقد دلت نتيجة الاستفتاء على أن الشعب المصرى الوفى أصبح فاهما واعياً يعرف الفضل لذويه ويقدر من أبنائه من يخلص فى سبيل مجده وعزته ورفاهيته .

كما دلت نتيجة الاستفتاء على ماللرئيس جمال عبد الناصر من الحب العميق فى قلوب

المواطنين الذين تجاوبوا معه على خيرهم وسعادتهم وعزمهم على حياة أفضل لهم ومستقبل زاهر لبنيهم .

وهاهى إحصائية الأصوات فى الاستفتاء .

العدد	البيان
٤٦٧ ٦٩٧ ٥	عدد الأشخاص المقيدين بجداول الانتخاب .
٥٥٥ ٤٩٤ ٥	« الأصوات التى أعطيت للسيد الرئيس .
٢٦٧ ٥	« « « لم توافق .
٤٦٩ ٨	« « الباطلة .
١٧٦ ١٨٩	« المتخلفين .

فكانت النسبة المئوية لعدد الموافقين إلى عدد الأصوات الصحيحة التى أعطيت ٩ر٩٩٪ أى أن الإجماع قد انعقد على اختيار السيد جمال عبد الناصر أول رئيس لجمهورية مصر .

وجماعة أنصار السنة المحمدية تتقدم بأعظم التهانى للسيد الرئيس والشعب المصرى على هذا الاختيار الموفق الذى صادف أهله . سائلين المولى سبحانه أن يوفق السيد الرئيس إلى إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين ، ويعز به العروبة أنه سميع قريب مجيب ؟

خطبـــــة منبرية

بقلم سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذى أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . وأشهد أن لا إله إلا الله ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله مما دان له الناس من البدع والخرافات وعبادة الموتى واتخاذهم أولياء من دون الله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله . بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فجزاه الله أفضل مايجزى نبياً عن أمته .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين (ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) . أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم فقام ببيانه بقوله وعمله خير بيان حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك .

أنزل الله تعالى كتابه ، وأمرنا فيه بالصلاة والزكاة والصوم والحج . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أوقات الصلاة ، وكيفية التطهر لها ، والأذان والإقامة ، وعدد ركعات كل صلاة ، وما يجهر فيها ، وما يسر ، وما يقرأ فيها من فاتحة الكتاب ، وما تيسر من القرآن ، وكيفية الركوع والسجود وما يدعى بها فى كل حركة . و بين عليه الصلاة والسلام أن الصلاة عماد الدين ، وأن من تركها لاحظ له من الإسلام ، و إنه يخلد فى النار مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف . و بين عليه الصلاة والسلام أن مثل الصلاة فى تطهير القلوب ، وتزكية النفوس ، والنهى عن الفحشاء والمنكر ، كمثل نهر جار أمام البيت، يغتسل فيه صاحب البيت فى اليوم والليلة خمس مرات . فلا يترك على جسمه من قذر .

وليس بيان الرسول صلى الله عليه وسلم من عند نفسه ، لأنه لاينطق عن الهوى ،

ولـكنه عن وحى من الله سبحانه . وقد قال صلى الله عليه وسلم أنه أوتى القرآن ومثله معه ، وهو هذا البيان الذى فصل فيه مجمل القرآن ، وقيد مطلقه ، وخصص عامه .

و بين رسول الله الزكاة التى أمر بها ر بنا فى كتابه الـكريم ، ففصل ما يكون من الزكاة فى الذهب والفضة ، وما يكون فى الأنعام ، وما يكون فى الثمار ، والزروع ، ومايكون فى التجارة . و بين فى الصوم ، وفى الحج ، البيان الشافى الـكافى ، الذى لم يترك لسائل أن يسأل ، ولا لمبتدع أن يبتدع ، ولا لضال أن يضل ، إلا إذا كان ممن كتب الله عليهم الشقاء ، فآثر أقوال الرجال وآراء الناس ، على بيان الرسول وسنته المطهرة الواضحة .

إنهم يبر رون بدعهم وخرافاتهم بأنها ممـا وردت فى كتب المذاهب وشروح الفقهاء وحواشى العلماء . ياسبحان الله . وهل ضلت الأمم التى كانت قبلنا إلا بترك هدى أنبيائهم وأتباع أقوال علمائهم وأحبارهم ؟ وفى الحديث الصحيح : أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعـالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أر باباً من دون الله) على عدى بن حاتم الطائى . فقال : يارسول الله لسنا نعبدهم . قال : أليس يحلون لـكم فتحلون ، ويحرمون عليـكم فتحرمون . قال : بلى يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : فتلك عبادتهم .

فالأولى بالمسلم العـاقل الناصح لنفسه أن يتبع هدى رسول الله . وهو بين واضح نير كالشمس المشرقة فى البخارى ومسلم وفى غيرهما من كتب السنة . وأن يضرب بكلام غيره كائناً من كان عرض الحائط ، إذا كان مخالفاً لهديه وسنته صلى الله عليه وسلم . فإن الله سبحانه وتعالى لم يعصم أحداً من الخطأ واتباع الهوى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون ، ألا تخشون أن تذودكم الملائـكة عن الحوض يوم القيامة ، فيقول الرسول أمتى ، أمتى . فيقولون : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . فيقول : سحقاً لمن بدل بعدى .

أيها المسلمون . بماذا تجيبون ر بكم يوم العرض حين يسألـكم عن نبيكم ؟ أتجيبون بأنكم تركتم سنته واستثقلتموها ، واتبعتم كلام فلان وفلان ؟ هل ينجيكم ذلك من غضب الجبار ، وعذاب النار ؟ هل تعتذرون بأنكم لم تفهموا كلام رسول الله ، وفهمتم كلام غيره ؟ وهل يكون كلام الرسول الذى أرسله الله ليقطع به حجة الناس ومعاذيرهم غير مفهوم ؟ فـكيف يكون بياناً للناس ؟ .

شدد الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر ماشدد ، ونهى أكثر مانهى عن البدع ومحدثات الأمور . وقال : إن الله قد حجب التوبة عن صاحب البدعة . فإياكم ومحدثات الأمور ، وعليكم بكتاب الله و بيان رسول الله ، اعتصموا بهما . والأمر سهل يسير لاعنت فيه ولا مشقة . فهذا كتاب الله ميسر سهل مبسوط لمن أحب لنفسه النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة . وهذه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واضحة نيرة مشرقة فى كتب الحديث لا التواء فيها ولا اختلاف فلا ترضى بها بديلا من كلام الناس . فالحق الذى فى كلامهم لابد وأن يكون فى كتاب الله وسنة رسوله . وأما غير ذلك فلا حاجة لنا إليه . إن كنا من طلاب الحق الذين لايرضون عنه بديلا ولا عنه حولا .

نسأل الله أن يرينا الحق حقاً و يرزقنا اتباعه ، و يرينا الباطل باطلا و يرزقنا اجتنابه ، اللهم وفقنا إلى اتباع كتابك وهدى نبيك ، وأحينا على ذلك ، وأمتنا عليه . وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الآمر باتباع نبيه الأمين . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) أرأيت يا أخى كيف يحذرنا الله من عصيان الرسول ويأمرنا بطاعته واتباعه حتى لاتحبط أعمالنا ، والعياذ بالله ؟ وقال تعالى (قل ، إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) أرأيت كيف جعل الله اتباع رسوله دليلا على حبه والإيمان به .

فاتباع السنة النبوية واجب على كل مسلم ، بل لايتحقق لمسلم إسلام إلا إذا اتبعها وأحلها من قلبه محل الحب والاحترام والتقديس . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ومعنى هواه : ماتهواه نفسه وتحبه وتشتهيه . ومعنى تبعاً لما جاء به : أنه فى كل أموره ، مايأتى منها وما يدع ينظر أولا ،

بماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر ؟ أمر بكذا وكذا . إذن فلأفعل ما أمر به ، ولو خالف ماعليه الناس ، ولو صدم التقاليد والعادات ، ولو كان غير ما اشتهى وما أهوى . فذلك اتباع ماجاء به صلى الله عليه وسلم . لايخشى فى اتباعه لومة لائم ، سائلا الله التوفيق وحسن الاتباع ، راجياً منه ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

الهدى كل الهدى فى اتباع كتاب الله وسنة رسوله . والضلال كل الضلال ، والشقاء أعظم الشقاء فى هجر كتاب الله وترك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد نصح عليه الصلاة والسلام فقال « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتى » وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . و إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »

هـذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يرشدنا إلى سبيل الله القويم ، وصراطه المستقيم . يعلمنا و يعرفنا أين نجد الهدى ، وكيف نتقى الضلال . فأولى لنا ثم أولى ، أن نصغى إليه ونتبعه ، ونسير وراءه حتى ندخل خلفه الجنة بفضل الله ورحمته ، ومَنّه وكرمه . حقق اللهم لنا ذلك .

ولقد نهانا رسولنا الصادق الأمين عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم ، عن اتباع مايخترع النـاس من الأحزاب والأوراد والموالد ، والتواشيح والقصائد والمدائح ، والأذكار والخلوات ، مما لم يكن عليه أمره وسنته عليه الصلاة والسلام . فقال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود على صاحبه لايقبله الله ولا يفتح له أبواب السماء . بل يعود على صاحبه بالخيبة والخسران .

فلنتدارك أمورنا ، ونصلح ما أفسدنا من أعمالنا ، لعل الله أن يقبلنا إذا صدقت نياتنا وأعمالنا ، باتباع نبينا . ولنتحر أشد التحرى، ولنفتش أدق التفتيش عن السنة النبوية المطهرة فى كتبها ، ولنفهمها بعقولنا ، لا بعقول الناس ، ولنربط قلوبنا ونفوسنا معها لا نحيد عنها . والله المسئول أن يوفقنا إلى ذلك . إنه سميع مجيب قريب .

أيها المسلمون : لايغرنكم كثرة اتباع البدع وقلة اتباع السنة ، فإنهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم : أنهم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس و يصلحون ما أفسد الناس . جعلنا الله و إياكم منهم .

أيها المسلمون : احذروا أن تكونوا من الظالمين لأنفسهم ، الذين يعضون على أيديهم ندماً يوم القيامة ، و يقولون : ياليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلا ، بل كونوا معه فى الدنيا باتباع سنته وسلوك سبيله . تكونون معه إن شاء الله يوم القيامة فتفوزون فوزاً عظيما . هدانا الله جميعاً إلى ذلك .

اللهم إنا نسألك العفو عما مضى ، ونسألك التوفيق فيما بقى ، اللهم ارزقنا حسن الاتباع لنبيك ، وجنبنا البدع ومحدثات الأمور واتباع الهوى ، اللهم وفقنا ووفق رؤساءنا وقادتنا ، إلى العمل بكتابك وهدى رسولك ، وسدد خطانا جميعاً إلى طريق الحق والرشاد .

وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعى

شرف القاهرة السيد الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعى رئيس جمعية الدعوة للصراط المستقيم . وداعية التوحيد فى سوريا الشقيقة . وقد شرف دار المركز العام للجماعة مرات عديدة وألقى فيها محاضرة قيمة فى مساء يوم الإثنين ٨ ذى القعدة سنة ١٣٧٥ . وقد سر به جميع أنصار السنة المحمدية سروراً عظيما . وأعلنوا على لسان فضيلة الرئيس العام للجماعة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى سرورهم واطمئنانهم على دعوة التوحيد هنالك مادام يقوم بها أمثال هذا الداعية العارف الفاهم البصير .

وقد أقام لسيادته فضيلة الأستاذ الرئيس العام حفلة كبيرة دعا إليها كثيراً من الشخصيات فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية للتعارف به .

ونسأل الله أن يوفقنا و إياه ، وجميع دعاة التوحيد إلى طريق الهدى والسداد والرشاد .

آفة الجماعة الإسلامية

للأديب عبد السلام رزق الطويل

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخافه على أمتى كل منافق عليم اللسان » رواه أحمد .

يعالج الرسول صلى الله عليه وسلم فى هـذا الحديث داء من أدواء الجماعة ، وآفة من آفات الأمة هى النفاق ، والنفاق داء عضال ، ومرض قتال ، وسم زعاف ، وهو دليل على فساد الخلق ، وخراب الذمم ، وموت الضمائر ، وآية على فقد الشهامة ، وعدم المروءة ، وضعف الشخصية ، وقصور الهمة ، وعجز النفس عن مواجهة الواقع ، ومجابهة الحقائق بقوة وصراحة ، هذا هو أثره الفردى .

أما الجماعى فهو أبلغ أثراً ، وأوخم عاقبة ، وأشد داء ، وأعصى دواء ، وأكثر تفريقاً لشمل الأمة ، وإضاعة لمجدها ، وإذهاباً لريحها ، وتبديداً لكل أثر للوحدة فيها ، وإذا انطلقت ألسنة النفاق فى أمة ، وجلجلت حناجرها ، وزمرت أبواقها كان ذلك نذيراً بحرب لاتبقى ولا تذر على كل خلق كريم ، وطبع حميد ، وسجية فاضلة ، ومروءة محمودة .

فبالنفاق يدوم الظلم ، ويبقى البغى ، ويشتد الطغيان ، بل يمدح الظالمون ، ويثنى على الباغين ويهتف بفضل الطاغين ، بل ويرفعون إلى مصاف المصلحين الأمجاد ، والزعماء الأفذاذ ، لا بل تسبغ عليهم ثياب القدسية والجلال ، ويصلون إلى مرتبة الأولياء وما خبر السيد فاروق ببعيد ؟ !!

وبالنفاق يتأخر الكفء ، ويهوى نجم الجد ، ويأفل كوكب العامل ، لوشاية منافق ، وقولة كاذب ، ونفثة صل خب لئيم ، ويترتب على هـذا أن يرتفع وضيع ، ويعلو خامل ، ويسمو قاعد ، إذ أن هؤلاء لما أعوزتهم الكفاءة الشخصية ، والشجاعة الأدبية ، والمقدرة الذاتية أخذوا يبنون لأنفسهم مجداً لبناته النفاق ، وأساسه الرياء ، ولم يعلموا أن بناء النفاق إلى انهيار ، وصرحه إلى دمار ، والملتحف به عريان . قال الشاعر :

ثوب الرياء يشف عما تحته　　فإذا التحفت به فإنك عارى

وقال زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة　　وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وبالنفاق تضيع الصراحة ، وتنعدم الثقة ، ويتخلخل رباط الذمة ، وتهى وحدتها ، وينظر كل منهم إلى أخيه نظرة الريب والشكوك .

فلا عجب إذاً أن يجعل الرسول عليه الصلاة والسلام النفاق آفة هذه الأمة ، وداءها الذى لا يبرأ ، وعلتها التى لا تشفى لا سيما إذا كان المنافق قد أوتى بلاغة فى القول ، وسحراً فى البيان ، وانطلاقاً فى اللسان ، وقوة فى الحجة ، وسداداً فى المنطق ، فإنه بهذا يلبس الحق بالباطل ، ويجعل المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، ويلبس الخير ثياب الشر ، ويسبغ على الشر جمال الخير ، ولهذا كان شر النفاق وأخبثه نفاق العلماء الذين يلحدون فى آيات الله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويحملون صريح الآيات مالا تحتمل ، ويوجهونها لغير ما أنزلت له ، تقرباً لحاكم ، وتزلفاً لطاغية ، وإرضاء لسلطان ، حتى ينالوا عندهم مكانا ، ويجدوا فى رحابهم مقاما ، فإنه متى فسد العلماء ، وصاروا على هذه الصورة ، فلا يرجى للأمة نهوض ، ولا ينتظر منها سبق ولا رقى ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء » وما أجمل قول الشاعر :

علماء الدين يا ملح البلد　　من يصلح الملح إذ الملح فسد؟

وما أصدق قول حافظ :

كم عالم مد العلوم حبائلاً　　لوقيعة وقطيعة وفراق
يدعونه عند الشقاق وما دروا　　أن الذى يدعون خدن شقاق
يمشى وقد نصبت عليه عمامة　　كالبرج . لكن فوق تل نفاق

وكم من قوم وكأنهم ملائكة يمشون على الأرض ، فالعيون مسبلة ، واللحى كثيفة ، والمسابح طويلة ، والشفاه تتمتم ، والألسنة تغمغم ، فيخيل إليك أنهم أصل الصلاح ، ومنبع

التقوى ، ومعدن الورع ، ورسل الخير فى الناس ، وقدوة العباد والزهاد ؛ وهم فى الواقع أفاعى فى ثياب بشر ، وصلال فى زى إنسان ، فبين أشداقهم سياط لاذعة موجعة ، وفى حنايا صدورهم مجمع أضغان ، ومكمن أحقاد ، فيقع البرىء فى شباكهم ، والغر فى حبائلهم ، وينخدع كثير من الناس بمرآهم ، ويغترون بما يبدو من أحوالهم ، وقد وصف الله لرسوله أمثال هؤلاء بقوله : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون) ويبين له أن فى استطاعته أن يعرفهم بما قد يبدو على ألسنتهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم) .

وكم من إخوان لك قد قويت صداقتهم ، وخلصت لك مودتهم ، وطابت عندك صحبتهم ، تجدهم دائماً حولك ، وتراهم فى كل وقت يحيطون بك ، إن قمت أخذوا بيدك ، وإن جلست أعدوا الفراش ، وإن ظمئت سارعوا بإحضار الماء ، فإذا عدا عليك الدهر ، وتنكبت لك الأيام وقلبت لك ظهر المجن ، فذهب مالك ، وبؤس حالك ، أخذت تتلفت عن يمينك ، وتنظر عن شمالك باحثاً لك عن هؤلاء الأصدقاء الأوفياء ! ! لكى يشاطروك فى بؤسك ، ويواسوك فى محنتك ، فلا تلقى لهم ظلاً ، ولا ترى لهم شبحاً ، إن لم يكونوا قالة سوء فيك ، وألسنة شر عليك ، وما أجمل قول القائل :

ولا خير فى ود امرىء متملق ... إذ الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الأخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

وقول الآخر :

كم من أخ لك لست تنكره ... ما دمت من دنياك فى يسر
متصنع لك فى مودته ... يلقاك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء ، وذا الوفا ... ء ويلحى الغدر أحياناً وذا الغدر
فإذا عدا والدهر ذو غير ... دهر عليك ، عدا مع الدهر

وهناك نوع من النفاق لا يقل أثراً عن الأنواع السابقة . ذلك هو نفاق المربى والصحفى
أما المربى فهو بنفاقه ينشىء التلاميذ ضعاف الشخصية يهربون من الواقع ، ويفرون من الحقائق . وعلى هذا يشب الطفل جباناً رعديداً ، لاتنتظر الأمة على أيديهم سبقاً ولا تقدماً ، كيف هذا وقد رضعوا لبان النفاق منذ نعومة أظفارهم . ولله در شوقى حين قال :

وإذا المعلم ساء لحظ بصـــيرة جاءت على يده البصائر حولا

وإذا أتى الأرشاد من سبب الهوى ومن الغــرور ، فسمه التضليلا

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهـم مأتمـاً وعويلا

وأما الصحفى : فبنفاقه يضلل الأمة بدلا من أن يرشدها ، ويزخرف الباطل بدلاً من أن يحاربه ، ويروج للمنكر بدلا من أن ينهى عنه . وإذا أمست الصحافة أبواقا للحاكمين وبث دعاية لهم ، فسد توجيهها ، وضل سعيها ، ولا ينبغى للأمة اليقظة أن تعتمد إذاً عليها . ويشبه نفاق الصحافة إلى حد كبير نفاق الشعراء فى عصور الاستبداد .

هذا هو النفاق آفة الأمة ، وداء الجماعة الذى خشيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته، وتوجس خوفا منه عليهم ، فحذر منه ونهى عنه .

وليس من النفاق مداراة الناس خوفا من شرهم ، وتفادياً لحمقهم وصلفهم ، الذى يعجز المرء عن تغييره والوقوف فى سبيله ، إذ لا لوم على الإنسان إذا ابتعد عن طريق القطار ، ولا تثريب على الصخرة اليسيرة إذا تزحزحت عن طريق السيل العرم . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنا لنهش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » .

وهذا هو النفاق فى شئون الدنيا ، وتلك هى صوره وآثاره وأضراره .

وأما النفاق فى الدين : فإن الكلام عليه يطول ، وسنفرده ببحث آخر إن شاء الله .

« يتبع »

عبد السلام رزق الطويل
طالب بكلية اللغة العربية

تقـــــدير كريم

من بطل الحرية السيد رئيس الجمهورية

لـكتاب « هذه هي الصوفية »

تفضل السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فأرسل كتابه هذا الـكريم إلى الأخ عبد الرحمن الوكيل :

السيد الشيخ عبد الرحمن الوكيل :

تحية طيبـــة

« وبعد » فأشكر لك أجزل الشكر إهداءك إليَّ مؤلفك « هـــذه هى الصوفية » قد كنت فيه وفياً لفكرتك ، مؤيداً لها بشتى الحجج والأسانيد .

على أن الذى أثلج صدرى حملتك التى حملتها على البدع السائدة ، والأوهام الضالة التى تدور فى مخيلة الـكثيرين من السذج والبسطاء ، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه رفعة الوطن .

والله أكبر والعزة لمصر .

القاهرة فى ١٩٥٦/٥/٥

وجماعة أنصار السنة المحمدية ترفع شكرها الخالص إلى السيد رئيس الجمهورية على هذا التقدير الـكريم الذى تفخر وتعتز به ولا سيما وهو من بطل عظيم ورجل لم يعرف عنه إلا الاتزان والإصابة والحكمة فيما يقول أو يفعل ، وإلا أنه رجل لا يجامل أبداً على حساب الحق ، أطال الله عمره ، وأعز به دينه ، ووفقه دائماً فى سعيه الـكريم .

حول التصوير الضوئي

لعل قراء « الهدى النبوى » يذكرون أن فضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش استفتى فى التصوير ، فأفتى على صفحات الهدى ، وقسم الموضوع إلى قسمين .

ا — الصور المجسمة — وحكم بتحريمها ، اتباعاً للنصوص الصريحة .

ب — الصور الشمسية — أى الصور الضوئية — وأباحها حيث لا عمل للانسان فيها إلا إمساك الظل ، ولأنها صارت من الأمور الضرورية فى بعض الأحيان . وصرح بأنه اعتمد فى الإباحة على رأيه .

فلما نشرت الفتوى ، ثار كثير من أنصار السنة الذين لايرون رأيه ، ويوقنون بتحريم التصوير إطلاقا بجميع أنواعها ، وكتب إليه كثير منهم فى ذلك .

ثم يذكر القراء أن سماحة المفتى الأكبر للمملكة العربية السعودية . فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كتب رداً على فتوى الأستاذ أبى الوفاء محمد درويش بمجلة « الهدى النبوى » . وقد أورد سماحته فى رده الأدلة الكافية القاطعة بتحريم التصوير إطلاقا .

وبعد ذلك بأيام أخرج الشيخ أبو الوفاء محمد درويش رسالة صغيرة فى الرد على سماحة المفتى دافع فيها عن رأيه ودلل على وجهة نظره .

وأخيراً طبع (الشيخ عبد اللطيف أحمد زيد) كتيباً يقرأ مافيه من عنوانه ، سماه . « الفصل فى أبطولة تحليل التصوير الضوئى . تأصيل ، وتعقيب ، وتأريخ » ولم يكن الشيخ عبد اللطيف هذا طرفا فى المناقشة . ولا حتى من قراء الهدى النبوى — فيما أعلم — فلا أدرى كيف أقحم نفسه فى الموضوع . بل زاد فى أقحام نفسه فقال (فى صفحة ٣٦) من كتيبه : « طبعاً أنت لاترد علينا ، لأننا لم نقل ذلك» موجهاً كلامه للشيخ أبى الوفاء . ياسبحان الله ، كيف استساغ هذا الرجل أن يقحم نفسه ، ويجعلها طرفا فى النزاع ، حتى يزعم أنه قال . فَرُدَّ عليه ؟ والأدهى من ذلك وأمر : أنه وصف الشيخ أبى الوفاء محمد درويش بأنه ضارب

فى العجمة بكل السهام (فى صفحتى ٣٠ ، ٤٠) لأنه مصرى وليس عربياً . وأنت ياشيخ عبد اللطيف ، ألست مصرياً ؟ يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ياشيخ عبد اللطيف .

دعونا من كل ذلك ، وتعالوا ننظر فى الكتاب وموضوع التصوير الضوئى . هل أتى الشيخ عبد اللطيف بدليل من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى تحريمه ؟ هل أتى بجديد ؟ هل زاد أدلة سماحة المفتى الجليل وضوحا وشرحا ؟ إنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، ولكنه أعاد نقل بعض أدلة سماحة المفتى فى كتيبه ، بل إنه شوه تلك الأدلة الواضحة بما ملأ كتابه من الشتائم والسباب ، التى لاتليق بمؤمن . حتى يظن من يقرؤها أن بينه و بين الشيخ أبى الوفاء ثارات قديمة . فإن ماوصف به هـذا العبد اللطيف الشيخ أبى الوفاء لايقوله إلا أحد رجلين : رجل يجهل أمر الشيخ أبى الوفاء ، لم يعرفه ولم يسمع عنه ولم يقرأ له . أو رجل بينه و بينه ترة يتربص به حتى يجد سقطة .

و إن لم يكن كذلك ، فبم تفسر وصفه للشيخ أبى الوفاء بأنه « كاذب ، كافر ، خائن ، تافه ، سفيه ، وضيع ، جاهل ، مضل ، متبع للهوى ، متخبط ، مكابر ، متكبر ، متحلل من دين الإسلام ، منسلخ من الجماعة إلى ركاب الشيطان ، أخرج للناس قذراً ، اللاغى العظيم ، يتجارى به هواه كتجارى الكلَب بصاحبه ، يوحى إليه الشيطان ، ملحد ، مشرع الباطل ، مفترى على دين الله » وغير ذلك من الصفات والنعوت التى ساقها ، إما مستشهداً بحديث أو قول مأثور . حاول أن يلصق ماذُم به أهله بالشيخ أبى الوفاء . و إما شتماً صرفا من قوله دبج به كتيبه من أول كلمة إلى آخر كلمة . والله يشهد أن كل ذلك بهتان عظيم .

أما سماحة المفتى الأكبر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فإن إيمانه وما نعلم ونشهد من خلقه سيعصمانه ـ إن شاء الله ـ من قبول تلك الشتائم أو الرضى بها .

أما فضيلة الشيخ أبى الوفاء : فإن الله الذى يعلم جهاده فى سبيل التوحيد عن إيمان و إخلاص سيدافع عنه (إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لايحب كل خوان كفور)

أما هذا الشيخ عبد اللطيف ـ الذى أقحم نفسه فيما ليس من شأنه ـ فالله نسأل أن يعامله بما يستحق .

سليمان رشاد محمد

غزوة بدر الكبرى

للأديب سعد صادق محمد

كانت غزوة بدر الكبرى حداً فاصلا بين عهدين . عهد وثنية وظلمات وضلال . وعهد توحيد ونور وهدى . عهد يبيت فيه الحق مستخفياً خشية البطش والغدر والإيذاء . وعهد تعلو فيه كلمته حين يجهر المسلمون بدينهم و يهبون لرفع راية التوحيد ونصرة دين الله ونصرة رسوله الأمين .

نعم . عهد غربت فيه شمس الجاهلية من أفق الجزيرة العربية وأشرقت فيه شمس الإسلام لتضيء الكون بنور ربها فتنتشل العالم من وهدة الشرك وتخلصه من براثن الوثنية الطاغية وتنشر فى الدنيا الحق والسلام والتوحيد . لقد كانت تلك الغزوة صراعاً عنيفاً بين الضلال والهدى و بين جنود الرحمن وجنود الشيطان . كانت صراعاً بين قوم أنار الله بصائرهم ، وعمر الإسلام قلوبهم ، وطهر نفوسهم ، وحبب إليهم الإيمان ، وجملهم بقوة الإرادة . وأنعم عليهم بصدق العزيمة واليقين ، و بين قوم طمس الله على قلوبهم ، وأعمى بصائرهم ، ودنس الشرك عقائدهم ، وأضل أعمالهم فهم لايفقهون .

حدث ذلك فى صباح يوم ١٧ من رمضان سنة اثنين من الهجرة أى منذ خمس وسبعين وثلثمائة وألف سنة . بدأت المعركة فى ذلك اليوم المبارك وكان النصر فيه للمسلمين . وتفصيل الأمر أن أبا سفيان خرج فى أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة المحمدية فى تجارة كبيرة إلى الشام يحملها عير كثير وخرج معه قافلة كبيرة من الرجال والنساء يحمونها . فقد اشترك فى هذه التجارة أهل مكة جميعاً لم يبق منهم رجل ولا امرأة . إذ ساهم كل منهم بما استطاع أن يساهم به حتى قدر مافيها بخمسين ألفاً من الدنانير .

وترامى نبأ هذه العير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها عظيمة قيمة فأراد النبى وأصحابه أن يعترضوها ولكنهم حين بلغوا المكان الذى يمكن أن يعترضوها منه كان أبو سفيان قد أفلت بقافلته ومر بها قبل وصول النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا المكان

بيومين فقرر المسلمون انتظارها فى عودتها ليعترضوها ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم أن القافلة قد انصرفت من الشام بعث برجلين من المسلمين ينتظران خبرها فسارا حتى نزلا بالحوراء وأقاما بها حتى مرت العير فاسرعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبراه بأمرها .

ولكنه خشى إن هو انتظر عودة رسوليه أن تفلت منه العير فى عودتها إلى مكة كما أفلتت منه فى ذهابها إلى الشام . لذلك ندب المسلمين وقال لهم : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . فخف قوم وثقل آخرون وأرادت جماعة لم تسلم أن تنضم طمعاً فى الغنيمة فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم الانضمام حتى تؤمن بالله و برسوله . أما أبو سفيان فكان قد أخذ طريقه إلى المدينة فى أربعين راكباً بعد أن باع وربحت تجارته وعلم بأن الرسول قد اعتزم اعتراض قافلته عند رحلتها إلى الشام فخاف أن يعترضه عند أوبته . فأسرع و بعث برجل إلى مكة ليستنفر قريشاً إلى أموالهم يحمونها من محمد وأصحابه .

وحين أتى هذا الرجل بطن الوادى بمكة شق قميصه من قبل ومن دبر وأخذ يصيح : يامعشر قريش ! . اللطيمة[1] اللطيمة . أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها . الغوث الغوث .

وما لبث أبو جهل حين سمعه أن صاح بالناس من فوق الكعبة يستنفرهم . ولم تكن قريش فى حاجة إلى من يستنفرها وقد كان لكل منها فى هذه العير نصيب . فخرج أبو جهل فى جيش بين التسعمائة والألف لنجدة القافلة ولكنه علم أن أبا سفيان قد ساحل البحر بالعير ونجا بالقافلة من أيدى المسلمين .

وأصبح الغد والمسلمون فى انتظار مرور القافلة بهم عند أوبتها من الشام فإذا الأخبار تصلهم بأنها قد فاتتهم وأن مقاتلة قريش هم الذين على مقربة منهم . فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه قائلا لهم : ماتقولون . أن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير ؟ فيختار بعضهم العير أملا فى الغنيمة و يجادل بعضهم النبى كى يعودوا إلى المدينة ولا يلقوا القوم الذين جاءوا من مكة لمقاتلتهم . و يردد النبى

(١) اللطمية : المال والتجارة .

القول و يخبرهم بأن العير قد مضت على ساحل البحر وأفلتت وهذا أبو جهل قد أقبل. فيقول البعض بالعير وترك العدو وفى هذا نزل قوله تعالى (و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين) .

وغضب النبى صلى الله عليه وسلم من ترك العدو فقام أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأدليا برأيهما فأحسنا . ثم قام المقداد بن عمرو وقال : (أمض يارسول الله لما أمر الله فنحن معك) والله لانقول لك مثل ما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت ور بك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت ور بك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. والذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمار لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، فقال له الرسول : خيراً .

وسكت الناس فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس ـ وكان يريد بكلمته هذه الأنصار لأنهم كانوا أكثر عدداً وهم الذين بايعوه يوم العقبة على أن يحموه مادام فى ديارهم ولم يبايعوه على أى اعتداء خارج مدينتهم ـ فلما أحس الأنصار أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريدهم التفت إليه سعد بن معاذ ـ وكان صاحب رايتهم ومسموع الكلمة فيهم ـ وقال : لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل . فقال سعد لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله ، فتهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأشرق مستبشراً وقال : سيروا وابشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين . والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

أما قريش فما حاجتها إلى القتال وقد نجت تجارتهم ، أليس خيراً لهم أن يعودوا من حيث اتوْا . . ذلك ما فكر فيه أبو سفيان وارسل إلى قريش يقول لهم : انكم خرجتم

لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجّاها الله فارجعوا .

ورأى من قريش رأيه عدد غير قليل لكن أبا جهل - وكان خليقاً به أن يعود و يرضى من الغنيمة بالإياب - أبى أن يعود حين سمع برأى أبى سفيان وأصر واستكبر وصاح قائلاً « والله لا نرجع حتى نأتى بدراً - وهو موسم من مواسم العرب كانت تأتيه كل عام - فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجُزُر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها » فامضوا .

وكان رأى أبو جهل أن انصراف قريش عن موسم بدر بعد أن نجت تجارتهم من من أيدى المسلمين قد تفسره العرب بخوفهم من محمد وأصحابه الأمر الذى يزيد محمداً شوكة و يزيد دعوته قوة وانتشاراً .

وسار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم أشد ما يكونون قوة و إيماناً وعزيمة ، ونزلوا بأقرب ماء ببدر بالعُدوَة القُصْوَى التى نزل بها المشركون . ورأى الحُبَاب بن المُنذر منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان عليما بالمكان - فقال للرسول : يارسول الله : أرأيت هذا المنزل ؟ . أمنزلاً انزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه . أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزل ثم نُغَوِّرْ ماوراءه من القُلب[1] ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

وحين سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرأى الذى أشار به الحُبَاب رآه صوابا فاتَّبعه و بقية القوم وأعلن الرسول فيهم انه بشر مثلهم وان الرأى شورى بينهم جميعاً . ولما بنوا الحوض أشار سعد بن معاذ قائلاً « يا نبى الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه ونُعدُّ عندك ركائبك ثم نَلقَى عدونا فان اعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا و إن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا . فقد تخلف عنك

(١) القلب : جمع قليب وهو البئر العادى يذكر ويؤنث وتغويرها كبسا بالتراب والحجارة

اقوام يا نبي الله ـ يريد من تخلفوا بالمدينة ـ مانحن بأشد لك حبًا منهم ولو ظنوا انك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك . يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير .

وبنى العريش للنبي حتى إذا لم يتحقق النصر للمسلمين نجا الرسول من يد عدوه واستطاع اللحاق بالقوم فى يثرب وفى ذلك بعد نظر وحيطة فكثيراً ماتجرى الأمور على غير مايشاء الناس ويقدرون .

وهنا أيضاً نجد المسلمين فى موقف عظيم من مواقف التضحية والإيمان والوفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمسلمون يعلمون تماماً أن قريشاً تفوقهم فى العدد ومع ذلك فقد اعتزموا الوقوف أمامها لقتالها كما انهم يرون الغنيمة قد فاتتهم فيصرفهم الإيمان عن الكسب المادى ويدفعهم إلى القتال والعمل لحماية الرسول من عدوه الغادر فأئ موقف جدير بالتقدير من هذا الموقف الذى سجّله التاريخ بكل فخر واعجاب وأى إيمان يكفل النصر كهذا الإيمان ؟ .

ونزلت قريش للقتال ثم بعثوا بمن يأتى لهم بخبر المسلمين فجاءهم بأنهم ثلثمائه أو يزيدون قليلاً . وتراءى الجمعان والتقى الجيشان . وقام محمد على رأس المسلمين يعدل صفوفهم وينظم وقفتهم فلما أبصر كثرة قريش ورأى قلة المسلمين عاد إلى عريشه ومعه أبو بكر رضى الله عنه وهو أشد مايكون خوفاً واشفاقاً على مصير ذلك اليوم وما سيصير إليه أمر الإسلام والمسلمين واستقبل نبي الله القبلة واتجه بكل جوارحه وقلبه إلى ربه وجعل يناجيه ويتوب ويستغفر ويدعو ويبتهل إلى الله يستنجزه وعده ويسأله النصر وجعل يقول « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعْبَدْ » وما زال يدعو ربه مادًا يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه وجعل أبو بكر من ورائه يرد الرداء على منكبه ويقول : يا نبي الله إن الله منجز لك ما وعدك . لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل متجهاً إلى ربه حتى أخذته سنة من نعاس رآى خلالها نصر الله وانتبه بعدها مستبشراً وخرج إلى الناس يحرضهم ويقول لهم « والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فَيُقْتَلْ صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدْبِرْ إلا ادخله الله الجنة » .

وسرت من نفس محمد صلى الله عليه وسلم القوية المؤمنة إلى نفوس المسلمين المقاتلين قوة ضاعفت عزمهم وثقتهم و إيمانهم وجعلت كل رجل منهم بعدل رجلين من المشركين بل بعدل عشرة رجال .

لقد كانت للروح التى بثها محمد صلى الله عليه وسلم فى المسلمين أثر معنوى كبير إذ زادتهم قوة وتضحية وفداء . و بث الروح المعنوية من أهم العوامل التى ينبغى أن توجد فى الإنسان حتى يستطيع أن يقوم بأى عمل حيوى نافع أو يلبِّى النداء إذا مانودى لدرء الخطر الذى قد يحدق ببلاده والعدوان الذى يتهدد وطنه . ولهذا تغرس الأمم فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم حب الدفاع عن بلادهم والتضحية والفداء والإيمان بالحق والعدل و بالمعارف الإنسانية الجميلة . والقوة الروحية والمعنوية تزداد فى الإنسان بقدر حبّه للشىء و إيمانه بالمبدأ و إخلاصه للغاية .

والمسلمون كانوا فى موقف يحتاج إلى قوة معنوية تدفعهم إلى القتال وتحثهم على الصبر والإقدام نظراً لقلتهم حتى تتحقق غايتهم و يتم النصر لدين الله الذى آمنوا به ولرسوله الذى عاهدوه وواثقوه فكان لابد من التحريض والحث و بث هذه الروح المعنوية العالية لتعويض المسلمين عن قلة عددهم وعدتهم . وفى هذا الحال نزلت الآيتان الكريمتان (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و إن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين[١]) .

ازداد المسلمون قوة بتحريض محمد إياهم ووقوفه بينهم وحثهم لمقاتلة العدو والصيحة فيهم أن الجنة لمن أحسن البلاء منهم .

و بدأت المعركة بالمبارزة ـ كما كانت عادة العرب حين ذاك ـ فخرج من صفوف المشركين ثلاثة : عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ، وأخوه شيبة . وطلبوا من يخرج إليهم من

(١) سورة الانفال آيتا : ٦٥ و ٦٦

صفوف المسلمين . فخرج إليهم فِتْيَةٌ من أبناء المدينة ، فلما عرفهم الوليد بن عتبة قال لهم : مالنا بكم من حاجة إنما نريد قومنا . ونادى منادٍ بهم : يامحمد اخْرجْ إلينا أكفاءنا من قومنا . فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب ـ وكان بإزاء شيبة ـ وعلى بن أبى طالب ـ وكان بإزاء الوليد ـ ولم يلبث على وحمزة أن قتلا غريميهما . أما عبيدة بن الحارث وعتبة ، فقد كان كلاهما أثبت من صاحبه . فحمل على وحمزة على عتبة فقضيا عليه . وحملا عبيدة إلى صفوف المسلمين جريحا .

ثم بدأ الهجوم العام بين الصفوف ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم وسط هذا الوطيس يروح هنا وهناك محرضاً على القتال . ثم أخذ حفنة من التراب ورمى بها فى وجه قريش وقال : شاهت الوجوه . ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم . وشدَّ المسلمون عليهم وحملوا على أعدائهم حملة رجل واحد وقد نسى كل منهم نفسه ونسى قلة أصحابه وكثرة عدوه . وحمى وطيس الحرب واشتد أوارها ، وامتلأ الجو بالغبار وازداد المسلمون بإيمانهم قوة ، وأخذوا يصيحون مهللين : أحدٌ أحدٌ ، وأمدهم الله بالملائكة يبشرونهم ويقاتلون فى صفوفهم ويزيدونهم تثبيتاً وإيمانا ، حتى لكان الواحد من المسلمين إذ يرفع سيفه ويهوى به على عنق عدوه إنما تحرك قوة الله يده وتملأ نفسه نفحة من الله . وفى ذلك نزل قوله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقوا فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان [1]) وقوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى [2]) .

وقد قتل كثيرون فى هذه الموقعة من صناديد قريش منهم : أبو جهل ـ عمرو بن هشام ـ رأس الفتن ، ومنهم : معذب بلال مؤذن الرسول ـ أميَّة بن خلف ـ الذى حاول بعض المسلمين أن يحولوا دون قتله وأرادوا أن يأخذوه أسيراً ، ولما رآه بلال فى المعركة صرخ بأعلى صوته فى الناس قائلا : « يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف . لا نجوت إن نجا . واجتمع الناس ولم ينصرف بلال حتى قتل أميَّة . وكان الأخير يعذب بلالا إذ كان يخرجه

(١) سورة الأنفال آية ١٢ (٢) سورة الأنفال آية ١٧

إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ليفتنه عن الإسلام . فيقول بلال « أحدٌ أحدٌ » .

ولما انتهت المعركة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفن الموتى من المسلمين ومن قريش كعادته فى حروبه ، كما أمر بإحصاء الغنائم فجمعت حتى يرى فيها رأيه . وبعث إلى المدينة عبد الله بن رواحة ، وزيد بن حارثة يبشران أهلها بالنصر . وعاد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ظافراً منتصراً هو وأصحابه ومعه الأسرى والغنيمة وأمر أصحابه بأن يستوصوا بالأسرى خيراً . فاستقر رأيهم على قبول الفدية ، ومن لم يستطع منهم يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

أما الغنائم : فقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بقسمتها بين المسلمين على السواء . فجعل للفرس مثل ما للفارس . وجعل لورثة من استشهد حصة مورثه . وجعل حصة لمن تخلف فى المدينة ولم يشهد بدراً وكان قائماً بعمل للمسلمين . وجعل حصة لمن حرضه على الخروج ثم تخلف لعذر قبله .

وبينما المسلمون فى فرحتهم بنصر الله ، كانت قريش فى مكة فى حزن شامل وحداد متصل ، حتى إن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان أبت أن تبكى على أبيها وأهلها مع باقى النساء وقالت « أنا أبكيهم، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ويشمت بنا نساء بنى الخزرج ، لا والله حتى أثأر من محمد ، والدهن علىّ حرام حتى نغزوا محمداً . والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبى لبكيت ، ولكن لا يذهب إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة الأحِبَّة » .

أما أبو سفيان فقد نذر بعد بدر ألا يمسَّ رأسه ماء من جنابة حتى يَغْزُو محمداً .

تلك أنباء غزوة بدر التى استقر فيها الأمر للمسلمين من بعد فى بلاد العرب جميعاً . وهذه آثارها تحدثك بما كان من أثر لقوة العزيمة ، وصدق الإيمان ، دفاعاً عن الحق وزياداً عنه لوجه الله . ما أجدرها أن تسمى غزوة الفوز والظفر والنصر الأكبر (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

أخبار الجماعة

المركز العـــــــام

فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد ٢٤ من شوال سنة ١٣٧٥ الموافق ٣ من يونيو سنة ١٩٥٦ اجتمعت الجمعية العمومية للمركز العام للجماعة برئاسة الرئيس العام الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى . وألقى فضيلته كلمة الافتتاح والترحيب بأعضاء الجمعية العمومية . ثم أعقبه الأستاذ سليمان رشاد محمد سكرتير عام الجماعة بكلمة عن أعمال مجلس الإدارة فى السنة المنتهية . ثم عرض الأستاذ سليمان محمد حسونه أمين صندوق الجماعة حساب الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية ، والمركز المالى للجماعة . ثم تحدث إلى المجتمعين الأستاذ لطفى مصطفى والأستاذ رشاد الشافعى والحاج سعيد عبد الوهاب . وألقوا كلمات مناسبة . ثم وجه فضيلة الأستاذ الرئيس العام نصائح وتوجيهات إلى السادة الأعضاء .

وبعد ذلك جرى انتخاب أعضاء مجلس الإدارة للمركز العام للسنة الحالية ، وتم تكوين المجلس على الوجه الآتى :

الأساتذة عبد الرحمن الوكيل (وكيلا أولا) الحاج سيد محمد رضوان (وكيلا ثانياً) سليمان رشاد محمد (سكرتيراً أولا) أبو الفتوح عبد العزيز (سكرتيراً ثانياً) سليمان محمد حسونه (أميناً للصندوق) سيد محمد متولى (مراقباً) محمد رشدى خليل (مديراً للمجلة) الدكتور عبد المنعم حسنين ، رشاد الشافعى ، الحاج إبراهيم محمد قنديل ، أحمد محمد خليل ، الحاج صابر أحمد إبراهيم ، أحمد طه ، نصر عبد الله محمد أعضاء.

والله نسأل أن يوفقهم إلى النشاط والصواب فى خدمة دعوة التوحيد .

فرع دمياط

اجتمعت الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمدية ـ فرع دمياط ـ وتم انتخاب مجلس إدارة الفرع من السادة :

الشيخ عبد الحميد عرنسه (رئيساً) الأستاذ محمد فايد (وكيلا أولا) الشيخ سيد الزينى

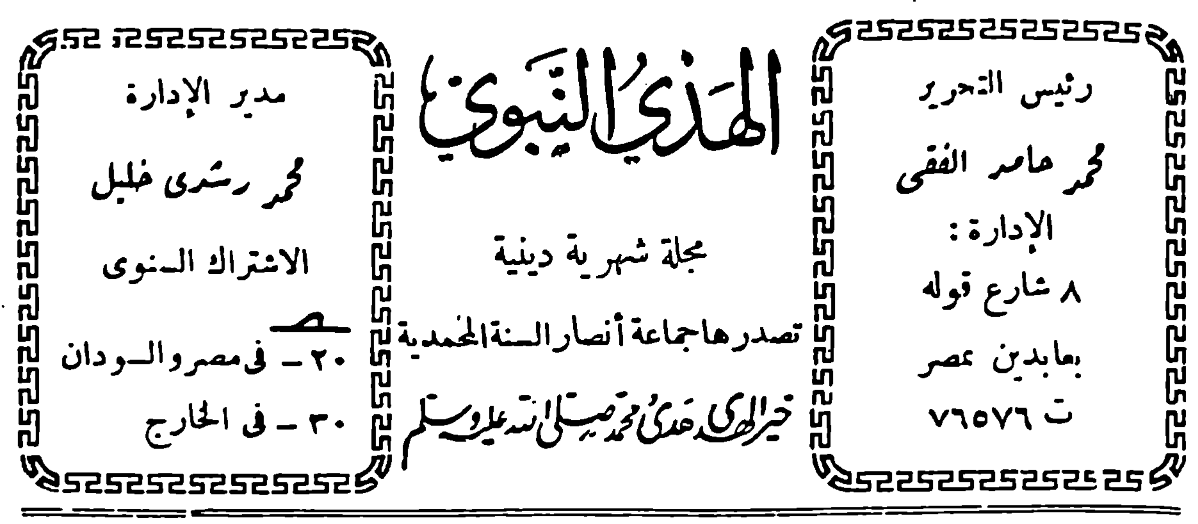
(وكيلا ثانياً) الحاج إبراهيم عرنسه (مراقباً) الحاج عبد السلام فايد (سكرتيراً) أحمد محمود فهمى (مساعداً للسكرتير) عبد اللطيف فايد (أميناً للصندوق) والسادة مصطفى الغزاوى ، الحاج على قتيلو ، محمد عبد الغنى ، محمد منتصر ، مصطفى أبو حباجه ، الحاج محمد حمام ، إبراهيم حجاج ، السيد احمد أعضاء .

وفقنا الله و إياهم لما فيه رضاه . والعمل على نصرة سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .


الهدی النبوی
خیر الهدی هدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم

الفهـرس

الثمن ٥٠



المجلد ٢١ — المحرم سنة ١٣٧٦ — العدد ١

بسم الله الرحمن الرحيم

إفتتاحية عام ١٣٧٦

بصدور هذا العدد من مجلتنا (الهدى النبوى) تكون قد سلخت عشرين عاما من عمرها ، ودخلت فى عامها الحادى والعشرين .

عشرون عاما ، قضتها (الهدى النبوى) فى نشر التوحيد ، دين الله الحق ، والسنة النبوية المطهرة ، فى الوطن الإسلامى ، ومحاربة البدع والخرافات ، والإلحاد والزندقة .

عشرون عاما ، فى جهاد مرير شاق أمام عوامل الفساد والانحلال والانحراف ، تسندها أقوى السواعد ، وتشد أزرها الجبابرة من دعاة المدنيات الزائفة والحضارات والثقافات والفنون الغربية الكافرة الفاجرة .

عشرون عاما ، فى مهب التيارات والزوابع من الغرب والشرق ، من الغرب إلحاد وفجور وفساد ، ومن الشرق بدع وخرافات وضلالات ، ولكنها بحمد الله ثبتت كالطود الشامخ لاتميل مع الأهواء ولا تستجيب لإغراء .

عشرون عاما (والهدى النبوى) تحمل لواء التوحيد عاليا خفاقا ، وتحمل مشعل الحق ينير الطريق للسالكين ، بأيدى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ـ نسأل الله لهم المغفرة والرضوان ـ ومنهم من ينتظر ـ نسأل لهم طول العمر ، وما بدلوا تبديلا .

ولا يفوتنا ، ومجلتنا تستقبل عامها الحادى والعشرين ، أن نزجى الشكر والدعاء لمن أعانوها على البقاء والاستمرار ، من الكتاب والمشتركين والقراء . وأن ندعو القادرين من الكتاب أن لايحرموا القراء من ثمرات أقلامهم وعقولهم وقلوبهم ونرجوا الجميع أن يغفروا لمجلتنا عدم انتظامها فى الصدور ، وتأخرها عن مواعيدها حينا وجمعها للعددين والثلاثة معا حينا آخر . ونسأل الله أن يوفقنا ، ويهيىء لنا الظروف للانتظام ، حتى تصبح مجلتنا قرة لعيون الموحدين . إنه سميع قريب مجيب ؟

تأميم قناة السويس

حيا الله الرئيس جمال عبد الناصر ، وحفظه ورعاه ، إن له فى كل يوم مأثرة ، وإن له فى كل يوم عمل جليل . إنه الاخلاص مجسما فى رجل ، إنه الأمل يغدو ويروح كالروح فى الجسد .

مايكاد يخلص الوادى من الاستعمار ، حتى ذهب يكيل له الضربات القاتلة فى كل مكان فى الوطن العربى ، لتكون بلاد العرب خالصة للعرب ، ولتكون أرض الاسلام نقية طاهرة للمسلمين .

لقد استرد للوطن القناة ، فاسترد له العزة والكرامة والسيادة ، إنه لم يسلب من أحد حقا ، ولكنه استعاد ماسلبه اللصوص ، إنه انتزع الفريسة من فم الوحوش الضارية .

إن الوحوش الضارية تعوى فى لندن وباريس وغيرهما ، لماذا ؟ لأن الرجل القوى الشجاع اقتحم عرينها ، وانتزع من بين مخالبها وأنيابها قطعة من أرض الوطن ، كانت تنهشها وتتغذى عليها منذ قرن كامل .

الانجليز والفرنسيون والأمريكان ، فزعين هلعين لما أصابهم من الذهول ، إنهم يبكون ويصرخون ويولولون ، ويرعدون ويبرقون ويجتمعون وينذرون ، ويهددون بعظائم الأمور . فلا يزيد الرئيس البطل إلا أن ينظر إليهم شذرا ، ويقول لهم (موتوا بغيظكم) الله أكبر ، إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

لقد أعلن الرئيس فى المؤتمر الشعبى بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ نبأ تأميم قناة السويس ، واستيلاء رجاله فى نفس اللحظة على ممتلكاتها وإداراتها فى القاهرة والاسماعيلية وبور سعيد والسويس . فلم يملك الشعب نفسه طرباً وفرحاً بهذا النبأ العظيم ، فظل ساهراً لايغمض له جفن حتى أسفر الصبح عن يوم من أيام المجد والبطولة والرخاء لهذا الجيل والأجيال القادمة

وفى صبيحة ٢٩ يوليو خرج شعب مصر على طول طريق عودة صانع الأمجاد ، وقاهر الأعداء . وظل شعب مصر فى ثغر الاسكندرية وجانبى الطريق من الاسكندرية إلى القاهرة وفى القاهرة عاصمة الجمهورية الفتية ، ظل الشعب واقفاً ليجتلى طلعته ويملأ عينه وقلبه من بطولته ، ويقدم له تحية التقدير ، ويبايعه للوقوف خلفه فى تعبئة كاملة .

وإذا كانت الأعمال تقاس بنتائجها ، فإن تأميم قناة السويس أعظم عمل قامت به الثورة

- وكل أعمالها عظيمة - منذ قامت من أربع سنوات . ستستطيع مصر أن تنفذ مشروعاتها الضخمة مثل السد العالى ، وكهربة الجمهورية وتصنيعها ، وستعم البلاد الرخاء ، ويرتفع مستوى المعيشة وتتهيأ الحياة الكريمة لكل من تظله سماء مصر .

حيا الله الرئيس جمال بطل الاستقلال ، بطل التحرير ، بطل العروبة والاسلام .

وفى مناسبة تأميم فناة السويس ، أرسلت جماعة أنصار السنة المحمدية إلى السيد الرئيس برقية نصها كالآتى :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

جماعة أنصار السنة المحمدية تهنئكم بتوفيق الله لكم باسترداد القناة . وتسأله تعالى أن يديم عليكم نعمة التوفيق والنصر حتى تطهر الوطن العربى والإسلامى كله من الاستعمار وأعوانه وأن يعز بكم الإسلام . أنه سميع مجيب

* * *

وإن أنصار السنة المحمدية ، الذين يتحرقون شوقاً لبذل دمائهم فى سبيل الله ، وإعلاء كلمة الله . ليبايعون الرئيس جمال ، ويقفون وراءه صفاً كالبنيان المرصوص .

إن الدفاع عن القناة - وهى جزء من صميم الوطن الإسلامى - دفاع عن الإسلام ، وذود عن حوضه ، وإعلاء لكلمته .

إن العدو لو عاد إلى القناة - لاسمح الله بذلك ولا قدره - لكانت طامة كبرى على الوطن الإسلامى كله ، ولتعرضت نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم للعدو يستبيحها كما كان يستبيحها قبل أن يصونها بطل الإسلام جمال .

إن الذود عن المال والعرض والوطن جهاد فى سبيل الله ، والموت فى سبيلها شهادة ينالها من أخلص لله ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » .

فليستعد كل مسلم لملاقاة العدو ، وليعد نفسه جندياً مرابطاً على ثغر من ثغور الإسلام ، وليحدث نفسه بذلك فى ليله ونهاره ، ليسعد بعز الدنيا ، وفلاح الآخرة . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بغزو ، مات ميتة جاهلية » .

لماذا أفلت عيار الشباب

للأستاذ سليمان رشاد محمد

أثارت دار (الأخبار) — وكثيراً ماتثير — فتنة منكرة ، فاستكتبت (أنيس منصور) مقالا يدعو إلى الدعارة والبغاء . ثم ادعت دار الأخبار أن ذلك المقال لايعبر عن رأيها . وأنيس منصور من كتابها الدائمين ، فكيف لم تكن قد حرضته بل أمرته أن يكتب ماكتب. وليست هذه أول مرة تثير فيها دار الأخبار مثل هذه الفتنة ، فهى تتبنى كل دعوة تحارب شرائع الإسلام . ولو أنها شعرت أن هنالك رأياً إسلامياً عاما ، تحاسبها فتقاطعها فتضطرها إلى إغلاق أبوابها ، لفكرت ألف مرة قبل أن تنشر كلمة تؤذى شعور المسلمين . فقد سبق لها أن تبنت فتنة خلف الله فى الطعن فى القرآن . وتبنت فتنة الشيخ بخيت فى إفطار رمضان وهى التى فتحت الباب للطعن فى شرائع الإسلام فى الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات وغيرها ، وهى التى دعت ولا تزال تدعو إلى تحرير المرأة وتبرجها واختلاطها بالرجال.

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه الأخير (الصهيونية العالمية) ، إن الصهيونية تعمل جاهدة فى محاربة الإسلام وتعاونها الدول الغربية . وإن لها أكبر النفوذ على دور النشر وأقلام الكتاب فى العالم بما تبذل لها من الأموال بما يجعلها كلها فى خدمة اغراضها . وأكبر أغراضها تثبيت أقدامها ودولتها فى فلسطين . ولن يتحقق لها ذلك إلا إذا حطمت الإسلام فى نفوس أهله . فاربط بين هذا الكلام وبين خطة دار الأخبار تخرج بنتيجة واحدة ، وهى أن الصلة وثيقة ، والخطة مدبرة . ألا فليستيقظ المسلمون . وليتنبهوا لما يراد بهم .

لقد كانت الأقلية المسلمة تحت الحكم الشيوعى فى روسيا والصين ويوغوسلافيا وغيرها من البلاد تسام العذاب . فلما قامت الثورة ، ووقفت بالسياسة الخارجية وقفتها الرشيدة ، ووطدت الصلات بدول الشرق — وهى التى لنا معها مصالح حقيقية — شعر مسلمو تلك البلاد بشىء من العزة ، وتنفسوا الصعداء ، فقد حسبت تلك الدول حساب مصر التى أصبحت على أحسن الصلات بها فغيرت سياستها تجاه مسلميها ، أصبحوا فى أمن بعد خوف ، وعزة بعد ذلة . ذلك بفضل سياسة مصر الرشيدة فى العهد الحاضر . وأصبح المسلمون فى تلك البلاد وغيرها يثوبون بثقتهم وإكبارهم لمصر . بعد أن كادوا ينفضون من حولها . إن مراكش والجزائر وتونس فى أقصى المغرب ، ترجو أن تخلصها مصر من الاستعمار . إن أندونيسيا وباكستان وغيرهما فى أقصى المشرق ، ترجو أن تعينها مصر فى نشر لواء الإسلام وتعليمه لشعوبها . لقد تزعمت مصر المؤتمر الاسلامى ، الذى أصبح من أقوى وسائل توثيق الصلات.

لم تبلغ مصر هـذه المكانة جزافا ، بل بفضل سياسة رجالها الأفذاذ . فماذا تبغى دار

الأخبار من وراء تبنيها لكل فكرة هادمة للاسلام ؟ هل تعمل على زلزلة هذه الزعامة فى نفوس المسلمين ؟ هل تريد أن يفهموا أن مصر التى وضعوا ثقتهم فيها قد انحرفت عن الاسلام وسارت فى ركاب الغرب ؟ هل تحب أن تخيب آمال المسلمين فى مصر ؟ إنها ـ إن شاء الله ـ لن تبلغ من كيدها شيئاً ، ولن تصل من مآرب سادتها إلى غاية .

لقد فتحت دار الأخبار باباً لأصحاب القلوب المريضة ، لتنفث مافى صدورها من الغل على الاسلام وأحكامه ، وآدابه وشرائعه ، ونوره الذى يهتك ظلمات حياتهم وفجورهم . واستدرجت بعض الطيبين الذين يظنون أنها حقاً تعالج مشاكل الشباب ، وهم عن حقيقة دعوتها ودوافعها غافلون .

مابال هؤلاء القوم يشنون الحرب شعواء على القرآن وأحكام الاسلام ؟ أليست حدود الاسلام وشرائعه معطلة ؟ هل يخشون أن تدب فيها الحياة فلا تبقى لهم يداً ولا رجلا ؟ وإنها إن شاء الله لقائمة . وإن أيامها إن شاء الله لآتية ، وإن إرهاصاتها عند أولئك القادة الذين حملوا النور والأمل لهذه الأمة . نخير لكم أن توطنوا أنفسكم على ذلك حتى لاتفجأكم وأنتم ساهون لاهون لاعبون .

لقد تابع الكتاب لاصلاح حال الشباب على صفحات جرائد دار الأخبار . وعجيب هذا ، فهل أفسد حال الشباب إلا جرائد دار الأخبار . ألم تكن توصف بجرائد النهود والأفخاذ ؟ أليست تنتحل الأسباب وتتلقف النكات لتنشر معها صورة عارية ؟ أليست تتحرى آكد التحرى لنشر أخبار الفضائح الخلقية ، بل تختلقها اختلاقا ؟ أليس كل ذلك لتثير الغرائز ، وتحرك الشهوات ، وتفلت العيار عند الشباب ؟

أدلى كل كاتب دلوه فى حملة الاصلاح المزعومة ، ومنهم من اهتبلها فرصة ليفرغ مافى نفسه من العداوة للدين ، ومنهم من استدرج كما ذكرت . وكان أفضح ماقيل ، كلمة لامرأة تزعم بأن لها ثقافة وأنها فى منصب أول واجباته الارشاد الاجتماعى إلى الفضيلة ؛ أتدرى أيها القارى ماذا قالت ؟ أعلنت عن رأى ما أظن أن فاجرات تل أبيب تجرؤن على إعلانها . قالت : يجب أن تكون المراة حرة فى نفسها وجسمها تبذله لمن تشاء . وأعلنت عن رأيها بهذه الصورة ، وما أظنه سيغفر لها . فليس العهد الحاضر هو الذى يتهاون فى مثل هذا ، كما كانت العهود التى تعرفها . ثم جاء من بعدها من يقترح إباحة المتعة التى أبطلها الاسلام . (فوافق شن طبقة) كما قال الأولون .

والأدهى من كل ذلك والأمر ، أننى مارأيت كاتباً ممن كتب ــ حتى من العلماء ــ من التمس الاصلاح من الاسلام (أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون) . هل يظنون أن وسائل

الاسلام قاصرة عن الاصلاح ؟ ألا يعلمون أن أفضل مجتمع وأنقاه وأطهره وأسعده ، قام بشرائع الله فى صدر الاسلام ؟ لقد نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب الذين لايستطيعون نكاحا بقوله (يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) . فهلا نصحتم الشباب بما نصحهم به رسول الله ؟ هلا دعوتموهم إلى تقوى الله الرقيب الشهيد الحسيب ؟ هلا طالبتم بالجلد والرجم لمن لاتصلحه موعظة ، ولا تنفعه نصيحة ؟

لقد فارق القوم الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، إن شرائع الإسلام لم تعد تخطر لهم على بال . وإلا فقل لى بربك بماذا تعلل هذه الظاهرة العجيبة ! إجماع على طلب العلاج والاصلاح بوسائل الكفرة الفجرة من الغربيين بإباحة اختلاط الجنسين . أو إشغال الشباب وملء وقت فراغهم بأنواع الرياضة . أو بفتح دور البغاء لتكون مراحيض ومباول للشباب . وإجماع أيضاً على الإعراض عن طلب العلاج بالوسائل الاسلامية من تهذيب النفوس ، وتعمير القلوب بالايمان . وإيقاظ الضمائر التى تحاسب صاحبها . وإقامة الحدود الاسلامية التى تقطع دابر الفساد .

أما دار الأخبار فإنى أرجو أن تتق الله فى وطنها ، فلا تحاول إشاعة الفاحشة والفوضى الخلقية لقاء قروش تكون لعنة فى الدنيا وعذاباً فى الآخرة . حبذا لو أنها اتجهت لخدمة الوطن فأصبحت مدرسة نافعة للأمة تزودها بالعلوم والمعارف بجوار ما تنقل إليها من الأخبار المفيدة . ليس المال كل شىء ، فإن الذكر الحسن ، وطيب الأحدوثة بين بنى الوطن والأجيال من بعدهم ، خير مما يجمعون بتلك الوسائل . بل ربما جلب نشر النافع المفيد من الأموال أكثر مما يجلب من الفاسد والمفسد .

هذه اليقظة الشاملة الكاملة فى الأمم العربية ، لتأخذ مكانها بين الأمم ، تتطلب عملا متواصلا وكفاحاً مشاقا . وأخذاً للأمور بالجد والقوة . حتى تأخذ المكانة اللائقة بها . ألا فليسر المخلصون فى موكب المجد . وليتوارى المخذلون دعاة الهزيمة . المثبطون للهمم . والداعون لربطنا بعجلة الغرب وحقارة الغرب ونخافة الغرب .

إلى السادة المشتركين

نرجو السادة المشتركين أن يتفضلوا بإرسال إشتراكاتهم بإسم الأستاذ محمد رشدى خليل مدير إدارة المجلة . ونأسف ـ مع الاعتذار ـ بأننا سنضطر إلى قطع المجلة عنهم اعتبارا من عدد صفر أى العدد الآتى . إذا لم يبادروا بتسديد اشتراكاتهم .

بنــــاء المساجد على القبور

وحكم الصـــــــلاة فيها

بقلم الأستاذ محمد صالح سعدان

اعتاد كثير من المسلمين فى العصور المتأخرة مداومة الصلاة فى المساجد التى على القبور، قبور الأولياء والصالحين أو غيرهم جهلا منهم بنهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن ذلك .

وإذا تصدى لهم أحد بالنصيحة بعدم الصلاة فيها، زعموا أنهم إنما يصلون لله لا لغيره، وإذن فلا بأس من الصلاة حيث شاء المصلى من هذه المساجد التى على القبور ، إذا ما ابتعد المصلى عن القبر أو عن مواجهته حين الصلاة .

وفات هؤلاء أن النهى عام فيمن يصلى فى هذه المساجد وإن لم يقصد بصلاته إلا وجه الله تعالى . تماماً مثل ماورد من النهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وحين استواء قائم الظهيرة ، وإن لم يقصد المصلى فى هذه الأوقات إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى .

وعلى هذا فلا تصح الصلاة فى هذه المساجد التى على القبور بحال من الأحوال . سواء كان القبر لنبى أو ولى أو ملك من الملوك أو غيرهم ، وسواء كان القبر تجاه المصلى أو خلفه أو فى أى ناحية من نواحى المسجد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم شدد النكير والوعيد على بناء المساجد على القبور وعلى الصلاة فيها .

روى مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك »

وروى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً .

وواضح من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ القبور مساجد فى آخر

حياته ، ثم إنه لعن من فعل مثل ذلك ، ليحذر أمته مما فعله اليهود والنصارى الذين لعنوا بسبب عملهم هذا .

وعن أم سلمة وأم حبيبة رضى الله عنهما زوجى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذكرتا أنهما رأتا كنيسة فى الحبشة فيها تصاوير .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » .

وروى الإمام أحمد أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

فالذين يصلون فى المساجد التى بها قبور الأولياء الصالحين ويتحرون الصلاة فيها ، رجاء البركة عندها أو طهارة المكان أو زيادة فضل فيه ، بزعمهم ، مخطئون ، بل هم عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم بإتيانهم مانهاهم عنه .

والله سبحانه وتعالى يقول فى حقه صلى الله عليه وسلم (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

ومن المعلوم أن المساجد التى هى بيوت الله تعالى سواء فى ثواب الصلوات فيها ، ولا ميزة لمسجد على مسجد إلا المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدى » كما فى رواية للبخارى . ويقول صلى الله عليه وسلم بيانا لفضل كل من المساجد الثلاثة : « صلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمئة ألف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة » فهذه المساجد الثلاثة هى التى يجوز قصدها وتحرى الصلاة فيها رجاء زيادة الأجر والثواب من الله تعالى ، وليس لغير هذه المساجد الثلاثة من ميزة مطلقا .

والأصل فى بناء المساجد أن تكون وفق ماجاءت به الشريعة الغراء ، وأن تبنى خالصة لوجه الله تعالى نقية طاهرة ، من أول يوم يشرع فيه أو يوضع فيه أساس بنائه ، لايبنى على قبر نبى أو ولى أو ملك من الملوك أو غيرهم .

فإذا بنى المسجد على قبر أحد من هؤلاء مع نية البانى وقصده أنه لله فقد انتفى أن يكون مسجدا خالصاً لله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) وفى الحديث القدسى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى، تركته وشركه» ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد».

على أننا نرى أن أكثر المساجد الموجودة بمصر وفى مدينة القاهرة منها على الخصوص، مبنية على قبور الموتى المعروفين والمجهولين، إلا فى القليل النادر، سوى ماجددتها الثورة المصرية المباركة من المساجد ونبشت القبور التى كانت بها، وجعلتها نظيفة طاهرة تليق بإقامة الصلوات فيها.

ثم أنه من المعلوم للخاص والعام أن كل موضع يصلى فيه فهو مسجد وإن لم يكن هناك بناء، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»، ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام».

فإذا قصد الرجل الصلاة فى المساجد التى بها القبور عمدا رجاء البركة بالصلاة فيها، فهذا عين المحادة لله ورسوله وابتداع شرع لم يأذن الله به.

وقد أجمع سلف الأمة على ماعلموه من دين الإسلام بالضرورة أن الصلاة عند القبر - أى قبر كان - لافضل فيها، بل أجمع علماء الطوائف من سلف هذه الأمة على القول بأن الصلاة فى المساجد على القبور على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الصلاة فيها باطلة.

القول الثانى: الصلاة فيها محرمة.

القول الثالث: الصلاة فيها مكروهة:

فالقول الثالث وإن كان أقل مايقال فى الصلاة فى المساجد التى على القبور، إلا أن الكراهة فيها، كراهة تحريم أخذاً من النصوص الصريحة.

أما الكلام على القباب وبناء المقابر عموما فقد قال ابن حجر الهيثمى فى كتابه (التحفة) مانصه:

«وقد أفتى جمع بهدم كل مافى قرافة مصر من الأبنية حتى قبة إمامنا الشافعى التى بناها بعض الملوك. وينبغى لكل أحد هدم ذلك مالم يخش مفسدة فيتعين الرفع للإمام».

وقال فى كتابه (الزواجر) مانصه:

«ومن أعظم أسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مسجداً، ويجب إزالة كل منكر

عليها ، ويجب المبادرة لهدمها ، وهدم القباب التى على القبور ، إذ هى أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور . ويجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر . ولا يصح وقفه أو نذره » .

وقال أيضاً فى كتابه « الزواجر » :

« ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السراج عليها ، واتخاذها أوثانا والطواف بها والصلاة إليها » انتهى .

يرى القارىء مما أوردنا من هذه النصوص شدة تمسك سلفنا الصالح بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم تفريطهم فيه ودفاعهم وذبهم عن سنته صلى الله عليه وسلم .

هذا ولا عبرة لما يفعله بعض العلماء الرسميين وغير الرسميين من مجاراة غيرهم فى الصلاة فى المساجد التى بها قبور الأولياء والصالحين . فإن عملهم هذا ليس بحجة لأحد ، بل هو حجة عليهم ومؤاخذون به عند الله تعالى .

وفى مثل هؤلاء يقول القائل :

إذا كنت لاتدرى فتلك مصيبة — وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

عافانا الله من مثل ذلك وجعلنا من المهتدين بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم .

خطبـــــة منبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، غافر الذنب وقابل التوب . شديد العقاب ذى الطول ، لاإله إلا هو إليه المصير . من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا . من يهده يشرح صدره للاسلام ، ومن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، مالك الملك ، يعطى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيرا . فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأكمل به الدين . وهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى . صلى الله عليه وسلم وبارك ، أكمل صلاة وأزكى سلام .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لايملكون مثقال ذرة فى السموات ، ولا فى الأرض ، ومالهم فيهما من شرك ، وماله منهم من ظهير . ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع عن قلوبهم ؛ قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلى الكبير . قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

يأمر ربنا تبارك وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إذ يحاجون المشركين الذين يتخذون من دون الله أولياء يهتفون بأسمائهم وينادونهم إذا حزبهم أمر من أمور الدنيا . يقول الله تبارك وتعالى : قولوا لهؤلاء المشركين ، ادعوا الذين زعمتم من هؤلاء الأولياء ، الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله . إنهم لايسمعونكم إذ تدعون ، ولا ينفعونكم ولا يضرون . فلتلجوا فى دعائهم ، ولتقطعوا نياط قلوبكم فى ندائهم فما دعاء الكافرين إلا فى ضلال .

أيها الانسان الذى ميزك الله بالعقل ، ورزقك الفهم والتفكير والادراك . ألا تنظر إلى هؤلاء الذين زعمتم من دون الله ؟ ألم يكونوا عباداً مثلك خلقوا كما خلقت وعاشوا كما تعيش ، وماتوا كما ستموت وسيحاسبون كما ستحاسب يوم القيامة ؟ هل ملك أحدهم وهو حى ـ قبل

ن يموت و يصير تراباً لايقدر على شيء ـ هل ملك شيئاً فى السموات ؟ هل كان يملك مثقال ذرة ـ وهو أبخس شيء فى الوجود ـ فى السموات أو فى الأرض ؟ إنه لم يكن يملك شيئاً من ذلك ، فالملك كله لله وحده . فما بالك تسأله المدد وتسأله شيئا لله ، ألا ترى أنك تجاوز حد الأدب مع ربك ، مالك الملك ، حين تسأل من زعمت من دونه المدد .

أيها الإنسان العاقل ، إذا سلمت أنه لايملك شيئاً فى السموات والأرض ، فهل تزعم أن له شركا فيهما ؟ لقد نفى الله سبحانه تعالى أن يكون له فيهما شرك ، وكيف يكون له شرك فيهما والله سبحانه وتعالى وحده هو الخالق الرازق ، البارىء المصور ، المحيي المميت ، المعطى المانع . رب السموات والأرض ، رب العرش العظيم . وكيف يكون عبد عاجز ، فقير ، ضعيف شريكا لله فى ملكوت السموات والأرض وهو الذى أوجده من العدم ؟ هل خلق أحدهم شيئاً فى السموات أو فى الأرض فتشابه الخلق عليك ؟ سبحانك رب العزة عما يصف الظالمون .

أيها المسلم ، هاأنت قد رأيت أن الذين زعموهم من دون الله ، زعما لايستند إلى دليل من العقل أو الواقع ، هاأنت قد رأيتهم لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وليس لهم فيهما من شرك . فهل اتخذ الله منهم ظهيرا يعينه ويساعده فى تدبير السموات والأرض ؟ وهل يعين الضعيف العاجز ، القوى العزيز ؟ وهل يساعد الفقير الذليل ، الغنى الحميد ؟ وهل يظاهر المخلوق المقهور ، الخالق القاهر فوق عباده ؟ إن هذا بهتان لايقبله عاقل يعرف نعمة الله عليه فى عقله وإنسانيته ، إن هذا بهتان لايرتضيه إلا من سفه نفسه فكان كالأنعام بل أضل من الأنعام سبيلا .

ماذا بقى بعد ذلك لأولئك المزعومين من دون الله ؟ هل يقربون إلى الله زلفى . هل لهم شفاعة عند الله ؟ هذا آخر سهم فى جعبة المضلين ، إن الله يرده فى نحورهم . إنه سبحانه يقول (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له) فهل عند أحدهم إذن ليشفع ؟ هل عندهم سلطان بهذا ؟ أم يقولون على الله مالايعلمون ؟ إنهم يقولون على الله مالايعلمون ، فالشفاعة لله جميعاً . يعطيها يوم القيامة لحبيبه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع الشفاعة العظمى . ويشفع سبحانه من يشاء فيمن يشاء يومئذ ، فيأذن للشافع ويرضى عن المشفوع فيه . أما فى الدنيا فإنه سبحانه لم يأذن لأحد أن يشفع عنده لأحد ، إلا ما كان لرسوله صلى الله عليه وسلم بوحى منه . إن الله سبحانه وتعالى قد سفه المشركين الذين كانوا يزعمون أن معبوديهم شفعاؤهم عند الله . فما بال الناس قد ارتكسوا وردوا إلى جاهلية شر من الجاهلية الأولى . نسأل الله العافية .

إن بعض الناس ـ ونعوذ بالله أن نكون منهم ـ يبقى فى ضلاله وغيه وطيشه ، لاترده عنها

آيات الله البينات الواضحات ، حتى إذا فزع عن قلبه ، وزالت الغشاوة عن عينه . فوقف على عتبة الآخرة وصار بصره حديدا ، وعاين مقعده من العذاب ، ووجد ماوعده ربه حقاً . سأل ، وكأنه يستطيع أن يرجع فيصلح ما أفسد ، ويؤمن بما كفر ، سأل ماذا قال ربكم ؟ إنه كان لاهيا عما قال ربنا ، إنه كان مشغولا بما قال أربابه من شياطين الإنس والجن ، إنه لم يقدر أن يقول : ماذا قال ربنا ؟ لأنه لم يرض فى دنياه بالله رباً ، بل اتخذ من دونه أرباباً شرعوا له من الدين مالم يأذن به الله . إنه لم يرض بكتاب الله ، ولكن رضى بكتب الصوفية وأورادهم وأذكارهم وأشعارهم . إنه لم يرض برسول الله ، ولكن رضى بآراء الفقهاء ومادس فيها المجوس والنصارى واليهود . إنه يسأل . ماذا قال ربكم ؟ فتجيبه جوارحه ، وتجيبه نفسه التى بين جنبيه ، ويجيبه الحق الذى عاينه ، يجيب كل ذلك ، بل يجيب الوجود كله : أن ربنا قد قال الحق وأنه هو العلى الكبير .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجنبنا الزلل والخطأ وأن يهدينا إلى الصواب والحق ويرزقنا أتباعهما . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبـــة الثانية

إن الحمد لله ، نحمده ، نستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ونسأله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولا ولى من الذل . وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله أخرج الناس من ظلمات الشرك والجاهلية ، إلى نور العلم والإيمان . صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .

أيها المسلم الكريم على الله ، الذى من الله عليه فجعله من أمة أكرم رسله وخاتم أنبيائه وصفوته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله . لاتكن إمعة تجرى وراء كل ناعق ، وتمشى خلف كل زاعق . كن حقيقاً بهذا الشرف العظيم باتباع نبيك الهادى إلى أقوم سبيل . هاأنت قد رأيت كيف يحب الله لك أن تكون متشرفاً بالعبودية الخالصة له وحده ، فأرسل إليك هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأرسل لك معه هذا الكتاب الهادى إلى الحق وإلى صراط مستقيم . ولم يترك سبيلا يوجهك إلى الهداية إلا بينه أتم بيان . فقد بينت هاتين الآيتين مداخل الشرك ومظاهره ، بأجلى برهان وأوضح دليل . لقد نفتا أن يكون لأحد شىء فى السموات أو فى الأرض بالملك أو المشاركة معه سبحانه . ونفتا أن يكون له منهم ظهير أو معين أو مساعد . ونفتا أن تكون لأحد عنده شفاعة أو وساطة . فلماذا إذن تتوجه

لمخلوق - كائنا من كان - بدعاء أو نداء أو نذر أو حلف أو تعظيم ؟ اجعل كل ذلك لله وحده ، واعبده مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير .

إعلم ياأخي - هداني الله وإياك - أن الله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك . فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أنه إذا اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء ، لاينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإذا اجتمعت الإنس والجن على أن يضروك بشيء ، لايضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . ماذا تبتغي عند من تزعمهم من دون الله ؟ أتبتغي عندهم العزه ؟ فلله العزة جميعاً . وهو المعز المذل . أتطلب عندهم الرزق ؟ فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . هو الذى يرزق من السموات والأرض . أترجو عندهم الهداية ؟ فإن الهادى هو الله ، والهدى هدى الله فاستهد الله يهديك ، واستطعم الله يطعمك .

يقول الله تبارك وتعالى فى ختام الآيتين (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ليس هذا شكا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المؤمنين أنهم على هدى وأن المشركين فى ضلال مبين ولكنه على أسلوب التوبيخ والتبكيت للمشركين . فبعد أن بين سبحانه مظاهر الشرك ونفى بالدليل العقلى السليم أن يكون لأوليائهم وآلهتهم المزعومة شيء مع الله ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : أما وقد ظهر الحق ووضح الأمر ، فأى الفريقين على هدى وأيهما فى ضلال مبين . والجواب مفهوم لايحتاج إلى إثبات .

أنظر ياأخى إلى قوة نظم القرآن وبلاغته المعجزة ، لقد قابل (إنا) بـ (لعلى هدى) (وإياكم) بـ (فى ضلال مبين) ثم انظر كيف وصف الهدى بعلى ، لأن الهدى يعلو . ووصف الضلال بفى ، لأنه يدس صاحبه فى السفالة والحماقة فى الدنيا ، ونار جهنم فى الآخرة عافانى الله وإياكم .

أيها المسلمون : لقد رعى االله جانب العقيدة فى القرآن أكبر رعاية وخصها بأعظم عناية ذلك لأن مناط فلاح الإنسان أو خسرانه فى الدنيا والآخرة إنما يرجع إلى العقيدة فمن صلحت عقيدته بالتوحيد وعبادة الله وحده كان من المفلحين ، ومن فسدت عقيدته بالشرك ونداء الموتى ودعائهم خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . اللهم لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا. اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل يارب فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

شكر النعمة

« وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد »

بقلم الأديب عبد السلام رزق الطويل
(الطالب بكلية اللغة العربية)

نعم الله على عباده كثيرة لاتحصى ولاتعد ولا تستقصى ، وإن أعوزك الدليل ، واحتجت إلى البرهان فانظر إلى نفسك كيف أنها لم تكن شيئاً ثم صارت شيئاً مذكورا ؟ وكيف ارتقت عن مستوى الحيوانية بعقل يفكر ، وذهن يدبر ، وقلب يحس ، ونظر يتأمل ؟ كل أولئك نعم : الخلق نعمة ، والعقل نعمة ، والبصر نعمة ، والسمع نعمة ، وأنت مسئول عن شكر النعمة (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وشكر النعمة استعمالها فيما خلقت له ، وتوجيهها الوجهة التي خلقت لتتجه إليها ، فالعقل للتفكير والبصر للتأمل ، والأذن للاستماع ، فإذا شل العقل بالتقليد ، وحجب البصر بستار الغفلة ، وصمت بوقر الباطل ، فذلك هو الكفران المبين للنعمة ، وذلك هو الهبوط بمستوى الإنسانية السامية إلى دركات الحيوانية (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) .

وشكر النعمة سمة الأنبياء ، وصفة المرسلين ، وشارة الصالحين ، انظر بماذا وصف الله إبراهيم عليه السلام فقال : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه) وتحدث عن سليمان عليه السلام حين سخر له هذه القوة العاتية التي أتت له بعرش بلقيس في غمضة عين وكيف قابل سليمان هذه النعمة التي تقدر بالشكر والعرفان حيث قال : (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) وقال عن لقمان الذي أوتي الحكمة وأوصلته حكمته إلى شكر النعمة (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد) .

السماء فوقك مغمورة بالنعم ، والأرض مفعمة بالآيات والآلاء ، ولكن الإنسان يكفر .

ولا يشكر (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) فشكر هذه النعم التى فى السماء والأرض بالتأمل فيها والتماس عظمة القادر وقوته منها ، دليل على قوة الإيمان ، والكفر بهذه النعم بالغفلة عنها وعدم ذكر الله بواسطتها دليل على ضعف الإيمان ، وما كفر المشركون وكل أمة كفرت برسولها إلا كان جحود هذه النعم أول العوامل لذلك . ولهذا نجد أن القرآن الكريم حين يدعو الناس إلى التوحيد يدعوهم أولا إلى الإيمان بالسنن الكونية لأنها هى السبيل إليه ، استمع إلى قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم مايشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) واستمع إلى أبى نواس يصوغ معنى هذه الآية فى قوله :

تأمل فى نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأبصار هى الذهب السبيك
على قطب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقول الآخر :

فواعجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد ؟
ولله فى كل تسبيحة ... وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

والجاه نعمة ولكن كفر بها فرعون فطغى وقال (أنا ربكم الأعلى) والمال نعمة ولكن جحدها قارون فبغى وقال (إنما أوتيته على علم عندي) ولو شكر فرعون نعمة الجاه لما جعلها سبيلا للفساد وسفك الدماء ، ولأذعن للحق حين ألقى إليه ، ولو شكر قارون نعمة المال لما استعلى على الناس ، ولأعطى منه الفقير والمسكين وابن السبيل مالهم فيه من حقوق . وكما اشتمل القرآن على أمثلة لقوم شكروا نعمة الله عليهم فأجزل ثوابهم ، كذلك اشتمل على أمثلة لقوم كفروا بنعم الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

من الله على أهل مكة بنعمة الأمن بينما يتخطف الناس من حولهم ، وبنعمة الغنى بينما العرب الآخرون يتضوعون جوعا . فلما جاءهم رسول منهم فكذبوه سلب الله منهم نعمته وجعلها عليهم سنين كسنى يوسف (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) .

ومثل ذلك الرجل الذى أعطاه الله جنة محفوفة بنخل وجعل بينها زرعا ، فجحد هذه النعمة ونصحه صاحبه فلم ينتصح ، وتطرق به جحوده إلى الكفر بالبعث والنشور ، وجد جنته خاوية على عروشها ، وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها .

ومثل أصحاب الجنة ذات الغلة والثمر الكثير حين بيتوا السوء ، وأصروا على طرد الفقراء وحرمانهم من نصيبهم ؟ ماذا كان عاقبة أمرهم ، ومصير جنتهم ؟ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم) أى كأنه قد جذ ثمارها .

وهكذا وهكذا . . كلمة الله نافذة لامعقب لها (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) .

الشيخ عبد الحميد عرنسه

فى مساء يوم الأربعاء ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧٥ الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٦ شرف فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد عرنسه ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بدمياط دار المركز العام وألقى محاضرة قيمة ، فى شرح وتفسير الحديث القدسى ، الذى رواه أبو ذر الغفارى رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما روى عن الله تبارك وتعالى - أنه قال « ياعبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا . ياعبادى ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى ، أهدكم ياعبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته . فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى . كلكم عار إلا من كسوته . فاستكسونى ، أكسكم . ياعبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار . وأنا أغفر الذنوب جميعاً . فاستغفرونى أغفر لكم . ياعبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك فى ملكى شيئاً . ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئاً . ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد وسألونى . فأعطيت كل واحد مسألته . مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » رواه مسلم والترمذى .

بعد تأميم القنـــــــاة

ثورة الوثنية الصليبية

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

الوثنية الصليبية فى استعار حقدها الباغى ، وتلظى بغيها الحقود ، تحاول أن تناضل الحق القوى ، وتجالد قوة الحق التى راحت تدك فى حماس ثائر مشبوب معاقل البغى ، وهياكل الطغيان ، وتمكن للسلام والحرية والإخاء فى إباء وعزة وكرامة !!

الوثنية الصليبية - وهى تلوذ برمقها الشاحب المحتضر ، وحشاشتها الذابلة الخابية - تحاول أن تحول بين روح الحياة الدافق الجياش بالربيع ، وبين أن يسرى حيا فى مجالى واديه الذى طالما شاقته نسمة من عبير الحياة ، ونفحة من عطر الحرية ! الوثنية الصليبية فى جراحها النافذة ، وأظفارها المقلمة تحاول أن تمنع النسر المحلق من طيرانه القوى الشجاع !! بالنارات الحقد المتأججة الأضغان !! إنها تلون كل شىء جميل بألوانها القاتمة الداكنة السواد !! فتكره النور الباهر ، والخير الزاهر ، وتمقت - حسدا - صولة الحق الجرىء !! وتحاول حمل الناس جميعاً على أن يروا ماترى ، ويحسون بما تحس ، وتكره أن يقولوا عن الصباح الوضىء : إنه نور جميل !!

ماذا فى تأميم قناة السويس ؟ !!

حق يملكه صاحبه ويمارسه فى حرية وشجاعة وقوة ، لأن القناة من أرضه ، والدماء التى سالت على جنباتها دماء آبائه وأجداده والأشلاء التى انتثرت على حفافيها أشلاء الأحبة من أهله .

ماذا فى تأميم قناة السويس ؟ !

حق يردى باطلا غشوما ، وقوة جارفة ترد حقا سالبياً وحمية بالحق تصون حماها ، وإيمان قوى بأن هذا هو مايجب أن يكون !

ماذا فى تأميم قناة السويس ؟ !

لطمة قوية تهدل بها وجه الاستعمار الصفيق ، وحرمان للذئاب المسعورة من أن تلعق الدم الزكى البرىء ، وللظلم الطاغى من أن ينشب مخالبه فى فريسة أنقذها راعيها الأمين !!

ولكنها الوثنية الصليبية تفرق من هذه القوة الجديدة ، وتخشى بزوغ هذا الفجر الندى الأضواء وتجاوب الشرق بصيحة الحرية التى هتف بها هذا البطل الشاب القوى ، الذى يبصر الشرق فى سمات جبينه الأبى النبيل آيات المنقذ المأمول المؤيد برعاية الله !!

إن الوثنية الصليبية ترضى بكل شىء ، إلا أن يقوم فى الشرق رجل ! ! إن الوثنية الصليبية تنام عن كل شىء إلا أن يقود هذا الشرق بطل ! ! إنها تبصر فى جمال الرجولة التى تأبى أن تهان ، والشجاعة التى بثت فيمن حولها حماسها وثورتها ، والبطولة التى تحلق بإبائها فوق القمم ، والفدائية التى تلهم أرفع المثل وأزكى القيم !!

والجندى القوى الذى ينفخ فى الصور ، صور البعث للشرق من رقدة العدم ، والمسلم الذى يؤمن بقول الحق : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وبقوله سبحانه : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

يؤمن ، ويعمل ، لتكون كلمة الله هى العليا .

يؤمن ويعمل ، ليقود الإسلام مرة أخرى هذه الإنسانية الحائرة إلى سعادتها النامية الحانية يعمل ليبعث أمجادنا السوالف التى مازالت أشعتها تضىء جوانب التاريخ ، وتلمع نجومها فى سماء الخلود تلك هى أسباب ثورة الوثنية الصليبية ، وقد رأت فى فعال هذا الرجل بشائر النصر الرفافة بروحانية الإسلام ، ونذر الهزيمة الصاعقة لوقاحة الاستعمار وبغيه الحقود !! رأت هذه الضربات القوية القاهرة تمتد بها يده القوية فى عزة وفدائية ، فتهوى بها معاقل ، وتندك بها صروح ، وتشرق بها آمال ، وتتحقق أحلام . معاقل الاستعمار وصروح الطغيان وتشرق بها آمال المسلمين ، وتتحقق أحلام العروبة ! !

رأت السارين وراء الليل فى هتافهم العاشق بهذا الصباح الجديد البازغ من أفق المجد الوضىء والحيارى الشاردين فى تهليلهم لتلك الواحة الوريفة الظلال التى راحت تغرس فى الصحراء كلها حو الخمائل ، وأغراس الربيع وأفراحه !! سمعت من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى تجاوب دعاء العروبة بضراعة المسلمين إلى الله أن ينصر البطل الذى أشاع فى الشرق روحا جديداً يستنكف بعد هذا أن يذل أو يستنيم ، أو يستخذى لغريب جاحد وثنى !!

إنها اليقظة الكبرى بعد سبات عميق !!

إنه البعث الجديد فى مجالى المجد ، وآفاق العزة !!

وهذا هو ما يجعل الاستعمار فى وقاحته وسلاطة بغيه يثور ، ويثور ، حتى ينفجر ، بل ينتثر أشلاء نتنة إنها ليست قناة السويس !! ولكنها القناة القوية النافذة التى انفذها جمال إلى صدر الاستعمار . فخر صريعا يندب فى ذلة صولته وسورته على الشرق!! إنها ليست قناة السويس ولكنه الفزع الرهيب ، والقلق المدمر من اليقظة الإسلامية التى أقضت مضاجع الوثنية

الصليبية الجاحدة . صليبية أمريكا وانجلترا وفرنسا !!

ألا فلتفهم هذه الوثنية - إن كانت لها بقية من فهم - أن المسلمين والعرب ، قد صمموا تصميماً لايهن ولا يهين على أن يعيشوا أعزة ، على أن يجوبوا الحياة كلها رسل حق وهداية وحرية وسلام .

إن جمال عبد الناصر يحمل بيده الفتية القوية هذا المشعل الذى لن يخبو بإذن الله ، ومعه الملايين من أفريقيا وآسيا وأوروبا وكلهم عزيمة متوقدة وإيمان قوى بالله .

إن هذه القوة العارمة التى يقودها جمال بعون الله لن تقف فى طريقها سدود ، إنها ستدمر كل من يقف فى طريقها لأنها قوة الحق الذى صمم على أن ينتصر .

عبد الرحمن الوكيل
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

من أخبار الجماعة

فرع سرس الليان

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الجماعة بسرس الليان - منوفية مساء يوم الجمعة غرة شوال ١٣٧٥ وتم انتخاب مجلس الادارة عن سنة ١٣٧٦/٧٥ على الوجه الآتى .

١ - الأستاذ عبد الرحيم محمد عبد الله رئيساً
٢ - « مصطفى محمد طلبه نائباً للرئيس
٣ - السيد متولى محمود أبو طالب وكيلا
٤ - السيد زكى إمام حسام الدين سكرتيراً
٥ - الأستاذ سعيد مصطفى مرعى أميناً للصندوق
٦ - السيد متولى حسن الشافعى مراقباً إدارياً
٧ - السيد محمد محمد عيد أمينا للمكتبة

والسادة الشيخ عبد المقصود بدر الدين والشيخ على إبراهيم داود والشيخ محمود محمد معوض والشيخ محمد محروس الأبشيهى والأستاذ عبد الحميد فهمى حسام الدين وعبد الرحيم ندا ، محمد إبراهيم الدويك , عبد الحميد محمد طلبه أعضاء لمجلس الادارة

كما انتخب الشيخ فهيم شاهين أبو النصر مراقباً مالياً .

الإيمــــــان باليوم الآخر

أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يؤمنون بالغيب ، فقال ، عز من قائل : (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون) .

طالبنا سبحانه أولا ، بالتصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمرنا بمجاهدة أنفسنا لتزكو ، فإذا زكت النفوس استعدت لتلقى العلم ، بما يجعله الله فى الإنسان من النور الذى يعقل به عن الله آياته المتلوة والمشهودة .

وقد حث الله تعالى على طلب العلم وعلى التفكر فى الآيات ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أوضح بيان . حتى أكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته . فيجب التصديق أولا بما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أحوال البرزخ وأحوال القيامة ، ثم أن نطلب العلم ونعمل به ، حتى يجعل الله لنا نوراً نستبين به تلك الحقائق .

وبديهى أن العقول تستمد معلوماتها من الحواس والمرئيات ، والحواس لاتدرك ماوراء الجدار ، فكيف تدرك مافى عالم الغيب ؟ إذن فلا بد من بيان هذه الحقائق للعقول بأمثلة محسوسة من عالم الشهادة . فنضرب مثلا بالطفل فى بطن أمه ، فإنه بعد أن نفخ فيه الروح وصار يحس ويتحرك ، لو وهبت له قوة الادراك . وأخبر عن الدنيا وأحوالها ، هل كان يصدق بما فيها من أرض وسماء ، وبحار وهواء وأفلاك ، وحروب وخصومات ؟

الجواب : لايصدق ، لأنه يرى من المستحيل وجود مكان غير ماهو مستكن فيه ، ولكن إنكاره لتلك الحقائق لايجعلها مفقودة . وتسليمه بها لايجعله يستحضرها إلا إذا تمثلها . فكذلك الإنسان الواقف عند الحكم على الأشياء بحواسه ومرئياته فقط . لايصدق بأن هناك داراً أخرى ، وإن صدق بها من غير تصويرها وتمثيلها فى ذهنه ، يجعله لايابه بها ولا يتذكرها ، إذن فعذر المنكرين للبعث سببه الجهل والغفلة .

فالفوز بالخير الذى لا نجاة إلا به ، هو فى التصديق بالبعث وبيوم القيامة ، ولا يكون ذلك إلا بالسعى لتلقى العلوم النافعة المبينة لأحوال ذلك اليوم ، وتصور ماسوف يكون فيه ، فنكون بذلك مؤمنين علماً وعملا . وسعداء فى الدنيا والآخرة ، لأن الجهل بيوم القيامة سبب فى المفاسد ، وخراب الضمائر ، ويكون آخر الأمر سبباً فى خراب العالم ، وكيف لا . وتلك الخصومات القائمة التى نشاهدها ، والحروب الطاحنة ، والرذائل المنتشرة ، سببها نسيان الناس ليوم القيامة . ورجل يؤمن بيوم القيامة ، يستحيل عليه أن يميل إلى مفسدة ، أو رذيلة أو قبيح عمل ، لتقديره عاقبة الأمر .

سخر الله للانسان ماقى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، وصرفه فى كل كائن . وحكمة إيجاد الإنسان ، أن يكون عبداً لله تعالى ، عابداً له . قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وأن يكون خليفة فيما استرعاه الله إياه من أهل وولد ومال وأتباع . وإنا لنرى رجالا أنفقوا أموالهم وأنفاسهم ونفائسهم فى العمل لله وإعلاء كلمته ، وعاشوا ، مع هذا فى بلاء وعناء ، لم ينالوا من ثمرات أعمالهم نيلا . ونرى آخرين بذلوا أنفسهم ونفائسهم وأموالهم ، فى معصية الله والإضرار بعباده ، والإفساد فى الأرض ، ومع هذا لم يصبهم بلاء ولا شدة . ومقتضى العدل أن يجازى المحسن بالاحسان ، والمسىء بالاساءة .

لذلك يجب أن يكون هناك دار أخرى ، يجازى فيها كل عامل بعمله ، وإلا فأى مصلح من الناس تحمل فادح الجهاد وعظيم البلايا ، لخير الإنسانية كلها ، سواء كان هذا المصلح من الأنبياء أو الصديقين أو الشهداء أو تابعيهم بإحسان ، نقول : إذا مات ولم تكن ثم دار أخرى يجازى فيها بالاحسان عما قدم من خير وأحسن من فعال ، كان ذلك ظلماً عظيما . يتنزه ربنا سبحانه وتعالى عن الظلم علواً كبيرا .

ثم نأتى إلى ذلك الإنسان الذى جحد ربه ، وعبد غيره ، وحارب أنبياءه ، وخاصم المصلحين من عباده ، نقول : إذا مات هذا ولم تكن هناك دار أخرى يجازى فيها بالعقاب عن إساءاته ، كان ذلك من الجهل ، تنزه ربنا سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب علواً كبيرا .

فلزم أن يحكم العقل ـ بعد هذا الذى قدمنا ـ بحقيقة وجود يوم القيامة ، لينال المحسن جزاء إحسانه ، وكذلك ليلاقى المسىء جزاء إساءاته ، جزاءاً وفاقا .

* * *

خلق الله السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام . ثم خلق آدم من طين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، لتعلم العقول السليمة النيرة ، أن القادر على خلق هذه الكائنات قادر كذلك أن يعيد الإنسان سيرته الأولى ، بما شاء وكيف شاء . وكرر سبحانه آيات التمثيل فى كتابه مبيناً إحياء الأرض بالماء . فقال تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) .

وإن الأمة إذا نسيت يوم الحساب ولم يكن لها على بال ، استطابت إباحة المحرمات ، فسارع كل إنسان فى هوى نفسه ، من غير ما وازع ولا ضمير . ففشت فى الأمة البلايا : كالحسد والطمع والحرص وما إلى ذلك . ومن نسى يوم الحساب ، سلبت منه العقيدة الخالصة .

والمراقبة - مراقبة الله تعالى - فكان هو والكافر سواء . قال تعالى (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) .

نسأل الله أن لاينسينا ذكره ولا ينسينا يوم لقائه ، إنه سميع مجيب .

محمد إبراهيم الموجى

بكفر أبو سيد أحمد بشربين

قف . . . من أنت ؟

الأستاذ رشاد الشافعى

دأبت دار (أخبار اليوم) فى أيامها الأخيرة على نشر موضوعات خطيرة من شأنها أن تحدث الفتنة وتثير الشهوة وتشيع الفاحشة وتنشر الإباحية وتساعد على استشراء الفوضى وتحرض على الفسق وتحارب الفضيلة وتحض على الرذيلة كأنما تريد تعميم الفساد . فمن مارلين مونرو إلى الوجودية إلى لورانس شاكر وأخيراً إلى الطامة الكبرى . . إلى الهاوية السحيقة . . إلى بيوت الدعارة تطالب بفتحها على مصاريعها للشباب المحروم مثلها فى ذلك مثل الذباب لايعيش إلا فى جو عفن نتن فهو لايطير من كومة للزبالة إلا إلى كومة أخرى ولا ينتقل من جيفة إلا ليقع على جيفة ثانية وإن أصاب إنسانا دوفع عليه فهو لايقع عليه إلا ليسلب قوته أو ليضعف صحته . وهى فى موضوعها الأخير الذى قدمته للشعب على يد السيد / أنيس منصور كمثل رجل له إخوة قرر الخلاص منهم لحاجة فى نفسه فكلف زوجته أن تصنع الفطائر وأن تدس فيها السم وتكثر فيها من السمن وأن تقدمها لهم على حين فترة من جوع . فلما ضبطت تبرأ منها (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين)

فهل هى مناظرة أم مؤامرة ؟

أحسب أنها الثانية إذ ليس هناك مجال للتناظر أو الاستفتاء فى أمر تقرر من السماء وصدر فيه نص صريح لامجال للطعن فيه ولا حيلة لتأويله إلا لرجل فى قلبه مرض أو فى نفسه غرض ومن ثم جاء التحريم قاطعاً مانعاً فى قوله تعالى (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) فكأن للزنى أبواباً وهكذا جاء النهى عن اقتراب أبوابه والتماس أسبابه حتى لاينفذ إليه الإنسان فتكون العاقبة الوخيمة والنهاية المشئومة .

الشباب محروم . . . !

كلمة حق أريد بها باطل واتخذت مبررا لأغراض سيئة وأفكار فاسدة يراد تحقيقها . إذ ليس من العدل حتماً أن يرى الشباب النساء الكاسيات العاريات تتكسر فى مشيتها بالطريق وتغريه ، ولا أن يشاهد الروايات السينمائية الفاضحة تستدرجه وتستهويه . ولا أن يسمع الأغانى

الخليعة تستفز فيه الشهوة وتستفز فيه روح اللذة فتكبه على وجهه وتغويه ثم تطلب منه بعد ذلك أن يغض البصر ويعيش كأنه ملك وينسى أنه بشر فأين المفر . . . ؟

السقطة الكبرى

المفر إذن من هذا الحرمان الذى يعانيه الشباب ليس فى الصوم الذى يطفىء الشهوة ولا فى يقظة الضمير الذى يخشم الغريزة ولا فى وازع الدين الذى يحطم الهوى ولا فى الشعور الرقيق الذى ينفر من الفساد ولا فى الإحساس المرهف الدقيق الذى يفر من الدنية ولا فى العقل الرشيد الذى يأبى السفه ولا فى الطبع الكريم الذى يصرع الطيش والحمق ولا فى الذوق السليم الذى لايهدأ حتى يحب لغيره مايحب لنفسه ولا فيما أقره العقلاء وقرره الأنبياء ولكن ... فى حكمة الشيخ لطف الله (عدو الله) التى تجعل المرأة مرحاضاً عاماً كما يقول صاحبنا السيد أنيس منصور . . . دورة مياه . . . مباول ومراحيض تصب فيها الفضلات الضارة والنفايات المؤذية . تلك هى حكمة الشيخ لطف الله ياصاح ، تلك هى السقطة الكبرى التى فضحت أمرهم وكشفت عن سوء نيتهم وهتكت سترهم فتبين مايبيتون للمرأة المسكينة والفريسة البلهاء وأن مثلهم منها كمثل الطبال والزمار فى ركاب راقصة الريف (الغزية) ينهك جسمها ويتصبب عرقها ويسلب شرفها ويهتك عرضها ويفوز الطبال والزمار بقروش المعجبين بها .

تكلمي أيتها المرأة

هاك أيتها المرأة . أنيس منصور يهتك الستر ويفضح الأمر فى نفسه وفى أشباهه وأضرابه الذين يدعونك إلى الأباحية باسم الحرية وإلى الفوضى الأخلاقية باسم الحضارة والمدنية . ليجعلوا منك آخر الأمر مرحاضاً . فتكلمى وأفصحى عن رأيك إن كان فيك بقية من شرف أو شىء من عفة .

العلاج

العلاج إذن فى الإجهاز على البيوت السرية وتنشئة النشء على أسس إسلامية صحيحة . وتطهر القلوب وتزكى النفوس وتسمو بالأخلاق وتحيي الشعور وترهف الاحساس وتوقظ الضمير .

العلاج عند السيد وزير الارشاد : يهذب الأغانى الخليعة ويشذب التمثيليات المثيرة فى إذاعتنا التى حطمت كل قيد وتعدت كل حد .

العلاج عند السيد وزير الشئون الاجتماعية : يعنى بشئون المجتمع من ناحيته الدينية والأخلاقية والتقليدية مثل عنايته بالزى والرداء .

العلاج عند السيد وزير التربية . فعليه تقع التبعة الكبرى من تربية النفس فى النشء إلى تهذيب الخلق إلى السمو بالهدف إلى العلو بالهمة والنبل فى الغاية .

العلاج عند السيد وزير التربية : أن يجهز على فرق الرقص التوقيعى بالمدارس وأن يوقف أو يهذب أسبوع شباب الجامعات وأن يمنع الرحلات المختلطة بين الطلبة والطالبات وأن يصدر الأمر باحتشام المدرسات وأن يكن مثلا أعلا للمرأة الكريمة والأمومة الطاهرة .

العلاج فى يد الحاكم وحده ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » . العلاج فى التربية الدينية والتنشئة الاسلامية التى تغذى روح الرقابة فى الطفل من السابعة حين يتصل بربه فى الصلاة فيتعرف عليه رقيباً حسيباً عليما خبيراً سميعاً بصيرا (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) فلا ينوى إلا الخير ولا يضمر إلا البر والرحمة بأهله وعشيرته ووطنه وأمته ، ويتعرف عليه يسجل له الحركة والنظرة والسكون واللفتة فى قوله سبحانه (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فيخاف عقابه ويخشى عذابه ويتحسس رضاه ويرجو لقاءه ويتلمس رحمته . ويتعرف عليه قهاراً جبارا . يثل من الملوك عروشهم ويزيل عن الطغاة جاههم ويذهب سلطانهم ويرغم أنوفهم فى التراب بالموت الذى لا حيلة فيه ولا معدى عنه .

العلاج والحكمة فى كتاب لايضل فيه ربى ولا ينسى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .

قف من أنت ؟

وأخيراً نقول لك يامصطفى أمين أنت وأعوانك وأشباهك وأضرابك وأمثالك الذين وضعوا أقلامهم وإمكانياتهم فى خدمة الصهيونية التى تدعو إلى الفسق وتحرض على الفساد . نقول لك ولأمثالك مايقوله الجندى اليقظ وقف على باب المعسكر يرقب المتسللين إلى المعسكر يريدون الفتك بمن فيه يرقبهم فى يقظة الجندى الواعى والحارس الأمين . قف . من أنت . . . . ؟

جماعة أنصار السنة المحمدية وإدارة مجلة الهدى النبوى تهنىء قراءها ومشتركيها والعالم الإسلامى أجمع بعيد الهجرة النبوية أعاده الله عليهم باليمن والإقبال .

خطاب المركز العـــــام

لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

للأستاذ محمد الفاضل التقلاوى

في المؤتمر السنوى الذى عقد فى أم درمان يوم الجمعة ٨ شوال سنة ١٣٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله أمة الإجابة إلى يوم الدين . أما بعد :

فياحضرات الإخوان ، أحييكم تحية إسلامية طيبة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أهنئكم بعيد الفطر المبارك ، راجياً من الله أن يعيده علينا فى ظل دستور إسلامى عادل ، يرفرف علينا بالسعادة الحقة ، والعدالة الكاملة والحرية الصحيحة ، إنه سميع الدعاء ، قريب مجيب .

ياحضرات الإخوان

لقد تجشمتم المتاعب ومشقات السفر وجئتم إلى المركز العام ، يدفعكم الحرص الأكيد والإخلاص الصحيح ، والإيمان القوى ، لإقامة مؤتمركم السنوى الثامن فى ظل حكم وطنى واستقلال . بعد أن عانيتم وطأة الحكم الأجنبي الغاشم أكثر من نصف قرن ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فباسم إخوانكم فى المركز العام ، أتقدم إليكم بوافر الشكر وعظيم الاحترام .

ياحضرات الإخوان

إن المركز العام قد عمل عملا متواصلا ، وكافح كفاحاً مريراً فى نشر الوعى الإسلامى والدعوة للثقافة الإسلامية ، والتحرر الوجدانى مما ظهر أثره علينا فى المجتمع السودانى جلياً واضحاً ، ولايزال يعمل بطرقه الكثيرة المتعددة لإرساء قواعد المبادىء الإسلامية فى الحكم بعد أن وجدت مكانها فى أعماق القلوب وتحررت النفوس من الخرافة والشعوذة والانقياد للأفراد باسم الدين والاندفاع فى البدع الزائفة والترهات الخاسرة والأباطيل الفاسدة التى يتبرأ الإسلام منها ومن مروجيها .

ياحضرات الإخوان

لقد بلغت لجان الجماعة الفرعية فى كل أنحاء السودان مائتين وسبعة وأربعين لجنة كلها

تعمل فى صمت وإيمان لإعلاء كلمة الإسلام وتحرير العقول من الخرافة والوهم . ذلك الوهم الذى ملأ القلوب خوفاً من الأحياء الطغاة ، والأموات المقدسين . وتعمل لاقامة مجتمع إسلامى عزيز الجانب تشع فى جوانبه السعادة ويفيض بالرجولة الكاملة الحرة . ولقد أدت كل اللجان مهمتها كاملة غير منقوصة فى أسلوب رائع وإنكار للذات وفى غير جلبة أو ضوضاء وتفاخر .

لقد دفعت ركب التحرر من السلطة الأجنبية دفعات قوية ، وهى تقف اليوم فى حماس تدفع حركة التحرر الداخلى بقوة وعنف وإيمان . وقد بلغ نشاط بعض اللجان الذروة ولا زلنا ولا نزال نقول لها إلى الأمام فدون الغاية الجهد والصبر وإنكار الذات والعمل المتواصل والإيمان والحرص واليقظة .

ياحضرات الإخوان

إن المركز العام يسير فى خطوات بطيئة ولكنها مركزة صحيحة حتى لايتعثر دون الغاية الرشيدة والهدف المقصود . إننا فى هذه السنة قد تسلمنا تصديقاً لبناء دار فى منطقة السور تكون مقراً للمركز العام . وقد واصلنا جهودنا الحثيثة لجمع المال من أفراد الجماعة حتى تكون بإذن الله فى العام القادم مكتملة يقام فيها هـذا المؤتمر ويدوى فى جنباتها التوحيد ، وترسل من سكرتيرها دعوة الحق يشع منها نور التحرر الصحيح .

ياحضرات الإخوان

أن دعوة جماعة أنصار السنة المحمدية دعوة إسلامية خالصة تريد أن يكون الفرد المسلم حراً فى عقله فلا يخضع وينقاد ويقلد ، حراً فى تصرفاته لا يذل ويستخذى ويهون ، حراً فى وجدانه فلا يخاف إلا الله ، ولا يرهب إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ، ولا يدين إلا بما أنزل الله وبين رسوله . ولما كانت الطائفية مظهراً من مظاهر العدوانية وامتهاناً لكرامة المسلم ، وإذلالا للفرد ، وتحطيما للمساواة بين الناس فإن جماعة أنصار السنة المحمدية عملت على محاربتها حرباً لا هوادة فيها ولا لين . لقد حاربناها انتصاراً لمبادىء الإسلام وتحطيما للفساد وعملا لرفعة الفرد وإعلاء اسمه حتى نصل إلى مجتمع قوى سيكون من أفراد أقوياء ، أحرار يعملون فى قوة وإيمان لإسعاد كل بنى الإنسان . إن الطائفية مخالفة واضحة لتعاليم الإسلام فى معناها ومبناها وروحها ، وهى فى مجملها وتفصيلها صورة من صور الوثنية والشرك ، وأظهر مايكون ذلك فى طقوسها الكهنوتية وأزيائها البراقة وعاداتها الموقعة . كالرقص على الأناشيد المائعة الرخوة وفى خضوع أتباعها وانقيادهم انقياداً أعمى ، يدل على الاستخفاف بالعقل الذى هو أعظم نعم الله على الإنسان ، وأسمى مواهبه للفرد ، وأروع آياته بالنسبة لكل مخلوقاته على الإطلاق .

الطائفية التى حاربناها بالأمس فى فسادها ومخالفتها للتعاليم الإسلامية السامية ، وفى استغلالها لسذاجة الفقراء المساكين الذين انتزعت من تحت أقدامهم أراضيهم ثم استعبدتهم زراعاً لها عليها ، فأفسدت عقولهم بالوهم وملأت قلوبهم بالخوف من الأحياء والأموات المقدسين ، وطمست قيم الحياة فى نظرهم وأحالت حياتهم إلى جحيم من المرض والجهل والجوع . تلك الطائفة التى حاربناها بالأمس وصارعناها فى الميدان ، وأوشكت أن تخر صريعة من ضرباتنا القوية الجبارة . وقد كانت ولا زالت تستغل الناس باسم الدين . كما كانت تفعل بالأمس ، لابد أن تصل إلى شهواتها اليوم ، ولكن المسلم عرف ربه وعرف حقه ، وعرف واجبه . فصاح بصدق فى وجوه الضالين وملأ أسماعهم فى إيمان وفهم .

« الله أكبر ، الله أكبر . لا كبير إلا الله ولا نؤمن إلا بالله ، ولا نخشى إلا الله ، ولا سيد لنا إلا الله . الله أكبر . الله أكبر . والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ياحضرات الإخوان

إن التحرر من الطائفية ملازم لدعوة التوحيد ، وملازم للفرد المؤمن ليؤدى واجبه نحو نفسه وربه وبلاده ، وإن المسلمين لن يكونوا بخير مادامت هناك طغاة تعيث فى الأرض فساداً وتضل العباد . وإن الوطن الإسلامى الكبير لن يظهر كقوة واحدة إلا إذا حطمت هذه الأصنام الحية ، وإن المسلمين كقوة توجه الكون نحو السعادة والسلام ، لايقف فى طريقها غير هذه الأوثان الجشعة ، فنحن كأفراد ومجموعة ، لابد أن تقف فى هذا الصراع بجانب التحرر من الطائفية وطغيانها . وقد أعلنا مراراً فوق هذا المنبر أننا نعمل مع كل هيئة وحزب فى كل مايوافق مبادئنا ويطابق أهدافنا . ونحن إذ نعمل إنما نعمل مخلصين مؤمنين برسالتنا مدفوعين بحرارة مبادئنا ، فلا غرض لنا غير إصلاح المجتمع الإسلامى وتطهيره . ولا غاية لنا إلا التحرر من ربقة الطوائف . فلا نبغى سلطة ولا تغرينا كراسى الحكم ، ولا نطالب بأى شىء من أجل موقفنا اللهم إلا الثواب من الله ، فى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم .

ياحضرات الإخوان

لقد دعونا ولا زلنا ولانزال ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . دعونا إلى التحرر من كل اعتقاد لايستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . دعونا إلى تطهير العبادة من كل بدعة لاتستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ودعونا إلى هجر كل خلق لايستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد دعونا أن يكون دستورنا الذى نحكم به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ودعونا أن تكون الشريعة الإسلامية مصدر قوانين الأمة الإسلامية . ودعونا إلى تجميع القوى الإسلامية فى وحدة قوية لتجابه الحياة وتؤدى رسالتها الإسلامية الإنسانية نحو نفسها ونحو كل بنى الإنسان . دعونا إلى كل هذا ولا نزال ندعو وبنفس الحرارة والإيمان والصبر والشجاعة فى الحق . فنحن اليوم لاندعو كمجموعة ذات اسم خاص وإنما ندعو إلى جانب ذلك كأفراد مشتركين فى كل حزب وجمعية ومنظمة سياسية ولا نعد مناداة كل الهيئات لما تدعو له نجاحاً لنا إلا بعد أن يكون حقيقة واقعية ، وأمراً ملموسا .

ياحضرات الإخوان

لقد جعل الله الإسلام اعتقاداً وعبادة وحكما . فأما الاعتقاد فقد أوضح الله فى كتابه مجمله وتفصيله ، ولا محل فيه لقائل ولا مكان فيه للاجتهاد . وأما العبادة فقد أوضح الله مجملها فى كتابه وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتوضيح تفصيلاتها ووضحها عملياً . فلا مكان فيها لقائل ولا محل فيها للاجتهاد . اللهم إلا التحقيق والتدقيق فى صحة ماروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الحكم فقد وضع الله قوائمه العامة فى القرآن ولم يتناول الرسول صلى الله عليه وسلم تفصيلاته بالبيان إلا ما كان ماساً بحياة المسلمين فى تلك الفترة من الحياة الإسلامية فى توجيه أصحابه إلى الاجتهاد وتحرى العدالة وفق روح الإسلام ومبادئه العامة . وفى هذا فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لمن يتوفر فيه الاجتهاد من المسلمين ولهذا صارت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ولكل بنى الإنسان . فليست هى بالشريعة الجامدة المتحجرة المسيئة . ولكنها شريعة قوية تتفجر الحياة فيها ويشع منها نور العدل الصحيح .

ياحضرات الإخوان

يجب علينا أن نحصر جهودنا فى هذه الفترة الدقيقة لتحقيق غرضين أساسيين ، ولا نوزع جهودنا ونبدد قوانا ونضرب فى فوضى بلا هدف معين . ويجب أن نعمل من داخل الأحزاب وخارجها لتحقيق هذين الغرضين .

أما الغرض الأول : هو أن يكون على رأس الدستور هذه المادة « الجمهورية السودانية جمهورية إسلامية » وبذلك تصبح العدالة الاجتماعية الإسلامية هى مصدر الاشتراكية ولا شىء غير ذلك .

أما الغرض الثانى : فهو تضمين الدستور السودانى الجمهورى الإسلامى هذه المادة : « الشريعة الإسلامية مصدر التشريع والتقنين فى الجمهورية السودانية الإسلامية وبذلك » يحق للمشرعين فى البلاد أن يضعوا قانون الجنايات والقانون المدنى وضعاً إسلامياً مستمداً

من التشريع الإسلامى . أما قانون الأحكام الشخصية فهو فعلا قانون إسلامى ومعمول به الآن فى المحاكم الشرعية . ولهذا نطبع حياتنا بطابع إسلامى صحيح

ياحضرات الإخوان

إن الشريعة الإسلامية تنبض بالحياة وهى كفيلة بحل جميع مشاكلنا كافة ، ترغب الشريعة الصادقة فى التقدم ومسايرة ركب الحياة . وفى الشريعة الإسلامية قواعد عامة تعالج على هديها كل احتياجاتنا كافة تريد العدالة والسعادة والمساواة ، وليس للتعصب الذميم والجمود الأصم مكان فى الشريعة الإسلامية . ونحن كأمة مسلمة يجب أن نأخذ تشريعنا من صميم واقعنا ولا نلجأ إلى التحوير والمسخ من التشريعات الأخرى ونستورد تشريعاتنا من الخارج كما نستورد السلع ، لاسيما ونحن بين أيدينا أسمى تشريع وأعدل قانون ولا محل إطلاقا للخوف من أحكام الشريعة الإسلامية العادلة الرحيمة . وهنالك مبادىء أصولية عامة كفيلة بتبديد الخوف من عدم مسايرة الحياة مما يملأ القلوب طمأنينة وسلامة .

ياحضرات الإخوان

إن هذه الفترة من أخطر الفترات فى تاريخ هذه البلاد ، وعلينا أن نكون يقظين حريصين نشطين ، نعمل بجد واجتهاد ، ونواصل العمل بإيمان وصبر ، ونواجه الناس بالحقائق فى شجاعة وصراحة وحزم ، ونتجنب السباب والمهاترات لأنها لا تخدم غرضاً ولا تقرر الحقائق ولا تفيد الناس . ولا يلجأ إليها إلا المفلسون ، الذين أعوزتهم البراهين وفقدوا الأدلة وضعف جانبهم ، فاستكبروا على الحق وعاندوا السير فى الطريق القويم . وملأ الغرور نفوسهم ، فأوردهم موارد الهلاك . علينا أن نبين الحقائق بالأدله ، ونحصر نفوسنا فى الموضوع ولا نخرج منه مهما حاول غيرنا إخراجنا وإحراجنا بالتحريض والشتائم والاتهامات الباطلة . وعلينا أن نحترم الحق فلا نلوثه بالتهريج والصخب والسباب لذلك نحترم أنفسنا أيضاً . وما التوفيق إلا من عند الله .

ياحضرات الإخوان

باسم المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان ، أتقدم لجمعكم المبارك بأسمى آيات الشكر على تفضلكم بإجابة دعوتنا . وأسأل الله لكم ثواباً جزيلا . وأرجو أن نجد منكم نقداً بانياً ، وتعاوناً وثيقاً لمصلحة المجموعة وخير البلاد (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير ـ القاهرة

ت ٧٩٠١٧

باب الفتاوى

السؤال

هل من المشروع فى الأسفار الجمع بين صلاتين ، أى جمع تقديم ؟ وأى الوقتين يجمع بينهما ؟ وهل السفر فى القطار أو ماشابه ؟ وهل للأطوال والمسافة قياس ، وما هى ؟

حسين رشوان أحمد - من دبيرة . وادى حلفا

الجواب

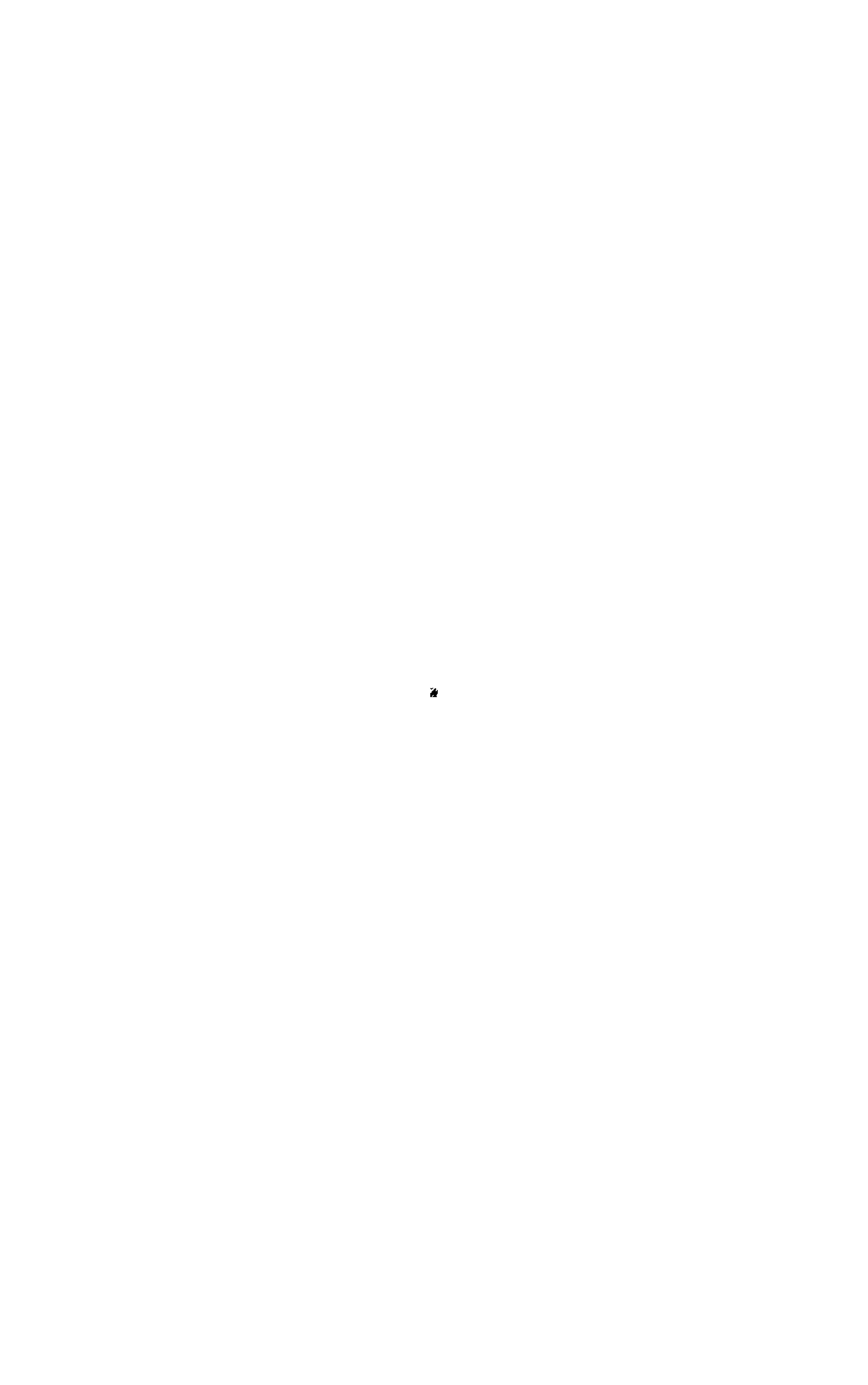
الجمع بين الصلاتين الظهر والعصر والمغرب والعشاء مشروع . فقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أنس بن مالك رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر ، ثم نزل فجمع بينهما . فإذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ، ثم ركب » وفى رواية أخرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان إذا عجل عليه السفر . يؤخر الظهر إلى وقت العصر ، فيجمع بينهما . ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء » .

ويفهم من لفظ الحديثين مشروعية جمع التأخير ، ورويت أحاديث كثيرة فى ذلك فى الصحيحين . أما جمع التقديم فلم يرو فيه حديث فى الصحيحين . ولكن روى فيه حديث فى سنن أبى داود ومستدرك الحاكم . وقد صححه راوة الحديث وعلق عليه شيخ الإسلام ابن القيم فى زاد المعاد . وذهب إلى صحته قياساً على الجمع بين الظهر والعصر يوم عرفة تقديماً .

ولفظ حديث أبى داود عن ابن عباس أنه قال : « ألا أخبركم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ؟ كان إذا زالت الشمس — وهو فى منزله — جمع بين الظهر والعصر فى الزوال . وإذا سافر قبل أن تزول الشمس ، أخر الظهر حتى يجمع بينها وبين العصر فى وقت العصر — قال : وأحسبه قال فى المغرب والعشاء مثل ذلك »

أما حديث الحاكم . فعن معاذ بن جبل « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر ويصليهما جميعاً . وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم سار . وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء ، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب » .


الهدى النبوي
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم





رئيس التحرير
محمد حامد الفقى
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

الهدى النبوى
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية
خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٢٠ – فى مصر والسودان
٣٠ – فى الخارج

المجلد ٢١ — صفر – رجب سنة ١٣٧٦ — الأعداد ٢ – ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره

(١٦ : ١١٤–١١٧ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا ، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به . فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم . ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم) .

« الحلال » أصله مأخوذ من حل العقدة كأنه كان مربوطا عليه عقدة ، فحلها الله عنه . أو كأننا كنا مربوطين وممنوعين عنه ، فحل الله عنا هذا ، وأباح لنا أن نتناوله وننتفع به ، لحاجتنا إليه . ولا يضرنا ولا يؤذينا لا حساً ولا معنى . بخلاف « الحرام » فإنه الممنوع المحظور . لأن فيها ضرراً وأذى لنا حساً أو معنى .

و « الطيب » ماتستلذه النفوس الكريمة ، وتستطيبه الحواس الفطرية السليمة . وضده « الخبيث » الذى تكرهه وتستقذره النفوس الكريمة .

و « شكر النعمة » إحسان الانتفاع بها ، ووضعها مواضعها التى تظهر فائدتها به ، وتزكو منفعتها . ولا يكون ذلك إلا بالإحاطة بها من جميع جوانبها ، والعلم بحقيقتها ، ومعرفتها

بخصائصها ومزاياها وصفاتها، وكيفية الانتفاع بها، ومواضعها فى أوقاتها، وتقديرها قدرها، وتقدير المنعم بها.

والعرب تقول « دابة شكور » إذا انتفعت من المرعى، لسلامة بدنها وصحته، فيظهر أثره عليها: قوة وسمنا، وإدرار لَبَن.

وضد الشكر « الكفر » وهو العمى عن النعمة، والجهل بخصائصها وصفاتها، وحقيقتها الثابتة، ومواضعها، وكيفية الانتفاع بها. فينشأ عن هذا العمى والجهل: محاولة تبديل حقيقتها، وتغيير صفاتها، وقلب أوضاعها، وإساءة الانتفاع بالنعمة، إهمالاً لها، وإعراضاً وغفلة عنها، ونسياناً لها بسبب الجهل بها، وعدم الاعتناء بها وتقديرها قدرها، وعدم تقدير المنعم بها.

و « شكِرَت الناقة » بوزن فرحت: سمنت وقويت، وامتلأ ضرعها من اللبن، على قلة حظها من المرعى.

و « النعمة » ماقصد به الإحسان والنفع، ليكون المنعَم عليه فى خفض وطيب من العيش، ودَعَة وسعادة واطمئنان وأمن.

و « العبادة » غاية الذل والتعظيم بغاية الحب والرجاء للمنعم، والرضى به رباً، والرضى عن نعمه.

و « الإهلال » الظهور. أهل الهلال، وهَلَّ: ظهر وطلع فى الأفق.

و « أهل لغير الله به » ظهر واتضح ـ بالقول، أو بلسان الحال ـ: أنه مراد به التقرب إلى غير الله، من الموتى المتخذين آلهة وأولياء من دون الله: من كل طعام أو شراب، أو نحوه، يصنع تعظيما وإحياء لأعيادهم وموالدهم، وإظهاراً لمناسكها الشركية، كالحلوى والذبائح وأنواع الفطائر والمشروبات ونحوها، مما يصنع مضاهاة وامتداداً لوثنية القدامى من الجاهليين المشركين فى عقائدهم فى أعياد القبور والمقبورين، وما يصنعون لها من أطعمة. وكذلك ماتظهر به شعائر أعياد اليهود والنصارى وغيرهم من الجاهليين، التى جاء الإسلام لإبطالها، وتطهير الأرض والقلوب من رجسها. فكل ذلك حرام على المؤمن أن يأكل منه، أو يطعمه، أو يساعد عليه. لأنه قصد به عبادة الطاغوت وتعظيم شعائر الشيطان.

بعد أن ضرب الله المثل لعباده بالقرية التى كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان . فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . بين ربنا سبحانه الأسباب التى يقى بها عذاب الجوع والخوف ، ويهيىء بها أسباب الأمن والاطمئنان ، ويوفر بها الرزق الرغد . فقال « فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا الخ » .

يعنى ربنا سبحانه : أن الأمن والعافية ، والرزق الرغد ، والسعادة والفلاح فى الأولى والأخرى : إنما تكون بالرضى بالله رباً ، والرضى بنعمه يربى بها عباده ، وبشرائع الإسلام ديناً ، يوضح بها حقيقة النعم وصفاتها وخصائصها ، ومواضعها وأوقاتها ، وكيفية الانتفاع بها ، والرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، يقتدى به ويهتدى بهداه ، لتكون الخطوات كلها فى الانتفاع بالنعم على الصراط السوى . ثابتة على بصيرة .

ونكد العيش ، وضنك الحياة ، وشقاؤها فى الأولى والأخرى : إنما يكون بعدم الرضى بالله رباً ، ولا عن نعمه ، ولا بالإسلام ديناً ، ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا .

والرضى : إنما يكون عن علم صحيح ، بالله وأسمائه وصفاته ، وسننه وآياته . فهذا العلم هو الذى يثمر إيماناً صادقا ، وإذعانا وانقياداً تاماً ، وإسلاماً خالصاً لله رب العالمين ، وتحرياً ـ بكل يقظة وحذر ـ لطاعة أوامر الله ، وكتابه ورسوله ، وتنفيذ وصاياه وشرائعه ، والاهتداء فى كل شأن بهدى كتبه ورسله .

وعدم الرضى : إنما يكون بوحى شياطين الإنس والجن فى ظلمات الجاهلية وتقاليدها العمياء ، التى تولدت من الكفر بالله وأسمائه وصفاته ، وآثارها فى الأنفس ؛ وتُوَلِّد الكفر بالله وكتبه ورسله ، والتمرد عليه سبحانه ، وعلى سننه الكونية ، وكتبه ورسله وشرائعه . والجرأة على القول عليه ـ فى أسمائه وصفاته ـ وعلى حقوقه وعبادته وطاعته وشرائعه بغير علم ، تحكيم الطاغوت والتقاليد الجاهلية ، والظنون والتخرصات الكاذبة الخاطئة . والأهواء والضالة العمياء ، التى هى فى الواقع افتراء الكذب على الله ، واختلاق صفات الحلال والحرام لما ليس كذلك . (١٠ : ٥٩ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً . قل آلله أذن لكم ، أم على الله تفترون ؟ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ؟) .

فإن الشئون كلها تقوم على حاجة الإنسان لجسمه ، الذى سواه الله من تراب . ولحاجته لروحه ومعناه الإنسانى الذى نفخه الله فيه من روحه . و به ميزه الله ، وأكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

لحاجته لجسمه - من طعام وشراب ومسكن وملبس ، وتوالد ، ومايلزم لكل ذلك - هو شريك فيها لكل الحيوان فيما خلق الله فى الأرض - مائها ويابسها - من زروع ونبات . وما بث فيها من دابة (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيبا) .

وحاجته لروحه ومعناه الإنسانى الكريم : الذى به امتاز الإنسان ، وكرّمه ربه ، وفضله على كثير ممن خلق الله تفضيلا ، فحيث إنه لا يشاركه فى هذا المعنى الإنسانى الكريم أحد من الخلق ، فكذلك لا يشاركه فى حاجته إلى الحياة الروحية المعنوية ومقوماتها غيره من خلق الله . فإنما اختار الله الإنسان ، وجعله الله خليفته فى الأرض وأعطاه أسباب العلم والمعرفة ، وعلمه الأسماء كلها . وسخر له مافى السموات والأرض جميعاً منه . وابتلاه وامتحنه بكل ذلك . وهداه السبيل ، إما شاكراً ، و إما كفورا . وجعل له حياة أخرى أبدية . فى جنات تجرى من تحتها الأنهار . فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . وهم فيها خالدون . أو فى نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ، و يفعلون مايؤمرون . وكل يجزى بما كسبت يداه ، وقدم من عمل (من عمل صالحا فلنفسه . ومن أساء فعليها . وما ربك بظلام للعبيد) .

ولما كان أسمى وأجل نعم الله على الإنسانية : إرساله الرسل - من أنفسهم - هداة مرشدين ، وواعظين ناصحين وأئمة أمناء مخلصين صادقين أشد الإخلاص وأصدقه : كان الإيمان بهم ، واتباع رسالتهم ، وتحرى الاقتداء بهم من أهم وأقوى أسباب الحياة الطيبة ، والعيش الرغد ، والفلاح والفوز بخير الأولى والأخرى ، وكان كذلك الإعراض عن هداهم ، ومشاقتهم واتباع غير سبيلهم : من أقوى وأشد أسباب غضب الله عليهم ، التى يبدل الله بها أمنهم خوفاً وشبعهم جوعاً ، ورغد عيشهم نكداً .

لذلك شدد ربنا الرحمن الرحيم فى كثير من آى الذكر الحكيم الوصية للناس فى تحرى اتباع أولئك المرسلين . لأن فلاح الإنسان وسيادته تتوقف على قوة حياة روحه ومعناه

الإنسانى الكريم ، لا على قوة جسمه البهيمى . ولا يمكن أن يعرف الإنسان عناصر الحياة والقوة لروحه ومعناه ، ولا كيف يغتذى بها و يستفيد منها إلا من تلك الرسالات ، و بهدى المرسلين بها . لأنها من عند الله خالقها ونافخها فى الإنسان . والله عليم بذات الصدور .

وحاجة الجسم الطعامية وغيرها ـ من المسكن والملبس والتوالد ، وما يستتبع ذلك و يستلزمه ـ لا يتم نفع الجسم بها ، وتتوفر أسباب الراحة والرغد فيها إلا إذا كانت محكومة تحت قهر وسلطان الروح والمعنى الإنسانى الكريم ، القوى اليقظ باستمداده دائماً النور والحياة والقوة من إشعاع أنوار الهداية الربانية فى السنن الكونية ، والآيات العلمية ، والرسالات الحكيمة الرشيدة من عند الله اللطيف الحكيم الخبير .

لأجل ذلك قال ربنا سبحانه (فكلوا مما رزقكم الله ـ الآيات) تبين لنا هذه الآيات وأخواتها فى الذكر الحكيم : أن هذا من حاجة البشرية فى طعامها ونحوه مما يكفر الناس به ويتعدون فيه الحدود ، و يسيئون الانتفاع ، وأن هذا من الأسباب التى أدت ، وتؤدى إلى غضب الله عليهم و إذاقتهم لباس الجوع والخوف ، إذا هم صنعوا فى الطعام وفيما جعل الله لهم من أسباب العيش فى الحياة خلاف ما أمر الله به . وساروا على خلاف ما رسم الله لهم . فخالفوا بذلك سنن الله الكونية ، وأوامره الشرعية . فكان ذلك من الأسباب التى قلب الله عليهم بها الأمن خوفاً ، والشبع جوعاً ، والعيش الهنيئ نكداً .

والطعام والشراب وما يحتاج الإنسان فى حياته المعيشيه العادية ، هو من الأمور التى يتساهل الناس فيها كثيراً . و يظنون أنها ليست ذات بال ، وأنها متروكة لبهيمية الإنسان وشهوته وهواه . يصنع فيها ما تهوى نفسه البهيميه بدون قيد أو أمر ، أو وقوف عند ماحده الله . و إن الإنسان عندئذ يكون حيواناً بهيماً ، ثم ينقلب وحشاً فاتكا ثم يكون أضرى من الوحش ، وأشد منه قسوة ، كما يشاهد اليوم من آثار ما صنع الوحش الإنسانى من قنابل ومدمرات . تعيش الإنسانية كلها بسببها على فوهة بركان يقض مضاجعها و يقلق راحتها الليل والنهار .

فبين الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمور ـ التى هى عادية فى نظر الناس ، والتى هى

حاجاتهم المعيشية ـ أنها من الأمور المهمة جداً ، وأن الإنسان إذا لم يقف فيها عند حد الله الذى حده ، ويتحرى شرائعه وهدى رسله . فإنها تكون من أهم الأسباب التى تقلب عيشه نكداً ، وتبدل أمنه خوفاً .

فقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أمر بالأكل . وهو أمر كونى . لأن الله قد جعل فى فطرة الإنسان وطبيعته حاجة ضرورية ملحة ملجئة ، لطلب الأكل . فإن ما ركب عليه الجسم من الأعضاء الداخلية والخارجية وما فيه من نظام وحركة ، كل ذلك لابد أن يستنفد من قوى الإنسان وعناصره الجسمية كثيراً جداً . فجعل من هذا الطعام ما يعوض هذا المستنفد المستهلك ، فخلقه هذا الخلق ، وركب فيه من الأسنان والأضراس آلآت لطحن الطعام وهضمه هضما أولياً ، ومعدة تهضم هذا الطعام هضما ثانياً . ثم أمعاء تهضمه هضما ثالثاورابعاً . وهكذا جعل له مخرجاً يخرج منه فضلات الطعام . وكذلك جعل له حاجة ضرورية إلى هذه الحركات والنشاط والسعى ، فتحتاج الأعضاء إلى الماء والشرب .

كل ذلك إنما يتكون من هذا الأمر الكونى الذى هو « كلوا مما رزقكم الله » فالأمر بالأكل فى القرآن أمر كونى .

وهذا الأكل عبر الله به عن حاجات الإنسان الأخرى . فليس المقصود الأكل فحسب وإنما المقصود الأكل وما يستلزمه ، مما هو ضرورى لحياة الإنسان ومعيشته . فالإنسان يحتاج للأكل . ويحتاج مع الأكل للشرب . ويحتاج معهما إلى الحركة التى تستنفذ هذا الأكل وتهضمه . ويحتاج لمخرج يصرف منه الفضلات التى يختزنها الإنسان فى أوعية وأماكن كثيرة من جسمه .

ومن لوازمه : حركة الإنسان بين الجنسين الذكر والأنثى لبقاء الجنس ، ومتعة الحياة بالسكون والمودة والرحمة . فإن هذا الأكل يتولد منه تلك المادة المنوية ، وتلك القوى التى تولد فى الجسم حرارة . دافعة وتولد الشهوة التى يحتاج معها الإنسان إلى الزوج . ففى قوله (كلوا مما رزقكم الله) أمر كونى بالشرب ، وأمر كونى بالزواج ، وأمر كونى بكل ما يستلزم ويستتبع الأكل والشرب . لأن الله خلق الإنسان وركبه هذا التركيب الذى يقتضى .

ويستلزم هذه الضروريات كلها من أكل وشرب ولبس وزواج ، وما يقتضى هذا من مقدمات . وما يكون له من نتائج .

والأكل لابد له من زراعة ، والزراعة لابد لها من الآت تزرع بها وأرض تزرع فيها ، وأنعام تحرث الأرض . ولا بد من علم أوقات الزراعة ومعرفة فنون الزراعة ، وما يحتاج كل نوع من أنواع الزراعة وما يصلح لكل أرض .

وكذلك الشرب لا بد فيه من معرفة استنباط المياه ، وحفر الآبار ورفع الماء وتكريره وتصفيته ، وغير ذلك مما يحتاجه من علوم وأسباب وآلات .

وكذلك الزواج لابد له من معرفة المقدمات فى الخطبة ، ومعرفة كل ما يحيط بالزوجين من بيئة وأسباب عيش ومؤثرات حسية ومعنوية مما سيكون له أعظم الأثر فى الحياة الزوجية المستقبلة . وما يحتاج فى وقت الحياة الزوجية من معاشرة الزوجة من بيت ومن مسكن ، وخلق كريم ، وعقل رصين ، وحزم ودين متين ، ومراقبة لله رب العالمين تتهيأ بذلك أسباب المودة والسكون والرحمة بين الزوجين ، ويتم حسن المعاشرة .

وكذلك ما ينتج عن ذلك من أبناء وما يلزم لها فى طفولتها ، وصباها وشبابها من كل أسباب العيش ، والحياة الملائمة لكل بيئة و بلد وعصر وأمة . كل ذلك داخل فى قوله تعالى « كلوا » .

فليس المراد : هو الأكل فقط . ولكن المراد هو كل ما يحتاجه الإنسان بفطرته وطبيعته البشرية التى لابد له فيها ، والتى تقتضيها موجبات الحياة ومستلزماته . عبر عنه ربنا سبحانه ، وكنى عنه بالأكل ، لأنه أظهر شىء وأبرزه وأثقله ، وأكثره كلفة . وأشده مشقة .

وقد امتحن الله الإنسان وابتلاه بإبليس يوسوس له ، ويزين له بالباطل والزور ، ليسىء فى خطواته وحركاته فى استعمال ما أنعم الله عليه . وليضله عن الصراط السوى الذى يكون به وفيه شاكراً لأنعم ربه

فأول خطوة فى هذه الإزاغة والإضلال : تغليب البهيمية على الإنسانية ، وإغفال الإنسان ــ بها و بشهواتها ــ عن أسباب العلم النافع ، وتحسين الجهل بالله وأسمائه وصفاته ، وسننه وآياته ، وكتبه ورسالاته ليستطيع فى ظلماته أن يغوى الإنسان ويخدعه .

فمن هذه الخدع وأكبرها ضرراً وأذى : خدعة الصوفية التي تقوم على محاربة سنن الله ومناقضة أوامره الكونية والشرعية ، ورسالات الله التي يهدى بها الإنسان إلى الصراط المستقيم من الفطرة السليمة ، وفى اتباع الرسالات والشرائع الحكيمة . فالصوفية تحارب الله وشرائعه ، لأنها تدعو إلى الجهل ، وكراهية ومقت العلم ، وتزعم أن الأولى بالعبد صرف الوقت كله فى العمل . فهو أولى وأنفع . ولا داعى للعلم وتضييع الوقت فى طلبه .

وبالجهل طغا شيوخ الصوفية . فجعلوا أنفسهم آلهة . وبالجهل ذل العامة واستكانوا للشيوخ فزادوهم طاغوتية وزادوا أنفسهم وهنا وغباء وعمى . فكانت طبقة المستكبرين ، وطبقة المستضعفين ، التى ولد نظام الطبقات المقيت ، الذى آذى الإنسانية أشد الأذى . ونغص عليها حياتها الطيبة وسورة النحل لتخليص كل منهما من ظلم الآخر .

وهكذا كانت شرائع الصوفية أيضاً محاربة لسنة الله فى الزواج . فكانت هذه الرهبنة التى تشيع عند الجاهلين المنتسبين إلى كل دين وتقام لها الأديرة . وكان ما وراء جدران الأديرة من ألوان الشذوذ وتحطيم الإنسانية الكريمة ، وتعطيلها عن حياتها التى خلقها لها العليم الحكيم وكان ذلك كله من ثمرات الصوفية القديمة التى زينها الشيطان من أول مازين وعاشت فى كل وقت ، وتحت أسماء مختلفة ، حرباً على رسل الله حتى اليوم .

يأمر الله بالأكل أمراً كونياً . ومخالفة الأمر الكونى لعلها أشد من مخالفة الأمر الشرعى . والعقوبة عند الله على مخالفة الأمر الكونى أشد من العقوبة على مخالفة الأمر الشرعى

فالأمر الكونى مثل : أن يبقى الإنسان كما خلقه الله لا يبدل فى نفسه ولا يغير فى خلق الله وأن تبقى الأنثى أنثى والرجل رجلاً . فإذا حاول أحدهما التمرد على الأمر الكونى كانت عقوبته عند الله أشد من أى عقوبة أخرى .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لعن الله المترجلات من النساء والمتأنثين من الرجال » أو كما قال . فالمرأة التى تحاول أن تكفر بأمر الله الكونى فى أنوثتها ، وتأبى أن تستسلم وتخضع للأنوثة ومقتضياتها ومستلزماتها ، وما خلقها الله له من نتائج لازمة للإنسانية ، التى خلقها الله عليها والتى جعل لها مقتضيات ونتائج وأمكنة . وتتمرد على الله وعلى أسمائه

وصفاته فهى ملعونة ، لعنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى مطرودة من رحمة الله ، كذلك الرجل المتأنث الذى يفر من رجولته وما تقتضيه رجولته وتستلزمه من أعباء الحياة ، والقيام على ما أمره الله ربه بالقيام عليه ، فيجبن ويهرب من القيام بما أوجب الله على الذكورة ، وما كلفها الله به من أسباب خلق من أجلها فى الذكورة من الخشونة وقوة العصب والعضل ما لم يعط الأنثى ، لأنها خلقت ليمد الله بها الأمة بالجيل المستقبل . وهذا يحتاج إلى ما يناسبه ويقتضيه من العطف والحنان ، والرقة واللطافة . فالرجل الذى يهرب من ميدان الرجولة : ملعون أيضاً مطرود من رحمة الله .

وهكذا تجد أن الله سبحانه وتعالى عاقب الذين يأتون الرجال دون الأناث من قوم لوط عقاباً لم يعاقب الزناة ولا أحداً من العصاة والكافرين الآخرين به . فعقاب الزانى الحد أقصاه إذا كان محصناً الرجم حتى يموت بالحجارة .

ولكن أولئك الذين تمردوا على سنة الفطرة فى الحيوانية وسنة الله الكونية فى خلقه جمع لهم عقابين ، لم يجمع على أمة من الذين كفروا مثل ما جمع لهم : رفع قريتهم إلى أعلى ثم خسف بها . ثم أرسل عليهم حاصباً من النار . فجمع لهم بين حاصب النار وبين الخسف . وذلك لأن مخالفتهم لم تكن مخالفة لشرعه فحسب . بل كانت مخالفة لأوامره الكونية ولسنن الفطرة . فكانت انتكاساً شر انتكاس .

ومن هنا نعلم أنه ينبغى للإنسان ــ الذى يريد الخير والنصيحة لنفسه ــ أن يحرص أشد الحرص على الوقوف مع سنن الله فيه ــ فى الذكورة والأنوثة ــ كما خلقه عليها ، وأن يصاحبها مستسلماً لربه فيها ، مؤمناً بحكمته ورحمته ، مبقياً لها على وضعها غير محاول تغييرها ، ولا تبديلها إلى شكل لم يخلقه الله عليه . لأن محاولة ذلك معناها : عدم الرضى عن الله رباً ، ولا خالقاً مصوراً أحسن تصوير ، ومقوماً لخلق الإنسان أحسن تقويم وسبحان ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه . ثم هدى . الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم وهيأ له من أسباب العيش فى الليل والنهار ، فى الذكورة والأنوثة ، فى المنزل وسكنه وخارج المنزل ومعايشه ، فى كل ذلك من آيات حكمة ربنا ورحمته وفضله مالو فقهه الناس ، ووقفوا عند ما حدّ الله لهم فى كل شأن ، لعادوا خير أمة أخرجت للناس .

١٢

وهكذا ينبغي أن تعرف أن أهم ما يلزم ، وأوجب مايجب على الإنسان : أن يحرص أشد الحرص على الوقوف عند أوامر الله الكونية وسننه ، لتتهيأ له أسباب القوة والقدرة على الوقوف مع شرائع الله ورسالاته ، بالإيمان الصادق ، والرضى والطاعة ، والحب والتقدير ما يكفل له سعادة الدنيا والآخرة .

فإنه لا يمكن لشخص ، ولا لأمة من الأمم أن تستجيب لرسالة الله فى شرائعه فترشد وتسعد ، وأن تنفذ أوامر الله التى بعث بها رسله إلاّ إذا وقفت أولاً مع سنن الله وأوامره الكونية يقظة مرهفة الحواس ، حاضرة مقدرة مفكرة ، متأملة . حينئذ يستطيع الإنسان وتستطيع الأمة أن تنفذ أوامر الله الشرعية وأن تحقق إنسانيتها الكريمة . فتكون أمة رشيدة ناجحة فى كل شأنها .

أما مادامت لا تهتم بخطواتها المستقبلة . فتخطو مستهترة لاعبة هازئة عابثة غافلة ، فإنها تكون أضل من الأنعام . تنتظر دائماً أن تكون فى حضانة غيرها وكفالته . فلا تحس بإنسانيتها وحقها فى الحياة ، ولا تقدر ولا تحرص على أوامر الله الكونية ولا يهمها أن تقف مع سننه حيث أوقفهم ربهم . فإنها مهما زعمت أنها تنفذ أوامر الله فى رسالته فهى مخدوعة .

وأكبر دليل : ماترى عليه أكثر الناس اليوم على وجه الأرض . فكل أمة منهم تزعم أنها تنفذ ، أو تحاول أن تنفذ شرائع المرسلين من إقامة مساجد ومعابد وصلاة وصيام .

وأنت إذا نظرت إلى عواقب هؤلاء وحياتهم وما يلاقون فى مجتمعاتهم — من أنواع النكد والخوف ، والعيش المنغص ، مهما لونوه بلهو ولعب وسخرية بآيات الله — تؤمن بأنهم ليس أحد منهم — إلا أقل القليل — منفذا لشرائع الله ، ولا متبعا لرسالات رسله .

فإن الله قد ضمن لمن يطيع رسله سعادة الدنيا والآخرة ، وراحتهما وهناء العيش فيهما ، فأين هذا الأمن والراحة والاطمئنان والسعادة ؟ .

هل ترى من أثر للسلام والأمن والراحة فى أى بقعة من بقاع الأرض ؟ .

ولماذا هذه المخاوف والأهوال التى أزعجت الحيوانات ، فضلا عن الإنسان ؟ هل يخلف ربك وعده ؟ وهل يَعْجِزُ ربك أن يفى بوعده ؟ كلا . إن الله لايخلف الميعاد . بيده الخير وهو على كل شيء قدير . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

إذن فمابال الناس فى مشارق الأرض ومغاربها يعيشون عيشة نكدة مضطربة وجلة ، وما سر ذلك ؟ .

سر ذلك : أنهم لا ينفذون شرائع الله ورسالات رسله حتى فى صلاتهم وعباداتهم . فإنها عبث ولهو ولعب . لا صلة للقلوب بمناجاة الله ومكالمته ، ولا يحاولون فهم وتدبر مايقرءون وما يسبحون ويذكرون ، وإنما هى حركات آلية تقليدية من آلات صماء وحركات ميتة .

فليس شىء من ذلك الصلاة والعبادة والطاعة التى ينفذون بها شرائع الله .

وهكذا تجد أكثر الناس يعيشون فى نكد وفزع ، لأنهم لم يطيعوا الله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) (ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) والله لا يخلف وعده . إنما الناس أخلفوا وعدهم ، ونقضوا عهدهم ، وخانوا الله والرسول وخانوا أماناتهم ، وغشوا أنفسهم بدين جاهلى ورثوه عن الآباء والشيوخ ، فوقعوا به فى مخالب شياطين الإنس والجن ، فزادوهم بعداً عن سبيل السداد والهدى والرشاد الذى جاءهم به إمام المهتدين ، وصفوة المصطفين محمد صلى الله عليه وسلم . فبدلوا نعمة الله كفرا ، وأحلوا قومهم دار البوار . وفسدت عليهم كل شئونهم فكانوا خاسرين إلا من رحم ربك .

أسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء . وأن يخرجنا وإياهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى . وأن يزكينا وإياهم من أوضار الجاهلية ، ويجعلنا مسلمين صادقين علماً وعقيدة وعملاً وخلقاً . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

المنار

تصنيف الإمام العلامة المحقق

ابن قيم الجوزية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين ، محمد بن أبي بكر الحنبلي ، المعروف بابن القيم . تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته .

فصل

سئلت عن حديث « صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك » .

وكيف يكون هذا التضعيف ؟ .

وكذلك قوله فى حديث جويرية « لقد قلتُ بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلتِ اليوم لوزنتهن » .

وحديث « صيام ثلاثة أيام من كل شهر يقوم مقام صيام الشهر » .

وحديث « من دخل السوق ، فقال : لا إله إلا الله ـ الحديث » .

فهذا السؤال اشتمل على أربع مسائل .

المسألة الأولى

تفضيل الصلاة بالسواك على سبعين صلاة بغيره .

فهذا الحديث قد روى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهو حديث لم يرد فى الصحيحين ، ولا فى الكتب الستة . ولكن رواه الإمام أحمد ، وابن خزيمة ، والحاكم فى صحيحيهما ، والبزار فى مسنده . وقال البيهقى : إسناده غير قوى .

وذلك أن مداره على محمد بن إسحاق عن الزهرى ، ولم يصرح ابن إسحاق بسماعه منه ، بل قال : ذكر الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل الصلاة التى يستاك لها على الصلاة التى لا يستاك لها سبعين [1] ضعفاً » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وابن خزيمة فى صحيحه ، إلا أنه قال « إن صح الخبر » .

قال : و إنما استثنيت صحة هذا الخبر ، لأنى خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع الحديث من الزهرى . و إنما دلسه عنه . وقد قال عبد الله بن أحمد ، قال أبى : إذا قال ابن إسحاق « وذكر فلان » فلم يسمعه .

وقد أخرجه الحاكم فى صحيحه . وقال : هو صحيح على شرط مسلم . ولم يصنع الحاكم شيئاً . فإن مسلما لم يرو فى كتابه بهذا الإسناد حديثاً واحداً ، ولا احتج بابن إسحاق . و إنما أخرج له فى المتابعات والشواهد . وأما أن يكون ذِكْرُ ابن إسحاق عن الزهرى من شرط مسلم فلا .

وهذا وأمثاله هو الذى شان كتابه ووضعه . وجعل تصحيحه دون تحسين غيره .

قال البيهقى : هذا الحديث أحد مايخاف أن يكون من تدليسات محمد بن إسحاق . وأنه لم يسمعه من الزهرى .

ورواه البيهقى من طريق معاوية بن يحيى الصيرفى عن الزهرى . ومعاوية ــ هذا ــ ليس بقوى .

وقال فى شعب الإيمان : تفرد به معاوية بن يحيى .

ويقال : إن ابن إسحاق أخذه منه . قال : ويروى نحوه عن عروة . وعن عمرة عن عائشة . وكلاهما ضعيف .

ورواه من حديث الواقدى .

قال حدثنا عبد الله بن أبى يحيى الأسلمى عن أبى الأسود عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال « الركعتان بعد السواك أحب إلى الله من سبعين ركعة قبل السواك » ولكن الواقدى لا يحتج به .

(١) كذا فى الأصل .

ورواه من حديث حماد بن قيراط .

حدثنا فرج بن فَضالة عن عروة بن رويم عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك » وهذا الإسناد غير قوى .

فهذا حال هذا الحديث .

و إن ثبت فله وجه حسن . وهو : أن الصلاة بالسواك سنة . والسواك مرضاة للرب . وقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم شأنه ، وقال « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» وأخبر « أنه مَطْهَرة للفم . مرضاة للرب » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثرت عليكم فى السواك » رواه البخارى .

وفى مسند أحمد عن التيمى قال : سألت ابن عباس عن السواك ؟ فقال « مازال النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا به ، حتى خشينا أن ينزل عليه فيه » .

وفى لفظ « أمرت بالسواك حتى خشيت أن ينزل علىّ به وحى » .

وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تأتونى قُلْحا[1] ؟ لولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك ، كما قد فرض عليهم الوضوء » .

وقال « عشرة من الفطرة : قص الشارب ، و إعفاء اللحية ، والسواك ـ الحديث » . فجعل السواك من الفطرة .

وقال عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالوضوء عند كل صلاة ، طاهراً وغير طاهر . فلما شق عليهم ذلك أمرنا بالسواك . وقال : إن العبد إذا قام يصلى أتاه الملك . فقام خلفه يسمع القرآن ، و يدنو إلى فيه . فلا يقرأ آية إلا كانت فى جوف الملك » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم ـ من رغبته فى السواك ـ « يستاك إذا قام من نوم الليل ، و إذا دخل بيته ، و إذا صلى » و « استاك عند موته ـ وهو فى السباق » .

وقال سفيان عن أبى إسحاق . عن أبى جعفر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال

(١) كذا بالأصل . وليس فى النهاية ولا غيرها من كتب مفردات الحديث هذه الكلمة .

« كان السواك من أذن النبي صلى الله عليه وسلم موضعَ القلم من الكاتب » .

وفى سنن النسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين . ثم ينصرف فيستاك » وهذا فى صلاة الليل . ولما بات ابن عباس عند خالته ميمونة قال « فقام صلى الله عليه وسلم فتوضأ وصلى ركعتين ثم ركعتين ، ثم ركعتين ـ الحديث ـ وكان يستاك لكل ركعتين » .

وفى جامع الترمذى عن أبى سلمة قال « كان زيد بن خالد الجهنى يشهد الصلوات فى المسجد ، وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب . لايقوم إلى الصلاة إلا استَنَّ » وهو حديث حسن صحيح .

وفى الموطأ عن ابن شهاب الزهرى عن أبى السباق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بالسواك » .

وقد روى أبو نصير من حديث عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السواك واجب . وغسل الجمعة واجب على كل مسلم » .

ويشهد لهذا الحديث : مارواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غسل يوم الجمعة على كل محتلم ، وسواك ، وشىء من الطيب ماقدر عليه » .

وإذا كان هذا شأن السواك وفضله ، وحصول رضى الرب به . وإكثار النبى صلى الله عليه وسلم على الأمة فيه ، ومبالغته فيه ، حتى عند وفاته ، وقبض نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم : لم يمتنع أن تكون الصلاة التى يستاك لها أحب إلى الله من سبعين صلاة .

وإذا كان ثواب السبعين أكثر فلا يلزم من كثرة الثواب أن يكون العمل الأكثر ثواباً أحب إلى الله تعالى من العمل الذى هو أقل منه . بل قد يكون العمل الأقل أحب إلى الله تعالى . وإن كان الكثير أكثر ثواباً .

وهذا كما فى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « دم عَفْراء أحب إلى الله من دم سوداوين » يعنى فى الأضحية .

وكذلك ذبح الشاة الواحدة يوم النحر أحب إلى الله من الصدقة بأضعاف أضعاف ثمنها، وإن كثر ثواب الصدقة .

وكذلك قراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم . وجمع القلب عليها : أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سرداً وهذًّا ، وإن كثر ثواب هذه القراءة .

وكذلك صلاة ركعتين يُقبِل العبد فيهما على الله تعالى بقلبه وجوارحه ، ويفرغ قلبه كله لله فيهما : أحب إلى الله تعالى من مائتي ركعة خالية من ذلك ، وإن كثر ثوابهما عدداً

ومن هذا « سبق درهم ثمانية آلاف درهم » .

ولهذا قال الصحابة رضى الله عنهم « إن اقتصادًا فى سبيل وسنة : خير من اجتهاد فى خلاف سبيل و بدعة » .

فالعمل اليسير الموافق لمرضاة الرب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : أحب إلى الله تعالى من العمل الكثير إذا خلا عن ذلك أو عن بعضه .

ولهذا قال الله تعالى (٦٧ : ٢ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) وقال (١٨ : ٧ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال (١١ : ٧ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام — وكان عرشه على الماء — ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) . فهو سبحانه وتعالى إنما خلق السموات والأرض ، والموت والحياة ، وزين الأرض بما عليها ليبلو عباده أيُّهم أحسن عملاً ، لا أكثر عملا .

والعمل الأحسن : هو الأخلص والأصوب وهو الموافق لمرضاته ومحبته ، دون الأكثر الخالى من ذلك .

فهو سبحانه وتعالى يحب أن يتعبد له بالأرضى له . وإن كان قليلاً ، دون الأكثر الذى لا يرضيه ، والأكثر الذى غيره أرضى له منه .

ولهذا يكون العملان فى الصورة واحدة . وبينهما فى الفضل — بل بين قليل أحدهما وكثير الآخر فى الفضل — أعظم مما بين السماء والأرض .

وهذا الفضل يكون بحسب رضى الرب سبحانه بالعمل ، وقبوله له ، ومحبته له ، وفرحه

به سبحانه وتعالى . كما يفرح بتوبة التائب أعظم فرح . ولا ريب أن تلك التوبة الصادقة أفضل وأحب إلى الله تعالى من أعمال كثيرة من التطوعات ، وإن زادت فى الكثرة على التوبة .

ولهذا كان القبول مختلفاً ومتفاوتاً . بحسب رضى الرب سبحانه بالعمل .

فقبوله : يوجب رضى الله سبحانه وتعالى بالعمل ، ومباهاة الملائكة به ، وتقريب عبده منه .

وقبوله : يترتب عليه كثرة الثواب والعطاء فقط . كمن يتصدق بألف دينار من جملة ماله ـ مثلاً ـ بحيث لم يكترث بها ، والألف لم تنقصه نقصاً يتأثر به . بل هى فى بيته بمنزلة حصى لقيه فى داره أخرج منها هذا المقدار . إما ليتخلص من همه وحفظه ، وإما ليجازى عليه بمثله أو غير ذلك .

وآخر عنده رغيف واحد هو قوته ، لا يملك غيره . فآثر به على نفسه من هو أحوج منه إليه ، محبة لله ، وتقرباً إليه وتودداً ، ورغبة فى مرضاته ، وإيثاراً على نفسه .

فيالله كم بُعد مابين الصدقتين فى الفضل ، ومحبة الله وقبوله ورضاه ؟ وقد قبل سبحانه هذه وهذه . لكن قبول الرضى والمحبة والاعتداد والمباهاة شىء ، وقبول الثواب والجزاء شىء

وأنت تجد هذا فى الشاهد فى ملك تهدى إليه هدية صغيرة المقدار ، لكنه يحبها ويرضاها . فيظهرها لخواصه وحواشيه . ويثنى على مهديها فى كلمات ، كهدية كثيرة العدد والقدر جداً ، لاتقع عنده موقعاً ، ولكن يكون فى جوده لايضيع ثواب مهديها ، بل يعطيه عليها أضعافها وأضعاف أضعافها . فليس قبوله لهذه الهدية مثل قبوله للأولى .

ولهذا قال ابن عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم « لو أعلم أن الله يتقبل منى سجدة واحدة لم يكن غائب أحبَّ إلىَّ من الموت » إنما يريد به القبول الخاص . وإلا فقبول العطاء والجزاء حاصل لأكثر الأعمال .

والقبول له أنواع . قبول رضى ومحبة ، واعتداد ومباهاة ، وثناء على العامل به بين الملأ الأعلى . وقبول جزاء وثواب ، وإن لم يقع موقع الأول ، وقبول إسقاط للعقاب فقط ، وإن

لم يترتب عليه ثواب وجزاء . كقبول صلاة من لم يحضر قلبه فى شىء منها . فإنه ليس له من صلاته إلا ماعقل منها . فإنها تسقط الفرض[1] ، ولا يثاب عليها . وكذلك صلاة الآبق ، وصلاة من أتى عرّافا فصدقه . فإن البعض قد حقق أن صلاة هؤلاء لا تقبل ومع هذا فلا يؤمرون بالإعادة . يعنى أن عدم قبول صلاتهم إنما هو فى حصول الثواب ، لا فى سقوطها من ذمتهم .

والأعمال تتفاضل بتفاضل مافى القلوب من الإيمان والمحبة ، والتعظيم والإجلال، وقصد وجه المعبود وحده دون شىء من الحظوظ سواه . حتى لتكون صورة العملين واحدة . و بينهما فى الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى .

وتتفاضل أيضاً بتجريد المتابعة . فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفاضلان به فى المتابعة . فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة ، تفاضلاً لايحصيه إلا الله تعالى .

وينضاف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله فى نفسه .

مثاله : الجهاد وبذل النفس لله تعالى . هو من أحب الأعمال إلى الله تعالى . ويقترن بتجريد الإخلاص والمتابعة . وكذلك الصلاة والعلم ، وقراءة القرآن . فإذا فضل العلم فى نفسه ، وفضل قصد صاحبه وإخلاصه . وتجردت متابعته : لم يمتنع أن يكون العمل الواحد أفضل من سبعين ، بل وسبعمائة من نوعه .

فتأمل هذا . فإنه يزيل عنك إشكالات كثيرة . ويطلعك على سر العمل والفضل ، وأن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين ، يضع فضله مواضعه . وهو أعلم بالشاكرين .

ولا تلتفت إلى ما يقول من غلظ حجاب قلبه من المتكلمين والمتكلفين : إنه يجوز أن يكون العملان متساويين من جميع الوجوه ، لا تفاضل بينهما ، ويثيب الله على أحدهما أضعاف أضعاف ما يثيب على الآخر ، بل يجوز أن يثيب على هذا ويعاقب على هذا ، مع فرض الاستواء بينهما من كل وجه .

---

(١) أى عند الناس ، بحيث لايعاقب عقاب تارك الصلاة من القتل وإذا مات لايغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ، على الخلاف المشهور فى كتب الأئمة .

وهذا قول من ليس له فقه فى أسماء الرب وصفاته وأفعاله . ولا فقه فى شرعه وأمره ، ولا فقه فى أعمال القلوب وحقائق الإيمان بالله . و بالله التوفيق .

إذا عرفت ذلك : فلا يمتنع أن تكون الصلاة التى فعلها فاعلها على وجه الكمال . حتى أتى بسواكها ، الذى هو مطهرة لمجارى القرآن ، وذكر الله ، ومرضاة للرب . واتباع للسنة ، والحرص على حفظ هذه الحرمة الواحدة ، التى أكثر النفوس تهملها ولا تلتفت إليها . حتى كأنها غير مشروعة ولا محبوبة . لكن هذا المصلى اعتدها فحافظ عليها وأتى بها توددا وتحببا إلى الله تعالى ، واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يبعد أن تكون صلاة هذا أحب إلى الله من سبعين صلاة تجردت عن ذلك . والله أعلم .

فصـــــل

تفضل « سبحان الله و بحمده عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافاً مضاعفة .

فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول « سبحان الله و بحمده عدد خلقه » من معرفته وتنزيهه وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد : أعظم مما يقوم بقلب القائل « سبحان الله » فقط .

وهذا يسمى : الذكر المضاعف ، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد . فلهذا كان أفضل منه وهذا إنما يظهر فى معرفة هذا الذكر وفهمه .

فإن قول المسبح « سبحان الله و بحمده عدد خلقه » يتضمن إنشاء و إخباراً عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان وهو كائن ، إلى مالا نهاية له . فتضمن الاخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم ، الذى لا يبلغه العادون ، ولا يحصيه المحصون .

وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه ، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده ، بل أخبر أن ما يستحقه الرب سبحانه وتعالى من التسبيح : هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذى لو كان فى العدد ما يزيد لذكره . فإن تجدد المخلوقات لا ينتهى عدداً . ولا تحصى الحاضر .

وكذلك قوله « ورضى نفسه » فهو يتضمن أمرين عظيمين :

أحدهما : أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيان ، ولرضى نفسه ، كما أنه فى الأول مخبر عن تسبيح مساو لعدد خلقه . ولا ريب أن رضى نفس الرب لا نهاية له فى العظمة والوصف ، والتسبيح ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه .

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لانهاية لها ولا غاية ، بل هى أعظم من ذلك وأجل . كان الثناء عليه بها كذلك . إذ هو تابع لها إخباراً وإنشاء .

وهذا المعنى ينتظم المعنى الأول من غير عكس .

وإذا كان إحسانه سبحانه وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له . وهو من موجبات رضاه وثمرته فكيف بصفة الرضا ؟ .

وفى الأثر « إذا باركت لم يكن لبركتى منتهى » .

فكيف بالصفة التى صدرت عنها البركة ؟

والرضا : يستلزم المحبة ، والإحسان ، والجود ، والبر ، والعفو ، والصفح ، والمغفرة .

والخلق : يستلزم العلم ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والحكمة . وكل ذلك داخل فى رضى نفسه ، وصفة خلقه .

وقوله « وزنة عرشه » فيه إثبات للعرش ، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى ، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق . إذ لو كان شىء أثقل منه لوزن به التسبيح .

وهذا يرد على من يقول : إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف . وهذا لم يعرف العرش ، ولا قدره حق قدره .

فالتضعيف الأول : للعدد والكمية ، والثانى : للصفة والكيفية ، والثالث : للعظم والثقل . وليس للمقدار .

وقوله « ومداد كلماته » هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها . فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده . قال تعالى (١٨ : ١٠٩ قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) وقال تعالى

(٣١ : ٢٧ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . إن الله عزيز حكيم) .

ومعنى هـذا : أنه لو فرض البحر مداداً و بعده سبعة أبحر تمده كلها مداداً ، وجميع أشجار الأرض أقلاما ، وهو ماقام منها على ساق من النبات ، والأشجار المثمرة وغير المثمرة ، وتستمد بذلك المداد لفنيت البحار والأقلام وكلمات الرب لاتفنى ولا تنفد .

فسبحان الله و بحمده عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم ولا يتكلم ، ولا يقوم به كلام أصلا ؟

وقول من وصف كلامه بأنه معنى واحد لا ينقضى ولا يتجزأ ، ولا له بعض ولا كل ، ولا هو سور وآيات ، ولا حروف وكلمات .

والمقصود : أن فى هذا التسبيح من صفات الكمال ونعوت الجلال ما يوجب أن يكون أفضل من غيره ، وأنه لو وزن غيره لوزن به وزاد عليه .

وهذا بعض ما فى هذه الكلمات من المعرفة بالله ، والثناء عليه بالتنزيه والتعظيم ، مع اقترانه بالحمد المتضمن لثلاثة أصول :

أحدها : إثبات صفات الكمال له سبحانه ، والثناء عليه .

الثانى : محبته والرضا به . فإذا انضاف هـذا الحمد إلى التسبيح والتنزيه على أكمل الوجوه ، وأعظمها قدراً ، وأكثرها عدداً ، وأجزلها وصفاً . واستحضر العبد ذلك عند التسبيح ، وقام بقلبه معناه : كان له من المزية والفضل ماليس لغيره . و بالله التوفيق .

فصل

وأما المسألة الثالثة : وهى « كون صيام ثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الشهر » فقد ذكر فى هذا الحديث سببه ، وهو أن الحسنة بعشر أمثالها . فهو يعدل صيام الشهر غير مضاعف . لثواب الحسنة بعشر أمثالها . فإذا صام ثلاثة أيام من كل شهر ، وحافظ على ذلك . فكأنه صام الدهر كله .

ونظير هذا : قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « من صام رمضان ، وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » فإن الحسنة بعشر أمثالها .

وفى كونها « من شوال » سر لطيف . وهو : أنهـا تجرى مجرى الجبران لرمضان ، وتقضى ماوقع فيه من التقصير فى الصوم . فتجرى مجرى سنة الصلاة بعدها ، ومجرى سجدتى السهو . ولهذا قال « وأتبعه » أى ألحقه بها .

وقد استدل بهذا من يستحب ـ أو يجوز ـ صيام الدهر كله ، ما عدا العيدين ؛ وأيام التشريق .

ولا حجة له . بل هو حجة عليه . فإنه لا يلزم من تشبيه العمل بالعمل إمكان وقوع المشبه به ، فضلاً عن كونه مشروعاً ، بل ولا ممكناً . كما فى الحديث الصحيح . ولهذا جعل صيام ثلاثة أيام من الشهر ، وصيام رمضان ، و إتباعه بست من شوال : يعدل صيام ثلاثمائة وستين يوماً . وذلك حرام غير جائز بالاتفاق . فإنه وقع التشبيه فى الثواب على تقدير كونه مشروعاً ، بل ولا ممكناً . كما فى الحديث الصحيح وقد سئل عن الجهـاد . فقال للسائل « هل تستطيع إذا خرج المجاهد : أن تصوم ، فلا تفطر ، وتقوم فلا تفتر ؟ قال : لا . قال : ذلك مثل المجاهد » .

والمقصود : أنه لا يلزم من تشبيه الشىء بالشىء مساواته له .

ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى العشاء فى جماعة ، فكأنما قام نصف الليل . ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة . فكأنما قام الليل كله » .

وهذا يدل على ما تقدم من تفضيل العمل الواحد على أمثاله وأضعافه من جنسه . فإن من صلى العشاء والفجر فى جماعة ولم يصل بالليل ، تعدل صلاته تلك صلاة من قام الليل كله . فإن كان هذا الذى قام الليل قد صلى تلك الصلاتين فى جماعة : أحرز الفضل المحقق والمقدر . و إن صلى الصلاتين وحده ، وقام الليل : كان كمن صلاهما فى جماعة ونام بمنزله . إن صحت صلاة المنفرد .

وهذا كما تقدم : أن تفاضل الأعمال ليس بكثرتها وعددها . و إنما هو بإكمالها و إتمامها وموافقتها لرضى الرب وشرعه .

فصــل

وأما المسألة الرابعة ـ وهى قوله فى الحديث « من دخل السوق ، فقال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . يحيي ويميت . وهو حى لايموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » فهذا الحديث معلول . أعله أئمة الحديث .

قال الترمذى فى جامعه : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا أزهر بن سنان حدثنا محمد بن واسع . قال : قدمت مكة . فلقيني سالم بن عبد الله بن عمر ، فحدثنى عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دخل السوق فقال ـ الحديث » قال الترمذى : هذا حديث غريب . وقد رواه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم ابن عبد الله ـ فذكر الحديث .

حدثنا يزيد بن أحمد بن عبدة الضبي ، حدثنا حماد بن زيد ، والمعتمر بن سليمان . قالا: حدثنا عمرو بن دينار ـ وهو قهرمان آل الزبير ـ عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دخل السوق ـ وذكر الحديث ، وفيه : وبنى له بيتاً فى الجنة » .

وقد روى من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر . لـكنه معلول أيضاً .

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم ، فى كتاب العلل : سـألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه يحيى بن سليم الطائفى عن عمران بن سليم عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من دخل فى السوق ـ الحديث » فقالا لى : هذا حديث منكر .

قال ابن أبى حاتم : وهذا الحديث خطأ . إنما أراد عمران بن مسلم عن عمرو بن دينار ـ قهرمان آل الزبير ـ عن سـالم عن أبيه . فغلط وجعل بدل عمرو : عبد الله بن دينار . وأسقط سالماً من الإسناد .

حدثنا بذلك محمد بن عمران حدثنا إسحاق بن سليمان عن بكير بن شهاب الدامغانى ، عن عمران بن مسلم عن عمرو بن دينار عن سـالم عن أبيه عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ فذكر الحديث .

ورواه ابن ماجه فى سننه عن بشر بن دينار الضرير ، عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ـ قهرمان آل الزبير ـ كنيته : أبو يحيي الأعور البصرى .

قال يحيي بن معين : ليس بشيء .

قال النسائى والدارمى : ضعيف .

وقال أبو زرعة : واهى الحديث .

وقال على بن الجنيد : هو شبه المتروك .

وقال ابن حبان : لا يحل كتب حديثه إلا على وجه التعجب . كان ينفرد بالموضوعات عن الثقات .

وقال الدارقطنى : ضعيف .

فصــل

وسُئلت : هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر فى سنده ؟

فهذا سؤال عظيم القدر . وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة واختلطت بدمه ولحمه . وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه . ويخبر عنه ويدعو إليه . ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة . بحيث كأنه مخالطاً للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه . ومثل هذا : يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز ـ : مالا يعرفه غيره . وهذا شأن كل متبع مع متبوعه .

فللأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله فى العلم بها ، والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه ومالا يصح : ماليس لمن لا يكون كذلك .

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم . يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم . والله أعلم .

ومن ذلك : ما روى جعفر بن حسن عن أبيه ، عن ثابت عن أنس ـ يرفعه ـ من قال « سبحان الله وبحمده ، غرس الله له ألف ألف نخلة فى الجنة ، أصلها من ذهب » .

وجعفر هذا : هو جعفر بن حسن بن فرقد ، أبو سليمان القصار البصرى . قال ابن عدي : أحاديثه مناكير . وقال : الأزدى يتكلمون فيه .

وأما أبوه : فقال يحيى بن معين : لاشىء ، ولا يكتب حديثه .

وقال النسائى والدارقطنى : ضعيف .

وقال ابن حبان : خرج من حد العدالة .

وقال ابن عدى : عامة أحاديثه غير محفوظة .

ومن ذلك : مارواه ابن منده وغيره من حديث أحمد بن عبد الله الجويبارى الكذاب عن شقيق عن إبراهيم بن أدهم ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن أويس القرنى عن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من دعا بهذه الأسماء : اللهم أنت حى لا تموت ، وغالب لا تغلب ، وبصير ترانا ، وسميع لا تتشكك ، وصادق لا تكذب ، وصمد لاتطعم ، وغالب لاتغلب ـ إلى أن قال ـ فوالذى بعثنى بالحق ، لو دعا بهذه الدعوات على صفائح الحديد لذابت ، وعلى ماء جار لسكن . ومن دعا عند منامه به بعث بكل حرف منه سبعمائة ألف ملك يسبحون له ويستغفرون له » .

وتابعه كذاب آخر ، وهو الحسين بن داود البلخى عن شقيق .

وروى جملة منه كذاب آخر ، هو سليمان بن عيسى ، عن الثورى ، عن إبراهيم بن أدهم .

وهذا وأمثاله : مما لا يرتاب من له أدنى معرفة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلامه : أنه موضوع مختلق ، ومفترى عليه .

ومن ذلك : ما رواه عباس بن الضحاك البلخى ـ كذاب أشر ـ عن عمر بن الضحاك ـ مجهول لا يعرف ـ عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم لم يقم الماء التى فى الله تعالى كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » .

ومن ذلك : ما رواه أبو العلاء عن نافع عن ابن عمر ـ يرفعه ـ « من كفن ميتاً . فإن له بكل شعرة تصيب كفنه : عشر حسنات » .

وأبو العلاء هذا : يروى عن نافع ما ليس من حديثه ، ولا يجوز الاحتجاج به .

وهذا الحديث قد رواه الحسن بن سفيان . حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا أحمد بن

الحجاج حدثنا أبو العلاء . قال الدارقطنى : يقال : إن أبا العلاء ـ هذا ـ الخفاف الكوفى ، واسمه خالد بن طهمان . انتهى .

وقال يحيى بن معين : هو ضعيف . خلط قبل موته بعشر سنين . وكان قبل ذلك ثقة . وكان فى تخليطه يحمل ما جاءوا به و يقرؤه . انتهى .

ومن ذلك : حديث يرويه محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « من صام صبيحة يوم الفطر ، فكأنما صام الدهر كله » وهذا حديث باطل موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وابن البيلمانى يروى المنا كير .

قال البخارى وأبو حاتم الرازى والنسائى : هو منكر الحديث .

وقال يحيى بن معين : ليس بشىء .

وقال الدارقطنى والحميدى : ضعيف .

وقال ابن حبان و يحيى : حدث عن أبيه بنسخة ثمانين حديثاً . كلها موضوعة ، لايجوز الاحتجاج به . ولا ذكره إلا على وجه التعجب .

ومن ذلك : حديث « من صام يوم عاشوراء ، كتب الله له عبادة ستين سنة » .

وهذا باطل . يرويه حبيب بن أبى حبيب عن إبراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس . وحبيب كان يضع الأحاديث .

ومن ذلك : حديث يرويه زكريا بن ودبك الكندي الكذاب الأشر ، عن حميد الطويل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم « من داوم على صلاة الضحى ، ولم يقطعها من علة . كنت أنا وهو فى الجنة فى زورق من نور فى بحر من نور ، حتى نزور رب العالمين » .

ومن ذلك : حديث يرويه عمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى بعد المغرب ست ركعات ، لم يتكلم بينهن بشىء : عدلن له عبادة ثنتى عشرة سنة » .

وعمر ـ هذا ـ قال فيه الإمام أحمد ، و يحيى بن معين ، والدارقطنى : ضعيف .

وقال أحمد أيضاً : لا يساوى حديثه شيئاً .

وقال البخارى : منكر الحديث وضعيف جداً .

وقال ابن عياش : لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه . يضع الحديث على مالك وابن أبى ذئب وغيرهما من الثقات .

ومن ذلك : حديث « من صلى يوم الأحد أربع ركعات بتسليمة واحدة ، يقرأ فى كل ركعة الحمد وآمن الرسول ـ إلى آخرها : كتب الله له ألف حجة ، وألف عمرة ، وألف غزوة ، و بكل ركعة ألف صلاة ، وجعل بينه و بين النار ألف خندق » فقبح الله واضعه ، ما أجرأه على الله ورسوله .

ومن ذلك : حديث « من صلى ليلة الأحد أربع ركعات ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد خمسة عشر مرة . أعطاه الله يوم القيامة ثواب من قرأ القرآن عشر مرات ، وعمل بما فى القرآن ، و يخرج يوم القيامة من قبره ووجهه مثل القمر ليلة البدر . و يعطيه الله بكل ركعة ألف ألف مدينة من لؤلؤ . فى كل مدينة ألف قصر من زبرجد . فى كل قصر ألف دار من الياقوت ، فى كل دار ألف بيت من المسك . فى كل بيت ألف سرير » واستمر هذا الكذاب الأشر على الألف .

ومن ذلك : حديث « من صلى ليلة الاثنين ست ركعات ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وعشرين مرة قل هو الله أحد ، و يستغفر الله بعد ذلك عشر مرات . أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد ، وألف زاهد » فقبح الله واضعه . ومختلقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو من عمل الجو يبارى الخبيث .

ومن ذلك : حديث « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسى مرة ، وقل هو الله أحد مرة ، وقل أعوذ برب الفلق مرة ، كفرت ذنو به كلها ، وأعطاه الله قصراً فى الجنة من درة بيضاء ، فى جوف القصر سبعة أبيات ، طول كل بيت ثلاثة آلاف ذراع وعرضه مثل ذلك » .

واستمر هذا الكذاب الخبيث على ذلك حديثا طو يلا ، فيه من هذه المجازفات . وهو

من عمل الحسين بن إبراهيم . كذاب .

وقال : يروى عن محمد بن طاهر .

ووضع من هذا الضرب أحاديث صلاة يوم الأحد ، وليلة الأحد ، وصلاة يوم الاثنين ، وليلة الاثنين ، و يوم الثلاثاء ، وليلة الثلاثاء . وهكذا فى سائر أيام الأسبوع ولياليه .

وهذا باب واسع جداً .

و إنما ذكرنا منه جزءاً يسيراً اتعرف به أن هذه الأحاديث وأمثالها ، مما فيه هذه المجازفات القبيحة الباردة ، كلها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اعتنى بها كثير من الجهال بالحديث من المنتسبين إلى الزهد والفقر ، وكثير من المنتسبين إلى الفقه .

والأحاديث الموضوعة عليها ظلمة وركاكة ، ومجازفات باردة . تنادى على وضعها واختلاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل حديث « من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبيا » .

وكأن هذا الكذاب الخبيث لم يعلم أن غير النبي لو صلى عمر نوح عليه السلام لم يعط ثواب نبي واحد .

وكقوله « من اغتسل يوم الجمعة بنية وخشية ، كتب الله له بكل شعرة نوراً يوم القيامة ورفع له بكل قطرة درجة فى الجنة من در و ياقوت وز برجد ، مابين كل درجتين مسيرة مائة عام » .

ومر فى حديث طويل ، قبح الله واضعه . فهو من عمل عمر بن صبح الكذاب الخبيث .

فصل

ونحن ننبه على أمور كلية ، يعرف بها كون الحديث موضوعاً .

فمنها : اشتماله على أمثال هذه المجازفات التى لا يقول مثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة جداً . كقوله فى الحديث المكذوب « من قال لا إله إلا الله : خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » و« من

فعل كذا وكذا ، أعطى فى الجنة سبعين ألف مدينة ، فى كل مدينة سبعين ألف قصر ، فى كل قصر سبعين ألف حوراء » .

وأمثال هذه المجازفات الباردة التى لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين :

إما أن يكون فى غاية الجهل والحمق . وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم .

فصل

فمنها : تكذيب الحس له ، كحديث « الباذنجان لما أكل له » و « الباذنجان شفاء من كل داء » قبح الله واضعهما . فإن هذا لو قاله يوحنس أمهر الأطباء لسخر الناس منه ، ولو أكل الباذنجان للحمى والسوداء الغالبة ، وكثير من الأمراض لم يزدها إلا شدة ، ولو أكله فقير ليستغنى ، لم يفده الغنى ، أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم .

وكذلك حديث « إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل صدقه » .

وهذا ــ وإن صحح بعض الناس سنده ــ فالحس يشهد بوضعه . لأنا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ، ولو عطس مائة ألف رجل عند حديث يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : لم يحكم بصحته بالعطاس . ولو عطسوا عند شهادة زور لم تصدق .

وكذلك حديث « عليكم بالعدس ، فإنه مبارك يرقق القلب ، قدس فيه سبعون نبيا » .

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن هذا الحديث ؟ وقيل له : إنه يروى عنك ؟ فقال : وعنى ؟ أرفع شىء فى العدس : أنه شهوة اليهود ، ولو قدس فيه نبى واحد لكان شفاء من الأدواء . فكيف بسبعين نبياً ؟ وقد سماه الله تعالى « أدنى » على من اختاره على المن والسلوى ، وجعله قرين الثوم والبصل . أفترى أنبياء بنى إسرائيل قدسوا فيه لهذه العلة والمضار التى فيه : من تهييج السوداء ، والنفخ ، والرياح الغليظة ، وضيق النفس ، والدم الفاسد ، وغير ذلك من المضار المحسوسة ؟ .

ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع الذين اختاروه على المن والسلوى وأشباههم .

ومن ذلك : حديث « إن الله خلق السموات والأرض يوم عاشوراء »

وحديث « اشربوا على الطعام تشبعوا » فإن الشرب على الطعــام يفسده ، ويمنع من استقراره فى المعدة ومن كمال نضجه .

ومن ذلك حديث « أكذب الناس الصباغون والصواغون » .

والحسُّ يرد هذا الحديث . فإن الـكذب فى غيرهم أضعافه فيهم ، كالرافضة . فإنهم أكذب خلق الله ، والـكهان ، والطرائقيين ، والمنجمين .

وقد تأوله بعضهم على أن المراد بالصباغ : الذى يزيد فى الحديث ألفاظاً تزينه ، والصواغ : الذى يصوغ الحديث ليس له أصل .

وهذا تكلف بارد ، لتأويل حديث باطل .

فصل

ومنها : سماجة الحديث ، وكونه مما يسخر منه ، كحديث « لو كان الأرز رجلاً لـكان حليما . ما أكله جائع إلا أشبعه » فهذا من السمج البارد ، الذى يصان عنه كلام العقلاء ، فضلا عن كلام سيد الأنبياء .

وحديث « الجوز دواء ، والجبن داء . فإذا صار فى الجوف ، صار شفاء » فلعن الله واضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحديث « لو يعلم الناس ما فى الحلبة لاشتروها بوزنها ذهباً » .

وحديث « أحضروا موائدكم البقل ، فإنه مطردة للشيطان » .

وحديث « مامن ورقة هندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة » .

وحديث « بئست البقلة الجرجير ، من أكل منها ليلا بات ونفسه تنازعه ، وتضرب عرق الجذام فى أنفه ، كلوها نهاراً . وكفوا عنها ليلا » .

وحديث « فضل دهن البنفسج على الأدهان ، كفضل أهل البيت على سائر الخلق »

وحديث « فضل الـكراث على سائر البقول ، كفضل الخبز على الحبوب » .

وحديث « الـكمأة والـكرفس طعام إلياس واليسع » .

وحديث « إن للقلب فرحة عند أكل اللحم » .

وحديث « مامن رمان إلا و يلقح بحبة من رمان الجنة » .

وحديث « ر بيع أمتى العنب والبطيخ » .

وحديث « عليكم بمداومة أكل العنب مع الخبز » .

وحديث « عليكم بالملح . فإنه شفاء من سبعين داء » .

وحديث « من أكل فولة بقشرها أخرج الله منه من الداء مثلها » لعن الله واضعه .

وحديث « لا تسبوا الديك . فإنه صيد نبي . ولو يعلم بنوا آدم ما فى صوته لاشتروه بالذهب » .

وحديث « من اتخذ ديكاً أبيض لم يقر به شيطان ولا سحر » .

وحديث « إن لله ديكاً عنقه مطوية تحت العرش ورجلاه فى التخوم » .

وبالجملة : فكل أحاديث الديك كذب إلا حديثاً واحداً « إذا سمعتم صياح الديك . فاسألوا الله من فضله . فإنها رأت ملكا » .

فصل

ومنها : مناقضة الحديث لما جاءت به السنة مناقضة بينة . فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم ، أو عيب ، أو مدح باطل ، أو ذم حق أو نحو ذلك . فرسول الله صلى الله عليه وسلم منه برىء .

ومن هذا الباب : أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لايدخل النار .

وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم : أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب . وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة .

ومن هذا الباب : أحاديث كثيرة علقت النجاة من النار ، وأنها لا تمس من فعل ذلك . وغايتها : أن تكون من صغار الحسنات . والمعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك . وأنه إنما ضمن النجاة منها لمن حقق التوحيد(١) .

---

(١) أى توحيد العبادة علماً وعقيدة وعملا وحالا .

فصـــل

ومنها : أن يدعى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل أمراً ظاهراً بمحضر من الصحابة كلهم . وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه . كما يزعم أكذب الطوائف : أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع . فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع . ثم قال « هذا وصيي وأخى ، والخليفة من بعدى . فاسمعوا له وأطيعوا » ثم اتفق الـكل على كتمان ذلك وتغييره . فلعنة الله على الكاذبين .

وكذلك روايتهم « أن الشمس ردت لعلى بعد العصر ، والناس يشاهدونها » ولا يشتهر هذا أعظم اشتهار ، ولا يعرفه إلا أم سلمة .

فصـــل

ومنها : أن يكون الحديث باطلاً فى نفسه . فيدل بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

كحديث « المجرة التى فى السماء من عرق الأفعى التى تحت العرش » .

وحديث « إذا غضب الله تعالى أنزل الوحى بالفارسية ، وإذا رضى أنزله بالعربية » .

وكحديث « ست خصال تورث النسيان : سؤر الفار ، و إلقاء القمل فى النار ، والبول فى الماء الراكد ، ومضغ العلك ، وأكل التفاح الحامض » .

وحديث « الحجامة على القفى تورث النسيان » .

وحديث « يا حميراء لا تغتسلى بالماء المشمس . فإنه يورث البرص » .

وكل حديث فيه « ياحميراء » أو ذكر « الحميراء » فهو كذب مختلق .

مثل « ياحميراء لا تأكلى الطين . فإنه يورث كذا وكذا » .

وحديث « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » .

وحديث « من لم يكن له مال يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى » فإن اللعنة لا تقوم مقام الصدقة أبداً .

وكحديث « آليت على نفسى أن لا أدخل النار من كان اسمه أحمد ومحمد » .

وكحديث « من ولد له مولود فسماه محمداً ـ تبركاً به ـ كان هو والولد فى الجنة » .

وكحديث « ما من مسلم دنا من زوجته ـ وهو ينوى إن حبلت منه يسميه محمداً ـ إلا رزقه الله ولداً ذكراً » . وفى ذلك خبر كله كذب .

فصل

ومنها : أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء ، فضلا عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى هو وحى يوحى . كما قال الله تعالى (٥٣ : ٤ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) أى ومانطقه إلاوحى يوحى .

فيكون الحديث مما لايشبه الوحى ، بل لايشبه كلام الصحابة .

كحديث « ثلاثة تزيد فى البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجارى ، والوجه الحسن »

وهذا الكلام مما يجل عنه أبو هريرة وابن عباس ، بل سعيد بن المسيب ، والحسن ، بل أحمد ومالك رحمهم الله .

وحديث « النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر » .

وهذا ونحوه من وضع بعض الزنادقة .

وحديث « عليكم بالوجوه الملاح ، والحدق السود . فإن الله يستحى أن يعذب شيخاً بالنار » فلعنة الله على واضعه الخبيث .

وحديث « النظر إلى الوجه الجميل عبادة » .

وحديث : المروقه بمنى .

وحديث « إن الله طهر قوماً من الذنوب بالطاعة فى رؤسهم . وإن عليا لأولهم » .

وحديث « نبات الشعر فى الأنف أمان من الجذام » .

وقد سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل ؟ فقال : يا مؤمن ذا شىء ؟! .

وحديث « من آتاه الله وجهاً حسناً ، واسماً حسناً ، وجعله فى موضع غير شائن . فهو من صفوة الله فى خلقه »

وكل حديث فيه ذكر « حسان الوجوه » أو الثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر إليهم ، أو التماس الحوائج منهم ، أو أن النار لا تمسهم . فكذب مختلق ، وإفك مفترى .

وفى الباب أحاديث كثيرة . وأقرب شىء فى الباب : حديث « إذا بعثتم إلىّ بريداً فابعثوه مع حسن الوجه حسن الاسم » .

وفيه عمر بن زائد . قال ابن حبان : يضع الحديث . وذكر أبو الفرج ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات .

ومنها : أن يكون فى الحديث تاريخ كذا وكذا مثل قوله « إذا كان سنة كذا وكذا . وقع كيت وكيت » كقول [المنجم] الكذاب الأشر « إذا انكسف القمر فى المحرم : كان البلاء والقتال وشغل السلطان . وإذا انكسف فى صفر كان كذا وكذا » واستمر الكذاب فى الشهور كلها . وأحاديث هذا الباب كلها كذب .

فصل

ومنها : أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق .

كحديث « الهريسة تشد الظهر » .

وكحديث « أكل السمك يوهن الجسد »

وحديث « الذى شكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قلة الولد . فأمره أن يأكل البيض والبصل » .

وحديث « أتانى جبريل بهريسة من الجنة . فأكلتها . فأعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع »

وحديث « المؤمن حلو يحب الحلاوة » .

ورواه الكذاب الأشر بلفظ آخر « المؤمن حلوى والكافر خمرى » .

وحديث « كلوا التمر على الريق ، فإنه يقتل الدود »

وحديث « أطعموا نسائكم فى نفاسهن التمر » .

وحديث « من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف » .

وحديث « من أخذ لقمة من مجرى الغائط والبول ، فغسلها ثم أكلها . غفر له » .

وحديث « الملح فى الطعام يذهب البركة » .

وحديث « إذا طنّت أذن أحدكم ، فليصل علي . وليقل : ذكر الله من ذكرنى بخير » وكل حديث فى طنين الأذن فهو كذب .

فصل

ومنها : أحاديث العقل . كلها كذب كقوله « لما خلق الله العقل قال له : أقبل . فأقبل . ثم قال له : أدبر . فأدبر . فقال : ماخلقت خلقا أكرم عليّ منك . بك آخذ و بك أعطى » .

وحديث « لكل شيء معدن . ومعدن النفوس قلوب العارفين » .

وحديث « إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد ومايجرى إلا على قدر عقله » .

قال الخطيب : حدثنا الصولي . قال : سمعت الحافظ ابن عبد الغنى يقول : قال الدارقطنى : إن كتاب العقل وضعه أربعة : أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، وركبه بإسناد ، وسرقه سليمان بن عيسى السجزى بأسانيد أخرى .

قلت : يريد كتاب العقل للأودى المختلق الكذاب ، وهو سفر .

وقال أبو الفتح الأودى : لايصح فى العقل حديث . قاله أبو جعفر العقيلي ، وأبو حاتم وابن حبان . والله أعلم .

فصل

ومنها : الأحاديث التى ذكر فيها الخضر وحياته . كلها كذب ، ولا يصح فى حياته حديث واحد .

كحديث « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد . فسمع كلاما من ورائه . فذهبوا ينظرون ، فإذا هو الخضر » .

وحديث « يلتقى الخضر و إلياس كل عام » .

وحديث « يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخضر ـ الحديث » مفترى طويل .

سئل إبراهيم الحربى عن تعمير الخضر وأنه باق ؟ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه ، وماألقى هذا بين الناس إلا شيطان .

وسئل البخارى عن الخضر و إلياس ، هل هما أحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا ؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » ؟ .

وسئل عن ذلك كثير غيره من الأئمة . فقالوا : (٢١ : ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . أفإن مت فهم الخالدون ؟) .

وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فقال : لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، و يجاهد بين يديه ، ويتعلم منه . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر « اللهم إن تهلك هـذه العصابة لاتعبد فى الأرض » وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، فأين كان الخضر حينئذ ؟ .

قال أبو الفرج ابن الجوزى : والدليل على أن الخضر ليس بباق فى الدنيا أربعة أشياء : القرآن ، والسنة ، و إجماع المحققين من العلماء ، والمعقول .

أما القرآن : فقوله تعالى (٢١ : ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فلو دام الخضر كان خالداً .

وأما السنة : فذكر حديث « أرأيتكم ليلتكم هذه . فإن على رأس مائة سنة منها لايبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد» متفق عليه .

وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبـد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قبل موته بقليل ـ « مامن نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية »

ثم ذكر عن البخارى ، وعلى بن موسى الرضى : أن الخضر مات . وأن البخارى سئل عن حياته ؟ فقال : كيف يكون ذلك ؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « أرأيتكم ليلتكم هذه . فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد » .

قال : وممن قال إن الخضر مات : إبراهيم بن إسحاق الحربى ، وأبو الحسين ابن المنادى وهما إمامان . وكان ابن المنادى يقبح : قول من يقول : إنه حى .

وحكى القاضى أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد . وذكر عن بعض أهل العلم : أنه احتج بأنه لو كان حيا لوجب عليه أن يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال : حدثنا أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده ، لو أن موسى كان حياً ماوسعه إلا أن يتبعنى » فكيف يكون حياً ولا يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة والجماعة ، ويجاهد معه ؟ .

ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلى خلف إمام هذه الأمة ، ولا يتقدم . لئلا يكون ذلك خدش فى نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ .

قال أبو الفرج : وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر ، وينسى مافى طى إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة ! .

أما الدليل من المعقول : فمن عشرة أوجه .

أحدها : أن الذى أثبت حياته يقول : إنه ولد آدم لصلبه . وهذا فاسد لوجهين .

أحدهما : أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة ، فيما ذكر فى كتاب يوحنى المؤرخ ، ومثل هذا بعيد فى العادات أن يقع فى حق البشر .

والثانى : أنه لو كان ولده لصلبه ، أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وأنه كان وزير ذى القرنين . فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا ، بل مفرط فى الطول والعرض . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً . فلم يزل الخلق ينقص بعد » . وماذكر أحد ممن رأى الخضر : أنه رآه على خلقة عظيمة ، وهو من أقدم الناس .

الوجه الثالث : أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه فى السفينة . ولم ينقل هذا أحد .

الوجه الرابع : أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نزل من السفينة مات من كان معه ، ثم

مات نسلهم . ولم يبق غير نسل نوح . والدليل على هذا : قوله تعالى (٣٧ : ٧٧ وجعلنا ذريته هم الباقين) وهذا يبطل قول من قال : إنه كان قبل نوح .

والوجه الخامس : أن هذا لو كان صحيحاً أن بشراً من بنى آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ، ومولده قبل نوح : لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب . وكان خبره فى القرآن مذكوراً فى غير موضع . لأنه من أعظم آيات الربوبية . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عاماً وجعله آية . فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر ؟

ولهذا قال بعض أهل العلم : ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان .

والوجه السادس : أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم . وذلك حرام بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية : فظاهر .

وأما الأولى : فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة ، أو إجماع الأمة . فهذا كتاب الله تعالى . فأين فيه حياة الخضر ؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين فيها مايدل على ذلك بوجه ؟ وهؤلاء علماء الأمة ، هل أجمعوا على حياته ؟ .

الوجه السابع : أن غاية مايتمسك به من ذهب إلى حياته : حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها : أنه رأى الخضر . فيالله العجب . هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر .

ومعلوم : أنه لايجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله . فأين للرائى أن المخبر له صادق ، لا يكذب ؟

الوجه الثامن : أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ، ولم يصاحبه . وقال له (١٨ :٧٨ هذا فراق بينى و بينك) فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى . ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة ، الذين لايحضرون جمعة ولا جماعة ، ولامجلس علم . ولا يعرفون من الشريعة شيئاً ؟ وكل منهم يقول : قال الخضر . وجاءنى الخضر . وأوصانى الخضر .

فياعجبا له ! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال . ومن لا يعرف كيف يتوضأ ، ولا كيف يصلى ؟ .

الوجه التاسع : أن الأمة مجمعة على أن الذى يقول : أنا الخضر ، لو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا . لم يلتفت إلى قوله ، ولم يحتج به فى الدين . إلا أن يقال : إنه لم يأت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا بايعه . أو يقول هذا الجاهل : إنه لم يرسل إليه . وفى هذا من الكفر ما فيه .

الوجه العاشر : أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ، ورباطه فى سبيل الله ، ومقامه فى الصف ساعة ، وحضوره الجمعة والجماعة ، وتعليم العلم : أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش فى القفار والفلوات . وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له ؟ .

فصل

ومنها : أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه .

كحديث عوج بن عنق الطويل ، الذى قصد واضعه الطعن فى أخبار الأنبياء . فإنهم يجترئون على هذه الأخبار . فإن فى هذا الحديث « أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث ، وأن نوحاً لما خوفه الغرق ، قال له : احملنى فى قصعتك هذه ، وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر ، فوصل إلى حجزته . وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه فى عين الشمس . وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله فى عنقه مثل الطوق » .

وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله . إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث فى كتب العلم من التفسير وغيره ، ولا يبين أمره .

وهذا عندهم ليس من ذرية نوح ، وقد قال الله تعالى (٣٧ : ٧٧ وجعلنا ذريته هم الباقين) .

فأخبر أن كل من بقى على وجه الأرض من ذرية نوح ، فلو كان لعوج ـ هذا ـ وجود لم يبق بعد نوح .

وأيضاً : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خلق الله آدم وطوله فى السماء ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » .

وأيضاً : فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها كذلك . وإذا كانت الشمس فى السماء الرابعة ، فبيننا وبينها هذه المسافة العظيمة . فكيف يصل إليها طول ثلاثة آلاف ذراع ، حتى يشوى فى عينها الحوت ؟

ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأتباعهم .

ومن هذا حديث « أن قاف جبل من زبرجدة خضراء ، تحيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان ، والسماء رافعة أكنافها عليه . فزرقتها منه » .

وهذا وأمثاله : مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كفراً .

ومن هذا حديث « إن الأرض على صخرة ، والصخرة على قرن ثور . فإذا حرك الثور قرنه : تحركت الصخرة ، فتحركت الأرض وهى الزلزلة » .

والعجب من مسود كتبه بهذه الهذيانات .

ومن هذا حديث « كانت جنية تأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأبطأت عليه . فقال ما بطأ بك ؟ قالت : مات لها ميت بالهند ، فذهبت فى تعزيته . فرأيت فى طريقى إبليس يصلى على صخرة . فقلت له : ما حملك على أن أضللت بنى آدم ؟ فقال : دعى هذا عنك . قلت : تصلى ، وأنت أنت ؟ قال : يافارغة ، إنى لأرجو من ربى إذا برّ قسمه أن يغفر لى ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك مثل ذلك اليوم » .

قال ابن عدى فى الكامل : حدثنا عبد المؤمن بن أحمد حدثنا ابن لهيعة عن أبيه عن أبى الزبير عن جابر — فذكره .

والله تعالى أعلم بما دُسَّ فى كتب ابن لهيعة ، وإلا فهو أعلم بالحديث من أن يروج عليه مثل هذا الهذيان .

ومن هذا : حديث « هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس » الحديث الطويل ونحوه . وحديث ذرنب بن برثملا .

قال ابن الجوزى : حديث ذرنب باطل .

فصل

ومنها : مخالفة الحديث صريح القرآن . كحديث مقدار الدنيا « وأنها سبعة آلاف سنة . ويجىء فى الألف السابعة » .

وهذا من أبين الكذب ، لأنه لو كان صحيحاً لكان كل أحد عالما أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا مائتان وأحد وخمسون سنة . والله تعالى يقول (٧ : ١٨٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما علمها عند ربى ، لايجليها لوقتها إلا هو . ثقلت فى السموات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفىٌّ عنها ؟ قل : إنما علمها عند الله) وقال الله تعالى (٣١ : ٣٤ إن الله عنده علم الساعة) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لايعلم متى تقوم الساعة إلا الله »

وقد جاء بالكذب بعض من يدعى فى زماننا العلم ، وهو يتشبع بما لم يعط ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يعلم متى تقوم الساعة ؟ » قيل له : فقد قال فى حديث جبريل « ماالمسئول عنها بأعلم من السائل؟» فحرفه عن موضعه ، وقال: معناه أنا وأنت نعلمها .

وهذا من أعظم الجهل ؟ وأقبح التحريف . والنبى صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابياً : أنا وأنت نعلم الساعة ، إلا إن يقول هذا الجاهل : إنه كان يعرف أنه جبريل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصادق فى قوله « والذى نفسى بيده ما جاءنى فى صورة إلا عرفته ، غير هذه الصورة » .

وفى اللفظ الآخر « ماشُبِّه علىَّ غير هذه المرة » .

وفى اللفظ الآخر « ردوا علىَّ الأعرابى . فذهبوا فالتمسوا ، فلم يجدوا شيئاً » .

وإنما علم النبى صلى الله عليه وسلم أنه جبريل بعد مدة . كما قال عمر « فلبثت ملياً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياعمر ، أتدرى من السائل ؟ » والمحرف يقول : علم وقت السؤال أنه جبريل . ولم يخبر الصحابة بذلك إلا بعد مدة .

ثم نقول : فى الحديث « ماالمسئول عنها بأعلم من السائل » يعم كل سائل ومسئول . فكل سائل ومسئول عن هذه الساعة : شأنهما كذلك .

ولـكن هؤلاء الغلاة عندهم : أن علم رسـول الله صلى الله عليه وسلم منطبق على علم الله ، سواء بسواء . فـكل مايعلمه الله يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول (٩ : ١٠١ وممن حولـكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم . نحن نعلمهم) .

وهذا فى براءة ، وهو فى أواخر براءة ، وهو فى أواخر مانزل من القرآن . هـذا والمنافقون جيرانه فى المدينة .

ومن هذا حديث « عقد عائشة رضى الله عنها لما أرسل فى طلبه فأثاروا الجمل فوجدوه »

ومن هذا حديث : تلقيح التمر ، وقال « ما أرى لو تركتموه يضره شىء » فتركوه ، فجاء شيصاً . فقال « أنتم أعلم بدنيا كم » .

وقد قال الله تعالى (٧ : ٥٠ قل : لاأقول لـكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب) . وقال (٧ : ١٨٨ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) .

ولمـا جرى لأم المؤمنين عائشة ماجرى ، ورماها أهل الإفك بما رموها به : لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم حقيقة الأمر ، حتى جاءه الوحى من الله ببراءتها .

وعند هؤلاء الغلاة : أنه كان يعلم الحال على حقيقته بلا ريبة . واستشار الناس فى فراقها ، ودعا ريحانة فسألها ، وهو يعلم الحال . وقال لها « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله » وهو يعلم علماً يقيناً أنها لم تلم بذنب .

ولا ريب أن الحامل لهؤلاء على هذا الغلو : إنما هو اعتقادهم أنه يكفر عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم الجنة[1] . وكلما غلوا زادوا غلواً فيه .

---

(١) هذا الاعتقاد ناشىء عن عقيدة وحدة الوجود التى انتشرت فى قلوب الجماهير من حيث لايشعرون ، تحت ستار عقيدة أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو النور الأول الذى انبثق من الله . وعند الصوفية : أن المرتبة الثانية فى تعين الحقيقة الإلهية : تسمى بالحقيقة المحمدية وأنها لذلك أول الخلق ظهوراً . وذلك هو الذى يقوله النصارى فى المسيح . يكاد يكون بالحرف .

وهؤلاء فيهم شبه ظاهر من النصارى الذين غلو فى المسيح أعظم الغلو[1] وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة .

والمقصود : أن هؤلاء يصدقون بالأحاديث المكذوبة ، ويحرفون الأحاديث الصحيحة . عن مواضعها ، الترويج معتقداتهم .

فصل

ويشبه هذا ماوقع من وقع فيه الغلط فى حديث أبى هريرة «خلق الله التربة يوم السبت ـ الحديث » وهو فى صحيح مسلم ، ولكن وقع الغلط فى رفعه . وإنما هو من قول كعب الأحبار[2] . كذلك قال إمام أهل الحديث : محمد بن إسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير . وقال غيره من علماء المسلمين أيضاً . وهو كما قالوا . لأن الله أخبر أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام . وهذا الحديث يقتضى أن مدة التخليق سبعة أيام . والله تعالى أعلم .

فصل

ومن ذلك : الحديث الذى يروى فى الصخرة « أنها عرش الله الأدنى » تعالى الله عن كذب المفترين .

ولما سمع عروة بن الزبير هذا ، قال : سبحان الله ، يقول الله تعالى (٢ : ٢٥٥ وسع كرسيه السموات والأرض) وتكون الصخرة عرشه الأدنى .

وكل حديث فى الصخرة فهو كذب مفترى . والحديث الذى فيها كذب موضوع ، مما عمله المزورون الذين يرجون لها ليكثر سواد الزائرين .

وأرفع شىء فى الصخرة : أنها كانت قبلة اليهود . وهى فى المكان : كيوم السبت فى الزمان . أبدل الله بها الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام .

ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يبنى المسجد الأقصى

---

(١) وكم روج كعب من إسرائيليات .

(٢) بل هو من عين مانبع منه غلو النصارى . فإنهم يقولون : إن بنوة عيسى لربهم ليست كبنوة البشر للبشر ، سبحان الله عن هذا . وإنما هى انبثاق نور الحقيقة العيسوية المسيح ، وما زالت تتنقل حتى تجسدت فى ناسوت عيسى ابن مريم .

استشار الناس : هل يجعله إمام الصخرة ، أو خلفها ؟ فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، ابنه خلف الصخرة . فقال : يا ابن اليهودية ، خالطتك اليهودية ، بل أبنيه أمام الصخرة ، حتى لايستقبلها المصلون . فبناه حيث هو اليوم .

وقد أكثر الكذابون من الوضع فى فضائلها وفضائل بيت المقدس . والذى صح فى فضله : قوله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » وهو فى الصحيحين .

وقوله ــ من حديث أبى ذر ــ وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ فقال : المسجد الحرام . قال : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى » وهو متفق عليه .

وحديث عبد الله بن عمرو « لما بنى سليمان البيت ، سأل ربه ثلاث مسائل : حكما يصادف حكمه . فأعطاه إياه . وسأله ملكا لاينبغى لأحد من بعده . فأعطاه إياه . وسأله أن لا يؤم حذاء هذا البيت لايريد إلا الصلاة فيه إلا رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه . وأنا أرجو أنه يكون أعطاه الله ذلك » وهو فى مسند أحمد ، وصحيح الحاكم .

وفى الباب حديث رابع دون هذه الأحاديث . رواه ابن ماجة فى سننه . وهو حديث مضطرب « إن الصلاة فيه بخمسين ألف صلاة » وهذا محال . لأن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، والصلاة فيه تفضل على غيره بألف صلاة .

وقد روى فى بيت المقدس التفضيل بخمسمائة . وهو أشبه .

وصح أنه صلى الله عليه وسلم « أسرى به إليه » و « أنه صلى فيه . وأمّ المرسلين فى تلك الصلاة . وربط البراق بحلقة الباب وعرج به منه » .

وصح عنه : أن المؤمنين يتحصنون به من يأجوج ومأجوج .

فهذا مجموع ماصح فيه من الأحاديث .

ثم افتتح الجراب . وأكل الأحاديث المكذوبة فيه وفى الخليل .

فقبح الله الكاذبين على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمحرفين للصحيح من كلامه . فيالله من للأمة من هاتين الطائفتين ؟

فصل

ومنها : أحاديث صلوات الأيام والليالى ، كصلاة يوم الأحد ، وليلة الأحد ، ويوم الاثنين ، وليلة الإثنين ، إلى آخر الأسبوع . كل أحاديثها كذب . وقد تقدم بعض ذلك .

وكذلك أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب ، كلها كذب مختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأصله : مارواه عبد الرحمن بن منده - وهو صدوق - عن جهضم - وهو واضع الحديث - حدثنا على بن محمد بن سعيد البصرى حدثنا أبى حدثنا خلف بن عبد الله الصنعانى عن حميد عن أنس - يرفعه - « رجب شهر الله . وشعبان شهرى . ورمضان شهر أمتى - الحديث » .

وفيه « لاتغفلوا عن أول جمعة من رجب . فإنها تسميها الملائكة الرغائب » وذكر الحديث المذكور بطوله .

قال الجوزى : اتهموا به جهضم ، ونسبوه إلى الكذب . وسمعت عبد الوهاب الحافظ يقول : رجاله مجهولون . فنبشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم .

قال بعض الحفاظ : بل لعلهم لم يخلقوا .

وكل حديث فى ذكر صوم رجب ، وصلاة بعض الليالى فيه . فهو كذب مفترى كحديث « من صلى بعد المغرب أول ليلة من رجب عشرين ركعة جاز على الصراط بلا حساب » .

وحديث « من صام يوماً من رجب وصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة مائة مرة آية الكرسى . وفى الثانية مائة مرة قل هو الله أحد : لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » .

وحديث « من رجب كذا وكذا الجميع كذب » مختلق .

وأقرب ماجاء فيه : مارواه ابن ماجه فى سننه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب » .

فصل

ومن ذلك : أحاديث ليلة النصف من شعبان .

كحديث « ياعلى ، من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف قل هو الله أحد قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة ـ وساق خرافات كثيرة ـ وأعطى سبعين ألف حوراء لكل حوراء سبعين ألف غلام ، وسبعون ألف ولد ـ إلى أن قال : ويشفيع والديه كل واحد منهما فى سبعين ألفا » .

والعجب ممن يشم رائحة العلم بالسنن ، ثم يغتر بمثل هذا الهذيان ، ويصليها .

وهذه الصلاة وضعت فى الإسلام بعد الأربعمائة . ونشأت من بيت المقدس . فوضع لها عدة أحاديث .

منها « من قرأ ليلة النصف ألف مرة قل هو الله أحد ـ الحديث بطوله ـ وفيه : بعث الله إليه مائة ألف ملك يبشرونه » .

وحديث « من صلى ليلة النصف من شعبان ثلاثمائة ركعة يقرأ فى ركعة ثلاثين مرة قل هو الله أحد : شفع فى عشرة قد استوجبوا النار » وغير ذلك من الأحاديث التى لايصح منها شىء .

فصل

ومنها : ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها ، بحيث يمجها السمع ، ويسمج معناها الفطن .

كحديث « أربع لاتشبع من أرابع : أنثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعين من نظر وأذن من خبر » .

وحديث « ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالماً تلاعب به الصبيان » .

وحديث « لاتستشيروا الحاكة ، والأساكفة ، والصواغين ، أو صنعة من الصنائع المباحة » .

ومن ذلك حديث « من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران . وبعث سكران » .

وحديث « إن لله ملكا اسمه عمارة على فرس من ياقوت طوله مدّ بصره .يدور البلدان . و يقف فى الأسواق ينادى : ليغلو كذا وكذا ، وليرخص كذا وكذا » .

وحديث « إن لله ملكا من حجارة ، يقال له عمارة . فينزل على حمار من حماره كل يوم »

وحديث « دعونى من السودان . إنما الأسود لبطنه وفرجه » .

فصل

ومنها : أحاديث ذم الحبشة والسودان كلها كذب .

كحديث « الزنجى إذا شبع زنا ، و إذا جاع سرق » .

وحديث « إياكم والزنج . فإنه خلق مشوه » .

وحديث « رأى طعاماً . فقال : لمن هذا ؟ قال العباس : للحبشة . أطعمهم ؟ قال : لا تفعل . إنهم إن جاعوا سرقوا ، و إن شبعوا زنوا » .

فصل

ومنها : أحاديث ذم الترك ، وأحاديث ذم الخصيان ، وأحاديث ذم المماليك .

كحديث « لو علم الله فى الخصيان خيراً لأخرج من أصلابهم ذرية يعبدون الله » .

وحديث « شر المال فى آخر الزمان : المماليك » .

فصل

ومنها : ما يقترن بالحديث من القرائن التى يعلم بها أنه باطل .

مثل حديث : وضع الجزية عن أهل خيبر . وهذا كذب من عدة وجوه :

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ . وسعد توفى قبل ذلك فى غزاة الخندق .

الثانى : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب . و إنما أنزلت بعد عام تبوك ، حين وضعها النبى صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران و يهود اليمن .

الثالث : ولم تؤخذ من يهود المدينة ، لأنهم وادعوه قبل نزولها ، ثم قتل من قتل منهم . وأجلى بقيتهم إلى خيبر و إلى الشام ، وصالحه أهل خيبر قبل فرض الجزية .

فلما نزلت آية الجزية استقر الأمر على ما كان عليه . وابتدأ ضربها على من لم يتقدم له معه صلح . فمن ههنا وقعت الشبهة فى أهل خيبر .

الرابع : أن فيه « وضع عنهم الكلف والسخر » ولم يكن فى زمانه كلف ولا سخر ولا ملوك .

الخامس : أنه لم يجعل لهم عهداً لازماً ، بل قال « نقركم ما شئنا » فكيف يضع عنهم الجزية التى يصير لأهل الذمة بها عهد لازم مؤبد . ثم لايثبت لهم أياماً عهداً مؤبداً ؟ .

السادس : أن نقل هـذا مما تتوفر الدواعى على نقله . فكيف يكون قد وقع ، ولا يكون علمه عند حملة السنة من أصحابه والتابعين ، وأئمة الحديث ، وينفرد بقلمه ونقله اليهود ؟

السابع : أن أهل خيبر لم يتقدمهم من الإحسان ما يؤدى إلى وضع الجزية عنهم . فإنهم حاربوا الله ورسوله ، قاتلوه وقاتلوا أصحابه وسلوا السيوف فى وجوههم ، وسموا النبى صلى الله عليه وسلم ، وآووا أعداءه المحاربين له المحرضين على قتاله . فمن أين يقع هذا الاعتناء بهم ؟ وإسقاط هذا الفرض الذى جعله الله عقوبة لمن لم يدن منهم بدين الإسلام ؟

الثامن : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسقطها عن الأبعدين عنه ، مع معاداتهم له كأهل اليمن ، وأهل نجران . فكيف يضعها عن جيرانه الأدنين ، مع شهدة معاداتهم لهم ، وكفرهم وعنادهم ؟

ومن المعلوم : أنه كلما اشـتد كفر الطائفة وتغلظت عداوتهم ، كانوا أحق بالعقوبة لا بإسقاط الجزية .

التاسع : أن النبى صلى الله عليه وسلم لو أسقط عنهم ـ كما ذكروا الجزية ـ لكانوا من أحسن الكفار حالا . ولم يحسن بعد ذلك أن يشترط لهم إخراجهم من أرضهم وبلادهم متى شاء . فإن أهل الذمة الذين يقرون بالجزية لا يجوز إخراجهم من ديارهم ماداموا ملتزمين لأحكام الذمة .

فكيف إذا روعى جانبهم باسقاط الجزية ، وأعفوا من الصغار الذى يلحقهم بأدائها فأى صغار بعد ذلك أعظم من نفيهم من بلادهم ، وتشتيتهم فى أرض الغربة ؟ .

فكيف يجتمع هذا وهذا ؟ .

العاشر : أن هذا لو كان حقاً لما اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء كلهم على خلافه ، وليس فى الصحابة رجل واحد قال : لا تجب الجزية على الخيبرية ، لا فى التابعين ، ولا فى الفقهاء ، بل قالوا : أهل خيبر وغيرهم فى الجزية سواء ، وعرّضوا بهذا الكتاب المكذوب . وقد صرحوا بأنه كذب ، كما ذكر ذلك الشيخ بو حامد ، والقاضى أبو الطيب ، والقاضى أبو يعلى وغيرهم .

وذكر الخطيب البغدادى هذا الكتاب . و بين أنه كذب من عدة وجوه . وأحضر هذا الكتاب بين يدى شيخ الإسلام ، وحوله اليهود يزفونه و يجلونه . وقد غشى بالحرير والديباج . فلما فتحه وتأمله بزق عليه . وقال : هذا كذب من عدة أوجه ـ وذكرها . فقاموا من عنده بالذل والصغار .

فصل

فى ذكر جوامع وضوابط كلية فى هذا الباب .

فمنها : أحاديث الجار ـ بالتخفيف ـ لا يصح منها شىء .

ومنها : حديث « كان يعجبه النظر إلى الحمام » .

وحديث « كان يحب النظر إلى الخضرة والأترج والحمام الأحمر » .

وحديث « شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحدة . فقال له : لو اتخذت زوجاً من حمام فآنسك ، وأصبت من فراخه ؟ » .

وحديث « لاسبق إلا فى خف ، أو نعل ، أو حافر ، أو جناح » من وضع الكذاب وهب بن وهب البحترى .

وحديث « اتخذوا الحمام المقاصيص . فإنها تلهى الجن عن صبيانكم »

وأرفع شىء جاء فيها « إنه رأى رجلاً يتبع حمامه . فقال : شيطان يتبع شيطانه ؟ » .

وقال زكريا بن يحيى الساجى : بلغنى أن أبا البخترى دخل على الرشيد ، وهو يطير الحمام . فقال الرشيد : اخرج عنى ، هل تحفظ فى هذا شيئاً ؟ فقال : حدثنى هشام عن أبيه عن عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يطير الحمام » فقال الرشيد : اخرج عنى ، ثم

قال : لولا أنه رجل من قريش لعزلته . يعنى : من القضاء . وهو الذى دخل على المهدى ، فوجده يلعب بالحمام . فروى له « لاسبق إلا فى خف ، أو نصل ، أوحافر ، أو جناح » فلما خرج قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لم يدع الحمام لتسببهن فى كذب هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصل

ومنها : أحاديث اتخاذ الدجاج ، والاعتناء باتخاذ الغنم .

ومنها : حديث صحيح . كحديث « الدجاج غنم فقراء أمتى » .

وحديث . أمر الفقراء باتخاد الدجاج .

فصل

ومنها : أحاديث ذم الأولاد . كلها كذب من أولها إلى آخرها .

كحديث « لو ربى أحدكم ـ بعد الستين ومائة ـ جَرْو كلب خير له من أن يربى ولداً » .

وحديث « إذا كان الولد غيظاً والمطر فيضاً » .

وحديث « لا يولد بعد الستمائة مولود ولله فيه حاجة » .

فصل

ومنها : أحاديث التواريخ المستقبلة . وقد تقدمت الإشارة إليها . وهى كل حديث فيه « إذا كانت سنة كذا وكذا حل كذا وكذا » .

كحديث « يكون فى رمضان هَدأة توقظ النائم ، وتقعد القائم ، وتخرج العواتق من خدورها . وفى شوال هزمة ، وفى ذى القعدة تميز القبائل بعضها من بعض ، وفى ذى الحجة تراق الدماء .

وحديث « يكون موت فى رمضان إذا كانت ليلة النصف منه ليلة الجمعة يصعق سبعون ألفاً ، و يصَم سبعون ألفاً » .

وحديث « عند رأس مائة يبعث الله ريحاً باردة . يقبض الله فيها روح كل مؤمن » .

ومنها : حديث « إذا كانت سنة ثلاثمائة ، كان الغرباء : قرآن وجود ظالم ، ومصحف في بيت قوم لا يقرأ فيه ، ورجل صالح بين قوم سوء » .

وحديث « إذا كانت سنة خمسين ومائة ، خير أولادكم البنات » .

وحديث « إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة ، خرجت شياطين حبسهم سليمان ابن داود في حزام البحر . فذهب منهم تسعة أعشارهم إلى العراق ، يجادلونهم بالقرآن وعشر بالشاب » .

وحديث « إذا كانت سنة ستين ومائة ، كان كذا وكذا » .

وحديث « أصحابي أهل إيمان وعمل إلى أربعين ، وأهل بر وتقوى إلى الثمانين ، وأهل تواصل وتراحم إلى العشرين ومائة ، وأهل تدابر وتقاطع إلى الستين ومائة ، ثم الهرج والمرج » .

وحديث « الآفات بعد المائتين » .

وحديث « إذا أتت على أمتي ثلاثمائة وثمانون سنة ، فقد حلت لهم الغربة والترهب على رؤوس الجبال » .

فصل

ومنها : أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء ، والتزين ، والتوسعة ، والصلاة فيه ، وغير ذلك من فضائل . لا يصح منها شيء ، ولا حديث واحد . ولا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء ، غير أحاديث صيامه ، وما عداها فباطل .

وأمثل ما فيها « من وسع على عياله يوم عاشوراء ، وسع الله عليه سائر سنته » قال الإمام أحمد : لا يصح هذا الحديث .

وأما حديث الاكتحال ، والادهان بالطيب : فمن وضع الكذابين . وقابلهم آخرون ، فاتخذوه يوم تألم وحزن ، والطائفتان مبتدعتان . خارجتان على السنة .

وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم . ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع .

فصل

ومنها : ذكر فضائل السور ، وثواب « من قرأ سورة كاملة ، فله أجر كذا » من أول القرآن إلى آخره ، كما ذكر ذلك الثعلبى فى أول كل سورة ، والزمخشرى فى آخرها .

قال عبد الله بن المبارك : أظن الزنادقة وضعوها .

والذى صح فى أحاديث السور : حديث فاتحة الكتاب ، وأنه « لم ينزل فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزبور مثلها » .

وحديث « البقرة ، وآل عمران : أنهما الزهراوان » .

وحديث آية الكرسى « وأنها سيدة القرآن » .

وحديث الآيتين من آخر سورة البقرة « من قرأهما ليلة كفتاه » .

وحديث سورة البقرة « لا تقرأ فى بيت فيقرب به شيطان » .

وحديث « العشر آيات من أول سورة الكهف ، من قرأها عصم من فتنة الدجال » .

وحديث « قل هو الله أحد ، وأنها تعدل ثلث القرآن » .

ولم يصح فى فضائل سورة ماصح فيها .

وحديث « المعوذتين ، وأنه ماتعوذ المتعوذون بمثلهما » .

وقوله صلى الله عليه وسلم « أنزل علىّ آيات لم ير مثلهن . ثم قرأهما » وتلى هذه الأحاديث وهو دونها فى الصحة .

وحديث « إذا زلزلت تعدل نصف القرآن » .

وحديث « قل يا أيها الكافرون ، تعدل ربع القرآن » .

وحديث « تبارك الذى بيده الملك ، هى المنجية من عذاب القبر » .

ثم سائر الأحاديث بعد ، كقوله « من قرأ سورة كذا ، أعطى ثواب كذا » فموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اعترف بوضعها واضعها ، وقال : قصدت أن أشغل الناس بالقرآن عن غيره .

وقال بعض جهلاء الوضاعين ، فى هذا النوع : نحن نكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نكذب عليه .

ولا يعلم هذا الجاهل : أن « من قال عليه ما لم يقل ، فقد كذب عليه » واستحق الوعيد الشديد .

فصل

قد وضع جهلة المنتسبين إلى السنة فى فضائل الصديق رضى الله عنه .

حديث « إن الله يتجلى للناس يوم القيامة ، ولأبى بكر خاصة » .

وحديث « ماصب الله فى صدرى شيئاً ، إلا صببته فى صدر أبى بكر » .

وحديث « وكان إذا اشتاق إلى الجنة ، قبل شيبة أبى بكر » .

وحديث « أنا وأبو بكر كفرسى رهان » .

وحديث « إن الله لما اختار الأرواح ، اختار روح أبى بكر » .

وحديث عمر « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر يتحدثان ، وكنت أنا كالزنجى بينهما » .

وحديث « لو حدثتكم بفضائل عمر رضى الله عنه عمر نوح فى قومه مافنيت ، و إن عمر حسنة من حسنات أبى بكر » .

وحديث : « ماسبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، و إنما فضلكم بشىء وقر فى صدره » وهذا من كلام أبى بكر بن عياش .

فصل

وأما ماوضعه الرافضة من فضائل على : فأكثر من أن يعد .

قال الحافظ أبو يعلى الخليلى ، فى كتاب الإرشاد : وضعت الرافضة من فضائل على رضى الله عنه وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث .

ولا تستبعد هذا . فإنك لو تتبعت ماعندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال .

ومن ذلك : ماوضعه بعض جهلة أهل السنة ، فى فضائل معاوية بن أبى سفيان .

قال إسحاق بن راهويه : لا يصح فى فضل معاوية بن أبى سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم شىء .

قلت : ومراده ، ومراد من قال ذلك من أهل الحديث : أنه لم يصح حديث فى مناقبه

٥٦

بخصوصه ، وإلا فما صح عندى فى مناقب الصحابة على العموم ، ومناقب قريش ، فمعاوية رضى الله عنه داخل فيه .

فصل

ومن ذلك : ماوضعه الكذابون فى مناقب أبى حنيفة ، والشافعى ، على التنصيص على اسمهما .

وما وضعه الكذابون أيضاً فى ذمهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما يروى من ذلك كله كذب مختلق .

فصل

ومن ذلك : الأحاديث فى ذم معاوية .

وكل حديث فى ذمه فهو كذب .

وكل حديث فى ذم عمرو بن العاص فهو كذب .

وكل حديث فى ذم بنى أمية فهو كذب .

وكل حديث فى مدح المنصور والسفاح والرشيد فهو كذب .

وكل حديث فى مدح بغداد ، اوالبصرة ، والكوفة ، ومرو ، وقزوين ، وعسقلان ، والاسكندرية ، ونصيبين ، وإنطاكية : فهو كذب .

وكل حديث فى تحريم ولد العباس على النار : فهو كذب .

وكل حديث فى مدح أهل خراسان الخارجين مع عبد الله ، وعلى ، ولد العباس : فهو كذب .

وكل حد ث أن مدينة كذا وكذا من مدن الجنة ، أو من مدن النار : فهو كذب .

وكل حديث : فيه ذم يزيد بن معاوية : فكذب .

وكذلك أحاديث ذم الوليد ، وذم مروان بن الحكم .

وحديث : عدد الخلفاء من ولد العباس كذب .

وحديث : ذم أبى موسى من أقبح الكذب .

وحديث « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاوية ، وعمرو بن العاص فقال : أركسهما في الفتنة ركسا ، دعهما إلى النار دعا » كذب مختلق .

فصل

وكل حديث فيه « أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص » فكذب مختلق .

وقابل من وضعها طائفة أخرى ، فوضعوا أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإيمان يزيد وينقص » وهذا كلام صحيح ، وهو إجماع السلف . حكاه الشافعي وغيره .

ولكن هذا اللفظ كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مثل إجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة وأئمة الفقه ، على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . وليست هذه الألفاظ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن روى ذلك عنه فقد غلط .

فصل

وكل حديث في التنشيف بعد الوضوء . فإنه لا يصح .

وكذا حديث مسح الرقبة في الوضوء باطل .

وأحاديث الذكر على أعضاء الوضوء كلها باطل . ليس فيها شيء يصح .

وأقرب ماروى منها : أحاديث التسمية على الوضوء .

وقد قال الإمام أحمد : لا يثبت في التسمية على الوضوء حديث . انتهى .

ولكنها أحاديث حسان .

وكذلك حديث التشهد بعد الفراغ من الوضوء ، وقول المتوضي « أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » .

وفي حديث آخر رواه بقي بن مخلد في مسنده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت . أستغفرك وأتوب إليك » .

فهذ الذكر بعده ، والتسمية قبله : هو الذى رواه أهل السنن ، والمسانيد .
وأما الحديث الموضوع فى الذكر على كل عضو : فباطل .

فصل

وكذلك تقدير أقل الحيض بثلاثة أيام ، وأكثره بعشرة : ليس فيها شىء صحيح . بل كله باطل .

وكذلك حديث « لا صلاة لمن عليه صلاة » .

قال إبراهيم الحربى : سألت أحمد بن حنبل عن هـذا الحديث ؟ فقال : لا أعرفه . قال الحربى : ولا سمعت أنا بهذا فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصل

ومن الأحاديث الباطلة : حديث « من بشرنى بخروج نيسان ضمنت له على الله الجنة »

وحديث « من آذى ذمياً فقد آذانى » .

وحديث « يوم صومكم يوم فطركم يوم رأس سنتكم » .

وحديث « للسائل حق وإن جاء على فرس » .

قال الإمام أحمد : أربعة أحاديث تدور فى الأسواق . لا أصل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر هذه الأحاديث الأربعة .

ومن ذلك : حديث « لولا كذب السائل ما أفلح من رده » قال العقيلى : ليس فى هذا الباب شىء يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك : حديث طلب الخير من الرحماء ومن حسان الوجوه .

قال العقيلى : ليس فى هذ الباب شىء يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك : أحاديث التحذير من التبرم بحوائج الناس ليس فيها شىء صحيح .

قال العقيلى : وقد روى فى هذا الباب أحاديث ليس فيها شىء يثبت .

وكذلك حديث « السخى قريب من الناس . قريب من الجنة . والبخيل عكسه » .

قال الدارقطنى : لايثبت فيها حديث بوجه .

ومن ذلك : أحاديث اتخاذ السرارى ، كحديث « اتخذوا السرارى . فإنهن مباركات الأرحام » .

قال العقيلى : لا يصح فى السرارى عن النبى صلى الله عليه وسلم شىء .

فصل

ومن هذا أحاديث مدح الغربة . كلها باطل .

ومن ذلك : أحاديث النهى عن قطع السدر . قال العقيلى : لايصح فى قطع السدر شىء . وقال أحمد : ليس فيه حديث صحيح .

ومن ذلك: ماتقدمت الإشارة إلى بعضه ، أحاديث مدح العدس . والأرز . والباقلاء . والباذنجان . والرمان . والزبيب . والهندباء . والكراث . والبطيخ . والجزر . والجبن . والهريسة . وفيها جزء وكله كذب من أوله إلى آخره .

وأقرب ماجاء فيها حديث « أفضل طعام الدنيا والآخرة : اللحم » .

وقال العقيلى : لايصح فى هذا المتن عن النبى صلى الله عليه وسلم شىء .

ومن هذا حديث « النهى عن قطع اللحم بالسكين ، وأنه من صنع الأعاجم .

قال الإمام أحمد : ليس بصحيح . و « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتز من لحم الشاة و يأكل » .

ومن ذلك : أحاديث النهى عن الأكل فى السوق . كلها باطلة .

قال العقيلى : لا يثبت فى هذا الباب شىء عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك : أحاديث البطيخ وفضله . وفيه جزء .

وقال الإمام أحمد : لايصح فى فضل البطيخ شىء ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكله .

ومن ذلك : أحاديث فضائل الأزهار ، كحديث فضل النرجس ، والورد ، والمرزنجوش ، والبنفسج ، والبان . كلها كذب .

ومن ذلك : أحاديث فضائل الديك كلها كذب . إلا حديثاً واحداً « إذا سمعتم صياح الديك : فاسألوا الله من فضله » وقد تقدم ذلك .

فصـل

ومن ذلك : أحاديث الحناء وفضله ، والثناء عليه . وفيه جزء لايصح منه شيء .

وأجود مافيه : حديث الترمذى « أربع من سنن المرسلين : السواك ، والطيب ، والحناء » .

وسمعت شيخنا أبا الحجاج المزى يقول : هذا غلط من بعض الرواة . وإنما هو الختان بالنون . كذلك رواه المحاملى عن شيخ الترمذى . قال : والظاهر أن اللفظة وقعت فى آخر السطر . فسقطت منها النون فرواها بعضهم « الحناء » و بعضهم « الحياء » و إنما هو « الختان »

وصح حديث : الخضاب بالحناء والـكَتَم .

ومن ذلك : التختم بالعقيق . قال العقيلى : لا يثبت فى هذا شيء عن النبى صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك : حديث النهى أن تقص الرؤيا على النساء .

قال العقيلى : لا يحفظ من وجه يثبت .

ومن ذلك : أحاديث « لا يدخل الجنة ولد زنا »

قال أبو الفرج بن الجوزى : وقد ورد فى ذلك أحاديث ليس فيها شيء يصح . وهى معارضة بقوله تعالى (١٧ : ٥٥ ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

قلت : ليست معارضة بها إن صحت . فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه ، بل إن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب فى الغالب . ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة . فإن كانت فى هذا الجنس طيبة دخلت الجنة . وكان الحديث من العام المخصوص .

وقد ورد فى ذمه « أنه شر الثلاثة » وهو حديث حسن . ومعناه صحيح بهذا الاعتبار . فإن شر الأبوين عارض . وهذا نطفة خبيثة . وشره من أصله . وشر الأبوين من فعلهما[1]

(١) فى هذا الكلام نظر . فمن أين يجيئه الخبث . والخبيث والخبيثة الزانى والزانية بنص القرآن .

فصل

ومن ذلك : حديث « ليس لفاسق غيبة » .

قال الدارقطنى والخطيب : قد روى من طرق . وهو باطل .

ومن ذلك : أحاديث النهى عن سب البراغيث . قال العقيلى : لايصح فى البراغيث عن النبى صلى الله عليه وسلم شىء .

ومن ذلك : أحاديث اللعب بالشطرنج ـ إباحة وتحريماً ـ كلها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يثبت فيه المنع عن الصحابة .

ومن ذلك : حديث « لا تقتل المرأة إذا ارتدت » .

قال الد رقطنى : لايصح هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك : حديث « من أهديت إليه هدية وعنده جماعة فهم شركاؤه » .

قال العقيلى : لايصح فى هذا الباب شىء .

وقال البخارى فى صحيحه : باب من أهدى له هدية وعنده جلساء فهو أحق . قال : ويذكر عن ابن عباس « إن جلساءه شركاءه » ولم يصح .

ومن ذلك حديث « أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً » .

قال شيخنا : لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك حديث الأبدال والأقطاب ، والأغواث ، والنقباء والنجباء ، والأوتاد . كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقرب مافيها « لا تسبوا أهل الشام . فإن فيهم البدلاء . كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر » ذكره أحمد ، ولا يصح أيضاً . فإنه منقطع .

فصل

ومن ذلك : المنع من رفع اليدين فى الصلاة عند الركوع والرفع منه . كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يصح منها شىء . كحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

« إنما أصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فصلى فلم يرفع يديه إلا فى أول مرة » .

قال ابن المبارك : قد ثبت حديث سالم عن أبيه - يعنى فى الرفع - ولم يثبت حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه .

وكحديثه الآخر « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر . فلم يرفعوا إلا عند افتتاح الصلاة » وهو منقطع لايصح .

وحديث : يزيد بن أبى زياد عن ابن أبى ليلى عن البراء « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب من أذنيه . ثم لا يعود »

قال الشافعى : ذهب بعض الناس إلى تغليط يزيد .

وقال الإمام أحمد : هذا حديث واه . وقال يحيى بن أبى زياد : ضعيف الحديث .

وقال ابن عدى : ليس بذاك . وضعف هذا الحديث جمهور أهل الحديث . وقالوا : لايصح .

وحديث وكيع عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن مِقْسَم عن ابن عباس ، وعن نافع عن ابن عمر . قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترفع الأيدى فى سبع مواطن . عند افتتاح الصلاة ، واستقبال القبلة[1] ، والصفا والمروة ، والموقفين ، والجمرتين » لا يصح رفعه . والصحيح وقفه على ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم .

وحديث أورده البخارى فى الخلافيات ، من رواية عبد الله بن عوف الحداد . حدثنا مالك عن الزهرى ، عن سالم عن أبيه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة . ثم لا يعود » .

ومن شم روائح الحديث على بعدٍ : شَهِد بالله أنه موضوع .

وحديث أبى الزبير « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى أول الصلاة ثم لم يرفعها » وهو موضوع .

---

(١) لعله الكعبة .

وحديث وضعه محمد بن عكاشة الكرمانى عن أنس رضى الله عنه ـ موقوفا « من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له » قبح الله واضعه .

فصل

ومن ذلك حديث « إن الناس يوم القيامة يدعون بأمهاتهم لا بآبائهم » هو باطل . والأحاديث الصحيحة بخلافه .

قال البخارى فى صحيحه : باب يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم . ثم ذكر حديث « ينصب لكل غاد لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، يقال : هذه غدرة فلان بن فلان » وفى الباب أحاديث أخرى غير ذلك .

فصل

ومن ذلك « حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً للفقراء ، ورقص حتى شق قميصه » فلعن الله واضعه . ما أجرأه على الكذب السمج .

وحديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » وهو من وضع المشركين عبّاد الأوثان .

وحديث « اتخذوا مع الفقراء أيادى . فإن لهم دولة يوم القيامة . وأى دولة »

وحديث « من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد » موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحديث « من أكل مع مغفور غفر له » موضوع أيضاً .

وغاية ماروى فيه : أنه منام رآه بعض الناس .

وحديث « من قصّ أظفاره مخالفاً لم ير فى عينيه رمداً » من أقبح الموضوعات .

وحديث « إذا دعت أحدكم أمه وهو فى الصلاة فليجب ، وإذا دعاه أبوه فلا يجب » يرويه عبد العزيز بن أبان القرشى الأموى . قال البخارى : تركوه . وقال ابن معين وغيره : كذاب . روى أحاديث موضوعة .

وحديث جابر فى التشهد ، وفى أوله « بسم الله . التحيات لله » يرويه حميد بن الربيع عن أبى عاصم عن ابن جريج عن أبى الزبير عنه . قال ابن معين : حميد هذا كذاب . وقال النسائى : ليس بشىء .

فصل

وسألتَ عن حديث « لا مهدى إلا عيسى ابن مريم » فكيف يأتلف هذا مع أحاديث المهدى وخروجه ؟ وما وجه الجمع بينهما ؟ وهل فى المهدى حديث أم لا ؟

فأما حديث « لا مهدى إلا عيسى ابن مريم » فرواه ابن ماجه فى سننه عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعى عن محمد بن خالد الجَنَدى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس ابن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهو مما تفرد به محمد بن خالد .

قال أبو الحسين محمد بن الحسين الإبَرِى فى كتاب مناقب الشافعى : محمد بن خالد ـ هذا ـ غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل . وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدى ، وأنه من أهل بيته . وأنه يملك سبع سنين . وأنه يملأ الأرض عدلا . وأن عيسى يخرج ، فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، و يصلى عيسى خلفه .

وقال البيهقى : تفرد به محمد بن خالد هذا .

وقد قال الحاكم أبو عبد الله : هو مجهول .

وقد اختلف عليه فى إسناده . فروى عنه عن أبان بن أبى عياش عن الحسن ـ مرسلا ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد ـ وهو مجهول ـ عن أبان بن أبى عياش ـ وهو متروك ـ عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو منقطع . والأحاديث على خروج المهدى أصح إسنادا .

قلت : كحديث عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجل منى ـ أو من أهل بيتى ـ يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى . يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا » رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

قال : وفى الباب عن على ، وأبى سعيد ، وأم سلمة ، وأبى هريرة .

ثم روى حديث أبى هريرة . وقال : حسن صحيح . انتهى .

وفى الباب عن حذيفة بن اليمان ، وأبى أمامة الباهلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وثوبان ، وأنس بن مالك ، وجابر ، وابن عباس ، وغيرهم .

وفى سنن أبى داود عن على رضى الله عنه : أنه نظر إلى ابنه الحسن . فقال « إن ابنى هذا سيد ـ كما سماه النبى صلى الله عليه وسلم ـ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم . يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق . يملأ الأرض عدلاً [(١)] » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدى منى ، أجلأ الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً . كما ملئت جوراً وظلماً ، يملك سبع سنين » رواه أبو داود بإسناد جيد من حديث عمران بن دَوَّار القَمِّى القطان . وقال : حسن الحديث ، عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عنه . وروى الترمذى نحوه من وجه آخر .

وروى أبو داود من حديث صالح بن أبى مريم ـ أبو الخليل الضبعى ـ عن صاحب له عن أم سلمة عن النبى صلى صلى الله عليه وسلم قال « يكون اختلاف عند موت خليفة . فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة . فيأتيه ناس من أهل مكة . فيخرجونه وهو كاره . فيبايعونه بين الركن والمقام . ويبعث إليه جيش من الشام . فيخسف به بالبيداء بين مكة والمدينة . فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام ، وعصائب أهل العراق فيبايعونه . ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كلب . فيبعث إليهم بعثاً . فيظهرون عليهم . وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب . فيقسم المال . ويعمل فى الناس بسنة نبيهم . ويلقى الإسلام بجرانه فى الأرض . فيلبث سبع سنين ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » .

وفى رواية « فيلبث تسع سنين » .

ورواه الإمام أحمد باللفظين . ورواه أبو داود من وجه آخر عن قتادة عن أبى الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم سلمة نحوه .

---

(١) لم يسنده إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ورواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده من حديث قتادة عن صالح أبى الخليل عن صاحب له وربما قال صالح : عن مجاهد عن أم سلمة .

والحديث حسن . ومثله مما يجوز أن يقال فيه : صحيح[(١)] .

وقال ابن ماجه فى سننه : حدثنا عثمان بن أبى لهيعة حدثنا أبو داود الجمبرى حدثنا ياسين عن إبراهيم بن محمد بن الحنيفية اعن أبيه عن على قال : قال رسول الله عليه وسلم « يخرج ناس من أهل المشرق . فيوطؤون للمهدى سلطانه » .

وذكر أبو نعيم فى كتاب المهدى من حديث حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه أسمى ، وخلقه خلقى . يكنى أبا عبد الله » ولكن فى إسناده العباس بن بكار لايحتج بحديثه .

وقد تقدم هذا المتن من حديث أبى مسعود وأبى هريرة . وهما صحيحان .

وقد قالت أم سلمه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المهدى من عترتى من ولد فاطمة » رواه أبو داود وابن ماجه .

وفى إسناده زياد بن بنان . وثقه ابن حبان . وقال ابن معين : ليس به بأس . وقال البخارى : فى إسناد حديثه نظر .

وقال أبو نعيم : حدثنا خلف بن أحمد بن العباس الرامهرمزى فى كتابه حدثنا همام بن أحمد ابن أيوب حدثنا طالوت بن عباد حدثنا سويد بن إبراهيم عن محمود بن عمر عن أبى سلمة ، ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليبعثن الله من عترتى رجلاً ، أفرق الثنايا ، أجلأ الجبهة . يملأ الأرض عدلاً . يفيض المال فى زمنه » ولكن طالوت وشيخه ضعيفان . والحديث ذكرناه للشواهد .

وقال يحيى بن عبد الحميد الحمانى فى مسنده : حدثنا قيس بن الربيع عن أبى حصين عن أبي صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة حتى يملك

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى التهذيب ـ فى ترجمة صالح أبى الخليل ـ قال ابن عبد البر فى التمهيد : لايحتج به

رجل من أهل بيتى ، يفتح القسطنطينية وجبل الديلم . ولو لم يبق إلا يوم طول الله ذلك اليوم حتى يفتحها » .

يحيى بن عبد الحميد وثقه ابن معين وغيره . وتكلم فيه أحمد .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو الفرج الأصبهانى حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أبو جعفر بن طارق عن الجيد بن نظيف عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منا الذى يصلى عيسى ابن مريم خلفه . فيقول : ألا إن بعضهم على بعض أمراء ، تكرمة الله لهذه الأمة » .

وهذا إسناد لاتقوم به حجة ، لكن فى صحيح ابن حبان من حديث عطية بن عامر نحوه.

وقال الحارث بن أبى أسامة فى مسنده : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا إبراهيم ابن عقيل عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى ابن مريم . فيقول أميرهم المهدى : تعال صل بنا . فيقول : لا . إن بعضهم أمير بعض ، تكرمة الله لهذه الأمة » وهذا إسناد جيد .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكريا الهلالى حدثنا العباس بن بكار حدثنا عبد الله بن زياد عن الأعمش عن زر بن حبيش عن حذيفة قال « خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم – فذكر ما هو كائن . ثم قال –: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدى اسمه إسمى » ولكن هذا إسناد ضعيف .

وهذه الأحاديث أربعة أقسام :

صحاح ، وحسان ، وغرائب ، وموضوعة .

وقد اختلف الناس فى المهدى على أربعة أقوال:

أحدها : أنه المسيح ابن مريم . وهو المهدى على الحقيقة .

واحتج أصحاب هذا بحديث محمد بن خالد الجندى المتقدم ، وقد بينا حاله ، وأنه لا يصح ولو صح لم يكن فيه حجة ، لأن عيسى أعظم مهدى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الساعة .

وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وحكمه بكتاب الله ، وقتله اليهود والنصارى ، ووضعه الجزية وإهلاك أهل الملل في زمانه .

فيصح أن يقال : لا مهدي في الحقيقة سواه . وإن كان غيره مهدياً .

كما يقال : لا علم إلا ما نفع . ولا مال إلا ماوقي وجه صاحبه .

وكما يصح أن يقال : إنما المهدي عيسى ابن مريم . يعني المهدي الكامل المعصوم .

القول الثاني : أنه المهدي الذي ولي من بني العباس . وقد انتهى زمانه .

واحتج أصحاب هذا القول بما رواه أحمد في مسنده : حدثنا وكيع عن شريك عن علي ابن زيد عن أبي قلابة عن ثوبان . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فائتوها ولو حبواً على الثلج . فإن فيها خليفة الله المهدي » .

وعلي بن زيد : قد روى له مسلم متابعة . ولكن هو ضعيف . وله مناكير تفرد بها . فلا يحتج بما ينفرد به .

وروى ابن ماجه من حديث الثوري عن خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . وتابعه عبد العزيز بن المختار عن خالد .

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم . فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه ، وتغير لونه . فقلت : مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ؟ قال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا . وإن أهل بيتي سيلقون بلاء وتشريداً وتطريداً ، حتى يأتي قوم من أهل المشرق ومعهم رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه . فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ماسألوا . فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي . فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً . فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج » .

وفي إسناده يزيد بن أبي زياد ، وهو سيء الحفظ . اختلط في آخر عمره ، وكان يقلد الفلوس[1] .

(١) يعني يزيف النقد .

وهذا ، والذى قبله ، لو صح : لم يكن فيه دليل على أن المهدى الذى تولى من بنى العباس هو المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان . بل هو مهدى من جملة المهديين ، وعمر بن عبد العزيز كان مهدياً ، بل هو أولى باسم المهدى منه .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » .

وقد ذهب الإمام أحمد ـ فى إحدى الروايتين عنه ، وغيره ـ إلى أن عمر بن عبد العزيز منهم . ولا ريب أنه كان راشداً مهدياً ، ولكن ليس بالمهدى الذى يخرج فى آخر الزمان

فالمهدى : فى جانب الخير والرشد كالدجال فى جانب الشر والضلال ، وكما أن بين يدى الدجال الأكبر صاحب الخوارق دجالون ، كذابون . فكذلك بين يدى المهدى الأكبر مهديون راشدون .

القول الثالث : أنه رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، من ولد الحسن ابن علىّ ، يخرج فى آخر الزمان ، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً ، فيملؤها قسطاً وعدلاً وأكثر الأحاديث على هذا تدل ، وفى كونه من ولد الحسن سر لطيف .

وهو أن الحسن رضى الله تعالى عنه ، ترك الخلافة لله . فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق . المتضمن للعدل الذى يملأ الأرض . وهذه سنة الله فى عباده ؛ أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله ـ أو أعطى ذريته ـ أفضل منه .

وهذا بخلاف الحسين رضى الله عنه ، فإنه حرص عليها ، وقاتل عليها ، فلم يظفر بها . والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج رجل من أهل بيتى ، يعمل بسنتى ، وينزل الله له البركة من السماء ، وتخرج له الأرض بركتها ، ويملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت ظلماً ويعمل على هذا الأمر سبع سنين ، وينزل بيت المقدس » .

وروى أيضاً من حديث أبى أمامة قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وذكر الدجال ـ قال : فتنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد . ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص . فقالت : أم شريك : فأين العرب يارسول الله ؟ فقال : هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس ، وإمامهم المهدى رجل صالح » .

وروى أيضاً من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم تهلك أمة وأنا فى أولها ، وعيسى والمهدى فى وسطها » .

وهذه الأحاديث ـ وإن كان فى إسنادها بعض الضعف والغرابة ـ فهى مما يقوى بعضها بعضاً ، ويشد بعضها ببعض . فهذه أقوال أهل السنة .

* * *

وأما الرافضة الإمامية : فلهم قول رابع . وهو أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى المنتظر من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، الحاضر فى الأمصار ، الغائب عن الأبصار الذى يورث العصا ، ويختم الفضا . دخل سرداب سامرًا طفلا صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة . فلم تره بعد ذلك عين . ولم يحس فيه بخبر ولا أمر . وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب . ويصيحون به ، أن يخرج إليهم : أخرج يا مولانا ، أخرج يا مولانا . ثم يرجعون بالخيبة والحرمان . فهذا دأبهم ودأبه .

ولقد أحسن من قال :

ما آن للسرداب أن يلد الذى　　كلمتموه بجهلكم ما آنا ؟

فعلى عقولكم العفاء . فإنكم　　ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بنى آدم ، وضحكة يسخر منهم كل عاقل .

* * *

أما مهدى المغاربة : محمد بن تومرت . فإنه رجل كذاب . ظالم متغلب بالباطل . ملك بالظلم والتغلب والتحيل . فقتل النفوس . وأباح حريم المسلمين . وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم . وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير . وكان يودع بطن الأرض فى القبور جماعة من أصحابه أحياء ، يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدى الذى بشر به النبى

صلى الله عليه وسلم . ثم يردم عليهم ليلاً لئلا يكذبوه بعد ذلك . وسمى أصحابه الجهمية : الموحدين نفاةُ صفاة الرب وكلامه ، وعلوه على خلقه ، واستوائه على عرشه ، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان . وتسمى بالمهدى المعصوم .

* * *

ثم خرج المهدى الملحد عبيد الله بن ميمون القداح . وكان جده يهودياً من بيت مجوسى . فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت .

وادعى أنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ، وملك وتغلب . واستفحل أمره ، إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون ـ الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله ـ على بلاد المغرب ، ومصر ، والحجاز ، والشام . واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم .

وكانوا يدعون الإلهية . ويدعون أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرها .

وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين . فتستروا بالرفض والانتساب ـ كذبا ـ إلى أهل البيت . ودانوا بدين أهل الإلحاد وروجوه . ولم يزل أمرهم ظاهراً إلى أن أنقذ الله الأمة منهم . ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف بن أيوب . فاستنقذ الملة الإسلامية منهم وأبادهم . وعادت مصر دار إسلام ، بعد أن كانت دار نفاق و إلحاد فى زمنهم .

والمقصود أن هؤلاء لهم مهدى . وأتباع ابن تومرت لهم مهدى ، والرافضة الإثنى عشرية لهم مهدى .

فكل هذه الفرق تدعى فى مهديها الظلوم الغشوم ، والمستحيل المعدوم : أنه الإمام المعصوم ، والمهدى المعلوم ، الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبر بخروجه . وهى تنتظره . كما تنتظر اليهود القائم ، الذى يخرج فى آخر الزمان . فتعلوا به كلمتهم ، ويقوم به دينهم . وينصرون به على جميع الأمم .

والنصارى تنتظر المسيح يأتى يوم القيامة . فيقيم دين النصرانية . ويبطل سائر الأديان . وفى عقيدتهم : نزع المسيح الذى هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى نزل

طامينا(١) ـ إلى أن قالوا ـ وهو مستعد للمجىء قبل يوم القيامة .

فالملل الثلاث تنتظر إماما قائما ، يقوم فى آخر الزمان .

ومنتظر اليهود الذى يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً .

وفى المسند ـ مرفوعاً ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم « أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء »

والنصارى تنتظر المسيح عيسى ابن مريم . ولا ريب فى نزوله ، ولكن إذا نزل كسر الصليب ، وقتل الخنزير . وأباد الملل كلها سوى ملة الإسلام .

وهذا معنى الحديث « لا مهدى إلا عيسى ابن مريم » .

والله أعلم بالصواب . و إليه المرجع والمآب .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم مدة ذكر الذاكرين ، وسهو الغافلين والحمد لله رب العالمين .

بالأصل ما نصه : بلغ مقابلة على أصل أظنه بخط السيد نور الدين على السمهودى ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه مؤرخ المدينة صاحب كتاب « وفاء الوفاء » .

وهذا الأصل قد جاءنا به من مكاتب ألمانيا الأخ الأديب ، خادم العلم والعلماء الأستاذ فؤاد السيد ، مدير قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، فجزاه الله خير الجزاء .

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله ورسوله الكريم محمد وعلى آله أجمعين .

---

(١) كذا فى الأصل . وعقيدة النصارى فى بنوة عيسى هى مثل عقيدة البوذيين فى بنوة بوذى ، ومثل عقيدة اليابانيين فى بنوة امبراطورهم المقدس ، وهى عقيدة كل الوثنين قديماً وحديثاً . فانها تقوم على أساس أن المقدس المألوه هو النور الذى فاض وانبثق من ربهم . فأخذ كل خصائص الرب وصفاته . ولذلك يقول الوثنيون اليوم : إن فى أوليائهم شىء لله . يعنون خصائص الربوبية ، وهى عقيدة الصوفية فى وحدة الوجود . والحمد لله عافانا وهدانا .

خواطر :

بين الصليبية ، و بين الإسلام

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

فى حشرجة الزنديق المحتضر ، وفى سُعَار النابح المخبول ، وقف ناعب الصليبية الوثنى « سلوين لويد » وزير خارجية انجلترا ، يحذر وثنية الغرب الجاحدة من النور الذى بدأ يستهل من أفق الشرق المجيد . يحذر الصليبية التى توغل فى الجمود الأصم من قائد مصر ، لأنه وَحَّد قوى العرب والمسلمين ، ليدك بها سطوة الغرب الجائرة ، فإذا ما كُتب له الغَلَب ، فسيقضى على الحضارة المسيحية !! .

قال « سلوين لويد » هذا ؛ ليؤلب الصليبية مرة أخرى ضد الإسلام ، بل ، لتخسف هذا النور الوليد الحبيب قبل أن ينتشر ، وتهتدى الإنسانية بإشراقه الجميل . وهكذا يلوذ هذا الغاصب الأحمق بما تلوذ به الصليبية دائما ، وهى العصبية الحمقاء[1] التى تستعر حقداً متأجِّجا ، وغلا مُحتفاً ، وحسدا مقيتا تأثر البغى ضد الإسلام .

ولست أدرى ماتلك الحضارة الصليبية التى يفىء دنُسها على شدقيه ؟ !!

إن الحضارة فى معناها الأصيل عند مبتدعيها تستهدف تحقيق السعادة للفرد وللمجتمع ، وتعبيد السبيل الإنسانية ؛ لتبلغ غايتها من الكمال المنشود . فهل حققت الحضارة الصليبية أثارة من ذلك ؟ ! إنها عملت وتعمل على توطيد سطوة البغى الجائر ، واستعباد الشعوب التى لاذنب لها سوى أنها تنشد الحرية والسلام ، فليس لها من هدف إلا شقاء الإنسانية ، وتعاستها . و إن كان يعنى بقوله ماسخره العلم من قوى الكون للإنسان ، أو هذا العلم نفسه . فليس أحدهما من نتاج الحضارة الصليبية المدّعاة ، و إنما هو نتاج العقل الإنسانى العام .

سل الشعوب فى آسيا و إفريقيا وأوروبا . سل هذه الجماجم التى تعوى فيها الرياح

(١) من عبيد الغرب فى الشرق شرذمة تعيب علينا أن نعتصم بشريعة الإسلام وتتهمنا بالتعصب !! يفعل ذلك رعاية لشعور سادته الأنجليز فما بالهم بهذه العصبية .

ويطل العدم من محاجرها فزعاً ورهبة ، سل تلك الأشلاء المنتثرة على الربوات والنجود فى السهول والصحارى . إنها الصليبية الباغية التى تأبى إلا أن تعب الدم المسفوح ، وتطعم من لحوم الموتى ، وتبنى هيا كل جورها وشهواتها بجماجم الأرامل ، وأرماق اليتامى .

أما الحضارة الإسلامية ، فسلوا المشرقين ، وسلوا المغربين ، فإن الإنسانية فى شتى مواطنها ومختلف نزعاتها لم تنعم بحياة رائعة وريفة النعيم ، كتلك الحياة التى غرس الإسلام ربيعها اليانع ، وأطلع شمسها الدافئة ، وقمرها الوضىء ، وجعل لياليها أعراس سعادة ، وأفراح آمال ، وصباحها إشراق بشائر ، وأغاريد مجد يشع من سماته جلال الخلود ، فكأنما اتصل أزلها بأبدها على ربوة من ربى الفردوس . إنها حققت السعادة النفسية والمادية للفرد وللمجتمع ، وبسطت سكينتها الآمنة على العالم فى دعة وسلام ومحبة .

ترى هل أنشأت الحضارة الصليبية مجتمعاً كذلك المجتمع الذى أنشأه وقوّمه الإسلام فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ، أو فى عهد خلفائه ؟ لقد كان المجتمع المثالى الذى تحققت فيه أزكى وأسمى المثل ، وأرفع وأجل القيم ، وأرق ماتصل الإنسانية من كمال ومجد ومحبة تلوذ بالإيثار الزكى والفدائية الملهمة ، وكان الضمير بسيطرة الإيمان عليه ، هو الحاكم والقيم ، فلم تعرف الجريمة الفردية أو الجماعية لها رَدْغَة ، ولم يجد الإثم العامد له حمأة ، بل كانت الأرض كلها قُدُسًا تَرِفُّ عليه روح الحب الطهور ، والربانية المقدسة ، أو محراباً تتنزل فى فجره الملائكة . كان الفرد فيه يعرف حقه ويؤدى فى صدق وعزيمة وحماس واجبه . لا يستلهم فى ذلك إلا هدى ربه ، ولا يرجو من وراء ذلك إلا رضوان ربه فإن استهوته خطيئة ، أو غام قلبه بإثم ، استهلت فى جوانب نفسه أنوار السماء فبددت ظلماتها . وثَمّت يدفع بنفسه — وهو ريّان الرضا — إلى أن يؤخذ بحق الله منه ، دون أن يلوذ بيمين كاذبة ، أو اختلاق شاهد زور يدرأ عنه حدود الله .

إنه داعب الفتنة ، أو غازلته الخطيئة فى غيابة الليل دون أن تلحظه حتى نظرة حَيْرى ، أو تَسَمَّع به أذن واعية . ولكن نور الإيمان يهتك عنه الحجب ، فيدرك بحق أن هناك من كان يراه . وقد رآه . إنه ربه السميع البصير ، وهو يحب ربه . يحب رضاه ، ويخاف غضبه ،

تغمره الحياء من الله ، فيهفو مسرعاً لكى يقام عليه الحد الذى ربما أهلكه . ولكنه أعظم الناس سعادة بذلك ، لأنه طهر الروح من لوثة الجسد ، لأنه عاد إلى الله .

وتلك فرنسا فى دعارتها ألمسِفَّة فى الصغار ، وانجلترا فى جحودها المنكر ، وأمريكا فى ماديتها الحمقاء . إنها فى ذروة حضارتها ومدنيتها تسفك فى كل لحظة عشرين جريمة ، وتقترف آلاف الخطايا الفردية . ولديها قوى الشرطة المنبثة بطائرتها ودباباتها فى كل مكان فهل استطاعت أن تحمى المجتمع من بغى الفرد ، وهل استطاعت أن تنشىء مجتمعاً ينعم بالدعة ؟ ! بل أنشأته يستبد به القَلَق المدمِّر ، ويعصف به الخوف القاتل . ولن تعرف السعادة طريقها إلى نفس قلقة ، أو قلب خائف .

أما فى المجتمع الإسلامى الحق ، فما كان ثَمَّ إلا الإيمان حارسا يقظاً وقاضياً عدلا ، يحرس الفرد ، ويقضى فى أمره إذا زلَّت به قدم ولقد استفاض نور الإسلام حتى غمر المشرقين . فلم تنعم الإنسانية بمثل مانعمت به ، وهى فى حرمه وحماه ، بل لقد عاشت فى ظله المسيحية واليهودية تنعمان بالأمن والرفهنية . اسمعوا إلى هذا المستشرق المسيحى الإنجليزى ، وقد غلبه الحق ، فأنصفه بعض الإنصاف : « لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام ، أو عن أى اضطهاد قصد منه استئصال الدين المسيحى ، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين ، لاكتسحوا المسيحية » بل إن الصليبيين ـ وقد ضمد المسلمون جراح ذلهم ـ أبوا إلا أن يكونوا حرباً دنيئة مستلئمة الكيد فى استخفاء ضد من آووا أحلامهم الطريدة الشريدة فيقول ذلك المستشرق نفسه عنهم « إنهم استغلوا مناصبهم العالية فى سلب أموال المؤمنين ومضايقتهم ومعاملتهم بشىء كثير من الغلظة والقحة وتجريدهم من أراضيهم وأموالهم ، كما تعرضوا أيضا لبغض كثير من المسلمين ، وفى عصر متأخر اتهم المسيحيون فى زمن الحروب الصليبية باتصالهم بالصليبيين اتصالا ينطوى على الخيانة[1] » هذا قول مستشرق يفخر بصليبيته ، يشهد بأن قومه ، أو سدنة الحضارة الصليبية

---

(١) هذا والنص الذى قبله عن كتاب « الدعوة إلى الإسلام » تأليف أرنولد ص ٧٣ .

فى زعم « سلوين لويد » قد خانوا ذمة المسلمين الذين حَنَوْا عليهم فى رفق ، بل يشهد مرة أخرى أن المسلمين كانوا أبر بالمسيحيين من الصليبيين أنفسهم فيقول عن الحروب الصليبية « لقد اشترى بعض المسلمين النقود الفرنسية التى ابتزها الإغريق « وهم مسيحيون » من الحجاج « يعنى حجاج النصارى » بالقوة والخداع ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم ، فكان البون شاسعا بين المعاملة الرحيمة التى لقيها الحجاج من المسلمين ، و بين ماعانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة[1] » .

هذا شاهد منهم !! .

ونحن نقول : لن تبلغ الإنسانية أملها المنشود فى السلام والحب والخير والعدالة الشاملة المطلقة ، والإخاء الإنسانى العام إلا حين يسيطر عليها الإسلام مرة أخرى .

لاندعى وهابيين

من أجل الأئمة الذين مَنَّ الله بهم على المسلمين الشيخ الجليل « محمد بن عبد الوهاب » إذ قام هذا الشيخ يدعو إلى ربه على بصيرة تستلهم الحق من الكتاب والسنة ، وكانت الوثنية فى طغواها العاصفة والشرك فى سطاه الجائر يجتاحان رمق النور الذابل ، أو البقية اليتيمة من الخير فى نفوس المسلمين ، وكانت العصبية المذهبية فى حماقتها وسفاهتها تغرس العداوة والبغضاء فى قلوب المسلمين ، وتضرب بهم فى تيه من الشقاق الأثيم ، وتجعل منهم أشتاتاً واهنة . فكافح هذا الشيخ الجليل الملهَم كفاحا لايرعشه أن ترجف الأرض من حوله ، ولا أن يرعد الشرك بشياطينه حيال سمعه ، حارب الشرك فى سطوته الباغية ، والعصبية المذهبية فى سفهها الأحمق ، حتى كتب له الله النصر والغلَب فإذا أنوار التوحيد تشرق فى جلال وعزة من الجزيرة العربية مرة أخرى وأحنق هذا النصر طواغيت الشرك ، وكهنة المذهبية ، فكان مماظنوا أنهم يكيدون به له ، هذه الفرية البلقاء الشوهاء التى زعموا بها أن شيخ الإسلام يريد أن يصنع مذهباً خامساً هو « الوهابية » افتروا هذه الفرية رداً

---

(١) ص ٨٢ المصدر السابق

على الهزيمة النكراء التي دكت على رءوسهم هيا كل الوثنية العصبية المذهبية ، وسموا كل من آمن بما ذكّره به الشيخ من الكتاب والسنة « وهابياً » ويشهد الله أن شيخ الإسلام وإخوانه يبرأون من هذه الفرية براءة التوحيد من الشرك ، وبراءة الإسلام من الصوفية ، فما دعا الناس يوما إلى نفسه ، ولا إلى مذهب جديد ، ولكن دعاهم إلى الله ورسوله . ما أمرهم بشيء مفترى ، ولكن ذكرهم بما أمرهم الله به ورسوله . دعاهم إلى الكتاب والسنة ، لا إلى كتب صنعتها الشهوات أو افترتها الأهواء أو ابتدعها كهان المذاهب . مادعاهم إلى أن يكونوا حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة . وإنما دعاهم إلى أن يكونوا مسلمين ؟ !

وظلت هذه الفرية المفتراة يتواصى بها مشرك عن مشرك حتى رمانا بها المشركون المحدثون ، أي الصوفيون ـ فالاسمان مترادفان معنى وغاية ـ اختلقوا ذلك رداً على الساحق الماحق الفاتك من البراهين التي دمغتهم بالوثنية المادية الجاحدة الجامدة ، والتي هتكت الأقنعة السحرية عن وجوههم ، فإذا بها الشرك في أبشع وأحقر صوره ، والتي جلت للمخدوعين حقائق هؤلاء الذين كانوا يزعمون أنهم أحباء آل البيت ، فإذا بهم ـ وقد هتكنا عنهم الستر ـ أعداء رب البيت ، والمطهرين من آل البيت ، وإذا بهم سدنة أصنام يأتفكونها ، ليطعموا سحت نذورها ، وينتهكوا حرمات الله في ساحتها ، ويسفكوا جريمة الغواية في باحاتها ! ! .

ياهؤلاء ! ! لسنا والله بوهابيين ، ولكننا ـ مسلمون . فما يحل لمسلم أن ينزل عن التشرف بهذا الاسم الذي سماه به الله رب العالمين وينتحل اسما غيره أو يقبله ممن يحاول إلصاقه به

أخبار الجماعة

أنصار السنة المحمدية ببور سعيد

جميع الإخوان ببور سعيد قد أخرجهم الله من محنة الاعتداء الغاشم سالمين والحمد لله ، فيما عدا بعض الخسائر المادية . ورد الله كيد المعتدين وباءوا بالخيبة والفشل .

وذلك جزاء الظالمين .

خطبة منـــــــــــــــبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبـــــة الأولى

الحمد لله المنان ، مَنَّ على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة . ويخرجهم من سفه الجاهلية ورعونتها وطيشها ، إلى رشد الإسلام ، وحكمة الإيمان ، وكريم الخصال ، وصالح الأعمال .

وأشهد أن لاإله إلا الله . الشكور الحليم ، الغفور الرحيم ، العفو الكريم . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وسفيره إلى عباده . صلى الله عليه وعلى آله ، صلاة طيبة مباركة دائمة ، على مرّ السنين والأيام .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، بأقوم دين ، وأكرم رسالة ، وأحسن منهج لسعادة الدارين ، والهداية إلى النجدين . فدعا إلى مكارم الأخلاق وجعلها من أسس رسالته فقال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، ونفر أشد التنفير من سيء الأخلاق ، وكثيراً ما كان يدعو فى الصلاة وغيرها (اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ، لايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيء الأخلاق لايصرف عنى سيؤها إلا أنت) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا بين قومه بمكارم الأخلاق ، من الصدق والأمانة والوفاء ، والكرم والسخاء ، وبر الأرامل واليتامى والفقراء ، وإعانة المنكوبين والضعفاء ، وصلة الرحم والأقرباء . وكان عليه الصلاة والسلام من أحب الناس إليهم لما كان يتصف به من تلك الخلال الحميدة ، والسجايا الفاضلة . ولما كان معروفا به من لين الجانب والتواضع وحب الخير للناس جميعا .

لقد كانت تلك الفضائل والسجايا بعض خلقه الكريم قبل الرسالة . فما زادته الرسالة إلا سموا فى الخلق ، وعلواً فى الأدب . فإن الله سبحانه قد تولاه برعايته وعنايته من قبل مبعثه ، بل منذ طفولته ، كما قال عليه الصلاة والسلام (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) . ولقد فطره الله سبحانه طاهر القلب ، عف اللسان ، ليكون وعاء وحيه ، ولسان قرآنه . وأنزل عليه من الآيات والحكمة ، ماجعله أكثر حكمة ، وأوفر أدبا ، وأكرم خلقا ، حتى استحق الثناء منه سبحانه ، بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما وصفه الله تعالى (بالمؤمنين رءوف رحيم) . فكان عليه الصلاة والسلام : لايألوا جهداً ، ولا يدخر وسعا ، ولا يترك سبيلا ، فى تعليم المسلمين دينهم ، وهدايتهم إلى مايقربهم إلى رضوان الله ، من غير استعلاء ولا تكبر ولا غطرسة ، بل فى لين ورحمة ، وعطف ومحبة . كما قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) . وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) وقال تعالى (أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين) وأمره ربه أن يتواضع لمن آمنوا بالله ورسوله ، فقال تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) كما تخفض الطير جناحيها على أفراخها رحمة وشفقة ومحبة لها . وقد فقه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ، فكان يحب أصحابه أعظم حب ، ويعطف عليهم أحنى عطف ، فكان بهم رءوفا رحيما .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادلا أكمل العدل ، ويكره الظلم أشد الكراهة وكان يربط بين الإيمان والعدل ، والظلم والكفر . فما يمكن أن يكون العادل كافراً ، بل لابد أن يكون مؤمنا . فإنه يقول لنفسه : لقد خلقنى ربى وأوجدنى بشراً سوياً من نطفة كانت قبل ذلك ذرة من تراب ، ثم رزقنى من الطيبات ، وسخر لى مافى الأرض وما فى السموات ، فهل من العدل أن أتخذ من دونه إلهاً أعبده ، أو أشركه معه سبحانه ؟ كلا . إن ذلك هو الظلم أبين الظلم . فلما عرف هذه المنزلة ، وآمن هذا الإيمان ، كان يسيراً عليه أن يكون عادلا مع الناس ، وأن يكون عادلا فى بيته ، وأن يكون عادلا فى عمله وبيعه

وشرائه وكل شئونه . فيسعد أهنأ السعادة ، لأن الله يحب المقسطين ، أى العادلين .

وما يمكن أن يكون الظالم إلا كافراً فاجراً . فإنه يبدأ بظلم نفسه فيتخذ من دون الله أنداداً ، ثم يتمادى فيكون ظالما للناس ولكل من حوله . وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم فقال (إن الشرك لظلم عظيم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره النفاق والمنافقين ويقول « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » ويقول الله (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) . وكان يكره الرياء والمرائين ، ويقول : إنه الشرك الأصغر .

وكان عليه الصلاة والسلام : يحب اليسر والسهولة فى الأمور كلها . وكان ينهى عن التعسير والتشديد والغلو ، فيقول (لن يشاد الدين أحد إلا غلبه) ويقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) ويقول (إنما بعثتم ميسرين لا معسرين ، فسددوا وقاربوا) ويقول (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرض قطع ولا ظهراً أبقى) . وكان يقول (رحم الله امرءا سهلا إذا باع ، سهلا إذا اشترى ، سهلا إذا قضى ، سهلا إذا اقتضى) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك ، وقبل ذلك ، حازماً قويا ، شديداً إذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، وهو القائل (والله ، لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) ولقد كانت فاطمة رضى الله عنها من أحب الناس إليه ، ولكنه لا يمكن أن يعطل حداً من حدود الله ، ولو كان فى أحب الناس إليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كريما جواداً محباً للتصدق على الفقراء ، إيماناً بإخلاف الله ، وأنه مدخر عند الله . وكان يحث أصحابه على النفقة ويقول (اتقوا النار ولو بشق تمرة) ويقول (مانقص مال من صدقة) وكان يأمرهم أن ينفقوا من أطيب مارزقهم الله . ويتلو عليهم قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . ومما أخرجنا لكم من الأرض . ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) وقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وربّى بذلك فى نفوسهم الكرم وحب التصدق والإنفاق فى سبيل الله . حتى كان أحدهم يخرج من كل ماله فى سبيل الله . والمال كما تعلمون حبيب إلى النفوس ،

فإنفاقه والتصدق به محك الإيمان . وكثيراً مانجد الزكاة مقرونة بالصلاة فى القرآن مثل قوله تعالى (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله (يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وعشرات من أمثالها فى القرآن الكريم ، دستور المسلمين وهاديهم إلى الصراط المستقيم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم الجار ، ويأمر المسلمين بذلك فيقول لهم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) ويقول (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) فانظروا إلى حال المسلمين اليوم وكيف يتعمدون إلى إيذاء الجار بشتى الوسائل ، وكيف لايبالون فى تقطيع أواصر المحبة والمودة بينهم وبين جيرانهم لأتفه الأسباب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم الضيف ، ويأمر أصحابه رضوان الله عليهم بإكرامه ، ويقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وجعل للضيف حقاً على مضيفه ثلاثة أيام . فقال (الضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك، فهو صدقة عليه) فالثلاثة أيام حق ، وما زاد على ذلك فهو الصدقة . وقد فقه عنه أصحابه أوامره فنفذوها طيبة نفوسهم . فكانوا بذلك سعداء تخفق فوقهم ألوية المحبة الإيمانية ، وتحفهم السكينة والأمن والأمان ، وتنزل عليهم من الله الرحمات والبركات .

جعلنى الله وإياكم مع أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فى الدنيا وفى الآخرة . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبـــة الثانية

الحمد لله فاطر السموات والأرض ومَنْ فيهن وما فيهن . بيده ملكوت كل شيء . وبيده قلوب عباده يقلبها كيف يشاء . نسأله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، شهادة أرجو بها النجاة يوم التناد ، يوم يقوم الناس لرب العالمين . فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ـ جعلنا الله وإياكم منهم ـ وأشهد أن

محمداً عبده ورسوله خير من دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : أيها المسلمون ، ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى . ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل . و إن أول عمل يدل على الإيمان ويصدقه : هو سلوك الإنسان نحو ر به ونحو دينه ونبيه وبنى جنسه . فينبغى أن يكون المسلم مطيعاً لله سبحانه ، مطيعاً لرسوله . لايقدم بين يدى الله ورسوله . فيؤدى حق الله من العبادة ، والتقوى والخشية والخوف والإنابة والتوكل ، وتفويض الأمر كله إليه ، والرضا بما يقضى به . و يؤدى حق رسوله باتباع ماجاء به وتوقيره وتعزيره ونصره وتقديم أمره وقوله على ماتشتهى النفس وتهواه من غير حرج ولا ضيق بأمره أو نهيه . ومن ذلك ماذكرنا فى الخطبة الأولى مما دعا إليه عليه الصلاة والسلام من الآداب والأخلاق . وقد قال صلى الله عليه وسلم (أقربكم فى مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقا ، الذين يألفون و يؤلفون) .

ومن أعظم دواعى التآلف ، أن يحفظ المرء لسانه فلا ينال أخاه المسلم بسوء ، لا فى حضوره بسب أو شتم أو لعن . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال (المسلم لا يكون لعانا ولا شتاما ولا فحاشا) ولا فى غيابه : بأكل لحمه وتمزيق عرضه . فقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال (ولا يغتب بعضكم بعضا) . ومن أسباب الألفة كظم الغيظ والعفو عمن أساء إليك . وأن يسلم أخوك المسلم من يدك ولسانك . كل ذلك فوق أنها من أسباب الألفة فإنها من أسباب رحمة الله وعفوه ومغفرته . نسأل الله أن يوفقنا لذلك .

وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم صلة الرحم ، وأمر بها أصحابه فقال فيما روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن . فقال : مَهْ ؟ قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم . أما ترضَيْن أن أَصِل من وصلكِ ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرؤوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله

فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يبسط عليه فى رزقه ، و ينسأ له فى أثره فليصل رحمه) . وأولى الرحم بالوصل : الوالدين اللذين قرن الله سبحانه وتعالى الشكر له بالشكر لهما فقال (أن اشكر لى ولوالديك) . ثم الأقربون بدرجاتهم ثم عامة المسلمين الذين يربطك و إياهم أرحام الإيمان ووشائج الإسلام .

وكان من خلقه عليه الصلاة والسلام الصدق ، وأمر به المسلمين . ونهاهم أشد النهى عن الكذب فقال (إن الصدق يهدى إلى البر ، و إن البر يهدى إلى الجنة ، و إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . و إن الكذب يهدى إلى الفجور ، و إن الفجور يهدى إلى النار ، و إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) وويل لمن يكتب عند الله كذاباً ، فإنه قد لعنه فى كتابه وطرده من رحمته فقال تعالى (ألا لعنة الله على الكاذبين) و إن أحسن الصدق ، الصدق مع الله ومع رسول الله . فلا تدين لله إلا بما ثبت وصح عن الله وعن رسوله ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيله فتكون مع الكاذبين المكذبين الهالكين ــ والعياذ بالله . و إن أقبح الكذب ، الكذب على الله وعلى رسوله ، فتفترى من الدين ما لم ينزل به سلطاناً فتقول على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وتقول قال رسول الله ما لم يقل متعمداً الكذب عليه فتتبوأ مقعدك من النار . عافانا الله من الكذب وسوء عاقبته .

والكذب من علامات النفاق التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (علامة المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا أؤتمن خان) ما أقبحه من ثالوث يهوى بصاحبه إلى الدرك الأسفل من النار ، وما أحمقها من صفات يفقد من اتصف بها الإنسانية ، وتسقطه من أعين الناس . وجزى الله عنا رسولنا صلى الله عليه وسلم خير ما يجزى الناصح الأمين ، ما أبره وما أكرمه ، وما أرأفه وما أرحمه . إنه يريد لنا فلاح الدنيا وسعادتها وفلاح الآخرة والنجاة فيها . ولكن قتل الإنسان ما أكفره وما الأمه وما أفجره . يترك هذا الناصح الكريم ، ويجرى وراء الترهات والأباطيل وأقوال الفلاسفة الملاحدة . (ولو يؤاخذ

الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ، ولـكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) .

أيهـا المسلمون ذلك بعض مادعا إليه نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام من مكارم الأخلاق ، وسامى الآداب ، وفاضل الصفات ، وإنك لو قرأت القرآن واتبعت سنته عليه السلام لـكنت من الذروة والسنام فى خلقك وأدبك فقد وصفته عائشة رضى الله عنها فى فى أبلغ قول وأوجزه ، وأعمق وصف وأصدقه إذ قالت (كان خلقه القرآن) .

نسألك اللهم الهداية إلى أحسن الخلق ، وإجتناب سيء الخلق . ونسألك التحلى بآداب الإسلام ، والتخلى من الرذائل والآثام . وإهدنا يا رب إلى صراطك المستقيم ، وسبيلك القويم أنك على كل شيء قدير . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم ، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

رد غـــير كريم

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

استفتى أخونا فضيلة الأستاذ الشيخ . . أبو الوفا درويش فى شأن التصوير الشمسى ، فأفتى الأخ الكريم بما أداه إليه اجتهاده ، وقد تفضل أستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ المفتى الأكبر للملكة العربية السعودية ، تفضل فضيلته فرد على تلك الفتوى رداً محكما مشرقا بسمو الأدب الرفيع فى الحجاج ، رفافاً بأصالة النُّبل فى الأسلوب فكان أن رد أخونا صاحب الفتوى بما يؤكد به صدق فتواه فى أسلوب عفيّ كريم كشأنه دائماً فى كل مايكتب .

ولم نر فى رد فضيلة المفتى الأكبر إلا مايؤكد أنه العالم الثبت الذى يضع للمناقشة موازين الحق والاستقامة ، ويضرب أرفع المثل فى أدب المحاجة ، ولم نر فى رد الأخ الكريم الأستاذ « أبو الوفا » إلا مايؤكد أنه الرجل الباحث عن الحقيقة فى صدق وإخلاص ، الذى يعتصم بالقيم الرفيعة من أدب الخطاب .

ولكن أبى الشيخ عبد اللطيف زيد إلا أن يعكر الصفو ، ويفسد ماصَلُحَ ، وأن يمشى بالوقعية بين الإخوة . فقد رد ـ عفا الله عنه ـ على الأخ الأستاذ « أبو الوفا » رداً غير كريم حشاه بالهجو المقذع ، والسباب الفاحش ، ظنا منه ـ وبالسوء هذا الظن ـ أنه وسيلة إلى رضوان أستاذنا الجليل المفتى الأكبر ، وفاته أن الشيخ الجليل فى سمو خلقه ، وقداسة تقواه لايحب مداهنة ، ولا يرضى ملقا ، ويستنكر فى إباء صريح نبيل أن يكون السباب قربانا إلى رضاه ، أو وسيلة ما إلى الذياد عن الحق . كنا نحب أن يكون الشيخ عبد اللطيف زيد على بينة من خلق الشيخ الجليل ، وبصيرة بما يقول ، حتى لايتردى فى هوة خلقية ، كنا نربأ به أن يسقط فيها . كنا نحب أن يقدر الأمر قدره ، فيكون له من رد الشيخ الجليل قدوة فى قوة

الحجة ، ونزاهة القول وطهر عفته ، وكريم أدبه . كنا نحب أن يجعل الدفاع وحده عن الحق نصب عينيه ـ لا شيئا آخر ـ فيرد على الشيخ أبو الوفا بما يثبت به أنه ذو قلم نظيف ، وغاية نظيفة . بيد أنه ـ ويا أسفي ـ وضع نصب عينيه ذلك الشيء الآخر ، فراح يسب ويهجو ، وينتقي من شعراء الهجو ماسودوا به الصفحات ليقذف به في وجه أخ كريم كافح عن دين الله ، في وقت كان الكفاح فيه عن دين الله يؤدي بصاحبه إلى النكال والتعذيب من سدنة الوثنية .

اسمع إلى الشيخ عبد اللطيف يستفتح رده بهذا : « روى أحمد فى مسنده وروى ابن ماجة فى سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصَدَّق فيها الكاذب ، ويكذَّب الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخَوَّن الأمين ، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَة فى أمور العامة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه » ومراده ظاهر فى أنه يتكلم فى أمور العامة ومصالحها سفيه القوم ووضيعهم والسنوات الخدعات تلك التي تطمع الناس فى الخير ، فإذا التمسوه أخذوه دغلا ، وزيفاً وضيعاً ، وشرا خالصاً ، وسفها رخيصاً . أجَلْ : والناس إنما يؤتون اليوم خداعاً من قبل السفهاء والوضعاء والجهال الذين يستفتون ، فيخونون »

هذا نص كلام الشيخ عبد اللطيف ، وقد عنون له بقوله : « الرويبضة يتكلم فى أمور العامة » . . . هذا رده نجد فيه السفه الرخيص والدغل والزيف الوضيع والشر الخالص ، والوضاعة والجهالة والخيانة !!

أهذا كله تقوله ياشيخ عبد اللطيف لأخ تعرف أنت أنه جاهد وأنت قاعد ، وكافح وأنت هناك هناك وراء الصف تنتظر الغنيمة من كفاحه . مارأيناك ـ رغم ما كنت ترى وتحس وتسمع ـ ترد على مُفْتَرٍ وثني ـ وهم كثيرون ـ بمثل ردك هذا المفرط فى السباب . أسمعني كلمة واحدة قلتها فى ذياد عن حق ، أو دفاع عن كرامة ، أو كفاح فى سبيل الله ؟ والشيخ أبو الوفا صاحب « صيحة الحق » التي دوت فى قوة ، واستعلنت فى عزة وكرامة صاحب الكتب التي هدى بها الله الكثيرين ، صاحب الصيال القوي ، والجِلَاد الذي

زلزل هياكل الأصنام ، ودكها على رؤوس سدنتها . أبو الوفاء الذى نعرف منه الوضوح والصراحة والجرأة فى قول الحق ، وفى الجهر بما يؤمن به . أبو الوفاء هذا الأخ الذى ناضل وجالد ترميه بأنه تافه سفيه حقير !! ثم يحاول ـ غفر الله له ـ أن يرمى أنصار السنة بالكفر إذ يقول فى أسلوب ماكر ، ولكنه مفضوح الهدف والغاية « المتظاهر باستحلال مخالفة الأصول المشهورة دون تأول لها ، ودون معارضتها بأصل آخر يستمسك به ، كافر مكابر متحلل من دين الإسلام . والصائرون إلى متابعته كرأس فيهم كفرة سقط مثله ، فتحليل التصوير الضوئى على أساس القياس الفاسد الذى عرفت ، مخالفة للأصول المشهورة ، قائمة ليس إلا على تأول فاسد » يرمى الأخ الكريم المؤمن القوى « أبا الوفاء » بأنه استحل مخالفة الأصول المشهورة ، ورماه تبعاً لهذا بالكفر . ولعله بأن للشيخ أبى الوفاء مكانته الكريمة بيننا رمانا بأننا كفرة سقط مثله !!!

ولا أدرى هل يعرف الشيخ عبد اللطيف مقاييس الإيمان وقيمه حتى يجوز له أن يبهت بالكفر من هو مؤمن ؟!!

ثم راح يقول للشيخ « أبو الوفاء » أليس كذلك أيها المشرع المبطل ؟ وهل يمكن أن أن تفتى سائليك بأجود من هذا إن صح أن فى أباطيل فتاويك القذرة جودة ؟ ونقول : وأليس من صناعة أفلام الشريط الشف التى أطريت بإلحادك الظاهر علماءها الملعونين بلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أليس منها كذلك صناعة أفلام الأصوات ؟ » .

ألا فلينظر الشيخ عبد اللطيف زيد « جواز سفره » وليتأمل فيها صورته جيداً !!!

لقد أساء الشيخ عبد اللطيف إساءة بالغة إلى نفسه قبل كل شىء ، فقد كنا نظنه لا يعرف القول ، ولكنه فاجأنا يعرف كيف يسب ويشتم ، ويصرخ بالهجو فى وجه من يأخذ بيده إلى طريق الخير !!

وأساء إلى فضيلة الشيخ الجليل المفتى الأكبر بما يزعمه بين الناس من أنه راض كل الرضا عن رده المحشو بهذا الهجو الفاحش !!

فإنا نعرف ، والآلاف يعرفون أن فضيلة المفتى الأكبر رجل حق ورجل أدب عظيم .

ونحن نلح في تثبيت هذه الحقيقة وإعلانها واضحة حتى يعرف الناس أن سباب الشيخ عبد اللطيف للأخ الأستاذ « أبو الوفاء » لا يحظى عند أحد بقبول ، وأؤكد أن فضيلة شيخنا الجليل أول من يستنكر هذا السباب الذى يحاول الشيخ عبد اللطيف أن يؤكد للناس بأن الشيخ الكبير راض عنه .

ياحبذا لو أن الشيخ عبد اللطيف سكت ، ولاذ بالصمت ، وترك لرد الشيخ الجليل الكبير أن يؤدى رسالته ، ولكنه شغل الناس عن هذا الحق ، بالعجب المغرب من العجب من هذا الهراء الفاحش الذى حشا به رسالته . ولكنه ابتغى برده هذا وسيلته إلى البقاء فى منصب !! فلم يوفق فى الوسيلة ، حاول أن يُرْضِي ، فأغضب ، حاول أن يَرُدَّ ، فرد على نفسه بما ينال من كرامتها .

ويقينى أنه لو كان على بصيرة بالخلق الرفيع الممتاز الذى يمتاز به فضيلة الشيخ الجليل المفتى الأكبر ، لوفر على نفسه هذا المجهود الذى حاول أن يهدم به رجلا كريماً مكافحاً ، فهدم به نفسه ، فليس من دين فضيلة للفتى الأكبر ، ولا من خلقه الذى سعدنا بمعرفته عن قرب إلا مايؤكد دائماً أنه من بقية السلف الراشدين الذين يطهرون ألسنتهم عن الفحش ، والإساءة إلى إنسان أكثر مايقال فيه أنه اجتهد مرة ، فأخطأ ، واجتهد مرات ومرات ومرات فأصاب فى كل مراته .

من وحي المقاومة الشعبية

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لاتظلمون

قامت دعوة الإسلام أول ماقامت على الحجة البينة ، والبراهين الساطعة ، وتبيين معالم الحق ، ومنائر الرشد من مهامه الباطل ومهاوى الضلال ، ولكن هذه الدعوة بغى عليها وهى تحبو طفلة ، وأوذيت وهى تدرج صبية ، وألقى فى طريقها العقبات وهى تزحف شابة فتية ، فكان عليها أن تثأر لنفسها وقد أمنت بعد خوف ، واستقرت بعد اضطراب ، ووجدت لها أعواناً وأنصاراً فى مهجرها الجديد (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) وكان عليها أن تجمع ما تستطيع من عدة، وتعد ما يمكنها من قوة ، وتهيىء ما فى مقدورها من خيل وسلاح ، لا لتبغى أو تجور ، ولا لتحمل الناس على اعتناقها إذ (لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى) ولا لتعتدى على الآمنين ، وتقض مضاجع الهاجعين ، ولا تسلب الحرية عن الأحرار بل هو دفاع نبيل عن النفس وعن الدعوة التى يتخطفها الأعداء من كل ناحية ، ويتربص بها سباع البشر من كل جانب قال تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)

تلك هى المبررات لما قام به المسلمون من عمليات حربية ، وما كونوه لأنفسهم من قوة دفاعية حين أسسوا دولة الإسلام فى المدينة ، ينبغى أن تتخذ منها كل دولة مستقلة تحرص على سيادتها ، وتحافظ على كرامتها منهاجاً تسير عليه ، ونبراساً تمشى على هداه ، ومصر العزيزة وهى ناشئة فى السيادة والاستقلال ولم تستنشق أريج الحرية إلا من قريب ، أحرى بهذا الاقتداء . وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه والمسلمين ، ويحث

كل دولة ناشئة على التدريب على فنون الحرب والقتال حفاظاً على سيادتها ، وحرصاً على استقلالها ، وذباً عن حياضها ، ودفاعاً عن كيانها ، وإرهاباً لأعداء الله وأعدائها ، إذ القوة النبيلة ، والعدة البريئة عن البغى خير سياج متين ، وحصن حصين .

فيقول عليه الصلاة والسلام « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم » فهذا حث على اقتناء الخيل ، وتصوير أن الخير يلزم غرتها ، ولا يبرح جبهتها إذ هى عدة الجهاد ، وفى الجهاد خير على كل حال ، غنم إن نجا المجاهد وثواب إن مات ، ويفسر الرسول عليه الصلاة والسلام قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فيقول فيما رواه عتبة بن عامر « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » وعن نعيم اللخمى قال : قلت لعقبة بن عامر : تختلف بين هذين الغرضين - تتردد بينهما - وأنت شيخ كبير يشق عليك؟ قال عقبة : لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه . قال : وما ذاك ؟ قال سمعته يقول : « من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا » فهذا حث على معاناة الرمى والتدرب عليه وأن من ينساه بعد تعلمه ليس ممن يحرصون على مجد دينهم ، وقوة دولتهم . وعن عقبة بن عامر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة . صانعه يحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، ومنبله المُمِدَّ به - فارموا « واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من تركبوا ، كل لهو باطل ، ليس من اللهو محمود : إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه فإنهن الحق . ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو كفرها » فهذا تنزيه للرمى عن أن يكون لهوا لاهيا أو عملا باطلا بل هو حق محمود ، ونعمة ينبغى أن تشكر ، وشكرها ، المحافظة عليها .

ولم يقتصر حث الرسول عليه الصلاة والسلام على الإعداد البرى ، بل جاوزه إلى الإعداد البحرى - فقال عليه الصلاة والسلام « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها ، والمائد فيه - يصيبه الدوار والقىء - كالمتشخط فى دمه » هذا وينبغى أن نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحدث بلسان عصره ، وبما تقتضيه ظروف البيئة العربية ، فالخيل فى عهد الرسول عليه الصلاة

والسلام أدى مهمتها الآن : دبابات ، وسيارات مصفحة فى البر ، وغواصات ومدمرات ، و بوارج حر بية من البحر ، والرمى أدى مهمته بنادق ومدافع وطائرات تقذف بالقنابل ، وترمى بالحمم . ومن هذا يتجلى لنا أن أخذ العدة سبيل الظفر ، وطر يق النصر ، وهو واجب على كل مسلم ، حتم على غيور على دينه ووطنه .

وأى أمة تتناسى ذلك الواجب أو تتغافل عنه معتمدة على مالها من إيمان أو متسلحة بما يسمى البركة ، أو متعللة بالتوكل الكاذب مصيرها للبوار ، ونهايتها للهزيمة الشنيعة ، ولو كان الله يحابى أحداً - وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لحابى رسوله والمسلمون وهم أخلص الناس له ، وأشدهم إيماناً به ، ولكفاهم مئونة الأعداد والتدر يب .

وها هى السنن قد خلت من قبلنا ، وعرفنا عاقبة من كفر بها أو غفل عنها . فقد غفل عنها المسلمون يوم أحد حين نسى الرماة أمر قائدهم ، ونزلوا عن مكانهم الذى حذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن التخلى عنه ليجمعوا الغنيمة ، فاحتل مكانهم جيش المشركين وهزموهم ، وعاتبهم الله بقوله : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) ولم يرعوها أيضاً يوم حنين حين اغتروا بكثرتهم ، ولم يتخذوا الحيطة اللازمة لمعرفة جيش العدو ومكانه وعدته ففروا من أول جولة لولا أن ثبت الله رسوله والمخلصين منهم ، وقال الله عنهم (ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبر ين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافر ين) .

وهكذا ر بط الله بين الأسباب والمسببات ، ولا بد لكل مسلم أن يؤمن بهذا ، و يعلم أن الله لن يهدم سنته فى كونه لأى إنسان مهما بلغ أسمى درجات الإيمان . سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحو يلا .

فلنسر فى طر يق الإعداد والتدر يب ولنتسلح بالقوة ، ولنتحل بالشجاعة والأقدام معتصمين مع هذا كله بمعصم الإيمان ، حتى نرد عن أوطاننا الباغين ، وندفع الظالمين ، (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) عبد السلام رزق الطو يل طالب بكلية اللغة العر بية

مالك ألا تكون مع الساجدين ؟

قال الله تعالى : (١٥ : ٢٨ـ٤٤ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط علىّ مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين . لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين) .

نعوذ بالله من الشيطان وحزبه ، ومن إضلاله وإغوائه ، وتزيينه وإغرائه . ونسأله تعالى أن يجعلنا من المتقين ، وأن يزحزحنا من النار ويدخلنا الجنة بفضله ورحمته ، إنه سميع مجيب .

قال العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله ـ : لما أمر الله الشيطان بالسجود لآدم كان فى امتثاله أمره ؛ وطاعته سعادته وفلاحه ؛ وعزه ونجاته . فسولت له نفسه الجاهلة الظالمة : أن فى سجوده لآدم غضاضة عليه وهضما لنفسه ، إذ كيف يخضع ويقع ساجداً لمن خلق من طين وهو مخلوق من نار . والنار ـ بزعمه ـ أشرف من الطين فالمخلوق منها خير من المخلوق منه . وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه وهضم لمنزلته .

فلما قام بقلبه هذا الهوس ، وقارنه الحسد لآدم لما رأى ربه سبحانه قد خصه به من أنواع الكرامة . فإنه خلقه بيده ؛ ونفخ فيه من روحه ؛ وأسجد له ملائكته ؛ وعلمه أسماء

كل شيء ، وميزه بذلك عن الملائكة ـ إلى أن قال ـ : فشق الحسود قميصه من دبر ، واشتعلت فى قلبه نيران الحسد المتين . فعارض النص بالمعقول بزعمه ، كفعل أوليائه من المبطلين وقال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) فأعرض عن النص الصريح ، وقابله بالرأى الفاسد القبيح . ثم أردف ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم ، الذى لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلا . فقال (أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ ؟ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتَنِكَنّ ذريته إلا قليلا) .

وتحت هذا الكلام من الاعتراض : معنى : أخبرنى ، لم كرمته علىّ ؟ وغور هذا الاعتراض : أن الذى فعلته ليس بحكمة ولا صواب . وأن الحكمة كانت تقتضى أن يسجد هو لى . لأن المفضول يخضع للفاضل ، فلم خالفت الحكمة ؟ ـ إلى أن قال ـ فجمع بين الظلم والجهل ، والكبر والحسد والمعصية ، ومعارضة النص بالرأى والعقل . فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها . ووضعها من حيث أراد رفعها . وأذلها من حيث أراد عزها ؛ وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها . ففعل بنفسه مالو اجتهد أعظم أعدائه فى مضرته لم يبلغ منه ذلك المبلغ . ومن كان هذا غشه لنفسه ، فكيف يسمع منه العاقل ويقبل ، ويواليه ؟ قال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ، وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا) اه .

فيامغروراً بالأمانى الكاذبة ؛ هذا إبليس لعن وطرد ، من رحمة الله بتركه سجدة واحدة أمر بها ، فأبى واستكبر . فكيف بك وأنت تسمع داعى الفلاح ينادى ﴿حى على الفلاح﴾ فتعرض وتولى الأدبار ؟ فكيف بك وأنت تسمع داعى الهوى والشهوات واللهو واللعب ، وتلبى نداءهم ، وتستجيب كل جارحة فيك لدعائهم . ثم تزعم بعد هذا خادعاً مخدوعا ، أنك مسلم للملك القهار ؟

أيها المخدوع . احذر (ماسلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين) .

أيها الغاش لنفسه ، تنبه اسمع (ويل للمكذبين . وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون) .

ما أوهى حجتك ، وأبطل عذرك ، لو عقلت وفقهت (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين).

يا ابن آدم ، دعاك مولاك الذى خلقك وسواك ، و بنعمه المتتالية ر باك ، و بفضله ورحمته تولاك . ووعدك الحق ، وضرب لك الأمثال . فاستجب له ولرسوله . ففى الاستجابة حياتك وعزتك وسعادتك ، ونعيمك ولذتك . واقنت لربك وكن من الراكعين الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

يا ابن آدم دعاك عدوك وحزبه إلى نسيان مولاك ، والكفر بأنعمه عليك ، وزينوا لك - حسداً منهم و بغياً عليك وعلى ربهم - الكفر والفسوق والعصيان ، وحسنوا لك مشاقة ربك ونبيك بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وأقسموا لك زوراً أنهم لك من الناصحين . وقد وعظك ربك أصدق الموعظة بما كشف لك عن خدع الشيطان وحزبه . ونصحك رسولك صلى الله عليه وسلم أصدق النصيحة . فاقطع حبالك من عدوك ، وصل قلبك بربك ورسوله ؛ وكتابه . واحذر أن تكون من الهالكين .

على هامش التوسل بأهل البيت وأولياء الله

للأستاذ محمد صالح سعدان

تحت هذا العنوان كتب كاتب من العلماء فى إحدى المجلات ، مقالاً سداه الافتراء والادعاء ، ولحمته الغمز واللمز .

وقبل الكلام فى موضوع ذلك المقال ، نريد أن نبين لهؤلاء الذين يلبسون الحق ثوب الباطل ، أن هناك فرقا بين حب النبي صل الله عليه وآله وسلم ، وحب آل بيته الكرام ، وأولياء الله ، و بين التوسل بهم . فحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحب آل بيته لحبه ، شيء مقطوع به بين المسلمين ، وكذلك حب أولياء الله .

فليس كل راغب عن التوسل بهم يكون كارها أو غير محب لهم .

ونحب بعد هذا أن نسأل هؤلاء الداعين إلى التوسل بالأموات من الأولياء وغيرهم : ما الذى يدعوكم إلى التوسل بهؤلاء المقبورين ؟ ألأنكم لم تجدوا فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مايشفى غليلكم فذهبتم تبتدعون هذه التوسلات الشركية تلتمسون بها قضاء الحاجات ، واستجابة الدعوات ، وتجعلونها ديناً يتعبد الناس بها ربهم ؟ .

ثم نسأل هذا الكاتب : هل كان هذا التوسل الذى تفعلونه حادثاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعهود صحابته ، رضى الله عنهم ، والذين أوجب علينا الرسول الاكرم الاقتداء بسنتهم من بعده فقال عليه الصلاة والسلام « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » ؟ .

أقول ، والحق يقال : إن هذا الكاتب وأمثاله يقرون العامة والبسطاء من الناس على مثل هذه الأعمال المنكرة بمثل تلك الحجج الواهية ، ويكثرون بذلك سواد الجاهلين بالدين الصحيح .

استهل الكاتب مقاله بما روى فى البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : (أرقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته) وهذا الحديث وإن كان وارداً فى

معرض الذب عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى موضوع قصة الأفك حين خاض المسلمون فى الكلام عليها . إلا أن الكاتب أورده حجة له فى التوسل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو زعم باطل ، إذ المعنى المراد : احترموا محمداً واكرموه ، باحترامكم واكرامكم لأهل بيته وعدم خوضكم فى حقهم عدواناً وظلماً . وفرق بين هذا ، وبين التوسل بهم .

ثم أورد حديثاً عن الحسن والحسين رضى الله عنهما ، يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) .

ولا ندرى من أين لهذا الكاتب اتهام المسلمين بمحاربة الحسن والحسين رضى الله عنهما وكراهتهما ، فأى مسلم هذا الذى يعادى سيدا شباب أهل الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

وهل عدم التوسل بهما كما تفعلون يكون حرباً لهما ؟ سبحانك ربى ـ هذا بتهان عظيم إن جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ليصلون على النبى وآله بيته الكرام خمس مرات فى اليوم والليلة ـ هذا على الأقل ـ فكيف تتهمونهم بكراهة آل بيته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا شأنهم فى الصلاة عليه وعلى آل بيته الكرام ؟ .

ثم يقول الكاتب : (ماهو سر اندفاع هذه الطائفة ـ وهو يعنينا هنا ـ ورمى المسلمين ، وهم يعلمون أن الذى يرمى أخاه بالكفر هو الكافر) ونقول إن هذا تحريف مقصود لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مواضعه ، فان الذى بينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو قوله : (فقد باء به أحدهما) ولم يعين الرامى بالكفر ، وهو كما ترى كذب متعمد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم نقول له : إن سر اندفاعنا فيما نحن بسبيله من دعوة إلى الله على بصيرة ، هو إخلاص الدين لله وحده ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحاربة الشرك والبدع اللذين غرق فيهما الناس إلى الأذقان ، وانتشالهم من ذلك .

ويقول الكاتب (إن الذين يزورون الأولياء ويتوسلون بهم ليس فيهم رجل

ولا امرأة يعتقد أن للأولياء تأثيراً ذاتياً فيما يرجونه من خير على أيديهم ، وإنما يعتقدون اعتقاداً جازماً ، بأن المؤثر والمعطى هو الله تعالى وحده لا شريك له ، وأن المسألة من باب السبب ، فقد جعل الله لكل شيء سبباً) .

ونعود فنسأل الكاتب العالم : كيف يرجو المتوسلون الخير على أيدى الموتى من الأولياء ، ثم لا يعتقدون أن لهم تأثيراً ؟ أليس هذا التأثير الذى يعتقدونه هو الذى جرهم إلى ماهم فيه من عبادة شركية ؟ وكيف يكون التوسل بالموتى سبباً فى التقرب إلى الله ، وسبباً فى استجابة الدعوات وقضاء الحاجات ؟ أليس هذا مطابقاً لقول الذين قالوا (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ؟ .

وإن تعجب فعجب من هذا العالم العبقرى قوله : (وكما يتوسل هؤلاء المانعون بالحى ليصلوا إلى مآربهم ، كذلك هؤلاء يتوسلون بالولى الذى انتقل إلى جوار ربه ، فى حياة روحية أسمى وأوسع من حياته الدنيا) .

وإلى هنا ونقف قليلاً لنرى كيف يقارن الكاتب بين الله تعالى ـ العليم بخفايا الصدور ـ وبين المخلوقين من عباده ، فإن المعنى الذى أراده هو : إذا كنت تتوسط عند الكبراء والوزراء وذوى الجاه من أهل الدنيا بمن يسعى لك فى قضاء حاجتك عندهم . فالشأن بالنسبة إلى الله تعالى ، كهؤلاء المخلوقين من عباده الذين لايعلمون حاجات الناس إليهم إلا بمن يخبرهم ويعرفهم بتلك الحاجات ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . أقول : ماقدروا الله حق قدره ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا .

يقول الكاتب . (إن الولى بعد أن يموت يكون فى حياة روحية أسمى وأوسع من حياته الدنيا) يقول هذا وقد علم أن (القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار) فهل يترك الولى رياض الجنة التى وعدها الله إياه بعد الموت ، ثم يذهب ليقضى حوائج المتوسلين به فى الدنيا ؟ إنكم لتقولون على الله بهتاناً وإفكاً مبيناً .

ألا تعلمون أن الله هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ وأنه هو الذى يقول (ادعونى استجب لكم) ؟ ويقول : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب

دعوة الداع إذا دعان) ؟ . ويقول : (واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) ؟
ويقول : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ماتفعلون .
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) ؟ .

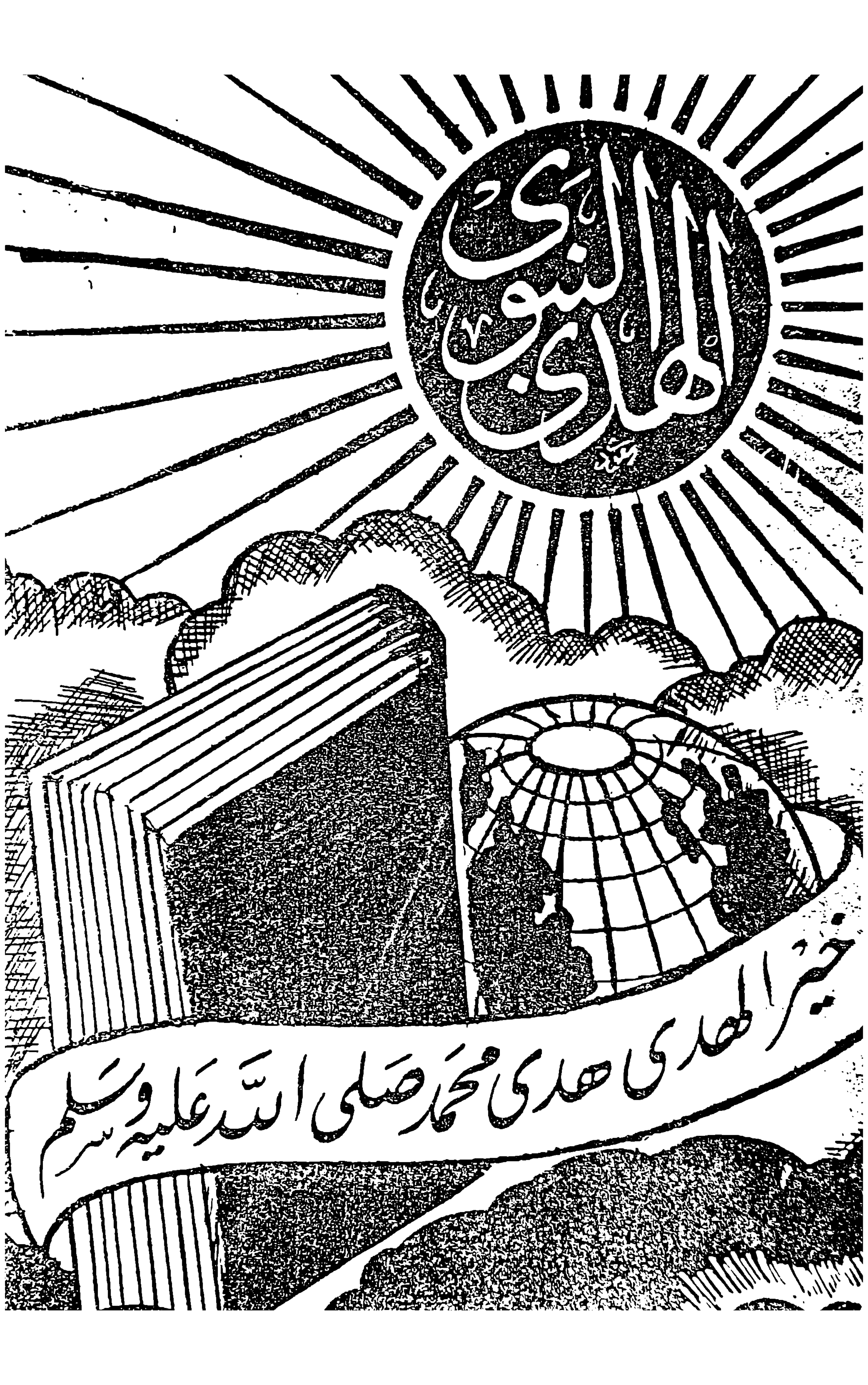
فأي مسلم يعقل عن الله هذه الآيات البينات في استجابة الدعاء وإغاثة الملهوف ، وغفران الذنوب ، ثم يذهب بعد هذا إلى الأموات من الأولياء ليتوسل بهم . أقول كما قال الله تعالى (صم بكم عمي فهم لايعقلون) .

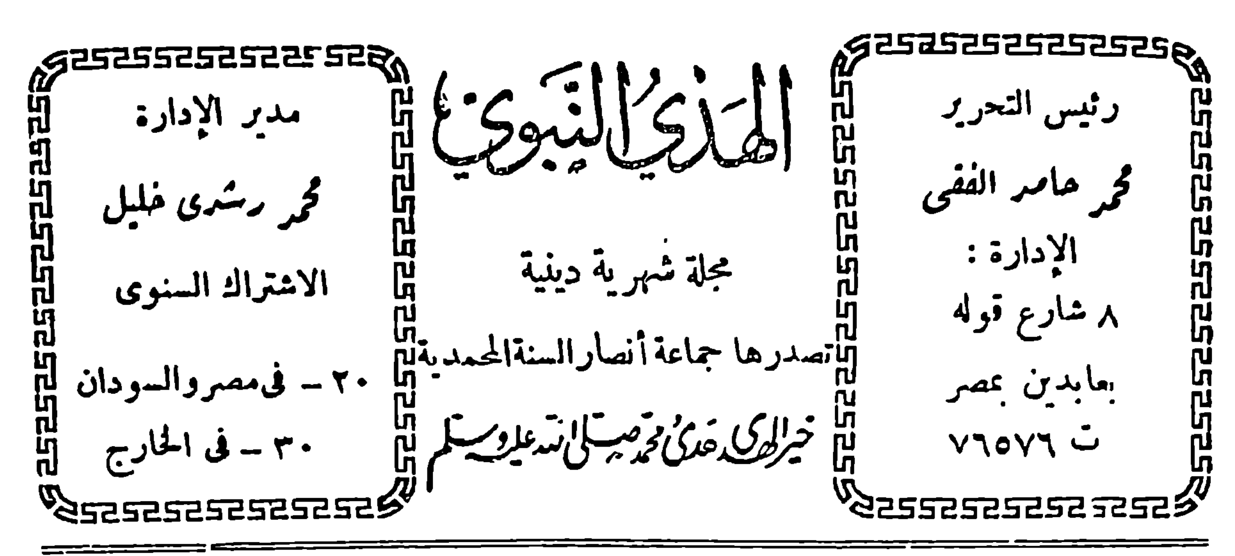
ثم نقول : لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ندعو الله ومتى تجاب الدعوات وأنَّى تستجاب . فقال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » ويقول : « ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من كذا ؟ هل من كذا ؟ إلى مطلع الفجر » ويقول : « إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار » إلى كثير غير هذا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تحض إلى دعاء الله وحده لا شريك له دون شفيع أو وسيط مما يفعله الجاهلون بحقيقة دينهم .

* * *

بعد كتابة ماتقدم قرأت في مجلة أسبوعية من قبيل المجلة التي نحن بصدد الرد على مفترياتها وأضاليلها ، كلمة بعنوان (أولياء الله الصالحون) أتى فيها كاتبها بالطوام من الشرك والوثنية ، مازاد به عما كان عليه الجاهليون الأول ، فقد ادعى هذا الكاتب : أن الولي يقوم من قبره بعد موته ويقضي حوائج الناس . . . . إلى آخر ماسطره من الكفر والضلال . وردنا على هذا الأخير ، هو عين الرد على أخيه من قبل . إذ الاثنان يعبان من معين واحد .

وبعد فليس المقصود من هذا الذي نكتب المدوان على أحد ، وإنما الانتصار لدين الله تعالى ، وبيان جهل من يتكلم في الدين الباطل ، مهما كان شأن هذا الذي يتكلم في الدين ومهما بلغت رتبته العلمية بين الناس .


الهدی النبوی
خیر الهدی هدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم



الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير
محمد حامد الفقى
الإدارة :
٨ شارع قوله
بعابدين بمصر
ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٢٠ – فى مصر والسودان
٣٠ – فى الخارج

المجلد ٢١ — شعبان – شوال سنة ١٣٧٦ — الأعداد ٨ – ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٦ : ١١٨ ، ١١٩ وعلى الذين هادوا حرّمنا ماقصصنا عليك من قبل ، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا . إنَّ ربك من بعدها لغفور رحيم)

« هادوا » من « هاد ، يهود » إذا رجع . سمى اليهود بذلك من قول موسى عليه السلام (٧:١٥٦ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة . إنا هُدنا إليك) كان قوله ذلك بعد ماوقع للسبعين الذين اختارهم من قومه، ليحضروا معه ميقات ربه . فلما حضروا قالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فقال موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، أفتهلكنا بمافعل السفهاء منا ؟) فبعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون . فقال موسى (إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة . إنا هدنا إليك) .

فمن ذلك سمى أتباع موسى عليه السلام « اليهود » و « الذين هادوا »

« قصصنا » القص : تتبع الأثر . و « القصص » الأثر . و «القصص» الأخبار المتتبعة

و « الظلم » النقص والخسران فى الحظ والنصيب . قال تعالى (٢١ : ٤٧ ونضع

الموازين القسط ليوم القيامة . فلا تظلم نفس شيئاً) أى لا ننقصها من جزائها على أعمالها شيئاً . ولذلك قال بعدها (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها . وكفى بنا حاسبين)

وإنما سمي وضع الشيء فى غير موضعه ظلماً ، لأنه نقص لحقيقة الشيء وصفاته ، ومزاياه ، من حيث أسيء استعماله .

و « السوء » القبيح من الأعمال والأخلاق والأحوال ، يسوء صاحبه ، يغمه ويحزنه وينغص عيشه ، وينكد عليه فى الأولى والأخرى .

و « الجهالة » السفه والرعونة والطيش . لأن ذلك كله إنما يكون عن مجافاة للعلم النافع والوقوف معه ، والانتفاع به فى توجيه النفس ، والإمساك بزمامها . فعندئذ تفلت من العقل والرشد والحكمة ، وتنقلب شكسة ، أمارة بالسوء .

وكل سوء وكل شر وكل بلاء وكل هم ونكد ، وتنغيص للعيش ، فى الأولى والأخرى : فإنما هو من الجهالة . ولا نجاة من سوء الجهالة ، وبلائها ونكدها وتنغيصها إلا بالعلم بالحق ـ الثابت الذى لا يتحول ولا يتبدل ـ فى كل ما خلق الله فى السموات والأرض وفى الأنفس ، وفى كل ما آتانا ربنا ، والوقوف معه ، بغاية اليقظة والتثبت والتحرى ، ليحسن العبد الانتفاع بنعم الله ، بوضعها فى مواضعها فيما يحب ربنا ويرضى . وهذا هو الصبر ، الذى هو حبس النفس ، والوقوف معها ـ على بصيرة وتثبت ـ مع كل نعم الله ، التى كلها ابتلاء واختبار ، حتى تنكشف للعبد الحقائق بصفاتها ، وخصائصها . وهذا هو العلم الحقيقى ، الذى به يكون العبد صبوراً .

وحين تنكشف لك هذه الحقائق : تعلم ما فيها من الخير والرشد ، والهدى والسعادة التى كفلها لك ربك . فتستعملها قاصداً ذلك الخير والرشد والهدى ، والحياة الكريمة بها . فتكون شكورا .

وطالما أخطأ الكثير فى فهم حقيقة « الصبر » و « الشكر » لأنهم أخطئوا فهم «العلم» الصحيح . حتى زعموا الحرف والصناعات الآلية علماً . وما هى بالعلم ، إلا إذا عرفوها على

أنها من سنن الله وآياته ، وأنها من نعمه وفضله وإحسانه . ليربيهم بها ويرفعهم على درجات الهدى والكرامة . وهيهات لهم ذلك هيهات .

و « التوبة » الإنابة والرجوع إلى الله . فإن عامل السوء إنما عمله بما زين له شيطان الجن والإنس ، وحسنا له القبيح ، حتى أخذاه عن السبيل الذى ينتهى به إلى سعادته وفلاحه برضوان ربه ، إلى سبيل الخيبة والخسران ، والنكد والشقاء . ولا يزالان به كذلك حتى ينسى معالم الطريق الذى ينتهى به إلى فلاحه وسعادته ، ومعالم الطريق الذى ينتهى إلى نكده وشقائه حتى يسلكا به ـ بهذا التزيين ـ طريق الغى والسوء القبيح ، مغروراً متوهماً ـ بجاهليته وجهالته ـ أنه سالك سبيل الرشاد والفلاح . ولا يزال كذلك حتى يتم خسرانه بالموت على الإصرار على الغى والسوء . ونسأل الله العافية .

أو يتنبه بما ينبهه الله به ، فيستيقظ ويراجع نفسه ، فيستذكر ما كان قد نسى ، ويستحضر من معالم كل طريق ما كان عنه غافلاً . فعندئذ يبادر « التوبة » والرجعة ، والأوبة إلى النقطة التى غفل عندها ، فانحرف عن سبيل الرشد إلى سبيل الغى .

ويبدأ السير حذراً أشد الحذر يقظا ، أشد اليقظة ، متثبتاً أشد التثبت ، حريصاً على أن لا يضع خطوه إلا بعلم ، وعلى بصيرة ، مقتدياً فيهما بإمامه الأعظم صلى الله عليه وسلم فهو الذى اصطفاه له ربه واختاره . ووصاه بحسن التأسى والاقتداء به ، إن كان يرجو الله واليوم الآخر .

وبذلك يكون قد آمن إيماناً جديداً ، إيمان يقظة وعلم ، لا إيمان غفلة وتقليد وغرور وجهالة . إيمانا يتجدد كل لحظة بالتأمل والتفكر فيما يتجدد فيه وله من سنن الله وآياته . إيماناً يتجدد عند كل نعمة من نعم الله التى تتوالى عليه جديدة ، لا يعدها ولا يحصيها . إيمانا وتوبة يتجددان بذلك ، وعند كل وضوء ، وعند كل صلاة ، بل عند كل كلمة من الذكر والقرآن ، وعند كل حركة فى الصلاة وغيرها . وهذه هى التوبة النصوح ، التى تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح ، والتى يضمن الله بها فلاح الدنيا والآخرة ، وسعادتهما .

وهى خاصية أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا منهم بفضله ورحمته .

و « ثم » وقوله « من بعد ذلك » يدلان على البعد ، يعنى ربنا ـ سبحانه وله الحمد ، لا نحصى ثناء عليه ـ أن العبد مهما أبعد فى السفه والغى ، ومهما طال به طريق مشاقته لله ولرسوله ، وأوغل فى البعد عن الرشد والهدى والسعادة ، ومهما انحاز إلى حزب الشيطان عدوه ، وأبعد النجعة معه . ثم ثاب إلى رشده ، وأعاد إليه نفسه وعقله ، وفكره وإنسانيته . فبدأ يحاول تخليص نفسه من عدوه ويعود بها إلى ربه ، بعد أن يزكيها ويطهرها فى بحر الندم ، ونهر الدموع . وتغذية لبه بالفهم عن ربه واستطعام حلاوة ومتعة الإصغاء إليه وإلى كلامه . فإن الله يقبله ، بل يحبه ويفرح به ويفتح له بابه .

يحذر ربنا تبارك اسمه عباده ، وهو الرءوف الرحيم : أن يكونوا قساة القلوب مثل اليهود الذين غضب الله ولعنهم عليهم ، وجعل منهم قردة وخنازير ، وضرب عليه الذلة والمسكنة ، بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون .

فقوله سبحانه :

« ما قصصنا عليك من قبل » هو ما ذكره الله فى سورة الأنعام ، عند ذكره سبحانه محرمات الطعام ، ورده على المشركين ، الذين اعتدوا ـ ببغيهم واستكبارهم وجاهليتهم ـ فحرّموا من الأنعام بالنذور لأوليائهم ، وبما شرعوا للأتباع المستضعفين من الأعياد والقرابين الوثنية وغيرها ما خصوا فيه ألوانا من الأطعمة بجماعة من الناس خاصة . كسدنة المعابد ، والأصنام ، من قبور أوليائهم المقدسين والمقدسات عندهم ، والسادة الطواغيت ، وبالعاكفين عند قبور أوليائهم ومعابدها ، فخصوها بأزمنة وأمكنة ، وطاعمين مخصوصين ، بما أوحى شياطينهم ، توكيداً لطاغوتيتهم ، وتوفيراً لشهواتهم ، وتحكيما لأهوائهم ، وهم الذين عناهم الله سبحانه ، وحذرنا ـ أشد التحذير ـ أن نكون منهم ، أو ممن يساعد بجاهليته على تمكين الشيطان من إيجادهم . إذ يقول ربنا فيهم (٦ : ٩٣ ، ٩٤ ولو ترى إذ الظالمون فى غَمَرات الموت . والملائكة باسطو أيديهم : أخرجوا أنفسكم ، اليوم تُجزون عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق . وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فُرادَى

– كما خلقناكم أول مرة – وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء . لقد تقطع بينكم . وضل عنكم ما كنتم تزعمون) .

وقال ربنا سبحانه فى كل ذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكل مؤمن ، به ومقيم لسنته ، ووارث لرسالته وهداه (٦ : ١٤٥ ، ١٤٦ قل : لاأجد فيما أوحى إلىَّ محرماً على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير – فإنه رجس – أو فسقا أُهِلَّ لغير الله به . فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فإن ربك غفور رحيم . وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظُفُرٍ) وهو ماله إصبع من دابة وطير (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها ، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا) جمع حَوِيّة . وهى الأمعاء (أو مااختلط بعظم . ذلك جزيناهم ببغيهم . وإنا لصادقون) فى إخبارنا عنهم : أنهم – لما بغوا ، وظلموا أنفسهم باتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ، شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فحرموا عليهم ماأحل الله ، فاتبعوهم . واتخذوا ذلك شرعاً تركوا به شرائع الله العليم الحكيم. جازاهم الله من جنس أعمالهم . وشدد عليهم ، وضيق بتحريم ما حرم مما قص فى هذه الآية وغيرها . وفى ذلك يقول الله سبحانه (٤ : ١٥٩، ١٦٠ فبظلم من الذين هادوا : حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، و بصدهم عن سبيل الله كثيراً ، وأخذهم الربا – وقد نهوا عنه – وأكلهم أموال الناس بالباطل . وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما) يعنى ربنا سبحانه : أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، ونقصوها من أسباب الهدى والرحمة ، وأوقعوها فى الضيق والعنت والآصار والأغلال . إذ أبوا طاعة الله – العليم الحكيم ، الرءوف الرحيم ، اللطيف الخبير – ولم يسلموا وجوههم وقلوبهم وأعمالهم له . بل أسلموها لشياطين الإنس والجن ، الذين دانوا لهم من دون الله . فكانوا طواغيت قساة القلوب ، لايرحمون أنفسهم ، ولا يرحمون العامة المستضعفين المقلدين . فكانوا بذلك كافرين بسنن الله وآياته الكونية فى أنفسهم وفى الآفاق ، وكافرين بنعمه عليهم فى الإنسانية ، وكافرين بأسمائه وصفاته الحسنى ، و بآثارها فيهم ، وعليهم . فأعد الله لهم العذاب الأليم فى الأولى والأخرى . فكان عيشهم فى الدنيا نكدا ، وحياتهم شقاء و بؤسا ، بتلك الشرائع التى أوحاها شياطين الجن إلى شياطين الإنس . وهل يوحى

الشياطين إلا أسباب الشقاء والنـكد ، وما يثمر أخبث الثمرات ، ويقطع كل الصلات ، وينتهى إلى شر العواقب ، والخسران المبين ؟؟!

ولطالما حذر ربنا الرحمن الرحيم من موالاة الشيطان وحزبه من شياطين الإنس ، فقال (٣١ : ٢٠ وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا . أولوكان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ؟) وقال (٣٥ : ٦ إن الشيطان لـكم عدو . فاتخذوه عدوا . إنمـا يدعو حزبه ليـكونوا من أصحاب السعير) وقال (٢ : ١٦٨ – ١٧٣ يا أيها الناس ، كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً . ولا تتبعوا خطوات الشيطان . إنه لـكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون . وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ – إلى قوله – إن الله غفور رحيم) .

وإنما استطاع الشيطان ذلك وقدر عليه ، بما مكن الناس له من أنفسهم بجهالتهم وسفههم وبما هيئوا له من أسباب الغفلة عما أكرمهم الله به من الإنسانية العاقلة المميزة الـكريمة ، والنسيان لآياته الـكونية ، وسننه التى لاتتبدل ولا تتحول ، والاستهتار بها بالانغماس فى اللهو واللعب واتخاذ آياته هزوا وسخرية . وبالإعراض عن فهم وتدبر آياته القرآنية العلمية ، والاستهانة بها ، والاعتقاد : أنها ألغاز مقفلة ، لا سبيل لهم إلى فهمها وتدبرها ، واستخلاص ثمراتها الطيبة فى تصحيح العقائد ، وتقويم الأخلاق ، وإصلاح الأعمال ، وسعادة الأولى والأخرى بتلك الجهالة والغفلة ، والاعراض فذهبوا فى سبل الحياة عميا وبكما وصماً ، يخبطون على غير هدى ولا بصيرة – متعرضين بكل ضعف ووهن – بعد أن انسلخوا مما حصنهم به ربهم من آياته الـكونية والعلمية – فالتقم الشيطان قلوبهم ، وأغراهم بشهوات البطون والفروج . ثم أوغلوا فيها حتى غرقوا فى غمرة الأهواء الضالة ، وازدادوا انسلاخا بها – وبما ولدته لهم من جاهلية جهلاء ، وتقاليد عمياء – من آيات ربهم . فأتبعهم الشيطان فكانوا من الغاوين ، الغافلين عن كل ما يعظهم الله به من حوادث وعبر ، وعن كل ما يلقّيهم من عواقب الخيبة والخسران فى كل شأن وعمل . فلا يفكرون أن يحاسبوا أنفسهم ويسألوها عن

سر هذه الخيبة والخسران وكلما أيقظهم الله بحادث من الحوادث ، وهى جد كثيرة ، متنوعة لكل واحد بحسبه ، ولكل أمة بحسبها : كانت يقظتهم ـ لشدة الغفلة ، وتحكم البهيمية ، وتمكن الشيطان من قلوبهم وشدة استحواذه عليهم ـ لمحة خاطفة ، تفلت من أنفسهم الميتة ومن قلوبهم الواهنة . ومن عقولهم المزقة . فتذهب مع الهوى والأهواء سريعة ، لا يحاولون أن يمسكوا بها ويقفوها ويقفوا معهـا متسائلين : هل هذه عاقبة المؤمنين ؟ أم هذه عاقبة الأحياء الذين يعلمون ما يعلمون ويريدون ويعقلون ويختارونها ما يعملون ؟ ! أم هذه عاقبة العقلاء المتقين الناصحين لأنفسهم ، الذين يخافون عليها عاقبة السوء ، ويحذرون مآل الظالمين الخاسرين ؟

وتذهب ساعة اليقظة فى غمرة الاستهتار واللهو واللعب ، والإهمال والانحلال ـ التى يسمونها ساعة القلب ـ وإنما هى ساعة موت القلب . مسجلة عليهم عند الله . يسألهم عنها ويحاسبهم عليها ، ويبطل بها معاذيرهم (٨٢ : ١٩ يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله) .

وهذا هو الجزاء الحق من ربنا الحق ، تحقيقاً لوعده الحق ، وتنفيذاً لأمره الحق . لايخص به أمة دون أمة ، ولا فرداً دون فرد ، ولا ماضياً دون حاضر ، مادام السبب هو السبب ، ولا أسود دون أبيض . والغفلة هى الغفلة ، والتقليد هو التقليد ، والجاهلية هى الجاهلية . ومادام الشيطان هو الولى ، تسلم له القلوب بالوثنية ، وعبادة الأهواء والموتى والرجوم والأنصاب وتدين بشريعته الخبيثة التى ولدها من الظنون وما تهوى الأنفس الباغية الجاهلية ، وتنقاد الجوارح بالأعمال فى طاعته ، وثنية فى العقائد ، وشركا بالموتى وقبورهم ، ولهوا ولعباً وفسوقاً وعصياناً عن أمر الله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .

وذلك هو قوله تعالى « وما ظلمناهم » يعنى : وما نقصناهم من حقوقهم فى الإنسانية العاقلة المميزة شيئاً . فإن الله سبحانه خلق الإنسان وسواه كله فى أحسن تقويم فى صورته البشرية ، وحقيقته الإنسانية . فصوره ـ آدم وبنوه من الأبيض والأسود والأحمر ، والأنبياء والمؤمنين والأبرار والفجار والكافرين ـ جسما من طين . ونفخ فيه من روحه . فكان بشراً

عاقلاً ، مفكراً متأملا مميزاً . يقدر أن يعلم ، ويقدر أن يفقه وأن يفهم ، ويقدر أن يميز الطيب من الخبيث ، والصالح من الفاسد ، والهدى من الضلال ، والنافع من الضار ، ورضا الله من سخطه ، والفلاح من الخسران ، والسعادة من الشقاء .

« ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » إذ كذبوا بآيات الله الدالة على أسمائه وصفاته وآثارها فيهم . فزعموا ـ فى غفلة غافلة ، وجاهلية مخزية ـ أن كتب الله ورسالاته لايعقلها ولا يفهمها ولايفقهها ، ويقدر أن يأخذ منها حاجته لعقيدته الصحيحة الطيبة التى لا أحبها الله لقلبه ، ورضيها لكرامة إنسانيته وإعزازها ورفعها على مراقى الكرامة ، وحاجته لأخلاقه التى تحقق للإنسان كرامته ومعناه الفاضل ، الذى من أجله استخلفه ربه فى الأرض ، وسخر له مافى السموات ومافى الأرض ، وأسجد له ملائكته . فتجعله من الأخيار الأبرار ، برا بنفسه إذ اختار لها العزة والكرامة . وأبى لها الخسة واللؤم والدناءة . وأحب لها الإحسان ، وكره لها السوء والإساءة والشر .

ويأخذ منها حاجته لأعماله حتى تكون صالحة ، يؤتيه الله منها الثمرات الطيبة فى نفسه ، وفى كل من حوله وما حوله . فيسعد فى نفسه ، ويكون سبباً لسعادة من حوله .

زعم المقلدون الجاهليون : أن كل هذه الطيبات من كتب الله ورسالاته ، لا يقدر على اجتنائها منها ـ بالفهم والفقه والتدبر ـ إلا طائفة قليلة جداً آثرهم الله وحدهم بمفاتيحها وظلم الآخرين . فمنعهم إياها . ويسرها لهذه الطائفة القليلة . فكانت وقفاً عليهم وحراماً على غيرهم ، وزعموا ـ بذلك ـ أن الله هو الذى حال بينهم وبين فهم كتبه ورسالاته . فلم يعطهم من العقل والأسباب ماأعطى هذه القلة القليلة ، وأنه لن يعطيهم مهما حاولوا وطلبوا ، ومهما بذلوا من مجهود وسلكوا من سبل ، واتخذوا من أسباب . وسبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

فهم الذين ظلموا أنفسهم ونقصوها حقها فى العقل الإنسانى ، والفهم والتفكير الإنسانى وهم الذين ساءوا إلى أنفسهم وظلموها ، فأخرجوها من دائرة عباد الرحمن وأوليائه إلى دائرة عباد الشيطان وأوليائه .

وهم الذين أساءوا إلى أنفسهم وظلموها ، فسلكوا السبل الشائكة ، وأخذوا الطرق المعوجة الضيقة ، وأبوا اليسر وكرهوه ، واختاروا الضيق والآصار والأغلال والعسر . فذهبوا يدينون الباطل على غير هدى ولا بصيرة . فكانوا أخسر الناس أعمالا .

وهم الذين ظلموا أنفسهم فاختاروا العمى على الهدى . والجاهلية على النور والعلم . فضل سعيهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

وهم الذين ظلموا أنفسهم فأساءوا ـ بهذا العمى ، وبهذه الجاهلية ـ فى كل ما أنعم الله عليهم من أسباب الحياة الطيبة ، لبشريتهم وإنسانيتهم ومعناها الكريم . فكانت عاقبتهم فى كل شأن وعمل وطريق أسوأ السوأى . وصدق الله ربنا إذا يقول (٣٠ : ١٠ ثم كان عاقبة الذين أساءوا : السوأى ، أن كذبوا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون) .

وهم الذين ظلموا أنفسهم . فبلغوا بها فى كل سعى فى الدين والدنيا إلى الخيبة والخسران ، والشقاء اللازم ، والعذاب الأليم (٧ : ١٧٦ ـ ١٧٩ ساء مثلاً الذين كذبوا بآياتنا، وأنفسهم كانوا يظلمون . من يهدى الله فهو المهتدى . ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون . ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) (٦ : ١٢٢ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا، له نوراً يمشى به فى الناس، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) (٦٧ : ١٣ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى . أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم ؟) .

أما المسلمون الصادقون ، أما المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب وهم بالآخرة هم يوقنون . أما العقلاء الناصحون ، أما المتفكرون المتذكرون المتيقظون : فهم الذين يؤمنون بالله عن علم ، وفقه وفهم ، وتفكر ، وتأمل فى آيات الله ، فى أنفسهم ، وفى الآفاق . وأن ربهم ـ سبحانه ـ ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ويؤمنون بأسمائه وصفاته من آثارها فيهم ، وفى كل شىء .

ومن أوضح آثارها فيهم : خلقه وتسويته للإنسان الذى سوى صورته من طين ، وسوى حقيقته ومعناه مما نفخ فيه من روحه ، وأن ربه إنما أكرمه بهذه الشخصية المعنوية

الثانية وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، وأنه سبحانه قد سهل و يسر لكل بنى آدم - لأنهم جميعاً عبيده ، وهو ربهم - أسباب العلم الذى ينفعهم فى معاشهم ومعادهم ، والذى يزدادون به من كرامة الإنسانية ومعانيها الطيبة وأقسم سبحانه على ذلك ، وكرر القسم والمقسم عليه . فقال (٥٤ : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مذكر ؟!) هل يدع هذا مجالا لعذر معتذر ؟ .

وأنه سبحانه هو الذى يوالى عليهم أسباب الحياة الطيبة الكريمة لأجسامهم . فأولى ثم أولى أن يوالى لأرواحهم ولُبِّهم ومعناهم وقلبهم أسباب الحياة الطيبة الكريمة .

وهل أطيب من حياة القلوب بفهم القرآن وتدبره ؟

وهل ماتت القلوب وقست وتحجرت إلا من نجواها . بقال فلان ، ورأى فلان ، وما قال وفعل الآباء والأجداد ، وما يعيش عليه الجماهير من مئات السنين ؟

والمؤمنون لذلك يحرصون أشد الحرص على ذكر الله وأسمائه ، فى كل ما يتناولون ، وكل مايضطربون فيه من شئون الحياة : من اللقمة ، والشربة ، إلى مافوقهما .

وهم بهذا يسلمون قلوبهم ووجوههم لله وحده ، ويحرصون - فى أشد يقظة - على الإحسان فى كل ما أنعم عليهم ربهم ، مما تجلى عليهم فيه بأسمائه الحسنى.

فيحرصون أشد الحرص على أخذ كل أسباب الإحسان - فى جميع نعم الله عليهم من كتابه ورسالاته ، وهدى رسله - مطيعين لقول ربهم (٧ : ٣ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم . ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وقوله (٤٢ : ١٢ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (٤٢ : ١٥ استقم كما أمرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . لاحجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا وإليه المصير) ذلك أنهم علموا علم اليقين : أن الله حقاً هو رب الجميع . وأن الجميع خلقه وعبيده . وأنه ليس بينه وبين أحد منهم إلا صلة الربوبية والعبودية . فهو الذى يرب الجميع ، ويربيهم بفضله وكرمه ، ورحمته وحكمته . ويعاملهم جميعاً - فى كل شأن من شئونهم - بعدله وإحسانه وفضله .

فما من نعمة على أحد منهم إلا هى من الله .

ومامن أحد منهم إلا وهو عبد الله ، وخلقُ الله ، والله للجميع هو الرزاق ذو القوة المتين يسمع دعاءهم ، ويبصر جميع أحوالهم وتقلباتهم ، ويعطيهم مابه عيشهم، وبيده أرواحهم .وآجالهم .

وما من أحد منهم إلا وهو مجزى الجزاء الأوفى . وميزان القسط بيد الله وحده (٧ : ٦ ـ ٩ فلنسألن الذين أرسل إليهم ، ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم ، وما كنا غائبين . والوزن يومئذ الحق . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) (٢٣ : ١٠١ ـ ١٠٥ فإذا نفخ فى الصور فلاأنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ـ إلى قوله ـ ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ؟) (٤٤ : ٤١ ، ٤٢ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولًى عن مولًى شيئاً ولاهم ينصرون . إلا من رحم الله . إنه هو العزيز الرحيم) (٢٥ : ٢٣ ، ٣١ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ، فجعلناه هباءً منثوراً . أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا . ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلاً . الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً . ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى، ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان) الذى هو الخليل ، من الصاحب ، أو الداعى والمعلم (للإنسان خذولا . وقال الرسول : يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من من المجرمين . وكفى بربك هادياً ونصيراً) .

وقول ربنا الكريم ، الغفور الودود ، الرحمن الرحيم ، سبحانه « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم » يفتح أوسع أبواب الرحمة لكل مسرف على نفسه ، مهما أسرف وطال إسرافه ، ومهما كبرت خطاياه ، وعظمت جرائمه ، وكثرت جناياته ، وظلمه لنفسه .

وكيف لا ؟ وربنا التواب الرحيم ، الغفور الودود ، الذى وصفه لنا رسوله الأكرم ، ومختاره الأعظم ، حبيبنا وهادينا الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم . فقال فى الحديث الصحيح فيما روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل فى أرض دَوِّيَّة[1] مهلكة ، معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة . فاستيقظ وقد ذهبت راحلته . فطلبها . حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش ـ أو ما شاء الله ـ قال: أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه . فأنام حتى أموت . فوضع رأسه على ساعده ليموت . فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه . فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » .

لله أفرح بأوبة عبده إليه وتوبته ، ومحاولة انتزاع نفسه من مخالب عدوه الشيطان بلجئه إلى ربه ، وإنابته إليه فى خشوع وذلة وضراعة ، ومسكنة صادقة ، بعد أن عرف إلى أين وصل به عدوه من المهالك والشقاء ، والخيبة ، والخسران ، وهو غافل لاه مخدوع بتزيين الشيطان وحزبه ؟

فرأى نفسه ساقطاً فى هاوية سحيقة ، يتمرغ فى أقذر الأوحال ، وأخبث الأعمال ، وأقبح الخصال ، وأردأ الأحوال ، وأنه أصبح ـ من الحقارة والصغار ـ بحيث أصبح أقل الحشرات خيراً منه ، وأكرم .

فهذه النملة إذا جهدت لجأت إلى الله ربها . تسأله وتدعوه ، وتؤمله وحده وترجوه ، لأنه السميع القريب المجيب ، الرب الرءوف الرحيم ، الغنى الحميد ، الذى خلقها هذا الخلق ، وصورها هذا التصوير البديع ، وفطرها على هذه الفطرة العجيبة . وسخر لها معاشها ، وآتاها من الأسباب ما تسعى به لعيشها ، وتعمل على بقاء حياتها فى راحة ، وهو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

وأما هو : فقد أصغى ـ بجهالته وسفهه ورعونته وتقليده الأعمى ـ إلى عدوه الشيطان وحزبه . فذهب ـ فى حقارة ودناءة وخسة ولؤم ـ يسأل الميت الذى دفنه هو أو أخوه بالأمس ، وأهال عليه التراب ، وأحكم إغلاق قبره ، منعاً لتسرب العفن من رمته ، لا يؤذى الأحياء ـ فهو يضرع إليه ويرجوه ، ويخافه ويخشاه ، وينذر له ويذبح ، وينسك له المناسك وينفق فيها ثمين الوقت والمال ، ويقسم به أوكد الأيمان .

وهو يعمل له الأستار ، ثم يتعلق بها معتقداً ـ أقذر العقائد وأخسها ـ أن بها بركة ،

(١) الدوية : المفازة والفلاة والقفر .

ويذهب ـ فى أشد بلادة ، وأعمى غباوة ـ يطوف ويتمسح بالرجوم والأنصاب التى صنعها هو بيديه وآلاته لهذا الميت وأقامها عليه .

ورأى كل مافى الوجود آخذاً طريقه فى شئون حياته على هدى الفطرة التى فطره عليها ربه ، لا يميل ولايزيغ ، وكل مافى الوجود ـ آخذاً طريقه كذلك ـ مسخر له ، وقائم فى خدمته . وأنه هو الذى زاغ عن السبيل السوى ، وتمادى فى جهالته وجاهليته وغوايته ، حتى انعكست فطرته ، وانتكست ، وأصبح يرى الحسن قبيحاً ، والطيب خبيثاً ، والحق باطلا ، والهدى ضلالا ، والتوحيد كفراً ، والخير شراً ، والقطيعة وصلا ، وطاعة الله ورسوله نكراً ، والشرك والفسوق والعصيان ، وقلة الحياء ، والجرأة على إضاعة الحقوق ، والوقاحة فى عداون الحدود وانتهاك الحرمات وحُنكة وشطارة ، ورقياً وتقدماً .

رأى كل ذلك حين أيقظه ربه ـ وما أكثرمايوقظ الله الغافلين ، ويسوق إليهم فى أنفسهم وفيما حولهم العبرة والعظة من عظاته المتكاثرة المتكررة ـ فتشبث بحبلها ، واستمسك به بكلتا يديه . وقد مقت نفسه البهيمية التى صارت بطاعته لها ، ومسارعته إلى هواها أمارة بالسوء ـ أشد مقت ، وأبغض عدوه أشد بغض . وأحس آلام مقته لنفسه ، وأحس آلام مخالب عدوه تمزق قلبه وتحاول جاهدة القضاء الأخير عليه .

وأحس رحمة ربه ورَوْحها ونعيمها الذى كان عنه غافلا ، وفضله الذى يغمره وكان له متجاهلا . وأحس بر به يناديه (٤ : ١١٠ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) ، (٧ : ١٣٥ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم) ، (٦ : ٥٤ سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) ، (٢٩ : ٥٤ ـ ٦٠ ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً . إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، من قبل أن يأتيكم العذاب ، ثم لاتنصرون . واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم لاتشعرون . أن تقول نفس : ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله . وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول : لو أن الله هدانى ، لكنت من المتقين . أو تقول ـ حين ترى العذاب : ـ لو أن

لى كرَّةً ، فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى ، فكذبت بها . واستكبرت . وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟) .

سمع هذا ـ وغيره ـ من دعاء ربه ـ فيما يوالى عليه من آيات الليل والنهار ، وما سخر فيهما ، وما يحدث من العبر والحوادث فيهما ، وما يتلو من آيات ربه القرآنية ، ويحس من لهب مواعظها يصهر قلبه ليخرج زبده ويصفيه ويخلصه ـ سمع أصوات هذه الآيات والعبر والعظات تدق على قلبه دقا قويا رفيقاً ، وتوالى دقه وطرقه ، حتى أصغى إليه ، فنهض ـ فى عزم وقوة ـ يستجيب لداعى الله ربه .

فأخذ يبدد ظلمات جاهليته بهدى الفطرة ، وهدى السنن الكونية ، وهدى القرآن ، وهدى الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم . فبدأ النور يستيقظ ويشع فى مشكاته ، وأخذ القلب يرجو المزيد من النور . وبدأ الفكر يعمل متدبراً يعصر من آيات القرآن المباركة ، ويستخرج زينها المبارك ، ويرسله مدداً للمصباح . وقد جلا الندم والإنابة الزجاجة ، ونظفت المشكاة من عناكب الوسواس الخناس .

وأخذ يحطم عن إنسانيته المفكرة أغلال التقليد . فذهبت فى نشاط تتأمل وتفكر فى خلق الله ، فتمد العقل وتزيده صقلا وصفاء ، فيزداد حياة وإشراقا ، ويزداد إقبالا على استعراض ماجمع وعقل من سنن الله وآياته فى نفسه وفى خلق السموات والأرض ، وما كان فيهما من حوادث الليل والنهار ، فيزيد النور قوة وإشعاعا (٢٤:٤٥ نوراً على نور يهدى الله بنوره من يشاء) .

ويجتمع نور الفطرة ونور التفكر فى خلق الله ، ونور الشكر لأنعم الله ، ونور علم القرآن ، ونور هدى الرسول صلى الله عليه وسلم . فيتم النور ، وتتم الاستقامة والاستواء .

فيمشى سوياً على صراط مستقيم ، ويتحرى كل شىء أساء فيه وفسق فيما مضى أن يحسن فيه بطاعة الله ورسوله ، وكل شخص كان سبباً فى فسوقه وغفلته : أن يصلحه ويقومه بالنصيحة الخالصة من قلب شفوق ، ونفس زكية ، حريصة على استقامته وهداه .

وهكذا يكون تواباً منيباً ، مؤمناً صالحاً مصلحاً ، مسلماً محسناً ، بَرّاً تقياً صباراً شكارا .

محققاً لدعوة ربه (٥٧ : ٢٨ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نوراً تمشون به ، ويغفر لكم ، والله غفور رحيم) تاب التوبة النصوح التى وصى الله بها عباده المؤمنين بقوله (٢٤ : ٣١ وتوبوا إلى الله جميعا ، أيها المؤمنون ، لعلكم تفلحون) وفى قوله سبحانه (٦٦ : ٨ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا . عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم . ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه . نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم . يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا . إنك على كل شىء قدير) والتى وصى بها نبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم « أيها الناس توبوا إلى الله . فإنى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة » أو كما قال . وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فى المجلس سبعين مرة .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً . فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُلَّ على راهب . فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا . فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُل على رجل عالم . فقال : إنه قتل مائة نفس . فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . من يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها ناسا يعبدون الله . فاعبد الله معهم . ولا ترجع إلى أرضك . فإنها أرض سوء . فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة . وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضين . فإلى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد شبراً . فقبضته ملائكة الرحمة » .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم : أن يجعلنا ـ بفضله وإحسانه ـ من التوابين المتطهرين . وأن يصلى ويسلم ويبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

أمثال القرآن

لشيخ الإسلام ، الإمام العلامة المحقق ، السلفى الصالح :

ابن قيم الجوزية

رحمه الله ورضى عنه

فصل

ومنها : قوله تعالى (١٤ : ١٨ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شىء . ذلك هو الضلال البعيد) .

شبه سبحانه أعمال الكفار ـ فى بطلانها ، وعدم الانتفاع بها ـ برماد مرت عليه ريح شديدة فى يوم عاصف فطارت به كل مطار . وذهب ذرات فى مهب . فشبه سبحانه أعمالهم ـ فى حبوطها باطلا ـ كالهناء المنثور ، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان ، وكونها لغير الله عز وجل ، وعلى غير أمره ، برماد طير به الريح . فلا يقدر صاحبه على شىء منه وقت شدة حاجته إليه . فكذلك الذين كفروا بربهم : لايقدرون يوم القيامة[1] مما

---

(١) وكذلك فى الدنيا . فإن الله لايضيع عمل عامل بدون جزاء ولا ثواب .

فثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات : حياة طيبة آمنة ، وعيش هنىء . كما قال تعالى : (١٦ : ٩٧ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة . ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) و (٢ : ٣٨ فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وثواب الذين كفروا بالله وآياته ونعمه وكتبه ورسله ، واتخذوا من دونه الأنداد والآلهة من الموتى ، واتخذوا الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ـ فثواب أعمالهم وعقائدهم فى الدنيا ماقال ربنا (٣٢ : ٢١ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) وقال (٢٠ : ١٢٣ ، ١٢٤ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى)

كسبوا من أعمالهم على شيء . فلا يرون له أثرا من ثواب ، ولا فائدة نافعة . فإن الله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، موافقاً لشرعه .

والأعمال أربعة . فواحد مقبول ، وثلاثة مردودة .

فالمقبول : الخالص الصواب . فالخالص : أن يكون لله ، لالغيره . والصواب : أن يكون مما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

والثلاثة المردودة : ماخالف ذلك .

وفى تشبيهها بالرماد شيء بديع . وذلك : للتشابه الذى بين أعمالهم و بين الرماد ، فى إحراق النار ، و إذهابها لأصل هذا وهذا .

فكانت الأعمال التى لغير الله عز وجل ، وعلى غير مراده : طعمة للنار . و بها تُسعَّر النار على أصحابها . و ينشىء الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذابا ، كما ينشىء لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه ، التى هى خالصة لوجهه من أعمالهم : نعيما وروحاً .

فأثرت النار فى أعمال أولئك ، حتى جعلتها رماداً .

فهم وأعمالهم ومايعبدون من دون الله وقود النار .

فصل

ومنها قوله تعالى (١٤ : ٢٤ ـ ٢٦ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) .

شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع .

وهذا ظاهر ، على قول جمهور المفسرين ، الذين يقولون ، الكلمة الطيبة هى « شهادة أن لا إله إلا الله » فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة .

فكل عمل صالح مرضى لله عز وجل فهو ثمرة هذه الكلمة .

وفى تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال « الكلمة طيبة :

شهادة أن لا إله إلا الله ، كشجرة طيبة . وهى المؤمن أصلها ثابت : قول لا إله إلا الله فى قلب المؤمن . وفرعها فى السماء ، يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء » .

وقال الربيع بن أنس « كلمة طيبة » هذا مثل الإيمان فإن الإيمان الشجرة الطيبة . وأصلها الثابت الذى لا يزول : الإخلاص فيه . وفرعه فى السماء : خشية الله .

والتشبيه على هذا القول أصح ، وأظهر وأحسن .

فإن الله سبحانه شبه شجرة التوحيد فى القلب بالشجرة الطيبة ، الثابتة الأصل ، الباسقة الفرع فى السماء علواً . التى لا تزال تؤتى ثمرتها كل حين .

و إذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة ،الراسخة فى القلب ، التى فروعها ـ من الأعمال الصالحة ـ صاعدة فى السماء . ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها فى القلب ، ومحبة القلب لها و إخلاصه ، ومعرفته بحقيقتها ، وقيامه بحقها ، ومراعاتها حق رعاياتها . فمن رسخت هذه الكلمة فى قلبه بحقيقتها ، واتصف قلبه بها . وانصبغ بها بصبغة الله التى لا أحسن صبغة منها . فعرف حقيقة الالهية التى يثبتها قلبه لله و يشهد بها لسانه . وتصدقها جوارحه . ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ماسوى الله عز وجل . وواطأ قلبه لسانه فى هذا النفى والاثبات . وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سُبل ربها ذُللا ، غيرُ ناكبة عنها ، ولا باغية سواها بدلا ، كما لا يبتغى القلب سوى معبوده الحق بدلا . فلا ريب أن هذه الكلمة ، وهذا القلب ، وهذا اللسان . لا تزال تؤتى ثمراتها من العمل الصالح ، الصاعد إلى الله .

فهذه الكلمة الطيبة : هى التى رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى .

وهذه الكلمة تثمر كلماً كثيرا طيباً ، يقارنه عمل صالح . فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، كما قال تعالى (٣٥ : ١٠ إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه)

فأخبر سبحانه : أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب .

وأخبر : أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحاً كل وقت .

والمقصود : أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن ، عارفاً بمعناها وحقيقتها ، نفياً و إثباتاً

متصفاً بموجبها ، قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهـادته : فهذه الـكلمة من هذا الشاهد : أصلها ثابت راسخ فى قلبه . وفروعها متصلة بالسماء . وهى مخرجة لثمراتها كل وقت .

ومن السلف من قال « إن الشجرة الطيبة : هى النخلة » ويدل عليه حديث عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما الصحيح .

ومنهم من قال « هى المؤمن نفسه » كما قال محمد بن سعيـد حدثنى أبى حدثنى عمى حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعـالى (ألم تر كيف ضرب الله ـ الآية) يعنى بالشجرة الطيبة : المؤمن . ويعنى بالأصل الثابت : فى الأرض ، والفرع : فى السماء . يكون المؤمن يعمل فى الأرض ويتكلم ، فيبقى قوله وعمله فى السماء وهو فى الأرض .

وقال عطية العوفى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال : ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله تعالى .

وقال الربيع بن أنس « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » قال : ذلك المؤمن ، ضرب مثله فى الإخلاص لله وحده ، وعبادته وحده لاشريك له « أصلها ثابت » قال : أصل عمله ثابت فى الأرض « وفرعها فى السماء » قال : ذكره فى السماء .

ولا اختلاف بين القولين .

فالمقصود بالمثل : المؤمن ، والنخلة مشبهة به ، وهو مشبه بها .

وإذا كانت النخلة شجرة طيبة ، فالمؤمن المشبه بها : أولى أن يكون كذلك .

ومن قال من السلف : إنها شجرة فى الجنة ، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة .

وفى هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف مايليق به ويقتضيه علم الذى تكلم به سبحانه وحكمته .

فمن ذلك : أن الشجرة لا بد لهـا من عروق وورق وثمر . فـكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه والمشبه به .

فعروقها العلم والمعرفة واليقين . وساقها : الإخلاص . وفروعها : الأعمال . وثمرتهـا :

ماتوجبه الأعمال الصالحة : من الآثار الحميدة ، والصفات الممدوحة ، والأخلاق الزكية ، والسمت الصالح ، والهدى والدَّلِّ المرضى .

فتستدل على غرس هذه الشجرة فى القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور .

فإذا كان العلم صحيحاً ، مطابقا لمعلومه الذى أنزل الله كتابه به ، والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه ، وأخبرت به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم . والإخلاص قائم فى القلب . والأعمال موافقة للأمر ، والهدى والدل والسمت : مشابهة لهذه الأصول مناسبة لها : علم أن شجرة الإيمان فى القلب أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء .

وإذا كان الأمر بالعكس : علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة ، التى اجتثت من فوق الأرض . مالها من قرار .

ومنها : أن الشجرة لاتبقى حية إلا بمادة سقيها وتنميتها . فإذا قطع عنها السقى : أوشك أن تيبس . فهكذا الشجرة فى القلب ، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، والعود بالتذكر على التفكر ، وبالتفكر على التذكر : وإلا أوشك أن تيبس

وفى مسند الإمام أحمد رحمه الله - من حديث أبى هريرة - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الإيمان يَخْلَق فى القلب كما يخلق الثوب . فجددوا إيمانكم » .

وبالجملة : فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك .

ومن ههنا يعلم شدة حاجة العباد إلى ماأمر الله به من العبادات ، على تعاقب الأوقات . ومن عظيم وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده : أن وظفها عليهم ، وجعلها مادة لسقى غراس التوحيد الذى غرسه فى قلوبهم .

ومنها : أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة : أن لابد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه . فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه : كمل الغرس والزرع ، واستوى ، وتم نباته وكان أوفر لثمرته ، وأطيب وأذكى .

وإن تركه : أوشك أن يغلب على الغراس والزرع ، ويكون الحكم له ، أو يضعف الأصل ، وتحصل الثمرة ذميمة ناقصة ، بحسب كثرته وقلته .

ومن لم يكن له فقه نفس فى هذا ومعرفة به فاته ربح كبير ، وهو لا يشعر .

فالمؤمن دائما سعيه فى شيئين : سقى هذه الشجرة ، وتنقية ماحولها .

فبسقيها تبقى وتدوم . وبتنقية ماحولها : تكمل وتتم . والله المستعان . وعليه التكلان .

فهذا بعض ماتضمنه هذا المثل الجليل العظيم من الأسرار والحكم . ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقفة ، وقلوبنا المخطئة ، وعلومنا القاصرة ، وأعمالنا التى توجب التوبة والاستغفار . وإلا فلو طهرت منا القلوب ، وصفت الأذهان ، وذكت النفوس ، وخلصت الأعمال ، وتجردت للبلاغ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم : لشاهدنا من معانى كلام الله تعالى ، وأسرار حكمه : ما تضمحل عنده العلوم ، وتتلاشى عنده معارف الخلق .

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم . رضى الله عنهم . وأن التفاوت الذى بين علومهم ، وعلوم من بعدهم . كالتفاوت الذى بينهم وبينهم فى الفضل . والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله . ويختص من يشاء برحمته .

فصل

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة ، التى اجتثت من فوق الأرض . فلا عرق ثابت ولا فرع عالٍ ، ولا ثمرة زاكية ، ولا ظل ولا جنًى ، ولا ساق قائمة ، ولا عرق فى الأرض ثابت . فلا أسفلها مغدق ، ولا أعلاها مونق . ولا جنى لها . ولا تعلو ، بل تُعلَى .

وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخالق فى ـ خطبهم وكتبهم ـ وجده كذلك .

فالخسران كل الخسران : فى الوقوف معه ، والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه .

قال الضحاك : ضرب الله مثلا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار . يقول : ليس لها أصل ولا فرع . وليس لها ثمرة . ولا فيها منفعة .

وقال ابن عباس : (ومثل كلمة خبيثة) وهى الشرك (كشجرة خبيثة) يعنى : الكافر (اجتثت من فوق الأرض . مالها من قرار) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان . ولا يقبل الله مع الشرك عملاً . فلا يقبل عمل المشرك ، ولا يصعد إلى الله . فليس له أصل ثابت فى الأرض ، ولا فرع فى السماء .

يقول : ليس له عمل صالح فى السماء ، ولا فى الأرض .

وقال الربيع بن أنس : مثل الشجرة الخبيثة : مثل الكافر . ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض ، ولا يصعد إلى السماء .

وقال سعيد عن قتادة ، فى هذه الآية : إن رجلاً لقى رجلاً من أهل العلم . فقال له : ماتقول فى الكلمة الخبيثة ؟ قال : لا أعلم لها فى الأرض مستقراً ، ولا فى السماء مصعداً . إلا أن تلزم عنق صاحبها ، حتى توافى به القيامة .

وقوله « اجتثت » أى استؤصلت من فوق الأرض .

ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله فى الفريقين : أصحاب الكلم الطيب ، والكلم الخبيث . فأخبر : أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت ، أحوج ما يكون إليه فى الدنيا والآخرة . وأنه يضل الظالمين ــ وهم المشركون ــ عن القول الثابت .

فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم ، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم .

وتحت قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) كنز عظيم . من وقف عليه لفطنته ، ووفق لمعرفته . وأحسن استخراجه ، واقتناه ، وأنفق منه : فقد غنم ، ومن حرمه : فقد حرم .

وذلك : أن العبد لايستغنى عن تثبيت الله له طرفة عين . فإن لم يثبته الله و إلا زال سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما .

وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (١٧ : ٤٧ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) وقال تعالى (٨ : ١٢ إذ يوحى ربك إلى الملائكة : أنى معكم . فثبتوا الذين آمنوا) .

وفى الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلى قال « وهو يسألهم ، و يثبتهم » .

وقال تعالى لرسوله (١١ : ١٢٠ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

فالخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت ، ومخذول بترك التثبيت .

ومادة التثبيت : أصله ومنشؤه : عن القول الثابت ، وفعل ما أمر الله به العبد فيهما يثبت الله عبده . فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً ، كان أعظم تثبيتاً .

قال تعالى (٤ : ٦٦ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) .

فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً . والقول الثابت : هو القول الحق ، والصدق . وهو ضد القول الباطل والكذب .

فالقول نوعان : ثابت له حقيقة ، و باطل لاحقيقة له .

وأثبت الأقوال : كلمة التوحيد ولوازمها . فهى أعظم مايثبِّت الله بها عباده فى الدنيا والآخرة . ولهذا ترى الصادق : من أثبت الناس ، وأشجعهم قلباً . والكاذب : من أمهن الناس ، وأجبنهم وأكثرهم تلوناً ، وأقلهم ثباتاً .

وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق ، من ثبات قلبه وقت الإخبار ، وشجاعته ومهابته ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك . ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة .

وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به .

فقال : والله مافهمت شيئاً ، إلا أنى سمعت لكلامه صولة ليست بصولة مبطل .

فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت .

ويجد أهل القول الثابت ثمرته . أحوج ما يكونون إليه فى قبورهم ، ويوم معادهم . كما جاء فى صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن هذه الآية نزلت فى عذاب القبر » وقد جاء مبيناً فى أحاديث صحاح .

منها : ما هو فى المسند من حديث داود بن أبى هند عن أبى بُسرة عن أبى سعيد . قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم . فى جنازة . فقال « يا أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه . جاءه ملك بيده مطراق . فأقعده . فقال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله . وحده لاشريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول له : صدقت . فيفتح له باب إلى النار . فيقول له : هذا منزلك لو كفرت بربك . فأما إذ آمنت . فإن الله أبدلك به هذا . ثم

يفتح له باب إلى الجنة . فيريد أن ينهض له ، فيقال له : اسكن . ثم يفسح له فى قبره . وأما الـكافر ـ أو المنافق ـ فيقال له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى . فيقال له : لادريت ، ولا اهتديت . ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا منزلك لو آمنت بربك . فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا . ثم يفتح له باب إلى النار . ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين . قال بعض أصحابه : يا رسول الله ، ما منا من أحدٍ يقول على رأسه ملك بيده مطراق إلا فصل عند ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيـا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء » .

وفى المسند نحوه من حديث البراء بن عازب .

وروى المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكر قبض روح المؤمن ـ فقال « يأتيه آت ـ يعنى فى قبره ـ فيقول : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله . ودينى الإسلام . ونبى محمد صلى الله عليه وسلم . قال : فينتهره . فيقول : من ربك وما دينك ؟ ثم يسأل الثالثة ويوخذ أخذاً شديداً . فذلك حين يقول الله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد صلى الله عليه وسلم . فيقال له صدقت » وهذا حديث صحيح .

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . قال : إذا قيل له فى القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسـلام ، ونبى محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءنا بالبينات والهدى من عند الله ، فآمنت به وصـدقته . فيقال له : صدقت ، على هذا عشت ، وعليه مت . وعليه تبعث » .

وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان عن البراء بن عازب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكر قبض روح المؤمن ـ قال « فترجع روحه فى جسده ،

ويبعث إليه ملكان شديدا الانتهار . فيجلسانه وينتهرانه ، ويقولان له: من ربك؟ فيقول: الله . فيقولان: وما دينك؟ فيقول : الإسلام . فيقولان له: ماهذا الرجل ـ أو النبى ـ الذى بعث فيكم ؟ فيقول : محمد رسول الله . فيقولان له : ومايدريك ؟ قال ، فيقول:قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . وذلك قول الله تبارك وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) » رواه ابن حبان فى صحيحه . والإمام أحمد فى المسند .

وفى صحيح ابن حبان أيضاً : من حديث أبى هريرة ، يرفعه . قال « إن الميت ليسمع خفق نعالهم ، وهم يولون عنه مدبرين . فإذا كان مؤمناً : كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه . وكان الصيام عن يساره . وكان فعل الخيرات ــ من الصدقة ، والصلة ، والمعروف، والإحسان إلى الناس ــ عند رجليه . فيؤتى من عند رأسه . فتقول الصلاة : ماقبلى مدخل . ثم يؤتى عن يمينه . فتقول الزكاة : ماقبلى مدخل . فيؤتى عن يساره ، فيقول الصيام : ماقبلى مدخل . فيؤتى من عند رجليه . فيقول فعل الخيرات ــ من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والإحسان إلى الناس ــ: ماقبلى مدخل . فيقال له : اجلس . فيجلس . قد مثلت له الشمس ، وقد دنت للغروب . فيقال له : أخبرنا عما نسألك عنه . فيقول : دعونى حتى أصلى . فيقولون : إنك ستفعل . فأخبرنا عما نسألك . فيقول : وعما تسألونى ؟ فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ، ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقال نعم . فيقول : أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاء بالبينات من عند الله . فصدقناه . فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مُتَّ ، وعلى ذلك تبعث ، إن شاء الله . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ، وينور له فيه . ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : انظر إلى ماأعد الله لك فيها . فيزداد غبطة وسروراً . ثم يجعل نسمة فى النسم الطيب ــ وهى طير خضر تعلق بشجر الجنة ــ فيعاد الجسد إلى مابدأ منه من التراب . وذلك قول الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) » .

ولا تستطل هذا الفصل المعترض فى المغنى والشاهد والحاكم ، بل وكل مسلم : أشد ضرورة إليه من الطعام والشراب والنفس . وبالله التوفيق .

فصــل

ومنها قوله تعالى (٢٢ : ٣٠ ، ٣١ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله ، غير مشركين به . ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء . فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله ، وتعلق بغيره .

ونحرر لك فى هذا التشبيه أمران .

أحدهما : أن نجعله تشبيهاً مركباً ، ويكون قد شبه من أشرك بالله ، وعبد معه غيره ، برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة . فصور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء . فاختطفته الطير فى الهواء . فتمزق مِزعاً فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطارح البعيدة . وعلى هذا لاتنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به .

والثانى : أن يكون من التشبيه المفرق . فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد ـ فى علوه ، وسعته وشرفه ـ بالسماء التى هى مصعده ومهبطه . فمنها يهبط إلى الأرض وإليها يصعد منها .

وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل السافلين . من حيث التضييق الشديد ، والألم المتراكم ، والطير التى تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق : بالشياطين التى يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه . تؤزُّه أزاً وتزعجه وتقلقه ، وتدفعه إلى مظان هلاكه . فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه . كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه .

والريح التى تهوى به فى مكان سحيق : هى هواه الذى يحمله على إلقاء نفسه فى أسفل مكان ، وأبعده من السماء .

(يتبع)

باب الفتاوى

أسئـــلة وأجوبة

الأســئلة

س ١ : إن الله تعالى يقول : (وأمرهم شورى بينهم) فلماذا لم يأخذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه رأى الصحابة كلهم رضى الله عنهم عند توليه الخلافة ، مع العلم بأن علىّ بن أبى طالب وأمثاله لم يكونوا حاضرين يوم السقيفة ؟

س ٢ : كيف ساغ للخليفة الأول أن يرشح عمر بن الخطاب للخلافة ولم يأخذ رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

س ٣ : كيف ساغ للخليفة الثانى عمر رضى الله عنه : أن يحصر الخلافة فى ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

س ٤ : لماذا أفرد الله الضمير فى قوله تعالى : (فأنزل الله سكينته عليه) ولم يقل : عليهما ليشمل الصديق أيضا ؟

س ٥ : قال لى أحد الشيعة : يمكننا أن نتفق فى القرآن ، ولا يمكن الاتفاق فى السنة ؛ لأنكم لاتقبلون الحديث إلا إذا جاء من طريقكم ، كما أننا لانقبل الحديث إلا إذا جاء من طريقنا ، فهل يمكن إقامة الدليل على أن طريقنا أصح من طريقهم ؟

أفتونا مأجورين .

بغداد : عراقى من أنصار السنة

الأجــوبة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

ج ١ : إن الصديق عليه الرضوان لم يغتصب الخلافة اغتصاباً ، ولم يظفر بهـا عنوة

واقتداراً ، ولم يفرض نفسه على الأمة الإسلامية فرضاً ، بل كان قبوله الخلافة نزولا على حكم جماعة المسلمين ، وكان اختياره عن ملأ منهم بعد رضا وتشاور ، وأخذ ورد واستعراض لما امتاز به الصديق عليه الرضوان وليس المراد من الشورى أن يكون هناك إجماع على الأمر ، بل يكفى اتفاق الأغلبية من أهل الرأى والحجا .

وقد كان ما كان يوم السقيفة من التفرق والخلاف ، حتى لقد خيف يومئذ على الدولة الاسلامية أن يتشتت شملها ، وتتفرق كلمتها ، وتنقسم على نفسها .

وقد ألهم الله أولى الألباب من الصحابة يشيروا باستخلاف أبى بكر لعلمهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام اختاره ليؤم المسلمين فى الصلاة فى أثناء مرضه صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : رضيه الرسول لديننا أفلا نرضاه لدنيانا . و بايعوه بالخلافة .

وقد أقرّ هذه البيعة خاصة الصحابة وعامتهم ، ولم يتخلف عن ذلك أحد فى أصدق الروايات . وقد روى أن أبا سفيان أراد أن يثير الثائرة بين بنى هاشم وأبى بكر فأبى علىّ عليه الرضوان أن يستجيب له وقال : يا أبا سفيان ، طالما عاديت الاسلام وأهله . فلم يضره ذلك شيئاً . إنى وجدت أبا بكر أهلا لها .

يتضح مما قدمت للقارىء الكريم أن نظام الشورى قد اتبع اتباعاً دقيقاً فى استخلاف أبى بكر رضى الله عنه .

* * *

ج ٢ : رشح الخليفة الأول أبو بكر الصديق عليه رضوان الله عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخلافة . لأن أبا بكر كان لايزال على ذكر مما كان يوم السقيفة من التفرق والاختلاف وقد توقع أن اختلافهم بعد وفاته سيكون أشد وأفظع وأسوأ عاقبة مما كان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان استخلافه لعمر سد الأبواب الفتنة ، وقطعا لذرائع التفرق والخلاف . على أن أبا بكر لم يستبد باستخلاف عمر ، بل استخلفه بعد مشاورة لكبار الصحابة واستطلاع لآرائهم ؛ فقد استشار عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وسعيد بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وكان بعضهم لايرضى عن استخلاف عمر لما يرون فيه

الشدة . وقد زاره بعض الصحابة فى علته وقال له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله . فقال : أما إنى على هذا لشديد الوجع ، ولما لقيته منكم أشد عليّ من وجعى ، إنى وليت عليكم خيركم فى نفس فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه .

وقد اجتمع لفيف من الصحابة بالمسجد يتجادلون فى شأن الخلافة فأشرف أبو بكر عليهم من حجرة بداره وقال : أترضون عمن استخلفت عليكم ، فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابة ، و إنى وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا .

فلو لم تتفق كلمتهم على الرضا باستخلاف عمر مارضوا به ، وما قالوا : سمعنا وأطعنا .

و إذاً فكان استخلاف عمر عن رضا وتشاور أيضاً ، وتحقق فيه نظام الشورى بين المسلمين .

* * *

ج ٣ : لقد تردد عمر أول الأمر فى استخلاف أحد ، وقال : رأيت فى أصحابى حرصاً شديداً . وقال : إن سالماً مولى أبى حذيفة ، أو أبا عبيدة بن الجراح لو أن أحدهما كان حياً . ولكنه لم يشأ أن يترك الأمر مضطرباً بعد ما رأى يوم السقيفة . وأشفق أن يكون الاضطراب أشد بعد موته . فجعل الخلافة شورى فى ستة : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . وقال « لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض . فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدى » .

فاختار المسلمون عثمان رضى الله عنه بعد رضا وتشاور وتقليب وجوه الرأى . يدل عليه قول عمر رضى الله عنه « من تأمر منهم على غير مشورة المسلمين فاضربوا عنقه » .

ولا جرم أن هذا بدل أصدق دلالة على أن استخلاف عثمان كان عن رضا وتشاور واتباع لسنة الشورى بين المسلمين .

* * *

ج ٤ : أما إفراد الضمير فى قوله تعالى (فأنزل الله فى سكينته عليه . وأيده بجنود لم تروها) فلأن الكلام فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المقصود الأول فى الإخبار فى هـذا السياق . فالله تعالى يخاطب المؤمنين الذين استنفرهم الرسول للجهاد فى سبيل الله ، فيقول : (إلا تنصروه فقد نصر الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لاتحزن ! إن الله معنا ؛ فأنزل الله سكينته عليه. وأيده بجنود لم تروها) .

فالمقصود بالإخبار والحديث وسياق القصة : هو الرسول وحده. فكان المناسب لهذا المقام إفراد الضمير . وما أبو بكر فى هذا المقام إلا تابع للرسول صلى الله عليه وسلم الذى هو موضع عناية الله ورعايته ، وتأييده ونصره ، فلو ثنى الضمير لجعل أبا بكر مساوياً للرسول فى هذه المزايا . وحاش لله ! .

على أن السكينة التى أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لاجرم أنها نزلت أيضاً فى قلب أبى بكر ، حين أخبره الرسول بمعية الله لهما، ونهاه عن الحزن،فكانت كلمات الرسول المعزية المشجعة باعثة للسكينة فى قلب الصديق ، وداعية للطمأنينة إلى نفسه . وهذا مما يفهمه أولو الألباب لحوى الكلام ، وأسلوب الخطاب . ومايذكر إلا أولو الألباب .

* * *

ج ٥ : من الخير للمسلمين جميعاً بل من الواجب المفروض عليهم : أن ينبذوا التفرق والخلاف،وما دمنا جميعاً نؤمن بأن القرآن كلام الله، ونصدق بجميع ماجاء به. فلو أننا نظرنا إلى الحديث نظرة منزهة عن الغرض ، مجردة من التعصب الأعمى ، ونظرنا إلى الرواة نظرة عدل و إنصاف:فقبلنا رواية العدل الضابط الثقة ، مهما تكن نزعته ، ورددنا رواية الضعيف مهما تكن وجهته لاستطعنا أن نجتمع على السنة الصحيحة كما اجتمعنا على الكتاب العزيز و بذلك نتبع وصية الله للمرسلين فنقيم الدين ولا نتفرق فيه .

وحبذا أن تجتمع من كل فرقة من الفرق جماعة من المستنيرين محبى الإصلاح ، الحراص على خير الإسلام والمسلمين ـ تنظر فى الأحاديث نظرة إنصاف لتضيق مسافة

الخلف ، وتقصر شقة النزاع ، وتعمل على أن يعود الإسلام غضاً قوياً كما تركه صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يعود المسلمين أمة واحدة قوية متماسكة لاتفرقها المذاهب ، ولا تباعد بينها الآراء والنزعات ، ولنا فى أولياء الأمور فى البلاد الإسلامية أكبر الأمل فى أن يعملوا على هذا الرجاء .

ويوم يتم ذلك تعود للاسلام قوته التى كانت ترتعد منها فرائص أعدائه .

ويومئذ ترى المستعمرين المتنمرين يمسون كبغاث الطير ، أو كغثاء السيل أذلة يتملقون المسلمين ، ويزدلفون إليهم ، ويخطبون ودهم ، ويلقون إليهم السلم . وتدور الدائرة عليهم .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

أبو الوفاء محمد درويش

خطبة منـــــــــــــبرية

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

الخطبـــة الأولى

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وله الحمد فى الأولى والآخرة لانحصى ثناء عليه . هو كما أثنى على نفسه .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار . قيوم السموات والأرضين ، رب العالمين . ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد . يحب التوابين ، ويحب المتطهرين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله . بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وصبر على الأذى ، ونصح الأمة ، حتى أتاه اليقين . صلى الله عليه وعلى آله الذين آمنو به ونصروه واتبعوه . وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ويقول (والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك فى جنات مكرمون) ويقول (اتل ما أوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر . والله يعلم ما تصنعون) ويقول (وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) وغيرها من الآيات التى تدل على مكان الصلاة من الإسلام ، والتى لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم .

فالصلاة شارة المسلمين فى الدنيا ، وسيماهم فى الآخرة . وهى الصلة التى تصل العبد بسيده ، وهى الملجأ والمفزع للمسلم إذا حز به أمر من أمور الدنيا ، وهى سبب فلاح المؤمن فى الدنيا ، وسبب كرامته فى الجنة . هى الأساس ، وكل الأعمال الصالحة والعبادات ، والقربات فوقه بناء .

أيها المسلمون ، لقد منح الله الكريم رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الصلاة ليلة المعراج ، ليلة الوصل الأكبر ، ليلة الكرامة العظمى ، ليلة القرب والتشريف والتكريم فإنه صلى الله عليه وسلم رأى ليلتئذٍ من آيات ربه الكبرى ، ومن ملكوت السموات والأرض ، ومن لذة القرب والمناجاة ، ما غمره فى فيض من الحبور والسرور . فأراد ربنا الحفى برسوله ، البر بنبيه ، الرؤوف بعبده ، أن لا يحرمه من لذة القرب أبداً . فمنحه منحة الصلاة التى بها يعرج بها إلى ربه بروحه فى كل صلاة فيناجيه ، بل جعلها كذلك لكل من اتبع هذا الرسول الكريم واهتدى بهداه ، تفضلاً منه سبحانه وتكريماً .

هذه هى الصلاة لمن عقل عن الله ورسوله أيها المسلمون ، ألم تسمعوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم يصلى فإنما يناجى ربه » ؟ ألم تروا كيف حرم المرور بين يدى المصلى حتى لا يقطع عليه هذه المناجاة ؟ وحذر ، فقال « لأن يقف أحدكم أربعين خير له من أن يمر بين يدى المصلى » ؟ كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

وفى حديث يحيى بن زكريا عليه السلام من أوامر الله التى بلغها لبنى اسرائيل « فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يكن يلتفت »

وليس الإلتفات أن تلتفت بوجهك فحسب ، ولكن التفات القلب أكبر جُرماً ، وأشنع ذنباً .

ولو عرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته ، وعرفوا بره بهم ، وحنانه عليهم ، ووده لهم . لو عرفوا عظيم رحمته ، وواسع كرمه وجوده ، وشديد فرحه ، وإقباله على عبده المقبل عليه بقلبه وروحه وجسده ، خاشعاً ، مخبتا ، راجياً عفوه ورحمته ، راغبا إليه ، مستعيذاً به ، لما ألتفت قلبه .

ويل للإنسان الظلوم الجهول الكفور ، أيقطع مناجاة هذا الرب الرؤوف الودود الرحيم ، ليلتفت إلى عدوه الشيطان الرجيم ؟

إنه ايغبن نفسه ويبخعها ويرديها ، ويهلكها ويشقيها . ألا ما أخسره إذ ينصت إلى وسوسة الشيطان الذى يأتيه من بين يديه ومن خلفه ، فيقول له : اذكر كذا ، اذكر كذا ، ليجتاله ويسرقه ، ويصرف قلبه عن ربه . فيغلق فى وجهه أبواب الرحمة .

أيها الناس ، إنما يسرق اللص من الغافل ، أما اليقظ ، الحذر : فقلما يستطيع أن يجد منه ثغرة ينفذ منها إلى مأربه .

وسلاح المؤمن أن يعرف ربه ، و يعرف عظمته ، و يقدره حق قدره ، فلا يدعو سواه ولا يسأل غيره . ولا يرجو ولا يخاف ولا يعبد ، ولا يستعين إلا إياه . ولا يتخذ الشفعاء والوسطاء من الموتى ولا الأحياء . ولا يتوسل إليه بأحد من خلقه ، فكلهم إليه فقراء . وهو الغنى الحميد . وكلهم يرجون رحمته و يخافون عذابه . وشأن الله أعظم من ذلك ، فالكل عبيده ، وهو رب العالمين .

أيها المسلم ، إن أول أمر يقيك شر وسوسة الشيطان ، و يحفظ قلبك مع الرحمن ، أن تعرف كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فتصلى كما كان يصلى ، مقتدياً ومؤتماً به ، فإذا قلت : الله أكبر ، فقلها حاضراً بقلبك ، مستحضراً أن كل ما سواه صغير حقير ، وأنك واقف أمام الأكبر ، وأنك إن لم تكن تراه فإنه يراك ، وقد نصب وجهه لوجهك يسمع لك و يجيبك ، ثم تستفتح مستأذنا راجيا رضاه وقبوله لمناجاته . فتقول كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، حنيفا مسلما وما أنا من المشركين . إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، و بذلك أمرت وأنا من المسلمين » فاهما أنك وقفت هذا الموقف معلناً إسلامك ، متبرأ من الشرك الذى وقع فيه غيرك بترك الصلاة ، معتقداً أن تاركها كافر مشرك ، كما قال تعالى (وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين) .

ثم تقرأ الفاتحة متدبراً عاقلاً ما تقرأ ، ذاكراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل : قسمتُ الصلاة بينى و بين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل . فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين . قال الله : حمدنى عبدى . و إذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى على عبدى . و إذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مَجَّدنى عبدى . و إذا قال : إياك نعبد ، و إياك نستعين ، قال الله : هذه بينى و بين عبدى ولعبدى ما سأل . و إذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .

ثم تقرأ بعد الفاتحة ما يتيسر معك من القرآن ، متدبراً شاغلاً قلبك بمعنى ما تقرأ حتى لا يلتفت قلبك مع الشيطان .

فإذا ركعت أو رفعت أو سجدت ، فلتأت بها جميعاً فى خشوع واطمئنان مسبحا بحمد ربك ، الذى يسبح له مافى السموات وما فى الأرض ، الملك القدوس العزيز الحكيم . ولا تضيع صلاتك بالعجلة ، فتنقرها كنقر الغراب . فتعود عليك وبالا ، وقد رجوت رحمة ، وتعود عليك خسارا ، وقد أردت ربحا وفلاحا .

فإن الصلاة التى تؤديها فى وقتها ، حاضراً فيها بقلبك ، حافظا لأركانها تدعو لك وتقول « حفظك الله تعالى كما حفظتنى » والصلاة التى تفرط فيها ، وتضيع حقوقها وحدودها واطمئنانها وخشوعها ، تُلَفُّ كما يلف الثوب الخلَق ويضرب بها وجه صاحبها ، وتقول له « ضيعك الله كما ضيعتنى » عافانا الله من أن نكون من هؤلاء .

أخى المسلم ، لقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة » عملا بقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) .

وكان يقول لبلال « أرحنا بالصلاة » ويقول « جعلت قرة عينى فى الصلاة » .

فأين نحن اليوم من ذلك ؟ .

هل منا من يؤمن يقينا أن الصلاة تفرج الكروب ، وتيسر الخطوب ، فيفزع إليها ؟ هل فينا من يجد راحة القلب والضمير ، واطمئنان القلب ، وقرة العين فى الصلاة ، فيستعين بها ؟ .

ماذا أضاع المسلمون على أنفسهم يوم أضاعوا الصلاة ؟

واحسرتاه ، لقد أضاعوا كل شىء ، لقد ضاعت الدنيا من أيديهم ، وأصبحوا غثاء كغثاء السيل ، تتداعى عليهم الأمم تداعى الأكلة على قصعتها . ولا ملجأ ولا منجى من ذلك إلا إذا عدنا لإقام الصلاة ، وأحكمنا مع الله الصلات .

اللهم إنا نسألك ضارعين خاشعين : أن تحقق لنا ذلك . وأن تصلى وتسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله أجمعين .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين ، والبشرى فى الدنيا والآخرة للمؤمنين .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ، هدى به من الضلالة ، و بَصَّر به من العمى ، وأنقذ به المؤمنين من العذاب . صلى الله عليه وعلى آله ومن اتبع سنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، أيها المسلم ، لقد نصحَنا ووعظنا رسولنا صلى الله عليه وسلم فأحسن النصيحة . ووعظنا فأكمل الإرشاد ، وعلمنا فأتم التعليم .

ومما نصحنا ووعظنا به وأرشدنا ، وعلمنا هذه الصلوات الخمس ، فليس لنا عذر نعتذر به إذا نحن فرطنا فيهن ، وظلمنا أنفسنا بتضييعهن . وليس تضييعها بتركها فحسب ، بل عدم الإتيان بها على وجهها ، كما أمر رسول الله تضييع وتفريط . فقد قال رسول الله « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

وصلاته عليه الصلاة والسلام مشروحة واضحة بينة فى كتب السنة التى قيض الله لها الرجال المؤمنين الصادقين فحفظها الله بهم وصانها حتى نقلت إلينا هدى ونوراً ورحمة .

فمن ذلك : ماروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أىّ ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أىّ ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » .

فالصلاة فى أوقاتها أحب الأعمال إلى الله تعالى . وهو سبحانه القائل (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أى موقته بوقت محدود أوله وآخره لايحل إخراجها عنه .

ومما ورد فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم « صلاة الرجل فى الجماعة : تُضَعَّف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا . ذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد ـ لايخرجه إلا الصلاة ـ لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحُطّ عنه

بها خطيئة . فإذا صلى ، لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه : اللهم صلِّ عليه ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » .

فانظر يا أخى ـ رحمك الله ـ كيف يغمرك الله بواسع رحمته ، وعظيم فضله ، وسابغ آلائه مادمت تصلى فارغ القلب ، إلا من صلاتك ومناجاة ربك ، واتباع رسولك .

واحذر يا أخى كل الحذر مما يفسد عليك صلاتك ، ويبعدك من رحمة ربك ، ويعرضك لسخط سيدك . وإنها لأمور نظنها بجهلنا هينة ، ونحسبها يسيرة لا خطر لها وهى عظيمة جد عظيمة .

من ذلك : تسوية الصفوف . وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سَوُّوا صفوفكم ، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة » وفيهما أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال « لَتُسَوُّنَّ صفوفكم ، أو ليخالِفَنَّ اللهُ بين وجوهكم » .

ومن تلك الأمور التى نظنها تافهة : مسابقة الإمام . وقد روى البخارى ومسلم عن أصحاب رسول الله رضى الله عنهم أنهم قالوا « كنا خلف النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا انحط من قيامه للسجود لا يحنى أحد منا ظهره حتى يضع النبى صلى الله عليه وسلم جبهته على الأرض » كما روى مسلم عنهم أنهم قالوا « لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستوى قائماً ، وإنا لسجود بعد » .

ولقد حذر رسول الله عن مسابقة الإمام أشد التحذير ، وخوف منها أبلغ التخويف . فقال فيما روى البخارى ومسلم « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام : أن يحوِّل الله رأسه رأس حمار ـ أو يجعل صورته ـ صورة حمار » .

فلا صلاة لمأموم يسبق الإمام ، بل لابد لصحة الصلاة : أن يثبت فى ركوعه أو سجوده أو اعتداله بالذكر له حتى يأتى الإمام بالركن كاملا وينقطع صوته .

ومما يُروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أنه نظر إلى من سبق الإمام . فقال له : لا وحدك صليت ، ولا بإمامك اقتديت . ثم ضربه وأمره أن يعيدها » ولو كانت له صلاة عنده لما أوجب عليه إعادتها .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال « يأتى على الناس زمان يصلون ولا يصلون » نسأل الله العافية من حبوط الأعمال .

أيها المسلمون ، أيها المصلون ، ذلك كله فيمن يأتى بالصلاة ، ولكن على غير وجهها ، فما ظنكم بمن تركها بالكلية ؟ ويل له ، ثم ويل له . إنه يظن ـ بجهله ، وعمى بصيرته ـ أنه لايزال مسلماً . ولكن هيهات ثم هيهات (أم للإنسان ماتمنى ؟) لقد غشه وأضله من أفتوه بأنه مسلم عاص ، وعاص لمن ؟ أليس عاصياً لله ورسوله ؟ (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها) فليهنأ بعصيانه ، فذلك مصيره ومآبه . وما أشد ما حذر الله أولئك الظالمين لأنفسهم ، إذ يقول لهم يوم القيامة (ماسلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين)

أيها المسلمون ، أيها المصلون ، إنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ، ولن ينجيكم من سؤال الله أنكم تصلون ، وقد تركتم نساءكم وأبناءكم ، وإخوانكم ، وجيرانكم وأصدقاءكم وأهليكم وعشيرتكم وقد ضيعوا الصلاة ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته أمام ربه ، فقدروا مسئوليتكم و (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة) ادعوهم إلى الصلاة . وعلموهم كيف يصلون . فإن لم يستجيبوا لكم فاهجروهم وقاطعوهم ، وأبغضوهم فى الله ، لتعذروا عند ربكم (يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم .

هاأنتم قد لبيتم منادى الفلاح ، فهل فكرتم فى مسئوليتكم عن رعيتكم ؟

ألا فلنعاهد الله أن لا نفرط فيهم بعد اليوم ، لعل الله أن يغفر لنا مامضى من التهاون وانتحال الأعذار الكاذبة .

اللهم تقبل منا أعمالنا ، واغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى فيها معادنا . اللهم أصلح الراعى والرعية ، وأعد المسلمين إلى طريقك المستقيم ، ودينك القويم ، وسنة نبيك الكريم . وصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

آفة الجماعة الإســــلامية

الأديب عبد السلام رزق الطويل — ٢ —

وأما النفاق فى الدين : فهو أصل البلاء ، وهو أحط درجة تهبط إليها الإنسانية ، ثم إنه نفاق مفضوح ، وأفن فى الرأى ، وسوء فى التقدير ، وخداع لله رب العالمين ، وأنى لهم ذلك ؟ ! ! إنهم يخادعون أنفسهم وهم لايشعرون .

إن منافق الدنيا ينافق بظاهره . لأن الناس لا يعلمون باطنه ، أما فى الدين : فالمنافق يريد أن يخدع ربه بما يظهره ، والله محيط بما يبدى وما يكن ، وهو يعلم السر وأخفى ، فهو إذن فى ضلال بعيد .

وهذا النفاق على قسمين : نفاق فى العقيدة . ونفاق فى العمل .

أما النفاق فى العقيدة : فبأن يتظاهر الإنسان بالإسلام وهو يخفى الكفر ، وبالتوحيد وهو يخفى الشرك .

ولا يظهر هذا النوع من النفاق إلا حين تظهر دعوة التوحيد ودين الحق ، وتشتد قوتها، ويقوى ريحها ، فيأتى قوم قد أعوزتهم الشجاعة الأدبية ، والشهامة فى إبداء الرأى ، وأغراهم مالهم من جاه ومال وسلطان بنفاقها ، بدلا من الصراحة فى الإيمان بها ، حتى لا يتعرضوا لضياع المال ، وفقدان الجاه إذا وقفوا أمام الدعوة القوية الناشئة ، وفى الوقت نفسه يحتفظون بدينهم الموروث الذى بنوا مجدهم الوهمى على صرحه المنهار .

وعلى هذا الحال كان المنافقون بالمدينة ، حينما انتقلت إليها دعوة الإسلام ، ولاقيت بين السعداء قبولا وذيوعا ، فانزوى طائفة من المشركين الحاقدين الذين عجزوا عن مواجهة الدعوة، وفى الوقت نفسه كرهوا أن يخلصوا فى الإيمان بها ، فآثروا أن يكونوا منافقين فى عقيدتهم .

ولقد لقى المسلمون من هؤلاء المنافقين أذى كثيراً ، دونه أذى المشركين المعلنين واضطهادهم ، لأن أذى المشركين تبدو بوادره ، وتعرف اتجاهاته ، فيستطيع المسلمون أن يدفعوه قبل وقوعه ، أو يتلافوا سوء عاقبته . أما الأذى الذى يدبر فى الظلام ، والدسائس

التى تحاك وراء ستر النفاق ممن يظهر بمظهر الولى الحميم : فهذا هو السم الزعاف الذى لا يمكن تلافيه .

ولـكن بالرغم من هذا فإن القرآن الـكريم رسم عنهم صورة صادقة تـكشف نواياهم ، وتفضح خفاياهم ، ولهذا كانوا يخشون نزول القرآن لأنه قد يكون فيه وصف لهم يظهر ماخفى من أمرهم فيقول تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بمـا فى قلوبهم ، قل استهزئوا إن الله مخرج ماتحذرون) ويقول (ولو نشاء لأريناكهم ، فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول ، والله يعلم أعمالـكم) .

فوصفهم الله تعالى فى مطلع سـورة البقرة بالإيمان الكاذب ، والغرور الأحمق حين أرادوا مخادعة العليم الحـكيم بإيمانهم الباطل . فقال تعالى (ومن الناس من يقول : آمنا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) ووصفهم بالتقلب والتلون ، فقال (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ، إنمـا نحن مستهزئون) ووصفهم بالقعود عن القتال ، وكراهية الخروج له . لأن القتال فى سبيل الله تضحية بالنفس فى سبيل العقيدة الصحيحة ، وأنى لإنسان لم يخلص فى عقيدة أن يدافع عنها ، ويذود عن حماها ؟!!

ولذلك قعدوا عن القتال ، وتخلوا عن جيش الإسلام يوم أُحد ، وثبطوا الهمم يوم تبوك ، وقالوا « لاتنفروا فى الحر » وأذاعوا الإشاعات الـكاذبة لتفريق المسلمين عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، وتعللوا بالأهل والمال يوم الأحزاب ، وقالوا (شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا) وانظر إلى القعود عن القتال يوضحه قوله تعـالى : (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة ، وذكر فيهـا القتال : رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت . فأولى لهم) ويقول (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولـكن كره الله انبعاثهم . فثبطهم) ويقول (لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولا وضعوا خلالـكم . يبغونـكم الفتنة . وفيكم سماعون لهم) ويقول (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون) ويصف إيمانهم بأنه نفعى ، لا غاية لهم منه إلا

ابتغاء المادة فيقول (ومنهم من يلمزك فى الصدقات . فإن أعطوا منها رضوا ، و إن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) .

و يصفهم بالغدر ونقض العهد ، فيقول تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به .وتولوا وهم معرضون.فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، و بما كانوا يكذبون) .

و يصفهم بفساد القلب والنية ، واتخاذ الأيمان الكاذبة جُنة يسترون بها نفاقهم فيقول تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) .

و يصفهم بموالاة الكفار من المشركين وأهل الكتاب ، ومؤازرتهم على المسلمين فيقول الله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرون أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟فإن العزة لله جميعاً) ، (ألم تر إلىالذين نافقوا ؟ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب:لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولانطيع فيكم أحداً أبدا . و إن قوتلتم لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون) .

وقد بين الله تعالى من سماتهم : أنهم يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستمعون كلامه متظاهرين بالإيمان به ، والإذعان له ، فإذا تركوا مجلسه خرجوا مستهزئين ساخرين ، ملقين فيما سمعوا من كلام الرسول بالزور والإفك وسيء القول ، فيقول الله تعالى عنهم (ومنهم من يستمع إليك ، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم : ماذا قال آنفا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم) إلى غير هذا من الأوصاف والأفعال ، والمكائد التى فعلوها ، وحفلت بها آيات القرآن الكريم .

و برغم معرفة المسلمين بأشخاص المنافقين ، كما عرفهم بذلك ربهم حين ذكر أوصافهم فى كتابه ، وكما عرفوا ذلك من عدائهم وعنادهم الذى تسفر عنه أعمالهم فى بعض الأحيان ، بالرغم من ذلك : لم يفكر الرسول فى قتالهم واضطهادهم ، حتى لايشاع أنه يقتل أصحابه ، بل على العكس من ذلك أحسن إليهم ، وتألف قلوبهم بالصدقات حتى ذكر من بين مصارف

الزكاة المؤلفة قلوبهم ، وقد كان شأنهم فى ذلك الحين أهون من أن يقتلهم ، مما كان ينتج فتنة شرا من انطوائهم على النفاق .

ولما اتسع نفوذ الإسلام ، وقويت شوكته ، وبسط جناحه ، وأصبح منيعا بنفسه ، أعلن الحرب على النفاق ، ولم يقبل هذا النوع من التدين الكاذب ، مادام قد أعلن حرية العقيدة ، والتدين بأى دين من الأديان السماوية إلا الشرك ، وضرورة تطهير الجزيرة من المشركين . وقد أعلنت هـذه القرارات يوم النحر من السنة التاسعة التى حج فيها أبو بكر رضى الله عنه بالمسلمين . قال تعالى فى سورة التوبة (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر : أن الله برىء من المشركين ورسوله . فإن تبتم فهو خير لكم ؛ وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين) وبهذا قضى على النفاق بين العرب تقريباً .

بيد أنه عندما انتشرت الفتوحات الإسلامية ، وزلزلت الدولتين الفارسية والرومية . وحطمت الامبراطوريتين : ظهر النفاق من جديد ، ولكن بصورة أخرى ، إذ آوى إلى الإسلام كثير من المجوس واليهود ، وغيرهم من الحاقدين على الإسلام ، مظهرين الإسلام ، ومضمرين الكفر ، حتى ينالوا من الإسلام بما يدسون فيه من بدع وأوهام ، وخرافات وأباطيل ، وعقائد فاسدة ، حتى ينالوا بالمكر السيىء واللؤم الدنىء ماعجزوا عن نيله بالحرب . وكان هذا سلاحاً قويا لايزال جرحه ينغر فى جسم الإسلام إلى الآن .

ولما انهارت الخلافة الإسلامية تلاشى هذا النوع تقريباً . إذ لم يعد لأهله حاجة إليه ، إذ كيف ينافق القوى للضعيف ، ويخشى العزيز الجانب من المهيض ، ويرعى حرمة الأخيذ ؟ فلا عجب أن يظهر الشرك والإلحاد والكفر ، ويسفر الفسوق والمجون .

وإن الرسول عليه الصلاة والسلام حذر وأنذر ، وأوعد وهدد كل مسلم يتصف بصفة من هذه الصفات ، أو يتسم سمة من تلك السمات ، أو يظهر بمظهر من مظاهر النفاق فقال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منها كان

(البقية على صفحة ٤٩)

وطن الإســلام

ليس بين أن يكون الإنسان على الحق المبين ، و بين أن يكون على الباطل والضلال ، إلا كما بين العلم والجهل ، أو النور والظلمة . فـكم أخفى الجهل من معالم الحق وشوه جماله ، حتى أضحت معالم الفضائل دارسة ، ومراقى الفلاح والسعادة خافية ، وأنوار الحق محجوبة ، كل ذلك للجهل بحقائق الإسلام وفضائله والغفلة عن فهم شرائعه القوية وآدابه السليمة .

ولست أعنى بالجهل هنا ، الجهل بعلوم تجعل اللسان ذلقاً ، أو بفنون تنوع المادة إلى أن تصيرها صوراً صالحة للانتفاع بها .

و إنما أريد بالعلم ، فقه القلب عن الله علم أسماء الله تعالى وصفاته المتلوة وآياته المشهودة فى الأنفس وفى الآفاق ، وأحكام الله ثم حكمته فى أحكامه ، وهذا هو النور الذى يقذفه الله فى قلب المؤمن التقى .

فنحن ـ والحمد لله ـ فى زمان أصبحت فيه الألسنة أسنة ، والاقلام سيوفاً وأصبح التفنن فى إطراء الناس والإشادة بذكرهم ديناً يدان به بين الناس ، سواء كان ذلك حقاً أو باطلاً .

جهل الناس حكمة إيجاد الـكون ، وحكمة إيجادهم هم أنفسهم ونسوا يوم الحساب ، فحرصوا على نيل حظوظهم وشهواتهم وآمالهم فى الحياة الدنيا ، حتى عميت منهم البصائر ، فجهلوا الفضيلة وطرقها ، والحق ووسيلته ، وظنوا أن الوطن هى الأرض التى تقلهم ، والسماء التى تظلهم وحسب .

ولذا فقد لهجت ألسنتهم ، وانطلقت حناجرهم تصرخ «الوطنية . المدنية . الديمقراطية» ألفاظ يتشدقون وهم يحسبون أنهم يحسنون قولاً وعملاً . و إنما هى ألفاظ وكلمات طالعوها فى كتب جاروا بها غيرهم ، دون نظر إلى الحق والصواب فى ذلك .

وهؤلاء إذا ذُكِّروا بالدين قالوا تعصب ورجعية ، و إذا وُعِظوا قالوا : تأخر وجمود .

الوطن : ما يؤويك آمناً فى سربك ، معافى فى بدنك ، ميسراً لك قوتك ، سواء كان محل مولدك أو دار هجرتك .

والوطن الحقيقى لكل مسلم حيث تكون ألوية الإسلام خفاقة بين الناس ، معمولاً بشرائعه وأحكامه بينهم ، فحيث وجد الإسلام بهذه الصفة ، ولو فى أقصى المعمورة ، فالوطن وطن الإسلام و بالتالى وطن لكل مسلم .

جهل المسلمون هذا وكان من نتيجة ذلك أن رأينا النعرة الجاهلية باسم : الوطن وتعصب كل فريق من المسلمين لوطنه الخاص ، مع أن جامعة الإسلام تجمع بينهم ، مهما بعدت ديارهم وتناءت أقطارهم ، وجعل من أوطانهم وطناً واحداً جهل المسلمون هذا ، ففقدوا بذلك روح الألفة والتعاون ، الذى دعا إليه دينهم ، وساد به سلفهم ، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس .

وقد أنتج الجهل بهذا أيضاً انغماس الناس فى البدع والخرافات ، وانتشار الترهات والضلالات ، ولجوء الناس إلى المقبورين من الأموات فى الكوارث والملمات ، حتى يئس المصلحون من رجوع الناس إلى الدين الصحيح ، والعقيدة الخالصة .

ونحن و إن كنا ـ ولله الحمد ـ لسنا بيائسين من رحمة الله تعالى ، فإننا نوقن أنه لابد لهذا الدين الحنيف من عودة إلى سابق قوته ، وتالد عزه ومجده ، برجوع المسلمين إلى الأخذ بكتاب الله تعالى ، والعمل بالصحيح من سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، و باقتفاء آثار سلفهم الصالح قولاً وعملاً ، ليكون وطنهم مشرقاً بنور الحق والتوحيد الخالص ، ومتى يتحقق فيهم ، و ينطبق عليهم قوله تعالى (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق و به يعدلون)

محمود إبراهيم الموجى
كفر أبو سيد أحمد

قتل الإنسان ما أكفره

الأستاذ سيد محمد متولى

جبلت النفوس الإنسانية بفطرتها السليمة على حب الحياة الكريمة العزيزة ، وتدوم هذه الحياة إذا حافظ الناس على الشرائع التى أنزلت من عند الله فتعيش فى سعادة وسلام .

ولكن قتل الإنسان ما أكفره . فلقد طغت بعض النفوس الأمارة بالسوء حتى أخرجتهم من هذه الحياة الهادئة إلى حياة الوحوش الكاسرة الفتاكة . وتشبعت بحب السيطرة وسفك الدماء . فأخذت تتربص بالهادئين المسالمين الدوائر . حتى تلتهمهم وتسعى بين أفرادهم فساداً ، وراحت تعدو كالذئاب الضارية ، تفتك بكل قطيع هادىء وديع ، ضاربة بحقوق الإنسانية عرض الحائط . لاتحترم العهود ولا المواثيق معتمدة على قوتها .

وها نحن نرى اليوم من حياة الواقع نتيجة ما قامت به هاتان الدولتان الفاجرتان انجلترا وفرنسا ، وربيبتهما الصيهونية الآثيمة من الاعتداء الغاشم الأثيم على مصرنا العزيزة . وكان اعتداء وحشياً ، فقد خلعوا ثياب الحمل الذى كانوا يلبسونه أمامنا . وظهروا على حقيقتهم وماتنطوى عليه نفوسهم القذرة من بغض وكراهية ، وحب للسيطرة ، وسفك الدماء ، مستترة وراء الهالة التى تبثها فى نفوس المخدعين المغرورين للخير والسلام وإبعاد الشر عن الشرق .

وإذا نظر الإنسان فى التاريخ لم يجد الصورة الوحشية التى قام بها هؤلاء الذين فقدوا أعصابهم حتى أصبحوا مسعورين لايدرون مايقومون به من أعمال تخريبية ، وقتل وسفك للدماء بصورة يشيب لهولها الولدان ، وبصورة جنونية ، فأخذوا يقتلون الأطفال الرضع والعجائز من النساء والشيوخ من الرجال الذين لاحول لهم ولا قوة ، منتهكين بذلك كل الحرمات فلم يراعوا حقاً لكبير أو صغير حتى بيوت الله لم تسلم من عدوانهم .

فقاموا يريدون تدنيس أرض مصر بأقدامهم الدنسة لأخذ خيراتها ، وإذاقة أهلها سوء

العذاب ، وتسخيرهم ليتمكنوا من قطع شريان الشرق النابض ، وجعله وكراً لتدبير فتنهم محاولة بعد ذلك اغتصاب بقية أعضاء هذا الجسم العربى . وهدم أساس الإسلام وتمزيق أهله . ولكن الله سبحانه وتعالى رد كيدهم فى نحورهم . وردهم على أعقابهم خائبين .

وكثيراً ما نجد فى بعض الحيوانات الوفاء لأصحابها ، أو لمن قدموا إليها بعضاً من فتات الخبز ، فتحاول أن تدفع عنهم الضرر بقدر المستطاع . ولكن هؤلاء كانوا أخس من الكلاب ، فقد نسوا ما قامت به مصر نحوهم حينما كانت حرب الالمان على أشدها ، وهم يعدون أمامهم كالجرذان . نسوا ما قدمت لهم مصر من خيراتها لسد رمقهم الجائع . وهم وقتئذ فى أشد الحاجة إليها .

وصدق قول القائل : لا تصنع المعروف فى غير أهله .

فجحدوا كل هذه الأعمال ، وردوها علينا قنابل محرقة ، ورصاصاً فى صدورنا ، وسلباً لأموالنا وقتلاً لأطفالنا ، مما أدى إلى حرمانى من حنان أبى وأمى وفلذة كبدى وأخى . وقد تركوا وراءهم أمهات ثكلى ، وأطفالاً يتامى ، تباً لهم وسحقاً ، تركوا قلوباً مجروحة بجروح لا تندمل طوال الحياة . ولا تلتئم حتى تثأر لنفسها ولهؤلاء الأبطال الابرياء الذين ذهبوا ضحية هذا الغدر .

وهذه الخديعة والخيانة ، وقد ظنوا أن هذه الوحشية ستزول وتنسى بطول الوقت وتسامح أهلها .

كلاّ والله ، إن هذه الصورة المرعبة تركزت فى قلب كل مسلم ، ونقشت عليه كلمة « الثأر والانتقام» عملاً بقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .

وقد ظن هؤلاء المعتدون أنهم سيمزقون هذا الجسم العربى مستغلين بعض الخونة الذين لا أخلاق لهم ولا يبغون الا الجاه والمنصب مثل ماحدث فى بعض البلاد العربية للأسف .

كلاّ وأقولها كلمة صريحة لهؤلاء الأخساء : إن هذه الخطط قد بليت وباءت بالفشل فها نحن نرى الشعب العربى الأبى يناضل هؤلاء الخونة أذناب المعتدين لإطاحة رءوسهم والوقوف بجوار إخوانهم حتى يكونوا جميعاً صفاً واحداً فى وجه كل باغ .

ولقد أثبتت الأيام القليلة الماضية بغض الغرب المستعمر الظالم للشعوب العربية عامة ، وللمسلمين خاصة ، وسيأتى اليوم القريب إن شاء الله الذى تقوم فيه الأمم الاسلامية ، يداً واحدة لسحق كل آثار الاستعمار فى الشرق ، و بخاصة هذه الصهيونية التى بذرت جرثومتها الخبيثة فى البلاد الإسلامية والتى هى فى الواقع ستار كثيف ليحجب مؤامرات الغرب الدنيئة وتنفيذ مآربه ، فوضعوها بقعة سوداء فى هذه الأرض البيضاء . لتكون مفتاحاً للشر وعدم الاستقرار ، وهدما لكيان الشرق الذى كان فى العصر الأول مناراً للعالم كله ، ومفتاح خير وهدى للعالم أجمع .

وسيعود اليوم القريب إن شاء الله الذى يكون العرب جميعاً أحراراً مطهرين بلادهم من كل جرثومة فساد ، والرجوع إلى مجدهم التليد بالرجوع إلى حبل الله المتين . يتمسكون به تمسكا قويا صحيحاً ، مهتدين بهدى الرسول الذى اختاره ربنا واصطفاه . ليصبحوا قوة تهابها الاعداء . فتتفتح لهم أبواب النصر والتمكين فى الأرض . ولن يخلف الله وعده . وإنه لقوى عزيز .

آفة الجماعة الإسلامية

(بقية المنشور على الصفحة ٤٤)

فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

هذا هو النفاق فى العقيدة ، فى تاريخ المسلمين . ومكايد المنافقين للاسلام ، ومع هذا فإن الإسلام لا زال قويا تتهاوى تحت أقدامه هذه الحقارات من البدع والخرافات ، وهذه السخافات من الفلسفات الإلحادية ، والزندقات الافرنجية ، ولا زالت شرائعه نقية فى منبعيه الصافيين ، لم يؤثر ــ ولن يؤثر ــ فيها شوب الشائبين ، وابتداع الضالين المتهوكين (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) .

وأما نفاق العمل : فللعدد القادم إن شاء الله . (يتبع)

الحرية الحقة ... والحرية المطلقة

للأديب سعد صادق محمد

يفهم بعض الناس ـ إن لم يكن أكثرهم ـ أن الحرية هى إباحية وفوضى . وانطلاق إلى عالم همجى لايعرف كيف يستعمل الحرية لفظاً ولامعنى . فيضعها فى غير موضعها الحقيقى الذى ينبغى أن توضع فيه ، ويخرج بها عن المعنى المقصود الذى يجب أن يعرفه كل إنسان . ومن ذلك خرج الفرد منهم إلى الحياة ، وهو لايعرف ماعليه من واجبات وماله من حقوق . فضاع واجبه نحو الناس فلم يرع حقوقهم ، ولم يحافظ عليها حتى تصل إلى أصحابها كاملة غير منقوصة وضاعت أيضاً حقوقه التى ينبغى أن يحسن استعمالها حتى لا تثير ثائرة أحد ، ولا تنشط فيه ناحية الغضب إذا استعملها فى الإساءة إلى غيره .

ترك الإنسان شهواته تعبث بالحقوق وتستبد أهواؤه بالواجبات حتى رسخ فى ذهنه أن الحرية هى أمور سافرة طائشة ، فأصبح يأتى من الأقوال والأفعال ما يؤلم الغير ويقلق راحته ويسلب أمنه وطمأنينته .

والناس حين ينظرون إلى الحرية لاينظرون إليها من نافذة الحق والعدل بل ولاينظرون إليها من ناحية ينبغى لكل فرد راجح العقل . سليم الفهم . بعيد النظر . إن ينظر إلى الحرية منها . بل ينظرون إليها من نافذة الغرور والفوضى والحمق والأنانية .

ينظرون إلى الحرية نظرة سقيمة مجردة . تجعلهم يتصرفون فى شئونهم ، فى غير حكمة ولا تعقل . ويندفعون فى تأدية أعمالهم فى طيش وغفلة وجهل فيقعون فى المتاعب والمشاكل

ولقد جر علينا أعداء الإسلام كثيراً من الشرور والأخطار . وجاءوا لنا بما أسموه . مدنية ، وحضارة ، وتقدما . وكانت الحرية على الصورة التى يفهمها ويعرفها الناس اليوم . هى ضمن صادرات أعداء الإسلام من المدنية والحضارة . نعم . جاء لنا أعداء الإسلام بالحرية الكاذبة . فألبسوها أثواباً براقة ، وأظهروها فى لباس لامع أخاذ . وقدموها لنا فى هذا الإطار

الفان الجيل . فاستغل الشيطان فى الناس حب الفعل التقليدى ، والرغبة فى إشباع الشهوات وتلبية نداء النزوات ، و إرضاء الأهواء . فعرف كيف يجعلها راسخة فى الأذهان . متمكنة من القلوب متشبعة بها النفوس حتى أصبحت أنشودة أفئدتهم . بل وأصبح لا يحلو لهم العيش إلا فى ظلها ولا التمتع إلا فى رحابها .

فإذا تحدث شخص بشىء يمس المجموعة بالسوء و يبلبل الأفكار ، و يزعزع العقائد ، و يلحق بالأفهام الضرر . إذا تحدث شخص بهذا دون أن يتقيد بأصول أو قانون أو يتمسك بأدب أو حياء ، ثم جئت لتناقشه وتحاسبه . علت الأصوات ، وارتفعت الحناجر ، وسالت الدموع منهمرة ، وجرت الأقلام بالدفاع الحار عن الحرية المسلوبة المظلومة . تنادى بكفالتها وتطالب بإباحة الكلام والتعبير عن الرأى والاعتقاد . واعتبر المدافعون أن الحساب والمناقشة قسوة وجفوة ، وأمراً يتعارض مع معانى الحرية و ينافى مقتضياتها و يجافى منطوقها .

وترى شخصاً يتصرف فى أموره تصرفاً أرعناً . و يخرج فيه على كل مستساغ ومعقول لا يهمه أحد ، ولا يبالى بحقوق الغير . ما دام هو فى « حرية » وما دام قد وجد فى ظلها ـ على ما يعتقد ـ مرتعاً لتصرفاته ، وفى أرضها حياة لحماقاته . فإذا شعر غيره بما يؤلمه ويغضبه لاذ بكلمة الحرية ، واعتصم بها فى جهل وغفلة . وجعل منها مانعاً بينه و بين كل شىء . يتسم بسمات الحق والعدل . فإذا عاتبه اعتبر هذا اعتداء على شخصيته ، وحداً من حريته . وقال لك فى تكبر : إنه حر .. فإن هذا يروقه و يتفق مع مزاجه ، وليس لأحد أن يعترض عليه لأن الحرية (المطلقة) قد منحته هذا الحق .

ولقد أباحت الحرية (المطلقة) للمرأة أن تسفر وأن تتبرج . فجاء لها الشيطان بالحرية من خلال الأصباغ ومن بين الموديلات الحديثة ، ومن ناحية مقتضيات الحضارة والتطور ، ليقضى على ما حماها به الدين من العفة والفضيلة . وما أحاطها به من الكرامة والسمو . فجعلها تبيح لحمها الشهوة كل جائع فى الطريق ، ليهتك عرضها ، وتكشف عن عورتها لكل نفس مريضة محمومة ، لينهش فيها وقد يكون أمام زوجها أو والدها فيتأبط ذراعها . مزهواً فخوراً راضياً عنها . لأن ذلك من مستلزمات الحرية ومن مقتضيات الحضارة . فإن

وجهت إليها النصح بدافع الإشفاق والتألم ، نظرت إليك فى احتقار واشمئزاز ، وعدت ذلك إهانة للحرية ، بل جموداً ورجعية من قوم يريدون أن يرجعوا بالدنيا وأن يعودوا بالعالم القهقرى مئات السنين .

اعتبرت ذلك جهلا بالحياة وعدم معرفة لسنة التطور فيها من قوم يريدون أن يعودوا بالناس إلى عهد الحجاب ، وزمن القيود والأغلال ، فياللعجب والدهشة من هؤلاء القوم !

لقد تقدم الناس ونهض العالم وغدا فى حضارة ومدنية وعصر جديد متحرر . ولكن يأبى هؤلاء القوم إلا أن يقفوا جامدين أمام كل تطور ومنكرين لشرائعه .

لقد أباحت الحرية المطلقة للمرأة كل شيء فتمردت وتكبرت حتى جعلها تتخلق بما الدين منه براء . وتدين بما تهوى ، فضاعف فيها الفجور ، وزاد فيها الشر والبلية .

ولقد أباحت الحرية للذين تلقنوا تعاليم أعداء الإسلام أن يقلدوهم فى عمى وضلال . فما يكون من نصيبهم إلا كل ما يميت الضمير ويقضى على الوازع الدينى فيهم . وما يكون من حظهم إلا كل ما يحطم الأخلاق ويقضى على المعانى السامية والقيم الكريمة فيهم . بل وما يكون لهم من شيء إلا كل ما يعود عليهم بالشر والخيبة والخسران . فلا يشعرون بنتائج طيبة لعمل ، ولا يجدون بين أيديهم أى أثر محمود لسعى . فيخرجون من هذا التقليد الأعمى بما يزيد الشر والشقاء فى حياتهم ، ويجعلها جحيما لا يطاق .

هذا شأن الحرية المطلقة وآثارها ، وهذا شأن من يجرون وراء الحرية المتحللة . وشأن من يعيشون فى ظل الحرية الإباحية . تلك الحرية التى لا تعرف العدل ، أو أى معنى طيب جليل .

أما الحرية الحقة . أما الحرية العادلة . أما الحرية القيمة : فهى التى تنبع من الدين الإسلامى الذى منح الحرية للناس ليسعدوا لا ليشقوا ، هى الحرية التى تبعثها الروح . وتفوح من الفضيلة .

الحرية هى أخلاق فاضلة وخصال حميدة يتحلى بها الإنسان . ونفس أبية . تكره الظلم والعدوان لصاحبها . معانى جمة من الأدب والذوق السليم ، والتربية الصحيحة ، ترتفع بصاحبها عن مواطن الغدر والأذى والتمرد .

هى قطرات من الحكمة وفيض من المثل العليا ، والشعور النبيل والشعور بحقوق الغير واحترام إحساسه أنها استعمال للحقوق استعمالا مشروعا لائقاً لا يضر بأحد ولا يجرح شعوره ولا يعكر عليه صفوه . فليس الإنسان حراً فى نفسه بأن يفعل مايشاء . ويعتقد كيفما يحلو له مادام هذا يتعارض مع حقوق الآخرين ويظهره بمظهر المسىء المعتدى .

الحرية هى أداء للواجب بدافع من الضمير الحى والتفكير فى الغير قبل التفكير فى النفس هى العمل الذى يؤدى إلى الحب والإخاء والمودة بين الناس والتفانى فى سبيل سعادة المجتمع الصالح .

وهى سياج منيع يحمى المرأة من كل مايهدد كرامتها ويذهب بعفتها وينتشلها من تسفل الإثم والجحود والتمرد إلى حيث ربوة الكرامة والسمو والفضيلة . هى وقاية لكل شخص من العدوان على أخيه والظلم لنفسه .

الحرية هى معانى روحية تهبط من السماء لتسعد الناس فتسموا بأخلاقهم وترفع شأنهم وتصلح حالهم وتنشر فيهم العدل والخير وتهديهم إلى السبيل القويم .

يجب علينا أن نفهم الحرية على أنها نسمات من التعاون والإخلاص ونفحات من المعانى الجميلة الجليلة التى تدعم الوحدة بين الناس .

يجب علينا أن نفهم الحرية على أنها سبيل إلى الطاعة والرضا والقناعة ومحرك للبر والعطف والتراحم فى الناس .

نعم . يجب أن نفهم الحرية على أنها نصرة للمظلوم وحماية للضعيف وردع للقوى الظالم الباطش والقضاء على الاستبداد والتحكم . لو فهمنا الحرية الحقة فهما صحيحاً واستعملناها استعمالا مشروعاً مقبولا لوجدنا أنفسنا بين أحضانها وفى رحابها نستنشق ريحها الطيب ونتنسّم عبيرها الرحيق .

ولكن ذلك لن يكون إلا إذا رجعنا إلى دين الله وعدنا إلى حظيرته وعملنا بشرائعه وأحكامه . نغترف منها مايحقق لنا الحرية الحقة ونأخذ منها مانصلح به حالنا ويضمن لنا حضارة وتقدماً وتطوراً حقيقياً ورفاهية وحياة آمنة مطمئنة .

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، (الذى يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت . ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) (الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار . ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى . ثم إلى ربكم مرجعكم ثم ينبؤكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حَفَظَةً . حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاه الحق . ألا له الحكم . وهو أسرع الحاسبين) .

وصلى الله وسلم وبارك على صفوته من خلقه ، وخيرته من عباده ، إمام المهتدين ، وخاتم المرسلين، عبد الله ورسوله الأمين ، محمد وعلى آله أجمعين .

وبعد ، فيقول الفقير إلى عفو الله تعالى ورحمته محمد حامد الفقى ، أحسن الله عاقبته فى الأمور كلها . وختم له بخاتمة الإيمان :

لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى من أكثر من عشرين سنة . فعرفت فيه العالم السلفى ، المدقق المحقق ، الذى يبحث عن الدليل الصادق ، وينقب عن البرهان الوثيق ، فيمشى وراءه لا يلوى على شىء ، ولا يلقى بالاً لمن يهتفون به ، أو يشغبون عليه ، من المقلدين المعوقين ، أو من الجبناء الخوافين الخاملين .

عرفت فيه العالم السلفى ، الذى فهم الإسلام الفهم الصادق ، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القوية ، الكريمة النقية . فلقد سخر الله للإنسان كل مافى السموات ومافى الأرض . وأسبغ على الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة ، فمن شكر ذلك - بحسن الانتفاع به ، ووضعه موضعه ، الذى أحبه الله لعبده ورضيه - زاده الله تمكيناً وتكريماً ، وزاد من تذليل الأرض والسموات وما فيهما وتسخيره وتطويعه له ،

حتى يكون أعلى الناس فى الأولى ، ليأخذ ـ بعلوه وقوته ـ على يد الجاهلين المفسدين ، ويكبح سفه السفهاء الطائشين. ويبدد ظلمات ظلم العصاة والكافرين. وليضرب الله به المثل العزيز الكريم للمجتمع الذى يغلب عليه الوهن والضعف والخور ، من ثمرات الإعراض والعمى التقليدى عن آيات الله فى الأنفس والآفاق ، والكفر بنعم الله ، والإساءة فيها بعمى الجاهلية وتقاليدها ، ووضع نعم الله غير مواضعها ، والفرار منها ، والانسلاخ عن آيات ربه .

عرفت الشيخ عبد الرحمن بن سعدى ـ رحمه الله ـ قد فهم الإسلام هذا الفهم الصادق ، إذ حطم عن قلبه أغلال التقليد الأعمى ، وخرج إنسانا كريما مشرقا فيه هدى الفطرة ونورها ، مفكراً ومتدبراً فى سنن الله وآياته الكونية والقرآنية ، بنشاط الإنسان الكريم المؤمن بآيات ربه الكونية والقرآنية ، الحريص عليها ، المقدر لنعم ربه بها ، الشاكر لها. المعتصم بعروتها الوثقى ، الإنجاء نفسه والسمو بها مع الأبرار ، والحريص الجاد فى محاولة الأخذ بأيدى الناس من حوله إلى هذا الإسلام الصادق ، ليعود لهم ما كان لآبائهم المسلمين الأولين الصادقين من استخلاف فى الأرض ، وعزة وتمكين ، وفلاح فى الأولى والأخرى .

عرفت أخى الشيخ عبد الرحمن ـ أسبغ الله عليه سوابغ مغفرته ورحمته ـ كذلك . وعرفت أنه اكتسب عزة النفس وكرامتها ـ التى سمت به أن يأكل لقمة العيش من الدين وباسم الدين . وإنما كان يأكلها من كده وكسبه الطيب بالكدح لها من أسبابها الأخرى ـ عرفت فيه : أنه اكتسب هذه العزة والكرامة ، من يوم أن حطم أغلال التقاليد ، واستنار قلبه بنور العلم الصحيح من كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن ثم عاف الوظائف ، وأبى قيودها ، ليبقى عزيز النفس كريماً ، يصدع بكلمة الحق ، ويقولها للناس ابتغاء وجه ربه . فهى أنجح وأربح . وهى أقوى وأسعد ، وهى كذلك الحياة الطيبة التى اختارها الله تعالى لرسله ولمن اصطفى من أتباعهم الذين يحرصون على سلوك سبيلهم على بصيرة وهدى من الله .

عرفت أخى الشيخ عبد الرحمن ـ عوضنا الله فيه خيراً ـ صبوراً جلداً ، يسمع كثيراً ، ولكنه لايقيم وزناً إلا لما يصطفى ويختار مما يسمع وممن يسمع ، حريصاً على تحقيق قول الله

تعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فما أكثر ما يسمع الإنسان اليوم من قول ، وما أكثر ما يسمع من قائل ، وما أقل الجدوى والفائدة من أكثر هـذا القول وأكثر أولئك القائلين . ولئن شغل العاقل نفسه بكل مايقال ، وكل من يقول ، فما هو بعاقل ، وما هو بواجد سبباً من أسباب الأقوال النافعة والأعمال الصالحة . وما أحرى العاقل أن يأخذ نفسه بقول الله تعـالى لرسوله الـكريم صلى الله عليه وسلم (خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرفِ وأعرض عن الجاهلين) وقوله سبحانه فى صفات صفوته (وعبـاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

عرفت فى أخى الشيخ عبد الرحمن ـ أعظم الله أجرنا فى مصيبته ـ هـذا ، على قلة اجتماعى به . لـكنى عرفته كذلك من كثرة معاشرتى له فى كتبه ومؤلفاته . فإنها الحبيبة إلى نفسى ، والقريبة إلى قلبى ، وهى التى جعلت بينى وبين أخى الشيخ عبد الرحمن من التقارب والتعارف ، والتفاهم ـ على بعد مابين الأجسام ـ ما توثق به الإخاء فى الله ، وقوى عرى المودة والحب لله . رحم الله أخى الشيخ عبد الرحمن ، وجمعنى وإياه ـ وآله وإخوانه ومحبيه ـ فى دار كرامته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقاً .

كلمة ولده الشيخ عبد الله

بارك الله فيه . بعثها إلينا من الرياض الأخ الـكريم الشيخ عبدالله بن عقيل ، المعاون بدار الافتاء . جزاه الله خير الجزاء .

هو الشيخ ـ أبو عبد الله ـ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدى . من قبيلة تميم .

ولد فى بلدة « عنيزة » فى القصيم . وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية .

وتوفيت أمه وله أربع سنين . وتوفى والده وله سبع سنين . فتربى يتيما . ولكنه نشأ نشأة حسنة .

وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة فى العلوم .

وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده . ثم حفظه عن ظهر قلب وأتقنه ، وعمره أحد عشر سنة

ثم اشتغل بطلب العلم على علماء بلده ، وعلى من قدم إلى بلده من العلماء .

فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم .

* * *

ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة : جلس للتدريس . فكان يتعلم ويعلم . ويقضى جميع أوقاته فى ذلك . حتى إنه فى عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس فى بلده راجعاً إليه ، ومعول جميع الطلبة فى التعليم عليه .

بعض مشايخ المؤلف

أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر . وهو أول من قرأ عليه . وكان يصف شيخه ـ الشيخ حمد هذا ـ بحفظه للحديث . ويتحدث عن ورعه ومحبته للفقراء ومواساتهم . ويذكر أنه كان كثيراً مايأتيه الفقير فى اليوم الشاتى فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه وقلة ذات يده رحمه الله .

ومن مشايخ المؤلف : الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل . قرأ عليه فى الفقه وعلوم العربية وغيرهما .

ومنهم الشيخ صالح بن عثمان القاضى « قاضى عنيزة » قرأ عليه فى التوحيد والتفسير ، والفقه ، أصوله وفروعه ، وعلوم العربية . وهو أكثر من قرأ عليه المؤلف . ولازمه ملازمة تامة حتى توفى . رحمه الله .

ومنهم الشيخ عبد الله بن عايض .

ومنهم الشيخ صعب التويجرى .

ومنهم الشيخ على السنانى .

ومنهم الشيخ على الناصر أبو وادى . قرأ عليه فى الحديث. وأخذ عنه الأمهات الست وغيرهما : وأجازه فى ذلك .

ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المانع (مدير المعارف فى المملكة العربية السعودية سابقاً والمستشار فى وزارة المعارف السعودية فى وقتنا الحالى) وقد قرأ عليه الشيخ رحمه الله فى عنيزة .

ومن مشايخه الشيخ محمد الشنقيطى ، نزيل الحجاز قديماً . ثم الزبير . لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس . قرأ عليه الشيخ رحمه الله فى التفسير ، والحديث ، ومصطلح الحديث ، وعلوم العربية ، كالنحو والصرف ونحوهما .

نبذة من أخلاق الشيخ

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، متواضعاً للصغير والكبير . والغنى والفقير ، يقضى بعض وقته بالاجتماع بمن يرغب حضوره . فيكون مجلسهم نادياً علمياً . حيث إنه يحرص على أن يحتوى على البحوث العلمية والاجتماعية . وتحصيل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة ، التى يشغل وقتهم فيها . فتنقلب مجالسهم العادية عبادة ، ومجالس علمية .

ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه . ويتحدث معه فى المواضيع النافعة له دنيا وأخرى .

وكثيراً ما يحل المشاكل برضى الطرفين فى الصلح العادل .

وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ، ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته . ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير فى المناسبات .

وكان على جانب كبير من الأدب والعفة ، والنزاهة والحزم فى كل أعماله .

* * *

وكان من أحسن الناس تعليما ، وأبلغهم تفهيما ، مرتباً لأوقات التعليم .

ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم . ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون . وكل من حفظه أعطى الجعل . ولا يحرم منه أحد .

ويتشاور مع تلاميذه فى اختيار الأنفع من كتب الدراسة . ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم . ومع التساوى يكون هو الحكم .

ولا يمل التلاميذ من طول وقت درسه إذا طال ، بل يتلذذون من مجالسته .

ولذا حصل له من التلاميذ المحصلين عدد كثير .

مكانة الشيخ من العلوم

كان ذا معرفة تامة فى الفقه ، أصوله وفروعه .

وفى أول أمره كان متمسكا بالمذهب الحنبلى تبعاً لمشايخه . وحفظ بعض المتون فى ذلك . وكان له مصنف فى أول أمره فى الفقه . نظم رَجَز نحو أربعمائة بيت وشرحه شرحا مختصراً . ولكنه لم يرغب فى ظهوره . لأنه على ما يعتقده أولا .

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . وحصل له خير كثير بسببهما فى علم الأصول والتوحيد ، والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة .

وبسبب استنارته بكتب الشيخين : صار لايتقيد بالمذهب الحنبلى . بل يرجح ماترجح عنده بالدليل الشرعى .

* * *

وكانت له اليد الطولى فى التفسير . إذ قرأ عدة تفاسير . وبرع فيه . وألف تفسيراً جليلاً فى عدة مجلدات . فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده ـ وقتَ التصنيف ـ كتاب تفسير ، ولا غيره .

وكان دائماً يقرأ للتلاميذ فى القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً . ويستطرد ويبين من معانى القرآن وفوائده . ويستنبط منه الفوائد البديعة ، والمعانى الجليلة ، حتى إن سامعه ليود

أن لايسكت لفصاحته وجزالة لفظه ، وتوسعه فى سياق الأدلة والقصص .

ومن اجتمع به وقرأ عليه و بحث معه عرف مكانته فى المعلومات . وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه .

مصنفات الشيخ رحمه الله

١ ـ تفسير القرآن الكريم ، المسمى « تيسير الكريم المنان » فى ثمان مجلدات أكمله فى عام ١٣٤٤ تحت الطبع .

٢ ـ حاشية على الفقه ، استدراكا على جميع الكتب المستعملة فى مذهب الحنبلى ، ولم تطبع

٣ ـ إرشاد أولى البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ، رتبه على السؤال والجواب . طبع فى مطبعة الترقى فى دمشق . عام ١٣٦٥ على نفقته رحمه الله . ووزعه مجاناً .

٤ ـ الدرة المختصرة فى محاسن الإسلام ، طبع فى مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ .

٥ ـ الخطب العصرية القيمة لما آل إليه أمر الخطابة فى بلده ، اجتهد أن يخطب فى كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت الحاضر فى المواضيع المهمة التى يحتاج الناس إليها . ثم جمعها وطبعها مع الدرة المختصرة فى مطبعة أنصار السنة على نفقته . ووزعها مجانا .

٦ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن . طبعها فى مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ ووزع مجانا .

٧ ـ تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمى فى أغلاله . طبع فى مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز « الشيخ محمد افندى نصيف » عام ١٣٦٦ .

٨ ـ الحق الواضح المبين ، فى شرح توحيد الأنبياء والمرسلين .

٩ ـ توضيح الكافية الشافية ، وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم .

١٠ ـ وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الدينى . وهذه الثلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة بالمطبعة السلفية على نفقة الشيخ ووزعها مجانا .

١١ ـ القول السديد ، فى مقاصد التوحيد . طبع فى مصر بمطبعة الإمام على نفقة عبد المحسن أبا بطين عام ١٣٦٧ وأعاد طبعه الشيخ على نفقته ووزعه مجانا .

١٢ ـ مختصر فى أصول الفقه ، طبع مع منهج السالكين على نفقة الشيخ ، ووزعه مجانا .

١٣ ـ تيسير اللطيف المنان ، فى خلاصة تفسير القرآن . طبع على نفقة الشيخ وجماعة من المحسنين ، ووزع مجانا . طبع بمطبعة الإمام .

١٤ ـ الرياض الناضرة . طبع بمطبعة الإمام . على نفقة الشيخ وجماعة من المحسنين ، ويوزع مجانا .

١٥ ـ بهجة قلوب الأبرار ، طبع بمطبعة السنة المحمدية على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

١٦ ـ الإرشاد ، فى معرفة الأحكام . طبع على نفقة الشيخ ، ووزعه مجانا .

١٧ ـ الفواكه الشهية ، فى الخطب المنبرية . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

١٨ ـ منهج السالكين ، وتوضيح الفقه فى الدين . طبعه ووزعه مجانا .

١٩ ـ القواعد والضوابط ، والأصول ، إلى العلم المأمول . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا

٢٠ ـ الخطب المنبرية على المناسبات . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجاناً .

٢١ ـ الدين الصحيح ، لحل جميع المشاكل . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجاناً .

٢٢ ـ الفروق والتقاسيم البديعة النافعة . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

٢٣ ـ الأدلة القواطع والبراهين ، فى إبطال أصول الملحدين . طبع على نفقة الشيخ . ووزعه مجانا .

٢٤ ـ فوائد مستنبطة ، من قصة الشيخ . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

٢٥ ـ الوسائل المفيدة ، فى الحياة السعيدة . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

٢٦ ـ سؤال وجواب ، فى أهم المهمات . طبع على نفقة الشيخ ووزعه مجانا .

٢٧ ـ شرح التائية ، فى الرد على القدرية لم يطبع .

٢٨ ـ التوضيح والبيان ، لشجرة الإيمان . لم يطبع .

٢٩ ـ فتح الرب الحميد ، فى أصول العقائد والتوحيد . لم يطبع .

٣٠ ـ مجموع الفوائد ، واقتناص الأوابد . لم يطبع .

٣١ ـ المناظرة الفقهية . لم يطبع .

٣٢ ـ الدلائل القرآنية ، فى أن العلوم العصرية لا تخالف القرآن والسنة . تحت الطبع .
٣٣ ـ كتاب التنبيهات اللطيفة ، على مااحتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة .

مرضه ووفاته :

كان قد أصابه ـ قبل وفاته بخمس سنوات تقريباً ـ مرض ضغط الدم من كثرة إعماله فِكْرَه وقريحته فى العلوم : من كتابة ، وتدريس وتصنيف ، ونحو ذلك .

فسافر فى سنة ١٣٧٣ إلى لبنان بأمر من جلالة الملك سعود حفظه الله . فإنه اهتم بأمره لما رفع له الأمر ، وأرسل جلالته طائرة خاصة تحمل أطباء ليعاينوا مرضه فى «عنيزة» وبعد وصولهم قرروا سفره إلى لبنان . فسافر وبقى فى لبنان نحو شهرين يتعالج ، حتى شفاه الله ، واجتمع بعدة من العلماء المقيمين فى لبنان ، والقادمين إليه .

وتعرف به جملة من الناس حين علموا بقدومه .

* * *

وبعد أن رجع إلى « عنيزة » استأنف أعماله : فيها ، من فتوى وتصنيف وتدريس ، وخطابة وغيرها ، رغم نهى الأطباء له عن ذلك ، وتقريرهم أنه مما يحرك عليه هذا المرض .

وكانت نوبة ضغط الدم تأتيه فى كل سنة . فلما كان فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ أحس بالنوبة ، وكان معها مثل البرد والضعف .

* * *

وفى ليلة الأربعاء ٢٢ من الشهر المذكور ، بعد أن فرغ من صلاة العشاء إماماً فى مسجد الجامع فى عنيزة ، وبعد إملائه الدرس المعتاد على جماعة المسجد : أحس بثقل وضعف حركة . فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسك يده ويذهب به إلى بيته ، ففعل . فلم يصل البيت إلا وقد أغمى عليه . وبعد ذلك أفاق ، وحمد الله وأثنى عليه . وتكلم مع أهله ، ومن حضرهم بكلام حسن ، طيب به قلوبهم . وقال لهم : إنى طيب فلاتنزعجوا من أجلى .

ثم سكت وعاد إليه الإغماء ، فلم يتكلم بعدها حتى توفاه الله .

فلما أصبحوا صباح الأربعاء ، دعوا له الطبيب . فقرر أن فيه نزيفاً فى المخ خطر ، وإن لم يتدارك فوراً فإنه يموت .

فأبرقوا إلى سمو ولى العهد بذلك . فأصدر أمره مستعجلاً بإسعافه بكل ما يلزم .

فقامت الطائرة وفيها الأطباء إلى « عنيزة » ولكن القضاء قد سبق ، وحُمَّ رالقد .

أما الشيخ : فلم يزل على حالته يوم الأربعاء وليلة الخميس .

فلما كان فى سحر تلك الليلة قبل الفجر بنحو ساعة : توفاه الله ، واختار له قربه وخير ماعنده . وما عند الله خير للأبرار . وذلك يوافق ٢٣ من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٦ .

* * *

وانتظروا به إلى الظهر ، فصلى عليه صلاة الجنازة مع الظهر فى جامع عنيزة ، ودفن فى مقبرة الشهوانية فى جمع غفير . لم يشهد قبله مثله فى بلده .

وصلى عليه أيضاً فى أغلب بلدان المملكة وغيرها .

وصار لموته وقع كبير عند الخاصة والعامة . رحمه الله . وجمعنا به فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فرع شربين

شرع أنصار السنة المحمدية بمدينة شربين فى بناء مسجد لهم ، فى وسط منطقة بها أكثر من ثمانية فروع للجماعة ، ليكون مثابة لهم يلتقون فيه فى المناسبات ، فيتعارفون ويتعاونون على نشر التوحيد . وإنهم ليرجون أن يشاركهم جميع أنصار السنة المحمدية حيثما كانوا فى إقامة هـذا المسجد الذى سيكون مناراً للتوحيد إن شاء الله ، فمن رغب فى مساعدتهم ، والتبرع لهم ، مشاركة فى عمارة بيت من بيوت الله . فليرسل تبرعه باسم الأستاذ عبد الباقى الحسينى رئيس فرع شربين ، وله عند الله الجزاء الأوفى .

فقدنا رجـــــــلا عظيما

والرجال فى هذا الزمان قليل

بعد ثلاث ساعات من صلاة عشاء الجمعة الثالث يوم عشر من شهر رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الموافق للثالث عشر من شهر إبريل من شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة وألف . من ميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام .

توفى الأخ الكريم ، والشهم النبيل : الشيخ عبد الله بن إبراهيم الفضل ، السفير فوق العادة للمملكة العربية السعودية ، لدى حكومة الجمهورية المصرية ، ولدى حكومة المملكة الليبية .

وكان رحمه الله ، قد ولد فى جدة فى السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية . وقد كان ـ أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة ـ عميد السلك الديبلوسى ، لدى حكومة الجمهورية المصرية . لأنه كان أقدمهم بها . إذ مضى عليه فى مصر فوق الإحدى عشرة سنة .

عرفه المصريون بجميع طبقاتهم ، من الحكام ، والوزراء ، والعلماء ، والسياسيين ، والتجار ، والأغنياء ، والفقراء ـ عرفه هؤلاء جميعاً ، فعرفوا فيه الرجل العربى الكريم ـ بكل معانى العروبة ـ علو نفس ، وكرم أخلاق ، وعلو شمائل ، وسخاء نفس ، وطيب قلب . حتى أحبوه جميعاً من كل قلوبهم ، فكان الثناء عليه من كل لسان .

ومن قبل كان والده الشيخ إبراهيم الفضل كبير تجار العرب وعميدهم بالهند . فلقد كانت داره محط رحال الجميع من أطراف الأرض ، وبالأخص من البلاد العربية ، ولعل المصريين يذكرونه جيداً ، حين احتفلت به جمعية الرابطة الشرقية ، وأقامت له فى دارها فى سنة ١٩٢٨ ميلادية ـ حفلا عظيما تكريماً له ، واعترافاً بخدماته للعرب والمسلمين .

ناله فى أيامه الأخيرة عناء وإعياء من كثرة أعماله السياسية وغيرها . ومما كان قد أصيب به ـ رحمه الله ـ من ضعف القلب ، وتصلب الشرايين . فطلب مراراً من جلالة الملك سعود

ـ أطال الله حياته المباركة ـ أن يتفضل بإعفائه من العمل . فما كان يجيبه إلى رغبته . لأن المزايا التى كانت عند الشيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ قل أن تتوفر فى غيره .

فكان جلالته ـ حفظه الله ـ يمنحه كل سنة إجازة ثلاثة أشهر يقضيها فى سويسرا للاستجمام والعلاج .

وفى هذه السنة : طلب الإذن من جلالة الملك ـ أيده الله بنصره ـ مبكراً . فسأله سعادة الشيخ بعض إخوانه الانتظار قليلاً . فإن جو مصر لا يزال جميلاً . وتنتهى الإجازة فى أيام الحر بمصر . فمن الأنسب أن يؤجل الاستئذان بعض الوقت .

فقال له الشيخ عبد الله رحمه : إنى أريد التعجل بأسرع مايمكن . وأسأل الله أن يجىء الإذن اليوم ـ وكان الجمعة السابع والعشرين من شعبان ـ فما أسرع ما جاء الإذن . فكان فرحه عظيما جداً ، على خلاف المعهود فى كل سفرة .

وفى صباح السبت الباكر سافر إلى الاسكندرية ، ثم ركب الباخرة ، واستمر مسافراً حتى بلغ جنيف عاصمة سويسرا يوم الجمعة .

وما كاد يستقر بها حتى وافاه الموت الذى كان يسعى إليه . ليحقق بذلك قول الله : (وماتدرى نفس بأى أرض تموت) فقد ذهب يستشفى ، فإذا به يلقاه الموت حيث كان يريد الحياة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وإنا لله وإنا إليه راجعون . فسافر ولده صالح فوراً وأحضر الجثمان فى طائرة خاصة إلى القاهرة فشيعت جنازته باحتفال رسمى من قبل حكومة مصر . ثم سافر بطائرة إلى الحجاز ودفن بمكة مع والده رحمهما الله .

وقد فقدت بموته جماعة أنصار السنة المحمدية خير عون لها وناصر . فقد كان يبرها كل عام بمبلغ كبير يتناسب مع مركزه . رحمه الله رحمة واسعة وغفر له .

وقد خلف ثلاثة أبناء ، هم من خير من عرفنا من الشباب : عبد الوهاب ، وصالح ، وإبراهيم . جعل الله فيهم خير العوض من أبيهم . وجعلهم خير خلف لخير سلف . وجعل كلمتهم جميعاً وأحيا بهم ذكرى أبيهم الطيبة الكريمة . وأقر بصالح أعمالهم وأخلاقهم وتنفيذ وصية أبيهم ـ عين والدهم فى قبره . ونفعه بصالح دعواتهم وأعمالهم . وأقر بهم عيون أصدقاء وأحباب والدهم .

أخبار الجماعة

هدايا كريمة

قدم الأستاذ الشيخ يوسف بن عبد العزيز النافع ، مراقب هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام ، عشرين نسخة من كتاب (مجموعة الحديث النجدية) وعشرين نسخة أخرى من كتاب (مجموعة التوحيد النجدية) إلى المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية و بعض فروعها و بعض أعضاء الجماعة . هدية من حضرة صاحب السمو الملكى الأمير الجليل مشعل بن عبد العزيز آل سعود الذى طبع الكتابين على نفقته .

فلسموه جزيل الشكر . سائلين الله أن يجزل له المثوبة و يجزيه خير الجزاء .

كما قدم ثلاثين نسخة من كتاب (طريق الهجرتين) وثلاثين نسخة أخرى من كتاب (مسائل الجاهلية) هدية من سعادة الأستاذ الشيخ محمد الصالح مدير عام مصلحة الدفاع والطيران السعودى الذى طبع الكتابين على نفقته .

فلسعادته جزيل الشكر سائلين الله أن يجزيه خير الجزاء وأن يوفقه دائماً إلى الخيرات .

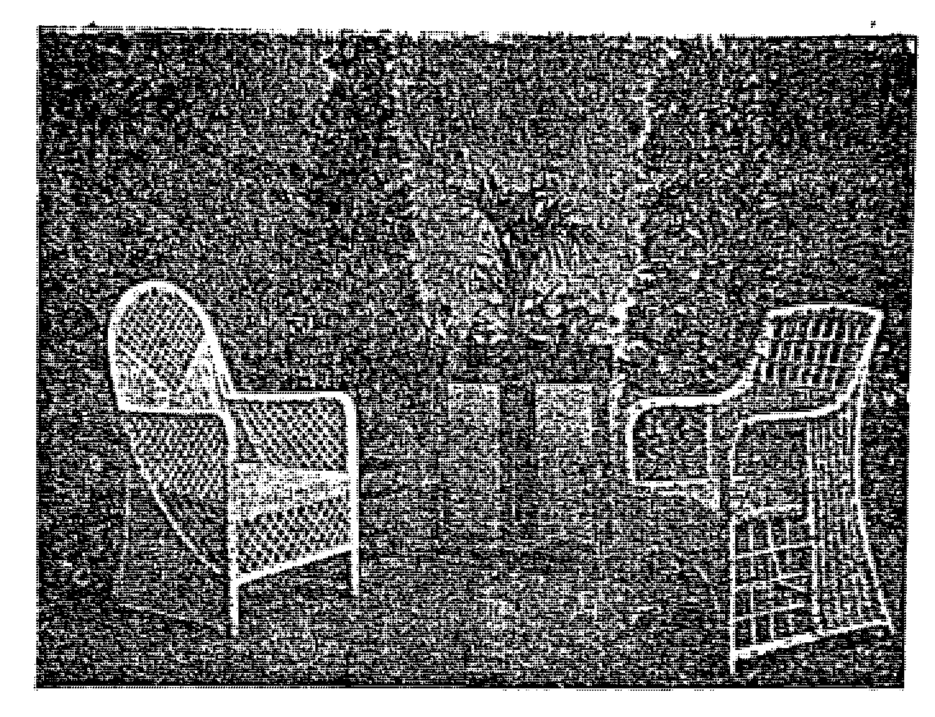
وفاة رئيسى أنصار السنة المحمدية ببور سعيد وباكوس بالاسكندرية

توفى إلى رحمة الله الأخ الحاج خليل محمد الدسوقى رئيس فرع الجماعة ببورسعيد فى يوم الأربعاء ٢٩ جمادى الآخر ١٣٧٦ (٣٠ يناير ١٩٥٧) .

كما توفى إلى رحمة الله الأخ الشيخ عبدالعزيز محمد حشيش رئيس فروع الجماعة بباكوس رمل الاسكندرية يوم الاثنين ٢٥ رجب ١٣٧٦ (٢٥ فبراير ١٩٥٧) .

وجماعة أنصار السنة المحمدية إذ تحتسبهما عند الله تسأله تعالى أن يتغمدهما برحمته وينزلهما منازل الأبرار . فقد كانا ـ رحمهما الله ـ من أشد الناس جهاداً فى سبيل الله لنشر دعوة التوحيد الخالصة بالنفس والمال . غفر الله لنا ولهما ، وألحقنا بهم على الإيمان . وجمعنا و إياهم على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى أي مكان تجده يتألق ويزهو



إنه الكرسى النموذجى

فى المتانة ودقة الصناعة المصرية . آخر ما وصلت إليه صناعة الخيزران

موبيليات المعرض : رقم ١٧٦ عمارة الفلكى شارع الخديوى إسماعيل

حسن على حماد المصنع : رقم ١٣ شارع يوسف الجندى سجل تجارى ٤١١٠١

الأمانة — حسن المعاملة — الجودة

بمحلات

الحاج زكير على

تاجر عموم أصناف الخيش والحبال والدوبارة

ومتعهد مصالح الحكومة والبنوك والشركات

---

٥ شارع التمبكشية بالجمالية تليفون ٥١٧٩٤

---

١٠ شارع الحمزاوى بوكالة مدكور تليفون ٥٥٣٦٨

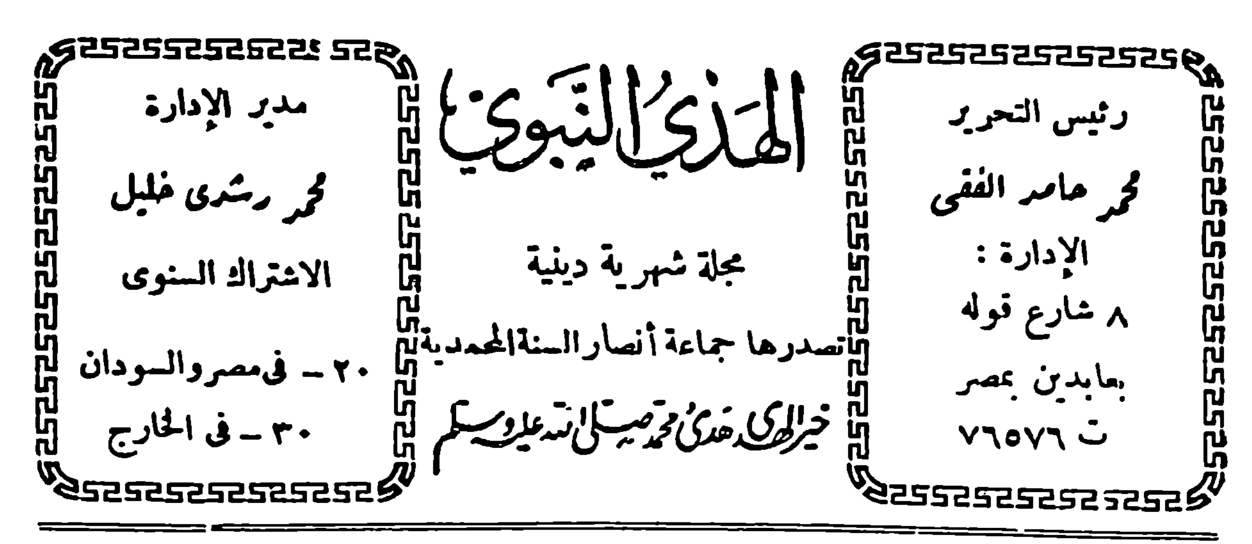
---

١١ شارع ابن عباد مينا البصل بالاسكندرية تليفون ٣٠٧٩٥


الهدی النبوی
خیر الهدی هدی محمد صلی اللہ علیہ وسلم

الفهرس

الثمن ٢٠ مليما



الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

رئيس التحرير

محمد حامد الفقى

الإدارة :

٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

مدير الإدارة

محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى

٢٠ – فى مصر والسودان

٣٠ – فى الخارج

المجلد ٢١ — ذى القعدة – الحجة سنة ١٣٧٦ — العددان ١١ ، ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره :

(١٦ : ١٢٠ – ١٢٤ إن إبراهيم كان أمةً ، قانتاً لله حنيفاً . ولم يكُ من المشركين . شاكراً لأنعُمِهِ . اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنةً ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك : أن اتَّبِـع مِلَّة إبراهيم حنيفا . وما كان من المشركين . إنما جُعل السبتُ على الذين اختلفوا فيه . وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) .

« أمة » كل جماعة يجمعهم أمرٌ مّا : إما دين ، أو زمان ، أو مكان ، أو لغة ، أو ماهو نحو ذلك من الجوامع .

والأصل فيه « أم » قال الخليل بن أحمد : كل شيء ضم سائر ما يليه يسمى أمًّا .

وإنما سمى الله خليله إبراهيم « أمة » لأنه كان قائما فى عبادة الله مقام جماعة ، كقولهم : فلان فى نفسه قبيلة . وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ؟ فقال « إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » وذلك لأنه كان قد فارق اليهودية والنصرانية ووثنية قومه قريش ، وتبرأ منها جميعها ، وقال «إنى على ملة إبراهيم حنيفا» فقتل على ذلك فى طريق عودته من الشام إلى مكة ، قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال مجاهد : كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمة ، لأنه كان قد انفرد بالإيمان فى

وقته مدة ما . وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أن إبراهيم قال لسارة زوجه : ليس على وجه الأرض اليوم مؤمن غيرى وغيرك » .

وقال أبو حيان « الأمة » لفظ مشترك بين معان . منها الجمع الكثير من الناس . ثم ما يشبه الملك ، أو المنفرد بطريقة وحده عن الناس يسمى أمة . وقاله ابن مسعود رضى الله عنه والفراء وابن قتيبة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما « كان عنده من الخير ما كان عند أمة » ومن هذا أخذ الحسن بن هانىء أبو نواس قوله :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وعن ابن مسعود رضى الله عنه « أنه معلم الخير » وأطلق هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك على معاذ بن جبل رضى الله عنه .

وقال ابن الأنبارى : هذا مثل قول العرب «فلان رحمة ، وعلامة ، ونسابة » يقصدون بالتأنيث التناهى فى الموصوف به .

وقيل « الأمة » الإمام الذى يقتدى به . من أمّ يَؤم . والمفعول قد يبنى للكثرة على فُعلَة ، وقال الله تعالى لخليله إبراهيم (٢ : ١٢٤ إنى جاعلك للناس إماماً)

و « القانت » الملازم للسكينة والخضوع والخشوع والعبادة لربه .

و « الحنيف » من « الحنَفِ » وهو ميل فى مقدم القدمين ، كُلٌّ إلى مقدم الأخرى ، حتى يشبه أن يجعل صاحبهما كأنه يتحرى الوسط وسبيل الاستقامة والقصد . فمن ذلك سمى الله كل من يتحرى الوسط والاستقامة والقصد فى عقيدته وعبادته « حنيفا » وكانت قريش تدعى أنهم الحنفاء ، لأنهم أبناء إبراهيم ، ولأنهم على دين وراثى تقليدى . يقول عنه المتأخر عن المتقدم ، والخلف عن السلف : إنه دين إبراهيم . بدون فهم له ، ولا تحقيق لشرائعه وعقائده وأنهم بهذه الطقوس والتقاليد والرسوم أتباع إبراهيم . وكذلك كان كل من اليهود والنصارى يزعم ـ باطلا ـ أنه تابع لإبراهيم . وقد نفى الله ذلك عن هؤلاء وأولئك . فقال (٣:٦٧، ٦٨ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً . وما كان من

المشركين إن أولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين)

و « المشرك » من أشرك مع الله ربِّ العالمين أحداً ، أو شيئاً ، فى إخلاص حبه وتقديسه وتعظيمه ، خوفاً ورجاء ، ورغَباً ورهَباً ، فدعا غيره ـ وسماه توسلا ـ وحلف بغيره ، وسماه حبا وتعظيما ، أو نذر لغيره ، أو ركن بقلبه إلى غيره من الموتى ، أيًّا كانوا ـ وسمى ذلك تبركا ـ معتمداً عليه ، ومتوكلا فى قضاء حاجاته ، وتفريج كرباته ، وما أشبه ذلك مما هو معروف عند الجمهور والعامة قديماً وحديثاً مما نتيجة حتمية لدين الوراثة الجاهلى التقليدى . بل هو عندهم الدين المشهور الذى من أنكره وحار به يعدونه ضالاً وكافراً . و يسمون عبادة أوليائهم ـ من الموتى وغيرهم ـ الدين الحق . و يصرفون أخلص العبادة ، بل ومخها ـ وهو الدعاء ـ لمن اتخذوهم من دون الله أولياء (٤٦ : ٥ و٦ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ؟ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين) .

و « الشكر » حسن الانتفاع بالنعمة والاستفادة منها ، حتى تظهر آثارها متحدثة عن فضل المنعم وإحسانه ، بأن له الأسماء الحسنى . ولن يكون ذلك ولا يتحقق إلا بمعرفة النعم على وجهها وصفاتها ومزاياها وخصائصها ووقتها ، وكيفية الانتفاع بها ، ووضعها موضعها ، الذى أحبه المنعم به بها وارتضاه لعبده . وذلك لا يكون إلا بالعلم الصحيح بأسماء الله وصفاته ، والتفكر فى آيات الله وسننه الكونية ، والتفقه والتدبر لآياته القرآنية ، واليقظة التامة فى تحرى الاقتداء بأئمة الشاكرين : إبراهيم والمصطفين بالرسالة من ذريته ، و بالأخص خاتمهم محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

و « الأنعم » جمع « نعمة » أى شاكراً لكل نعم الله عليه . كما وصفه الله سبحانه بقوله (٥٣ : ٣٧ و إبراهيم الذى وَفَّى) و بقوله (٢ : ١٢٣ و إذِ ابتَلَى إبراهيمَ رَبُّه بكلماتٍ فأتَمَّهُنَّ) .

و « اجتباه » اصطفاه واختاره . وخصه بأنواع من الإحسان والإنعام والمثوبة . العظمى جزاء شكره : وذلك فضل الله الذى يجزى به الشاكرين ، المنوه عنه فى قوله تعالى (١٤ : ٧

لئن شكرتم لأزيدنكم) وقوله (١٠ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقوله (٥٣ : ٣١ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله عن يوسف الصديق عليه السلام ـ وقد أحسن فى نعم ربه عليه فيما امتحنه ورباه به فى بيت عزيز مصر ، الذى كان يجمع البغى والفساد والكفر والفسوق والعصيان ، فتأثر به يوسف تأثراً عكسياً ، إذ أراد الله أن يصلح به مصر وينقذها من هلاك القحط والجوع . فاستفاد من الغىِّ الرشدَ ، ومن السَّفَهِ الحكمة ، ومن الفسوق والانحلال والتعبد للشهوات الشيطانية : الاستقامةَ التامة والعفاف الوثيق ، وازداد هدى على هداه ، فقال الله (١٢ : ٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حُكما وعلماً وكذلك نجزى المحسنين) .

وكذلك الشأن فى موسى عليه السلام ـ وقد أراد الله العليم الحكيم أن يربيه فى بيت فرعون ، وفى ظل تبنيه وكفالته ، ليبعثه إليه رسولا قوياً يُرهِب فرعون ولا يَرهَبه . ويخوفه وينذره عا[illegible] وثنيته وكفره وبغيه ، واستعباده المصريين ، وتحميلهم من مشاق الأعمال مايموتون تحت أثقاله لاشباع أهوائه وشهواته الطاغية .

ولانقاذ بنى إسرائيل ممـا كان يسومهم فرعون من سوء العذاب .

لذلك رباه الله فى هذه البيئة الباغية الكافرة ، فاستفاد منها ـ باحسانه فى الاستفادة من نعم ربه عليه وشكرها بذلك ـ حكمة ورشداً ، وقوة عزيمة فى الحق ، وشدة بأس فى دفع الظلم وانصاف المظلوم . فقال الله ربنا (٢٨ : ١٤ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حُكماً وعلماً . وكذلك نجزى المحسنين) .

يعنى ربنا سبحـانه : أن ذلك جزاؤه الحق ، ووعده الحق الذى لا يخلفه لكل من أحسن الانتفاع والاستفادة بنعم ربه ، وقدرها حق قدرها ، وشكرها بحسن استعمالها على الوجه الذى أحبه ربه وارتضاه ، وجعلها به وله نعمة .

وكان إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام كذلك ـ وقد نشأ وتربى فى البيئة الوثنية الكافرة الباغية التى يرؤسها ويمثلها أبوه آزر ـ قد استفاد من وثنيتها الصارخة ، ومن كفرها الصريح : هدى فطرياً إلى تجريد توحيد الله ربه ، ومن ظلمها الغاشم ، وقسوتها الأثيمة : شفقة بالضعفاء الذين كان أبوه آزر وإخوانه ـ من المستكبرين الطغاة ـ يستعبدونهم بدجلهم ،

وطاغوتيتهم الجاهلية . وكان قد تعلم الحكمة والعدل من سفه آزر أبيه و بغيه ـ إذ كان آزر يعيش غارقاً فى بحر من أهوائه وشهواته ـ كَلاًّ عليهم .

وكان ذلك سبباً فى فرار إبراهيم عليه السلام من وسطهم ، وذهابه يبعد النجعة فى رعى الغنم ، ليعيش على الحلال الطيب ، و يرى فى رعايته للغنم من آيات الله فى الغنم ، وفى معيشتها ، وفيما تنتاب ـ من مساقط المطر ، ومنابت العشب والكلأ ـ مازاد هدى فطرته جلاء وصفاء .

وما زال إبراهيم يسمو و يترقى على معارج شكره لأنعم ربه ، وإحسانه الأخذ لها ، وتقديرها قدرها ، وتحريه الإحسان فى وضعها مواضعها ، حتى اصطفاه ربه واجتباه ـ (٦ : ١٢٤ والله أعلم حيث يجعل رسالته) ـ فأرسله يدعو أباه والناس إلى هذا الإحسان والشكر ـ بوضع كل شىء موضعه ، وإعطاء كل ذى حق حقه ـ الذى لا يكون إلا بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وسننه وآياته فى الأنفس وفى الآفاق ، والمعرفة التى تشرق على القلوب بها أنوار الحكمة والرشد . فتعرف أن الله ربها هو الحى القيوم ، وهو الذى يجدر بها أن تعبده ، وأن تخلص له العبادة . فإنها ـ بجميع أنواعها ـ حق خالص لله بمقتضى أسمائه وصفاته . وكل مخلوق ـ بمقتضى صفاته ـ فحق عليه أن يجرد هذه العبادة لربه ، و بإخلاص العبادة تعرف المخلوق من الإنسان وغيره فى الأرض والسموات . فتأخذ منه ما جعله الله لك ، وسخره فيها وسخرها به ، وتعطيه حقه اللائق به و بمخلوقيته ، من شمس وقمر ، وكواكب ، وإنسان وحيوان وغيرها .

وهكذا كان إبراهيم ، وكان إخوانه المرسلون السابقون ، وأبناؤه اللاحقون المصطفون ، رسل الله ، و بالأخص خاتمهم و إمامهم محمد صلى الله عليه وسلّم .

كانوا كذلك فى شأنهم وتربيتهم ، وشكرهم لكل ما أنعم عليهم ربهم به من هدى الفطرة ، ومابتلاهم به ، وامتحنهم من بيئاتهم الوثنية الكافرة ، الغارقة فى ظلمات الجاهلية . وما كانت جاهليتهم هذه تقدر أن تحجب بظلماتها نور فطرتهم وهداها ، وما كانت وثنيتهم وخبائثها ، تستطيع أن تنال من صفاء قلوبهم ، ولا أن تمس طهر نفوسهم ، بما أحاطهم الله به من قوة حصون الفطرة السليمة ، وشديد يقظتها وحياتها السامية الكريمة ، حتى

دفعتهم أن يهربوا من هذه الأوساط إلى مخالطة الغنم ورعايتها ـ وفى صحيح الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « مامن نبى إلا رعى الغنم » ـ فلقد كانت تلك الأوساط التقليدية الجاهلية الشركية الوثنية أضل من الأنعام سبيلاً ، كما قال الله عنهم (٧ : ١٧٨ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) ومن أصدق من الله قيلا ؟ ! ! .

كان إبراهيم ، وإخوانه من الأنبياء السابقين ، وأبناؤه من الأنبياء المصطفين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ شاكرين لأنعم ربهم ، من أول يوم وساعة عقلوا فيها ، وعرفوا قلوبهم وأعينهم وآذانهم وإنسانيتهم الكريمة ، التى تفضل الله عليهم بها ، ونفخها فيهم من روحه ، وعرفوا بذلك أسباب العلم الصحيح ، وسبيل المعرفة الحقة لكل ما تقع عليه حواسهم ، وتعقله قلوبهم ، لا يقلدون أباً ولا شيخاً ، ولا يصغون لمن انسلخوا من آيات ربهم وباعوها رخيصة فى سوق التقليد الجاهلى الأعمى للطغاة المستكبرين ، ولا للآباء والأجداد المستضعفين .

لما كان إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا وجميع المرسلين أفضل الصلاة والسلام ـ شاكراً لأنعم ربه كذلك : اجتباه ربه واصطفاه ، وشكره على شكره . والله غفور شكور .

« وهداه إلى صراط مستقيم » زاده هدى على هدى (٤٩ : ١٧ والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم) فلما احتفظ بهدى الفطرة ـ فى سمعه وبصره وعقله وتفكيره ، وكل أسباب علمه ومعرفته ـ نفعه الله بذلك . فزاد فى هدى فطرته قوة وجلاء ، وقدرة على استكناه الحقائق فى هذا الخلق ، ومعرفتها على أوضاعها السليمة التى خلقها الله عليها ولها ، وزاده الله انتفاعاً بها ، وهكذا كان فى كل نعمة يشكرها كذلك (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فيزداد بها نعمة وهدى ، ويزداد بها حياة روح ويقظة ، وقوة فيما آتاه الله من أسباب التقوى ، وحرصاً على أن يتقى ما يخاف فى النعمة من سوء إذا هو أساء استعمالها بغفلته ونسيانه ، وجهله لما فيها من حق ثابت فى ذاتها وصفاتها وأوضاعها . فيفر إلى الله ، ويفزع إليه من شر نفسه البشرية ، وظلمها وجهلها ، ويستمد منه العون والتوفيق لتغذية

وتقوية الروح الإنسانية العاقلة المفكرة الكريمة التى خصه الله ، وميزه بها عن سائر المخلوقات وجعله بها خليفته فى الأرض .

ومازال هذا شأنه ـ كما كان هو شأن المرسلين جميعاً ـ حتى اجتباه رب العالمين واصطفاه ، وهداه هدى الرسالة ، وأوحى إليه العلم الأصح الأحكم الأرشد . فاهتدى فى كل شأنه ، وفى كل سبيل من سبل عيشه وحياته الأولى إلى « صراط مستقيم » فكان ـ فى طعامه وشرابه ، وزوجته ، وبره لأبيه ، ومعاشرته للناس ـ على طريق قويم نير ، لا ظلام ولا عوج فيه بمكر سىء ولا ضغن ولاحقد ولاحسد ، ولا التواء فيه بمخاتلة ومداهنة ونفاق . فكان ينتهى فى كل خطواته إلى فلاح دائم ونجاح مستمر .

ألم ترَ إلى ما صور لنا ربنا سبحانه من موقفه الأكرم مع أبيه آزر ، إذ يقول (١٩ : ٤٢ ـ ٤٩ يا أبتِ ، لم تعبد مالا يسمع ولايبصر، ولايغنى عنك شيئا ؟ يا أبت ، إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتِكَ ، فاتبعنى أَهْدِكَ صراطاً سَوِياً . يا أبت ، لاتعبد الشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عَصِيًّا . يا أبت ، إنى أخاف أن يَمَسَّكَ عذاب من الرحمن ، فتكون للشيطان وليًا . قال : أراغبٌ أنت عن آلِهتِى يا إبراهيم ؟ لَئِنْ لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّك . واهجرنى مَلِيًّا . قال : سلام عليك . سأستغفر لك ربى . إنه كان بى حَفِيًّا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) .

وما خسر مرة واحدة ، ولا خاب فى أى خطوة خطاها ، حتى كانت أوسع خطوة وأشقها على كل نفس بشرية ، إلا على إبراهيم وإخوانه وأبنائه من المرسلين أولى العزم والقوة القوية فى أخذ ما آتاهم ربهم .

تلك الخطوة الخطيرة : التى قص ربنا شأنها فى كثير من سور القرآن الكريم . أختار منها ماجاء فى سورة الأنبياء . إذ قال ربنا (٢١ : ٥١ـ٧٣ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قَبلُ، وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه : ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين ؟ ! قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تُوَلُّوا مدبرين . فجعلهم جُذاذاً ـ إلا كبيراً

لهم - لعلهم إليه يرجعون . قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له : إبراهيم . قالوا : فائتُوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا ! فاسألوهم ، إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نُكِسوا على رءوسهم ، لقد علمتَ ماهؤلاء ينطقون . قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ؟! أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله . أفلا تعقلون ؟!! قالوا : حرِّقوه . وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا : يانارُ ، كونى بَرْداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً . فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة ، وكُلاً جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين) .

من يقرأ هذه الآيات بتدبر ، و يتلوها وأخواتها حق تلاوتها - مستضيئاً بهدى الله فى فى فطرته وفى سنن الله من حوله - يفهم جيداً كيف كان هدى إبراهيم إلى صراط الله المستقيم . وكيف كان يتهى به فى كل عمل ، وفى كل شأن ، وفى كل خطوة إلى الفلاح والنجاح ، والفوز بالعزة والكرامة ، والنصر على الأعداء .

فإن يسر الله لك هذا ، ووفقك إلى فهم هذا . فاحرص - حين تسأل الله ربك الهداية إلى الصراط المستقيم فى صلاتك - أن تكون لك القدوة الحسنة بإبراهيم و بأصدق بنيه وأشكرهم خاتم المرسلين محمد ، عليه وعلى جميع المرسلين أفضل الصلاة والسلام .

ومن أوضح وأبين الأدلة على هدى الخليل الكريم إبراهيم إلى الصراط المستقيم : هدى الله له أن يرفع - هو وابنه الذبيح إسماعيل - قواعد البيت المحرم ، وأن يكون هو أول من يقيم لله بيتاً على الأرض مطهراً من كل مظاهر الشرك والوثنية وطقوسهما وتصاويرهما ، و بهرجهما وزورها (٣ : ٩٦ و ٩٧ إن أول بيت وُضع للناسِ للّذى ببكّة ، مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم . ومن دخله كان آمنا) .

وأن يكون هو أول من أذَّن فى الناس بحج هذا البيت المبارك ، ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق ليشهدوا منافع لهم - و يالها من منافع لوعقلوا وأحسنوا الانتفاع

وجاءوا ضيوفاً صادق العقائد والقلوب والأقوال والأعمال ـ ويذكروا اسم الله الرحمن الرحيم الرزاق ذى القوة المتين ، على مارزقهم من بهيمة الأنعام ، وما فرش لهم من الأرض ، وجعلها مهاداً ، ومن كل شيء خلق لهم زوجين اثنين لعلهم يذكرون .

وهذا بعض ما آتى ربنا خليله إبراهيم من « الحسنة » فإنها صفة لازمة لكل أعماله وأقواله وأحواله الظاهرة والباطنة . وإنها كانت عاقبة ونتيجة حتمية لكل خطوة فى أى شأن من شئونه . فالزوجة حسنة ، والأولاد حسنة ، وأكله وشربه حسنة ـ إذ كان أحب ما إليه فى ذلك : الضيفان ـ فضلا عن غير ذلك مما كان يصدر فيه كله عن علم صحيح وبصيرة وعقيدة نقية صافية ، وحرص تام على ابتغاء مرضاة ربه ، وتقدير نعمه وشكرها . ولذلك جعل ربنا للمستجيبين الصادقين لدعوة إبراهيم إلى الضيافة ـ عند البيت المبارك ـ من الدعاء فى الطواف بين الركنين ـ اليمانى والحجر الأسود ـ (٢ : ٢٠١ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة .وقنا عذاب النار) ومن وفق لأن تكون عقيدته ، وأعماله وأقواله ، وأحواله الظاهرة والباطنة كلها حسنة ليس فيها مايسوء ولا يقبح : فإنه فى الآخرة لمن الصالحين لجوار الرحمن الرحيم ، فى دار الكرامة والنعيم المقيم .

ولذلك كان من أهم ما أوحى ربنا إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : الأمر المؤكد باتباع ملة ودين خليله إبراهيم ، وقد بين ربنا ملة ودين إبراهيم فى كثير من سور القرآن . فقال فى محاجته لقومه من سورة الأنعام (٦ : ٧٨ـ٩٠ إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ـ إلى قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكل من اهتدى بهداه وآمن برسالته ، واتبع سبيله على بصيرة ـ أولئك الذين هدى الله . فبهداهم اقتده) وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى آخر سورة الأنعام التى تخصصت لتقويض أوهام الوثنيين المشركين ، وإشادة بناء صرح التوحيد الذى هو ملة إبراهيم (٦ : ١٦١ ـ ١٦٤ قل : إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . دينا قيماً ملة إبراهيم حنيفاً .وما كان من المشركين . قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له . وبذلك أمرت . وأنا أول المسلمين) فإن هذا هو سبيل الله القاصد ، الذى ضمن به ربنا رب العالمين لمن سلكه متحريا اصُواه ومناره ، ومتتبعاً لخطوات أنبيائه

ورسله : أن يحييه الحياة الحسنة الآمنة الطيبة ، وأن يجعله فى الآخرة من الصالحين لوراثة جنات عرضها السموات والأرض . أعدت للمتقين .

أما الذين تركوا السبيل القاصد عمياً وبكماً وصُمًّا . وذهبوا يتلمّسون فى ظلمات التقاليد الجاهلية دين الآباء والشيوخ ، فإنهم إنما وقعوا فى ذلك لاختلافهم فى الكتاب الذى أنزله الله لهم هدى وفرقانا ، ثم كان : أن خالفوه . ثم كان : أن أعرضوا عنه واتبعوا أهواء متبوعيهم ومقلّديهم فحللوا مالم يحل الله . وحرموا مالم يحرم الله. فكانوا ـ بذلك العدوان ـ فى عيش نكد ، وحياة كلها فزع و همّ وحزن . وأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا .

فمثلهم كمثل من عاقبهم الله من المعتدين ، وجعل عليهم ما جعل بسبب تعبدهم وتدينهم بما شرع لهم حاخاميهم يوم السبت ، بمازعموا كفراً : أن الله استراح من الخلق يوم السبت وسبحان الله عن ذلك . فوقعوا فى عدوان و بغى يوم السبت ، وما استتبع من آصار وأغلال ، وما ركبهم من حرج وعسر وضيق وآثام . وما استتبع ذلك من عَنَتٍ ومشاق . لأنهم اختلفوا فى الكتاب . وخالفوا الكتاب . وقالوا فى أسماء الله وشرائعه ورسالاته بالهوى ، واتبعوا كل شيطان مريد . وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

و إن ربك قد بين فى كثير من آى الذكر الحكيم ماحاق بأصحاب السبت (٧ : ١٦٦ فلما عتوا عما نُهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين) (٢:٦٦ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها ، وموعظة للمتقين) . وكم حذرنا الله ربنا وخوفنا عواقب سلوك سبيل هؤلاء ، وأوصانا آكد الوصايا وأبينها وأشدها : أن نكون فى كل أحوالنا وأعمالنا وأقوالنا ، وعقائدنا على أتم اليقظة ، وأشد الحرص على تحرى البعد عنهم ومقتهم ، وأن نتحرى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . والله المقلب للقلوب والأبصار ، هو المسئول ـ من فضله و بره و إحسانه ـ : أن يهدينا هذا الصراط المستقيم ، وأن يعيذنا و يبعدنا و يبعد عنا كل الأسباب المقربة ، أو المفضية إلى طريق المغضوب عليهم والضالين . وأن يجعلنا من المحسنين الصالحين ، الذين أحسنوا الاقتداء بعبد الله وخليله ورسوله إبراهيم ، وعبده وحبيبه وخاتم رسله محمد . اللهم صل وسلم و بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت و باركت على إبراهيم . وعلى آل إبراهيم فى العالمين . إنك حميد مجيد .

وكتبه فقير عفو الله ، وراجى رحمته

محمد حامد الفقي

١٣

خلق الله القلب للانسان يعلم به الأشياء

من آثار

شيخ الإسلام ابن تيمية

رضى الله عنه

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحرانى . قدس الله روحه ، ونور ضريحه :

إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء ، كما خلق له العين يرى بها الأشياء ، والأذن يسمع بها الأشياء ، وكما خلق سبحانه له كل عضو من أعضائه ، لأمر من الأمور ، وعمل من الأعمال . فاليد : للبطش . والرجل : للسعى . واللسان والفم : للذوق . والأنف : للشم . والجلد : للمس . وكذلك سائر الأعضاء الباطنة والظاهرة .

فإذا استعمل الإنسانُ العضو فيما خلق له وأعد لأجله ، فذلك هو الحق القائم ، والعدل الذى قامت به السموات والأرض . وكان ذلك خيراً وصلاحا لذلك العضو ، ولربه وللشىء الذى استعمل فيه .

وذلك الإنسان هو الصالح الذى استقام حاله . وأولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون .

وإذا لم يستعمل العضو فى حقه ، بل تُرِكَ بَطَّالا ، فذلك خسران . وصاحبه مغبون .

وإن استعمل فى خلاف ما خلق له ، فهو الضلال والهلاك . وصاحبه من الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً .

ثم إن سيد الأعضاء ورأسها : هو القلب . كما سمى قلباً . قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى الجسد مُضْغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » وقال صلى الله عليه وسلم « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب ـ ثم أشار بيده إلى صدره ـ وقال : ألا إن التقوى ههنا ، ألا إن التقوى ههنا » .

وإذ قد خلق القلبُ لأن يعلم به ، فتوجهه نحو الأشياء ابتغاء العلم بهـا : هو الفـكر والنظر .

كما أن إقبال الأذن على الـكلام ابتغاء سمعه : هو الإصغاء والاستماع ، وانصراف الطرف إلى الأشياء طلباً لرؤيتها : هو النظر . فالفـكر للقلب كالإصغاء للأذن . ومثله نظر العينين فيما سبق . وإذا علم مانظر فيه فذاك مطلوبه . كما أن الأذن كذلك إذا سمعت ماأصغت إليه، والعين إذا أبصرت ما نظرت إليه .

وكم من ناظر مفـكر لم يحصل العلم ولم ينله ، كما أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره ، ومستمع إلى صوت لا يسمعه .

وعكسه من يؤتى علماً بشيء لم ينظر فيه ولم تسبق منه إليه سابقة تفكير فيه ، كمن فاجأته رؤية الهلال من غير قصد إليه ، أو سمع قولاً من غير أن يصغى إليه .

وذلك كله لا لأن القلب بنفسه يقبل العلم . وإنما الأمر موقوف على شرائط واستعداد قد تكون فعلاً من الإنسان . فيكون مطلوباً . وقد يأتى فضلاً من الله . فيكون موهوباً[1]

فصلاح القلب وحقه ، والذى خُلق من أجله : هو أن يعقل الأشياء . لا أقول أن يعلمها فقط . فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلا له ، بل من يكون غافلا عنه ، ملغياً له .

والذى يعقل الشيء : هو الذى يقيده ويضبطه ، ويعيه ويثبته فى قلبه . فيـكون وقت الحاجة إليه غنياً . فيطابق عمله قوله ، وباطنه ظاهره . وذلك هو الذى أوتى الحـكمة (ومن يؤت الحـكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) .

وقال أبو الدرداء « إن من الناس من يؤتى علماً ولايؤتى حكما ، وإن شداد بن أوس ممن أوتى علماً وحكما » .

هذا مع أن الناس متباينون فى نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص ، وفيمايعقلونه من بين قليل وكثير ، وجليل ودقيق ، وغير ذلك .

---

(١)وكل شيء فإنما هو فضل الله وهبته لعباده الذين طلب منهم جميعاً حمده وشكره.لأنه رب العالمين يربيهم جميعاً بفضله ورحمته وحكمته وعدلا . وقال لئن شكرتم لأزيدنكم . ومن كفر إن عذابى لشديد) وقال (والذين اهتدوا زادهم هدى)

ثم هذه الأعضاء الثلاثة هي أمهات ما ينال به العلم ويدرك . أعني العلم الذي يمتاز به البشر عن سائر الحيوانات ، دون ما يشاركها فيه من الشم والذوق واللمس . وما يدرك به ما يحب وما يكره . وما يميز به بين من يحسن إليه ومن يسيء إليه ، إلى غير ذلك .

قال الله تعالى (١٦ : ٧٨ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) وقال (٣٢ : ٩ ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ماتشكرون) وقال (١٧ :٥٠ ولاتَقْفُ ماليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقال (٤٦ :٢٦ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) وقال (٢ : ٧ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . وعلى أبصارهم غشاوة) وقال فيما لكل عضو من هذه الأعضاء من العمل والقوة (٧ : ١٧٩ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها) .

ثم إن العين تقصر عن القلب والأذن ، وتفارقهما في شيء . وهو أنها إنما يرى صاحبها بها الأشياء الحاضرة والأمور الجسمانية ، مثل الصور والأشخاص .

فأما القلب والأذن : فيعلم الإنسان بهما ما غاب عنه وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء الروحانية ، والمعلومات المعنوية .

ثم بعد ذلك يفترقان . فالقلب يعقل الأشياء بنفسه ، إذ كان العلم غذاءه وخاصيته .

أما الأذن : فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب . فهي بنفسها إنما تحمل القول والكلام . فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه مافيه من العلم .

فصاحب العلم في حقيقة الأمر : هو القلب . وإنما سائر الأعضاء حجبة له ، توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه ، حتى إن من فقد شيئاً من هذه الأعضاء ، فإنه يفقد بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه .

فالأصم لايعلم مافي الكلام من العلم . والضرير لايدري مايحتوي عليه الأشخاص من

الحكم البالغة . وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب ، أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب . فإنه لا يعقل شيئاً .

فمدار الأمر على القلب .

وعند هذا تستبين الحكمة فى قوله تعالى (٢٢ : ٤٦ أولم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟) حتى لم يذكر هنا العين كما فى الآيات السوابق . فإن سياق الكلام هنا فى أمور غائبة ، وحكمة معقولة ، من عواقب الأمور ، لا مجال لنظر العين فيها .

ومثله قوله (٢٥ : ٤٤ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟)

وتتبين حقيقة الأمر فى قوله تعالى (٥٠ : ٣٧ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم ، على منزلتين : إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله ، فاتبعه . ولم يحتج إلى من يدعوه إليه ، فذلك صاحب القلب .

أو رجل لم يعقله بنفسه ، بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ، ويعظه ويؤدبه . فهذا أصغى ، فألقى السمع وهو شهيد ، أى حاضر القلب ليس بغائبه . كما قال مجاهد : أوتى العلم ، وكان له ذكرى .

ويتبين قوله (١٠ : ٤٢ ، ٤٣ ومنهم من يستمعون إليك . أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ ومنهم من ينظر إليك . أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ؟)

وقوله (٦ : ٢٥ ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وقرا) :

ثم إذا كان حق القلب أن يعلم الحق ، فإن الله هو الحق المبين (١٠ : ٣٢ فذلكم الله ربكم الحق . فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟) إذ كان كل ماتقع عليه لمحة ناظر ، أو يجول فى لفتة خاطر : فالله ربه ومنشئه وفاطره ومبديه . لايحيط أحد علماً إلا بما هو من آياته البينة فى أرضه وسمائه . وأصدق كلمة قالها لبيد : « ألا كل شىء ماخلا الله باطل » .

أى مامن شىء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه ـ إلا وجدته إلى العدم ماهو ، فقيراً إلى الحى القيوم . فإذا نظرت إليه ـ وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كلّ شىء خلقَه ثم هدى : رأيته حينئذ موجوداً ، مكسواً حلل الفضل والإحسان .

فقد استبان أن القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه . ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام ـ أظنه سليمان الخواص ـ قال « الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد . فكما لايجد الجسد لذة الطعام مع السقم ، فكذلك القلب لايجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا » أو كما قال

فإذا كان القلب مشغولا بالله ، عاقلا للحق ، متفكراً فى العلم ، فقد وُضع فى موضعه ، كما أن العين إذا صُرفت إلى النظر فى الأشياء فقد وضعت فى موضعها .

أما إذا لم يصرف إلى العلم ، ولم يوعَ فيه الحق . فقد نسى ربه ، فلم يوضع فى موضع ، بل هو ضائع . ولا يحتاج أن نقول : قد وضع فى موضع غير موضعه . بل لم يوضع أصلاً . فإن موضعه هو الحق . وما سوى الحق باطل .

فإذا لم يوضع فى الحق : لم يبق إلا الباطل . والباطل ليس بشىء أصلاً . وما ليس بشىء أحرى أن لا يكون موضعاً . والقلب هو بنفسه لا يقبل إلا الحق . فإذا لم يوضع فيه فإنه لايقبل غير ماخلق له (سنة الله . ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وهو ـ مع ذلك ـ ليس بمتروك مُخَلًّى . فإنه لايزال فى أودية الأفكار ، وأقطار الأمانى ، لا يكون على الحال التى تكون عليها العين والأذن ، من الفراغ والتخلى . فقد وضع فى غير موضع . لا مطلق ولا معلق ، موضوع لاموضع له .

وهذا من العجب . فسبحان ربنا العزيز الحكيم .

وإنما تنكشف للانسان هذه الحال عند رجوعه إلى الحق . إما فى الدنيا عند الإنابة ، أو عند المنقلَب إلى الآخرة . فيرى سوء الحال التى كان عليها ، وكيف كان قلبه ضالاً عن الحق .

هذا إذا صرف فى الباطل .

فأما لو ترك وحاله التى فطر عليها ، فارغاً عن كل ذكر ، خالياً من كل فكر . فقد

كان يقبل العلم الذى لا جهل فيه . ويرى الحق الذى لا ريب فيه . فيؤمن بربه وينيب إليه . فإن كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه . كما تَنْتَجُ البهيمة بهيمة جماء لا تحس فيها من جدع (٣٠ : ٣٠ فطرة الله التى فَطَر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم)

وإنما يحول بينه وبين الحق فى غالب الحال : شغله بغيره من فتن الدنيا ، ومطالب الجسد ، وشهوات النفس .

فهو فى هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض ، لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلالَ ، أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق . فيكون كالعين التى فيها قذًى . لا يمكنها رؤية الأشياء .

ثم الهوى قد يعرض له قبل معرفة الحق . فيصده عن النظر فيه . فلا يتبين له الحق ، كما قيل « حبك الشىء يعمى ويصم » فيبقى فى ظلمة الأفكار .

وكثيراً ما يكون ذلك عن كبر يمنعه عن أن يطلب الحق (١٦ : ٢٢ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)

وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق ، فيجحده ويعرض عنه . كما قال ربنا سبحانه فيهم (٧ : ١٤٦ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) .

ثم القلب للعلم كالإناء للماء ، والوعاء للعسل ، والوادى للسيل . كما قال تعالى (١٣ : ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقَدَرها ـ الآية) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن مَثَل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً . فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء . فسقى الناسُ وزرعوا . وأصاب منها طائفة إنما هى قِيعانٌ ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فَقُهَ فى دين الله ، ونفعه ما أرسلت به . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

وفى حديث كميل بن زياد عن على رضى الله قال : «القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها» .

و بلغنا عن بعض السلف قال « القلوب آنية الله فى أرضه ، فأحبها إلى الله تعالى أرقُّها وأصفاها » .

وهذا مثل حسن . فإن القلب إذا كان رقيقاً ليناً كان قبوله للعلم سهلا يسيراً ، ورسخ العلم فيه وثبت وأثر . و إن كان قاسياً غليظاً . كان قبوله للعلم صعباً عسيراً .

ولابد ـ مع ذلك ـ أن يكون زكياً صافياً سليما حتى يزكو فيه العلم و يثمر ثمراً طيباً . و إلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم . وكان كالدغَل فى الزرع ، إن لم يمنع الحب من أن ينبت : منعه من أن يزكو و يطيب . وهذا بَيِّن لأولى الأبصار .

وتلخيص هذه الجملة : أنه إذا استعمل فى الحق فله وجهان . وجه مقبل على الحق . ومن هذا الوجه يقال له : وعاء ، و إناء . لأن ذلك يستوجب مايوعى فيه و يوضع فيه . وهذه الصفة صفة وجود وثبوت .

ووجه معرض عن الباطل . ومن هذا الوجه يقال له : زكى وسليم ، وطاهر . لأن هذه الأسماء تدل على عدم الشر ، وانتفاء الخبث والدَّغل . وهذه الصفة عدم ونفى .

و بهذا يتبين أنه إذا صرف إلى الباطل فله وجهان كذلك . وجه الوجود : أنه منصرف إلى الباطل مشغول به . ووجه العدم : أنه معرض عن الحق غير قابل له .

وهذا يبين من البيان والحسن والصدق مافى قوله :

إذا ماوضعت القلب فى غير موضع بغـــير إناء فهو قلب مضيع

فإنه لما أراد أن يبين حال من ضيع قلبه فظلم نفسه ، بأن اشتغل بالباطل ، وملأ به قلبه ، حتى لم يبق فيه متسع للحق ، ولا سبيل له إلى الولوج فيه : ذكر ذلك منه . فوصف حال هذا القلب بوجهيه ، ونعته بمذهبيه . فذكر أولا وصف الوجود منه . فقال :

« إذا ماوضعت القلب فى غير موضع »

يقول : إذا شغلته بما لم يخلق له . فصرفته إلى الباطل ، حتى صار موضوعاً فيه .

ثم الباطل على منزلتين . إحداهما : تشغل عن الحق ولا تعانده ، مثل الأفكار ، والهموم التى فى علائق الدنيا وشهوات النفس .

والثانية : تعاند الحق وتصد عنه . مثل : الآراء الباطلة ، والأهواء المردية ، من الكفر والنفاق والبدع ، وشبه ذلك .

بل القلب لم يخلق إلا لذكر الله . فما سوى ذلك فليس موضعاً له .

ثم ذكر ثانياً وصف العدم منه . فقال « بغير إناء » ثم يقول « إذا وضعته بغير إناء ، ضيعته ولا إناء معك » كما تقول : حضرت المجلس بلا محبرة . فالكلمة حال من الواضع ، لا من الموضوع . والله أعلم .

و بيان هذه الجملة ـ والله أعلم ـ أنه يقول : إذا ما وضعت قلبك فى غير موضع . فقد شغل بالباطل ، ولم يكن معك إناء ، يوضع فيه الحق ، و ينزل إليه الذكر والعلم الذى هو حق القلب . فقلبك إذاً مضيع . ضيعته من وجهى التضيع .

و إن كانا متحدين . من جهة : أنك وضعته فى غير موضع . ومن جهة : أنه لا إناء معك يكون وعاء للحق الذى يجب أن يعطاه . كما لو قيل لملك قد أقبل على اللهو : إذا اشتغلت بغير المملكة ، وليس فى المملكة من يدبرها . فهو ملك ضائع .

لكن الإناء هنا هو القلب بعينه .

و إنما كان ذلك كذلك ، لأن القلب لا ينوب عنه غيره فيما يجب أن يوضع فيه . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

و إنما خرج الكلام فى صورة اثنين بذكر نعتين لشىء واحد . كما جاء نحوه فى قوله تعالى (٣ : ٣ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هُدًى للناس . وأنزل الفرقان)[١] .

قال قتادة ، والربيع : هو القرآن ، فرق فيه بين الحلال والحرام والحق والباطل .

وهذا لأن الشىء الواحد إذا كان له وصفان كبيران ، فهو مع وصف واحد كالشىء الواحد ، ومع الوصفين بمنزلة الاثنين ، حتى لو كثرت صفاته لتنزل منزلة أشخاص .

---

(١) سمى الله ماأنزله على رسوليه موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام « فرقاناً » لأنه يفرق لمن آمن به وتفقه فيه ، وتلاه حق تلاوته بين الحق والباطل . وهو صفة لا علم .

ألا ترى أن الرجل الذى يحسن الحساب والطب يكون بمنزلة حاسب وطبيب ؟ والرجل الذى يحسن التجارة والبناء ، بمنزلة نجار و بناء ؟ والقلب لما كان يقبل الذكر والعلم ، فهو بمنزلة الإناء الذى يوضع فيه الماء .

و إنما ذكر فى هذا البيت الإناء من بين سائر أسماء القلب . وأنه هو الذى يكون رقيقاً وصافياً ، وهو الذى يأتى به المستطعم المستعطى فى منزلة البائس الفقير . ولما كان ينصرف عن الباطل فهو زكى سليم . فكأنه اثنان . وليتبين فى الصورة أن الإناء غير القلب . فهو يقول « إذا ما وضعت قلبك فى غير موضع » وهو الذى يوضع فيه الذكر والعلم : لم يكن معك إناء يوضع فيه المطلوب . فمثلك مثل رجل بلغه أن غنيا يفرّق على الناس طعام . وكان له زِبْدية أو سُكُرجة فتركها . ثم أقبل يطلب طعاماً . فقيل له : هات إناء نعطيك طعاماً . فأما إذا أتيت وقد وضعت زبديتك مثلا فى البيت . وليس معك إناء نعطيك فيه . فلا تأخذ شيئاً . فرجعت بخُفّى حُنين .

و إذا تأمل من له بصيرة بأساليب البيان ، وتصاريف اللسان : وجد موقع هذا الكلام من العربية والحكمة ــ كليهما ــ موقعاً حسنا بليغا .

فإن نقيض هذه الحالة المذكورة : أن يكون القلب مقبلا على الحق والعلم والذكر ، معرضا عن غير ذلك . وتلك هى الحنيفية مِلّة إبراهيم عليه السلام .

فإن « الحنف » هو إقبال القدم وميلها إلى أختها . فالحنف : هو الإقبال على الله وحده ، والإعراض عما سواه . وهو الإخلاص الذى ترجمته كلمة الحق . والكلمة الطيبة « لا إله إلا الله » .

اللهم ثبتنا عليها فى الدنيا والآخرة . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا آخر ما حضر فى هذا الوقت . والله أعلم بالمراد . وفوق كل ذى علم عليم .

والحمد لله العزيز الوهاب ، الكريم التواب . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم و بارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

أمثال القرآن

لشيخ الإسلام ، الإمام العلامة المحقق ، السلفى الصالح :

ابن قيم الجوزية

رحمه الله ورضى عنه

فصل

ومنها قوله تعالى (٢٢ : ٧٣ ، ٧٤ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له . و إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب . ما قدر الله حق قدره . إن الله لقوى عزيز) .

حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ، وتدبره حق تدبره . فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه . وذلك أن المعبود ، أعلا درجاته : أن يقدر على إيجاد ماينفع عابده ، و إعدام مايضره . والآلهة التى يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ، فكيف ماهو أكبر منه ؟ بل ولا يقدرون على الإنتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً من الطيب ونحوه ، فيستنقذوه منه . فلا هم قادرون على خلق الذباب ، الذى هو من أضعف الحيوان . ولا على الانتصار منه واسترجاع ماسلبهم إياه .

فلا أعجز من هذه الآلهة . ولا أضعف منها . كيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى ؟ ! !

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله فى بطلان الشرك ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة عليهم : أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ، حيث أعطوا الإلهية التى من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات ، والإحاطة بجميع المعلومات ،

والغنى عن جميع المخلوقات ، وأن يصمد إلى المألوه المعبود فى جميع الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات ـ فأعطوها صوراً وتماثيلا[1] تمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها . ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه .

وأدل من ذلك على عجزهم ، وانتفاء إلهيتهم : أن هذا الخلق الأقل الأذل ، العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا وسلبه ، فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه ، لعجزوا عن ذلك ، ولم يقدروا عليه .

ثم سوى بين العابد والمعبود فى الضعف والعجز بقوله (ضعف الطالب والمطلوب) .

قيل : « الطالب » العابد . و « المطلوب » المعبود . فهو عاجز متعلق بعاجز .

وقيل : هو تسوية بين السالب والمسلوب . وهو تسوية بين الإله والذباب فى الضعف والعجز .

وعلى هذا «الطالب» الإله ، الباطل و «المطلوب» الذباب يطلب منه ما استنقذه منه .

وقيل «الطالب» الذباب . و « المطلوب» الإله ، والذباب يطلب منه ماأخذه مما عليه .

والصحيح : أن اللفظ يتناول الجميع . فضعف العابد والمعبود والمستلب .

فمن جعل هذا إلها مع القوى العزيز فما قدره حق قدره ، ولا عرفه حق معرفته . ولا عظمه حق تعظيمه .

فصل

ومنها قوله تعالى (٢ : ١٧١ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . صم بكم عمى . فهم لا يعقلون) .

فتضمن هذا المثل ناعقا ، أى مصوتا بالغنم وغيرها . ومنعوقاً به . وهو الدواب . فيقبل الناعق العابد ، وهو الداعى للصنم ، والصنم هو المنعوق له المدعو وأن حال الكافر فى دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه .

---

(١) لم يعطوها للصور الظاهرة المنقوشة ، أو للأنصاب المرفوعة من الأحجار والأخشاب ونحوها ، وإنما أعطوها لمن صورت له هذه الصورة ، وأقيمت له هذه الأنصاب ، وهو عندهم الجزء الفائض من ربهم ، فان ربهم هو النواة أو الوحدة التى خرج عنها ونشأ الوجود .

هذا قول طائفة . منهم : عبد الرحمن ابن زيد وغيره .

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول ، وقالوا : قوله « إلا دعاء ونداء » لايساعد عليه . لأن الأصنام لاتسمع دعاء ولا نداء .

وقد أجيب عن هذا الإشكال بثلاثة أجوبة .

أحدها : أن « إلا » زائدة . والمعنى لاتسمع دعاء ونداء . وقد ذكر ذلك الأصمعى فى قول الشاعر : * حواصح لا ينفك إلا مناحة *

أى ما ينفك مناحة .

وهذا جواب فاسد ، فإن « إلا » لاتزاد فى الكلام .

الجواب الثانى : أن التشبيه وقع فى مطلق الدعاء ، لا فى خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى أن مثل هؤلاء لا فى دعائهم إلهتهم التى - تفقه دعاءهم - كمثل الناعق ينعق ، فلاينتفع بنعيقه شىء . غير أنه فى دعاء ونداء . وكذا المشرك ليس له فى دعائه وعبادته إلا العناء .

وقيل : المعنى ومثل الذين كفروا كالبهائم المنعوق بها .

قال سيبويه : المعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به .

وعلى قوله ، فيكون المعنى : ومثل الذين كفروا فى دعائهم كمثل الغنم والناعق بها .

ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق . فإن جعلته من المركب كان تشبيها للكفار - فى عدم فقههم وانتفاعهم - بالغنم التى ينعق بهـا الراعى فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت المجرد ، الذى هو الدعاء والنداء .

وإن جعلته من التشبيه المفرق ، فالذين كفروا بمنزلة البهائم . ودعاؤهم إلى الطريق . والهدى بمنزلة النعيق . وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق . والله أعلم[١] .

ولعل الأظهر : أن يرجع إلى التقليد والمقلدين المنسلخين من آيات ربهم . فان الله قد ضرب لهم المثل بالأنعام فى كثير من آى الذكر الحكيم . عن التقليد نشأ الشرك واتخاذ الموتى آلهة من دون الله .

فصـــل

ومنها قوله تعالى (٢ : ٢٦١ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل . فى كل سنبلة مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسع عليم) .

شبه الله سبحانه نفقة المنفق فى سبيله ـ سواء كان المراد بها الجهاد ، أو جميع سبل الخير من كل بر ـ بمن بذر بذراً . فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل ، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة . والله يضاعف ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه ، وإخلاصه وإحسانه ، ونفع نفقته وقدرها ، ووقوعها موقعها .

فإن ثواب الإنفاق يتفوات بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان . والتثبيت عند النفقة . وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه . وسمحت به نفسه . وخرج من قلبه خروجه من يده . فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ، ولا متتبعة بها نفسه ، ترجف يده وفؤاده .

ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه ، وبحسب طيب المنفق وزكاته .

وتحت هذا المثل من الفقه : أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر . فالمنفق ماله الطيب زارع ماله فى أرض زكية فمغله بحسب بذره ، وطيب أرضه ، وتعاهد البذر بالسقى ونفى الدغل والنبات الغريب عنه .

فإذا اجتمعت هذه الأمور ، ولم تحرق الزرع نار ، ولالحقته جائحة : جاء أمثال الجبال . وكان مثله كمثل جنة بربوة ـ وهى المكان المرتفع الذى تكون الجنة فيه نصب الشمس والرياح ، فتتربى الأشجار هنا كأتم تربية ـ فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر ، متتابع . فرواها ونماها . فآتت أكلها ضعفى ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل « فإن لم يصبها وابل فطل » والطل مطر صغير القدر يكفيها ، لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمو عليه ، مع أن فى ذكر نوعى « الوابل والطل » إشارة إلى نوعى الإنفاق الكثير والقليل .

فمنهم من يكون إنفاقه وابلا . ومنهم من يكون إنفاقه طلا . والله لايضيع مثقال ذرة . فإن عرض لهذا العامل مايفرق أعماله ، ويبطل حسناته : كان بمنزلة رجل له « جنة

من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء . فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » فإذا كان يوم استيفاء الأعمال ، وإحراز الأجور : وجد هذا العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة . فحسرته حينئذ أشد من حسرة هذا على جنته .

فهذا مثل ضربه الله سبحانه فى الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها ، مع عظم قدرها ومنفعتها ، والذى ذهبت عنه قد أصابه الكبر والضعف ، فهو أحوج ما كان إلى نعمته . ومع هذا فله ذرية ضعفاء لايقدرون على نفقته ، والقيام على مصالحه . بل هم فى عياله فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت لضعفه وضعف ذريته . فكيف يكون حال هذا ؟ إذا كان له بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والثمر ، وسلطان ثمره أجل الفواكه وأنفعها . وهو ثمر النخيل والأعناب . فمغله يقوم بكفايته وكفاية ذريته . فأصبح يوماً وقد وجده محترقاً كله كالصريم فأى حسرة أعظم من حسرته ؟!! .

قال ابن عباس رضى الله عنهما « هذا مثل الذى يختم له بالفساد فى آخر عمره »

وقال مجاهد : هذا مثل المفرط فى طاعة الله حتى يموت .

وقال السدى : هذا مثل المرائى فى نفقته الذى ينفق لغير الله ، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه .

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الصحابة رضى الله عنهم يوماً عن هذه الآية ؟ فقالوا : الله أعلم فغضب عمر ، وقال قولوا « نعلم ، أو لا نعلم » فقال ابن عباس « فى نفسى منها شيئاً يا أمير المؤمنين » فقال « قل ابن أخى ، ولا تحقر نفسك » قال « ضرب مثل لعمل » قال « لأى عمل ؟ » قال « لرجل غنى عمل بالحسنات . ثم بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصى . حتى أغرق أعماله كلها » .

وقال الحسن : هذا مثل قلَّ ــ والله ــ من يعقله من الناس : شيخ كبير ضعف جسمه ، وكثر صبيانه ، أفقر ما كان إلى جنته . وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا .

فصــل

فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلهـا : من المن والأذى . والربا . فالربا يمنع انعقادها سبباً للثواب ، والمن والأذى : يبطل الثواب الذى كانت سبباً له ـ فمثل صاحبها و بطلان عمله كمثل صفوان ـ وهو الحجر الأملس ـ عليه تراب ، فأصابه وابل . وهو المطر الشديد . فتركه صَلْداً ، لا شىء عليه .

وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به ، تعرف عظمة القرآن وجلالته . فإن الحجر فى مقابلة قلب هذا المرائى ، والمان ، والمؤذى . فقلبه ـ فى قسوته عن الإيمان والإخلاص ـ بمنزلة الحجر . والعمل الذى عمل لغير الله بمنزلة التراب الذى على ذلك الحجر . فقسوة ماتحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عليه عند نزول الوابل . فليس له مادة متصلة بالرى تقبل الماء وتنبت الـكلاء .

وكذلك قلب المرائى ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهى ، والقضـاء والقدر . فإذا نزل عليه وابل الوحى : انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذى كان عليه ، فبرز ماتحته حجراً صلداً لا نبات فيه .

وهذا مثل ضرب الله سبحانه لعمل المرائى ونفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شىء منه أحوج ما كان إليه . وبالله التوفيق .

فصل

ومنها قوله تعالى (٣ : ١١٦ ، ١١٧ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً . وأولئك أصحاب النار . هم فيها خالدون . مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلـكته . وما ظلمهم الله . ولـكن أنفسهم يظلمون) .

هذا مثل ضربه الله لمن أنفق ماله فى غير طاعته ومرضاته .

فشبه الله سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم فى المـكارم والمفاخر ، وكسب الثنـاء ، وحسن الذكر . لايبتغون به وجه الله ، وكذلك وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع

رسله عليهم الصلاة والسلام ـ بالزرع الذى زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره . فأصابته ريح شديدة البرد جداً ، يحرق بردها ماتَمُرُّ عليه من الزروع والثمار. فأهلكت ذلك الزرع ، وأيبسته

واختلف فى الصِّرِّ . فقيل : البرد الشديد . وقيل : النار قالها ابن عباس رضى الله عنهما

قال ابن الأنبارى : و إنما وصفت النار بأنها صر ، لتصريتها عند الالتهاب .

وقيل : الصر الصوت الذى يصحب الريح من شدة هبوبها .

والأقوال الثلاثة متلازمة . فهو برد شديد محرق ـ بيبسه ـ للحرث ، كما تحرقه النار . وفيه صوت شديد .

وفى قوله (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم : إنما هو ظلمهم لأنفسهم . فهو الذى سلط عليهم الريح المذكورة ، حتى أهلكت زرعهم وأيبسته . و « ظلمهم » هو الريح التى أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها .

فصل

ومنها قوله تعالى (٦٦ : ١٠ ـ ١٢ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما . فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً . وقيل : ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : ربى ، ابن لى عندك بيتاً فى الجنة . ونجنى من فرعون وعمله . ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها . فنفخنا فيه من روحنا . وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين) .

اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثلة : مثل للكفار . ومثلين للمؤمنين .

فتضمن مثل الكفار : أن الكافر يعاقب على كفره ، وعداوته لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأوليائه . ولا ينفعه ـ مع كفره ـ ما كان بينه و بين المؤمنين من لحمة نسب ، أو صلة صهر ، أو سبب من أسباب الإتصال . فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة ، إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدى رسله عليهم الصلاة والسلام . فلو نفعت صلة القرابة ، أو المصاهرة ، أو النكاح ـ مع عدم الإيمان ـ لنفعت الصلة التى كانت بين نوح ولوط ـ عليهما السلام ـ وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل لهما « ادخلا النار

مع الداخلين» قطعت الآية حينئذ طمع كل من ارتكب معصية الله سبحانه وتعالى . وخالف أمره رجاء أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي ، ولو كان بينهما فى الدنيا أشد الإتصال فلا إتصال فوق إتصال البنوة والأبوة والزوجية . ولم يغن نوح عليه الصلاة والسلام عن ولده . ولا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أبيه ، ولا نوح ولوط ـ عليهما السلام ـ عن امرأتيهما شيئاً .

قال الله تعالى (٦٠ : ٣ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم . يوم القيامة يفصل بينكم) .

وقال تعالى (٨٢ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) .

وقال تعالى (٢ : ٤٨ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) .

وقال تعالى (٣١ : ٣٣ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشَوْا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . إن وعد الله حق) .

وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة : أن من تعلقوا به ـ من شفعائهم وأوليائهم ـ من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح ، أو صحبة : ينفعهم يوم القيامة ، أو يجيرهم من عذاب الله تعالى ، أو يشفع لهم عند الله تعالى .

وهذا أصل ضلال بنى آدم وشركهم . وهو الشرك الذى لا يغفره الله . وهو الشرك الذى بعث الله جميع رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأنزل جميع كتبه بإبطاله ، ومحاربة أهله ومعاداتهم .

فصل

وأما المثلان اللذان للمؤمنين . فأحدهما امرأة فرعون .

ووجه المثل : أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضيره شيئاً ، إذا فارقه فى كفره وعمله ، فمعصية العاصى لا تضر المطيع شيئاً فى الآخرة ، وإن تضرر بها فى الدنيا ، بسبب العقوبة التى تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله عز وجل فتأتى العقوبة عامة .

فلن يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين . ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ، وهما رسولا رب العالمين .

المثل الثانى للمؤمنين : مريم ابنة عمران ، التى لا زوج لها ، لا مؤمن ولا كافر .

فذكر ثلاثة أصناف النساء : المرأة الكافرة التى لها صلة بالرجل الصالح والمرأة الصالحة التى لها صلة بالرجل الكافر ، والمرأة العزبة التى لا صلة بينها و بين أحد .

فالأولى : لاتنفعها صلتها وسببها . والثانية : لاتضرها صلتها وسببها . والثالثة : لايضرها عدم الصلة شيئاً .

ثم فى هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت فى ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم و يُرِدْنَ الله والدار الآخرة لم ينفعهن إتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط أتصالها بهما .

ولهذا إنما ضرب فى هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة .

قال يحيى ابن سلام : ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة أُمّى المؤمنين رضى الله عنهما . ثم ضرب لهما المثل الثانى يحرضهما على التمسك بالطاعة .

وفى ضرب المثل للمؤمنين أيضاً : اعتبار آخر ، وهو أن مريم لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله تعالى اليهود لها ، ونسبتهم إياها وابنها إلى مابرأهما الله منه ، كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين ، فلايضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه .

وفى هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك ، وتوطين لها على مايقول فيها الكاذبون إن كانت قبلها ، كما فى التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما تعمدتاه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم .

فتضمنت هذه الأمثال التحذير والتخويف ، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسلية ، وتوطين النفس لمن أذوى منهن وكذب عليه ، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ، ولا سيما أسرار الأمثال التى لايعقلها إلا العالمون .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيد العالمين محمد المصطفى ، وعلى سائر الرسل والنبيين ، وأثابنا الجنة بفضله ورحمته ، وغفر لنا وللمؤمنين ، أجمعين .

انتهى ولله الحمد فى نصف شعبان الكريم سنة اثنتين وثلاثين وألف سنة ، بقلم الفقير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى ، غفر الله له آمين .

قول أبي بكر « لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه » لايدل على أنهم كانوا يؤدون العقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يدل على أنهم لو كانوا يؤدونها إليه ، ثم منعوها لقاتلهم .

فإن قوله « لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه » قضية شرطية صادقة . وصدق الشرطية لايستلزم صدق مفرديها . فإن معناها : ثبوت الحكم على التقدير ، لا وقوع التقدير فى نفس الأمر . فإن الكلام لايدل على وقوعه بوجه : فمن أين تلتمس وجوه التأويل لوقوعه .

وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لكفار قريش « والله لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ، ماتركته حتى يظهره الله » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى (٦ : ٢٨ ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه) ولا يدل ذلك على وقوع الرد . بل قد يكون الشرط محالا فى نفسه . كقوله تعالى (٢ : ٢٢ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وكقوله تعالى (١٧ : ٤٢ قل : لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) فلا إشكال على الحديث بوجه من الوجوه .

والحمد لله . انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله[١] .

---

(١) وهو بخط العلامة محمد بن الأمير الصنعانى صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام ، وتطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد ، وغيرهما من المؤلفات النافعة . وله قصيدة شهيرة فى الثناء على معاصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، موقظ الجزيرة العربية ، بإحياء الدعوة الإبراهيمية المحمدة ، دعوة الناس إلى الرجوع إلى الكرامة الإنسانية . بإخلاص قلوبهم ، وتجريدها للعبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين ، وإمام المهتدين محمد وعلى آله جمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وقد وقعت لى الصورة الفوطغرافية لهذه الرسالة القيمة من طريق الأخ الكريم الحاج فؤاد السيد مدير قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية جزاه الله خير الجزاء .

وكتبه فقير عفو الله وراجى رحمته
محمد حامد الفقى

لا يكون الشرك إلا مع الإيمان !!

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أبى الوفاء محمد درويش المحامى

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج

قد يكون هذا العنوان غريباً أو غير مستساغ ، وقد يقع عند بعض القراء موقع العجب وقد تملكهم الدهشة أو الاستنكار إذا هم أطلعوا عليه ولكنه مع ذلك كله صحيح لا خطأ فيه ، وحق لا يطير الباطل بجنباته ، وواقع لا يمت إلى الوهم بأوهى صلة .

لا يكون الشرك إلا مع الإيمان !

أى وربى إنه لحق .

فمن أنكر وجود الله رأساً لا يسمى مشركا ؛ لأنه لا يعترف بإله يشرك معه غيره فى العبادة .

أما من اعتقد بوجود الله ، واعتقد أن معه آلهة أخرى ، تشاركه فى ملكه ، أو تعينه على أمره ، أو تشفع عنده بغير إذنه ، فذلك هو المشرك ، لأنه آمن بالله وجعل غيره شريكا له فى بعض صفات الألوهية .

وكان المشركون من الأمة العربية فى الجاهلية يؤمنون بالله تعالى ويخصونه باسم (الله) ويسندون إليه الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمر . لأنهم كانوا على بقايا من ملة إبراهيم وإنما جاء شركهم من قبل أنهم كانوا يعبدون معه آلهة أخرى ابتدعوها . ولم يكونوا يسمون أحداً منها باسمه تعالى (الله) وإنما يطلقون على كل منها كلمة (إله) ولذلك جعل الله شعار الإسلام : « لا إله إلا الله » . أى إن الله الذى تؤمنون به ، وتقرون بوجوده ، وتسندون إليه الخلق والأمر ، هو وحده الإله ، وليس هناك إله آخر خليق بهذا الإسم .

وحين دعاهم القرآن إلى توحيد الله أقام الحجة عليهم من عقيدتهم هذه . قال تعالى :

(قل : من يرزقكم من السماء والأرض ، أمَّن[1] يملك السمع والأبصار . ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى.ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ؛ فقل : أفلا تتقون ؟ ٣١ ـ فذلكم الله ربكم الحق ؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فأنى تصرفون ؟) ٣٢ يونس .

فهاهم أولاء يقرون بوجود الله تعالى ، ويسندون إليه الخلق والأمر ، ولذلك اتخذ القرآن هذه العقيدة حجة عليهم تقنعهم بأن الله الذى يملك كل شىء هو ربهم الحق . أما ماسواه فباطل وعبادته ضلال .

وكذلك قال الله تعالى : (ولئن سألتهم : من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن : الله ، فأنى يؤفكون ؛ ٦١) العنكبوت .

فأنت ترى أنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً لا يسمو إليه الشك أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ، ولا ينسبون إلى غيره تعالى شيئاً من صفات الربوبية التى يسندونها إلى رب العزة جل شأنه .

سئل أعرابى : كم إلهاً تعبد ؟ فقال : سبعة : واحداً فى السماء ، وستة فى الأرض ! فقيل له : فمن الذى يخلق ويرزق ويحيي ويميت ؟ فقال : الله إله السماء . قيل : فما بال آلهة الأرض ؟ قال : تلك تشفع لى عنده ، وتقربنى إليه زلفى !

وليس من شك فى أن آلهة الأرض هذه التى كانوا يعبدونها من دون الله هى التى شرعت البدع لهم عبادتها فاستجابوا لها .

جاء الإسلام بآياته البينات،وحججه القاطعات فقضى على كل هذه الأباطيل والترهات. قال تعالى : (قل : ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ٥٦) الإسراء . وقال تعالى (قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله . لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض . وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ٢٢ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٢٣) سبأ » .

ويقينى أن القارىء الكريم قد استيقن صحة العنوان وعرف أن الشرك لا يكون إلا مع الإيمان ، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .

(١) أمْ ، من .

استجاب العرب لدعوة القرآن الكريم فخلعوا الأنداد ، ونبذوا آلهتهم الزائفة التى كانوا يدعونها من دون الله ، وحطموها تحطيما ، وداسوها بنعالهم ، وأصبحوا يرفعون علم التوحيد الخالص ويدعون إليه دعوة صريحة جريئة .

ولم تكد القرون الخيرة تنسلخ حتى نجمت نواجم الفتن واندس المنافقون من اليهود فى صفوف المسلمين يحاولون أن يفسدوا عليهم عقائدهم ، وزينوا فى قلوب المتصوفة أن يبرزوا قبور شيوخهم ، وأن يرتادوها للذكر والعبادة ، فسارع الغافلون إلى الاستجابة لهم . وبذلك نشأت عبادة القبور ، وعادت الجاهلية سيرتها الأولى مع اختلاف الأسماء ، إذ سموا معبوداتهم أولياء ولم يسموها آلهة وإن كانوا يدعونها ، ويستشفعون بها ، وينذرون لها كما كان يفعل الجاهليون .

وسرت سموم هذه العدوى من المتصوفة إلى غيرهم ولم يسلم منها إلا من عصمه الله وقليل ماهم .

* * *

غير أن الإيمان الذى يلابسه الشرك لا يغنى عن صاحبه فتيلا ، لأن الشرك يمحقه ، ويذهب بثمرته . وبذلك يصبح المشرك كافراً ، لأنه ينكر أخص صفة من صفاته تعالى وهى صفة (الوحدانية) والتفرد بالملك والملكوت . وإنكار صفاته تعالى كفر بواح ، يفضى بصاحبه إلى الجحيم ، ويسلكه فى زمرة الهالكين .

ومن حجة الله التى آتاها إبراهيم على قومه قوله تعالى : (وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الظلم هنا بالشرك أخذاً من قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم)

وخير ما أختم به هذه الكلمة قوله تعالى : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ـ ٦٥ ـ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ٦٦) الزمر .

اقرأ معى :

- ١ - لغة القـــــرآن

مفردات فى اللغة العربية جمعتها من كتاب « تهذيب الصحاح »
واقتصرت فيها على ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
محمد رشدى خليل

المَبَاءةُ والباءة : منزل القوم ، والبيئة أيضـاً . و بوّاتُ الرجل منزلا : هيّأتُه وسمى النكاح ، باء وباءةً لأن الرجل يَتبوّأُ أهله أى يستمكن منها ، كما يتبوّأ من داره .

و بُؤْتُ بالذنب ، و باءت اليهود بغضب الله ، أى رجعت .

الُجفاء : ماىفاه السّيل ـ قال الله تعالى (فأمّا الزّبدُ فيذهبُ جُفاء) أى باطلا .

ذرأ اللهُ الخلقَ بذرؤهم ذَرْأً : خلقهم ومنه اشتقاق الذرية .

أرجأت الأمر : أخّرته .وقرىء : (وآخرون مُرْجؤُن لأمرْ الله)
أى مؤخّرون حتى ينزل الله فيهم مايُريد .

ساءه : نَقيضُ سَرَّه ، وقرىء : عليهم دائرة السُّوء) يعنى الهزيمة والشر .

صَبَا الرجل صُبُوءا : خرج من دين إلى دين .

نَزَأْتُ بين القوم : إذا حرّشْت وأفسدت .

ونزأ الشيطان بينهم : ألقى الشّر.

آب يؤوب أَوْباً و إياباً ، إذا رَجَع .

والأوّاب : التّائب الرّجّاعُ .

والتّأديب : أن تسير النهار أجمع وتنزل الليل . وقوله تعالى (ياجبالُ أَوِّبى معه) أى سَبِّحى ، لأنه قال : (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن)

التّبَاب : الخسران والهلاك . وتبًّا لفلان ، أى ألزمه الله هلاكا وخُسرانا .

المتوبة : الرجوع من الذنوب .

الثواب والمثوبة : جزاء الطاعة . وقوله تعالى (هل ثُوِّبَ الكُفّار) أى جُوزا .
والتَّثويب فى أذان الصبح : قوله : الصلاة خير من النوم .
وحَسْبُكَ درهم : أى كفاكِ وشىء حسابٌ أى كافٍ . ومنه قوله تعالى (عطاءً حساباً)
والحُسْبان : الحساب قال الله تعالى (الشمس والقمر بحُسْبَانٍ) أى يجريان بحساب .

الحُقُبُ : ثمانون سنة .

الأحقاب : الدهور .

الخَطْبُ : سبب الأمر ، يقال : ماخَطْبُك .

كل ماشٍ على الأرض دابّةٌ ودَبيبٌ . والدّابَّة : التى تركب .

الرَّقيب : الحافظُ . المنتظرُ للشىء .

التَّرهُّب : التعبُّد

ضَرَب الله مثلاً : أى بَيَّنَ .

النُّصْب : مانُصِبَ فُعبد من دون الله ـ وكذلك النُّصْب . النُّصُب .
والنَّصْبُ أيضاً : الشر والبلاء . ومنه قوله تعالى (مسَّنِى الشيطانُ بنَصْبٍ وعذاب)
وجب الشىء : أى لزم وثبت . وأوجبه الله . واستَوجَبه : أى استحقَّه .
وقَب الشىء يَقِبُ وَقْباً : أى دخل . ومنه قوله تعالى : (ومن شر غاسقٍ إذا وقَبَ)
والغاسق . الليل .

الجِبْتُ : كلمةٌ تقع على الصَّنم ، والكاهن ، والسّاحر .
السُّحْتُ والسُّحُتُ : الحرام .

القُنوت : الطاعة هذا هو الأصل ، ثم سمِّى القيام فى الصلاة قُنوتا .

هَيْتَ لكَ : أى هَلُمَّ وتعال .

التَّفث : فى المناسك ، قص الأظافر والشارب ، وحلق الرأس والعانة ، ورمى الجمار ،
وأشباه ذلك .

الحِنْث : الإثم والذَّنبُ والخلف فى اليمين . وتَحنَّث ، أى تعبَّد .

والمَحَانِث : مواقع الإثم . والحِنث : الميل من باطل إلى حق . أو من حق إلى باطل .

الدَّمِثُ : المكان اللين . ومنه الدَّمَاثة ، وهى سُهولة الخُلُق .

دَيَّثَهُ : ذلَّلَه . والدَّيُّوث : وهو الذى لا غيرة له .

الرَّفَثُ : الجماع ، والفُحش من القول .

خَدَجت النَّاقةُ : إذا أتت بولدها قبل تمام الأيام وإن كان تام الخلق فهو خَدِيجٌ وأخدَجت ، إذا جاءت به ناقص الخلق .

وفى الحديث : « كل صلاة لا يقرأُ فيها بأُمِّ الكتاب فهى خِداجٌ » أى ناقصة .

قال تعالى (مَرجَ البحرين يلتقيان) أى خَلَّاهما لا يلتبسُ أحدهما بالآخر .

وأمرٌ مريجٌ : أى مختلط .

المَشْجُ : الخلط ، والجمع أمشاجٌ . ويقال : نطفة أمشاج ، لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها . والأمشاج أيضاً الأوساخ التى تجتمع فى السُّرة .

دَبَّحَ الرّجلُ تدبيحاً ، بسط ظهره وطأطأ رأسه فيكون رأسه أشدَّ انحطاطاً من البقية .

وفى الحديث : نَهى أن يُدبِّحَ الرّجُل فى الرُّكوع كما يَدبِّح الحِمار .

فَرِح : أى سُرَّ . والفَرَح أيضاً : البَطَر ، ومنه قوله تعالى (ان الله لايحبُّ الفرحين) .

الفَلَاح : الفوز ، والبقاء ، والنَّجاة والسُّحور أيضاً . وفى الحديث «صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى خِفْنا أن يفوتنا الفلاح » . يعنى السَّحور .

وحَىَّ على الفلاح ، أى أقبِل على النَّجاة .

البَرْد : نقيض الحرّ ، و بَرَدَ ، أى مات .

والأَبْرَدان : الغداةُ والعَشِىّ . والبَرْد : النَّوم . ومنه : قوله تعالى (لا يذوقون فيها بَرْدا) .

والبَرَدة : التُّخَمة . وفى الحديث « أصلُ كلِّ داء البَرَدَةُ » .

الجَدُّ : أبو الأب وأبو الأم . والجدّ : الحظّ والبخت .

وقولهم فى الدعاء : « ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجَدّ » أى لاينفع ذا الغنى عندك غِناه ، و إنما ينفعه العمل بطاعتك . ومنك ، معناه عِندك .

وقوله : (جَدُّ ربنا) أى عظمةُ ربِّنا

والجِدّ : نقيض الهزْل . والجِدّ : الاجتهادُ فى الأمور .

الصَّعيد : التراب . وقيل : وجه الأرض .

الصَّمْد : القَصد . يقال صَمَدَه ، أى قَصَده .

والمصمود : المقصود . والصَّمَدُ : السَّيِّدُ ، لأنه يقصد فى الحوائج .

العبادة : الطاعة مع الخضوع .

التعبُّدُ : التَّبتُّل .

كنَد كُنوداً ، أى كَفَر النِّعمةَ فهو كَنُودٌ . وقيل الـكنود : اللوام لربه . لقوله تعالى (إن الإنسان لربه لـكنود) أى لوام لربه ، بعد المصائب وينسى النعم .

وأرض كَنُودٌ : لا تُنبت شيئاً .

المَسَد : اللِّيف ومنه قوله تعالى (حبلٌ من مَسَدٍ) ـ أو الخوص ، أو الشعر أو الوبر أو الصوف ، أو أى شىء يفتل .

نشدت الضَّالةَ . أنشُدها نِشْدةً . نِشْداناً ، أى طلبتُها .

وأنشَدْتُها ، أى عرَّفتُها . و« نشد » الرجلُ الرجلَ : عَرَفَه ونَشَدْتُ فلاناً أنشُدُه نشْدا ، إذا قلتَ له : نَشَدتك الله ، أى سألتك بالله .

الوَصيدُ : الفناء . وأوْصدت الباب وآصَدْتُه . أغلقتُه . وقوله تعالى : (إنها عليهم مُؤْصَدة) أى مُطْبَقةٌ .

أرض هامدةٌ : لانبات بها ونباتٌ هامدٌ : يابس .

المِشْوَذ : العِمامة . وفى الحديث : « أمَرَهم أن يمسحوا على المشَاوِذ والتَّساخين » . أى الخفاف .

ويقال : فلان حسن الشِّيذة ، أى العِمة .

الأزْرُ : القُوَّة . وقوله تعالى (اشْدُدْ به أزْرِى) أى ظهرى .

أَسَرَه اللهُ : أى خلقه . وقوله تعالى (شَدَدْنا أَسْرَهُمْ) أى خَلْقهم . وقيل : أسرهم ، أى مفاصلهم .

البَشَرَةُ : ظاهر جلد الإنسان ــ والبُشَارة المُطلَقَة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به ، كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) . وتَبَاشير الصُّبح : أوائله .

والمبَشِّرات : الرِّياح التى تبشر بالغَيث .

البِكْرُ : العذراء .

والبَاكورة : أَوّل الفاكهة . وفى حديث الجمعة : « من بكّر وابتكر » قالوا : بكر : أسرع ، وابتكر : أدركَ الخطبة من أوَّلها .

البُورُ : الرجل الفاسد الهالك الذى لا خيرَ فيه . وقَوْمٌ بُورٌ : هَلْكَى . والبَوَار : الهلاك . وباع المتاعُ : كَسَدَ .

والْبَوْرُ : الأرض التى لم تزرع .

الجُؤَار : مثل الخوَار . يقال : جأَر الثَّور ، أى صاح . وقرأ بعضهم قوله تعالى (عِجْلاً جَسَدًا له جُؤَارٌ) .

وجأَرَ الرجل إلى الله : أى تَضرَّع بالدُّعاء .

والحَجْر : حَجَر عليه القاضى حَجْرًا ، إذا منعه من التصرُّف فى ماله .

والحِجْر : الحرام ، وقوله تعالى (حِجْرًا مَحْجُورًا) أى حراماً محرَّمًا .

وَالحِجْر : العقل . ومنه قوله تعالى (هَلْ فى ذلك قسمٌ لذى حِجْرٍ) . (يتبع)

أنصـــــار السنة

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش المحامي

جماعة نصبوا أنفسهم لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة البدع ومحدثات الأمور ، ودحض الأباطيل والأوهام والخرافات والترهات ، التي لا تمت بسبب إلى الدين ، ولا إلى العقل ، ولا إلى العلم ؛ والدعوة إلى الاستمساك بالدين الخالص . كما جاء في كتاب الله وكما بينه رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ ووطنوا أنفسهم على احتمال مايلقون في هذه السبيل من عنت المتعنتين ، وتعصب الجاهلين ، وكبرياء المستكبرين ، وخصومة الجامدين .

وكانوا هم الروّاد الأولين الذين شقُّوا هذا الطريق الموحش المحفوف بالأهوال ، المملوء بالمخاوف والأخطار ، ليمهدوه لمن بعدهم من المصلحين ، حتى إذا نهض من بعدهم داعية إلى الحق ، وجد السبيل ميسرة ، والنهج واضحا .

ولقد كانت مهمتهم أول الأمر عسيرة شاقة يضيق بها الذرع ، ويعجز عنها الاحتمال ، فلقد سلطت عليهم الألسنة الحداد السليطة ، والأقلام المسمومة البذيئة . تنهش أعراضهم ، وترميهم بالزندقة والمروق ، والكفر والفسوق ، ودبت إليهم عقارب الوشاية والسعاية والوقيعة ، وتألفت الوفود من العلماء والأئمة والأعيان ، والمحامين والأطباء والتجار وغيرهم ، تسعى بهم إلى الحاكمين ، وترميهم بغياً وعدواً بما هم منه براء ، وكتبت الشكاوى والعرائض وأرسلت إلى مختلف الجهات التي يظن أنها تستطيع إلحاق الضرر بهم ، وتسليط الأذى عليهم

ولكنهم صبروا وصابروا ، واصطنعوا الحلم والأناة ، واتبعوا الدستور الإلهي في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، فكتب الله لهم النصر على من ناوأهم ، وضربوا من كل هذه المحن والخطوب ، مرفوعي الهامات لم يصبهم قرح ، ولم يمسسهم سوء ، وأقام الله تعالى منهم برهاناً ناصعا ، ودليلا قاطعاً ، على صدق قوله : (ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوي عزيز) .

وكان العلماء الذين يعرفون الحق يكتمونه حذراً وتقيّة و إيثاراً للعاقبة . وإذا سألهم سائل عن رأيهم فيما يقول أنصار السنة يغمغمون بالجواب ، و يدورن حوله ، ولا ينطقون به خالصا صريحا حتى لا يمسهم أذى العامة ، ولا تلوكهم ألسنتهم .

وما زال أنصار السنة يسيرون فى طريقهم تحدوهم الثقة بوعد الله ، و يحفزهم الأمل فى نصره وتأييده ، و يصحبهم توفيق الله وعونه حتى أصابوا الكثير من أهدافهم ، وحققوا جل آمالهم ، فأصبح العلماء يصدعون بالحقائق التى كانوا يكتمونها ، و يجهرون بها فى خطبهم فوق المنابر ، ويذيعونها من وراء الإذاعة ، و يكتبونها فى الصحف والمجلات ، ويجيبون السائلين عنها فى صراحة ووضوح . وكتب الله لدعوة الحق أن يعلو صوتها ، وأن تتجاوب الأصداء بها فى الأقطار الإسلامية كلها . وأصبح الأئمة يقفون فى قراءتهم فى الصلوات على رءوس الآى بعد أن كانوا يتنافسون فى قراءه الفاتحة فى نفس واحد ، وصاروا يطمئنون فى ركوعهم إذا ركعوا ، وسجودهم إذا سجدوا ، و ينادون بتحريم النذر لغير الله ، وشد الرحال لغير المساجد الثلاثة ، والتوسل بغير العمل الصالح ، وينهون عن دعاء الأولياء والهتاف بأسمائهم ، وذبح الذبائح لهم ، وسير المواكب إلى قبورهم ، إلى غير ذلك مما يدعو إليه أنصار السنة .

وصار المثقفون والناشئون من طلبة المعاهد الدينية ، والمدنية ، وشباب العلماء ، و بعض شيوخهم الموفقين يدينون بمبادىء أنصار السنة ، و يعتنقونها ، و يدعون جهرة إليها ، و بذلك صاروا من أنصار السنة ومن الدعاة إلى مبادئهم ، و إن لم تدون اسماؤهم فى دفاتر الجماعة ، و إن لم يسهموا فى نفقاتها ، و إن تأييدهم لمبادىء الجماعة لخير ألف مرة من إسهامهم بالمادة واشتراكهم بالمال الذى لا يراد إلا للاستعانة به فى بث دعوة الحق ، والدفاع عن دين الله .

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . و إن الله لمع المحسنين .

ماهى الوسيلة ...؟؟

قال صاحب القاموس : الوسيلة والواسلة ، المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة . ووسل إلى الله توسيلا ، عمل عملا تقرب به إليه ، كتوسل . والواسل ، الواجب والراغب إلى الله .

وقال فى لسان العرب : الوسيلة المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة . ووسل فلان إلى الله وسيلة ، إذا عمل عملا تقرب به إليه . والواسل كالراغب إلى الله .

وتوسل إليه بوسيلة ، إذا تقرب إليه بعمل . والوسيلة : الوصلة والقربى .

والمعروف من نصوص الكتاب ، وما صح من السنة : إن القرب من الله و بلوغ رحمته ورضوانه ، إنما يكون بطاعته وعبادته ، بما أحب وشرع .

وأما الوسيلة فى عرف الناس اليوم فتقع على الاستغاثة بالأموات والتمسح والتقبيل لقبور الأولياء ، والنذر لهم .

وقد رد الله على المشركين الذين أغراهم الشيطان بتلك الخرافات بأن للأولياء عند الله حقوقا مكتسبة ، فقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له . و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره . إن الله لقوى عزيز . الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس . إن الله سميع بصير . يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ، وإلى الله ترجع الأمور . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)

وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وقال تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) فالوسيلة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة .

وقد روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون ، إذ أصابهم مطر ، فأووا إلى غار فانطبق عليهم .

فقال بعضهم لبعض : إنه والله ياهؤلاء لاينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما علم أنه قد صدق فيه . فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى فَرَقَ من أرز ، فذهب وتركه ، و إنى عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته ، فصار من أمره أننى اشتريت منه بقراً ، و إنه أتانى يطلب أجره ، قلت أعمد إلى تلك البقر فسقها : فقال لى : أنا لى عندك فرق من أرز ، فقلت له أعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق ، فساقها . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت الصخرة .

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى ، فأبطأت عليهما ليلة ، فجئت وقد رقدا ، وأهلى وعيالى يتضاعون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا . فانساخت الصخرة حتى نظروا إلى السماء .

فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم إنه كانت لى ابنة عم من أحب الناس إلىّ ، و إنى راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار ، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها ، فدفعتها إليها ، فأمكنتنى من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة الدينار . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ، ففرج عنا . ففرج الله عنهم ، فخرجوا » .

فهؤلاء توسلوا بصالح أعمالهم ، الأول بالأمانة وأداء الأمانات إلىأهلها خوفا من الله تعالى والثانى ببر والديه ابتغاء مرضاة الله . والثالث بالعفة واجتناب الحرام طاعة لله تعالى .

فالإسلام هو الاستسلام والانقياد ، ومن أعظم معانيه وأشرفها ، التوجه إلى الله فى كل الأحوال وجميع الأعمال . قال تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا)

وفقنا الله تعالى لأن نكون من المؤمنين الذين يتقون الله حق تقاته ويبتغون إليه الوسيلة و يجاهدون فى سبيله ليكونوا من المفلحين .

الحج المبرور لاجزاء له إلا الجنة

لا يمترى مسلم فى أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة الثابتة فى حديث « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وفى لفظ « وصـيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لايدرى مايعرض له » .

فعلى كل مسلم يستطيع الحج أن يبادر به .

و إذا أردت أيها المؤمن أن تذهب إلى الحج فوطن نفسك أولاً على أن تخلص قلبك بجميع أنواع العبادة لله وحده وأن تجرد نفسك تمام التجرد من كل ماسوى ربك وخالقك وبارئك الذى له من النعم عليك ما لا تستطيع له إحصاء ولا عداً ؛ وأن تـكون على بينة من العبادة فلا تعبده إلا بما شرع ؛ وتب إلى ربك توبة نصوحاً من كل ماحرمه عليك ؛ و بادر بأداء ماوجب عليك أداؤه من الحقوق والأمانات ، سيما الديون والودائع .

و إذا وصلت إلى ميقات الحج فبادر أولاً بالغسل للإحرام وتطيب قبل إحرامك وعند إرادة الإحرام تجرد عن المخيط فلا تلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا الخف ولا ثوباً مسه زعفران أو ورس . والمرأة لا يحرم عليها من اللباس إلا مايستر الوجه أو اليدين ، و إلا مامسه الورس أو الزعفران : وتجنب أيضاً ابتداء الطيب بعد إحرامك وتجنب أيضاً كل مايتعلق بالجماع أو يفضى إليه من كلام وغيره ، وعقد النـكاح ، وقتل الصيد إلا الفواسق الخمس ، وهى الفأرة ، والكلب العقور والعقرب ، والحدأة ، والغراب . ولا تأخذ من شعرك ، وتجنب فاحش القول والجدال ، وارتـكاب أى مفسِّق ، وألبس إزاراً ورداء أبيضين ، وأحرم من الميقات كرابغ إن كنت مصرياً . والأفضل أن تـكون فى إحرامك متمتعاً طاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم تـكن سقت معك

الهدى . وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم قارناً لكونه ساق الهدى من ذى الحليفة ؛ وقد حتم صلوات الله وسلامه عليه وهو على المروة عند آخر سعى بينها و بين الصفا بعد قدومه فى حجة الوداع على كل من لم يسق الهدى أن يجعل حجه الذى كان قد عقده من الميقات عمرة ، بأن يتحلل بعد أن يؤدى أعمال العمرة من الطواف والسعى والحلق أو التقصير ، فيلبس المخيط ويحل له كل ما كان محرماً عليه من الثياب والنساء ؛ وقد راجعه بعض الصحابة فقالوا « يا رسول الله ، يذهب أحدنا إلى منى ومذا كيره تقطر منياً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت الهدى ولجعلتها عمرة . دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » ثم يحرم بالحج يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة عند خروجه إلى منى . فهذا هو التمتع .

وأما القران فهو أن يحرم من الميقات بالحج والعمرة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لسوقه الهدى معه .

ويجب عليك إن كنت متمتعاً وكذا إن كنت قارناً أن تأتمر بقول الله جل ذكره (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) و بعد إحرامك من الميقات قل رافعاً صوتك « لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك» و إذا وصلت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام فبادر بالطواف بالكعبة سبعة أشواط ترمُل ـ أى تمشى بسرعة ونشاط ـ فى الثلاثة الأولى ، وتمشى كالمعتاد فى باقيها ؛ تبدأ فى كل شوط بالحجر الأسود فتستلمه وتقبله إن تيسر بلا مزاحمة ، و إلا فأشر إليه بعصا أو بيدك وقبل ما أشرت به ، وتذكر جيداً عندئذ قول عمر رضى عنه عند الحجر يرفع صوته « إنى أعلم أنك حجر لا تضر وتنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك » يريد عمر رضى الله عنه أنه حجر كغيره من الأحجار ، وأنه ليس كما يزعم الجاهلون أن فيه بركة وأن له سراً أو نحو ذلك مما يدعوهم إلى الغلو الذى ربما جر إلى شرك ووثنية . فحذار ثم حذار من

اعتقاد ذلك ؛ وأن تلمحسه ؛ أو تعمل إلا ماوردت به السنة المحمدية ، فخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها . واستلم الركن اليمانى ، واجعل البيت أى الكعبة عن يسارك .

و بعد أن تفرغ من أشواط الطواف صل ركعتين عند مقام إبراهيم وذلك أن تجعل باب الكعبة على يسارك وتقف من هذه الجهة فى أى مكان ؛ وهو المكان الذى كان فيه إبراهيم للعبادة والصلاة . لا الحجر الذى كان يقوم عليه و يرتفع لبناء الكعبة ولا موضع دفنه . كما يفهم كثير من العوام والجاهلين ، فإن إبراهيم عليه السلام دفن بلا شك فى أرض الشام فى مكان لا يعلمه إلا الله تعالى .

ثم عد إلى الحجر الأسود فاستلمه . وتكون حالة الطواف طاهراً من الحدثين ساتراً عورتك فالطواف كالصلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام ولم يؤثر للطواف دعاء خاص ، مما يكرره المطوفون . لكن الأفضل أن يكون بذكر الله تعالى والدعاء بما شئت لنفسك ولأهلك وولدك بما تحب من الدنيا والآخرة . وقل بين الحجر الأسود والركن اليمانى (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإنه مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم بعد طوافك أخرج من باب الصفا واقرأ آية (إن الصفا والمروة من شعائر الله) واسع بين الصفا والمروة وابدأ فى سعيك بما بدأ الله به ، فارْق على الصفا حتى تشاهد البيت فاستقبله وقل « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير؛ لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزام وحده » كرر هذا الذكر ثلاث مرات وادع بينها بما أحببت .

ثم انزل من الصفا حتى إذا كنت ببطن الوادى فأسرع المشى . حتى إذا صعدت قدمك فأمش كالمعتاد ، وارْق على المروة ، وافعل عليها كما فعلت على الصفا ، تفعل ذلك سبع مرات تبدؤها بالصفا وتختمها بالمروة فإذا طفت وسعيت فتحلل بالحلق أو بالتقصير إن كنت متمتعاً ، كما هى السنة النبوية وعليك هدى . أو صيام . كما فى الآية .

ثم أحرم بالحج يوم الثامن من ذى الحجة فتوجه فيه إلى منى محرماً بالحج و بت بها ليلة التاسع ، حتى إذا صليت بها صبح يوم التاسع توجه بعد طلوع الشمس إلى عرفة . ملبياً ومكبراً ، فقف بها وأجمع هناك بين الظهر والعصر تقديماً فى مسجد نمرة مع الإمام .

ثم استمر واقفاً داعياً بما أحببت ، ومنه أن تقول « اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول . اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى و إليك مآبى . ولك ربى تراثى ، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللهم إنى أسألك من خير ما تهب به الريح ، وأعوذ بك من شر ما تجىء به الريح » واذكر ربك بما تشاء ؛ واحذر أن تضيع فرصة هذا اليوم خصوصاً بعد عصره ؛ فإنها ساعات التجلى ؛ اشغلها كلها بمناجاة ربك ، واستعرض فى هذه الساعة كل مواقفك وأعمالك فى حياتك ، فاستغفر من الذنب وسل الله التوفيق والثبات على صالح العمل ، وأكثر من الدعاء لك ولأولادك و إخوانك ، وسله أن يعيدك إلى هذه البقعة المباركة كل عام .

وعلى العموم ؛ فلا تكن مع الجاهلين الذين شغلتهم بطونهم ، ولهوهم ولعبهم عن النفحات الآلهية فى هذه الفرصة السعيدة . واستمر فيه حتى تغرب الشمس .

ثم ادفع بسكينة إلى المزدلفة ، وأخر المغرب حتى تجمعه بها مع العشاء بأذان و إقامتين كما هو فى الجمع بين الظهر والعصر تقديماً بعرفة .

ثم بت بالمزدلفة ليلة العيد ، حتى تصلى بها الصبح واجمع سبع حصيات ترم بها جمرة العقبة .

ثم ائت المشعر الحرام فقف به ذا كراً ربك إلى قبيل طلوع الشمس .

ثم انصرف إلى منى ، وعند ماتمر بوادى محسر أسرع فى المشى قليلا ، واسلك الطريق الوسطى حتى تأتى جمرة العقبة ، فارمها بعد طلوع الشمس بسبع حصيات مثل حصى الخذف مكبراً ربك عند كل حصاة ، وانحر نسكك ، وأحلق رأسك ، أو قصره ، و بعد هذا يحل لك كل شىء حَرُم عليك إلا النساء ، فإن فعلت الأفضل وذهبت من يومك إلى المسجد الحرام بمكة فطفت بالبيت سبعا طواف الإفاضة فقد حل لك كل شىء حتى النساء .

ثم عد بعد ذلك إلى منى فبت بها ليالى التشريق . وهى ثلاثة أو يومان إن أردت التعجل . وعليك أن ترمى كل يوم من أيام التشريق الجمار الثلاثة بعد الزوال لكل جمرة سبع حصيات بادئاً بالجمرة الدنيا ثم الوسطى ثم جمرة العقبة فأرم كل يوم إحدى وعشرين حصاة لقول الله جل ذكره (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون) .

ولتكن فى أيام حجك وعمرتك كثير الصدقات مطعماً للطعام مفشياً السلام ، متخلقاً بمكارم الأخلاق ، باذلا لما تستطيع من المعروف ، عازماً أن لاتعصى ربك مادمت حياً ، حتى يكون حجك مبروراً ، فإن الحج المبرور لاجزاء له إلا الجنة » وفقنى الله و إياك .

المراء ! . .

قيل لأعرابى : ماتقول فى المراء ؟ !

قال : ماعسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة . ويحل العقدة الوثيقة ، أقل مافيه أن يكون ذريئة للمغالبة . والمغالبة من أمتن أسباب الفتن .

مقتطفات من أقوال وعظات

الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز

لما مات عبد الله بن عتبة ، كتب عمر إلى ابنه يقول له : « أما بعد فإنا قوم من أهل الآخرة ، سكنا الدنيا أموات أبناء أموات ، فالعجب كل العجب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام » .

* * *

وكتب عمر إلى ابنه يذكره بصرعة الموت ويعظه فقال : « يابنى ، احذر الصرعة على الغفلة ، حين لاتستجاب الدعوة ، ولا سبيل إلى الرجعة ، ولا تغترن بطول العافية ، فإنما هو أجل ليس دونه فناء ، ولا بعد أن تستكمله بقاء » .

* * *

ولما مات ولده عبد الملك لم يجزع لموته ، بل كتب إلى الأمصار ينهاهم عن النواح عليه فقال فيما كتب : « إن الله تعالى أحب قبضه ، وأعوذ بالله أن أخالف محبته » . وبينما كان القوم مشغولين بدفن ابنه هذا رأى رجلا يشير بشماله . فقال له : « ياهذا ، إذا تكلمت فلا تشر بشمالك وأشر بيمينك . فقال الرجل متعجباً : مارأيت كاليوم ، إن رجلا دفن أعز الناس عنده . ثم إنه يهمه شمالى ويمينى » .

* * *

وخطب عمر بعد موت ابنه هذا فقال : « إن الله عز وجل لم يجعل لمحسن ولا لمسيء فى الدنيا خلدا ، ولم يرض بما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته فكل مافيها من محبوب متروك ، وكل مافيها من مكروه مضمحل ، لذلك خلقت وكتب الله على أهلها الفناء ، فأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله واعملوا ليوم لايجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا » .

* * *

ولقد مات لعمر أخوه سهل ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم . فلم يسخط على قضاء ربه ، بل رضى واسترجع واستسلم ، ووقف بعد ذلك يدعو ويقول : « اللهم إنك أنت قد علمت ما كان من عونهم ومعونتهم ، فأخذتهم ، فلم يزدنى ذلك إلا حباً ، ولا إلى ماعندك إلا شوقا » .

ومن أقواله : « إذا كنت من الدنيا فيما يسوؤك . فاذكر الموت فإنه يسهله عليك .
وقال : « من قرب الموت من قبله استكثر مافى يديه » .

ومن بليغ رسائله : « أما بعد ، فإن من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما ينفعه . والسلام » .

ومن عظاته : « كل يوم تشيعون غادياً ورائحا ، قد قضى نحبه وقضى أجله ، وتغيبونه فى صدع الأرض ، تدعونه غير موسد ، ولا متمهد ، فارق الأحباب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهنا بعمله ، فقيراً إلى ماقدم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موالاته .. وايم الله ، إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى ، وأستغفر الله وأتوب إليه » .

ومن عظاته : « لايحل الموت فى أعناقكم وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب وما مضى كأن لم يكن ، وكل ماهو آت قريب . أو مارأيتم حالات الميت : وجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الدنيا ، واتقوا يوماً لايخفى فيه مثقال ذرة فى الموازين » .

مطبعة السنة المحمدية

١٧ شارع شريف باشا الكبير

ت ٧٩٠١٧